

مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية

مجلة علمية محكمة

ISSN: (e) 2709-0833
معامل التأثير للعام 2022 = 4.91

العدد الثامن - المجلد السادس - أغسطس 2025م



السودان، الخرطوم، الخرطوم بحري،
كافوري جوار جامعة الزعيم الأزهرى

هاتف: 00249123656807

00249905578664

البريد الإلكتروني: info@hnjournal.net

العراق - بابل : 009647805011077

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إدارة المجلة

د. إبراهيم عبد الرحمن أحمد

رئيس التحرير

د. عبدالرحمن الشيخ علي ال غصبيه

نائب رئيس التحرير

د. أحمد فايق سليمان دنول

رئيس اللجنة العلمية

د. راکز سالم العرود

نائب رئيس اللجنة العلمية

الهيئة الاستشارية والعلمية الدولية

أ.م. عباس مراد دوهان

أستاذ الأدب الإنجليزي بجامعة الكوفة وجامعة الإمام

الكاظم كلية الدراسات الإسلامية

د. علي طالب عبيد السلطاني

أستاذ جامعي كلية الإمام الكاظم عليه السلام للعلوم

الإسلامية

د. تامر شبل زيا

كلية الادارة والاقتصاد / الجامعة المستنصرية

د. أمجد عباس أحمد

كلية الإمام الكاظم. قسم الحاسوب، العراق

د. ميسون طه حسين منصور الزهيري.

القانون العام (القانون الدستوري) / جامعة بابل

د. علي محمد كاظم الكريطي

مقرر قسم القانون في كلية الإمام الكاظم / أقسام ميسان

د. خالد طه سالم صالح

كلية التربية جامعة صنعاء

د. حاكم موسى عبد خضير الحسنوي

الكلية التربوية المفتوحة/ وزارة التربية العراق

د. محمد حسين مهاوي/ المعروف ب(د.محمد

الواضح)

معاون العميد للشؤون العلمية والدراسات العليا

بجامعة الامام الكاظم وأستاذ اللغة العربية

د. عبدالرحمن الشيخ علي ال غصبيه

استاذ القانون المدني

كلية القانون والعلوم السياسية جامعة ديالى

كلية الامام الكاظم (ع)

009647701072853

أ.م. د. حيدر كريم جاسم الجزائري

أستاذ جامعي جامعة الإمام الكاظم

الحمد لله الواحد الأحد، على ما أنعم وأعطى من غير حول منا ولا قوة، نحمده تعالى على عظيم فضله وكثرة نعمه وتوفيقه. ونصلي ونسلم على خير البرية احمد الذي هو عزيز عليه ما عنتنا، حريص علينا بالمؤمنين رؤوف رحيم.

مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية هي مجلة عربية دولية محكمة مستقلة تم انشاؤها عن طريق مجموعة من أساتذة الجامعات الموقرين وأصحاب الكفاءات العلمية العالية وهي تتبع رسمياً لمركز الأبرار للأبحاث والدراسات الإنسانية. حصلت المجلة على الرقم التعريفي الدولي، وقد حصلت أيضاً على اعتراف وتصنيف اتحاد الجامعات العربية. وأيضاً حصلت على تصنيف (SJIF) على الموقع الالكتروني <http://sjifactor.com/> بمعامل تأثير مقداره 4.91. وقد حصلت المجلة على الموافقة من المنظمة الدولية للأرقام التعريفية الدولية للأبحاث (DOI) وسيتم منح كل بحث رقم دولي الكتروني تعريفي خاص بالبحث يبقى مدى الحياة. تهدف المجلة إلى نشر العلوم في كافة المجالات باللغات العربية والانجليزية والفرنسية وبأسعار رمزية لتعم الفائدة لجميع الباحثين العرب حيث لا يجد كثير منهم منصات علمية محكمة وسريعة في النشر والتحكيم والتدقيق.

ونحمد الله ونشكره على ان اكتمل العدد الثامن من المجلد السادس، وقد احتوى هذا العدد على عدد (38) بحث، وتشكر إدارة المجلة جميع المؤلفين الذين تقدموا ببحوثهم وأوراقهم العلمية ومقالاتهم والتي بحسب رأينا بها كثير من الفائدة حيث تحتوي البحوث المنشورة في هذا العدد والأعداد السابقة على مواد ذات سبق علمي فريد. نسأل الله تعالى ان يوفقهم ويزيدهم علماً ونوراً وفائدة للأمة العربية.

كما تود إدارة المجلة ان تشكر جميع الذين ساهموا في إنجاح هذه المجلة فالبعض منهم قد قام بالتبرع المادي والبعض بالنصائح والمساعدة في النشر.

د. إبراهيم عبد الرحمن أحمد

رئيس التحرير

شروط النشر بالمجلة

تعليمات للباحثين:

1. ان يكون البحث ذا قيم علمية بحيث انه يقدم جديد في عالم المعرفة.
2. ان يكون البحث سليماً من حيث الصياغة اللغوية والإملائية.
3. الا يكون البحث مستلاً من بحث تم نشره مسبقاً.
4. الا تتجاوز عدد صفحات البحث (25) صفحة متضمنة الأشكال والرسومات والجداول والصور والمراجع. اذا كان هنالك ملاحق فإنها لا تدرج في النشر ولكنها مهمة ان وجدت لأغراض التحكيم.
5. يجب الا يدرج الباحث اسمه في متن البحث وذلك لضمان سرية التحكيم وجودته.

تنسيق البحث:

1. لا يتجاوز عدد صفحات البحث (25) صفحة متضمنة الملخصين العربي والإنجليزي، والمراجع.
2. تكتب بيانات البحث باللغتين العربية والإنجليزية، وتحتوي على: (عنوان البحث، واسم الباحث والتعريف به، وبيانات التواصل معه).
3. أن يحتوي البحث على ملخص باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يتجاوز كل منهما (250) كلمة مع التأكيد على كتابة عنوان البحث باللغة الانجليزية، وأن يتبع كل ملخص كلمات مفتاحية (Keywords) (دالة على التخصص الدقيق للبحث) بحيث لا يتجاوز عددها (5) كلمات.
4. الهوامش: إذا كان البحث باللغة العربية: 3 سم للأعلى والأسفل، و3 سم للجانب الأيمن و2.3 سم الأيسر. أما إذا كان البحث باللغة الإنجليزية: 3 سم للأعلى والأسفل، و2.3 سم للجانب الأيمن و3 سم الأيسر.
5. المسافة بين الأسطر: مفردة.
6. الخطوط: إذا كان البحث باللغة العربية Simplified Arabic:، حجم الخط 14 غامق للعنوان الرئيس، 12 غامق للعناوين الفرعية، 12 عادي لباقي النصوص وترقيم، 11 عادي للجداول والأشكال و10 عادي للملخص. اما اذا كان باللغة الإنجليزية Times New Roman:، حجم الخط 14 غامق للعنوان الرئيس، 12 غامق للعناوين الفرعية، 12 عادي لباقي النصوص وترقيم، 11 عادي للجداول والأشكال التوضيحية و10 عادي للملخص.
7. عناصر البحث:
8. المقدمة: (موضوع البحث، ومشكلته، وحدوده، وأهدافه، ومنهجه، وإجراءاته).
9. تبين الدراسات السابقة وإضافته العلمية عليها.
10. المواد وطرق العمل: يجب أن تحتوي على تفاصيل طريقة إجراء البحث والتحليل الإحصائية والمراجع المستخدمة لهما.
11. النتائج والمناقشة: يمكن كتابة النتائج والمناقشة تحت عنوان واحد أو تحت عنوانين منفصلين. في حالة البيانات المجدولة توضع الجداول والأشكال داخل المتن في أول موقع متاح عقب ذكرها برقمها في المتن. ويستحب عدم إعادة كتابة الأرقام المذكورة بالجداول ويفضل الإشارة إلى وجودها بالجدول أو الشكل وتناقش النتائج بالتفصيل بالاستعانة بالمراجع ذات الصلة بالبحث.
12. كتابة خاتمة بخلاصة شاملة للبحث تتضمن أهم النتائج والتوصيات.
13. قائمة المصادر والمراجع.

14. الجداول:

15. تدرج الجداول في النص وترقم ترقيماً متسلسلاً وتكتب أسماؤها في أعلاها.
16. في النص: الجدول (1) (مع مسافة واحدة بين الجدول ورقمه).
17. التسمية التوضيحية: ينبغي أن تدرج في الجدول على الصف الأول تتسق كالتالي:

الجدول(1) عنوان الجدول مع ثلاث مسافات بين التسمية التوضيحية واسم الجدول.

- يتم كتابة المصدر أسفل الجدول حجم الخط 11.

1. الرسوم البيانية والأشكال التوضيحية: تدرج الرسوم البيانية والأشكال التوضيحية في النص، وتكون الرسوم والأشكال باللونين الأبيض والأسود وترقم ترقيماً متسلسلاً.
2. في النص: (الشكل 1) (مع مسافة واحدة بين الشكل ورقمه).
3. التسمية التوضيحية: يجب أن تكون تحت الشكل مباشرة كالتالي:

شكل(1) عنوان الشكل

- يتم كتابة المصدر أسفل الشكل حجم الخط 11، كالتالي (اسم الشهرة للمؤلف، سنة النشر: رقم الصفحة) إن لزم.

طريقة التوثيق:

1. طريقة الإشارة إلى المصادر داخل متن البحث حسب نظام APA.
2. طريقة كتابة المراجع في نهاية البحث حسب نظام APA.

الصفحة	الموضوع
9 – 1	Le thème de l'infidélité dans la Princesse de Clèves de Mme de La Fayette Iman Mohammed Ahmed Abu Alhassan
29 – 10	أسباب تجدد العنف القبلي بمدينة الجينة بولاية غرب دارفور د. مصطفى ابركر رمضان موسى
36 – 30	المنعطف الفرجوي في المسرح: قراءة في كتاب " المسرح ودراسات الفرجة " للدكتور خالد أمين حفيظة مبروك
56 – 37	إدارة الأداء الوظيفي في ظل الأزمات المالية في القطاع المصرفي بإقليم النيل الأزرق - دراسة حالة بنك الادخار فرع الدمازين في الفترة من (2024- 2025) د. محمد إدريس الماحي حبيب، د. عبد المنعم حسن حسين
74 – 57	آلية مساهمة التمويل والاستثمار الوقفي في التخفيف من ضغوط الإنفاق الحكومي في ليبيا عمر حسين عمر الشريف
95 – 75	التخطيط الاستراتيجي كمدخل لتحسين جودة التعليم المدرسي من وجهة نظر مديري المدارس الحكومية في المحافظات الجنوبية لفلسطين أ.د. سليمان حسين المزين، أ. نور سليمان أبو بطيحان، أ. إيناس إبراهيم أبو صالح
107 – 96	الهوية الإسلامية في ظل الغزو الثقافي الحديث: التحديات والحلول منى سلطان العتيبي
124 – 108	الفاعل الجمعي وآليات التفاوض الاجتماعي مع المرض دارس عبد الحكيم
144 – 125	Prise en charge de la bilharziose à Schistosoma mansoni dans la zone de santé rurale D'Oicha au Nord Kivu en RD Congo Bailanda Mumbere Pascal, Kimbilwa Katavali Emery, Kakule Kithanga Jean de Dieu, Matiaba Binda Paul, Muyisa Bwambale Quenedy, Kambale Mbakwiravyo Obede Mumbere Muvunga, Paluku Kahuka Zephirin, Kakule Mutsunga Maurice, Kule Kyusa Archip, Nzanu Ndulutulu Joachin, Kambale Soheranda Sadraka, Wembo Ndeo Oscar, Barhwamire Kabesha Theophile, Muhindo Sahani Walere, Paluku Sabuni Louis.
158 – 145	المشاركة السياسية وأهم العوامل المؤثرة على قرار الناخب العراقي (بعد 2005) م. د. صلاح حسن حمود الصراف
177 – 159	الكفاءة المهنية للباحثين وأثرها في زيادة كفاءة نظام التقدير الذاتي هناء بشير نور الدين بشير، د. محمد المعتز طه
195 – 178	مقاومة محمد بن عبد الكريم الخطابي والشريف محمد أمزيان في بعض الأشعار الامازيغية محمد أدراوي
215 – 196	الاستعارة المفردة في القرآن الكريم - دراسة بلاغية جمالية تحليلية د. عبد الحفيظ خضر محمد بادي
230 – 216	العدالة التنظيمية كمدخل لحوكمة الموارد البشرية د. عاطف عوض علي
246 – 231	دور العنصر الخزرفي المفرد في تشكيل البلاطات الخزفية لواجهات المراقد المقدسة في العراق: دراسة تحليلية شمولية حسام محمد تايه، أ. د. عمر محمد الحسن درمة

259 – 247	المنظومة الجمالية في تصاميم الزخارف الإسلامية على واجهات المراقد المقدسة في العراق: دراسة تحليلية شمولية حسام محمد تايه، أ.د. عمر محمد الحسن درمة
275 – 260	دينامية الأتربة واستعمالاتها الزراعية في منطقة الحجة (جماعة بني يخلف – المحمدية) د. ياسين الشاوي، د. مصطفى وادريم، د. رشيدة المرابط
294 – 276	تأثير الكفاءة المهنية للفاحص الضريبي على جودة الإفصاح المحاسبي: مقارنة تحليلية في ظل نظام التقدير الذاتي هناء بشير نورالدين بشير، د. محمد المعتز طه
315 – 295	فاعلية استراتيجية التعليم الهجين في تعليم اللغة العبرية كلغة ثانية لدى طلبة المرحلة الثانوية ريم ذياب
329 – 316	The Role of Digital Transformation in the Development of the Agricultural and Services Sectors: The Case of the Iraqi Economy Zainab Mousa Abdel Redha, Abdel Wahab Mohamed Jawad
344 – 330	الحماية القانونية للتراث الثقافي غير المادي أثناء النزاعات المسلحة: منظور تحليلي أنسام عبد الواحد ناصر، حيدر جمعة منجي النصر اوي، حسام هاتف مسلم، محمد جبار جدوع العبدلي
364 – 345	تأثير متطلبات ادارة الجودة الشاملة في الحد من الاغتراب النفسي: دراسة استطلاعية في الجامعة التقنية الوسطى م. نادية عبدالله محمد الجاف
383 – 365	إدارة الأزمات في المؤسسات التعليمية بالسودان: دراسة حالة كلية دلتا العلوم والتكنولوجيا في الفترة من 2023-2025 د. مروة عطا المنان احمد الريح، أ. محمد علي عبد المطلب محمد
401 – 384	تقييم نموذج سلسلة التجهيز الذكية: دراسة حالة في الشركة العامة لصناعات النسيج والجلود أ.د. زهرة عبد محمد
407 – 402	The Use of Ironic Statements in Kane's Blasted: A Pragma-Styletic Approach Lect. Dr. Hasan Imad Kadhim, Lect. Dr. Teeba Abdulrazzaq Al- Sudani
420 – 408	اثر حجم العينة في تقدير الثبات بطرق الاختبار وإعادة الاختبار وألفا كرونباخ د. عبدالاله محمد القرني
435 – 421	نفقة الحواشي في قانون الأحوال الشخصية العراقي وأثرها على تحقيق السلم المجتمعي أ.م.د. إيمان موسى فرحان، أ.د. مزاحم مهدي النجار
449 – 436	Assessment of Macular Thickness Changes in Diabetic Retinopathy after Cataract Surgery Najla Abdusalm Almabrouk, Algharib Albaghdadi Alshraa, Maisoon Daloub
465 – 450	مفهوم الوراثة بين الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) والأنبياء (عليهم السلام) زيارة وارث أنموذجا (دراسة مقارنة) أ.م.د. مازن خضير عباس الغزي، م.م. نورة عواد طفطاف
486 – 466	البناء والترميم الحكومي في السماوة أواخر العهد العثماني في العراق م. رقيب حسون عبودي سعودي

498 – 487	Effect of Physical Processing of Barley Grains on Growth Efficiency and Performance in Afshari Breed Fattening Lambs Hassan Fallah Hassan, Amir Davar Forouzandeh
510 – 499	Women and Madness in American Hardboiled Crime Fiction Maysaa H. Jaber, PhD
521 – 511	Advanced Geological and Mineralogical Analysis of Monazite: A Comparative Study Between Iraq and Egypt Using X-rays and Project Material Zahraa Jassim Mohammed Al-Jaafari
534 – 522	أثر التحصيل الإلكتروني على زيادة الإيرادات العامة: دراسة حالة وزارة المالية بولاية شمال كردفان د. علي عبدالرحمن سالم احمد، د. عز الدين محمد فضل الله عبدالله، عبدالقادر حسن الضو محمد، واثر فؤاد حمزه تين
559 – 535	Classification of Human Activities Based on Mobile Phone Data Using Feature Selection Method with Genetic Algorithm and Probabilistic Neural Network Master Ahmed Kuwait Mohammed
576 – 560	الواقع التشريعي للأمن السيبراني في العراق: التحديات والطموحات محمد كاظم هادي عنجور المنصوري
587 – 577	إدماج المرأة كمدخل لتحقيق السلام والاستقرار في دارفور: دراسة تحليلية في ضوء إطار نظري تكاملي متعدد المستويات سارة إبراهيم ابوجه، د. عاطف عجيب
598 – 588	المحافظ الاستثمارية ودورها في تقليص مخاطر الاستثمار أ.م. د. موفق تركي زيدان

ARTICLE DE RECHERCHE

Le thème de l'infidélité dans la Princesse de Clèves de Mme de La Fayette

Iman Mohammed Ahmed Abu Alhassan¹

¹ Assistant prof. Shendi University- College of Arts- Department of French, Sudan.

Email: mimmma2013@gmail.com

HNSJ, 2025, 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/1>

Reçu le 07/07/2025

Accepté le 15/07/2025

Publié le 01/08/2025

Résumé

L'objectif de cet article, c'est d'étudier le sujet de l'infidélité dans le roman *La Princesse de Clèves* de Mme de La Fayette. Nous trouvons que dans ce roman, Mme de Clèves est éduquée par sa mère, Mme de Chartres, à la fidélité conjugale pour garantir son bonheur de vie future de femme mariée, mais Mme de Clèves n'exécute pas les conseils de sa mère. Cet article essaie de savoir: est-ce que la femme infidèle mène une vie malheureuse? Pour réaliser cette étude, nous avons utilisé la méthode analytique, nous avons parlé de: la vie de Mme de la Fayette, un résumé de *La Princesse de Clèves*, le mariage de M. et Mme de Clèves, l'infidélité de Mme de Clèves, les conséquences de l'infidélité et la vie de l'infidèle après la mort de son mari. Enfin, nous trouvons que Mme de Clèves, par son infidélité, cause le malheur de son mari puis sa mort et sa vie après sa mort est triste et malheureuse.

Mots Clés: Malheur, infidélité, femme mariée.

RESEARCH TITLE**THE THEME OF INFIDELITY IN THE PRINCESS OF CLÈVES BY MADAME DE LA FAYETTE****Abstract**

This essay aims at studying the theme of infidelity in the novel "La Princesse de Clèves" of "Mme de La Fayette". We find that in this novel, Madame de Cleves is educated by her mother, Madame de Chartres, in marital fidelity to guarantee her future happiness as a married woman, but Madame de Cleves does not carry out her mother's advice. The essay tries to find out: does the unfaithful wife lead an unhappy life? To fulfill this study, we used the analytic method. We talk about: author's life, a summary of "La Princesse de Clèves", the marriage of Mr. and Mrs. de Clèves, the infidelity of Mrs. de Clèves, the consequences of infidelity and the life of the infidel after the death of her husband. Finally, we find that Mrs. De Cleves, by her infidelity, causes the misfortune of her husband then his death and her life after his death is sad and unhappy.

Key Words: Unhappiness, infidelity, married woman.

1-Introduction:

La Princesse de Clèves est un roman de Madame de La Fayette, publié en 1678. Dans ce roman, il y a Mme de Clèves qui se marie avec M. de Clèves, comme leur mariage est sans amour, elle trompe son mari en tombant amoureuse de M. de Nemours. Cette trahison cause le malheur de deux époux et conduit à la mort de son mari.

Les objectifs:

A travers cet article, nous voulons savoir le thème de l'infidélité conjugale. Aussi, nous voulons savoir la relation entre la mère et sa fille et comment la mère veut garantir le bonheur de la vie de sa fille mariée. De plus, nous voulons savoir si vie de la femme mariée est toujours malheureuse.

La limitation:

L'article est limité sur le thème de l'infidélité conjugale dans le roman la Princesse de Clèves de Madame de la Fayette et surtout l'infidélité de Mme de Clèves envers son mari M. de Clèves.

Problématique:

Dans le Princesse de Clèves de Mme de la Fayette, Mme de Chartres a consacré toute sa vie à éduquer sa fille, Mlle de Chartres, à la fidélité conjugale de sa vie future de femme mariée. Pour Mme de Chartres, rien n'égale le bonheur d'une épouse fidèle à son mari. Elle a pris soin de mettre sa fille en garde contre les galanteries de la cour, mais sa fille ne suit pas ses conseils et trompe son mari. Alors d'après cette opinion de Mme de Chartres, nous allons aborder le sujet de l'infidélité conjugale pour savoir: «Est- ce que la femme infidèle mène une vie malheureuse»?

Les hypothèses:

Nous croyons que si Mme de Clèves suit les conseils de sa mère d'être fidèle à son mari, sa vie sera pleine du bonheur, mais comme elle est infidèle, sa vie soit troublée et malheureuse.

Méthodologie du travail:

Dans cet article, nous avons utilisé une méthode analytique pour traiter le thème de l'infidélité conjugale: «La méthode analytique procède par décomposition du sujet. On décompose un ensemble en ses éléments constitutifs, ses éléments essentiels, afin d'en saisir les rapports et de donner un schéma général de l'ensemble.» (www.unifr.ch/ Les méthodes d'analyse/11/ 01/2023/11:09).

Nous allons donner premièrement, une biographie de Mme de La Fayette puis un résumé de l'œuvre étudiée, ensuite, nous allons parler du mariage de Mlle de Chartres et M. de Clèves, la trahison de Mme de Clèves pour son mari, l'agonie et la mort de M. de Clèves comme des conséquences de cette trahison et le cas de Mme de Clèves après la mort de son mari.

2-La vie de Madame de Lafayette

Marie-Madeleine Pioche de La Vergne, comtesse de La Fayette (ou Lafayette), née le 18 mars 1634 à Paris et morte le 25 mai 1693 dans la même ville, est une femme de lettres française. De son nom complet Marie-Madeleine Pioche de la Vergne comtesse de La Fayette, celle qui est plus connue sous le nom de **Madame de Lafayette** naît dans la petite noblesse parisienne. Au décès de son père, sa mère se remarie avec le Chevalier Renaud de Sévigné, l'oncle de la Marquise de Sévigné, avec qui Madame de Lafayette sera amie toute sa

vie durant. Devenue dame d'honneur de la Reine Anne d'Autriche en 1650, elle prend petit à petit conscience des intrigues de la cour dont elle s'inspirera dans ses écrits. Elle se forme à la littérature dans les salons littéraires de l'époque, les salons de Mlle de Scudéry et l'hôtel de Rambouillet. Elle épouse en 1655 le Comte François de La Fayette, issu d'une grande noblesse sans le sous, mariage de raison arrangé par sa mère ; elle aura deux enfants avec son mari. Elle fréquente le cercle janséniste de l'Hôtel de Nevers et rencontre vers 1660 le philosophe Arnauld et François de La Rochefoucauld, avec qui elle se lie d'amitié. Grâce à son amitié avec Henriette d'Angleterre qui épouse le frère du roi, elle pénètre l'intimité de la cour. En 1662, elle publie anonymement 'La Princesse de Montpensier' et en 1670, 'Zaïde' qu'elle écrit en collaboration avec La Rochefoucauld et le poète Segrais. En 1678 paraît son roman le plus célèbre qui passe pour être une anticipation du roman psychologique, 'La Princesse de Clèves'. Après la mort de son mari et de son ami La Rochefoucauld, elle écrit 'Mémoires de la Cour de France pour les années 1688 et 1689', qui ne seront publiés qu'après sa mort. Femme à la plume acérée, les œuvres de Madame de Lafayette annoncent le roman moderne.

3-Résumé de la Princesse de Clèves:

Le roman s'ouvre sur une longue évocation de la cour d'Henri II, présentant successivement les personnages les plus éminents qui la composent : Diane de Poitiers, Catherine de Médicis, la Dauphine ou encore Marie Stuart. En 1559, Mlle de Chartres, jeune héritière belle et fortunée, y est introduite et bientôt remarquée par le prince de Clèves qui obtient sa main. Toutefois, au cours d'un bal, la princesse de Clèves fait la connaissance du séduisant duc de Nemours, et la scène de rencontre prend les allures d'un coup de foudre mutuel. Prévenue par sa mère des dangers de la passion, elle résiste longuement et tente d'étouffer ses sentiments; cependant, bientôt privée par la mort de sa mère de son unique soutien, elle contient de plus en plus difficilement cet amour adultère.

Le roman abandonne alors pour un moment la ligne principale du récit pour exposer diverses relations: celle qui unit le roi à Diane, les amours d'Henri III, l'histoire de Mme de Tournon ou encore les rapports houleux entre le vidame de Chartres, la reine et Mme de Thémynes, autant de digressions qui renvoient à la princesse l'image de sa propre passion, et dont elle saisira cependant trop tard l'avertissement qu'elles contenaient. Le récit se reporte ensuite sur elle, lors d'un séjour dans son domaine de Coulommiers: c'est là que, pressée par les soupçons de son mari, elle lui avoue sa coupable passion et le supplie de la protéger d'elle-même. Séparés, la princesse et Nemours s'abandonnent chacun de leur côté à des rêveries amoureuses, mais le prince de Clèves, tараudé par la douleur, expire après et la princesse se retire dans ses terres. Alors a lieu l'unique entrevue entre les deux amants où ils se parlent à cœur ouvert; la princesse partage ensuite son temps entre ses terres et le couvent, refusant à tout jamais de revoir Nemours.

4-Le thème de l'infidélité

Nous voulons aborder le thème de l'infidélité dans le roman la Princesse de Clèves de Mme de la Fayette. Mlle de Chartres et le prince de Clèves se rencontrent puis ils se marient, mais ce mariage sans amour du côté de Mlle de chartes. Alors celle- ci trompe son mari malgré elle est éduquée par sa mère à la fidélité conjugale. Pressée par son mari, elle lui avoue sa trahison. Alors cette trahison incite la jalousie de M. de Clèves et faisant, plus tard sa mort.

5-Le mariage de Mlle de Chartres et le prince de Clèves

Le prince de Clèves rencontre Mlle de Chartres chez un bijoutier, il est ébloui par sa beauté, alors il décide de l'épouser. Mlle de Chartes d'une exceptionnelle beauté fait alors son

apparition à la cour: «Il parut alors une beauté à la cour qui attira les yeux de tout le monde» (Mme de la Fayette, 1967, p17). Son père est l'un des plus riches partis du royaume. Sa mère, Mme de Chartres, lui a enseigné les mérites de la fidélité conjugale et songe à la marier. Quand la jeune fille visite ce joaillier, elle éblouit par sa beauté le prince de Clèves: «M. de Clèves la regardait avec admiration, et il ne pouvait comprendre qui était cette belle personne qu'il ne connaissait point» (Mme de la Fayette, op.cit, p20). Il cherche à revoir la belle inconnue et il est devenu passionnément amoureux d'elle: «M. de Clèves sentit de la joie de voir que cette personne qu'il avait trouvée si aimable était d'une qualité proportionnée à sa beauté; il s'approcha d'elle, et il la supplia de se souvenir qu'il avait été le premier à l'admirer et que, sans la connaître, il avait eu pour elle tous les sentiments de respect et d'estime qui lui étaient dus.» (Ibid, p23). Alors il l'aime et décide de l'épouser.

Le prince de Clèves souhaite épouser Mlle de Chartres, mais il y a deux obstacles à ce mariage. Il a nombreux rivaux et aussi son père s'oppose à ce mariage. Heureusement pour lui, l'intrigue de cour fait échouer un premier projet de mariage de Mlle de Chartres, puis un second, plus brillant encore et aussi son père est mort. Libéré par la mort de son père, le prince de Clèves fait sa déclaration à Mlle de Chartres: «La mort du duc de Nevers, son père, qui arriva alors, le mit dans une entière liberté de suivre son inclination, et, sitôt que le temps de la bienséance du deuil fut passé, il ne songea plus qu'aux moyens d'épouser Mlle de Chartres.» (Ibid, p36).

Mlle de Chartres accepte la proposition de M. de Clèves sans répugnance ni joie particulière; et le mariage se trouve conclu «Mlle de Chartres répondit qu'elle lui remarquait les mêmes bonnes qualités, qu'elle l'épouserait même avec moins de répugnance qu'un autre, mais qu'elle n'avait aucune inclination particulière pour sa personne.» (Ibid, p38).

M. de Clèves sent bien que la jeune fille n'a choisi qu'une union de convenance, et lui avoue son amertume. Mme de Chartres, tout aussi lucide, recommande à sa fille une fidélité à toute épreuve. On célèbre au Louvre une cérémonie magnifique: «Ce mariage s'acheva, la cérémonie s'en fit au Louvre ; et le soir le roi et les reines vinrent souper chez Mme de Chartres, avec toute la cour, où ils furent reçus avec une magnificence admirable» (Ibid, p 42).

6-Mme de Chartes et l'éducation de sa fille à la fidélité conjugale:

Mme de chartres, comme elle est veuve, elle a consacré toute sa vie à l'éducation de sa fille «Pendant cette absence, elle avait donné ses soins à l'éducation de sa fille ; mais elle ne travailla pas seulement à cultiver son esprit et sa beauté, elle songea aussi à lui donner de la vertu et à la lui rendre aimable.» (Ibid, p18). «La jeune Mlle de Chartres âgée de 16 ans est en âge de se marier. Jolie, pleine de grâce, elle a été élevée par sa mère dans un esprit de vertu qui l'a rendue modeste et honnête». (M. De La Fayette, 2020, p 316)

Mme de Chartres veille tout particulièrement sa fille à la formation morale: l'amour, lui a-t-elle dit, peut receler bien des dangers, et les hommes sont volages. Rien ne vaut le bonheur d'une épouse fidèle à son mari, mais la fidélité- dit-elle avec profondeur-restera toujours un combat «Elle lui contait le peu de sincérité des hommes, leurs tromperies et leur infidélité, les malheurs domestiques où plongent les engagements; et elle lui faisait voir, d'un autre côté, quelle tranquillité suivait la vie d'une honnête femme, et combien la vertu donnait d'éclat et d'élévation à une personne qui avait de la beauté et de la naissance» (Mme de la Fayette, op. cit, p18-19).

Mme de Chartres a pris soin de mettre sa fille en garde contre les galanteries de la cour: «Mme de Chartres enseigne à sa fille à se méfier des hommes, de leurs tromperies, de leur infidélité» (C.Venesoen, 1990, p 106).De sa vie future de femme mariée, elle lui brosse un

portrait exigeant, ou la fidélité à l'époux et refus des entraînements médiocres seront les valeurs clés; là est, selon elle, la voie unique du bonheur. La jeune fille fait sienne par la suite cette philosophie de sa vie qui repose sur la vertu de force.

Pour marier sa fille, Mme de Chartres manifeste une ambition illimitée, justifiée par son rang et sa fortune. Selon l'usage du temps, elle préside au choix de l'époux, tout en ménageant, au moins en apparence, le libre choix d'une fille avec laquelle elle vit en parfaite intimité «Mais elle lui faisait voir aussi combien il était difficile de conserver cette vertu que par une extrême défiance de soi-même et par un grand soin de s'attacher à ce qui seul peut faire le bonheur d'une femme, qui est d'aimer son mari et d'en être aimée» (Mme de la Fayette, op. cit, p19). Assez autoritaire à nos yeux, cette décision maternelle est en fait conforme aux coutumes du temps. L'actuelle liberté dans le choix de l'époux paraîtrait en effet incompréhensible aux contemporains de Mme de La Fayette.

L'intimité entre mère et fille est le fruit d'une éducation, subsiste après le mariage de la princesse; aussi Mme de Chartres est-elle la première, avec le chevalier de Guise, à percevoir l'inclination naissante de sa fille pour M. de Nemours, avant même que celle-ci n'en soit consciente: «Mme de Clèves n'avait jamais ouï de parler de M. de Nemours et de Mme de la dauphine; elle fut si surprise de ce que lui dit sa mère, et elle crut si bien voir combien elle s'était trompée dans tout ce qu'elle avait pensé des sentiments de ce prince qu'elle changea de visage» (S. Kim, 1997, p 129).

Quand Mme de Chartres tombe malade, M. de Nemours par tous les moyens, cherche à revoir la princesse, laquelle ne peut s'empêcher d'être charmée de sa vue. Mourante, Mme de Chartres adresse à sa fille des recommandations solennelles: elle a deviné sa passion, et l'adjure de ne pas y succomber. Mieux vaut à ses yeux un départ héroïque de la cour qu'une réputation perdue: «Vous avez de l'inclination pour M. de Nemours ; je ne vous demande point de me l'avouer: je ne suis plus en

état de me servir de votre sincérité pour vous conduire. Il y a déjà longtemps que je me suis aperçue de cette inclination; mais je ne vous en

ai pas voulu parler d'abord, de peur de vous en faire apercevoir vous-même. Vous ne la connaissez que trop présentement; vous êtes sur le bord du précipice: il faut de grands efforts et de grandes violences pour vous retenir. Songez à ce que vous devez à votre mari; songez à ce que vous vous devez à vous-même, et pensez que vous allez perdre cette réputation que vous vous êtes acquise, et que je vous ai tant souhaitée.» (Mme de la Fayette, op. cit, p77).

Mme de Chartres aussi elle recommande à sa fille d'être courageuse après sa mort et c'est mieux pour elle de quitter la cour et d'emmener son mari: «Ayez de la force et du courage, ma fille; retirez-vous de la cour; obligez votre mari de vous emmener; ne craignez point de prendre des partis trop rudes et trop difficiles: quelque affreux qu'ils vous paraissent d'abord, ils seront plus doux dans les suites que les malheurs d'une galanterie. Si d'autres raisons que celles de la vertu et de votre devoir vous pouvaient obliger à ce que je souhaite, je vous dirais que, si quelque chose était capable de troubler le bonheur que j'espère en sortant de ce monde, ce serait de vous voir tomber comme les autres femmes; mais, si ce malheur vous doit arriver, je reçois la mort avec joie pour n'en être pas le témoin» (Ibid, p78).

À la mort d'une mère qui lui était si utile, Mme de Clèves mesure son irrémédiable solitude. Elle part pour la campagne avec son époux. Celui-ci, bouleversé par une nouvelle qu'il vient d'apprendre, travaillé peut-être par une inquiétude secrète, va lui montrer les conséquences d'un amour coupable.

7-La trahison de Mme de Clèves envers son mari

Nous trouvons que le mariage ne change rien aux sentiments de Mme de Clèves et celle-ci tombe amoureuse de M. de Nemours: «Mme de Clèves tombe sous le charme de M. de Nemours et subit les ravages d'une passion coupable» (M. Bernard, 2012, p 287). Elle le connaît avant de le voir: «Elle avait ouï parler de ce prince à tout le monde comme de ce qu'il y avait de mieux fait et de plus agréable à la cour» (Mme de la Fayette, op. cit, p 45). Sa relation avec lui commence quand M. De Nemours est à la cour d'Angleterre pour épouser la reine Élisabeth. Il revient à Paris pour le bal de fiançailles de la fille du roi. La princesse de Clèves-informée par ailleurs de son éclatante réputation- danse alors avec lui, mais sans connaître son identité. Le couple qu'ils forment attire tous les regards. M. de Nemours est subjugué; la princesse, troublée, affecte de ne pas deviner qu'il est «Mme de Clèves n'y était pas, de sorte qu'elle ne le vit point, et ne sut pas même qu'il fût arrivé» (Ibid, p 45).

Mme de Chartres devine aisément les menaces qui pèsent sur sa fille. Les jours suivants, la princesse n'a d'yeux que pour M. de Nemours, et celui-ci conçoit pour elle une passion violente: «Il est vrai aussi que, comme M. de Nemours sentait pour elle une inclination violente» (Ibid, p 49). M. de Nemours est transformé par la passion; maîtresses, amis, projet de mariage royal, il oublie tout, sans avouer ses raisons à personne: «La passion de M. de Nemours pour Mme de Clèves fut d'abord si violente qu'elle lui ôta le goût et même le souvenir de toutes les personnes qu'il avait aimées et avec qui il avait conservé des commerces pendant son absence» (Ibid, p 61). Ashton dit: «Nemours refusera une reine étrangère pour pouvoir son amour pour la princesse de Clèves» (H. Ashton, 1922, p 80). Alors nous trouvons que Mme de Clèves et M. de Nemours s'aiment.

8-Mme de Clèves avoue sa trahison à son mari

L'aveu de Mme de Clèves, c'est quand elle part au château de Coulommiers. M. de Clèves, intrigué par le goût soudain de sa femme pour la solitude, la presse de questions: «Ah! Madame! s'écria M. de Clèves, votre air et vos paroles me font voir que vous avez des raisons pour souhaiter d'être seule; je ne les sais point, et je vous conjure de me les dire» (Mme de la Fayette, op.cit, p 186). Mme de Clèves finit pour lui avouer, sans autre précision, qu'elle a des raisons graves de s'éloigner de la cour: «Ne me contraignez, point, lui dit-elle, à vous avouer une chose que je n'ai pas la force de vous avouer» (Ibid, p 186).

Alors Mme de Clèves avoue son amour coupable à son mari: «Je vous demande mille pardons si j'ai des sentiments qui vous déplaisent, du moins je ne vous déplairai jamais par mes actions» Ibid, p 188). Donc Mme de Clèves n'a manqué de fidélité conjugale; elle implore la compréhension de son mari. D'abord bouleversé d'une telle preuve de sa fidélité, M. de Clèves insiste pour apprendre de sa femme le nom de celui qu'elle aime: «Et qui est-il, madame, cet homme heureux qui vous donne cette crainte? Depuis quand vous plaît-il? Qu'a-t-il fait pour vous plaire? Quel chemin a-t-il trouvé pour aller à votre cœur? Je m'étais consolé en quelque sorte de ne l'avoir pas touché, par la pensée qu'il était incapable de l'être» (Ibid, p 189). Comme elle refuse, il laisse éclater sa jalousie. L'aveu incomplet, a creusé un fossé entre les époux: «Je vous supplie de ne me le point demander, répondit-elle ; je suis résolue de ne vous le pas dire, et je crois que la prudence ne veut pas que je vous le nomme» (Ibid, p 190). La princesse de Clèves revoit avec effroi la passion qu'elle a marquée envers M. de Nemours. La honte la saisit de manquer à un homme aussi droit que son mari, tout comme la crainte d'aimer comme un inconstant.

Restée seule, Mme de Clèves regrette son aveu; elle a bien du mal à retrouver sa sérénité: «Lorsque ce prince fut parti, que Mme de Clèves demeura seule, qu'elle regarda ce qu'elle venait de faire, elle en fut si épouvantée qu'à peine

potelle s'imaginer que ce fût une vérité. Elle trouva qu'elle s'était ôté elle-même le cœur et l'estime de son mari, et qu'elle s'était creusé un abîme dont elle ne sortirait jamais» (Ibid, p 193- 194). M. de Nemours, tout à la joie de ce qu'il vient d'entendre, rentre à Paris et, sous des noms imaginaires, raconte partout cette scène hors du commun. M. de Clèves, lui, cherche à toute force à connaître l'identité de son rival. Utilisant auprès de sa femme un subterfuge, il acquiert la certitude qu'il s'agit M. de Nemours, il lui redit cependant toute la confiance qu'il met en elle. Une tristesse muette gagne les deux époux.

Nous pouvons dire que madame de Clèves, modèle de vertu, avoue à son mari son amour coupable. Et cet aveu n'arrange rien. M. de Clèves, torturé de soupçons et de jalousie, il se croit tromper.

9-Les conséquences de la trahison de Mme de Clèves envers son mari

Nous trouvons que l'infidélité de Mme de Clèves envers son mari incite **sa jalouse** et cause sa douleur et conduit à **sa mort**.

9-1-La jalousie de M. de Clèves

Depuis la scène de coulommiers M. de Clèves avoue que sa vie n'est plus qu'un enfer. «Elle avoue tout au prince. Et cet aveu central dont dépend l'issue du drame a fait couler beaucoup d'encre» (J. Mesnard, 2019, p 370). M. de Clèves adoptera une attitude contradictoire. D'abord transporté d'admiration devant le courage de sa femme: «La confiance et la sincérité que vous avez pour moi sont d'un prix infini; vous m'estimez assez pour croire que je n'abuserai pas de cet aveu» (Mme de la Fayette, op. cit, p 189). M. de Clèves cède vite à la jalousie et s'obstine à découvrir l'identité de son rival: «Vous me rendez malheureux par la plus grande marque de fidélité que jamais une femme ait donnée à son mari ; mais, madame, achevez, et apprenez-moi qui est celui que vous voulez éviter» (Ibid, p 189- 190).

Devant le refus de la princesse, une rage jalouse s'élève en lui; il en vient à lui rendre des pièges -procédé peu digne d'un gentilhomme- pour obtenir cette révélation «Cependant un autre fait ce que je n'ai pu faire: j'ai tout ensemble la jalousie d'un mari et celle d'un amant» (Ibid, p 189).

Nous trouvons que les indiscretions sur l'aveu, jetées dans le monde par M. de Nemours, incompréhensibles pour les époux, creusent un abîme entre eux. M. de Clèves multiplie les accusations sans fondement, les comportements contradictoires: il n'a pu se hisser jusqu'aux sommets d'héroïsme que sa femme attendait de lui.

Nous voyons que M. de Clèves avait épuisé toute sa constance à soutenir le malheur de voir une femme qu'il adore, touchée de passion pour un autre homme.

9-2-La mort de M. de Clèves

Sur le rapport de l'espion, M. de Clèves se persuade que sa femme l'a trompé, une fièvre le saisit, qui donne les plus grandes craintes: «La fièvre lui prit dès la nuit même, et avec de si grands accidents que dès ce moment sa maladie parut très dangereuse» (Ibid, p 267).

Ravagée d'inquiétude, Mme de Clèves se précipite au chevet de son mari. Il lui apprend qu'il meurt par sa faute: «Vous versez bien des pleurs, madame, lui dit-il, pour une mort que vous causez..., mais je meurs du cruel déplaisir que vous m'avez donné» (Ibid, p 269). Pourquoi cet aveu incomplet de Coulommiers, qu'il n'a pu supporter? La vie désormais lui fait horreur. Bientôt veuve, Mme de Clèves pourra bien épouser M. de Nemours; elle regrettera un jour l'amour fidèle et désintéressé que lui portait son premier époux. Comme la jeune femme proteste de son innocence, M. de Clèves l'accuse amèrement de l'infidélité, puis

accepte de se laisser détromper, avant de rendre le dernier soupir: «Il n'y en a peut-être jamais eu un plus violent, et peu d'hommes d'un aussi grand courage et d'un cœur aussi passionné que M. de Clèves ont ressenti en même temps la douleur que causent l'infidélité d'une maîtresse et la honte d'être trompé par une femme» (Ibid, p 276).

La mort de M. de Clèves revêt une valeur symbolique: il meurt du chagrin d'être mal aimé: «Ce sentiment lui donna un chagrin mortel pendant quelque temps; mais l'extrémité du mal de M. de Clèves lui ouvrit de nouvelles espérances» (Ibid, p 268). Au dernier moment, il adresse à sa femme des reproches qui peuvent faire sourire, puis la jalousie déborde à nouveau, calmé à grand-peine par Mme. De Clèves. «Cependant sur de fausses apparences M. de Clèves en arrive à croire que sa femme lui a été infidèle, et il en meurt de douleur» (A. Couvreur, 1910, p 315). Alors M. de Clèves meurt à cause de l'infidélité de sa femme.

10-L'infidèle après la mort de son mari:

Mme de Clèves après qu'elle devient veuve, éprouve une douleur sans bornes à cause de la mort de son mari. Elle est torturée par les remords en se refusant toute vie sociale: «Elle ne trouvait de consolation qu'à penser qu'elle le regrettait autant qu'il méritait d'être regretté, et qu'elle ne ferait, dans le reste de sa vie, que ce qu'il aurait été bien aise qu'elle eût fait s'il avait vécu» (Mme de la Fayette, op. cit, p 277). Quelques mois de la mort de son mari, elle sait que M. de Nemours a loué une pièce près de chez elle. Une rencontre fortuite de M. de Nemours réveille en elle une passion violente, mais elle est combattue par les remords: «Quelle passion endormie se ralluma dans son cœur, et avec quelle violence» (Ibid, p 281).

M. de Nemours obtient avec Mme de Clèves une rencontre décisive. Mme de Clèves en présence de l'homme qu'elle aime, ne songe pas à cacher ses sentiments; elle annonce à M. de Nemours une sincérité entière. Celui-ci révèle alors sa présence lors de la scène de l'aveu, et elle avoue l'amour très ardent qu'elle a pour lui. La joie de M. de Nemours tourne court, car Mme de Clèves ajoute aussitôt jamais elle ne l'épousera: «Et c'est elle qui me fait envisager des malheurs à m'attacher à vous» (Ibid, p 394). Mme de Clèves refuse car son devoir à l'époux disparu s'y oppose. Couturier dit: «J'ai frappé par la décision de Mme de Clèves: son refus de vivre sa passion pour le duc de Nemours» (S. Couturier, 2014, p 14). Elle refuse le mariage avec M. de Nemours car, à ses yeux, il est responsable de la mort de son mari: «Il n'est que trop véritable que vous êtes cause de la mort de M. de Clèves; les soupçons que lui a donnés votre conduite inconsidérée lui ont coûté la vie comme si vous la lui aviez ôtée de vos propres mains» (Mme de la Fayette, op. cit, p 292). Aussi Mme de Clèves refuse de se marier avec M. de Nemours car elle a peur d'être trompée car les hommes sont inconstants: «Mais les hommes conservent-ils de la passion dans ces engagements éternels?» (Ibid, 295). Elle est déjà trompée de côté de M. de Nemours (la lettre tombée). M. de Nemours reste stupéfait de ces déclarations de Mme de Clèves. Malgré que Mme de Clèves aime M. de Nemours, mais elle demeure ferme dans sa résolution présente: «Mais elle résolut de demeurer ferme à n'avoir aucun commerce avec M. de Nemours.» (Ibid, p 304).

Afin de rester fidèle à elle-même, Mme de Clèves part pour un long voyage. Elle fait retraite dans les Pyrénées, où elle tombe bientôt malade, au grand désespoir de M. de Nemours: «Et elle résolut de faire un assez long voyage, pour passer tout le temps que la bienséance l'obligeait à vivre dans la retraite» (Ibid, p 306).

L'approche de la mort la confirme dans sa résolution: «Et tantôt les remords de la princesse qui prend de bonnes résolutions pour l'avenir» (H. Ashton, 1922, p80). Elle revient à Paris, mais sans renouer avec le monde. Elle refuse une ultime entrevue avec M. de Nemours dont la passion, par la suite, s'éteint avec les années. Mme de Clèves a consacré la fin de sa vie à des œuvres de charité.

11- Conclusion:

En étudiant le sujet de l'infidélité dans le roman la princesse de Clèves de Mme de la Fayette, nous trouvons que Mme de Clèves trahit son mari M. de Clèves car leur mariage est sans amour. Elle tombe amoureuse de M. de Nemours, malgré qu'est éduquée par sa mère, Mme de Chartres, à la fidélité conjugale. Pressée par son mari, Mme de Clèves lui avoue sa trahison. Alors M. de Clèves souffre beaucoup de l'infidélité de sa femme. Il est jaloux et sa jalousie cause son malheur et plus tard sa mort.

Nous pouvons dire que Mme de Clèves, comme elle est une femme infidèle, ne cause pas seulement le malheur de son mari, mais aussi, par son infidélité, elle est victime d'elle-même, car après la mort de son mari, sa vie est triste et elle est torturée par les remords. Elle refuse toute vie sociale, même M. de Nemours avec qui elle trahit son mari. Alors Mme de Clèves affirme la pensée de sa mère: «rien ne vaut le bonheur d'une femme fidèle à son mari», c'est-à-dire si elle suit la pensée de sa mère, sa vie sera heureuse et constable.

12-Bibliographie:

- -Ashton, H, (2014), Madame de la Fayette, Cambridge University Press
- -Bastaire, J, (1980), Madame de La Fayette, La Princesse de Clèves, J. Corti.
- -Bensoussan, D, (2019), Madame de Lafayette, "La Princesse de Clèves", Ellipses
- -Bernard, M, (2012), La Princesse de Clèves (1678): suivi de La Princesse de Montpensier (1662), Hatier, Paris.
- -Chapiro, F, (2009), Etudes sur Mme de L& Fayette " La Princesse de Clèves", Ellipses.
- -Couturier, S, (2014), Histoire et fiction dans la «?Vie de la princesse d'Angleterre?» et «?La Princesse de Clèves?» de Mme de La Fayette, Connaissances et Savoirs.
- -Couvreur, A, (1910), la femme aux différentes époques de l'histoire, Université Égyptienne, Librairie Diemer, le Caire.
- -De la Fayette, M, (2020), Princesse de Clèves, Demond
- -Godenne, R, (1970), Histoire de la nouvelle française aux 17e et 18e siècles, Genève, librairie Droz.
- -Jean, F, (1989), L'art de l'analyse dans La Princesse de Clèves, Presses universitaires de Strasbourg
- -Kim, S, (1997), Les récits dans La princesse de Clèves: tentative d'analyse structurale, Libre. Nizet.
- -Madame de La Fayette, (1967), La Princesse de Clèves, Éditions Rencontre, Lausanne.
- -Mesnard, J, (2019), Madame de Lafayette, Flammarion.
- -Mestrot, J, (2014), La Princesse de Clèves, Le petit littéraire.
- -Pommier, R, (2000), Etudes sur la Princesse de Clèvesm, Eurédit.
- -Puzin, C, (1987), Littérature: textes et documents. XVIIe siècle, Nathan.
- Sigaux, G, (1960), La princesse de Clèves: La princesse de Montpensier, Mme de la Fayette, Colin.
- -Venesoen, C, (1990), Etudes sur la littérature féminine au XVIe siècle.

13-Sitographie:

<https://interlettre.com/bac/le-roman-et-ses-personnages/753-la-princesse-de-cleves-resume-et-analyse>: (10/01/2023/04:55).

www.unifr.ch/Les méthodes d'analyse: (11/ 01/2023/11:09).

عنوان البحث

أسباب تجدد العنف القبلي بمدينة الجنيينة بولاية غرب دارفور

د. مصطفى ابكر رمضان موسى¹

¹ أمين الشؤون العلمية، جامعة الجنيينة، السودان.

HNSJ, 2025, 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/2>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/68/2>

تاريخ النشر: 2025/08/01م

تاريخ القبول: 2025/07/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/07/07م

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل أسباب تجدد العنف القبلي في حي الجبل ومعسكر كريندق بمدينة الجنيينة، باستخدام المنهج الوصفي التحليلي وأدوات جمع بيانات شملت الاستبانة والملاحظة والمقابلات لعينة مكونة من 40 مفردة. أظهرت النتائج أن العوامل الاجتماعية مثل الثأر، وصعوبة التكيف، والألفاظ العنصرية، إلى جانب ضعف الوعي، لعبت دورًا بارزًا، بالإضافة إلى أسباب سياسية تمثلت في تراجع دور الإدارات الأهلية، وأمنية أبرزها انتشار السلاح وغياب الرقابة، واقتصادية مرتبطة بالنزاع على الأرض والتهميش التنموي. وأسفرت هذه العوامل عن آثار سلبية طالت الأفراد والأسر والمجتمع، مثل فقدان الأرواح والممتلكات، وتعطل التعليم، وارتفاع الأسعار، وتدهور الثقة بين القبائل. توصي الدراسة بضرورة تعزيز جهود المصالحة عبر الإدارات الأهلية، وتشكيل قوة مشتركة محايدة، وتفعيل برامج التنمية والتسامح بين الشباب للحد من العنف المستقبلي.

الكلمات المفتاحية: العنف القبلي، النزاعات المجتمعية، النازحون، الإدارات الأهلية، التهميش التنموي.

RESEARCH TITLE

The Causes of the Resurgence of Tribal Violence in Al-Geneina, West Darfur State

Abstract

This study aims to analyze the causes behind the resurgence of tribal violence in Al-Geneina, particularly among residents of Jabal neighborhood and Krinding IDP camp, using a descriptive analytical approach. Data were collected through questionnaires, observations, and interviews from a sample of 40 individuals selected via purposive and simple random sampling. The findings revealed several contributing factors: social causes such as revenge attacks, difficulties in psychological and social adaptation of IDPs to urban life, and the use of derogatory and racist expressions; political causes including the weakening of native administrations due to reconciliation conferences; security-related causes such as widespread civilian possession of weapons, lack of government control, and the absence of international monitoring and enforcement of the Juba Peace Agreement's security provisions; and economic causes related to land disputes and developmental marginalization. These factors have led to serious consequences, including loss of lives and property, disruption of education, rising prices, and the erosion of inter-tribal trust. The study recommends fostering reconciliation initiatives through native administrations, forming neutral joint forces with legal authority, and promoting development and youth education programs that encourage tolerance and prevent future violence driven by ethnic divisions.

Key Words: Tribal violence, community conflicts, internally displaced persons, native administrations, developmental marginalization.

1/ الجزء الأول: لإطار العام للدراسة

1-1/ المقدمة:

تعتبر منطقة دارفور من المناطق التي تشهد الصراعات القبلية منذ الاستقلال لأسباب متنوعة. واستغلت الحكومات المتعاقبة في السودان بعض أبناء المنطقة لتمرير أجندتها للبقاء في الحكم عبر سياسة فرق تسد. وكانت المخططات تتمثل بتدمير القرى والأرياف وذلك بزرع مشكلة الحواكير بين القبائل والذي يؤدي الى العنف بينها مما يسهم بعدم الاستقرار و يقلل الانتاج المحلي بسبب نزوحهم الى مناطق أكثر أمناً. وبعد سقوط نظام الانقاذ في يوليو 2019م أصبح هنالك فراغ اداري وأمني في السودان، خاصة ولاية غرب دارفور التي تقع في منطقة حدودية مما أتاح الفرصة للمجموعات المسلحة غير النظامية للإعتداء على الآخرين. وأخذ العنف طابعاً آخر، حيث انتقلت من القرى والأرياف إلى داخل المدن الكبيرة منها أحداث (كريندق 1 - حي الجبل 1- كريندق 2 - وحي الجبل 2) بمدينة الجنية. وعلي الرغم من المصالحات الجزئية التي تمت بين الأطراف المتنازعة (العرب والمساليت) من حين لآخر وتأمين المناطق لفترة معينة سرعان ما يتجدد العنف مرة أخرى. لذا هناك ضرورة لدراسة هذه الظاهرة لمعرفة الأسباب والآثار التي يتركها العنف القبلي على الفرد والأسرة والمجتمع للوصول الى نتائج تسهم في حل المشكلة.

1-2/ مشكلة البحث:

إن أحداث العنف القبلي التي تتكرر بين المساليت والعرب بولاية غرب دارفور من وقت لآخر، كانت بأسباب متنوعة منها اجتماعية، واقتصادية، وأمنية وسياسية. وآخرها أحداث (كريندق 2 وحي الجبل 2) بمدينة الجنية، حيث استمر العنف في (كريندق 2) لمدة يومين 16 و 17 يناير 2021م، وأصبح العنف في شكل عصابات كل مجموعة تعتدي على الأخرى. وعلى الرغم من إعلان حالة الطوارئ من قبل الحكومة، إلا أن هنالك حالة من الفوضى وذلك بإطلاق الأعيرة النارية ليلاً ونهاراً، وحالات قتل المواطنين ونهبهم داخل المدينة، وأعقب ذلك قفل الطرق والمعابر الرئيسية بمدينة الجنية من قبل العرب وسمي باعتصام الجنية، وهذا الاعتصام أدى إلى قفل السوق بصورة جزئية، وانتشار الرعب وسط المواطنين، وشلّت حركة المرور من وإلى المناطق الأخرى سواء كان براً أو جواً. واستمر الحال لفترة ثلاثة اسابيع حتى جاء الوفد السيادي برئاسة محمد الفكي سليمان عضو مجلس السيادة وتم الاتفاق وفتحت المعابر، وأعقب ذلك اتفاق وقف العدائيات بين الطرفين بتاريخ 2021/2/13م. ثم تجدد العنف بتاريخ 2021\4\4م بحي الجبل حيث أخذت الأحداث طابعاً أشدّ عنفاً من سابقتها، واستمر لمدة ثلاثة أيام 4-6 ابريل 2021م. من خلال وجود الباحث بمدينة الجنية وملاحظته لما حدث، رأى أنه ضرورة البحث عن الأسباب الحقيقية المؤدية إلى تكرار هذا العنف بين القبيلتين والآثار التي يتركها، حتى يتم التمكن من الوصول لطرق علاجه.

1-3/ أهداف البحث:

تتمثل أهداف البحث في الآتي:

- 1 - التعرف على الأسباب الحقيقية للعنف القبلي الذي يحدث بمدينة الجنية بين العرب والمساليت من حين لآخر.
- 2 - الكشف عن الآثار السالبة التي تتركها الحرب للفرد والأسرة والمجتمع .
- 3 - التمكن من الوصول الى حلول مرضية لعدم تكرار العنف من خلال توصيات البحث.

4-1/ فرضيات البحث:

- 1 - تلعب العوامل الاجتماعية دوراً في تجدد العنف.
- 2 - التدخلات السياسية تؤدي إلى العنف.
- 3 - الهشاشة الأمنية تساهم في عملية العنف.
- 4 - العوامل الاقتصادية سبب لاستمرار العنف.
- 5 - لأحداث العنف القبلي آثار تتركها للفرد والأسرة والمجتمع.

5-1/ أهمية البحث:

تتمثل أهمية البحث في الآتي: الأهمية العلمية وهي رفد المراكز البحثية والباحثين بمعلومات يمكن الاستفادة منها فيما يتعلق بموضوع العنف القبلي. بينما الأهمية العملية تتمثل في كيفية الاستفادة من النتائج والتوصيات التي تقدمها الدراسة، خاصة الباحثين والمهتمين في مجال العنف والصراعات وكذلك الإدارات الأهلية والحكومة السودانية لتدارك خطورة هذه المشكلة على المجتمع للعمل سوياً بوضع حل ناجع لها .

6-1/ منهج البحث:

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي وذلك لوصف ظاهرة العنف القبلي التي أصبحت تتكرر من وقت لآخر ولأسباب متنوعة للوصول إلى حلول ناجعة.

7-1/ الوسائل المستخدمة في جمع البيانات:

استعان الباحث بالوسائل التالية: المصادر (القرآن الكريم والسنة النبوية)، الكتب، المراجع، المجلات، الدوريات، التقارير، الاستبانة، المقابلة والملاحظة.

8-1/ مجتمع البحث:

يعتبر المتأثرين من أحداث كريندق 2 وحي الجبل 2 بمدينة الجنية بولاية غرب دارفور مجتمعاً للدراسة.

9-1/ عينة البحث:

استخدم الباحث العينة العمدية (القصدية) أولاً ثم العينة العشوائية البسيطة.

10-1/ المفاهيم والمصطلحات:

1-10-1/ العنف (Violence): هو الممارسة المفرطة للقوة بشكل يفوق ما هو معتاد ومقبول اجتماعياً، وهو يتضمن لغة التداول في الأوساط والمجتمعات (السيد ، 2016م، ص28) وهو كل سلوك أو فعل يتضمن الشدة والتوبيخ ، ومن يعني شخصاً يأخذه بشدة وقسوة ويلومه ويخبره (سلاطينة وآخرون ، 2008م، ص7).

وهو الاستخدام غير القانوني أو غير الشرعي لوسائل الإكراه المادي من أجل أغراض شخصية أو اجتماعية ضعيفة يرفضها المجتمع ويمجها الضمير الانساني (الحسن ، 2008م، ص4). وهناك عنف شرعي وقانوني تستخدمه الدولة لضبط النظام وتوقيع العقوبات والحدود على الجرائم. ويعرف كذلك بأنه إرادة انتقام بعض البشر من بعض ويتعصب لكل منها أهل عصبية. (ابن خلدون، 1966م، ص823)

2-10-1/ القبيلة (Tribe): وهي مجموعة يشار إليها غالباً بكلمات قبيلة أو قبيلة، ولأعضائها مجال ترابي يعتبرونه ملكاً جماعياً لهم، ويستغلون موارده بناءً على انتمائهم على أنه يأتي من أصل مشترك، كما يعتبرون أنفسهم متضامنين في الدفاع عن ذلك المجال. ومن ناحية أخرى يمارس هؤلاء نمط عيش مرتبطاً بفهم، وهو نمط يميزهم من أنماط أخرى خاصة نمط العيش في المدن (حمودي، 2017م، ص20).

وتولد ما هو معروف في نظام القبيلة السياسي أن يكون لكل مجموعة أو تجمعاً أو كيان اجتماعي من أهل البادية رئيس يسمى الأمير أو الشيخ. (الكندي، 2016م، ص53-54)

3-10-1/ العنف القبلي: عرف (كلوسويتز) الحرب الأهلية مادياً هي نزاع مسلح، أي أنها نزاع المصالح الكبرى الذي لا يمكن حله إلا ببارقة الدماء؛ أنها التطور الطبيعي للسياسة التي اختارها فريق من الناس عندما لا تسمح له السياسة العادية بتحقيق الهدف الذي وضعه لنفسه. (غيب، 1981م، ص14)

ويعرف العنف القبلي اجرائياً بأنه: العنف الذي يحدث بين القبيلتين من حين لآخر، بأسباب مختلفة وذلك بحشود كل طرف لجماعته.

2/ الجزء الثاني: الإطار النظري

1-2/ النظريات المفسرة والمعالجة لموضوع البحث:

تفسر نظرية التعلم الاجتماعي سلوك العنف على اعتبار أنه سلوك قد تعلمه الفرد عن طريق مما يشبه الأفراد الأسرة، فالطفل الذي يمثل أنماط العنف الأسري المختلفة، أو الذي يتعرض للإساءة أو العدوان البدني؛ عادة ما يلجأ إلى العنف في مثل المواقف التي سبق أن تعرض للعنف (ادريس، 1999م، ص 329)

وترى نظرية التعلم أن الفرد يكتسب العنف من خلال التنشئة الاجتماعية عن طريق التعلم والتبادل لأساليب وطرق استعمال العنف وأشكاله، بالإضافة إلى استعمال الرموز التي تشير إلى العنف والقوة في سلوكياته. (العمر، 1997م، ص17).

و تفسر نظرية الإحباط لسلوك العنف بأن هنالك علاقة بين الإحباط والعدوان بحيث يوجد الإحباط كمثير والعدوان كاستجابة. (العقاد، 2000م، ص 113)

ونجد أن الفرد على طول المراحل التي يمر فيها بحياته يواجه مشكلات متنوعة ما بين كل مرحلة عمرية وأخرى تؤدي في النهاية إلى تكوين شخصية قلقة وغير متزنة اجتماعياً ونفسياً فضلاً عن انتقال العنف من وإلى الآخرين، وبهذا الشكل لا يستطيع المجتمع أن يتخلى ولو بشكل جزئي من العنف في سلوكيات أفراد (طالب، 2000م، ص 91-92)

تعالج نظرية التعلم الاجتماعي لسلوك العنف من خلال تعلم الفرد للسلوك القويم الذي يرضيه المجتمع عن طريق الإرشاد والتوجيه والتهديد بالعقاب في حالات المخالفة بدءاً من الأسرة ومروراً بمؤسسات التنشئة الاجتماعية المجتمعية وانتهاءً بالمؤسسات الحكومية. بينما نظرية الإحباط تعالج العنف من خلال التخلص من المؤثرات التي تقود للإحباط والقلق عبر الإرشاد النفسي.

2-2/ الدراسات السابقة:

1- دراسة (دعاس 2015م): هدفت الدراسة إلى معرفة الصراعات والحروب الأهلية، وطبيعتها في السودان، و جذورها في دارفور والدور الذي لعبتها المنظمات المحلية والإقليمية والدولية في تسوية الصراع في إقليم دارفور. المنهج المتبع هو

المنهج التاريخي. ومن أهم النتائج: ان الصراع في دارفور هو بسبب التنافس على الثروة والسلطة في الأساس، وجاء على رأسها الصراع بين المزارعين والرعاة. وساهم انتشار السلاح عبر دول الجوار (تشاد وليبيا) في تأجيج الأحداث . هنالك غياب لدور الحكومة من هذه الأحداث و عدم التعامل العقلاني مع الحقائق الموضوعية والواقعية . ان الصراع في دارفور صنعه القوى الخارجية وتشغله من أجل مصالحها.

2 - دراسة (محمد، 2012م): هدفت الدراسة الى معرفة الأسباب الحقيقية للصراع القبلي في دارفور، ومراحل تطوره ، وأسباب فشل الحلول السابقة للصراع، و الآثار التي خلفها . استخدمت في الدراسة المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التاريخي . وتوصلت الى النتائج الآتية: الجفاف والتصحر الذي ضرب الجزء الشمالي من إقليم دارفور من الأسباب الرئيسية لاندلاع الصراع القبلي. سياسة خلق إمارة للقبائل العربية داخل دار مساليت بقرار من حكومة ولاية غرب دارفور زادت من حدة الصراع بين الرحل والمساليت. ومن الأسباب الأخرى (حل أجهزة الإدارة الأهلية وتسييسها قبل توفر الأجهزة والكوادر البديلة أدى للفراغ الإداري والأمني والقضائي - تنافس سكان الإقليم حول موارد المياه والأراضي الصالحة للزراعة - عدم تنفيذ العقوبة لمرتكبي الجرائم - عدم وضع أسس توزيع الموارد القومية والمحلية بصورة عادلة مما ولد شعوراً بالحرمان الاقتصادي- عدم تنفيذ توصيات واتفاقيات الصلح السابقة - قفل مسارات الرحل بالزراعة وفتحها بقوة السلاح - نزوح الرعاة وتدفق السلاح والذخائر من دول الجوار الى دارفور .

3- دراسة (الرشدي، 2011م): هدفت الدراسة الى بيان العلاقة بين القبيلة والدولة خلال مسيرة التطور التاريخي، وابرار عملية التفاعل السياسي القبلي في الكويت منذ الاستقلال. وقامت الدراسة على فرضية رئيسة مفادها: أن للقبيلة في دولة الكويت تأثيراً كبيراً على الحياة السياسية في الدولة. واستخدم الباحث المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي. وتوصل الباحث الى نتائج أهمها: إن القبيلة في الواقع السياسي الكويتي راسخة الوجود منذ انطلاقة العمل الديمقراطي المؤسسي بعد الاستقلال. وإن الدور القبلي ليس محصوراً على البرلمان بل بلغ في المجال النقابي: واخذت اتجاهات التحول السياسي القبلي من الموالاة الى المعارضة، والآلية التي انتهجتها الفرعيات في تحقيق القبيلة لاستقلالها السياسي العملي غير الموجود على النصوص القانونية والمؤسسية. وهناك عوامل ساهمت في تحول اتجاهات نواب القبائل والأدوار الايجابية والسلبية للقبيلة من خلال المشاركة الفعالة مع التيارات السياسية الاصلاحية كسلوك ايجابي أو التصادم مع السلطة كسلوك سلبي لها بعض المبررات المقبولة و غير المقبولة. نجحت القبائل في تحقيق أهدافها المتمثلة في الاستقلال السياسي الديمقراطي ومشاركة الحكومة في ادارة شئون البلاد. وانتقلت القبيلة من المحيط الاجتماعي والعرفي الى التوظيف السياسي.

4 - دراسة (عمرو، 2016م): هدفت الدراسة الى تعريف مفهوم التدخل الدولي، انواعه وتطوره . وأزمة دارفور واسبابها وتطوراتها عبر المراحل الزمنية المختلفة. و دور المجتمع الدولي في التعامل مع قضية دارفور . واستخدمت المناهج التالية في تقصي الدراسة وهي المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التاريخي ومنهج صنع القرار والمنهج القانوني. نتائج الدراسة : إن التعامل مع قضية دارفور قد كشف عن ضعف وعدم وضوح في مواد الميثاق في التعامل مع الأزمات من هذا النوع، وعدم جدوى القوانين الوضعية في حال كانت الدول الكبرى ذات المصالح المتشعبة هي الأمر الناهي في مثل هذه القضايا والتي تستطيع من خلال نفوذها التلاعب في تنفيذ القرارات وتطبيقها على أرض الواقع. ومحكومة بمبدأ القوة . وقد اعتبرت الأمم المتحدة الحكومة السودانية جزء من التصعيد مما أدى الى تعقيد المشكلة وتفاقمها.

5 - دراسة (المهدي، 2014م): هدفت الدراسة الي استقصاء ظاهرة النزاعات والحروب الأهلية في افريقيا نشأتها وآثارها، وإيجاد العلاقات والعناصر التي أثرت في تشكيل العقلية الأفريقية كأفراد وجماعات ودول. واستخدم المنهج الوصفي

التحليلي. ومن أهم النتائج: الاستعمار الأوربي له علاقة في تشكيل حدود القارة الأفريقية وتركه لمؤسسات تدير مصالحه وموروثاته مع غياب العدالة في توزيع السلطة والثروة، تعدد الجماعات داخل دول القارة أوجد حالات من النزاعات والحروب الأهلية المستمرة. البيئة والتنافس على الموارد الطبيعية والأراضي والسعي نحو السلطة عوامل متقدمة للنزاعات. هنالك آثار انعكست نتيجة الصراعات تمثلت في السلوك الاجتماعي والشعور المشترك بالهوية المتدنية، وحرمت المواطنين من الخدمات الأساسية وازداد المرضى والمعاقين والنازحين واللاجئين، وحدثت تدميراً في البنى التحتية والاقتصاد والهجرة والتأثير السالب على القيم وانخفاض مستوى دخل الفرد. وانهيار البيات الضبط والسيطرة والانتشار الإقليمي لدول الجوار لتتشابه الظروف والتحديات حيث يمثل انهيار الدولة أو انفصالها حالة تغري كثير من المجموعات المسلحة لمنازعة الدول والاحاطة بالنظم القائمة وتأسيس حالة جديدة وإشاعة الفوضى والصدام وبالتالي ظهور نمط الدول المنهارة جراء النزاعات (الكونغو- ليبيريا- الصومال).

6 - دراسة (زواوي، 2014م): هدفت الدراسة لمعرفة إلى أي حد استطاعت الدولة النيجيرية التحكم في واقعها الاتني والديني الذي يشكل تهديداً خطيراً على استقرارها. واستخدم منهج دراسة الحالة. ومن أهم النتائج: الانقسامات الاثنية والدينية لها الدور البارز في الصراعات داخل الدول الأفريقية. عدم تلبية الحاجيات الأساسية للأفراد والجماعات تؤدي إلى المطالبة بها تحت راية الهوية التي تعبر عنه (ذات) مختلف عن الآخر، وبالتالي يلتقون حول القاعدة الاثنية والعقائدية لإعطاء الشرعية لمطالبهم، وهذا ما تبين عند جماعة (الهوسا - فولاني - الأيبو واليوربا). أن التنوع الاجتماعي يمثل كارثة بالنسبة لدولة نيجيريا لأنه يتم توجيهه واستغلاله في ظل غياب قيم المواطنة. ويزداد العنف في نيجيريا بسبب الفساد.

7- دراسة (أحمد، 2012م): هدفت الدراسة إلى معرفة العلاقة ما بين التنوع العرقي والأمن المجتمعي وتأثيرها على الاستقرار السياسي بدولة مالي. واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي والمنهج المقارن والمنهج الفينومينولوجي والنتائج التي توصلت إليها هي: أن الاثنيات لاتعد مصدراً من مصادر تهديد المجتمعات ولا سبباً في تفكك الدول كدولة مالي، بل العكس فالتنوع يمثل عامل قوة وحضارة إذا ما استغل أحسن استغلال ولكن عندما يتم تسييسه يتحول إلى الحالة العكسية المتمثلة في الصدام والتضارب. فاللاعدالة اجتماعية واللاعدالة توزيعية وتهميش المركز للأقاليم الأخرى يعد سبباً رئيساً لثورتها ودخوله التمرد مثل تمرد طوارق مالي ضد الحكومة المالية والذي طال أمده. كلما كانت هناك رغبة في الوصول إلى توافق باللجوء إلى المؤسسات الحكومية وغير الحكومية والمنظمات الدولية والإقليمية، و الحوار من خلال الوساطة واتخاذ سياسات ناجعة في الاستجابة لمطالب الجماعات الاثنية وترجمتها، كلما كانت هناك إمكانية إدارة التعدد والتنوع الاتني والحفاظ على الأمن المجتمعي وأمن الدول ككل.

التعليق على الدراسات السابقة:

اتفقت الدراسة الحالية مع دراسة كل من (دعاس، محمد، عمرو) في تناولها لموضوع الصراع في دارفور. وايضاً اتفقت الدراسة الحالية مع دراسة كل من (دعاس، محمد) في أسباب العنف. اختلفت دراسة (الرشدي) مع الدراسة الحالية في تناولها لموضوع تأثير القبيلة على الحياة السياسية بدولة الكويت. واتفقت دراسة (المهدي) مع الدراسة الحالية في الآثار التي خلفتها الحرب. اتفقت دراسة كل من (زواوي ، أحمد) مع الدراسة الحالية في النتائج التي توصلت إليها. بينما الدراسة الحالية اختلفت عن الدراسات السابقة في تناولها لموضوع أسباب تجدد العنف القبلي بمدينة الجنية.

3-2/ أسباب العنف القبلي بدارفور:

إن ظاهرة الصراعات والعنف تحدث بصورة متكررة في دارفور لأسباب متنوعة ومن أهمها:

1-3-2/ الأسباب الاجتماعية : إن علماء علم الاجتماع يركزون اهتمامهم على العوامل الاجتماعية ، حيث ينظرون العنف من زوايا مختلفة أولها تتجه الى تحليل ظروف المجتمع، وترى العنف وكأنه استجابة غير مباشرة للبناء الاجتماعي سواء بسبب الإحباط الناتج عن الضغوط الاجتماعية الشديدة أو بسبب الفوضى وعدم النظام . ثانياً بسبب خلل في أساليب الضبط الاجتماعي التي تتعامل مع الأفراد والجماعات الصغيرة في اطار التعامل الاجتماعي المتعلق بالفرد الممارس للعنف نفسه مركزة على الأساليب التي يتم خلالها تعلم العنف من الآخرين.(حلمي ، 1997م، ص196-197).

وفي دارفور تتمثل الاسباب الاجتماعية في الآتي:(انتشار الجهل وسط المواطنين وضعف الوعي المجتمعي لمكونات المنطقة المختلفة وعدم فهمهم للأولويات التي تهمهم)

2-3-2/ أسباب تتعلق بالهوية: تعتبر الهوية السودانية هي أساس المشكلة. إن واقع الصراع في دارفور متشابك بشكل كبير إذ أن التباين الاثني والثقافي كان من الأسباب المؤدية للصراع وبالتالي كان الصراع هو صراع الهوية(عبدالله و محمد، أيار 2007م ، ص135)

3-3-2/ الأسباب الاقتصادية: تقوم المشكلة القبلية في دارفور غرب السودان من شقين الزراعي والرعي بين القبائل المستقرة والقبائل الرحل (الصراع بين المزارعين والرعاة) (موسى ، 2017م، ص62).

ويعتبر التهميش التتموي سبباً آخر للعنف حيث لا تتوفر مشاريع تنمية زراعية أو صناعية بالمعنى المعروف للتنمية رغم كثرة موارد الإقليم الطبيعية واتساع مساحته(البحيري ، ، 2008م، ص85-86).

وتتحمل الحكومات المتعاقبة جزء من المسؤولية عن هذا الصراع لعدم اهتمامها بتنمية غرب السودان الذي عانى من التهميش على كافة المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وبالتالي أصبح الإقليم يفتقر للبنية التحتية والمشروعات الاستثمارية الكبيرة والخدمات التعليمية والصحية والزراعية والحيوانية.(عبدالله و محمد، مرجع سابق، ص135)

4-3-2/ التنافس على السلطة: يعتبر التنافس على السلطة من أخطر الأسباب الحديثة وذلك للجوء للعنف واستخدام ما يشبه الحرب المنظمة في التسليح والتكتيك لاستغلال المزارع والمراعي والاستيلاء على الثروات. ان عملية احتكار السلطة لقبيلة معينة أو جماعة معينة انتجت ظاهرة النهب النخبوي في المجتمعات الأفريقية، وبالتالي مهدت لتنامي العنف المجتمعي الذي أصبح خلال فترة وجيزة عبارة عن حالات عنف على درجة عالية من الشدة (زراوية، 2017م ص165 - 166)

5-3-2/ ضعف وتقليص الإدارات الأهلية وتسييسها من قبل الحكومات السودانية المتعاقبة قد أدى في النهاية الى ظهور مثل هذه الصراعات (عبدالله و محمد ، مرجع سابق ، ص135)

إن اغلب الادارات الأهلية تم تسييسها وذلك بتكوين ادارات اهلية موازية لتمرير اجندة سياسية تنفذ للحكومة وبالتالي أصبحت تجاراً للحروب. واستخدمت الحكومة لشعوب الهامش سياسة العنف لتدمير البنيات الأساسية لهم لضمان تمكينها في السلطة (هارون ،مقابلة بتاريخ 2021\9\5م)

6-3-2/ العصبية وملكية الأرض: هناك تاريخ من النزاعات على الأرض بين المزارعين والرعاة مما أدى الى تعصب كل قبيلة في الدفاع عن أرضها وعرضها.(تقرير هيومن رايتووتش ،مايو 2004م)

شكلت ملكية الأرض وعصبية القبيلة الحاضنة الأساسية لتفاقم أزمة دارفور واتساع نطاقها واستمرارها لسنوات عديدة ،

فالفرد في دارفور تبع لقبيلته في الخير والشر لا يستطيع الخروج منها؛ فهي الملاذ الآمن في الشدائد تنتصر له ظالماً أو مظلوماً. (محمد وآخرون، مرجع سابق، ص52)

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (ليس منا من دعا الى العصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية) رواه أبو داؤد. وأيضاً في قول الرسول(ص): (لا تحاسدوا ولا تتاجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخواناً ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره) أخرجه مسلم . وفي قوله تعالى: (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو عشيرتهم)سورة المجادلة الآية (22)

7-3-2/ العوامل الإقليمية (دول الجوار) وانتشار السلاح : هناك بعض القبائل في دارفور مشتركة بين السودان وليبيا وتشاد، وقد تأثرت هذه القبائل بالتفاعلات السياسية داخل هذه الدول، وبين هذه الدول بعضها البعض وبالتالي أصبح معبراً للسلاح بين هذه القوى مما أدى الى انتشار السلاح في الإقليم. (عبدالله و محمد، مرجع سابق، ص136)

8-3-2/ عدم مبالاة الحكومة لما يحدث بالمنطقة وذلك بمنع تدخل القوات النظامية في حسم التفتلات القبلية وبعضهم يميلون لحماية قبيلتهم وينسون بأنهم ينتمون لمؤسسة عسكرية محايدة وعدم محاسبة المجرمين شجع الآخرين بارتكاب الجرائم (ادم، مقابلة بتاريخ 2021\8\31م).

9-3-2/ إن مؤتمرات الصلح التي تعقد بعد كل حادثة عنف قبلي لم تشارك الأطراف المتأثرة (النازحين) لمعرفة الأسباب الحقيقية بل تكتفي بممثليهم من العمدة والمشايخ وبالتالي يؤجج العنف.(ادم، مقابلة بتاريخ 2021\8\31م).

10-3-2/ تحريض بعض أبناء المنطقة من خارج السودان في اوربا وامريكا وغيرها من دول العالم للشباب الموجودين بالداخل وذلك من خلال الدعم المادي والمعنوي من اجل الاستفادة من الأموال التي تجمع لصرفها في الحرب (جمعون، مقابلة بتاريخ 2021\9\5م)

4-2/ الآثار السالبة للعنف القبلي:

1- 4-2/ الأثر الاقتصادي: في العهد القريب نجد أي مواطن يجوب الولاية لبيع فائض انتاجه أو التحرك بين الأسواق المحلية (تجار الأم دورور)، أما اليوم فقد أصبح كل منتج محصوراً في قريته خشية أن تتصيده عصابات النهب المسلح التي تربط بين القرى والأسواق، وقد أثرت هذه الظاهرة سلباً على سكان المنطقة بقتل روح العمل للمزارعين، وأوقفت حركة الإنتاج التجاري للمحاصيل بقفل الأسواق، وأدى هذا الوضع الى الركود الاقتصادي. وذلك بتعطيل الانتاج الزراعي وارتفاع الاسعار (محمد صالح، مرجع سابق ، ص65)

2- 4-2/ الأثر الاجتماعي والنفسي: هناك آثار اجتماعية ونفسية سالبة تصاحب العنف القبلي والتي تتمثل في الآتي: (انتشار الهلع والخوف والترقب والحذر لدى افراد المجتمع. وهذا يؤدي الى عدم الثقة بين مواطني المنطقة وانقطاع روح التسامح والقبول ونسيج العلاقات الاجتماعية التي بناها الأسلاف عن طريق المصاهرة والتزواج والمؤاخاة والجيرة. - عدم قبول الآخر وعدم مشاركة المناسبات. الاحساس بالغبن بين الاطراف المتصارعة لأن لديه شخص قد فقده أوتم حرق ممتلكاته - انتشار اليأس والإحباط بين أبناء الولاية نتيجة لتكرار فشل مؤتمرات الصلح السابقة. - خلق الولاء المطلق للقبيلة وإعطاء الانتماء القبلي أولوية حتى على العشرة الزوجية ومستقبل الأطفال. مما أدى الى انهاء بعض العلاقات الزوجية التي دامت أكثر من نصف عمر الانسان لينطلق كل من الزوج والزوجة مؤزراً ومدافعاً لمواقف قومه في الخير والشر - خلفت الحرب أعداداً كبيرة من الأيتام والأرامل والمشردين الذين فقدوا ذويهم، وقد ظهرت نتيجة لهذه الظروف

المساوية بؤادر بعض السلوكيات الاجتماعية السالبة التي لم يعهدها انسان دارفور من قبل مثل تسول الرجال والنساء والشابات وكثرة بائعات الشاي في قارة الطريق. (محمد صالح ، مرجع سابق، ص69).

وكذلك من الآثار الاجتماعية تدفق اللاجئين في اتجاهين ، فهم لاجئون مغادرون لبلدهم ولاجئون وافدون الى بلد معين ويمكن أن يزيد وجود اللاجئين والمشردين من خطر لنشوب النزاعات لاحقاً في البلدان المضيفة وبلدان المنشأ. (شعيتاني وآخرون، 2015\8\6م ، ص45-46)

أدى العنف القبلي الي ارتفاع معدلات الأمية والتخلف، وتفشي الجهل وغياب الوعي بالقضايا المصيرية ونتج عن ذلك تعطيل الدراسة في المدارس والجامعات.(محمد صالح, مرجع سابق , ص51)

ويؤثر العنف في شخصية الطفل وبالتالي يصبح عدوانياً في سلوكه وتعامله مع الآخرين حتي في المستقبل . فهي المحصلة النهائية لمجموع اتجاهاته ومعتقداته وعاداته وأنماط سلوكه التي تميزه عن غيره. (رشوان، 2010م، ص103)

لذا يهتم علماء الاجتماع الوظيفيون بالطرق التي تحافظ على توازن عناصر البناء الاجتماعي وأنماط السلوك والتكامل والثبات ، خاصة عندما تحدث هزات اجتماعية في المجتمع(لطي، 2009م، ص288)

3-4-2/ الأثر الديني: نجد كل الحكومات التي تعاقبت بالسودان وخاصة التي ادعت بتطبيق الشريعة الإسلامية وجدت القبول و المؤازرة من أبناء دارفور بدءاً من الإمام المهدي ومروراً بجعفر نميري حينما أعلن تطبيق الشريعة الإسلامية في السودان عام 1983م وأخيراً ثورة الإنقاذ. ولكن مؤتمرات الصلح التي تمت في الآونة الأخيرة تشير الى ضعف الوازع الديني في نفوس الفرقاء المتحاربين وقوة العصبية لدى أفراد القبائل. (محمد صالح ، مرجع سابق، ص 66-68)

4-4-2/ الأثر السياسي: إن تكرار الحروب القبلية في دارفور كرس النفور والكراهية بين أبناء القبائل المختلفة، وهذا أدى الى اتهام بعضهم بالتآمر على مصالحهم ووضع عقبات في سبيل تحقيقها، وبالتالي يسعون الى الجهات المعنية بعدم تعيين زيد من أبناء الإقليم في الوظائف الدستورية المرتقبة للطعن فيه بالإشاعة والكذب لأنه ينتمي الى القبيلة الفلانية(محمد صالح ، مرجع سابق، ص70)

5-4-2/ هجرة الكوادر من المنطقة الى اماكن أكثر أمناً. (هارون ، مقابلة بتاريخ 2021\9\5م)

3/ الجزء الثالث : الدراسة الميدانية

3-1/ عينة البحث وكيفية اختيارها:

تم اختيار عدد (40) مفردة (ذكور واثان) من قبيلتي المساليت والعرب المتأثرين من الأحداث في كل من (حي الجبل ومعسكر كريندق) بطريقة عمدية أي قصدية، ثم استخدم العينة العشوائية البسيطة لاختيار عدد (20) مفردة من المساليت و(20) مفردة من العرب. واجريت الدراسة الميدانية خلال الفترة من 2021/8/10م - 2021/9/10م

3-2/ الأساليب الإحصائية:

لمعالجة البيانات تم استخدام طريقة الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) بنظام التوزيع التكراري.

3 - 3 / عرض البيانات في الجداول وتحليلها

1- 3 - 3 / بيانات متعلقة بخصائص المبحوثين:

جدول رقم (1) الخصائص الديموغرافية لأفراد عينة الدراسة

النوع			العمر		
البيان	التكرارات	النسبة المئوية	البيان	التكرارات	النسبة المئوية
ذكر	25	%62,5	(18 - 24) سنة	11	%27,5
انثى	15	%37,5	(25 - 31) سنة	7	%17,5
المجموع	40	%100	(32 - 38) سنة	9	%22,5
المستوى التعليمي					
البيان	التكرارات	النسبة المئوية	(39 - 45) سنة	4	%10
أمي	4	%10	(46 - 52) سنة	6	%15
محو أمية	1	%2,5	(53) سنة فأكثر	3	%7,5
خلوة	7	%17,5	المجموع	40	%100
أساس	7	%17,5	الحالة الزوجية		
ثانوي	10	%25	البيان	التكرارات	النسبة المئوية
جامعي	7	%17,5	متزوج	27	%67,5
فوق الجامعي	4	%10	عازب	7	%17,5
المجموع	40	%100	ارمل	1	%2,5
المهنة					
البيان	التكرارات	النسبة المئوية	مطلق	4	%10
مزارع	7	%17,5	مهجور	1	%2,5
تاجر	3	%7,5	المجموع	40	%100
عامل بالأجر اليومي	4	%10	عدد افراد الأسرة		
ربة منزل	5	%12,5	البيان	التكرارات	النسبة المئوية
سائق	2	%5	(1 - 3)	10	%25
موظف حكومي	8	%20	(4 - 6)	10	%25
موظف بالقطاع الخاص	3	%7,5	(7 - 9)	10	%25
أخرى	8	%20	(10 - 12)	5	%12,5
المجموع	40	%100	(13) فأكثر	5	%12,5
السكن الحالي					
البيان	التكرارات	النسبة المئوية	المجموع	40	%100
الحي	24	%60			
المعسكر	6	%15			
منطقة ايواء	10	%25			
المجموع	40	%100			

المصدر: إعداد الباحث من الدراسة الميدانية (10 أغسطس - 10 سبتمبر 2021م)

تشير نتائج الجدول رقم (1) إلى أن نسبة الذكور ضمن العينة المبحوثة بلغت 62.5%، وهي النسبة الأعلى مقارنة بالإناث الذين شكّلوا 37.5%. ويُعزى هذا التفاوت إلى طبيعة الأدوار الاجتماعية التي تُسند إلى الذكور في المجتمعات التقليدية، حيث يكونون في الغالب الطرف المباشر في المواجهات المسلحة والصراعات القبلية، في حين تنعكس آثار هذه الصراعات بشكل أوسع على بقية أفراد المجتمع من نساء وأطفال وشيوخ.

وفيما يتعلق بالتوزيع العمري، تُظهر النتائج أن الفئة العمرية (18-24) سنة هي الأكثر تمثيلاً بنسبة 27.5%، تليها فئة (32-38) سنة بنسبة 22.5%، ثم فئة (25-31) سنة بنسبة 17.5%. كما سجلت الفئة (46-52) سنة نسبة 15%، تلتها فئة (39-45) بنسبة 10%، وأخيراً فئة (53 سنة فأكثر) بنسبة 7.5%. ويتضح من ذلك أن أكثر من ثلثي العينة تتراوح أعمارهم بين 18 و38 سنة، وهي الفئة التي عاصرت فترة النزاعات القبلية وتداعيات التمرد الذي بدأ في العام 2003، وبالتالي فهي تمتلك وعياً وخبرة أعمق بالأحداث، ما يعزز مصداقية آرائهم حول أسباب العنف وتجدد النزاعات.

أما من حيث المستوى التعليمي، فقد شكّل الحاصلون على التعليم الثانوي النسبة الأكبر بواقع 25%، تلتهم الفئات التي تلقت تعليماً خلوياً أو أساسياً أو جامعياً بنسبة متساوية بلغت 17.5% لكل منها، ثم فئة الأميين والحاصلين على تعليم فوق الجامعي بنسبة 10% لكل، وأخيراً فئة محو الأمية بنسبة 2.5%. وتشير هذه النتائج إلى أن غالبية أفراد العينة يتمتعون بحد أدنى من التعليم، مما يدل على وجود وعي مجتمعي بأهمية التعليم رغم الظروف الأمنية والاقتصادية الصعبة التي تمر بها المنطقة.

وفيما يخص الوضع المهني، أظهرت البيانات تساوي النسبة الأعلى (25%) بين العاملين في القطاع الحكومي وأولئك الذين يزاولون مهناً متنوعة (مثل: ميكانيكي، طالب، عسكري، عاطل، شيخ خلوة)، مما يعكس التنوع في الخلفيات الاقتصادية والاجتماعية للمبحوثين. وقد جاءت فئة المزارعين في المرتبة التالية بنسبة 17.5%، تليها ربّات المنازل بنسبة 12.5%، ثم العمال بالأجر اليومي بنسبة 10%. أما فئتا التجار والعاملين في القطاع الخاص فشكّلتا 7.5% لكل منهما، في حين سجلت فئة السائقين النسبة الأقل بواقع 5%. ويُلاحظ أن هذه التوزيعات المهنية تعكس التحولات الاقتصادية التي طرأت على سكان المنطقة، حيث اضطر الكثيرون إلى ترك مهنتهم الأصلية، كالزراعة والرعي، بسبب العنف وفقدان مصادر الدخل، واللجوء إلى مهن بديلة داخل مدينة الجنية.

أما من حيث الحالة الاجتماعية، فإن الغالبية العظمى من أفراد العينة هم من المتزوجين بنسبة 67.5%، يليهم العزاب بنسبة 17.5%، ثم المطلقات بنسبة 10%، وأخيراً الأرمال والمهجورون بنسبة 2.5% لكل منهما. وتُبرز هذه البيانات أن مؤسسة الزواج لا تزال تحافظ على مكانتها في المجتمع المحلي رغم التحديات الاقتصادية والنفسية الناتجة عن النزاعات، مما يعكس تمسك المجتمع بقيمه الاجتماعية التقليدية.

وفيما يتعلق بحجم الأسرة، فقد تساوت النسبة الأعلى (25%) بين الأسر التي يتراوح عدد أفرادها بين (1-3)، و(4-6)، و(7-9) أفراد، بينما جاءت الأسر التي تضم (10-12) فرداً و(13 فأكثر) بنسبة 12.5% لكل منهما. وتدل هذه النتائج على أن ما يقرب من ثلاثة أرباع العينة يعيشون ضمن أسر صغيرة إلى متوسطة الحجم، وهو نمط يرتبط غالباً بالحياة الحضرية، ويختلف عن الطابع الأسري الواسع الذي يميز المجتمعات الريفية.

وأخيراً، أظهرت النتائج أن أكثر من نصف أفراد العينة يقيمون في حي الجبل، الذي يُعد من أكثر المناطق تضرراً من حيث العنف والتدمير خلال موجات النزاع الأخيرة، في حين يقطن ربع العينة في مناطق الإيواء المؤقتة، و15% في معسكرات النازحين. ويُعزى التركيز في حي الجبل إلى شدة الأحداث التي شهدتها هذا الحي، وخاصة في موجة "الجبل 2" التي كانت أكثر عنفاً وتأثيراً من سابقتها، مما يفسر ارتفاع نسبة المقيمين فيه ضمن العينة.

2- 3 - 3/ بيانات متعلقة بفرضيات البحث:

الفرضية الأولى: (تلعب العوامل الاجتماعية دوراً في تجدد العنف)

جدول رقم (2)

النسبة المئوية للتكرارات				تكرارات البيانات				العبارة
المجموع	لا ادري	لا	نعم	المجموع	لا ادري	لا	نعم	
%100	%2.5	%10	%87.5	40	1	4	35	اعتداء أحد طرفي الصراع على الآخر لأخذ الثأر، من أسباب تجدد العنف
%100	%0	%5	%95	40	0	2	38	عدم التكيف النفسي والاجتماعي للنازحين بحياة المدينة من أسباب تجدد العنف
%100	%0	%12.5	%87.5	40	0	5	35	استخدام الفاظ السخرية والتعالي لشعوره بالانتماء لقبيلة معينة هي سبب العنف
%100	%2.5	%7.5	%90	40	1	3	36	ضعف الوعي الاجتماعي والثقافي (عدم تقبل الآخر) هو سبب العنف
%100	%0	%2.5	%97.5	40	0	1	39	هشاشة البنية المجتمعية وعدم تقيد أفراد المجتمع بالضوابط الدينية هي سبب العنف

المصدر: إعداد الباحث من الدراسة الميدانية (10 أغسطس - 10 سبتمبر 2021م)

يُظهر الجدول رقم (2) أن الغالبية العظمى من أفراد العينة المبحوثة يعتقدون أن السبب الرئيسي للعنف هو اعتداء أحد طرفي الصراع على الآخر بدافع الثأر، حيث بلغت نسبتهم %87.5. تليهم فئة من المشاركين الذين أشاروا إلى وجود أسباب أخرى للعنف بنسبة %10، في حين لم يدل %2.5 من العينة برأي واضح حول ما إذا كان هذا السبب جوهرياً أم لا. كما أظهرت النتائج أن %95 من المبحوثين يرون أن وجود معسكرات النازحين على مداخل المدينة، إلى جانب عدم تكيفهم النفسي والاجتماعي مع الحياة الحضرية، يُعد من العوامل الأساسية في تجدد أعمال العنف، مقابل %5 فقط يرون خلاف ذلك.

وبالنسبة للبعد الثقافي والاجتماعي، فإن %87.5 من أفراد العينة يؤكدون أن استخدام الألفاظ الساخرة والمتحاملة على أساس الانتماء القبلي يُعد من العوامل المثيرة للنزاع، بينما عبّر %12.5 عن رأي مخالف. وفي السياق ذاته، يرى %90 من المبحوثين أن ضعف الوعي الاجتماعي والثقافي، المتمثل في عدم تقبل الآخر، يُسهم بشكل كبير في تأجيج الصراعات، في حين لم يوافق على ذلك %7.5، وامتنع %2.5 عن إبداء رأيهم.

أما من الناحية الدينية والاجتماعية، فقد عبّر %97.5 من أفراد العينة عن قناعتهم بأن ضعف الوازع الديني وهشاشة النسيج الاجتماعي بين مكونات المجتمع المحلي يمثلان أحد أبرز أسباب العنف القبلي المتجدد، في حين رفض هذا الطرح %2.5 فقط. وتُبرز هذه النتائج اتفاقاً شبه جماعي بين أفراد العينة حول الأبعاد النفسية والاجتماعية والدينية كعوامل رئيسية في تفسير ظاهرة العنف.

الفرضية الثانية: (التدخلات السياسية من اسباب تجدد العنف)

جدول رقم (3)

العبارة	تكرارات البيانات				النسبة المئوية للتكرارات		
	نعم	لا	لا ادري	المجموع	نعم	لا	لا ادري
مؤتمرات الصلح التي لها أغراض سياسية والتي لم تعالج جذور المشكلة تؤدي الى تجدد العنف	38	1	1	40	95%	2.5%	2.5%
عدم قيام الإدارات الأهلية بدورها في ضبط أفراد القبيلة هو سبب العنف	36	4	0	40	90%	10%	0%
تسييس الإدارات الأهلية وذلك بتحريض النخب السياسية لبعض القبائل من أسباب العنف	34	6	0	40	85%	15%	0%

المصدر: إعداد الباحث من الدراسة الميدانية (10 أغسطس – 10 سبتمبر 2021م)

يتبين من الجدول رقم (3) أن الغالبية العظمى من العينة المبحوثة يرون مؤتمرات الصلح التي لم تعالج جذور المشكلة تؤدي الى تجدد العنف ومثلت بنسبة 95%، بينما تتساوى في النسبة بين الذين يرون غير ذلك والذين لم يدلوا برأيهم و مثلت بنسبة 2.5% لكل منهما. وكذلك عدم قيام الإدارات الأهلية بدورها في ضبط أفراد القبيلة هو من اسباب العنف ومثلت بنسبة 90%، بينما الذين يرون غير ذلك مثلت بنسبة 10%. و الغالبية العظمى من العينة المبحوثة يرون أن تسييس الإدارات الأهلية وذلك بتحريض النخب السياسية لبعض القبائل من أسباب العنف ومثلت بنسبة 85%، بينما الذين يرون غير ذلك مثلت بنسبة 15%.

الفرضية الثالثة: (الهشاشة الأمنية تساهم في عملية العنف)

جدول رقم(4)

العبارة	تكرارات البيانات				النسبة المئوية للتكرارات		
	نعم	لا	لا ادري	المجموع	نعم	لا	لا ادري
امتلاك السلاح بايدي المواطنين سبب العنف بينهم	36	2	2	40	90%	5%	5%
عدم قيام القوات النظامية بدورها في تأمين المواطنين هو سبب لاندلاع العنف من وقت لآخر	40	0	0	40	100%	0%	0%
غياب الرقابة الدولية شجع المجرمين لارتكاب الجرائم وبالتالي الى تصعيد العنف	34	5	1	40	85%	12.5%	2.5%

المصدر: إعداد الباحث من الدراسة الميدانية (10 أغسطس – 10 سبتمبر 2021م)

نلاحظ من الجدول رقم (4) أن الغالبية العظمى من العينة المبحوثة يرون أن امتلاك السلاح بأيدي المواطنين سبب العنف بينهم ومثلت بنسبة 90%، بينما تتساوى في النسبة بين الذين يرون غير ذلك والذين لم يدلوا برأيهم و مثلت بنسبة 5% لكل منهما. وكل العينة المبحوثة ترى عدم قيام القوات النظامية بدورها في تأمين المواطنين هو سبب لاندلاع العنف من وقت لآخر. و الغالبية العظمى من العينة المبحوثة يرون غياب الرقابة الدولية بعد خروج قوات حفظ السلام الدولية (اليوناميد) من دارفور شجع المجرمين لارتكاب الجرائم وبالتالي الى تصعيد العنف ومثلت بنسبة 85%، بينما الذين يرون غير ذلك مثلت بنسبة 12.5%. وأخيراً الذين لم يدلوا برأيهم مثلت بنسبة 2.5%.

الفرضية الرابعة: (تعتبر العوامل الاقتصادية من اسباب استمرار العنف)

جدول رقم (5)

العبارة	تكرارات البيانات			النسبة المئوية للتكرارات		
	نعم	لا	لا ادري	نعم	لا	لا ادري
أحقية ملكية الأرض لأحد الأطراف المتصارعة هي سبب العنف	30	8	2	40	20%	5%
التهميش التتموي هو سبب العنف	28	11	1	40	70%	2.5%

المصدر: إعداد الباحث من الدراسة الميدانية (10 أغسطس – 10 سبتمبر 2021م)

من الجدول رقم (5) نجد أن ثلاث ارباع العينة المبحوثة يرون أن الزعم بأحقية ملكية الأرض لأحد الأطراف المتصارعة هي سبب العنف، بينما الذين يرون أنها ليست السبب مثلت بنسبة 20%، وأخيراً الذين لم يدلوا برأيهم مثلت بنسبة 5%. تعتبر ملكية الأرض من الأسباب الرئيسة لتجدد العنف في المنطقة بل في ربوع دارفور حيث يحدث نزاع في الأراضي الزراعية والسكنية بين السكان المقيمين والجدد، وغالباً ما يحدث في فترتي بداية الزراعة وحصادها، ويقوم الرعاة بإدخال بهائمهم في الأراضي المزروعة مما يؤدي الى المشاجرة بين المزارع والراعي ومن ثم يتطور الى عنف بين القبيلتين. و أن أكثر من ثلثي العينة المبحوثة يرون أن التهميش التتموي هو سبب العنف، بينما الذين يرون غير ذلك مثلت بنسبة 27.5%، وأخيراً الذين لم يدلوا برأيهم مثلت بنسبة 2.5%. ان غياب التنمية بالمنطقة (عدم وجود الشركات والصناعات الكبيرة التي تستوعب آلاف العمال) وندرة المراعي في الشمال وتنقل الرعاة الي المناطق الزراعية في الجنوب ساهم بصورة كبيرة لحدوث النزاعات.

الفرضية الخامسة: (لأحداث العنف القبلي آثار تتركها للفرد والأسرة والمجتمع)

جدول رقم (6)

العبارة	تكرارات البيانات			النسبة المئوية للتكرارات		
	نعم	لا	المجموع	نعم	لا	المجموع
هل فقدت من أفراد أسرتك في الأحداث التي وقعت بالمنطقة؟	24	16	40	60%	40%	100%
هل فقدت ممتلكاتك بسبب الأحداث التي حلت بالمدينة؟	23	17	40	57.5%	42.5%	100%
هل تحس بأمان أثناء تجوالك داخل مدينة الجنية؟	13	27	40	32.5%	67.5%	100%
هل تعطلت الدراسة بمراحل التعليم المختلفة بسبب العنف؟	39	1	40	97.5%	2.5%	100%
هل العنف القبلي سبب في ارتفاع الأسعار؟	34	6	40	85%	15%	100%
هل تثق جيرانك من القبائل الأخرى بمدينة الجنية ؟	19	21	40	47.5%	52.5%	100%

المصدر: إعداد الباحث من الدراسة الميدانية (10 أغسطس – 10 سبتمبر 2021م)

يُظهر الجدول رقم (6) أن غالبية أفراد العينة المبحوثة قد فقدوا أفرادًا من أسرهم خلال الأحداث التي شهدتها المنطقة، حيث بلغت نسبتهم 60%، في حين بلغت نسبة من لم يفقدوا أفرادًا من أسرهم 40%. كما أظهرت النتائج أن 57.5% من المبحوثين فقدوا ممتلكاتهم نتيجة للصراع، مقارنة بنسبة 42.5% ممن لم يتعرضوا لفقدان مادي. ويُلاحظ تقارب النسب بين من فقدوا أرواحًا ومن فقدوا ممتلكات (60% مقابل 57.5%)، وهو ما يعكس حجم الضرر الكبير الذي خلفته الحرب على المستوى الإنساني والمادي، ويؤكد أن غالبية المشاركين في الدراسة قد تأثروا بشكل مباشر بالأحداث.

وفيما يتعلق بالشعور بالأمن داخل المدينة، أفاد ثلثا أفراد العينة بعدم شعورهم بالأمان أثناء تنقلهم في أنحاء مدينة الجنية، مقابل ثلث فقط يشعرون بالأمن النسبي. وتعكس هذه النتائج هشاشة الوضع الأمني، لاسيما في الأشهر التي تلت أحداث "الجبيل 2"، والتي دفعت العديد من الأسر إلى تهجير أفرادها نحو مناطق أكثر استقرارًا داخل السودان، أو اللجوء إلى دول مجاورة مثل تشاد.

أما فيما يخص أثر العنف القبلي على قطاع التعليم، فقد أشار 97.5% من العينة إلى أن تعطيل الدراسة بمراحلها المختلفة كان نتيجة مباشرة للعنف، في حين رأى 2.5% فقط غير ذلك. وقد أدى تدهور الأوضاع الأمنية إلى إغلاق المدارس كليًا في مناطق مثل حي الجبل ومعسكر كريندق، وجزئيًا في مدينة الجنية، إضافة إلى إغلاق جامعة الجنية بالكامل منذ أبريل 2021 وحتى ديسمبر من نفس العام. وقد تسبب هذا الانقطاع في عزوف عدد كبير من الطلاب عن مواصلة تعليمهم، وانخراطهم في أعمال أخرى، بل إن بعضهم اضطر إلى مغادرة البلاد.

وفي الجانب الاقتصادي، يرى 85% من أفراد العينة أن ارتفاع الأسعار في المدينة يعود إلى النزاعات القبلية، بينما 15% منهم لا يرون علاقة مباشرة بين العنف والأسعار. ويعود هذا الارتفاع إلى عوامل متعددة منها إغلاق الأسواق، وعمليات النهب المتكررة على الطرقات، وتوقف الشاحنات المحملة بالبضائع والخضروات والفواكه القادمة من مناطق أخرى، ما ساهم في اختلال سلاسل الإمداد وارتفاع تكاليف المعيشة بشكل حاد.

أما فيما يخص العلاقات المجتمعية، فقد أظهرت النتائج أن 52.5% من أفراد العينة لا يتقنون بجيرانهم من القبائل الأخرى، مقابل 47.5% ما زالوا يحتفظون بهذه الثقة. ورغم تقارب النسب، إلا أن آثار العنف وما رافقه من دمار وحرق وتدمير ممنهج، ساهمت في تقويض الثقة بين مكونات اجتماعية كانت متجاوزة ومتعايشة لعقود طويلة. وتشير هذه المؤشرات إلى التحديات الكبيرة التي تواجه جهود المصالحة وإعادة بناء النسيج الاجتماعي في المدينة.

3-3 - مناقشة نتائج الدراسة:

الفرضية الأولى: (العوامل الاجتماعية من أسباب تجدد العنف)

أظهرت نتائج الجدول رقم (2) أن 87.5% من أفراد العينة المبحوثة يرون أن العنف ينبع أساسًا من اعتداء أحد طرفي الصراع على الآخر بدافع الثأر. كذلك، عبّر 95% من المشاركين عن اعتقادهم بأن وجود معسكرات النازحين في مداخل مدينة الجنية، وما تتعرض له من هجمات متكررة، يمثل سببًا مباشرًا لتجدد العنف. ويبرز في هذا السياق معسكري "كريندق" و"أبو ذر"، اللذان يقعان على أطراف المدينة من الشرق والغرب، حيث يُنظر إلى سكان المعسكرات على أنهم يحملون تصورات سلبية تجاه الطرف الآخر باعتباره سبب نزوحهم، مما يؤدي إلى توتر دائم قد يتطور إلى عنف قبلي عند أبسط احتكاك.

وترى الغالبية العظمى من العينة (87.5%) أن استخدام الألفاظ العنصرية والمهينة مثل (يا زرقاي، يا أمباي، يا عربي، يا عبد، يا أرنجي) تسهم في تأجيج مشاعر الكراهية، وتؤدي إلى ردود فعل عنيفة. كما أشار 90% من المبحوثين إلى أن

ضعف الوعي الاجتماعي والثقافي، ولا سيما غياب تقبل الآخر، هو من مسببات العنف، في حين عبّر 2.5% فقط عن عدم امتلاكهم رأياً في هذا الشأن. ويعزى هذا القصور إلى غياب البرامج التوعوية والثقافية من قبل الحكومة والإدارات الأهلية ومنظمات المجتمع المدني، مما فاقم من التباعد بين مكونات المجتمع المختلفة. ويدل تساؤل الناس في المناسبات الاجتماعية "دي مناسبة ناس منو؟" على ترسيخ الانقسام القبلي.

وترى النسبة الأكبر من المشاركين (97.5%) أن ضعف الوازع الديني وهشاشة النسيج الاجتماعي من الأسباب الجوهرية لتصاعد العنف، بسبب غياب الالتزام بالقيم الدينية التي تحرم التعدي على الآخرين وممتلكاتهم.

الفرضية الثانية: (التدخلات السياسية من أسباب تجدد العنف)

وفقاً للجدول رقم (3)، يرى 95% من أفراد العينة أن مؤتمرات الصلح ذات الطابع السياسي لم تعالج جذور المشكلة، وإنما تركزت على التهذئة المؤقتة، مما ساعد في تجدد العنف. كما أشار 90% إلى أن تقليص صلاحيات الإدارات الأهلية منذ التسعينيات أضعف من قدرتها على ضبط أفراد القبيلة، خصوصاً أن كثيراً من الشباب لم يعودوا يعترفون بشرعية هذه القيادات باعتبارها تقليدية ولا تواكب العصر.

وعبر 85% من المبحوثين عن قناعتهم بأن تسييس الإدارات الأهلية وتحريض النخب السياسية لبعض القبائل ضد الأخرى كان أحد المحركات الأساسية للصراع، خاصة خلال فترة حكم نظام الإنقاذ، الذي اتبع سياسة "فرّق تسد"، من خلال تسليح بعض القبائل ودعمها في تولي المناصب. وبعد سقوط النظام في أبريل 2019م، تفاقم العنف مع غياب دور فاعل للحكومة الانتقالية في احتوائه.

الفرضية الثالثة: (الهشاشة الأمنية تساهم في تصاعد العنف)

أفاد 90% من أفراد العينة في الجدول رقم (4) أن انتشار السلاح بين المواطنين يُعد من أبرز أسباب العنف، خاصة في ظل غياب سياسات فعالة لجمع السلاح، حيث يُباع في الأسواق بشكل علني. كما أجمع جميع أفراد العينة على أن القوات النظامية لا تؤدي دورها في تأمين المدنيين، إذ تتأخر في التدخل إلى ما بعد اندلاع المواجهات، مما يشجع الأطراف المتنازعة على تكرار العنف. ويرى 85% من المبحوثين أن خروج بعثة حفظ السلام (اليوناميد) وغياب الرقابة الدولية شجع المجرمين على ارتكاب الجرائم، لا سيما مع عدم تنفيذ الترتيبات الأمنية لاتفاقية جوبا، مما أدى إلى تصاعد عمليات القتل والنهب وحرق القرى.

الفرضية الرابعة: (العوامل الاقتصادية من أسباب استمرار العنف)

بيّنت نتائج الجدول رقم (5) أن ثلاثة أرباع العينة يعتبرون الصراع حول ملكية الأرض (الحواكير) من أبرز أسباب العنف. إذ لم تُحسم هذه القضية منذ فترة الاستعمار، واستمرت بعد الاستقلال بين القبائل المستقرة والرعية، خاصة في مواسم الزراعة والحصاد، بسبب غياب المسارات المنظمة للرعاة. ويؤدي دخول المواشي في الأراضي المزروعة إلى نزاعات مباشرة بين المزارعين والرعاة تتطور إلى صراع قبلي.

وفيما يخص التهميش التنموي، رأى أكثر من ثلثي العينة أنه يمثل سبباً رئيسياً للعنف، نتيجة غياب المشاريع التنموية الكبرى وندرة فرص العمل، مما أدى إلى هجرة الرعاة نحو المناطق الزراعية واحتدام النزاعات.

الفرضية الخامسة: (للغنف القبلي آثار خطيرة على الفرد والأسرة والمجتمع)

أظهر الجدول رقم (6) أن 60% من أفراد العينة فقدوا أحد أفراد أسرهم خلال الأحداث، في حين بلغت نسبة من فقدوا

ممتلكاتهم 57.5%. وتُظهر هذه النسب تقاربًا واضحًا في حجم الأضرار المادية والبشرية، مما يشير إلى الأثر العميق للعنف على المجتمع. كما بيّنت النتائج أن ثلثي العينة لا يشعرون بالأمان داخل مدينة الجنية، خاصة في أعقاب أحداث "الجل 2"، مما دفع بعض الأسر إلى النزوح الداخلي أو اللجوء إلى دولة تشاد.

وترى الغالبية الساحقة من العينة (97.5%) أن العنف القبلي أدى إلى تعطيل الدراسة في جميع المراحل، حيث أُغلقت المدارس بشكل كامل في مناطق مثل حي الجبل ومعسكر كريندق، وجزئيًا في المدينة، فيما أُغلقت جامعة الجنية من أبريل وحتى ديسمبر 2021م، مما أدى إلى تسرب عدد كبير من الطلاب.

كما أفاد 85% من المبحوثين بأن ارتفاع الأسعار يعود إلى العنف، نتيجة إغلاق الأسواق وعمليات النهب المتكررة التي تعيق وصول البضائع من خارج المدينة. وأخيرًا، فإن 52.5% من المشاركين لا يثقون بجيرانهم من القبائل الأخرى، وهو ما يعكس الأثر النفسي والاجتماعي العميق للعنف على النسيج الاجتماعي الذي كان متماسكًا لعقود.

4/ الجزء الرابع: الخاتمة

1 - 4/ النتائج:

1. **الأسباب الاجتماعية** لعبت دورًا محوريًا في تجدد العنف القبلي بمدينة الجنية، حيث كشفت الدراسة عن عدة مظاهر لهذا التأثير، من أبرزها: اعتداء أحد أطراف النزاع على الطرف الآخر بدافع الثأر، وعدم قدرة النازحين على التكيف النفسي والاجتماعي مع بيئة المدينة الجديدة. كما ساهمت بعض الألفاظ العنصرية والمهينة المستخدمة في الحياة اليومية (مثل "يا زرقاي"، "يا أمباي"، "يا عربي"، "يا عبد"، "يا أرنجي") في تأجيج مشاعر العداء والانقسام، إلى جانب ضعف الوعي الاجتماعي والثقافي، الذي تجلّى في عدم تقبل الآخر. كما تبيّن أن هشاشة البنية المجتمعية وضعف الالتزام بالضوابط الدينية، كانا من العوامل المؤدية إلى تراجع قيم التعايش والاحترام المتبادل بين المكونات القبلية المختلفة.

2. **الأسباب السياسية** ساهمت بشكل ملموس في استمرار حالة عدم الاستقرار، حيث أوضحت نتائج الدراسة أن مؤتمرات الصلح، التي تُعقد من وقت إلى آخر دون معالجة حقيقية لجذور الصراع، غالبًا ما تأخذ طابعًا سياسيًا شكليًا لا يُفضي إلى حلول عملية. كما أن ضعف الإدارات الأهلية نتيجة تقليص صلاحياتها الحكومية، أدى إلى غياب الضبط القبلي وتراجع هيبة القيادة التقليدية في أوساط الشباب. بالإضافة إلى ذلك، أدى تسييس الإدارات الأهلية، عبر تحريض النخب السياسية لبعض القبائل ضد الأخرى، إلى خلق استقطاب داخلي عميق، غدّى التوترات وساهم في توسيع دائرة العنف.

3. **الهشاشة الأمنية** برزت كأحد العوامل الجوهرية في تصاعد وتكرار أعمال العنف، حيث أظهرت الدراسة أن انتشار الأسلحة بين المواطنين، وغياب سياسات حكومية فاعلة لجمعها، أسهم في تسليح الأفراد وزيادة وتيرة النزاعات. كما أن الأجهزة الأمنية لم تؤدّ دورها المطلوب في التدخل الاستباقي أو في منع اندلاع الاشتباكات، بل غالبًا ما تتدخل بعد فوات الأوان. وزادت الأمور تعقيدًا بعد انسحاب بعثة الأمم المتحدة لحفظ السلام (اليوناميد)، مما فتح المجال أمام ارتكاب الجرائم دون مساءلة. كما أن عدم تنفيذ بنود الترتيبات الأمنية المنصوص عليها في اتفاقية جوبا عزّز من مناخ الإفلات من العقاب.

4. **العوامل الاقتصادية** شكّلت بيئة خصبة لتغذية الصراع واستمراره، لا سيما فيما يتعلق بالنزاع حول ملكية الأرض، وخاصة قضايا الحواكير التي ظلت دون حسم قانوني منذ فترة الاستعمار. كما ساهم غياب التنمية، وافتقار المنطقة

إلى مشاريع اقتصادية كبرى تستوعب الشباب وتوفر فرص العمل، في دفع بعض الأفراد إلى التورط في النزاعات القبلية. يضاف إلى ذلك ندرة المراعي في المناطق الشمالية، مما يدفع الرعاة إلى التوغل في المناطق الزراعية بالجنوب، مسببين بذلك احتكاكات مباشرة مع المزارعين تتطور بسهولة إلى مواجهات دامية بين القبائل.

5. الآثار الاجتماعية والإنسانية والاقتصادية الناتجة عن العنف القبلي كانت عميقة ومتشعبة، حيث أشارت النتائج إلى أن نسبة كبيرة من الأسر فقدت أفرادًا وممتلكات بسبب الأحداث، كما فقد المواطنون شعورهم بالأمن أثناء التنقل في المدينة. وتسببت هذه الأوضاع في تعطيل الدراسة بمختلف مراحلها، بما في ذلك إغلاق مدارس الأحياء المتأثرة وجامعة الجنية لفترة طويلة. كما أدى تدهور الوضع الأمني إلى توقف حركة البضائع والسلع، وارتفاع الأسعار بشكل ملحوظ، في حين تراجعت الثقة بين القبائل التي كانت تتعايش سابقًا بشكل سلمي، وهو ما ساهم في تفكك النسيج الاجتماعي المحلي.

2 - 4 / التوصيات:

بعد معرفة الأسباب والآثار الناجمة عن العنف القبلي يوصي الباحث بالآتي:

- 1 - جمع الأطراف المتصارعة عن طريق مبادرات التسامح والتعايش السلمي والتنازلات في بعض الحقوق ، وأن تقوم بهذه المبادرات أطراف محايدة، تشمل كل من الإدارات الأهلية ومؤسسات التعليم والأئمة والدعاة ووسائل الاعلام المختلفة والشباب والمرأة.
- 2 - بسط هيبة الدولة وذلك بتشكيل قوة مشتركة خالية من العنصرية واعطائها صلاحيات واسعة لاستخدام القانون والقوة لاستتباب الأمن ومحاسبة المجرمين ومثيري الفتن والمشاكل من كل الأطراف.
- 3 - على الحكومة أن تعزز البرامج الوطنية التي تهدف الى القضاء على الفقر والحد من الإقصاء الاجتماعي وأن تكون نظمها السياسية والقانونية معبرة عن التنوع المتعدد الثقافات.
- 4 - توفير المساعدة الملائمة للمتأثرين من العنف وتطوير مواد تربوية لتعليم الشباب أهمية التسامح والاحترام والتثقيف العام لمنع وقوع أعمال عنف في المستقبل بدوافع العنصرية.

3 - 4 / المصادر والمراجع:

1- 3 - 4 / المصادر:

- 1 - القرآن الكريم
- 2 - الأحاديث النبوية
- 2- 3 - 4 / المراجع :
- 1 - ادريس، زين الدين، علم النفس الاجتماعي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999م
- 2 - ادم ، عبدالعزيز احمد ، الاذاعة والتلفزيون ولاية غرب دارفور، مقابلة بتاريخ 2021\8\31م
- 3- اسماعيل، فاروق مصطفى، الجماعات العرقية، الهيئة المصرية للكتاب، الاسكندرية، 1975م. 4 - البحيري ، زكي ، دارفور أصول الأزمة وتداعيات المحكمة الجنائية الدولية، مكتبة النهضة المصرية ، 2008م
- 5 - الحسن ،إحسان محمد، العنف والإرهاب، دار وائل ، القاهرة ، 2008م.

- 6 - السيد ،إبراهيم جابر ، العنف الأسري وأسبابه، دار التعليم الجامعي، الاسكندرية ، 2016م
- 7 - العمر ، معن خليل ، نظريات معاصرة في علم الاجتماع ، دار الشروق، عمان، 1997م
- 8 - العقاد ،عصام عبداللطيف ، سيكولوجيا العدوانية ، دار غريب، القاهرة، 2000م
- 9 - ابن خلدون، عبدالرحمن، مقدمة ابن خلدون لجنة البيان العربي ، المالية ، ط 2 عام 1966م
- 10 - جمعون، محمد ادريس عبدالله ، محاضر بجامعة الجنية، مقابلة بتاريخ 2021\9\5م.
- 11 - حلمي ، اجلال إسماعيل، الأسرة العربية (النظرية والتطبيق)، دار الأنجلو، مصر ، 1997م
- 12- ديولي، هيو حاجي ،الاتجاهات التعصبية بين الجماعات العرقية، مؤسسة موكراني للبحوث والنشر، اربيل ، ط1، 2008م
- 13 - رشوان ،حسين عبدالحميد احمد ، علم النفس الاجتماعي (المجتمع- الثقافة - الشخصية)، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية، 2010م
- 14 - سلاطينة، بلقاسم وآخرون، العنف والفقر في المجتمع الجزائري، دار الفجر ، القاهرة، 2008م
- 15 - طالب،حسن مبارك، الجريمة والعقاب في المؤسسات الاصلاحية، دارالطلعة،بيروت، 2000م.
- 16 - غيبب، شارل زور، الحرب الأهلية، دار منشورات عويدات بيروت ، باريس، ط1 ، 1981م.
- 17 - لطفي، طلعت إبراهيم، دراسات في علم الاجتماع العائلي، دارغريب ، القاهرة 2009م.
- 18 - محمد ،الطيب زين العابدين وآخرون ، دارفور حصاد الأزمة بعد عقد من الزمان، مركز الجزيرة للدراسات ، الدوحة ، ط1، 2013م.
- 19 - محمد صالح ،التجاني مصطفى ، الصراع القبلي في دارفور (أسبابه وتداعياته وعلاجه) شركة مطابع السودان للعملة المحدودة ، الخرطوم ، عام 1999م.
- 20 - موسى ، بدرالدين عبدالله الامام ، الصراعات القبلية في السودان (الجذور والأبعاد)، مكتبة جزيرة الورد ، القاهرة، ط2، 2017م
- 21 - هارون، مبارك عبدالجبار عبدالحميد، استاذ بجامعة الجنية ، مقابلة بتاريخ 2021\9\5م.

3- 3 - 4/ الرسائل العلمية:

- 1 - احمد،ايدابير، التعددية الاثنية والأمن المجتمعي(دراسة حالة مالي)ماجستير منشور في العلوم السياسية والعلاقات الدولية تخصص الدراسات الأمنية والاستراتيجية ، جامعة الجزائر ، عام 2012م.
- 2 - الرشدي ، محمد حمود البغلي ، دور القبيلة في الحياة السياسية بدولة الكويت ماجستير منشور في العلوم السياسية ، قسم الآداب والعلوم جامعة الشرق الأوسط عمان - الاردن 2011م.
- 3 - المهدي ،الفاتح الحسن ، النزاعات والحروب الاهلية في افريقيا -دراسة في أسباب الظاهرة وآثارها (السودان - ، الكونغو، رواندا، بورندي، الصومال) نماذجاً، دكتوراه منشور في دراسات السلام، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، 2014م.
- 4 - دعاس، سميحة ، الصراعات والحروب الأهلية في السودان دارفور انموذجاً ، رسالة ماجستير منشور في التاريخ

المعاصر، جامعة محمد خيضر ببسكرة، الجزائر، 2015م.

5 - زواوي ، نعيمة ، الصراعات الاثنية والدينية في افريقيا (دراسة حالة نيجيريا)، ماجستير منشور في العلوم السياسية، جامعة الجزائر، 2014م.

6 - عمرو، منار عبدالعزيز محمد، التدخل الدولي في النزاعات الداخلية(دارفور نموذجاً)، ماجستير منشور في العلوم السياسية، جامعة الشرق الاوسط ، عمان - الاردن، 2016م.

7 - محمد ،عمر يعقوب بدوي ، آثار الصراع القبلي في دارفور وطرق معالجته (1956الي 2008م)، ماجستير العلوم في علم الاجتماع، جامعة الجزيرة، 2012م

4- 3 - 4 /المجلات والدوريات والتقارير:

1 - الكندي ،يعقوب يوسف ، القبيلة والمفاهيم السياسية في المجتمع الخليجي المعاصر المجتمع الكويتي مثلاً، مجلة العمران، مجلة العمران، العدد4\15 ، 2016م.

2 - تقريرهيومن رايتووتش ، دارفور المدمرة ، مجلد 16 رقم 6 أ مايو 2004م.

3 - حمودي ،عبدالله ، راهن القبيلة في الوطن العربي. مجلة عمران , العدد 5\19 عام 2017م.

4 - زراولية ، فوزية ، الربيع والحرب الأهلية في افريقيا جنوب الصحراء (مع الاشارة لحالة جمهورية الكونغو الديمقراطية) ، مجلة الحقيقة، العدد 39 ، فبراير 2017م .

5 - شعيتاني ، يوسف وآخرون، الاتجاهات السائدة اثناء النزاعات وتداعياتها ، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي اسيا(الأسكوا)، العدد4 ، الأمم المتحدة- نيويورك، 6\8\2015م.

6 - عبدالله ، حارث قحطان و محمد ، أياد رشيد ، ظاهرة الحروب الأهلية في افريقيا (دراسة لنموذج دارفور)، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية ، المجلد 14، العدد4، أيار 2007م.

عنوان البحث

**المنعطف الفرجوي في المسرح: قراءة في كتاب "المسرح ودراسات الفرجة" للدكتور
خالد أمين**

حفيظة مبروك¹

¹ الطالبة الباحثة حفيظة مبروك اشراف الدكتور احمد توبة. مختبر أبحاث التكامل المعرفي في العلوم الإنسانية والاجتماعية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، جامعة الحسن الثاني، المغرب
بريد الكتروني: hafidamabrouk09@gmail.com

HNSJ, 2025, 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/3>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/68/3>

تاريخ النشر: 2025/08/01م

تاريخ القبول: 2025/07/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/07/07م

المستخلص

يحظى المسرح كما باقي الأجناس التعبيرية بالاهتمام على مستويات متعددة: أدبيا، فنيا، وإبداعيا، كما يشهد سيرورات متجددة باستمرار تستلزم مواكبة نقدية واعية ومقاربات منهجية متكاملة تجيب عن الإشكالات التي يطرحها، وتبحث في البدائل والممكنات الأدبية والفنية التي يستشرفها. تستأثر دراسات الفرجة في المسرح بجهود مفكرين ومتخصصين في الدراسات المسرحية، ويمثل كتاب " المسرح ودراسات الفرجة" للدكتور خالد أمين عملا نقديا يضاف إلى سلسلة الأعمال النقدية للباحث والتي تهتم بخطاب الفرجة في المسرح من أجل استجلاء مقوماته وتمظهراته الإبداعية والتفكير في مقارباته النقدية. تسعى القراءة التي نقدمها لكتاب " المسرح ودراسات الفرجة" للدكتور خالد أمين إلى إضاءة أسئلة عديدة تتصل بحقل دراسات الفرجة في المسرح، وإلى التلميح إلى مشروع تناسج ثقافات الفرجة كبديل نقدي يستوعب فكرة التثاقف والمثاقفة المسرحية ويتجاوزهما إلى مفاهيم من قبيل البينية الثقافية والفضاء الثالث والتناسج الثقافي، وهي مفردات نقدية تعترف بالمشارك الإنساني وتؤكد على كونية الفن المسرحي.

الكلمات المفتاحية: المنعطف الفرجوي، المثاقفة المسرحية، التناسج الثقافي، الدراماتورجيا الركحية.

RESEARCH TITLE

The Performative Turn in Theatre: A Reading of the Book *Theatre and Performance Studies* by Dr. Khalid Amine

Hafida Mabrouk¹

¹ Research Student: Hafida Mabrouk, Supervised by: Dr. Ahmed Toubia. Research Laboratory: Knowledge Integration in Human and Social Sciences. Faculty of Arts and Humanities, Mohammedia, Hassan II University, Morocco
Email: hafidamabrouk09@gmail.com

HNSJ, 2025, 6(7); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/3>

Arabic Scientific Research Identifier: <https://arsri.org/10000/68/3>

Received at 07/07/2025

Accepted at 15/07/2025

Published at 01/08/2025

Abstract

Like other expressive genres, theatre enjoys significant attention on multiple levels—literary, artistic, and creative. It undergoes constantly evolving processes that require a conscious critical engagement and integrated methodological approaches capable of addressing the issues it raises, while exploring literary and artistic alternatives and possibilities. Performance studies in theatre have attracted the efforts of scholars and specialists in theatrical studies. Dr. Khalid Amine's book *Theatre and Performance Studies* stands as a critical contribution that adds to his series of scholarly works focused on the discourse of performance in theatre, aiming to elucidate its foundations, creative manifestations, and critical approaches.

This reading of *Theatre and Performance Studies* by Dr. Khalid Amine seeks to shed light on various questions related to the field of performance studies in theatre. It also alludes to the project of "interweaving performance cultures" as a critical alternative that embraces the concepts of interculturality and transcultural exchange, while advancing toward broader notions such as cultural in-betweenness, the third space, and cultural interweaving—critical terms that acknowledge shared human experience and affirm the universality of theatrical art.

Key Words: The Performative Turn, Theatrical Interculturality, Cultural Interweaving, Stage Dramaturgy.

مقدمة:

خلف المسرح - باعتباره تجربة أدبية وفنية- رصيذا معرفيا ونقديا ساهم في ترتيبه ضمن قائمة الأجناس الأدبية وفي تجديد الممارسة الإبداعية سواء على مستوى الكتابة الدرامية أو على مستوى الكتابة الركحية. ويعتبر كتاب "فن الشعر" لأرسطو من الإسهامات التنظيرية الأولى لهذا الجنس التعبيري إذ مثل الكتاب جهدا فكريا وعملا نقديا حاول الاقتراب من جوهر الممارسة المسرحية وفهم دينامياتها من خلال استجلاء مقومات الفن المسرحي كتابة وأداء.

يبدو لنا من الطبيعي أن تتكبد البدايات النقدية على الكتابة الأدبية للمسرح مستبعدة إلى مرحلة لاحقة البحث في شعريات تحققها الفني على الخشبة. فالأمر يرتبط بتوجه منهجي يقتضي البحث في الثابت قبل المتغير، وفي الفكرة قبل الفعل؛ ولعل النص الدرامي يقع في دائرة الثابت في المسرح، وفي منطق الفكرة السابقة عن الفعل، حتى وإن تبلورت البدايات المسرحية في شكل احتفالات وطقوس وتعبير مسرحية، فكل حركة أو فعل مسرحي إنما هما استجابة وتعبير عن فكرة مكتوبة أو مرتجلة.

يشكل ما سبق أرضية لطرح مجموعة من الأسئلة: هل الدراسة النقدية الأدبية للمسرح خطوة سابقة لدراسة نقدية تبحث في العرض المسرحي باعتباره وجها ثانيا لعملة واحدة؟ هل مازالت الجهود النقدية المسرحية متشبثة بالإرث الأرسطي وتعلي من قيمة النص الدرامي على حساب العرض المسرحي؟ ما التوجهات النقدية التي ظهرت في سياق ما يعرف بمسرح ما بعد الدراما؟

تسمح لنا القراءة التي نقدمها لكتاب " المسرح ودراسات الفرجة " للدكتور خالد أمين بإضاءة جوانب مهمة قد تغيد في الإجابة عن الأسئلة المطروحة. وهذه الإفادة هي مسعى من بين مساعي أخرى نطمح إلى مقاربتها في هذه الورقة البحثية كالمنعطف الفرجوي في المسرح، والهجنة المسرحية ثم التناجس الثقافي في المشروع النقدي للدكتور خالد أمين.

يأتي كتاب " المسرح ودراسات الفرجة " للدكتور خالد أمين، الصادر عن المركز الدولي لدراسات الفرجة في طبعة أولى سنة 2011، بعد مجموعة من الأبحاث والدراسات العلمية التي أسهمت في بلورة مشروعه الفكري، والذي استلهه بكتابه الأول " ما بعد بريشت"، وامتد إلى آخر أعماله "هوامش دراسات الفرجة" الصادر سنة 2023. يظهر جليا لكل مطلع على الأعمال البحثية للناقد (المسرح والهويات الهاربة، المسرح وأسطورة الأصل، ...) أن سؤال الفرجة في العمل المسرحي يشغل اهتمامه العلمي، ذات الاهتمام توج بإنشاء المركز الدولي لدراسات الفرجة بطنجة، وبالانخراط في الأعمال البحثية في مجال دراسات الفرجة على المستوى الدولي إلى جانب الباحثة الألمانية إيريكافيشر ليشته وريتشارد شكنر وباروتشا وغيرهما من الباحثين الذين التقوا لدراسة الفرجة في العمل المسرحي. فما هي الفرجة من منظور الدكتور خالد أمين؟ وما هي المحاور النقدية التي تناولها في كتابه "المسرح ودراسات الفرجة"؟ ثم ما الآفاق البحثية للمشروع النقدي لخالد أمين والتي يمكن تبنيها في نفس الكتاب؟

1- مفهوم الفرجة بين العرض والأداء:

يشغل سؤال الفرجة مركز تفكير واهتمام الدكتور خالد أمين، خاصة مع تزايد الاهتمام بالعرض المسرحي، وبروز مدارس وتوجهات مسرحية تمردت على الشعرية الأرسطية لفك الحصار عن فرجات المسارح الأوروبية وتجاوز الأشكال الفرجوية المنمطة. وارتباطا بماهية الفرجة وإشكالياتها فإن الباحث في كتابه " المسرح ودراسات الفرجة " يعرفها من منظورين: منظور إيتيمولوجي يتتبع دلالتها في المعاجم اللغوية العربية، حيث يشير إلى أن لفظ الفرجة قد تدرج من الدلالة على " الشق بين الشئيين " كما هو وارد في الذكر الحكيم " وإذا السماء فرجت " أي تشققت وتفتطرت، إلى " انكشاف الغم

ومشاهدة ما يتسلى به"¹، وهذا المعنى الأخير هو الأقرب في التدليل على الفرجة من حيث أنها مشاهدة تهدف إلى إحداث الأثر والتأثير في المتلقي. إن استعمال لفظ الفرجة في الحقل المسرحي حاضر بقوة في الأوساط الثقافية المغاربية أكثر منها في دول المشرق؛ وقد بدأ توظيفه في المغرب مع رائد الدرس المسرحي الجامعي الدكتور حسن المنيعي.

ومن منظور نقدي، يستند الباحث في تحديد مفهوم الفرجة إلى الاجتهادات الغربية، والتي تمثلت بالخصوص في أعمال الباحثة الألمانية إيريك فيشر ليشته، والتي تعتبر الفرجة تحققاً " [...] داخل ومن خلال الحضور الجسدي لكل من الممثلين والجمهور، ذلك أن كل فرجة تستدعي مجموعتين من الناس، "الفاعلين" و"المتفرجين" يتواجدون في زمن محدد ومكان معين لأجل تقاسم موقف ما... تتبعث الفرجة من لقائهم وتفاعلهم"². وهنا يظهر الشرط الأساسي للفرجة والمتمثل في وجود مؤدي/مؤديين وجمهور لا يكون في وضع التلقي السلبي، وإنما عنصرًا مشاركًا في سيرورة الفرجة وفاعلًا في تحولاتها ومساراتها. وهذه الفاعلية التي تتم بين المؤدي والمتفرج هي ما أطلقت عليها الباحثة الألمانية المذكورة الحلقة المرتدة لتبادل الأثر، ففي الفرجة يؤثر المؤدي في المتفرج ويتأثر بدوره بهذا الأخير.

إن ارتباط الفرجة بممارسات سلوكية مشابهة كفنون الأداء، الاحتفال، الاستعراضات... يثير السؤال الإشكالي الذي يطرحه الباحث ويسهم في إضاءته: ما حدود ارتباط الفرجة بالعرض والأداء؟ وهل يمكن طرح الفرجة كبديل عن العرض والأداء؟ وهنا يوضح خالد أمين أن الفرجة مرادف للعرض المسرحي وللاداء وليس بديلاً عنهما، ذلك أن " الفرجة أشمل من الأداء والمسرح لأنها تستوعب الاثنين معا بل وتتجاوزهما لتشمل الشعائر والاحتفالات والمراسيم والسيرك والجوانب الفرجوية المتمظهرة في بعض الخطابات السياسية والدينية وبعض أشكال الاحتجاج الجماهيرية و"تيفوات" الملاعب والسلوكيات الفرجوية الشعبية من قبيل الحلقة وإيمعشارن، ورقصات أحواش وأحيدوس وبابا عيشور وبوجلود (بيلماون) وسونا"³. ولعل هذا التصور الفكري يلتقي مع الشعريات المسرحية والجهود النقدية التي أعادت صياغة مفردات الفعل المسرحي وجعلت العرض المسرحي مرادفاً للفرجة وهو ما سمح بالبحث "في السلوكيات الفرجوية الخارجة عن دائرة الممارسة المسرحية الصرفة" [...] [وأسهل في] إعادة تقييمنا لمفهوم المسرح وباقي الفنون المجاورة"⁴، وفي انفتاح هذا الأخير على الفرجات الإنسانية التي اعتبرت في تاريخ النقد المسرحي أشكالاً ما قبل مسرحية. لقد بدأ الاهتمام بالنص الدرامي يتضاءل في مقابل التركيز أكثر على العرض المسرحي، وأخذ نص الفرجة يستقطب دراسات وبحوثاً بالنظر إلى كونه نصاً شاملاً لنصوص متعددة: نص المؤلف، نص المخرج، نص السينوغراف، نص الممثل... فتأسست بذلك مراكز ومختبرات تختص بدراسات الفرجة، وانزاح المسرح عن الدراما ليفسح المجال للفرجة، وهو ما تؤكد به الباحثة ديانا تايلر Diana Taylor في معرض حديثها عن فرجات أمريكا اللاتينية [...] [حيث أبرزت] أنه بات من الضروري أن نتخلّى عن المفهوم التقليدي للمسرح وأن نعوض كلمة مسرح بالفرجة، وهي الكلمة التي تتيح لنا إمكانية إدماج كل أنواع فنون الأداء التي تركها المسرح وراءه، كما تمكنا من النظر إلى المسرح في حد ذاته من وجهة نظر نقدية"⁵.

يشهد المسرح إذا انعطافة جديدة على مستويات متعددة: الكتابة الدرامية، الكتابة الركحية والكتابة النقدية، وهو ما

¹ خالد أمين، 2011، المسرح ودراسات الفرجة، منشورات المركز الدولي لدراسات الفرجة، سلسلة دراسات الفرجة رقم 14، طنجة، ص 12.

² المرجع نفسه، ص 20.

³ خالد أمين، 2019، المسرح والهويات الهاربة رقص على حد السيف، منشورات المركز الدولي لدراسات الفرجة، سلسلة دراسات الفرجة رقم 14، طنجة، ص 15.

⁴ المرجع نفسه، ص 19

⁵ خالد أمين، نقلاً عن Diana Taylor, negotiating performance: gender, sexuality, and theatricality، المسرح والهويات الهاربة رقص على حد السيف، ص 19

بات يعرف بالمنعطف الفرجوي في المسرح، فما المقصود بالفرجوية في المسرح؟ وما هي السياقات التي أفرزت هذا التوجه الجمالي الذي لامس الإبداع المسرحي واقتحم حقل الدراسات النقدية المسرحية؟

2- المثاقفة المسرحية والمنعطف الفرجوي في المسرح:

يتناول الباحث في كتابه " المسرح ودراسات الفرجة " المثاقفة المسرحية من منظور متكامل يستحضر مختلف أبعادها. فمن ناحية أولى يشير إلى الرحلة الشرقية وانفتاح المسرح الغربي على الثقافات الشرقية، مقدما لنماذج من التجارب المسرحية الغربية التي حاولت الانفلات من حالة الحصار التي أحاطت بالفرجات المسرحية الغربية وذلك من خلال قيام بعض المسرحيين برحلات إلى الشرق لاكتشاف فرجاته ونقلها إلى المسارح الغربية، وقد مثل لذلك بتجارب غروتوفسكي، موشكين، بيتر بروك وبرتولد بريشت وغيرهم. ومن ناحية أخرى، يضيف الباحث في سياق حديثه عن المثاقفة المسرحية الرحلة الغربية التي قام بها رواد المسرح المغربي والشرقي من أجل اقتحام التقنيات المسرحية والثقافة الغربية واستدماجها في الموروث الثقافي الفرجوي وأشكاله المتعددة، مشيرا إلى التجارب المسرحية لكل من الطيب الصديقي، عز الدين المدني، عبد القادر علولة... والتي نقلت العروض الشعبية كالحلقة والقبول والحكايات إلى الأشكال المسرحية الغربية الوافدة على الثقافة العربية استجابة للذوق الثقافي للمتلقي، ولإزالة طابع الغربة ورفع عبارة الدخيل التي باتت توصف بها المسارح الغربية.

يظهر لنا من خلال ما تقدم حرص الباحث على تقويم مفهوم المثاقفة من خلال إبراز حركيته ذهابا وإيابا، فالمثاقفة من منظور الباحث هي انفتاح الغرب على الشرق والشرق على الغرب. وهي أيضا هجرة للثقافات والهويات وتداخلها بحيث يصعب تمييز بعضها عن بعض ونسبتها إلى ثقافة أصل؛ إن تضيق مفهوم المثاقفة وتوظيفه من أجل الحفاظ على مصالح المركزية الغربية واستدامة هيمنتها واستعلائها الثقافي قد أحدث يقظة فكرية، واستجلب انتقادات لاعتبارات عدة أشار خالد أمين من بينها إلى اعتبارين أساسيين: أولا تفترض المثاقفة المسرحية إمكانية عزل العناصر الفرجوية وتمييز الأصل منها والدخيل ومساهمة كل ثقافة في ثقافة الآخر، ثم ثانيا تتجه المثاقفة المسرحية في عمومها إلى التركيز على حضور العناصر غير الغربية في المسرح الغربي وليس العكس، وهي بذلك تحتفي بإنجازات المسرح الغربي وتقضي في المقابل تجارب المسارح غير الغربية وتفاعلاتها مع المسرح الغربي⁶.

إن النظرة المزدوجة التي تبناها الباحث في تناوله لموضوع المثاقفة المسرحية هي محاولة لإعادة بناء المفهوم الذي عرف " نقاشا حادا مع نهاية القرن العشرين فيما سمي بحرب مسرح المثاقفة The intercultural theatre wars تمحور بالأساس حول موضوع أنماط وأشكال وأخلاقيات المثاقفة المسرحية "⁷، وارتباطا بردود الأفعال هذه ضد المثاقفة يشير خالد أمين في مقالة له في مجلة المسرح معنونة بـ " المسرح المغربي وسياق ما بعد الاستعمار تحديات الحداثة وأفق التنازع الثقافي " إلى تحليلات الدارسين والمهتمين بقضايا المسرح لفكرة المثاقفة حيث أوضح حسن حنفي أن " المثاقفة التي يوهم الغرب بأنها تعني الحوار الثقافي والتبادل الثقافي، هي في الحقيقة تعني القضاء على الثقافات المحلية من أجل انتشار الثقافة الغربية خارج حدودها وهيمنتها على غيرها"⁸. بمعنى أن هذا الانفتاح على ثقافة الآخر كان بدافع نفعي أكثر مما هو قبول بالآخر وانفتاح على ثقافته، بالرغم من التفاعلات وعلاقات التأثير والتأثر التي أحدثها فعل التنازع.

⁶ خالد أمين، 2011، المسرح ودراسات الفرجة، منشورات المركز الدولي لدراسات الفرجة، سلسلة دراسات الفرجة رقم 14، طنجة، ص ص 27-28.

⁷ خالد أمين، المسرح المغربي وسياق ما بعد الاستعمار تحديات الحداثة وأفق التنازع الثقافي، مجلة المسرح، نونبر 2013، دائرة الثقافة والإعلام إدارة المسرح الشارقة، ص 152.

⁸ المرجع نفسه، ص 153.

يظهر لنا أن مفهوم الميثاقية الذي يعني حوار الثقافات والتبادل الثقافي يستوعبه الدكتور خالد أمين ويتجاوز إلى مفاهيم من قبيل البينية الثقافية والتناسج الثقافي والفضاء الثالث الذي قدمه هومي بابا والذي يجعل من فعل التأثير والتأثر بثقافات الآخر أثراً ثقافياً جديداً يتأسس على الحدود الفاصلة بين ثقافتين، وبذلك لا يخضع لمنطق ثقافة الأصل أو ثقافة التابع، مثلاً لا يعلي من ثقافة ويهمش من أخرى. لكن السؤال الذي يتبادر إلى أذهاننا هو سؤال العلاقة التي تربط الميثاقية المسرحية بحقل دراسات الفرجة؟ ولماذا أثار الدكتور خالد أمين في كتابه مسألة الميثاقية المسرحية؟ إننا نجد الإجابة عن هذين السؤالين في أن المنعطف الفرجوي وظهور الاهتمام المتزايد بالفرجة المسرحية، إنما ترتب عن فعل الميثاقية في المسرح وما رافقه من بحث عن أشكال فرجوية جديدة لبعث الحياة في المسرح وإخراجه من حالة الضيق التي صاحبت المسارح الغربية وغير الغربية.

لقد دشنت الميثاقية المسرحية الخطوات الأولى لانزياح المسرح عن الشعرية الأرسطية، حيث وجهت أنظار المهتمين بالمسرح من مؤلفين ومخرجين ونقاد إلى الأثر الفني للدراما، وإلى الفرجة الحية والمباشرة باعتبارها الشكل المكتمل والمكمل للفن المسرحي. وبذلك فقد شكلت بداية الثورة على النص الدرامي، وإعادة ترتيب عناصر الفعل المسرحي وأسهمت في بروز ما يسمى بالمنعطف الفرجوي في المسرح.

إن المنعطف الفرجوي في المسرح لا يعني محو للنص الدرامي أو تعطيلاً لفاعليته، وإنما تعميق النظر وإعمال الفكر في إمكانات صناعة الفرجة وتلقيها، وكذلك صياغة حساسيات مسرحية جديدة تمكن من الانخراط في التغيرات التي تشهدها الإنسانية إن على المستوى العالمي أو المجتمعي. وهنا يشير خالد أمين إلى ما يلي: "ما أسميه بالمنعطف الفرجوي هو انفلات تجريبي آخر يبحث عن طرائق بديلة لصناعة الفرجة وعن منظور جديد لتلقيها، ذلك أن المسرح في نشأة مستمرة، ويتوفر على قابلية داخلية للتجاوز وإعادة البناء انطلاقاً من تفاعله مع محيطه والإبستيميات المتحركة في إنتاجه وتروجه"⁹. إنها دراماتورجيا ركحية جديدة أخذت تشق مسارها عبر التجريب لتؤسس لشعرية الفرجة في المسرح، وهو ما أوضحه الباحث من خلال رصده للدراماتورجيات المغايرة في المسرح العربي في كل من لبنان وتونس والمغرب. إلا أن سؤال النص الدرامي وموقعه في الإنتاجات المسرحية لما بعد الدراما يظل حاضراً في تفكير الباحث، وهو لذلك يؤكد أن النص الدرامي بنية لا محيد عنها في صناعة الفرجة المسرحية إلا أنه لا يتعدى كونه جزءاً من عناصر مسرحية أخرى يكون فيها للإخراج والسينوغرافيا وأداء الممثل كلمة الفصل في رسم معالم العرض المسرحي، هذا الأخير يستوعب النص الدرامي ويتجاوز إلى آفاق فرجوية تتحقق هنا والآن، فالدراما بحسب تعبير الباحث "تناصية بشكل قطعي، طالما أنها تقترب بوسيط آخر هو الوسيط البصري متمثلاً في نص الفرجة الحية"¹⁰ وهي تظل غير مكتملة فنياً ودلالياً وتحفز على المشاهدة العينية والإخراج المسرحي.

يتبين لنا مما سبق، أن الرهان الحقيقي لمسرح ما بعد الدراما هو الفرجة المسرحية، وأن التوجهات النقدية الحديثة قد انصبّت على دراسة الفرجة وشروط تحققها، وكذلك على استجلاء قيمتها الثقافية والإنسانية، وهو ما سنحاول مقارنته في المحور التالي والذي يحاول الاقتراب من حقل دراسات الفرجة، وإضاءة جوانب مهمة من المشروع النقدي للدكتور خالد أمين والمتمثل في تناسج ثقافات الفرجة.

⁹ خالد أمين، 2011، المسرح ودراسات الفرجة، منشورات المركز الدولي لدراسات الفرجة، سلسلة دراسات الفرجة رقم 14، طنجة، ص 60.

¹⁰ المسرح ودراسات الفرجة، منشورات المركز الدولي لدراسات الفرجة، سلسلة دراسات الفرجة رقم 14، طنجة، ص 85.

3- دراسات الفرجة ومشروع تناسج ثقافات الفرجة:

لقد أعادت الميثاقية المسرحية إلى الواجهة سؤال المسرح وماهيته، وخلخت الترتيبات المسرحية التي أسست لها الشعرية الأرسطية. فظهرت الفرجة كمنطلق الفعل المسرحي ومنتهاه، وغدا نص الفرجة نصا مهيمنا وشاملا لكل النصوص التي تكتب للمسرح بدءا من نص الكاتب وانتهاء بنص المنقرج. إن الظرفية المسرحية المعاصرة تشهد انعطافا فرجوية استلزم معها تجنيد آليات الكتابة والإبداع والنقد لمسيرة التغييرات التي تمس المسرح، والبحث عن فاعليات جديدة لمقاربة التوجهات الطارئة مواكبة وتأطيرا ودراسة وتحليلا، و" بنفس قوة هذا المنعطف الفرجوي، برز النقد المسرحي في المغرب والمشرق آنذاك في مستوى الحدث، إذ من خلال الكتاب المؤسس لحقل دراسات الفرجة بالمغرب لأستاذ الأجيال الدكتور حسن المنيعي الموسوم بـ"أبحاث في المسرح المغربي" واكب النقد المسرحي المغربي ذلك المنعطف الفرجوي بل أسس لنفسه منعطفا نقديا موازيا يجمع بين مقاربة الإبداع وتوجيه مساراته"¹¹. وهذا الجهد الفكري الذي أسس له الدكتور حسن المنيعي قد تواصل في المغرب مع جهود نقاد ومهتمين بحقل الدراسات المسرحية، وفي أعلى القائمة الجهود العلمية للدكتور خالد أمين ومشروعه النقدي. لقد تبلورت الإسهامات العلمية للباحث وطنيا بتأسيس المركز الدولي لدراسات الفرجة بطنجة الذي يحتضن سنويا مهرجانا دوليا ينعت بمهرجان طنجة الدولي للفنون المشهدية يستقطب مفكرين وباحثين مغاربة وأجانب يشتغلون بحقل دراسات الفرجة، ويلتقون خلال أربعة أيام متتالية من كل سنة لمشاهدة عروض مسرحية والاحتفاء بإصدارات المركز وإنجاز قراءات في كتب وأعمال مسرحية ثم الانشغال بندوات علمية وفكرية تهتم بقضايا الفرجة وما يستجد فيها على المستوى العالمي.

أما المشروع النقدي لخالد أمين فينصب بالأساس على دراسة الفرجة المسرحية، مستفيدا من التراكمات النقدية المتحصلة، ومنشغلا بتحرير الفرجات المسرحية من الخطابات التي تجعل المسرح في دوائر ضيقة تستجيب لطموحات ذاتية متمركزة على جغرافيات معينة وثقافات محددة، داعما بذلك الرؤية الإنسانية والكونية للمسرح التي تجعل منه ومن موضوعاته ومن أداءات الممثل وتعبيراته مشتركا ثقافيا وملكا إنسانيا للعالم دون إقصاء ولا تهميش. فلا أرقى من المسرح في التعبير عن الوجود الإنساني وهو " الفن الأسمى لتفاعل الثقافات فيما بينها عبر ترويج الإنتاجات العالمية وخصوصا من خلال جسد الممثل الذي يلعب دورا هاما في العمل المسرحي إلى جانب المخرج الذي يتكفل بصناعة الفرجة"¹². فما هو المشروع النقدي الذي يتبناه خالد أمين وما هي فلسفته وتصوراته الفكرية؟

يقول الدكتور خالد أمين: " لقد انطلقنا في مشروعنا النقدي منذ ما يزيد عن العشر سنوات من الهجنة المسرحية، وركزنا بالأساس على فرجات التابع وكيفية اختراق النموذج المسرحي الغربي في نفس الوقت الذي يتم فيه استنساخه، أو تبنيه. فهذا الاختراق يشكل في حد ذاته حجر الزاوية لتأسيس الاختلاف المسرحي للتابع. الآن، مفهومنا للهجنة المسرحية أصبح يطرح بعض الالتباسات، لذلك أقبلنا على تجاوزه. لقد تعمدا اختيار مفهوم آخر وهو تناسج الثقافات المسرحية لإحالاته على النسيج والأهم من هذا هو ازدواجية وظيفته التي تعمل على مستويين: 1- كثير من الخيوط الحريرية تلتئم في ضفيرة واحدة، كما تنسج هذه الضفائر بدورها لتشكّل قطعة ثوب. 2- بنفس التشابك المعقد، تتناسج الثقافات المسرحية فيما بينها بحيث يصعب عزل عناصر بعينها عن أخرى، ذلك أنها تخضع لمنطق التحول التاريخي، الجمالي والفضائي أيضا، وبالتالي تكون مشرعة على إبداع فضاءات ثالثة"¹³.

يرى الدكتور خالد أمين أن العمل المسرحي نسيج يسمح بتداخل وتشابك نصوص متعددة وثقافات مختلفة من أجل بنية عمل فني ليس بهذا ولا ذاك وإنما يقع في فضاءات بينية منتجة. لقد استلهم خالد أمين فكرة التناسج، كما يشير إلى

¹¹ خالد أمين، 2011، المسرح ودراسات الفرجة، منشورات المركز الدولي لدراسات الفرجة، سلسلة دراسات الفرجة رقم 14، طنجة، ص 61

¹² خالد أمين، نقلا عن حسن المنيعي، المسرح الحديث، المسرح ودراسات الفرجة، منشورات المركز الدولي لدراسات الفرجة، سلسلة دراسات الفرجة رقم 14، طنجة، ص 63.

¹³ المسرح ودراسات الفرجة، منشورات المركز الدولي لدراسات الفرجة، سلسلة دراسات الفرجة رقم 14، طنجة، ص 35.

ذلك في أحد أعماله، من سوق الغزل المغربي ومن عملية النسيج التي تتم بمواد مختلفة وتقنيات متعددة تقضي إلى منتج فني موحد تتفاعل مكوناته وتتكامل أجزاؤه في تركيبة واحدة يصعب عزل عناصرها وتمييز بعضها عن بعض. وهو كذلك يحيل على التعريف الجامع المانع الذي وضعه الجاحظ للشعر بقوله "الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير". ألم يكن المسرح فنا من فنون الشعر؟ وبذلك فمفهوم التناسج الثقافي في صناعة الفرجة المسرحية الذي اختاره الباحث يتجاوز المفاهيم النقدية من قبيل المثاقفة والتثاقف وحوار الثقافات والتبادل الثقافي والهجنة الثقافية التي تظل مفاهيم سطحية تخدم مطامح وسياسات ثقافية. وتلتقي في مقابل ذلك مع المفاهيم من قبيل البينية الثقافية والفضاء الثالث والهويات الهاربة والفكر العابر للحدود وهي مدونة نقدية يوظفها الباحث بالموازاة مع فكرة التناسج الثقافي.

لا تمحي الثقافات المتناسجة الاختلاف، بل يظل هذا الأخير قائما مهما اقتربت المسافات واختزلت المعارف. إن ما يتولد عن التناسج الثقافي هو التجربة الجمالية الجديدة التي قد تصبح مستقبلا واقعا حقيقيا وطبيعيا لمتلقيها، بفعل سيورورات التأثير والتأثر التي يخضع لها الفاعلون في الفرجة والمشاركون فيها، وهو نفس الأمر الذي تؤكد إيريكا فيشر ليشته " لا يعني تناسج الثقافات داخل الفرجة محو الاختلافات القائمة أو تدميرها. بدلا من ذلك، ونظرا للحالات المتعددة للمابينية [...] فالفرجات هي أنسب مواقع حوار الثقافات المختلفة، وتكون النتيجة لهذا اللقاء تناسج ثقافات مغايرة في أفق إنتاج شيء جديد تماما ومختلف. إن حالة المابينية التي ينقل إليها المشاركون تصبح هدفا في حد ذاتها، فما ينظر إليه هنا من حيث هو تجربة جمالية سوف ينتقل إلى الحياة اليومية في المستقبل"¹⁴.

وإذا كان الدكتور خالد أمين قد ألمح إلى مشروعه النقدي في كتاب "المسرح ودراسات الفرجة" بشكل موجز يتجاوز بسطور قليلة الصفحة الواحدة؛ فإن الفصول والمباحث التي تضمنها الكتاب (إشكالية التسمية فن الأداء/ فرجة، ما بينية دراسات الفرجة، فرجة الحلقة وحلقة تبادل الأثر، الدراماتورجيا الركحية في المسرح العربي المعاصر أو أسئلة ما بعد الدراما، محمد قاوتي ورهانات الاستنبات المسرحي.....) قد شكلت أرضية نقدية لتبرير قناعات الباحث واختياره النقدي، الذي لا يقطع الصلة مع المثاقفة المسرحية وإنما يتجاوزها إلى فضاءات نقدية أرحب تدشن لفكرة التناسج الثقافي، هذا الأخير يظل مشروعا نقديا يتطلب ترسانة مفاهيمية وعدة إجرائية تواكب الإبداعات المسرحية وتوجه مساراتها.

المراجع المعتمدة:

- أمين خالد، 2011، المسرح ودراسات الفرجة، طنجة، منشورات المركز الدولي لدراسات الفرجة، سلسلة دراسات الفرجة رقم 14.
- أمين خالد، 2022، الطبعة الثالثة، الفن المسرحي وأسطورة الأصل مساحات الصمت، طنجة، منشورات المركز الدولي لدراسات الفرجة، سلسلة دراسات الفرجة رقم 69.
- أمين خالد، 2019، المسرح والهويات الهاربة رقص على حد السيف، طنجة، منشورات المركز الدولي لدراسات الفرجة، سلسلة دراسات الفرجة رقم 63.
- مجموعة من المؤلفين، 2013، تحولات الفرجة فرجة التحولات، طنجة، منشورات المركز الدولي لدراسات الفرجة، سلسلة دراسات الفرجة رقم 21.
- فيشر ليشته إيريكا، ترجمة وتقديم أمين خالد، 2016، طنجة، من مسرح المثاقفة إلى تناسج ثقافات الفرجة، منشورات المركز الدولي لدراسات الفرجة، سلسلة دراسات الفرجة رقم 42.
- مجلة المسرح، نونبر 2013، دائرة الثقافة والإعلام -إدارة المسرح-، الشارقة.

¹⁴ إيريكا فيشر ليشته، ترجمة وتعليق خالد أمين، تناسج الثقافات داخل الفرجة حالات مختلفة للوجود البيئي، ضمن مؤلف جماعي تحولات الفرجة فرجة

التحولات، منشورات المركز الدولي لدراسات الفرجة، سلسلة دراسات الفرجة رقم 21، طنجة، ص 32.

عنوان البحث

إدارة الأداء الوظيفي في ظل الأزمات المالية في القطاع المصرفي بإقليم النيل الأزرق
دراسة حالة بنك الادخار فرع الدمازين في الفترة من (2024 - 2025)

د. محمد إدريس الماحي حبيب¹، د. عبد المنعم حسن حسين²

¹ الأستاذ المساعد، بقسم إدارة الأعمال، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية والاجتماعية، جامعة النيل الأزرق، السودان.

بريد الكتروني: Memahy@uobn.edu.sd Memahy38@gmail.com

² الأستاذ المساعد، بقسم المحاسبة، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية والاجتماعية، جامعة النيل الأزرق، السودان.

HNSJ, 2025, 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/4>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/68/4>

تاريخ النشر: 2025/08/01م

تاريخ القبول: 2025/07/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/07/07م

المستخلص

تشهد المؤسسات الخدمية والمالية والمصرفية في السودان وفي إقليم النيل الأزرق بصورة خاصة تحديات متزايدة في إدارة الأداء الوظيفي نتيجة الضغوط المالية والاقتصادية المتكررة، لا سيما في القطاع المصرفي بإقليم النيل الأزرق عينة منهم بنك الادخار. هدفت هذه الدراسة إلى تقويم واقع إدارة الأداء في ظل الأزمات المالية، من خلال دراسة ميدانية على بنك الادخار فرع الدمازين في الفترة من (2024-2025م). استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، بالاعتماد على استبيان كمي وزّع على عينة مكونة من (100) موظف. أظهرت النتائج أن الأداء الوظيفي يعاني من تراجع ملحوظ بسبب تدني الحوافز، وتأخر الرواتب، وتقلص بيئة العمل المناسبة، بينما كانت استجابة الإدارة للأزمة ضعيفة وغير كافية. كما لم تُظهر النتائج فروقاً ذات دلالة إحصائية بين الجنسين، بينما ظهرت فروق بين الفئات الوظيفية. أوصى الباحث بضرورة تحديث نظام تقييم الأداء وتفعيل أدوات تحفيز بديلة تراعي واقع الأزمة.

الكلمات المفتاحية: الأداء الوظيفي، الأزمات المالية، القطاع المصرفي، إقليم النيل الأزرق، بنك الادخار.

RESEARCH TITLE**Job Performance Management Amid Financial Crises in the Banking Sector in the Blue Nile Region: A Case Study of the Savings Bank, Damazin Branch, During the Period (2024–2025)****Abstract**

Service, financial, and banking institutions in Sudan—and particularly in the Blue Nile Region—are experiencing increasing challenges in managing job performance due to recurring financial and economic pressures, especially within the banking sector, as exemplified by the Savings Bank. This study aimed to assess the reality of performance management amid financial crises through a field study conducted at the Savings Bank, Damazin Branch, during the period (2024–2025). The study adopted a descriptive analytical approach, relying on a quantitative questionnaire distributed to a sample of 100 employees. The results indicated a noticeable decline in job performance due to low incentives, delayed salaries, and the shrinking of a conducive work environment, while the management's response to the crisis was weak and insufficient. Additionally, the findings showed no statistically significant differences between genders, whereas differences did appear among job categories. The researcher recommended updating the performance evaluation system and activating alternative incentive tools that reflect the crisis reality.

Key Words: Job performance, financial crises, banking sector, Blue Nile Region, Savings Bank.

أولاً: الاطار العام لدراسة

1/ المقدمة

تُعد إدارة الأداء الوظيفي من أهم أدوات الإدارة الحديثة التي تستخدمها المؤسسات لتحقيق أهدافها الاستراتيجية، ورفع كفاءة موظفيها، وتحسين جودة خدماتها. وتزداد هذه الأهمية في المؤسسات المصرفية الحكومية والتجارية التي تقدم خدمات أساسية للمواطنين، مثل الخدمات المصرفية، والتي تعتمد بدرجة كبيرة على كفاءة العنصر البشري لضمان استمرارية الخدمات ورضا المستفيدين (أحمد، 2019؛ يوسف، 2020). في السياق السوداني، تواجه البلاد منذ أكثر من عقد من الزمن تحديات مالية واقتصادية متفاقمة، تمثلت في ارتفاع معدلات التضخم، تراجع قيمة العملة، ضعف الموارد العامة، والعقوبات الدولية واشتعال الحرب في كل أقاليم السودان وتدمير المؤسسات الحيوية والسيادة وانتقال العاصمة الي الإقليم الشرقي بمدينة بورتسودان ولم تسلم من حرب المسيرات التي تستهدف المؤسسات الحيوية والضرورية وتراجع الصادر في كل المجالات، مما أدى إلى تقليص الإنفاق الحكومي على القطاعات الخدمية، وتأثير مباشر على البيئة الإدارية والتنظيمية داخل المؤسسات العامة (عمر، 2021).

ويُعد قطاع المصارف من أكثر القطاعات تأثراً بالأزمات، نظراً لاعتماده الكبير على التمويل الحكومي عبر بنك السودان المركزي في توفير السيولة والكاش، والرقابة علي عملية التشغيلية، وضمان استمرارية الخدمة. ففي ظل ضغط العمل وتكدس المواطنين في البحث عن الكاش وشح الموارد وتأخر الرواتب ونقص المعدات، أصبح من الصعب على العاملين تقديم أداء مستقر ومنظم (Papadopoulos, 2021)؛ (Jones & Cooper, 2017) كما أن نظم تقييم الأداء الوظيفي في هذه المؤسسات لم تُحدَّث لتستوعب المتغيرات التي تفرضها البيئة الاقتصادية والمالية الطارئة، مما أدى إلى فجوة بين الجهد الفعلي للعاملين والتقييمات الإدارية الرسمية. (Behn, 2003)

2/ مشكلة الدراسة

تتمثل مشكلة الدراسة في ضعف إدارة الأداء الوظيفي في بنك الادخار بإقليم النيل الأزرق في ظل الأزمات المالية، مما يؤثر على قدرة البنك على تقديم خدماته بفعالية وكفاءة. وتشمل المشكلة عدة جوانب، منها، يعاني البنك من نقص في الكفاءات البشرية المؤهلة والمدرّبة، مما يؤثر على جودة الخدمات المصرفية المقدمة. ولا يتم تقييم أداء الموظفين بشكل دوري ومنهجي، مما يؤدي إلى عدم تحديد نقاط القوة والضعف في الأداء الوظيفي. عدم وجود برامج تدريبية وتطويرية كافية للموظفين، مما يؤثر على قدرتهم على التعامل مع التحديات المالية والازمات الاقتصادية. لا توجد آليات كافية لتحفيز الموظفين على تحسين أدائهم الوظيفي، مما يؤثر على الرضا الوظيفي والإنتاجية. وفي ظل هذه الإشكالية، تتمثل مشكلة الدراسة في التساؤل إلى أي مدى تؤثر الأزمات المالية على إدارة الأداء الوظيفي في هيئة مياه الشرب بإقليم النيل الأزرق؟ من خلال حل مشكلة إدارة الأداء الوظيفي في بنك الادخار بإقليم النيل الأزرق، يمكن تحسين جودة الخدمات المصرفية المقدمة للعملاء وتعزيز قدرة البنك على مواجهة التحديات المالية والازمات الاقتصادية.

3/ أهداف الدراسة

ومن هذه المشكلة تنبثق أهداف الدراسة المتمثلة في :

1. تحليل واقع إدارة الأداء الوظيفي في الهيئة محل الدراسة.
2. قياس تأثير الأزمات الاقتصادية على أداء العاملين.
3. تقييم فاعلية الاستجابة الإدارية في ظل الظروف الطارئة.
4. اقتراح سبل تطوير نظم الأداء بما يتناسب مع البيئة الاقتصادية والمالية الراهنة.

4/ أسئلة الدراسة

كما تحاول الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما طبيعة نظام تقييم الأداء المتبع في القطاع المصرفي؟
- كيف أثرت الأزمات المالية على كفاءة وفعالية الأداء الوظيفي؟
- ما التحديات التي تواجه الإدارة في تحفيز العاملين والحفاظ على استقرار الأداء؟
- ما التصورات المستقبلية لتطوير الأداء في ظل استمرار الأزمات المالية؟

5/ فرضيات الدراسة

الفرضية الرئيسية: توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين إدارة الأداء الوظيفي ونجاح المصارف في التعامل مع الأزمات المالية في إقليم النيل الأزرق.

الفرضيات الفرعية

1. توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين تحديد الأهداف الوظيفية بوضوح ونجاح المصارف في التعامل مع الأزمات المالية.
2. توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين تقييم الأداء الوظيفي بانتظام ونجاح المصارف في التعامل مع الأزمات المالية في بنك الادخار.
3. توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين تدريب وتطوير الموظفين ونجاح المصارف في التعامل مع الأزمات المالية في بنك الادخار.
4. توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين تحفيز الموظفين ونجاح المصارف في التعامل مع الأزمات المالية في بنك الادخار.

6/ أهمية الدراسة

وتكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تسلط الضوء على قطاع حيوي من القطاعات الخدمية في السودان إقليم النيل الأزرق، وتقدم تحليلاً تطبيقياً لحالة فعلية، يمكن البناء عليها في تطوير السياسات المؤسسية المرتبطة بالأداء أثناء الأزمات. أما من حيث الحدود، فإن الدراسة تتركز:

7/ حدود الدراسة

- زمانياً: في الفترة ما بين 2024-2025 وهي فترة شدة الأزمات.
- مكانياً: في القطاع المصرفي بإقليم النيل الأزرق ببنك الادخار.
- موضوعياً: في إدارة الأداء الوظيفي وتأثير الأزمات المالية عليه.
- الحدود البشرية: العاملين ببنك الادخار بإقليم النيل الأزرق

8/ المنهجية الدراسة

اعتمدت الدراسة على المنهج الكمي بوصفه الأنسب لقياس العلاقات بين المتغيرات، وتحليلها إحصائيًا، وذلك من خلال استخدام أداة الاستبيان المغلق الذي صُمم لقياس آراء الموظفين حول محاور الأداء وتأثره بالظروف الاقتصادية والمالية.

9/ الدراسات السابقة

شهدت السنوات الأخيرة اهتمامًا متزايدًا بموضوع إدارة الأداء الوظيفي، خاصة في ظل ما تواجهه المؤسسات من تحديات اقتصادية والمالية وهيكلية تؤثر على فعالية إدارتها ومواردها البشرية. وتأتي هذه الدراسة امتدادًا لأدبيات متعددة تناولت العلاقة بين الأزمات المالية ومستوى أداء العاملين في المؤسسات المصرفية والخدمية، سواء في السياق العربي أو العالمي أو المحلي. نستعرض فيما يلي أبرز هذه الدراسات ذات الصلة:

دراسة أحمد (2020)

هدفت دراسة أحمد (2020) إلى استكشاف تأثير إدارة الأداء الوظيفي على نجاح المصارف في التعامل مع الأزمات المالية. توصلت الدراسة إلى أن هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين إدارة الأداء الوظيفي ونجاح المصارف في التعامل مع الأزمات المالية.

دراسة محمد (2019)

بحثت دراسة محمد (2019) في دور تقييم الأداء الوظيفي في تعزيز قدرة المصارف على مواجهة الأزمات المالية. وجدت الدراسة أن تقييم الأداء الوظيفي بانتظام يساهم في تحسين أداء الموظفين وزيادة قدرة المصارف على التعامل مع الأزمات المالية.

دراسة عبد الله (2018)

هدفت دراسة عبد الله (2018) إلى دراسة تأثير تدريب وتطوير الموظفين على نجاح المصارف في التعامل مع الأزمات المالية. توصلت الدراسة إلى أن تدريب وتطوير الموظفين يلعب دورًا حاسمًا في تعزيز قدرة المصارف على مواجهة الأزمات المالية.

أجرى العضيلة (2020) دراسة ميدانية على شركة الكهرباء الوطنية في الأردن، هدفت إلى قياس مدى تأثير أداء الموظفين بالأزمة المالية التي مرت بها البلاد. وقد كشفت الدراسة أن ضعف الحوافز وتجميد الترقيات وتقليص ساعات العمل أدى إلى انخفاض واضح في كفاءة الأداء الوظيفي، بالإضافة إلى تراجع مستوى الالتزام الوظيفي لدى العاملين.

وفي السودان، تناولت دراسة عمر (2021) أداء الموظفين في وزارة المياه خلال الأزمة الاقتصادية والمالية المتصاعدة. أظهرت النتائج أن نظام تقييم الأداء يفقر إلى المرونة والتكيف مع الواقع الاقتصادي المتغير، كما أن العاملين لم يتلقوا تغذية راجعة كافية، مما أدى إلى ضعف في التحفيز وانخفاض مستوى الإنجاز المؤسسي. أما في لبنان، فقد استعرضت سليم (2022) واقع مؤسسة مياه بيروت خلال أزمة العملة والتمويل، حيث بينت الدراسة أن الأداء المؤسسي تأثر بشدة نتيجة انخفاض التمويل وتأخر الرواتب وتراجع بيئة العمل، بالإضافة إلى غياب خطط استباقية لإدارة الأزمات داخل المؤسسة، وهو ما تسبب في تدني جودة الخدمة وتكرار الأعطال الفنية دون استجابة فورية.

دراسات أجنبية

من جانب آخر، قدمت (Papadopoulos (2021 دراسة حالة حول شركة مياه أثينا (EYDAP) خلال الأزمة المالية اليونانية، حيث رصدت تراجعاً ملموساً في الالتزام الوظيفي، وزيادة في معدل التغيب، كنتيجة مباشرة لتخفيض الموارد البشرية وتقليص الإنفاق التشغيلي. كما بينت الدراسة أن إدارة الأداء في تلك المرحلة تحولت من أداة تطوير إلى أداة رقابة فقط.

أما دراسة (Jones & Cooper (2017 فقد تناولت تأثير أزمة 2008 المالية على أداء شركات المياه والكهرباء في المملكة المتحدة، مشيرة إلى أن المؤسسات اضطرت إلى إعادة تصميم مؤشرات الأداء لتتناسب مع بيئة التقشف، حيث أصبح التركيز منصّباً على الاستدامة المالية والكفاءة التشغيلية، أكثر من التطوير المهني أو التحسين المستمر.

مناقشة الدراسات السابقة

تؤكد الدراسات السابقة على الأهمية الكبيرة لإدارة الأداء الوظيفي في نجاح المصارف في التعامل مع الأزمات المالية. يمكن تلخيص النقاط الرئيسية على النحو التالي:

- أظهرت الدراسات أن إدارة الأداء الوظيفي تلعب دوراً حاسماً في نجاح المصارف في التعامل مع الأزمات المالية.
- وجدت الدراسات أن تقييم الأداء الوظيفي بانتظام يساهم في تحسين أداء الموظفين وزيادة قدرة المصارف على التعامل مع الأزمات المالية.
- توصلت الدراسات إلى أن تدريب وتطوير الموظفين يلعب دوراً حاسماً في تعزيز قدرة المصارف على مواجهة الأزمات المالية.
- ربطت الدراسات السابقة بدراسة إدارة الأداء الوظيفي في ظل الأزمات المالية في المصارف بإقليم النيل الأزرق
- يمكن ربط الدراسات السابقة بدراسة إدارة الأداء الوظيفي في ظل الأزمات المالية في المصارف بإقليم النيل الأزرق من خلال:
- يمكن تطبيق استراتيجيات إدارة الأداء الوظيفي التي تم اختبارها في الدراسات السابقة في المصارف بإقليم النيل الأزرق.
- يمكن تقييم أثر إدارة الأداء الوظيفي على نجاح المصارف في التعامل مع الأزمات المالية في إقليم النيل الأزرق.
- يمكن تطوير استراتيجيات إدارة الأداء الوظيفي التي تتناسب مع احتياجات وخصائص المصارف في إقليم النيل الأزرق.

من خلال ربط الدراسات السابقة بدراسة إدارة الأداء الوظيفي في ظل الأزمات المالية في المصارف بإقليم النيل الأزرق، يمكن تعزيز فهم تأثير إدارة الأداء الوظيفي على نجاح المصارف في التعامل مع الأزمات المالية وتطوير استراتيجيات فعالة لتحسين الأداء.

خلاصة

يتضح من استعراض الدراسات السابقة أن الأزمات المالية تؤثر بشكل مباشر على منظومات الأداء الوظيفي في المؤسسات، خاصة في القطاعات الخدمية ذات الحساسية المجتمعية مثل المياه والكهرباء والخدمات المالية والمصرفية. كما أن نجاح المؤسسات في تجاوز هذه التأثيرات مرتبط بقدرتها على إعادة هيكلة نظام التقييم، وتوفير دعم معنوي ومادي، وتمكين الموظفين من التكيف مع المتغيرات الاقتصادية. وهذا ما تسعى هذه الدراسة إلى اختباره في القطاع المصرفي بإقليم النيل الأزرق دراسة حالة بنك الادخار.

ثانياً: الإطار النظري والمفاهيمي

1/ مفهوم الأداء الوظيفي:

يُعد الأداء الوظيفي من المفاهيم المركزية في علم الإدارة، ويُقصد به مدى التزام الموظف بواجباته ومهامه الوظيفية وفقاً لمتطلبات الوظيفة والمعايير التنظيمية المحددة مسبقاً (Armstrong, 2020). ويرتبط الأداء الوظيفي بكفاءة العامل، إنتاجيته، دقة تنفيذه للمهام، ومستوى سلوكه المهني داخل المؤسسة.

وقد صنف الباحثون الأداء الوظيفي إلى عدة أنواع:

1. الأداء الفني (Technical Performance): يتعلق بجودة تنفيذ المهام الفنية أو التشغيلية.
2. الأداء السلوكي (Behavioral Performance): يرتبط بالسلوك الوظيفي كالتعاون والانضباط والاتصال الفعال.
3. الأداء التنظيمي (Organizational Citizenship): يشير إلى مساهمات الموظف خارج نطاق المهام الرسمية (مثل التطوع، الدعم المعنوي للزملاء).

أما مؤشرات الأداء فتتضمن عادة:

- معدل الإنجاز الشهري
- الالتزام بالحضور والانضباط
- عدد الأخطاء أو الشكاوى
- التقييم الدوري من المديرين
- جودة العمل ومستوى الرضا الداخلي والخارجي

2/ مفهوم الأزمات المالية والاقتصادية وتأثيرها المؤسسي

تُعرف الأزمة الاقتصادية بأنها اضطراب حاد ومفاجئ في النشاط الاقتصادي يؤدي إلى تراجع معدلات النمو، وارتفاع نسب البطالة، وانخفاض الإيرادات العامة، وتضخم الأسعار وتراجع القوة الشرائية (OECD, 2010). وغالباً ما ترتبط هذه الأزمات بتحديات في التمويل العام، وعدم استقرار السياسات النقدية والمالية، إضافة إلى تقلبات في الأسواق العالمية.

وتؤثر الأزمات المالية على المؤسسات الحكومية من عدة جوانب:

- تقليص الميزانيات التشغيلية والاستثمارية
- تجميد التعيينات والترقيات
- انخفاض الحوافز والمكافآت
- ضعف قدرة المؤسسة على صيانة أصولها أو تطوير بنيتها التحتية
- زيادة العبء الوظيفي مع تقليل عدد الموظفين

في المؤسسات الخدمية - وعلى رأسها قطاع المياه - يكون تأثير الأزمات أكثر حدة نتيجة ارتباط الخدمة المباشر بحياة المواطن اليومية، والاعتماد على الموارد العامة في التشغيل والصيانة.

العلاقة المفترضة بين الأداء الوظيفي والأزمات المالية

تقتض هذه الدراسة وجود علاقة سلبية بين الأزمات المالية والأداء الوظيفي، حيث إن اشتداد الأزمات يؤدي إلى انخفاض الموارد المتاحة، وتدهور ظروف العمل، مما ينعكس سلباً على إنتاجية الموظف، ورضاه الوظيفي، والتزامه المؤسسي. ومن هذا المنطلق، تسعى الدراسة لاختبار الفرضيات التالية:

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الأداء الوظيفي تعزى لتأثير الأزمات المالية في المصارف التجارية والحكومية بإقليم النيل الأزرق.
- تتأثر مؤشرات الأداء (مثل الانضباط، الإنتاجية، الالتزام) سلباً عند تدهور الظروف المالية والاقتصادية.
- قدرة الإدارة على التكيف مع الأزمة تلعب دوراً وسيطاً في تخفيف هذا التأثير

النظريات الداعمة: تعتمد الدراسة على إطارين نظريين:

أ/ نظرية الموارد (Resource-Based View (RBV

تقتض أن الأداء المؤسسي يعتمد على توافر واستخدام الموارد النادرة وغير القابلة للاستنساخ مثل رأس المال البشري والمعرفة التنظيمية. وفي حال تراجع الموارد بسبب الأزمات، يتأثر الأداء بشكل مباشر. (Barney, 1991)

ب/ نظرية إدارة الأزمات Crisis Management Theory

تركز على قدرة المؤسسة على التنبؤ بالأزمات، والتخطيط للتعامل معها، والاستجابة الاستراتيجية لاحتوائها. تشير النظرية إلى أن المؤسسات ذات الجاهزية التنظيمية العالية تستطيع الحفاظ على أدائها حتى في ظل الظروف الطارئة (Mitroff, 2005).

الأزمة المالية في المصارف السودانية وأثرها على الأداء الوظيفي

أ/ الأسباب الرئيسية للأزمة المالية

- ✓ الوضع الاقتصادي: تعاني السودان من تحديات اقتصادية كبيرة، بما في ذلك التضخم وتقلبات أسعار الصرف.
- ✓ النقص في السيولة: تعاني المصارف السودانية من نقص في السيولة، مما يؤثر على قدرتها على تقديم الخدمات المصرفية.
- ✓ -المخاطر الائتمانية: تتعرض المصارف السودانية لمخاطر ائتمانية كبيرة، مما يؤثر على جودة المحفظة الائتمانية.

ب/ تأثير الأزمة المالية على الأداء الوظيفي

- تقليل عدد الموظفين: قد تضطر المصارف إلى تقليل عدد الموظفين لتقليل التكاليف.
- تأخير في صرف الرواتب: قد تتأخر المصارف في صرف رواتب الموظفين بسبب نقص السيولة.
- زيادة الضغوط: تزيد الأزمة المالية من الضغوط على الموظفين، مما قد يؤثر على أدائهم الوظيفي.
- تأثير على الرضا الوظيفي: يمكن أن تؤثر الأزمة المالية على رضا الموظفين عن عملهم، مما قد يؤدي إلى انخفاض في الإنتاجية.

ج/ استراتيجيات التعامل مع الأزمة المالية

- ❖ إعادة هيكلة المصارف: يمكن إعادة هيكلة المصارف لتحسين كفاءتها وتقليل التكاليف.
- ❖ تعزيز الرقابة: يمكن تعزيز الرقابة على المصارف لتحسين إدارة المخاطر وتعزيز الاستقرار المالي.
- ❖ دعم الموظفين: يمكن تقديم الدعم للموظفين للتخفيف من تأثير الأزمة المالية على أدائهم الوظيفي.
- ❖ البحث عن حلول مبتكرة: يمكن البحث عن حلول مبتكرة لتحسين أداء المصارف وتجاوز الأزمة المالية.

تؤثر الأزمة المالية في المصارف السودانية بشكل كبير على الأداء الوظيفي للموظفين. يمكن للمصارف اتخاذ استراتيجيات مختلفة للتعامل مع الأزمة المالية وتحسين أدائها الوظيفي. من خلال العمل الجاد والتعاون، يمكن للمصارف السودانية تجاوز الأزمة المالية وتحقيق الاستقرار المالي.

د/ أنواع الأزمات المالية

1. أزمة السيولة تحدث عندما تعاني المؤسسات المالية من نقص في السيولة، مما يؤثر على قدرتها على تلبية التزاماتها المالية.
2. أزمة الائتمان: تحدث عندما تتعرض المؤسسات المالية لمخاطر ائتمانية كبيرة، مما يؤثر على جودة المحفظة الائتمانية.
3. أزمة العملة: تحدث عندما تتعرض العملة لتقلبات كبيرة في قيمتها، مما يؤثر على الاستقرار المالي.
4. أزمة الديون: تحدث عندما تتعرض الدول أو المؤسسات المالية لتراكم ديون كبيرة، مما يؤثر على قدرتها على السداد.

ج/ مقترحات الحلول

1. تعزيز الرقابة المالية: تعزيز الرقابة المالية على المؤسسات المالية لضمان امتثالها للمعايير واللوائح المالية.
 2. تحسين إدارة المخاطر: تحسين إدارة المخاطر في المؤسسات المالية لتقليل التعرض للمخاطر المالية.
 3. تعزيز الشفافية: تعزيز الشفافية في المعاملات المالية والمحافظ الائتمانية لتحسين الثقة في النظام المالي.
 4. إعادة الهيكلة المالية: إعادة هيكلة المؤسسات المالية لتحسين كفاءتها وتقليل التكاليف.
 5. الدعم الحكومي: تقديم الدعم الحكومي للمؤسسات المالية في أوقات الأزمات المالية لضمان استقرار النظام المالي.
 6. التعاون الدولي: تعزيز التعاون الدولي لتبادل الخبرات والمعرفة في مجال إدارة الأزمات المالية.
 7. تطوير البنية التحتية المالية: تطوير البنية التحتية المالية، بما في ذلك أنظمة الدفع والتسوية، لتحسين كفاءة وفعالية النظام المالي.
 8. توعية العملاء: توعية العملاء بأهمية إدارة المخاطر المالية والاستفادة من الخدمات المالية بشكل آمن.
- تتنوع الأزمات المالية وتتطلب حلولاً مختلفة. يمكن للمؤسسات المالية والحكومات اتخاذ إجراءات مختلفة لتحسين استقرار النظام المالي وتقليل تأثير الأزمات المالية. من خلال العمل الجاد والتعاون، يمكن تجاوز الأزمات المالية وتحقيق الاستقرار المالي.

3/ الإطار النظري لدراسة الحالة القطاع المصرفي بإقليم النيل الأزرق (بنك الادخار)

تأثير الأزمة المالية على بنك الادخار فرع الدمازين يمكن أن يكون كبيراً، خاصة إذا كانت الأزمة المالية على مستوى الدولة ككل مثال لذلك الحروب وتغير العملة وندرة الكاش جميعها تؤثر على الاقتصاد المحلي أو العالمي. إليك بعض الآثار المحتملة وتتمثل في الآتي:

- قد يؤدي نقص السيولة إلى صعوبة في سحب الودائع أو الحصول على التمويل اللازم لتشغيل البنك.
- يمكن أن تؤدي الأزمة المالية إلى زيادة في الديون المعدومة، مما يؤثر على ربحية البنك واستقراره المالي.
- قد تؤدي الأزمة المالية إلى انخفاض في قيمة الاستثمارات، مما يؤثر على محفظة البنك ويزيد من المخاطر.

أنواع الأزمات المالية التي قد تؤثر على بنك الادخار فرع الدمازين

- ✓ تحدث عندما يواجه البنك زيادة كبيرة في الطلب على سحب الودائع، مما يؤدي إلى أزمة سيولة.
- ✓ يمكن أن تؤثر على قيمة العملة المحلية وقدرة البنك على التعامل مع العملات الأجنبية.
- ✓ يمكن أن تؤدي إلى انخفاض في قيمة الأصول المالية، مما يؤثر على محفظة البنك.

أسباب الأزمات المالية التي قد تؤثر على بنك الادخار فرع الدمازين

- يمكن أن يؤدي إلى اختلال مالي وحدث أزمات مالية.
- يمكن أن تؤدي إلى حدوث أزمات مصرفية وأزمات مالية أخرى.
- يمكن أن يؤدي إلى سوء إدارة المخاطر وحدث أزمات مالية

(مقابلة مع الأستاذ / محمد دوكة، مدير بنك الادخار بمكتبة يوم الاحد الموافق 11 / 5 / 2025م في تمام الساعة العاشرة والنصف صباحاً).

ثالثاً: الدراسة الميدانية

نوع الدراسة

تندرج هذه الدراسة ضمن الدراسات الوصفية التحليلية التي تهدف إلى وصف الظاهرة المدروسة وتحليلها كمياً، وذلك من خلال التعرف على طبيعة إدارة الأداء الوظيفي في القطاع المصرفي بإقليم النيل الأزرق، وكيف تأثرت هذه الإدارة بالأزمات المالية والاقتصادية المتعاقبة. اعتمدت الدراسة على المنهج الكمي بوصفه الأنسب لقياس العلاقات بين المتغيرات، وتحليلها إحصائياً، وذلك من خلال استخدام أداة الاستبيان المغلق الذي صُمم لقياس آراء الموظفين حول محاور الأداء وتأثره بالظروف المالية.

مجتمع الدراسة

تمثل مجتمع الدراسة في جميع العاملين في القطاع المصرفي بإقليم النيل الأزرق، من موظفين إداريين وفنيين وماليين، ممن هم على رأس العمل خلال فترة تنفيذ الدراسة في العام 2024.

عينة الدراسة وأسلوب اختيارها

تم استخدام أسلوب العينة العشوائية الطبقية (Stratified Random Sample)، لضمان تمثيل مختلف الفئات الوظيفية (إدارية، تشغيلية، مالية، فنية).

وقد بلغت حجم العينة (100) موظفاً، تم توزيع الاستبيانات عليهم يدوياً وإلكترونياً حسب توافر الظروف الميدانية.

أداة جمع البيانات

تم استخدام الاستبيان المغلق كأداة رئيسية لجمع البيانات. وقد تم تصميم الاستبيان بناءً على:

- مراجعة أدبيات إدارة الأداء.
- الدراسات السابقة ذات العلاقة.
- السياق المحلي في مؤسسات القطاع المصرفي بإقليم النيل الأزرق (بنك الادخار)..

وقد اشتمل الاستبيان على خمسة محاور أساسية:

1. البيانات الديموغرافية.
2. واقع إدارة الأداء في القطاع المصرفي.
3. تأثير الأزمات المالية.
4. استجابة الإدارة.
5. مقترحات الموظفين.

تمت صياغة العبارات باستخدام مقياس ليكرت الخماسي:

1= أعارض بشدة، 5 = أوافق بشدة

الصدق والثبات

تم التحقق من صدق الأداة (Content Validity) من خلال عرضها على مجموعة من الأساتذة المتخصصين في مجالي الإدارة العامة والإحصاء، والذين أبدوا ملاحظاتهم وتم تعديل الأداة بناءً عليها.

أما ثبات الأداة فقد تم قياسه باستخدام معامل كرونباخ ألفا (Cronbach's Alpha)، حيث بلغ:

- للبعد الأول: 0.84
- للبعد الثاني: 0.87
- للبعد الكلي: 0.86
- وهي قيم تُشير إلى مستوى عالٍ من الثبات الداخلي للأداة.

الأساليب الإحصائية لتحليل البيانات

تم استخدام البرنامج الإحصائي SPSS الإصدار 26 (لتحليل البيانات، وقد شملت التحليلات ما يلي:

- التحليل الوصفي: لحساب التكرارات، النسب المئوية، المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية.
- اختبار (T-Test) لقياس الفروق ذات الدلالة الإحصائية بين متوسطات استجابات الموظفين حسب الجنس أو المؤهل أو الفئة الوظيفية.

- تحليل التباين الأحادي (ANOVA) لفحص الفروق بين مجموعات متعددة من حيث متغيرات مستقلة مثل عدد سنوات الخبرة.
- تحليل الارتباط (Pearson) لفحص العلاقة بين الأزمات المالية ومؤشرات الأداء.

النتائج (Results)

تم تحليل البيانات التي تم جمعها من خلال الاستبيانات باستخدام برنامج SPSS، وذلك على عينة مكونة من 100 موظف من مختلف الإدارات والوحدات في القطاع المصرفي بإقليم النيل الأزرق. تم تنظيم النتائج وتحليلها وفقاً لمحاور الاستبيان الأربعة على النحو التالي:

واقع الأداء الوظيفي

أظهرت نتائج التحليل الوصفي أن المتوسطات الحسابية لعبارات هذا المحور تراوحت بين 3.1 إلى 3.8 على مقياس ليكرت، مما يشير إلى وجود مستوى متوسط إلى مرتفع في وضوح نظام الأداء وتطبيقه في القطاع المصرفي وقد أشار 73% من الموظفين إلى وجود نظام رسمي لتقييم الأداء، إلا أن 42% فقط أكدوا حصولهم على تغذية راجعة دورية بعد التقييم.

• أبرز المؤشرات:

- ضعف الانتظام في تطبيق التقييم.
- محدودية استخدام النتائج في الترقية أو التحفيز.
- التقييم يركز على الحضور والانضباط أكثر من الجودة والكفاءة.

أثر الأزمة المالية على الأداء

بيّنت النتائج أن الأزمة الاقتصادية أثرت سلباً على بيئة العمل والأداء العام، حيث جاءت المتوسطات في هذا المحور أقل من 3.0، ما يعكس مستوى اتفاق عالٍ على وجود تأثير فعلي للأزمة.

• أهم الأثر المبلغ عنه:

- تراجع الحوافز المالية (89%)
- تأخر صرف الرواتب (76%)
- نقص الموارد التشغيلية (67%)

وقد أظهرت التعليقات المفتوحة في الاستبيان أن العديد من الموظفين يعانون من ضغط نفسي وقلق وظيفي نتيجة الظروف المالية والاقتصادية العامة، مما أثر على انضباطهم وحماستهم في العمل.

استجابة الإدارة

أشارت النتائج إلى ضعف نسبي في استجابة الإدارة لأثر الأزمة، حيث عبّر أكثر من نصف العينة (58%) عن اعتقادهم بأن الإدارة لم تتخذ إجراءات فعالة للتعامل مع تداعيات الأزمة.

وجاء متوسط استجابات هذا المحور عند 2.7، ما يعكس وجود فجوة بين توقعات العاملين وما تقدمه الإدارة من دعم.

• أهم الملاحظات:

- غياب سياسات بديلة للتقييم في الظروف الطارئة.
- ضعف التواصل الرسمي بشأن خطط الإدارة.
- قلة البرامج التحفيزية أو النفسية.

آراء الموظفين والمقترحات

عبرت الغالبية عن رغبتهم في تطوير نظام تقييم الأداء ليأخذ في الاعتبار الظروف المالية والاقتصادية والضغوط الواقعية التي يمر بها العاملون.

من أبرز المقترحات التي تكررت:

- ربط الأداء بالنتائج وليس فقط بالوقت.
- إدراج تقييم ذاتي وتقييم الزملاء.
- تعزيز الشفافية في نتائج التقييم

التحليل الإحصائي للفروق بين المتغيرات:

تم استخدام اختبار T-Test وتحليل التباين ANOVA لاختبار الفروق بين استجابات الأفراد حسب الجنس، سنوات الخبرة، الفئة الوظيفية، والمؤهل العلمي.

- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في تقديرهم لتأثير الأزمة على الأداء. (Sig = 0.281)
- تم رصد فروق ذات دلالة بين الموظفين ذوي الخبرة فوق 10 سنوات مقارنة بالأقل خبرة، في تقييمهم لاستجابة الإدارة. (Sig = 0.014)
- أظهرت نتائج تحليل التباين فروقاً دالة إحصائية بين الفئات الوظيفية في محور "واقع الأداء"، لصالح الموظفين الإداريين مقارنة بالفنيين. (Sig = 0.03)

خلاصة النتائج:

تشير النتائج إلى أن:

- الأداء الوظيفي في (بنك الادخار) متأثر بالأزمة المالية بدرجة ملحوظة.
- الإدارة لم تُفعل سياسات تكيفية كافية لتخفيف آثار الأزمة على الموظفين.
- هناك فجوة بين تطبيق التقييم والأهداف المرجوة منه.

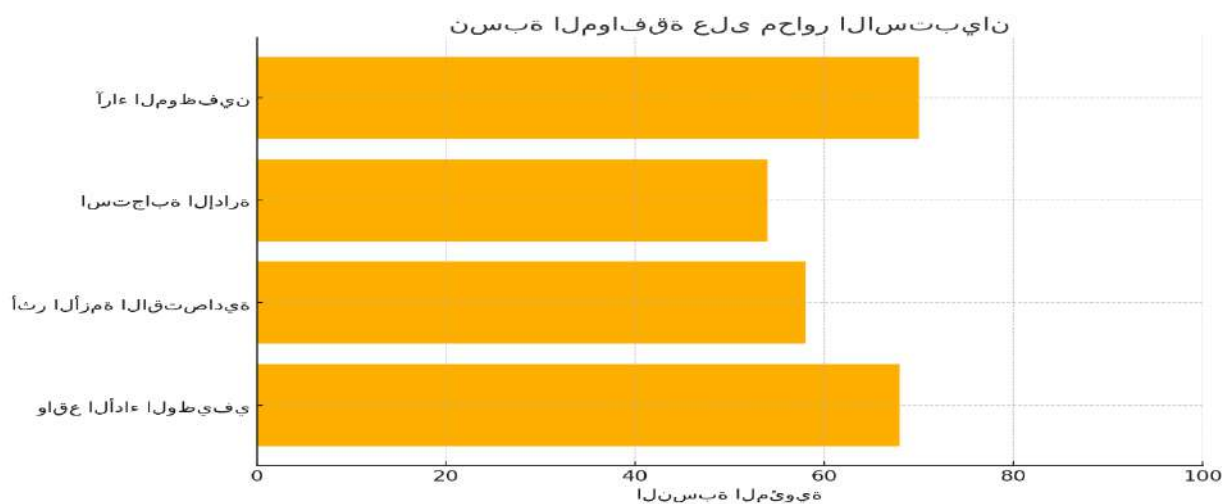
• نتائج تحليل محاور الاستبيان

• الجدول (1) نتائج تحليل محاور الاستبيان

النسبة المئوية للموافقة (%)	المتوسط الحسابي	محور
68	3.4	واقع الأداء الوظيفي
58	2.9	أثر الأزمة المالية
54	2.7	استجابة الإدارة
70	3.5	آراء الموظفين

المصدر: اعداد الباحثون من بيانات الدراسة الميدانية 2025م

الشكل (1)



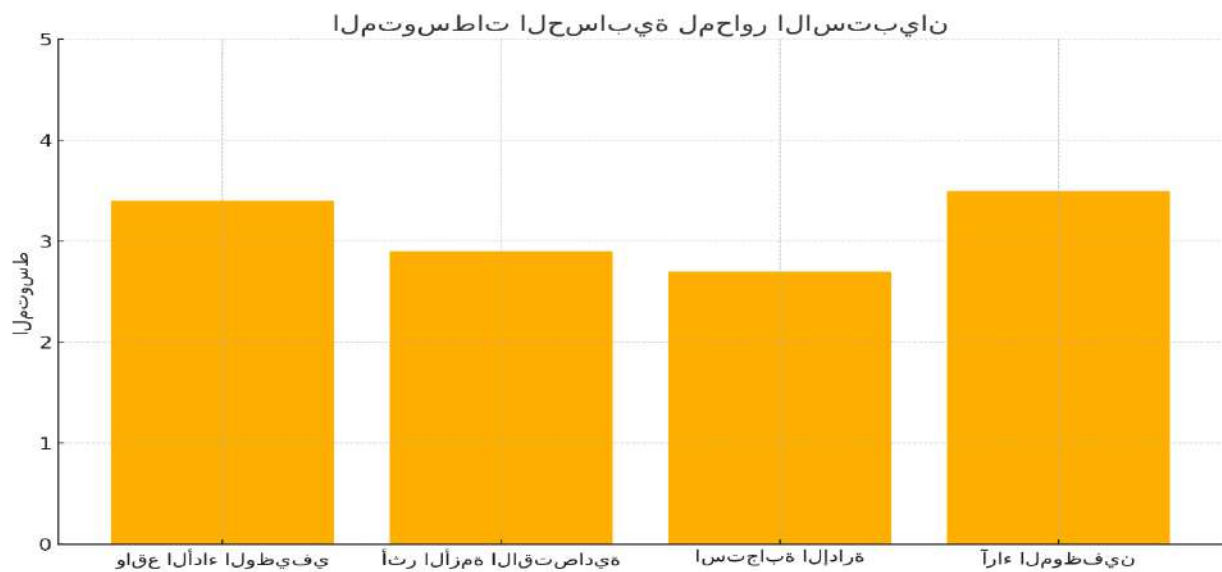
المصدر: اعداد الباحث من بيانات الدراسة الميدانية 2025م

أولاً: المتوسطات الحسابية لمحاور الاستبيان

يُظهر الرسم البياني الأول أن:

- أعلى متوسط حسابي سُجل في محور آراء الموظفين (3.5 من 5)، ما يعكس وعياً مرتفعاً لدى العاملين بضرورة تحسين نظام الأداء وتحديثه ليتلاءم مع الواقع المتغير.
- يليه محور واقع الأداء الوظيفي بمتوسط (3.4)، مما يدل على وجود أساس تنظيمي لنظام التقييم، إلا أنه لا يصل إلى مستوى التفعيل الكامل أو الفاعلية العالية.
- في المقابل، جاء متوسط محور أثر الأزمة المالية عند (2.9)، ما يشير إلى اتفاق واضح بين الباحثين على أن الأزمة لها تأثير مباشر وسليبي على الأداء.
- بينما كان أدنى متوسط في محور استجابة الإدارة (2.7)، وهو مؤشر إلى ضعف التدخل المؤسسي لمواجهة تداعيات الأزمة على أداء العاملين

الشكل (2)



المصدر: اعداد الباحثون من بيانات الدراسة الميدانية 2025م

ثانيًا: النسب المئوية للموافقة

يعزز الرسم البياني الثاني النتائج السابقة، حيث:

- أبدى 70% من الموظفين موافقتهم على العبارات المتعلقة بـ"آراء الموظفين"، مما يعكس تطلعاتهم لتغيير وتطوير نظام الأداء.
- فيما وافق 68% منهم على عبارات "واقع الأداء الوظيفي"، ما يدل على وجود أنظمة ولكن دون تطبيق فعال أو تحديث مستمر.

➤ في المقابل، لم تتجاوز نسبة الموافقة على "أثر الأزمة المالية" و"استجابة الإدارة" حاجز 58% و54% على التوالي، وهي نسب تدل على شعور العاملين بتأثير ملموس للأزمة يقابله غياب استجابة تنظيمية كافية من الإدارة

الجدول: التكرارات والنسب المئوية

الجدول (2)

التكرار	القيمة	level_1	المحور
23	5	4	تأثير الأزمة
17	1	0	استجابة الإدارة
18	2	1	استجابة الإدارة
23	3	2	استجابة الإدارة
23	4	3	استجابة الإدارة
19	5	4	استجابة الإدارة
15	1	0	آراء الموظفين

المصدر: اعداد الباحثون من بيانات الدراسة الميدانية 2025م

➤ المتوسطات والانحرافات المعيارية

الجدول (3)

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	
1.3944695961351952	3.07	واقع الأداء
1.4826947893561369	3.06	تأثير الأزمة
1.3640033176297814	3.09	استجابة الإدارة
1.3557211357723233	3.02	آراء الموظفين

المصدر: اعداد الباحثون من بيانات الدراسة الميدانية 2025م

➤ نتائج اختبار T حسب الجنس

الجدول (4)

	T-Value	P-Value
واقع الأداء	0.854	0.395
تأثير الأزمة	0.863	0.39
استجابة الإدارة	-0.583	0.561
آراء الموظفين	0.166	0.869

المصدر: اعداد الباحثون من بيانات الدراسة الميدانية 2025م

➤ نتائج تحليل التباين ANOVA حسب الفئة الوظيفية

الجدول (5)

	F-Value	P-Value
واقع الأداء	1.65	0.197
تأثير الأزمة	0.011	0.989
استجابة الإدارة	1.297	0.278
آراء الموظفين	1.428	0.245

المصدر: اعداد الباحثون من بيانات الدراسة الميدانية 2025م

تم عرض الجداول التالية على المنصة لنتائج الدراسة التحليلية، وفيما يلي تعليقات تفسيرية لكل منها:

1. التكرارات والنسب المئوية لكل فقرة (لكل محور):

تم تلخيص تكرارات استجابات المشاركين (من 1 إلى 5) في محاور الاستبيان الأربعة، مع حساب النسبة المئوية لكل فئة. التفسير: هذا الجدول يوضح مدى تكرار كل درجة تقييم، مما يساعد في التعرف على اتجاهات الاستجابة العامة (هل كانت إيجابية أم سلبية) لكل محور.

2. المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لكل محور:

يعرض هذا الجدول المتوسط الحسابي لكل محور من محاور الاستبيان، إلى جانب الانحراف المعياري الذي يبين درجة تباين آراء المشاركين.

التفسير: كلما كان المتوسط قريباً من 5، دل ذلك على رضا أعلى أو تقييم إيجابي، أما إذا اقترب من 1 فذلك يشير إلى اتفاق سلبي أو تقييم منخفض. والانحراف المعياري المنخفض يشير إلى تجانس الاستجابات.

3. نتائج اختبار T للفروق حسب الجنس:

يوضح الجدول نتائج اختبار T-Test الذي يقيس الفروق بين الذكور والإناث في تقديرهم لمحاور الاستبيان.

التفسير:

- إذا كانت P-Value أقل من 0.05 فهذا يعني أن هناك فروقاً ذات دلالة إحصائية بين الجنسين في المحور المعني.
- أما إذا كانت أكبر من 0.05، فذلك يدل على عدم وجود فروق جوهرية بين الذكور والإناث في هذا الجانب.

4. نتائج تحليل التباين (ANOVA) حسب الفئة الوظيفية:

يوضح هذا الجدول نتائج اختبار ANOVA الذي يقيس الفروق في الاستجابات بين الفئات الوظيفية المختلفة (إدارية، فنية، مالية).

التفسير:

- إذا كانت $P\text{-Value} < 0.05$ ، فهذا يشير إلى وجود اختلافات معنوية بين المجموعات في تقديرهم للمحور.
- تُستخدم هذه النتيجة لاستنتاج ما إذا كانت التجربة الوظيفية تؤثر على نظرة الموظف نحو الأداء أو الأزمة.

5. معامل الثبات (كرو نباخ ألفا):

تم حساب معامل كرو نباخ ألفا = 0.027

التفسير: هذه القيمة تُعتبر منخفضة جداً (القيمة المقبولة عادة ≥ 0.70)، مما يشير إلى:

- ضعف في تجانس العبارات بين المحاور أو أن المحاور لا تُقاس ببنود كافية.
- يُنصح في هذه الحالة بإعادة تصميم المحاور إلى فقرات متعددة لكل محور لزيادة الثبات الداخلي للأداة.

رابعاً: الاستنتاجات والتوصيات

1/ الاستنتاج العام من التحليل البصري والإحصائي:

- توجد مشكلة حقيقية في ضعف التفاعل المؤسسي مع الأزمة المالية من حيث السياسات الإدارية والاستجابة المرنة.
- الموظفون يدركون أهمية نظام الأداء ويطالبون بتطويره ليأخذ في الاعتبار الظروف الاستثنائية.
- تشير هذه النتائج إلى ضرورة تدخل الإدارة العليا في (بنك الادخار) .. لإعادة هيكلة نظام تقييم الأداء، وتحفيز العاملين معنوياً ومهنياً.

المناقشة

أظهرت نتائج الدراسة أن الأداء الوظيفي في القطاع المصرفي بإقليم النيل الأزرق (بنك الادخار) .. يتأثر بوضوح بالأزمات المالية ، سواء من حيث جودة المخرجات أو الالتزام التنظيمي أو حتى الروح المعنوية للعاملين. وقد كشفت النتائج أن هناك تطبيقاً جزئياً وغير منتظم لنظام تقييم الأداء، وأن العاملين لا يتلقون تغذية راجعة كافية أو حوافز مرتبطة بتقويم أدائهم، مما يحد من فعالية النظام القائم. تُظهر هذه النتائج توافقاً مع ما توصلت إليه دراسة العضائية (2020) التي بينت أن تراجع الرواتب وتأخرها وضعف الحوافز يؤدي إلى انخفاض الأداء في المؤسسات الخدمية والمصرفية أثناء الأزمات، وكذلك مع سليم (2022) التي أشارت إلى قصور واضح في استجابة الإدارة لأزمات التمويل في قطاع المصارف بإقليم النيل الأزرق (بنك الادخار).

وعند مقارنة نتائج هذه الدراسة بنتائج دراسة Papadopoulos (2021) حول شركة مياه أثينا، نجد نمطاً متقارباً يتمثل في ضعف التفاعل الإداري مع الأزمة، مما أدى إلى تراجع التزام الموظفين. وهو ما يؤكد أن الانعكاسات المؤسسية للأزمات تتعدى الجانب المالي لتطال أيضاً البعد النفسي والتنظيمي داخل المؤسسة.

من حيث دعم النتائج لفرضيات وتساؤلات الدراسة، فإن:

النتائج تدعم الفرضية الأساسية التي تفترض وجود علاقة سلبية بين الأزمات المالية ومستوى الأداء الوظيفي.

كما أجابت النتائج بشكل مباشر على تساؤلات الدراسة، وأبرزت أن النظام القائم بحاجة إلى تطوير حقيقي، وأن هناك فجوة بين توقعات العاملين وقدرة الإدارة على التفاعل مع الأزمة.

الانعكاسات المؤسسية لهذه النتائج تتمثل في:

- تآكل ثقة العاملين بالإدارة.
 - تراجع الرضا الوظيفي والانضباط الإداري.
 - ضعف قدرة في القطاع المصرفي بإقليم النيل الأزرق (بنك الادخار). على تحقيق أهدافها التشغيلية.
- وتؤكد الدراسة أن المرونة الإدارية والتخطيط الاستباقي يمثلان عاملاً حاسماً في الحفاظ على الأداء في أوقات الأزمات.

أ/ الاستنتاجات

1. يواجه نظام إدارة الأداء في القطاع المصرفي بإقليم النيل الأزرق (بنك الادخار). تحديات حقيقية في ظل الأزمات المالية، تتعلق بعدم ملاءمته للظروف الاستثنائية التي تمر بها في القطاع المصرفي بإقليم النيل الأزرق (بنك الادخار).
2. الأزمات المالية أثرت سلباً على بيئة العمل، والحوافز، واستقرار الموارد البشرية، مما انعكس مباشرة على الأداء الوظيفي.
3. استجابة الإدارة لتلك الأزمات جاءت محدودة، ولم تُترجم إلى إجراءات تنظيمية ملموسة تُسهم في احتواء التأثيرات.
4. العاملون يعون أهمية التغيير ويقترحون تطويرات محددة في آليات التقييم والتحفيز.
5. هناك فروق إحصائية بين فئات الموظفين في تقييمهم لفعالية النظام، ما يُبرز الحاجة إلى نهج أكثر شمولاً وتوازناً.

ب/ التوصيات العملية

1. تحديث نظام تقييم الأداء ليأخذ في الاعتبار الظروف المالية الطارئة، ويجمع بين البعدين الكمي والنوعي.
2. إشراك العاملين في مراجعة أدوات التقييم لضمان واقعيته وقابليتها للتطبيق.
3. تعزيز برامج التحفيز المعنوي في حال ضعف القدرة على الحوافز المادية (مثل: الإشادة، التكريم، منح مرونة زمنية).
4. توفير دعم نفسي ومهني للموظفين خلال الأزمات لتخفيف الضغوط وتعزيز الولاء المؤسسي.
5. تحسين قنوات الاتصال الداخلي بين الإدارة والموظفين، وخاصة فيما يتعلق بسياسات التقييم والتطوير.

ج/ مقترحات لدراسات مستقبلية

1. دراسة مقارنة بين المصارف العاملة بإقليم النيل الأزرق والولايات الأخرى مختلفة لمعرفة مدى اختلاف تأثير الأزمات.
2. بحث ميداني يدمج المنهج الكيفي مع الكمي لتحليل أعمق للانعكاسات النفسية للأزمة على الموظفين.
3. دراسة تحليلية لأثر استخدام التحول الرقمي في تطوير نظم تقييم الأداء في المؤسسات الخدمية خلال الأزمات المالية والاقتصادية.

2/ المراجع

أ/ المراجع باللغة العربية

1. أبو ناموس، محمد. (2021) أثر الأزمات الاقتصادية على أداء العاملين في القطاع العام: دراسة ميدانية. المجلة العربية للعلوم الإدارية، 38(2)، 145-162.
2. الزهراني، فهد. (2020) تقييم الأداء المؤسسي في ظل المتغيرات الاقتصادية. مجلة دراسات الإدارة العامة، 12(4)، 88-105.
3. أحمد، خالد. (2019) تحديات إدارة الموارد البشرية في المؤسسات الحكومية أثناء الأزمات. مجلة جامعة الخرطوم للدراسات الإدارية، 15(2)، 133-151.
4. البكري، عبد الله. (2021) تحليل أداء العاملين في المؤسسات الخدمية خلال الأزمات الاقتصادية. مجلة التنمية البشرية والإدارية، 9(3)، 174-192.
5. الطاهر، منى. (2020) إدارة الأزمات وتأثيرها على الكفاءة المؤسسية في القطاع الحكومي. مجلة العلوم الإدارية، جامعة النيلين، 17(1)، 109-126.
6. الدليمي، سعد. (2021) الضغوط الاقتصادية وأثرها على دافعية العاملين في القطاع العام. مجلة التنمية والاقتصاد، 10(2)، 144-158.
7. محمد، أميرة. (2022) نظام تقييم الأداء في المؤسسات الحكومية بين النظرية والتطبيق. مجلة الإدارة العامة، 28(1)، 71-90.

8. يوسف، سامي. (2020) أداء الموظفين الحكوميين في ظل التخفيضات المالية: دراسة حالة وزارة المياه. مجلة السياسات العامة، 5(1)، 55-72.
9. حسن، مجدي. (2019) أثر بيئة العمل في تحسين الأداء خلال الأزمات. مجلة جامعة الجزيرة للعلوم الاجتماعية، 11(2)، 162-179.
10. الشريف، عادل. (2021) القيادة الإدارية الفعالة أثناء الأزمات الاقتصادية. مجلة البحوث الإدارية والمالية، 6(2)، 98-116.
11. عبد الله، نوال. (2021) العوامل المؤثرة على استمرارية الأداء الحكومي في ظل الأزمات الاقتصادية. مجلة اقتصاديات التنمية، 13(1)، 120-136.
12. عبد الرحيم، نادر. (2020) التخطيط الاستراتيجي وإدارة الأداء في المرافق الخدمية. مجلة التخطيط والإدارة، 8(3)، 147-164.
13. حمد، مصطفى. (2019) استراتيجيات الحفاظ على أداء الموارد البشرية أثناء التقشف المالي. مجلة البحوث الإدارية، 14(4)، 122-139.
14. يوسف، علاء. (2021) دور نظم المعلومات الإدارية في دعم الأداء أثناء الأزمات. مجلة نظم الإدارة، 9(2)، 113-129.
15. إبراهيم، رزان. (2022) فاعلية تقييم الأداء في ظل الأزمات الاقتصادية: دراسة مقارنة. مجلة الإدارة الحديثة، 17(2)، 83-101.
16. فاطمة، هبة. (2020) قياس أداء العاملين في المؤسسات العامة: المنهجيات والتحديات. مجلة الموارد البشرية، 7(3)، 59-76.
17. عبد الكريم، خالد. (2021) الرضا الوظيفي والأداء في ظل الأزمات المالية. مجلة أبحاث إدارية، 10(1)، 94-111.
18. سعيد، محمود. (2019) التحفيز كأداة لدعم الأداء أثناء الأزمات. مجلة الإدارة والإنتاج، 15(3)، 143-160.
19. عثمان، ابتسام. (2020) تقييم أثر التحديات الاقتصادية على الأداء في هيئات المياه. مجلة الإدارة العامة والتنمية، 6(1)، 128-146.
20. جمال، أنور. (2022) إدارة الأداء في ظل محدودية الموارد: حالة المؤسسات الخدمية. مجلة الدراسات الحكومية، 11(2)، 132-150.

ب / مراجع باللغة الإنجليزية

1. Armstrong, M. (2020). *Armstrong's Handbook of Performance Management* (6th ed.). Kogan Page.
2. Bourne, M., & Bourne, P. (2011). *Handbook of Corporate Performance Management*. Wiley.

3. Behn, R. D. (2003). Why measure performance? Different purposes require different measures. *Public Administration Review*, 63(5), 586–606.
4. Al-Twairsh, N. A., & Khattak, A. (2018). Managing public sector performance during financial crises. *International Journal of Public Administration*, 41(12), 1000–1012.
5. Pulakos, E. D. (2009). *Performance Management: A New Approach for Driving Business Results*. Wiley-Blackwell.
6. Kroll, A. (2015). Drivers of performance information use: Systematic review of empirical evidence. *Public Performance & Management Review*, 39(3), 547–572.
7. Rainey, H. G. (2014). *Understanding and Managing Public Organizations*. Jossey-Bass.
8. OECD. (2010). *Managing Performance in Difficult Times*. OECD Public Governance Reviews.
9. Boyne, G. A. (2006). Strategies for public service turnaround: Lessons from the private sector? *Administration & Society*, 38(3), 365–388.
10. Fernandes, S., & Moldogaziev, T. (2013). Empowering employees: The key to enhancing performance. *Review of Public Personnel Administration*, 33(2), 140–165.

عنوان البحث

آلية مساهمة التمويل والاستثمار الوقفي في التخفيف من ضغوط الإنفاق الحكومي في ليبيا

عمر حسين عمر الشريف¹

¹ جامعة إسطنبول صباح الدين زعيم، إسطنبول، تركيا

بريد الكتروني: omer.hassin1983@gmail.com

HNSJ, 2025, 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/5>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/68/5>

تاريخ النشر: 2025/08/01م

تاريخ القبول: 2025/07/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/07/07م

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى بيان مفهوم التمويل بالوقف والاستثمار الوقفي، واستكشاف آلية مساهمتهما في التخفيف من ضغوط الإنفاق الحكومي في ليبيا، وينطلق من تحليل واقع الإيرادات والنفقات العامة خلال الفترة من 2015 إلى 2022، ليقدم في ضوء ذلك نموذجًا تمويليًا وقفيًا مقترحًا، يضم مجموعة من أدوات التمويل والاستثمار المتنوعة، يبرز من خلالها الدور المحتمل للوقف في تمويل عدد من القطاعات العامة وتطويرها، من خلال التنسيق بين الهيئة العامة للأوقاف والجهات الحكومية، بما يسهم في تخفيف الأعباء المالية عن الدولة وتعزيز الاستدامة المالية.

وقد اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي والمنهج الوصفي التحليلي، وتوصل إلى عدد من النتائج، أبرزها أن تفعيل أدوات وآليات التمويل والاستثمار الوقفي الحديثة، يُمكن أن يسهم بفاعلية في الحد من ضغوط الإنفاق الحكومي، وتحقيق الاستدامة المالية في ليبيا، وانتهى البحث إلى جملة من التوصيات، أهمها ضرورة دمج الأوقاف في ليبيا ضمن الخطط التنموية الوطنية باعتبارها أداة تمويل واستثمار مكتملة في القطاعات الخدمية والإنتاجية والتنموية، مع ضرورة إرساء آليات واضحة وشفافة، لتحقيق التكامل بين الجهات الوقفية والحكومية.

الكلمات المفتاحية: الوقف، التمويل الوقفي، الاستثمار الوقفي، الإنفاق الحكومي، الاستدامة المالية، الصكوك الوقفية، ليبيا.

RESEARCH TITLE

The Contribution of Waqf Financing and Investment in Alleviating Government Spending Pressures in Libya

Abstract

This research aims to clarify the concept of waqf-based financing and waqf investment, and to explore the mechanism through which they contribute to alleviating pressures on government expenditure in Libya. It starts from an analysis of the reality of public revenues and expenditures during the period from 2016 to 2022, and based on that, it presents a proposed waqf financing model that includes a set of diverse financing and investment instruments. Through this model, the potential role of waqf in funding and developing a number of public sectors is highlighted, by means of coordination between the General Authority of Awqaf and government entities, in a manner that contributes to easing the financial burdens on the state and enhancing fiscal sustainability.

The research adopted the inductive method and the descriptive analytical method, and it reached a number of findings, most notably that activating modern waqf financing and investment tools can effectively contribute to reducing government spending pressures and achieving fiscal sustainability in Libya. The research also concluded with a set of recommendations, the most important of which is the necessity of integrating waqf in Libya into national development plans, considering it a complementary financing and investment tool in service, productive, and developmental sectors, while emphasizing the need to establish clear and transparent mechanisms to achieve integration between waqf and government institutions.

Key Words: Waqf, Waqf-based financing, Waqf investment, Government Spending, Fiscal sustainability, Waqf sukuk, Libya.

مقدمة:

يعتبر الوقف الإسلامي عبر التاريخ أحد الركائز الاجتماعية والاقتصادية في الدول الإسلامية، حيث لعب دوراً فعالاً في دعم العديد من القطاعات كالتعليم، والصحة، والخدمات العامة، وذلك من خلال أدوات وآليات التمويل والاستثمار الوقفي المباشر وغير المباشر، وقد أسهمت الأوقاف في تعزيز التنمية، وتحقيق قدر من الاستقلال والاستقرار المالي للمجتمعات الإسلامية، إلا أن مساهماته شهدت تراجعاً ملحوظاً في العقود الأخيرة، لا سيما في الدول الإسلامية النامية التي تعاني من أزمات مالية وعجز ملحوظ في موازنتها العامة، ومنها الدولة الليبية.

حيث إنه في هذا السياق، تبرز الحاجة إلى أهمية تفعيل دور الوقف في ليبيا، وإعادة هيكلته، وتنظيمه، وتوجيه أمواله للتمويل والاستثمار الأمثل، ليكون أداة فعالة في التخفيف من الأعباء المالية التي تنقل كاهل الحكومة، والمساهمة في تحقيق الاستدامة المالية والتنمية الاجتماعية والاقتصادية.

عليه، فإن هذا البحث، يهدف إلى دراسة الإمكانيات الكامنة في قطاع الوقف، وآلية مساهمته في تخفيف العبء المالي عن الحكومة الليبية، من خلال استثمار أمواله بشكل فعال في القطاعات ذات الأولوية، مع التركيز على الأطر التنظيمية والمؤسسية التي تمكن من تحقيق هذا الهدف، والتي ستكون بعون الله في هذا البحث في شكل نموذج تمويلي مقترح.

مشكلة البحث.

شهدت الدولة الليبية خلال الفترة السابقة الممتدة من عام 2015 إلى عام 2022م، عجزاً واضحاً في موازنتها العامة؛ ويعزى ذلك إلى التذبذب الحاد في أسعار المحروقات خلال تلك الفترة، الأمر الذي انعكس سلباً على الإيرادات العامة، وبالنظر إلى أن عائدات النفط والغاز تمثل ما يقرب من 97% من إجمالي الإيرادات الحكومية، فقد أدى هذا التراجع إلى تقليص قدرة الحكومة على تمويل القطاعات العامة المختلفة، وقد ترتب على ذلك قصور واضح في تلبية احتياجات هذه القطاعات من التمويل اللازم لتطويرها وتنميتها، وتحسين مستوى الخدمات العامة المقدمة للمجتمع بالشكل المطلوب.

وفي هذا السياق، تبرز أهمية تفعيل دور الوقف في ليبيا كأحد أهم البدائل التمويلية المستدامة التي يمكن أن تسهم في تخفيف ضغوط الإنفاق الحكومي، إذ إنه يمكن من خلال استثمار أموال الوقف، توجيه التمويل نحو العديد من القطاعات الحيوية، بما يعزز من كفاءة الإنفاق الحكومي، ويسهم في تحقيق أهداف التنمية الاجتماعية والاقتصادية.

وعلى ضوء ما سبق، يمكن صياغة مشكلة البحث في التساؤل التالي:

كيف يمكن أن يسهم الوقف كونه بديلاً تموالياً في التخفيف من ضغوط الإنفاق الحكومي في ليبيا؟

فرضية البحث:

يمكن أن يسهم الوقف كونه بديلاً تموالياً في التخفيف من ضغوط الإنفاق الحكومي في ليبيا من خلال تفعيل أدوات التمويل والاستثمار الوقفية الحديثة، بما يدعم عدة مجالات اجتماعية واقتصادية.

أهمية البحث.

تكمن أهمية البحث في سياق التحديات الاقتصادية التي تواجهها الدولة الليبية في السنوات الأخيرة، نتيجة لتزايد حجم الإنفاق الحكومي مقابل التراجع الملحوظ للإيرادات العامة، لا سيما في ظل تقلبات أسعار المحروقات، مثل النفط والغاز، وقد أسفر هذا الوضع المالي عن تقليص مخصصات القطاعات العامة من الخزنة العامة، مما انعكس ذلك سلباً على جودة الخدمات المقدمة للمجتمع، خصوصاً في قطاعي الصحة والتعليم، اللذين يتطلبان موارد مالية كبيرة؛ لتغطية نفقات التشغيل والتنمية.

ومن هنا، تبرز الحاجة إلى البحث في بدائل تمويلية حديثة ومستدامة ؛ لتخفيف الضغط عن الموازنة العامة، ويأتي التمويل والاستثمار الوقفي في مقدمة هذه البدائل باعتباره أحد الأدوات المالية ذات الأثر الاجتماعي والاقتصادي الفعال، حيث إن إبراز دور الأوقاف كآلية تمويل فاعلة ، سيسهم في دعم القطاعات العامة الحيوية، وذلك من خلال تعبئة الموارد الوقفية وتوجيهها إلى هذه القطاعات بالتنسيق مع الحكومة، بشكل يضمن الاستدامة المالية للدولة ،ويحقق التنمية الاجتماعية والاقتصادية، ويعزز من قدرة هذه القطاعات على النهوض بدورها وتقديم أفضل الخدمات بكفاءة عالية.

أهداف البحث:

يسعى البحث لتحقيق الأهداف التالية:

- 1- التعرف على ماهية التمويل بالوقف والاستثمار الوقفي.
- 2- التعرف على واقع الإيرادات الحكومية وإنفاقها في ليبيا خلال الفترة الممتدة من عام 2015- إلى عام 2022م.
- 3- تقديم نموذج تمويلي وقفي مقترح، يتضمن عدد من أدوات التمويل والاستثمار المتنوعة بهدف توفير التمويل اللازم لبعض القطاعات العامة، لتقديم خدماتها على أكمل وجه من جهة، وتخفيف الأعباء المالية عن الحكومة من جهة أخرى.

منهجية البحث:

لتتحقق أهداف البحث، سيتم استخدام المنهج الاستقرائي من خلال الاطلاع على الأبحاث والمراجع ذات العلاقة؛ للتعرف على ماهية التمويل بالوقف والأموال الوقفية واستثمارها، بالإضافة إلى استخدام المنهج الوصفي التحليلي؛ للوقوف على واقع الإيرادات الحكومية وإنفاقها وتطورهما في ليبيا، وتقديم نموذج تمويلي مقترح، يوضح آلية مساهمة التمويل والاستثمار الوقفي في التخفيف من ضغوط الإنفاق الحكومي في ليبيا.

الدراسات السابقة.

1-دراسة أميرة المرابطي بعنوان "استثمار الأموال الوقفية كآلية للتخفيف من ضغوط الإنفاق الحكومي في الجزائر- مع استعراض تجارب رائدة"، وهي أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الطور الثالث، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير قسم العلوم الاقتصادية - جامعة 8 ماي 1945 قالمة، السنة الجامعية 2024م، وهدفت هذه الدراسة إلى تحليل أثر استثمار أموال الأوقاف في التخفيف من ضغوط الإنفاق الحكومي في الجزائر، ومن أجل ذلك فقد تناولت هذه الدراسة بداية التأصيل النظري للوقف ، ثم أدوات استثماره، وتناولت أيضا تجربة الجزائر في مجال استثمار أموال الأوقاف، وواقع الإنفاق الحكومي في الجزائر، كما عرضت دراسة تحليلية لمساهمة استثمار أموال الأوقاف في التخفيف من ضغوط الإنفاق الحكومي في الجزائر، واستعرضت التجارب الوقفية الرائدة.

وقد توصلت إلى جملة من النتائج، أهمها: إن استثمار أموال الوقف يمكن أن يسهم بشكل فعال في التخفيف من ضغوط الإنفاق الحكومي وخاصة في مجال الإنفاق على قطاعي الصحة والتعليم، وتوصلت أيضا إلى أن قطاع الوقف في الجزائر -رغم الجهود المبذولة للنهوض به- لا يرقى للمستوى المطلوب منه، وعليه يجب على الجزائر التوجه نحو استثمار أموال الوقف عن طريق إصدار الصكوك الوقفية، أو إنشاء صناديق وقفية صحية مثلا من طرف هيئات مختصة، أو عن طريق سن قانون، يسمح للجمعيات الخيرية بإنشاء عدد من الصناديق الوقفية والاستثمار فيها.

2- دراسة خليفي هديل بعنوان "الصناديق الوقفية ودورها في تحقيق التنمية المحلية - تجارب دولية رائدة مع الإشارة على حالة الجزائر" -، (رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، قسم علوم التسيير، 2021م)، حيث هدفت

الدراسة إلى تفعيل الدور التنموي المحلي للصناديق الوقفية في الجزائر، ومن أجل هذا تمت مقارنة التجربة الكويتية الرائدة في مجال الصناديق الوقفية، وتجربة المملكة العربية السعودية الناشئة الناجحة في هذا المجال.

وتوصلت إلى مجموعة من النتائج، أهمها: إن الصناديق الوقفية، يمكن استخدامها لتلبية الاحتياجات الاجتماعية والتنموية في الجزائر، كما أن قطاع الوقف في الجزائر قطاع جد متخلف، وهذا ما يفسر غياب دوره التنموي.

3- دراسة الدكتور أشرف دوبه بعنوان "نحو تصور مقترح للتمويل بالوقف"، بحث منشور بمجلة مركز صالح عبد الله كامل للاقتصاد الإسلامي بمجلة الأزهر، العدد الواحد والأربعون، 2010م، حيث هدف البحث إلى التعرف على التمويل بالوقف، وأشكاله، وأسس تطويره، بالإضافة إلى وضع تصور مقترح للتمويل بالوقف، ينوع من أساليب التمويل، ويفتح مجالات متعددة للاستثمار، ويسهم في تحقيق الوقف لأهدافه التنموية. وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- إن مفهوم التمويل بالوقف، ينطلق من مفهوم الوقف ذاته، فالوقف في حد ذاته تمويل كما أنه في الوقت نفسه استثمار.
- تبدو الحاجة إلى تنظيم فقهي لصور جديدة من التمويل بالوقف، تلائم روح العصر وتتفق مع نصوص الشرع، وتحقيق رغبة الواقف والمجتمع على السواء، وذلك اعتمادا على النظر في القواعد الشرعية للوقف؛ للوقوف على إمكانية تطويرها بما يلائم نص الشارع وفقه الواقع.
- تطوير نظام التمويل بالوقف بحيث لا يفصل عن البيئة المحيطة بالوقف، فالوقف جزء من البيئة التي حوله، يؤثر ويتأثر بها، وعلى ذلك، يمكن للوقف الاستفادة من التطور السريع والمتنامي في أدوات التمويل والاستثمار، مما ييسر السبل لتمويل واستثمار الأموال الوقفية.
- تم التوصل إلى تصور مقترح لتطوير نظام التمويل بالوقف، يواءم بين طبيعة الواقع العملي الحالي، وما أفرزه فقه التطبيق لنظام الوقف من نتائج، بصورة تنوع من أساليب التمويل، وتفتح مجالات متعددة للاستثمار، وتحقق استقلالية لأموال الوقف، وإدارته بكفاءة وفعالية، وتُفَعِّل الجانب الرقابي، وتسهم في تحقيق الوقف لأهدافه التنموية، وذلك من خلال إصدار صكوك وقفية أهلية وخيرية واستثمارية، تمثل صدقات جارية في حياة الواقف، وبعد وفاته، يُعْمَ خَيْرُهَا، ويكثر بِرُّهَا، وتتضافر بها الجماعة في مد ذوي الحاجات، وإقامة المساجد، وإنشاء دور الخير من مستشفيات، تعالج أدواء الناس، ومدارس ومعاهد ومراكز تنشر العلم، وترفع الجهل، ومساكن تؤوي أبناء السبيل، وملاجئ تؤوي اليتامى، وغير ذلك من أعمال البر، فضلا عن تنشيط وتدعيم الاقتصاد من خلال مؤسسات اقتصادية، سواء أكانت صناديق استثمار، أو شركات مساهمة، تؤوي العاطلين، وتزيد الإنتاجية في بلاد المسلمين، ويستفاد بربحها في تفعيل أبواب الخير، مما يدفع بعجلة التنمية الاجتماعية والاقتصادية في البلدان الإسلامية.

ما يميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة.

من خلال البحث والاستقراء لم يقع بين يدي الباحث دراسة بهذا العنوان في ليبيا، ولذلك تتميز هذه الدراسة عن غيرها بكونها من أوائل الدراسات التي تُعنى بتسليط الضوء على إمكانية توظيف أموال الأوقاف في ليبيا بأساليب عملية حديثة؛ للتخفيف من ضغوط الإنفاق الحكومي، وتهدف الدراسة إلى تقديم نموذج تمويلي مقترح يبين آلية استخدام أموال الوقف واستثمارها كمصدر تمويل مستدام، يسهم في الحد من الأعباء المالية على الحكومة الليبية، مع المحافظة في الوقت ذاته على الطابع الخيري والاجتماعي للوقف.

هيكلة البحث.

سيتم تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول- ماهية التمويل بالوقف والاستثمار الوقفي.

المبحث الثاني- تطور الإيراد والإنفاق العام في الاقتصاد الليبي في الفترة 2015-2022م.

المبحث الثالث- نموذج تمويلي مقترح لآلية مساهمة الوقف في التخفيف من ضغوط الإنفاق الحكومي في ليبيا.

المبحث الأول

ماهية التمويل بالوقف والاستثمار الوقفي

يعد الوقف من الأدوات المالية الإسلامية التي تميزت بقدرتها على تحقيق التنمية المستدامة من خلال عطائه المستمر ومرونته التمويلية والاستثمارية، فقد كان الوقف عبر التاريخ الإسلامي وسيلة فاعلة وداعمة في شتى المجالات الحيوية في المجتمع الإسلامي، كـ مجال التعليم، والصحة، والرعاية الاجتماعية، والخدمات، والبنية التحتية، بما يعكس تكاملاً بين البعد الديني والبعد الاقتصادي في المنظور الإسلامي للتمويل.

ومع تزايد الحاجة إلى نماذج تمويل حديثة ومبتكرة، تستند إلى مبادئ وأحكام الشريعة الإسلامية، برز مفهوم التمويل بالوقف كآلية حديثة فعالة، تعزز من كفاءة توظيف أموال الوقف، لا سيما من خلال الاستثمار الوقفي، الذي تسعى من خلاله إدارة الوقف إلى تنمية الأموال الموقوفة، وتوجيه عائداتها نحو تحقيق مقاصد الوقف الإسلامي، وتتمثل أهمية هذا المبحث في كونه يُسلط الضوء على المفهوم الدقيق للتمويل بالوقف والأموال الوقفية، وبيان أشكاله، مع استعراض مفهوم الاستثمار الوقفي، والوقوف على أهدافه ومجالاته الاستثمارية المتنوعة وضوابطه الشرعية والاقتصادية.

المطلب الأول - التمويل بالوقف والأموال الوقفية.

يتناول هذا المطلب مفهوم التمويل بالوقف وأشكاله حسب المستفيد من التمويل، وكذلك التعريف بالأموال الوقفية وأشكالها الأساسية.

الفرع الأول - التمويل بالوقف والمستفيدون منه.

أولاً- مفهوم التمويل بالوقف: عرّف المعايير الشرعية الوقف بأنه حبس العين عن كل التصرفات الناقلة للملك، والتصدق بالمنفعة، أي صرف المنفعة إلى الموقوف عليه¹.

ومن خلال تعريف الوقف ذاته يمكن أن نعرف التمويل بالوقف بأنه: آلية شرعية اقتصادية تستخدم فيها أعيان ومنافع الوقف لتحقيق عوائد، والتي تعتبر مصدراً تمويلياً مستداماً لتمويل العديد من المشاريع والخدمات ذات المنافع العامة وفق ضوابط وأحكام الوقف الشرعية.

ثانياً - أشكال التمويل بالوقف: وفقاً للمستفيد من الوقف يصنف التمويل كما يلي:²

- التمويل الأهلي (الذري): وهو تمويل يتم وقفه على الذرية والأهل.

¹ - هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، المعايير الشرعية، المعيار 33، 2017م، ص 823.

² - أشرف دوابه، نحو تصور مقترح للتمويل بالوقف، مجلة مركز صالح عبد الله كامل للاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر، العدد الحادي والعشرين، ص 294.

- التمويل الخيري: وهو تمويل يتم وقفه على أعمال الخير العامة لمصالح المجتمع المسلم، كالفقراء، وطلبة العلم، والمساجد، والمرافق العامة في المجتمع، وغيرها من وجوه الخير، ويدخل في ذلك ما وقف للاستثمار في مشروعات استثمارية لغرض الحصول على إيراد يتم إنفاقه في أوجه البر المختلفة.

الفرع الثاني _ الأموال الوقفية وأشكالها:

أولاً- تعريف المال الوقفي: هو المال المسبل نفعه على الموقوف عليهم، ويشترط فيه أن يكون هذا المال متقوماً ، ونفعه مباحاً شرعاً، ومملوكاً ملكية باتة للواقف³.

ثانياً _ أشكال الأموال الوقفية: تقسم الممتلكات الوقفية إلى ما يلي:⁴

- 1- الأموال العقارية: قد اتفق الفقهاء على صحة وقف العقارات، ويدخل في نطاق ذلك الأراضي، والمباني، والحدائق، والبساتين، وما في حكم ذلك من الأموال العقارية.
 - 2- الأموال المنقولة: قد اختلف الفقهاء حول صحة الوقف المنقول، ويرى جمهور الفقهاء صحة ذلك حسب قولهم: "كل ما جاز بيعه وجاز الانتفاع به مع بقاء عينه جاز وقفه" كما يجوز وقف المنقولات المرتبطة أو الملحقة بالأموال العقارية.
 - 3- الأموال النقدية: قد أجاز فريق من الفقهاء وقف الأموال النقدية، ومنهم: المالكية، وابن رشد، ومن النماذج المعاصرة لذلك إيداع النقود في المؤسسات المالية الإسلامية، وتوزيع عوائدها على الجهات الموقوفة عليها.
- ولقد وقف بعض الصالحين في الوقت المعاصر بعض الودائع الاستثمارية، والأسهم، والصكوك الإسلامية على وجوه الخير.

المطلب الثاني _ الاستثمار الوقفي، أهدافه، مجالاته، ضوابطه.

يتناول هذا المطلب التعريف بمفهوم الاستثمار الوقفي، ويسلط الضوء على أهم أهدافه ذات الطابع الاقتصادي والاجتماعي، ويستعرض مجالات توظيف أموال الأوقاف في الأنشطة الاستثمارية، كما يعرض الضوابط التي ينبغي على القائمين على إدارة الاستثمار الوقفي مراعاتها عند مباشرة العمليات الاستثمارية، وذلك بما يضمن تحقيق المقاصد الاقتصادية الشرعية والتنموية للوقف.

الفرع الأول _ مفهوم الاستثمار الوقفي وأهدافه.

أولاً _ مفهوم استثمار الوقف: ويقصد باستثمار الوقف هو تحقيق أكبر عائد للوقف، أو تأمين أعلى ربح، أو ريع من الأصل الوقفي، وذلك بالبحث عن أفضل الأساليب والطرق المشروعة التي تؤمن ذلك؛ ليتم صرفه على جهات الخير الموقوف عليها، ولحفظ قسم منها لعمارة الأصل، أو إصلاحه، أو ترميمه، أو تطويره، لضمان بقائه، واستمرار عطائه⁵.

ثانياً _ أهداف الاستثمار الوقفي: يهدف استثمار الوقف إلى ما يلي:⁶

- 1- المحافظة على أصل الوقف من الاندثار، وذلك بسبب المصاريف والنفقات التي تحتاج التعويض، وذلك باختيار

³- مريم كفي، سبل تطوير أدوات وآليات الاستثمار الوقفية بالجزائر - حالة أوقاف التعليم والبحث العلمي، أطروحة دكتوراه- كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير قسم العلوم الاقتصادية- جامعة محمد النشير الإبراهيمي برج بوعريش، 2021م، ص9.

⁴- حسين شحاته، بحث بعنوان: منهج وأساليب إدارة أموال المؤسسات الوقفية (التخطيط . الرقابة وتقييم الأداء . اتخاذ القرارات)، جامعة الأزهر، بدون سنة نشر، ص6.

⁵- محمد الزحيلي، الاستثمار المعاصر للوقف، بحث منشور على موقع رابطة علماء السوريين، بدون سنة نشر، ص8.

⁶- عبد المنعم الدالي، واقع إدارة واستثمار الأوقاف في ليبيا، أطروحة دكتوراه، قسم الاقتصاد الإسلامي، كلية الدراسات العليا جامعة سونان أمبيل الإسلامية الحكومية، بسور ابايا، 2018م ص80.

أفضل الأساليب والمجالات الاستثمارية المناسبة.

2- تحقيق أكبر عائد للوقف: والمقصود هنا الحصول على أفضل الأرباح والعوائد من الأصل الوقفي، مع المحافظة عليه؛ لأنه أكثر أهمية من الحصول على العائد، وذلك بعمارة الأصل، أو إصلاحه، وتطويره، لضمان بقائه، واستمراره للعطاء.

3- رفع الكفاءة الإنتاجية لأموال الأوقاف إلى أقصى حد ممكن، وذلك للحصول على أعلى إيرادات، وتخفيض النفقات إلى أدنى حد ممكن.

4- الاستثمارات الجيدة للأوقاف، تسهم في استقطاب أوقاف جديدة، وتشجع الواقفين على وقف أموالهم بالصيغة التي تناسب مواردهم المالية.

الفرع الثاني _ مجالات استثمار أموال الوقف وضوابطه الشرعية والاقتصادية.

أولاً- مجالات استثمار أموال الوقف: من أهم مجالات استثمار أموال الوقف ما يلي:⁷

1-الاستثمار العقاري:

يتمثل في شراء العقارات، وتأجيرها، وتعمير العقارات القديمة وصيانتها، واستبدال العقارات، وإنشاء المباني السكنية، والصناعية، والخدمية، والتجارية، على أراضي الوقف إما بصيغة الاستصناع، أو المشاركة المنتهية بالتملك.

2- الاستثمار في إنشاء المشروعات الإنتاجية:

ومنه المشاريع المهنية والحرفية الصغيرة التي تعمل في مجال الضروريات والحاجيات، وبما يحقق أكبر نفع ممكن للموقوف عليهم، والتي تسهم في التنمية الاجتماعية والاقتصادية.

3-الاستثمار في المشروعات الخدمية:

ومنه بناء المدارس، والمعاهد، والجامعات، والمستشفيات، والمؤسسات الاجتماعية الخيرية، كدور الضيافة للفقراء والمساكين وابن السبيل، ودور اليتامى والمسنين والمرضى.

4- المساهمة في رؤوس أموال بهدف تحقيق عوائد:

وللمساهمة عدة صيغ، مثل: المساهمة في رؤوس أموال بعض الشركات، المتمثلة في شراء الأسهم، والمساهمة في رؤوس أموال صناديق الاستثمار الإسلامية، وفي رؤوس أموال المصارف الإسلامية، وفي رؤوس أموال شركات التأمين الإسلامية، وفي رؤوس أموال الجمعيات التعاونية الإسلامية والخدمية.

5- المساهمة في الحسابات الاستثمارية لدى المؤسسات المالية الإسلامية:

ولها أنواع كثيرة منها: المساهمة في الودائع الجارية الاستثمارية تحت الطلب، وفي ودائع التوفير الاستثماري، وفي ودائع الاستثمار لأجل مطلق (صيغة المضاربة الشرعية المطلقة)، وفي ودائع الاستثمار لأجل مقيد (صيغة المضاربة الشرعية المقيدة).

6- الاستثمار في الأوراق المالية: وذلك بهدف الحصول على العوائد والأرباح الحلال المستقرة نسبياً بشروط وضوابط

⁷ - بشيرة مناني، منجية خلف، استثمار أموال الوقف ودوره في تحقيق مقصد حفظ المال، رسالة ماجستير، معهد العلوم الإسلامية قسم الشريعة- تخصص معاملات مالية، جامعة الشهيد حمّاد لخضر - الوادي، الجزائر، 2020م، ص16، 17، بتصرف.

ومعايير معينة، ومن أهمها ما يلي:

- الأسهم العادية لشركات مستقرة تعمل في مجال الحلال الطيب ذات مخاطر قليلة.
- الصكوك الإسلامية الصادرة عن المؤسسات المالية الإسلامية.
- سندات المشاركة في الربح والخسارة.
- صكوك صناديق الاستثمار الإسلامية.
- سندات الصناديق الوقفية.

7- الاستثمار في الأنشطة الزراعية: مثل تأجير الأراضي الزراعية الموقوفة، والمشاركة في استغلالها، بالمغارة والمزارة والمساقاة⁸.

ثانياً _ ضوابط استثمار أموال الوقف وعوائده.

عند إجراء عقود استثمار أموال الوقف، يجب أن تكون مصاحبة بضوابط شرعية واقتصادية دقيقة، والتي نلخصها في الآتي:⁹

- أن يكون الاستثمار في وجه من الوجوه المباحة شرعاً، فلا يجوز للناظر أو لهيئة الوقف إيداع أموال الوقف بقصد الحصول على الفوائد الربوية، أو الاستثمار في السندات الربوية، أو شراء أسهم لشركات أصل نشاطها حرام، أما الشركات التي أصل نشاطها مباح وتتعرض - أحياناً - للتعامل بالربا عرضاً وعطاءً، فيجوز أن تنظر في تعاملها اللجنة الشرعية لهيئة الوقف أو أي جهة أخرى وتقضي فيه بحسب المصلحة.
 - مراعاة شروط الواقفين فيما يقيدون به الناظر في مجال تشيير ممتلكات الأوقاف، ولو شرط الواقف وجها استثمارياً معيناً، فيجب العمل به، فشرط الواقف كنص الشارع.
 - الاعتماد على دراسات الجدوى الاقتصادية للمشروعات الوقفية، وتوثيق عقودها، والحصول على الضمانات الكافية.
 - اختيار صيغ الاستثمار الملائمة لطبيعة الأوقاف بما يحقق مصالح الوقف، ويجنبه مخاطر ضياع حقوق المستفيدين.
 - السعي لتحقيق العائد الاجتماعي في الاستثمارات الوقفية دون التضحية بالربح، وتعظيمه لصالح الموقوف عليهم.
- ولكي يحقق استثمار أموال الوقف الأهداف الاجتماعية والاقتصادية المرجوة، هناك ضوابط أخرى، ينبغي على ناظر الوقف الالتزام بها، وهي كالتالي:¹⁰

- أن يكون استثمار أموال الوقف في موجودات قابلة للتضيض بشكل سريع إذا اقتضت

حاجة الموقوف عليهم لصرفها لهم.

⁸ - العمري عمرو، تطوير أساليب الاستثمارات الوقفية - دراسة مقارنة بين التجربة الجزائرية والتجربة الكويتية، أطروحة دكتوراه - قسم العلوم المالية والمحاسبة تخصص مالية المؤسسة - جامعة ألكلي محند أولحاج - البويرة، الجزائر، 2022م، ص74.

⁹ - العياشي فداد، مسائل في فقه الوقف، دورة دور الوقف في مكافحة الفقر نواكشوط - 16-21 مارس 2008، ص35، 36. بتصرف.

¹⁰ - حسن خطاب، ضوابط استثمار الوقف في الفقه الإسلامي، بحث مقدم للمؤتمر الرابع للأوقاف، المدينة المنورة، 2013م، ص25، 26، بتصرف.

- تنوع المشاريع والمجالات التي تستثمر فيها أموال الوقف، بما يناسب كل مال موقوف حسب طبيعته حتى لا تكون مركزة في مشروع أو مجال واحد، قد يتعرض لخسائر، فتضيع أموال الوقف، فتعدد المشاريع، يؤدي إلى تخفيف الخسائر، وتعويض بعضها البعض.
- ضرورة المتابعة والمراقبة، وتقويم الأداء المستمر للتصرفات التي تتم على أموال الأوقاف.
- اتباع الأولويات والمفاضلة بين أساليب الاستثمار ومجالاتها، وهذا خاضع للتطور، ومعرفة الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في مكان الاستثمار.

المبحث الثاني

تطور الإيراد والإنفاق العام في الاقتصاد الليبي في الفترة 2015-2022م

تعتبر الإيرادات العامة من أهم الركائز التي يعتمد عليها الاقتصاد الليبي في تمويل الإنفاق العام، وكذلك في تحقيق الاستقرار المالي والنمو الاقتصادي، وتكتسب دراسة تطور الإيرادات أهمية خاصة في ليبيا باعتبارها دولة ريعية، حيث تلعب إيرادات النفط دوراً محورياً في تشكيل الهيكل المالي والاقتصادي للدولة الليبية.

ولقد مر الاقتصاد الليبي خلال السنوات الأخيرة بتحويلات اقتصادية ومالية كبيرة، تأثرت من خلالها الإيرادات العامة للدولة بعوامل عديدة، ومن أبرزها التقلبات التي حصلت ومازالت تحصل في أسعار النفط، وكذلك التغيرات الأمنية السياسية، فضلاً عن سياسات إدارة الموارد العامة، وفي ظل كل هذه التغيرات، تبرز أهمية الحاجة إلى دراسة تحليلية لتطور الإيرادات العامة وتقييم واقعها، وذلك بهدف معرفة الوضع المالي والاقتصادي للدولة، ومدى قدرتها على تحقيق التوازن المالي وتلبية متطلبات التنمية الشاملة والمستدامة.

المطلب الأول _ مصادر وواقع الإيرادات العامة في ليبيا خلال الفترة 2015-2022م.

يتناول هذا المطلب مصادر الإيرادات العامة للدولة الليبية، وتحليل مراحل تطورها، وواقعها في الاقتصاد الليبي خلال الفترة 2015-2022م.

الفرع الأول _ مصادر الإيرادات العامة في ليبيا.

تتحصل الدولة الليبية على إيراداتها العامة من الإيرادات النفطية والإيرادات السيادية، وتتمثل الإيرادات النفطية في صافي الإيرادات النفطية من النفط والغاز، أما الإيرادات السيادية فتتمثل في إيرادات الضرائب، والرسوم الجمركية، ورسوم الخدمات العامة، وإيرادات الاتصالات، وأرباح مصرف ليبيا المركزي، وإيرادات السوق المحلي من المبيعات النفطية، وإيرادات مبيعات الرسم الأجنبي.

الفرع الثاني _ تطور الإيرادات العامة وواقعها في ليبيا خلال الفترة 2015-2022م.¹¹

إن إيرادات الدولة الليبية لعام 2016م بالرغم من عدم إعداد موازنة عامة لذلك العام، وكذلك عدم وجود نص قانوني، يتم الاستناد عليه في تقييم كفاءة التحصيل، وتحديد انحرافات الميزانية، إلا أنه من السهل الحكم على إيرادات ذلك العام بأنها الأسوأ على الإطلاق، مقارنة بإيرادات السنوات السابقة له، حيث إنه لم تتجاوز إيرادات الدولة خلال ذلك العام مبلغ 8.5 مليار دينار مقارنة بالعام السابق له 2015م، الذي بلغ 16.8 مليار دينار، منها مبلغ 4.5 مليار بواقي أرصدة حسابات الجهات العامة.

¹¹ - تقارير ديوان المحاسبة الليبي للسنوات من 2015-2022م.

وقد بلغت الإيرادات المتوقعة تحصيلها خلال الفترة من 2017/1/1 إلى 2017/12/31 مبلغ (37.56) مليار دينار، في حين أن ما تم تحقيقه فعلاً خلال نفس الفترة بلغ (33) مليار دينار.

وتم تقدير إيرادات العام 2018 بمبلغ (33,550,000,000) دينار، وقد بلغت الإيرادات الفعلية المحصلة خلال نفس الفترة ما قيمته (49,163,781,644) دينار بفائض يبلغ (15,613,781,644) دينار، ونسبة 47%، كما تم إقرار تمويل إضافي من خلال الاقتراض من مصرف ليبيا المركزي، وصندوق الجهاد بقيمة 10,861,430,000 دينار، وبلغ ما تم تحصيله منها ما قيمته 5,880,714,997 دينار.

وبلغت الإيرادات المقدرة تحصيلها خلال العام 2019 مبلغ (46,800,000,000) دينار، وبلغت الإيرادات الفعلية خلال نفس الفترة لتغطية الترتيبات المالية، مبلغ قيمته (57,417,418,745) دينار، بوفر في إجمالي الإيرادات مبلغ (10,617,418,746) دينار.

وتم تقدير الإيرادات خلال العام 2020 بمبلغ قيمته (11,293,600,000) دينار، في حين بلغت الإيرادات الفعلية في نفس العام بمبلغ قيمته (25,253,370,716) دينار، بوفر في إجمالي الإيرادات بلغ قيمته (13,959,770,716) دينار.

وبلغت الإيرادات الفعلية المحصلة بحسابات الإيرادات الرئيسية لتغطية الإنفاق الحكومي خلال العام 2021 مبلغ قيمته (105,632,059,723) دينار.

كما بلغت إيرادات الدولة خلال العام المالي 2022 ما قيمته (177) مليار دينار.

المطلب الثاني _ واقع الإنفاق العام في الاقتصاد الليبي والمقارنة بينه وبين الإيراد خلال الفترة 2015 - 2022م.

يستعرض هذا المطلب واقع النفقات الحكومية، والمقارنة بينها وبين الإيرادات لمعرفة الوضع المالي في الاقتصاد الليبي خلال الفترة الممتدة من عام 2015 إلى عام 2022م.

الفرع الأول _ واقع الإنفاق العام في الاقتصاد الليبي.¹²

بلغ الإنفاق الحكومي على القطاعات والمؤسسات العامة خلال العام 2016م أكثر من 30 مليار دينار ليبي، بانخفاض قدره 5.5 مليار دينار، مقارنة بالعام 2015م، الذي تجاوزت نفقاته مبلغ 36 مليار دينار، علماً بأنه لم يتم إقرار موازنة عامة للعام 2016م، فتم اعتماد الصرف، وفقاً لميزانية العام 2015م، استناداً إلى أحكام قرار المؤتمر الوطني العام رقم (1) لسنة 2016م بشأن الإذن بفتح اعتمادات شهرية مؤقتة على أساس جزء من اثني عشر (12/1).

وتم إقرار إنفاق مبلغ 37.56 مليار دينار بموجب قرار ميزانية الترتيبات المالية 2017م، وبلغت المبالغ المحالة من وزارة المالية إلى القطاعات الممولة من الخزنة العامة خلال العام ما قيمته 32.6 مليار دينار بوفر قدره 4.9 مليار دينار.

وبلغت جملة المبالغ المحالة للجهات الممولة من الخزنة العامة، وفقاً لقرار الترتيبات المالية، والترتيبات المالية الاستثنائية خلال الفترة من 01/01 إلى 2018/12/31 مبلغ قيمته (41,327,815,410) دينار، يقابلها مخصصات بالترتيبات المالية 2018م خلال نفس الفترة بمبلغ قيمته (42,511,430,000) دينار، والترتيبات الاستثنائية بمبلغ قيمته (1,900,000,000) دينار.

¹² - تقارير ديوان المحاسبة الليبي للسنوات من 2015-2022م، مرجع سابق.

وقد بلغت جملة المبالغ المحالة للجهات الممولة من الخزنة العامة وفقا لقرار الترتيبات المالية، خلال العام 2019م مبلغ قيمته (45,903,704,696) دينار، يقابلها مخصصات بالترتيبات المالية 2019م خلال نفس الفترة بمبلغ قيمته (46,800,000,000) دينار، كما بلغت جملة المبالغ المخصصة كترتيبات مالية استثنائية خارج ترتيبات الميزانية العامة ما قيمته (2.750) مليار دينار لصالح وزارة الداخلية والمؤسسة الوطنية للنفط، سيل منها خلال العام 2019م (299.5) مليون دينار للمؤسسة، وباقي المخصصات تم تنفيذها بالعام 2020م، كما بلغت النفقات خارج الترتيبات نحو (457) مليون دينار.

كما بلغت المبالغ المحالة للجهات الممولة من الخزنة العامة وفقا لقرار الترتيبات المالية رقم 208 لعام 2020م، خلال الفترة من 01/01 إلى 2020/12/31م مبلغ قيمته (36,310,922,028) دينار، يقابلها مخصصات بالترتيبات المالية 2020م خلال نفس الفترة بمبلغ قيمته (38,500,000,000) دينار.

وبلغت المبالغ المحالة للجهات الممولة من الخزنة العامة وفقا للقرار رقم (429) لسنة 2021م بشأن الإنفاق الحكومي والتمويل الفعلي خلال الفترة من 2021/01/01م إلى 2021/12/31م، مبلغ (85,875,419,404) دينار، وذلك في مقابل اعتمادات شهرية مؤقتة لكافة أبواب الميزانية خلال نفس الفترة بمبلغ قيمته (86,094,530,000) دينار، وبنسبة تمويل 99%.

وقد بلغت نفقات الدولة المسيلة فعلاً لحسابات القطاعات خلال العام 2022م ما قيمته (170,588,460,04) دينار، ونلاحظ أن هناك زيادة في الإنفاق خلال العام 2022م عن العام السابق له بمقدار (68) مليار دينار.

الفرع الثاني _ مقارنة النفقات بالإيرادات خلال الفترة 2015- 2022م.

يتناول هذا الفرع مقارنة بين الإيرادات المحققة والنفقات الفعلية للدولة خلال الفترة من (2015-2022م)، والتي لا تتضمن نفقات الحكومة المؤقتة في المنطقة الشرقية التي لازالت بياناتها غير معلنة بشكل رسمي، ويمكن توضيح ذلك من خلال الجدول التالي:

السنوات	2015	2016	2017	2018	2019	2020	2021	2022	مجموع السنوات
الإيرادات	11	9	22	49	60	25	122	177	475
النفقات	36	30	32	41	47	39	102	171	498
فائض أو عجز	(25)	(21)	10-	8	13	14-	18	6	23-

موارد ونفقات الدولة 2015- 2022م (المبالغ بالمليار دينار)

الجدول من إعداد الباحث بالاعتماد على تقارير ديوان المحاسبة الليبي في الفترة الممتدة من عام 2015 إلى عام 2022م.

وبين الجدول السابق مقابلة إيرادات الدولة بنفقاتها على مدى الأعوام (2015-2022م)، والذي يظهر محصلة تراكمية بعجز قدره 23 مليار دينار، علما بأن هذه الأرقام لا تتضمن نفقات الحكومة المؤقتة بالمنطقة الشرقية، والتي من المتوقع تجاوزها لمبلغ 100 مليار دينار خلال السنوات المذكورة، لم يتم الإفصاح عنها بشكل رسمي.

ومن خلال ما سبق، نلاحظ أن الميزانيات في أغلب السنوات المذكورة مولت بالعجز، حيث تم تمويلها من خلال

اقتراض الحكومة من المصرف المركزي، أو من المصارف التجارية. وعليه، فإن هذا الوضع المالي الحرج، يستلزم منا مستقبلاً بعد ترشيد الإنفاق والحد من الفساد، القيام بوضع حلول تمويلية بديلة لتخفيف الأعباء المالية عن الحكومة، وتحقيق استدامة مالية، ومن ضمن هذه الحلول المقترحة، الاستفادة من التمويل والاستثمار الوقفي في تخفيف الأعباء المالية عن الدولة، وهذا ما سنتطرق إليه في المبحث التالي، والذي سنقدم فيه نموذجاً تمويلياً مقترحاً من خلال الوقف للتخفيف من ضغوط الإنفاق الحكومي في ليبيا.

المبحث الثالث

نموذج تمويلي مقترح لآلية مساهمة الوقف في التخفيف من ضغوط

الإنفاق الحكومي في ليبيا

يعتبر الوقف الإسلامي أحد أبرز الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية في التاريخ الإسلامي، وذلك لما له من فاعلية في تعزيز التنمية، وتلبية متطلبات المجتمع بعيداً عن الأطر والآليات التقليدية للإنفاق العام، ومن خلال تجارب وقفية سابقة، فقد كان للوقف عبر العصور دور فعال، في تمويل ودعم العديد من المجالات الحيوية، كمجال التعليم، والصحة، والإسكان، والخدمات الاجتماعية، مما أسهم ذلك في تقليل الاعتماد الكلي على الإنفاق الحكومي، ومع تنامي العديد من التحديات الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة التي تواجهها الحكومات في السنوات الأخيرة في ليبيا، ولا سيما في ظل تزايد الإنفاق الحكومي على الخدمات العامة والتنمية، ومحدودية الموارد المالية للدولة، تبرز أهمية تفعيل مؤسسة الوقف كأداة تمويل داعمة للمالية العامة.

ويهدف هذا المبحث إلى بيان آلية مساهمة الوقف في تخفيف الأعباء المالية عن الحكومة الليبية، من خلال الدور الداعم الذي يمكن أن يلعبه الوقف في تمويل من القطاعات الخدمية والتنمية.

المطلب الأول _ أهداف وأدوات النموذج التمويلي المقترح.

يستهدف هذا المطلب تقديم نموذج تمويلي مقترح من خلال التمويل بالوقف لعدة مجالات تعليمية، وصحية، وصناعية، وعقارية، وزراعية، وغيرها من المجالات الأخرى التي يمكن أن تساعد في التخفيف من ضغوط الإنفاق الحكومي، وتتمثل خطوات النموذج المقترح فيما يلي:

الفرع الأول _ أهداف النموذج التمويلي المقترح.

لنموذج التمويل المقترح عدة أهداف شرعية واقتصادية واجتماعية، وتتمثل في الآتي:¹³

- 1- فتح آفاق جديدة للأعمال الخيرية والخدمية، والمحافظة عليها، وضمان استمراريتها إلى أن يشاء الله من خلال صدقة الوقف الإسلامي العظيمة، وسنته التي سنها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه وأمتة من بعده.
- 2- نشر روح التعاون والتآخي والتكافل التي تجعل أفراد المجتمع الليبي وحدة واحدة.
- 3- تعدد مصادر التمويل والاستثمار أمام الأوقاف، التي تمكنها من تعظيم الربحية الاجتماعية والاقتصادية، وتحقيق أهدافها التنموية المأمولة من خلال دعم وتمويل العديد من القطاعات العامة في الاقتصاد الليبي، ومن ثم تخفيف الأعباء المالية عن الحكومة.

¹³ - أشرف دوابه، نحو تصور مقترح للتمويل بالوقف، مرجع سابق، ص 303، بتصرف.

4- تطوير إدارة الهيئة العامة للأوقاف والشؤون الإسلامية لا سيما في مجال التمويل والاستثمار، لكي تكون ذات كفاءة إدارية واستثمارية وفنية عالية، وأن تكون مستقلة في اتخاذ قراراتها عن الروتين الحكومي.

الفرع الثاني _ أدوات التمويل في النموذج التمويلي المقترح.

أولا _ الصناديق الوقفية الاستثمارية.

يسعى النموذج التمويلي المقترح من خلال هذه الأداة التجميعية إلى توظيف أموال الوقف في القنوات الاستثمارية الحديثة ذات الطابع التنموي، والخدمي، والإنتاجي، بما يعزز ذلك من الاستدامة المالية، ويقلل من الاعتماد المباشر لبعض القطاعات على الإنفاق الحكومي، حيث يمكن تأسيس صناديق وقفية استثمارية متوافقة مع أحكام الشريعة الإسلامية، وتُدار من قبل مؤسسة مالية متخصصة (المصرف الوقفي مثلاً) وفقاً لأسس الحوكمة الرشيدة، وتُوجه أموال هذه الصناديق للاستثمار المباشر في قطاعات ذات أولوية شرعية ووطنية، والحصول على عوائد مالية وإنفاقها في وجوه الخير، ومن هذه القطاعات: قطاع التعليم، والصحة، والإسكان، والخدمات، وقطاع البنية التحتية، والأنشطة الزراعية، حيث إن هذه القطاعات غالباً ما تمثل عبئاً مالياً كبيراً على الميزانية العامة للدولة الليبية، فيمكن للوقف أن يمول هذه القطاعات، ويساهم في تنميتها بالتنسيق مع الحكومة.

وبإمكان الوقف أيضاً أن يدعم المشاريع الحكومية من خلال توجيه جزء من عائدات استثماراته إلى هذه المشاريع التي تخدم المجتمع الليبي.

ثانياً _ الصكوك الوقفية.

يمكن إصدار صكوك مدعومة بالأصول الوقفية وتجميع عائداتها، ومن ثم توجيهها للاستثمار في مشاريع إنتاجية، بحيث يذهب ريعها إلى تمويل قطاع الخدمات العامة، مما يخفف ذلك العبء عن الموازنة العامة للدولة الليبية.

ومن أمثلة الصكوك التي يمكن أن تساهم في تخفيف العبء المالي على الحكومة ما يلي:

1- الصكوك الوقفية الأهلية: والتي يمكن إصدارها من قبل الهيئة العامة للأوقاف والشؤون الإسلامية، وطرحها للاكتتاب على الراغبين في وقف أموالهم من خلال المصرف الوقفي، وتوجه الأموال المجمعة من الصكوك للإنفاق في وجوه الخير بلا عوائد مادية، كإنشاء المستشفيات وشراء المعدات الطبية، وبناء المساجد، والمدارس، والجامعات، ومساعدة ذوي الدخل المحدود بما يحتاجونه.

2- الصكوك الوقفية الاستثمارية: والتي يمكن إصدارها من قبل الهيئة العامة للأوقاف وطرحها للاكتتاب من خلال المصرف الوقفي، ومن ثم توجيه حصيلتها للاستثمار في مشاريع إنتاجية، تدر عوائد مادية، يتم إنفاقها في وجوه الخير، وما يطور تلك المشروعات وينهض بها.

ثالثاً _ المشاركة بين القطاع العام والأوقاف.

يمكن أن يكون نموذج المشاركة بين الحكومة والهيئة العامة للأوقاف، لإنشاء وتطوير مشاريع خدمية محددة، كإنشاء أو تطوير مدارس، أو مستشفيات، أو القيام بمشاريع إسكانية، بحيث تتحمل الأوقاف جزءاً من التمويل مقابل حصولها على نسبة من عوائد المشاريع، أو حقوق الانتفاع، وهذه المشاركة ستخفف الأعباء المالية عن الحكومة.

المطلب الثاني _ أطراف وإدارة النموذج التمويلي المقترح والرقابة فيه.

يستهدف هذا المطلب تبيان الأطراف المتعاملة في النموذج التمويلي المقترح، ودور كل منهم، وعرض الإدارات ومكوناتها، وصولاً إلى الرقابة وتصنيفاتها التي يستلزم وجودها في النموذج المقترح.

الفرع الأول _ أطراف النموذج التمويلي.

ويمكن أن تكون أطراف النموذج المقترح كما يلي:¹⁴

أولاً _ الهيئة العامة للأوقاف والشؤون الإسلامية والمصرف الوقفي.

حيث تقوم الهيئة بإصدار الصكوك الخيرية والصكوك الاستثمارية في التصور المقترح للاكتتاب العام، والاكتتاب فيها، واستقبال حصيلة الاكتتاب من خلال المصرف الوقفي، وتوجيه حصيلة الصكوك الخيرية لأعمال البر، واستثمار الصكوك الاستثمارية فيما خصصت له استثماراً شرعياً مربحاً، وفقاً للشروط المنصوص عليها في نشرات الاكتتاب، وتوجيه عائداتها المالية لأعمال الخير.

ثانياً _ الواقفون.

وهم أصحاب الأموال الذين يكتبون في الصكوك الوقفية، ويمثلون في مجموعهم الجمعية العامة للوقف.

ثالثاً _ الموقوف عليهم.

وهم المستفيدون من الوقف، ويمكن أن تتعدد جوانب الاستفادة من الوقف لتشمل الآتي:

- 1- الجانب الديني، كبناء المساجد وتعميرها، وإنشاء مراكز لتحفيظ القرآن الكريم.
- 2- الجانب التعليمي، كإنشاء مراكز محو الأمية، وبناء المدارس، والجامعات، والمكتبات، ومراكز البحث العلمي، والتقنية المتطورة، والاتصالات.
- 3- الجانب الصحي، كإنشاء المستشفيات، وتطويرها، وتوفير معادتها، وخصوصاً مستشفيات علاج أمراض العصر كالسرطان وأمراض الكبد والأمراض النفسية، وإنشاء صيدليات بها، وإنشاء مراكز للإسعاف والإغاثة والطوارئ، ومراكز خاصة بتطوير الأدوية.
- 4- الجانب العقاري، ويتمثل في إنشاء المدن الجديدة، وتطوير المدن القائمة، وتوصيل قنوات المياه إلى المناطق من نقص المياه، وإقامة السدود، وتعبيد الطرق وإنشاء الجسور.
- 5- الجانب الزراعي، ويتمثل في استصلاح الأراضي، وحفر آبار المياه لزراعتها، وتشجيرها لمكافحة التصحر.
- 6- الجانب الاجتماعي، كإنشاء دور لرعاية الأيتام، والأرامل، والمسنين، والمعاقين، وأبناء السبيل، ومراكز لتدريب العاطلين عن العمل وتشغيلهم، وتقديم القروض الحسنة للمحتاجين.

الفرع الثاني _ إدارة النموذج التمويلي المقترح.

وتتمثل إدارة النموذج المقترح فيما يلي:¹⁵

أولاً _ مجلس إدارة التصور المقترح.

وهو الذي يتولى إدارة الهيئة العامة للأوقاف والشؤون الإسلامية بصورة يخرجها عن الآلية والروتين الحكومي، ويفصل بين أموالها وأموال الحكومة، ويمنحها الاستقلالية الكاملة في إدارة أموال الوقف واستثمارها من خلال مجموعة من الكوادر

¹⁴ - أشرف، دوابه، دراسات في التمويل الإسلامي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1، 2007، ص174، 173، بتصرف.

¹⁵ - المرجع السابق، ص174، 175، بتصرف.

الفنية المتخصصة على المستوى الإداري والتمويلي والاستثماري والخيري، ويتكون مجلس الإدارة المقترح من:

- 1- عضو من الهيئة العامة للأوقاف، وأربعة أعضاء من ذوي الخبرة المتخصصين في التمويل والاستثمار، يتم تعيينهم بقرار صادر من مدير الهيئة العامة للأوقاف.
- 2- عضوان من السلطة القضائية يتم تعيينهما بقرار صادر من وزير العدل.
- 3- ثمانية أعضاء يتم انتخابهم من الجمعية العامة للوقف.

ويمكن أن ينتخب أعضاء مجلس الإدارة عضواً من بينهم، يتولى مهمة رئاسة المجلس، وتصدر القرارات بالأغلبية المطلقة لأعضاء المجلس، ويقع على عاتق مجلس الإدارة حماية أموال الوقف في كل إجراء أو تصرف، ويحظر على المجلس:

1_ التعامل في سلع ونشاطات يحرمها الإسلام.

2_ استخدام أدوات وآليات غير شرعية في استثمار أموال الوقف.

3_ الاعتماد على كوادر غير مؤهلة شرعية وفنياً.

ثانياً _ الإدارة التنفيذية للنموذج التمويلي المقترح.

1_ إدارة التسويق وخدمة الواقفين، وتتولى التعريف بالوقف، وتسويق صكوكه، وخدمة المتعاملين مع الهيئة العامة للأوقاف بالتنسيق مع المصرف الوقفي.

2_ إدارة الموارد البشرية، وتتولى تعيين العاملين بالهيئة العامة للأوقاف وتدريبهم.

3_ إدارة الرقابة الشرعية، وتتولى مراجعة إجراءات معاملات الهيئة العامة للأوقاف، من حيث مدى شرعيتها، وعدم مخالفتها لضوابط الشريعة الإسلامية.

4_ إدارة التمويل والاستثمار، وتشمل ما يلي:

أ - إدارة الاكتتاب وحفظ الصكوك، وتتولى هذه الإدارة عملية طرح الصكوك الوقفية بأنواعها الخيرية والاستثمارية للاكتتاب، وحفظ الصكوك المكتتب فيها بالتنسيق مع المصرف الوقفي.

ب - إدارة الصناديق الاستثمارية الوقفية، وتتولى هذه الإدارة _ من خلال متخصصين لديها مع مدير استثمار مستقل من المصرف الوقفي من خارج الهيئة _ إدارة الصناديق ومتابعتها والإشراف عليها بشكل دوري.

ج - إدارة الشركات المساهمة، وتتولى عملية التأسيس والمساهمة في الشركات المساهمة، والإشراف على عملية انتخاب مجالس إدارتها، والتنسيق بين هذه الشركات بشكل دوري.

الفرع الثالث _ الرقابة في النموذج التمويلي المقترح.

تُعتبر الرقابة في النموذج المقترح على عمليات تمويل واستثمار أموال الوقف من أهم المسائل الجوهرية التي تضطلع بها الهيئة العامة للأوقاف، باعتبارها المسؤولة عن إدارة الأوقاف، وتعميرها وتنميتها، وضمان حسن استثمارها، وتوجيهها بما يتوافق مع شروط الواقفين، ويحقق المصلحة الاجتماعية والاقتصادية المرجوة.

والرقابة في النموذج التمويلي المقترح يمكن تصنيفها إلى ما يلي:

أولاً _ الرقابة القضائية.

وتهدف الرقابة القضائية إلى التأكد من أن قرارات وإجراءات الهيئة العامة للأوقاف، تصدر في إطار القانون الوقفي والمدني الليبي، ولا تنطوي على انحراف بالسلطة، أو تعسف في استعمالها، ومن أهدافها منع أي تصرف أو قرار إداري، يمكن أن يفضي إلى التفريط في أموال الأوقاف أو استخدامها على نحو مخالف لمقاصده.

ثانياً _ الرقابة الشرعية.

تُعد الرقابة الشرعية من السمات المميزة لإدارة استثمار الوقف، نظراً لطبيعته الدينية والفقهية، وتتم الرقابة الشرعية في النموذج المقترح من خلال لجان شرعية متخصصة، مكونة من أعضاء، تخصصاتهم شرعية واقتصادية، تتولى التأكد من أن كل المعاملات الإدارية والمالية والاستثمارية متوافقة مع أحكام الشريعة الإسلامية، وأنها لا تتعارض مع نية الواقف أو مقاصد الشريعة الإسلامية.

ثالثاً _ الرقابة الداخلية.

وهي تمثل جهة رقابية مستقلة داخل الهيئة، ويهدف هذا النوع من الرقابة في النموذج المقترح إلى التأكد من سلامة كل العمليات التمويلية والاستثمارية، وتقيدها باللوائح والأنظمة الوقفية، ورفع تقارير دورية إلى الإدارة العليا بشأن مدى الالتزام بهذه القوانين واللوائح، والكشف عن أية مخالفات أو تجاوزات.

رابعاً _ الرقابة الخارجية.

لا تكتفي الهيئة العامة للأوقاف بالرقابة الداخلية، بل تخضع أيضاً لنظم الرقابة الخارجية من جهات رقابية رسمية ومستقلة، مثل ديوان المحاسبة، أو هيئة الرقابة الإدارية، باعتبارهما جهتان مستقلتان في ليبيا، ومخولتان بالتدقيق على الأموال العامة، بما فيها أموال الوقف، ويهدف هذا النوع من الرقابة في النموذج المقترح إلى مراجعة شاملة لعقود الاستثمار والسجلات المالية للهيئة، فضلاً عن تقديم التقارير الدورية إلى الجهات التشريعية.

خامساً _ رقابة الواقفين (المجتمعية).

وتعتبر رقابة غير مباشرة، وتتمثل في إشراك الواقفين في الإبلاغ عن أية تجاوزات أو مخالفات قد تحدث، وتشجيع الشفافية من خلال الإعلان عن المشاريع والنشاطات الاستثمارية، ونفقاتها، وإيراداتها، ونشر بياناتها والعقود المتعلقة بالاستثمار الوقفي، ويمكن أن تمارس هذه الرقابة من خلال المجالات أو مواقع التواصل الاجتماعي.

وفي المجمل، فإن تعدد أنواع الرقابة في النموذج التمويلي المقترح، يعكس الطبيعة الحساسة لأموال الوقف، ويهدف إلى تحقيق التكامل بين الكفاءة الاقتصادية، والشرعية، والمشروعية القانونية، بما يضمن الحفاظ على أموال الوقف، وتمييزها وفق الأولويات الشرعية.

النتائج:

1-إن وعي المجتمع بأهمية الوقف في التمويل والاستثمار، يمكن أن يساهم بشكل كبير في تحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية.

2-شهدت الميزانية العامة للدولة الليبية عجزاً مالياً ملحوظاً خلال الفترة (2015-2022م)، بسبب انخفاض أسعار النفط العالمية.

- 3- يمكن الاعتماد على التمويل والاستثمار الوقفي في التخفيف من ضغوط الإنفاق الحكومي، وتحقيق الاستدامة المالية في ليبيا من خلال تفعيل أدوات وآليات التمويل والاستثمار الوقفية الحديثة.
- 4- يمكن أن يساهم التمويل والاستثمار بالوقف في تحسين جودة الخدمات العامة دون زيادة في النفقات الحكومية.
- 5- يمكن أن يساهم التمويل بالوقف في زيادة الدخل القومي من خلال الاستثمار في مشاريع إنتاجية.

التوصيات:

- 1- ضرورة دمج الأوقاف في ليبيا وإدراجها ضمن الخطط التنموية الوطنية كونها أداة تمويل واستثمار تكميلي في القطاعات الخدمية والإنتاجية والتنموية، ووضع آليات شفافة وواضحة لتحقيق التكامل بين الجهات الوقفية والحكومية.
- 2- تطوير البنية التحتية التشريعية والتنظيمية الوقفية، وتحديثها بما يسمح باستخدام أدوات استثمارية حديثة ومتنوعة ومرنة كالصناديق الوقفية الاستثمارية، والصكوك الوقفية، التي تحقق الأهداف الاجتماعية والاقتصادية المرجوة.
- 3- تعزيز الحوكمة والشفافية والافصاح في إدارة استثمار أموال الوقف، وذلك من خلال تطبيق معايير الحوكمة الحديثة، لضمان الاستخدام الأمثل لأموال الوقف في شتى المجالات بالاقتصاد الليبي، بما يزيد من ثقة المجتمع، ويشجع على التبرع والاستثمار الوقفي.
- 4- نشر ثقافة التمويل والاستثمار الوقفي بين الأفراد والمؤسسات من خلال حملات توعية ودورات تثقيفية، لتعزيز مفهوم الوقف التنموي، وأهميته كمسؤولية اجتماعية ذات بعد اقتصادي.
- 5- يجب إنشاء شركات استراتجية بين الحكومة والقطاع الوقفي في ليبيا التي تهدف للتمويل والاستثمار في مشاريع مشتركة، مثل: بناء المستشفيات وتطويرها، وبناء المدارس وتطويرها، وبناء الجامعات وتطويرها، وإنشاء البنية التحتية وتطويرها، والتي تساهم في تخفيف العبء المالي عن الحكومة، فضلا عن تحقيق مصلحة الوقف.

المراجع:

- 1- هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية، /المعايير الشرعية، المعيار 33، 2017م.
- 2- أشرف دوابه، نحو تصور مقترح للتمويل بالوقف، مجلة مركز صالح عبد الله كامل للاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر، العدد الحادي والعشرين.
- 3- مريم كفي، سبل تطوير أدوات وآليات استثمار الوقفية بالجزائر - حالة أوقاف التعليم والبحث العلمي، أطروحة دكتوراه - كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير قسم العلوم الاقتصادية - جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريرج، 2021م.
- 4- حسين شحاته، بحث بعنوان: منهج وأساليب إدارة أموال المؤسسات الوقفية (التخطيط . الرقابة وتقويم الأداء . اتخاذ القرارات)، جامعة الأزهر، بدون سنة نشر.
- 5- محمد الزحيلي، الاستثمار المعاصر للوقف، بحث منشور على موقع رابطة علماء السوريين، بدون سنة نشر.
- 6- عبد المنعم الدالي، واقع إدارة واستثمار الأوقاف في ليبيا، أطروحة دكتوراه، قسم الاقتصاد الإسلامي، كلية الدراسات العليا جامعة سونان أمبيل الإسلامية الحكومية، بسور ابايا، 2018م.

- 7- بشيرة مناني، منجية خلف، استثمار أموال الوقف ودوره في تحقيق مقصد حفظ المال، رسالة ماجستير، معهد العلوم الإسلامية قسم الشريعة- تخصص معاملات مالية، جامعة الشهيد حمّـه لخضر - الوادي، الجزائر، 2020م.
- 8- العمري عمرو، تطوير أساليب الاستثمارات الوقفية - دراسة مقارنة بين التجربة الجزائرية والتجربة الكويتية، أطروحة دكتوراه - قسم العلوم المالية والمحاسبة تخصص مالية المؤسسة- جامعة أكلي محند أولحاج- البويرة، الجزائر، 2022م.
- 9- العياشي فداد، مسائل في فقه الوقف، دورة دور الوقف في مكافحة الفقر نواكشوط- 16-21 مارس 2008م.
- 10- حسن خطاب، ضوابط استثمار الوقف في الفقه الإسلامي، بحث مقدم للمؤتمر الرابع للأوقاف، المدينة المنورة، 2013م.
- 11- تقارير ديوان المحاسبة الليبي للسنوات من 2016-2022م.
- 12- أشرف دوابه، دراسات في التمويل الإسلامي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط1، 2007م.

الملاحق:

جدول موارد ونفقات الدولة الليبية 2015 - 2022م.

عنوان البحث

**التخطيط الاستراتيجي كمدخل لتحسين جودة التعليم المدرسي من وجهة نظر
مديري المدارس الحكومية في المحافظات الجنوبية لفلسطين**

أ.د. سليمان حسين المزين¹، أ. نور سليمان أبو بطيحان²، أ. إيناس إبراهيم أبو صالح³

¹ أستاذ أصول التربية والإدارة التربوية-كلية التربية-الجامعة الإسلامية-غزة-فلسطين.

² باحثة دكتوراه-تخصص إدارة تربوية-الجامعة الإسلامية-غزة-فلسطين.

³ باحثة دكتوراه-تخصص إدارة تربوية-الجامعة الإسلامية-غزة-فلسطين.

وسيلة التواصل: البريد الإلكتروني: ph.noorbtihan@gmail.com

HNSJ, 2025, 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/6>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/68/6>

تاريخ النشر: 2025/08/01م

تاريخ القبول: 2025/07/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/07/07م

المستخلص

هدفت هذه الدراسة إلى استقصاء أثر التخطيط الاستراتيجي كمدخل لتحسين جودة التعليم المدرسي في المدارس الحكومية في المحافظات الجنوبية لفلسطين من وجهة نظر مديري المدارس. اعتمد الباحثون المنهج الوصفي التحليلي باستخدام استبانة وزعت على 138 مديراً ومديرة، شملت أبعاداً لقياس واقع التخطيط الاستراتيجي وجودة التعليم. أظهرت النتائج أن مستوى التخطيط الاستراتيجي وتأثيره على جودة التعليم جاء بدرجة مرتفعة (نسبة تأثير 78%)، مع تفوق أبعاد إعداد الخطة والتحليل الاستراتيجي على غيرها. كما كشفت الدراسة عن وجود فروق دالة إحصائية في تقييم أثر التخطيط تبعاً للجنس (الصالح الذكور)، والمؤهل العلمي (الصالح حملة البكالوريوس)، وسنوات الخبرة (الصالح من لديهم 5-10 سنوات خبرة). وأوصت الدراسة بضرورة تبني التخطيط الاستراتيجي في المدارس كمتطلب رئيسي لتعزيز جودة التعليم، وتطوير ثقافة تنظيمية داعمة له، ووضع معايير واضحة لقياسه، وتفعيل خطط المتابعة والتقييم، مع تعميم النتائج على باقي المديريات.

الكلمات المفتاحية: التخطيط الاستراتيجي، جودة التعليم، مديري المدارس، المحافظات الجنوبية، فلسطين.

RESEARCH TITLE

Strategic Planning as an Approach to Improving the Quality of School Education from the Perspective of Public-School Principals in the Southern Governorates of Palestine

Suleiman Hussein Al-Muzayn¹, Noor Suleiman Abu Btihan², Einas Ibrahim Abu Saleh³

¹ Professor of Educational Foundations and Educational Management – Faculty of Education – Islamic University – Gaza – Palestine.

² PhD Researcher (Educational Administration) – Islamic University – Gaza – Palestine.

³ PhD Researcher (Educational Administration) – Islamic University – Gaza – Palestine.

Contact: Email: ph.noorbtihan@gmail.com

HNSJ, 2025, 6(7); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/6>

Arabic Scientific Research Identifier: <https://arsri.org/10000/68/6>

Received at 07/07/2025

Accepted at 15/07/2025

Published at 01/08/2025

Abstract

This study aimed to explore the impact of strategic planning as an approach to improving the quality of school education in public schools in the southern governorates of Palestine from the perspective of school principals. The researchers adopted the descriptive-analytical method using a questionnaire distributed to 138 male and female principals, covering dimensions to assess the reality of strategic planning and educational quality. The findings revealed that the level of strategic planning and its impact on educational quality was high, with an overall effect reaching 78%. The dimensions of strategic plan preparation and strategic analysis were identified as the most influential. The study also found statistically significant differences in the perception of the impact of strategic planning based on gender (favoring males), academic qualification (favoring bachelor's degree holders), and years of experience (favoring those with 5–10 years of service). The study recommended adopting strategic planning as a fundamental requirement to enhance education quality, fostering an organizational culture supportive of planning, developing clear performance standards, activating follow-up and evaluation mechanisms, and generalizing the study findings across other directorates.

Key Words: Strategic Planning, Quality of Education, School Principals, Southern Governorates, Palestine.

الإطار العام للدراسة

مقدمة

يمثل التخطيط الاستراتيجي المدرسي مدخل يعزز نجاح المدرسة في تحقيق الأهداف التربوية واستشراف مستقبل أفضل، وتحقيق نواتج تعليمية ذات جودة تلبي طموحات المجتمع في نظامه التعليمي، وذلك بما يوفره من عمليات مستقبلية موجهة وطويلة المدى؛ لتحقيق رسالتها وأهدافها، ويجعل إدارة المدرسة في موقف نشط ومتميز يتلاءم مع متغيرات البيئة بشكل مستمر فالتخطيط الاستراتيجي يساعد في تطوير رؤية واضحة للمؤسسة، ويعتبر الأساس لصياغة الخطط التشغيلية والأنشطة التنفيذية التي تقرب المؤسسة من أهدافها، إضافة إلى ذلك البيانات والمعلومات التي تزود بها المؤسسة من خلال التخطيط الاستراتيجي تساعد في اتخاذ القرارات التي تربط بين الأهداف القصيرة والبعيدة المدى.

وحيث أن المدارس تمثل قاعدة انطلاق لجودة التعليم في العالم أجمع، تسعى الحكومات إلى دعم المدارس لأجل تطويرها ورفع جودة مخرجاتها من خلال تبني التخطيط الاستراتيجي، حيث أصبح التخطيط الاستراتيجي مطلباً ضرورياً وليس ترفاً، وذلك لأنه يؤدي إلى رفع أداء المؤسسات التعليمية حاضراً ومستقبلاً، ومعياراً مهماً من معايير اعتماد المدارس من قبل قسم الجودة والاعتماد المدرسي في وزارات التربية والتعليم (الثقفي، 2024:135).

ولقد برزت معاني التخطيط الاستراتيجي جلية واضحة، واقتترنت بالجودة في منهجنا الإسلامي الحنيف، ولعل هذه المفاهيم - وإن لم تأخذ هيكلها الإداري المعاصر - موجودة في العديد من توجيهات القرآن الكريم والسنة المطهرة، فالمفاهيم الحديثة لعمليات التربية والجودة والتخطيط من أبرز المفاهيم التي حظيت باهتمام متعاظم حتى باتت تستحوذ على جل اهتمام الدول والمؤسسات والأفراد (العجمي، 2013: 389).

في ضوء ما سبق يرى الباحثون أن للتخطيط دوراً بارزاً في تجويد المؤسسات التربوية بصفة عامة، لاسيما التعليم المدرسي بصفة خاصة، وهو ما يعزز إجراء هذه الدراسة.

مشكلة الدراسة:

من النقاط الفارقة في أحداث التغيير الإيجابي في المدارس هو توظيف التخطيط الاستراتيجي، لتحقيق الإدارة الأمثل للموارد المختلفة، واستثمار كافة الطاقات، وسد الفجوات بحيث تتحقق رؤية ورسالة المدرسة.

وتشكل جودة التعليم مؤشر رئيس يحدد نجاح هذه الخطط في تحقيق أهدافها، حيث أن جودة التعليم المدرسي تعني تحسين مستوى التعليم كماً وكيفاً، تطوير المناهج بما يلائم متطلبات العصر، وتعزيز بيئة العمل الأكاديمي والإداري، وبالتالي، يرتبط التخطيط الاستراتيجي بشكل وثيق بجودة التعليم؛ إذ أن تحديد استراتيجيات واضحة ومدرسة له تأثير كبير على مستوى الخدمات التعليمية التي تقدمها المدارس.

وقد أشارت العديد من الدراسات السابقة إلى أهمية التخطيط الاستراتيجي في تحقيق جودة التعليم، منها دراسة (السمارة، 2024) ودراسة (أحمد، 2024)، وأوصت دراسة الموسوي والطور جاري (2024) بضرورة اهتمام الإدارة العليا بإيجاد إدارة فعالة للتخطيط الاستراتيجي تعمل على تحسين أدائها في إدارة الأزمات، كما أن دراسة (2010، Steyn & Wolhuter) أكدت أن التخطيط الاستراتيجي عالج بدرجة كبيرة العديد من المشاكل المتعلقة بالانضباط المدرسي، والتسرب والتغيب، وأدى إلى تحسين الوضع الإداري ومعدلات نجاح الطلاب.

انطلاقاً مما سبق برزت الحاجة إلى تأكيد دور التخطيط الاستراتيجي كمدخل لتحسين جودة التعليم المدرسي في المحافظات الجنوبية لفلسطين، وخاصة أننا الآن نواجه معضلة عظيمة -بسبب عدوان غزة 2023- تتمثل بالموازنة بين الحفاظ على المسيرة التعليمية مستمرة دون تعريض جودة التعليم للفشل.

لذلك تتبلور مشكلة الدراسة في الأسئلة الآتية:

- ما مستوى ممارسة التخطيط الاستراتيجي في المدارس الحكومية في المحافظات الجنوبية لفلسطين من وجهة نظر مديري المدارس؟
- ما مستوى جودة التعليم في المدارس الحكومية في المحافظات الجنوبية لفلسطين من وجهة نظر مديري المدارس من خلال الأبعاد التالية: الطلبة، العمليات الداخلية، التعلم والنمو؟
- هل هناك أثر ذو دلالة إحصائية للتخطيط الاستراتيجي في تحسين جودة التعليم المدرسي من وجهة نظر مديري المدارس الحكومية في المحافظات الجنوبية لفلسطين؟
- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات درجات تقدير أفراد عينة الدراسة لدور التخطيط الاستراتيجي وجودة التعليم المدرسي في المدارس الحكومية بالمحافظات الجنوبية من وجهة نظر مديري المدارس فيها تعزى لمتغيرات (الجنس، عدد سنوات الخدمة، المؤهل العلمي)؟

فروض الدراسة:

- يوجد أثر ذو دلالة احصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) للتخطيط الاستراتيجي بأبعادها الخمسة على تحسين جودة التعليم المدرسي بأبعادها الثلاث من وجهة نظر مديري المدارس الحكومية في المحافظات الجنوبية لفلسطين؟
- توجد فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات درجات تقدير أفراد عينة الدراسة لأثر التخطيط الاستراتيجي في المدارس الحكومية بالمحافظات الجنوبية في تحسين جودة التعليم المدرسي من وجهة نظر مديري المدارس تعزى لمتغير الجنس (ذكر، أنثى).
- توجد فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات درجات تقدير أفراد عينة الدراسة لأثر التخطيط الاستراتيجي في المدارس الحكومية بالمحافظات الجنوبية في تحسين جودة التعليم المدرسي تعزى لمتغير سنوات الخدمة (أقل من خمس سنوات، من خمس-عشر سنوات، أكثر من عشر سنوات).
- توجد فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطات درجات تقدير أفراد عينة الدراسة لأثر التخطيط الاستراتيجي في المدارس الحكومية بالمحافظات الجنوبية في تحسين جودة التعليم المدرسي من وجهة نظر مديري المدارس تعزى لمتغير المؤهل العلمي (بكالوريوس، دراسات عليا).

أهداف الدراسة:

- التعرف على أثر التخطيط الاستراتيجي بأبعاده الخمسة على تحسين جودة التعليم المدرسي بأبعادها الثلاث من وجهة نظر مديري المدارس الحكومية في المحافظات الجنوبية لفلسطين؟

- الكشف عما إذا كان هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) بين تقديرات أفراد عينة الدراسة لأثر التخطيط الاستراتيجي في المدارس الحكومية بالمحافظات الجنوبية في تحسين جودة التعليم المدرسي من وجهة نظر مديري المدارس فيها تعزى لمتغيرات (الجنس، سنوات الخدمة، المؤهل العلمي)
- التوصل إلى مجموعة من التوصيات التي يمكن أن يستفيد منها أصحاب القرار في المؤسسات الحكومية التربوية في المحافظات الجنوبية لفلسطين، فيما يتعلق بفعالية التخطيط الاستراتيجي، ومدى تأثيره على جودة التعليم المدرسي.

أهمية الدراسة:

الأهمية النظرية:

تتبع الأهمية النظرية للدراسة الحالية من الموضوع الذي تناقشه، لأن تعزيز جودة التعليم المدرسي من خلال تطبيق التخطيط الاستراتيجي أصبح ضرورة ملحة، ويسهم بشكل كبير في تحقيق المدرسة لأهدافها التربوية التي تسعى إليها، وهذا يؤدي إلى الحفاظ على المجتمع وتقدمه. كما يوفر هذا البحث مادة بحثية تخدم العاملين في وزارة التربية والتعليم في رسم سياساتها وخططها المستقبلية فيما يخص التخطيط الاستراتيجي ودوره في تحقيق جودة التعليم المدرسي، نظراً لقلة الدراسات الفلسطينية حول موضوع التخطيط الاستراتيجي ودوره في تحقيق جودة التعليم المدرسي في حدود علم الباحثون.

الأهمية التطبيقية:

أما الأهمية التطبيقية لهذه الدراسة فتكمن في إمكانية الاستفادة من مخرجات هذه الدراسة لتطوير ومعالجة نقاط ضعف المنظومة التربوية لتحقيق جودة التعليم بصورة أفضل والاستعداد الأمثل للمستقبل. قد تفيد هذه الدراسة كلاً من:

- مديري المدارس في تعزيز الوعي بأهمية التخطيط الاستراتيجي.
- الفاعلين في وزارة التربية والتعليم على تطوير استراتيجيات وأساليب التخطيط الاستراتيجي.
- الباحثين في الميدان التربوي لإجراء دراسات أخرى من منظور آخر وفي مناطق أخرى.
- قد تفيد في تصميم برامج تدريب القيادات التربوية على التخطيط الاستراتيجي ودوره في تحسين جودة التعليم المدرسي.

حدود البحث:

تحدد البحث بالحدود التالية:

- **الحد الموضوعي:** اقتصر البحث على دراسة واقع التخطيط الاستراتيجي من حيث الرؤية والرسالة وأهداف المدرسة وغاياتها والتحليل الاستراتيجي للمدرسة كمدخل لتحسين المدخلات والعمليات التعليمية ونمو الطلبة والمخرجات للتعليم المدرسي.
- **الحد المكاني:** مدارس المحافظات الجنوبية في فلسطين.
- **الحد الزمني:** العام الدراسي 2025م
- **الحد البشري:** اقتصر البحث على عينة من مديري المدارس في المحافظات الجنوبية.

مصطلحات الدراسة:

تضمنت الدراسة عدد من المفاهيم والمصطلحات التي لا بد من تعريفها إجرائياً واصطلاحياً:

التخطيط الاستراتيجي المدرسي: عرفته فاطمة القرشوبي: "بأنه التحليل المنظم للمدرسة وبيئتها، وتكوين مجموعة من الأهداف الأساسية لمساعدة المدرسة على تحقيق رؤيتها في ضوء قيمها ومواردها المتاحة" (القرشوبي، 2008: 6).

تحسين جودة التعليم: مستويات الأداء الأمثل التي ينبغي أن تتوفر في النظام التعليمي، ويتم الاتفاق عليه لتكون رؤية واضحة للمؤسسات التعليمية لتحقيق تعلم ذي جودة (الشيما، 2023: 35).

وتعرف إجرائياً "تحسين جودة التعليم المدرسي من وجهة نظر مديري المدارس الحكومية في المحافظات الجنوبية لفلسطين" بأنها هي: التغيرات الإيجابية الملحوظة من قبل مديري المدارس في الأداء الأكاديمي، وكفاءة المعلمين، وبيئة التعلم، والرضا العام، نتيجة تطبيق ممارسات تخطيط استراتيجي فعالة، كما يُقاس ذلك عبر استجاباتهم في استبانة مخصصة.

الإطار النظري والدراسات السابقة

يعتبر التخطيط الاستراتيجي المدرسي نشاط التعليم مخطط، يهدف إلى إكساب أفراد المجتمع قدراً عاماً من المعارف والمهارات والاتجاهات والقيم اللازمة لإعدادهم لكي يصبحوا مواطنين صالحين فيه، والتي تكفيهم لكي يواجهوا متطلبات الحياة، من عمل وإنتاج ومشاركة إيجابية ومحافظة على الهوية الحضارية للمجتمع. (مدبولي، 2001: 16).

وعرفه حسام الدين إبراهيم بأنه: "عملية شاملة وجهد منظم يقوم به فريق يمثل كافة المهتمين بالعملية التعليمية في المدرسة من إدارة مدرسة ومعلمين وأخصائيين وطلاب وهيئة معاونة وأولياء أمور وممثلين عن مؤسسات المجتمع المدني ويتضمن عدد أ من الخطوات مثل رؤية ورسالة المدرسة، وتحديد القيم الموجهة لعمل الأفراد، وتحديد جوانب القوة والضعف في البيئة الداخلية والفرص والتحديات في البيئة الخارجية وتحديد الأهداف وأولويات العمل الاستراتيجي ووضع الخطط الإجرائية ومتابعة تنفيذها وتقييمها (حسام الدين إبراهيم، 2013: 42).

عناصر التخطيط الاستراتيجي المدرسي: يتمثل التخطيط الاستراتيجي المدرسي بثلاث عناصر رئيسية وهي:

1- **الرؤية الاستراتيجية:** تعرف الرؤية بأنها الفلسفة الأساسية التي تتبناها المؤسسة، كما انها تعكس الصورة الذهنية التي ترغب المؤسسة بترسيخها في اذهان جميع الافراد العاملين لديها، والمتعاملين معها، فهي تعد بمثابة حجر الزاوية التي تستخدمها المؤسسة في بناء وتحقيق استراتيجيتها الفعالة، فالرؤية هي المسار المستقبلي الذي يحدد الوجه والمركز التنافسي التي ترغب في الوصول اليه (دنيا، وكمال، 2020: 51).

2- **رسالة المؤسسة:** هي التي تعبر عن الغاية من وجود المؤسسة، من حيث مجال نشاطها ومنتجاتها وعملائها، والتي تعكس السبب الجوهري لوجود المنظمة وهويتها، ونوعيات عملياتها، وأشكال، ممارساتها، وهي أكثر تحديداً من الرؤية حيث تتضمن عدة تساؤلات، ومنها من نحن، وماذا نفعل، واين نتجه، وكيف نحقق ذلك، وعند تحديد الرسالة المنظمة يجب ان تكون مقبولة لدى جميع اعضائها، وتحظى بمصادقة الادارة العليا. (الدريس، ومرسي، 2015: 99).

3- **تحديد الأهداف والغايات والاستراتيجيات:** إن مرحلة تحديد الأهداف الاستراتيجية مرحلة مهمة لعمل الخطة الاستراتيجية للمدرسة، وللتخطيط الاستراتيجي بشكل عام، حيث يرتبط التخطيط دائماً بالأهداف، فهي نقطة

الانطلاق للتخطيط السليم، ففي هذه المرحلة يتم ترجمة رؤية ورسالة المؤسسة إلى أهداف استراتيجية بعيدة المدى ومتسقة مع رؤية ورسالة المؤسسة، حيث تركز هذه الأهداف على النتائج والمخرجات التي تنشده المؤسسة إنجازها في المستقبل (الزنفلي، 2010: 47).

الجوانب المميزة للتخطيط الاستراتيجي:

يوضح (غنيمه، 2001: 238) الجوانب المميزة للتخطيط الاستراتيجي في المدارس فيما يلي:

- زيادة معدل النمو وتحسين مستوى العائد لمستوى الخريج على المدى الطويل.
 - توفير المعلومات للإدارة العليا بحيث تتخذ قرارات أفضل.
 - تحليل نقاط القوة والضعف والفرص والتهديدات.
 - تحقيق تنسيق أفضل بين أنشطة المؤسسة.
 - إحكام الرقابة على العمليات.
 - تدريب المديرين وتنمية الإحساس بالأمان لديهم، نظراً لفهمهم للبيئة المتغيرة، واستعدادهم للتكيف معها.
- ويرى الباحثون أن التخطيط الاستراتيجي يحقق التفاعل والحوار البناء بين المستويات الإدارية الثلاث (العليا - الوسطى - الدنيا) ويساعد في تحقيق الأهداف المنشودة، ويسهم في اتخاذ القرارات في العمليات الإدارية.

معوقات التخطيط الاستراتيجي في المدارس، وعوامل نجاحه:

لقد أثبت العديد من الدراسات التي طبقت على عدد من مديري المدارس والمعلمين وفرق التخطيط في المدارس أن هناك عدد من المعوقات للتخطيط الاستراتيجي المدرسي لتحسين جودة التعليم المدرسي منها:

أ- عدم رغبة المديرين أو ترددهم في استخدام التخطيط الاستراتيجي وتبني أساليبه.

ب- البيئة الخارجية مضطربة مما قد يجعل التخطيط متقادماً قبل أن يبدأ وذلك للأسباب التالية:

- تغير سريع في عناصر البيئة (القانونية والسياسية والاقتصادية، إلخ).
- ارتفاع تكلفة متابعة هذا التغير عن قرب وبصورة مستمرة.

ج- مشاكل التخطيط الاستراتيجي تترك انطباعاً سيئاً في ذهن المدير.

د- ضعف الموارد المتاحة.

هـ - التخطيط يحتاج إلى وقت وتكلفة كبيرة (العارف، 2010: 82).

ويرى (مرسي، 2025: 47) أن أكثر معوقات التخطيط الاستراتيجي المدرسي

- ضعف التحديد الدقيق للأهداف الاستراتيجية.
- مشكلات تتعلق بالتمويل.
- مشكلات تتعلق بقاعدة البيانات وتداخلها.
- مشكلات تتعلق بالثقافة التنظيمية السائدة في المدرسة والعمل بروح الفريق.
- مشكلات تتعلق بخبرة القيادة المدرسية ومعرفتها بأساسيات التخطيط الاستراتيجي المدرسي وإعداد وتنفيذ خطة استراتيجية مدرسية.

ويرى الباحثون أن من أهم المعوقات هو:

- عدم قدرة المدرسة على التنبؤ بالظروف المستقبلية المحيطة بالموقف المستهدف.
- ضعف وجود حوافز للمدارس المتميزة والمبدعة في اعداد وتنفيذ خطة استراتيجية مدرسية.
- التوقعات غير الواقعية من الإدارات العليا والقائمين على قسم التخطيط في الوزارة بتنفيذ الخطط الاستراتيجية المدرسية من قبل مديري المدارس
- اهتمام المدارس بإعداد وتنفيذ الخطط التنفيذية والتشغيلية فقط.
- إضفاء الطابع الرسمي على عملية تنفيذ الخطة الاستراتيجية.

المحور الثاني: جودة التعليم المدرسي:

إن ديناميكية هذا العصر وتغيراته المتسارعة ألقت بظلالها على المؤسسات التعليمية وفرضت عليها ضرورة مسايرتها والتكيف معها وذلك بتبني مفهوم إدارة الجودة من أجل تجويد مخرجاتها، و يعمل التخطيط على تبني مفهوم تنموي يهدف إلى التحسين المستمر في نوعية الحياة العملية، وتأمين المشاركة للجميع، وتطوير البنى الأساسية للعمليات، وإيجاد بدائل وأساليب تركز على فهم معمق للبيئة مما يقلل من نسب الهدر الناتج عن التخبط والعشوائية، ويكسب القائمين عليه والمشاركين فيه ثقة بأنفسهم وبتوجهاتهم، ويمثل دافعا ومحفزا نحو تحقيق أهداف المؤسسة.

أولاً: عناصر جودة التعليم المدرسي:

لقد ارتكزت منظومة التعليم المدرسي على عدة عناصر ذكرها (السيد، 2018: 245)

- المدخلات وتشمل: الطلاب وخصائصهم - البيئة الدراسية- الهيئة التدريسية -الإدارة المدرسية- الخطط الدراسية- التشريعات والضوابط المنظمة للعملية التعليمية- الثقافة والمناخ التنظيمي السائد في المدرسة.
- العمليات وتشمل: عمليات التعليم والبحث والتعلم والمقررات الدراسية والأنشطة وأساليب التدريس -الوسائل التعليمية- عمليات تقويم الطلاب.
- المخرجات وتشمل: الخدمات التي تذهب للعمل وتحقق رضاه مثل (النواتج التعليمية المقيسة وغير المقيسة - نواتج عامة ومهارات الحياة.

ثانياً: عوامل نجاح التخطيط الاستراتيجي المدرسي لتحسين جودة التعليم:

يعتبر التخطيط الاستراتيجي ليس أمراً هيناً، بل يحتاج إلى تدريب للوصول إلى خطة استراتيجية ناجحة وتحقق الأهداف المنشودة من الخطة الاستراتيجية، ونجاح التخطيط الاستراتيجي المدرسي في الوصول إلى الهدف المنشود منه يكمن في توافر مجموعة من العوامل الضرورية لنجاحه تتمثل في العوامل التالية:

- 1- القناعة الصادقة من قبل الإدارة العليا بجدوى برامج التحسين المستمر والالتزام الحقيقي بمبادئها وأهدافها وتطبيقاتها وكذلك الدعم المعنوي والمادي لبرامج الجودة الشاملة ومتطلبات واحتياجات آليات التنفيذ لكل برنامج.
- 2- القناعة الصادقة من الإدارة العليا في تطوير وتحسين معدلات الأداء كما ونوعاً في جميع مجالات عمل المنظمة،

والرغبة الصادقة في تبني أسلوب العمل بروح الفريق الواحد وتعزيز العلاقات التعاونية بين الإدارات والأقسام.

3- الرغبة الصادقة في معالجة مشاكل العمل في وقتها من خلال فرق عمل مشتركة وعدم التردد وإضاعة الوقت، وأهمية تقدير وتثمين جهود وأفكار العاملين من خلال إشراكهم في خطط وبرامج تطوير وتنفيذ أساليب العمل، والعمل على تحفيزهم وتحسين مستوياتهم الوظيفية.

4- أهمية توفر الكفاءات المتخصصة للقيام بإدارة برامج الجودة الشاملة، وأهمية المتابعة والتقييم لمعرفة ما تم انجازه وهل تحقق ما نريده؟ وتصحيح أي قصور لتلافي ذلك مستقبلاً، وكذا تعزيز المخرجات الايجابية للتحسين المستمر، وعلى أن تكون برامج المتابعة والتقييم شاملة ومستمرة.

5- بناء استراتيجية واضحة وملتزمة بمبادئ التحسين المستمر للمدرسة المراد تطويرها وتحسين مستوى الأداء والانجاز فيها للوصول إلى التميز الشامل لكل مدخلات ومخرجات الجهاز، كما ويجب توفر الفعالية التامة من قبل الإدارة العليا بأن عمليات التطوير والتحسين يجب أن تتم من خلال الجهود الجماعية لكافة منسوبي الجهاز، وأنها ليست محصورة على فئة معينة ولا تتم من قبل جهود فردية.

7- أهمية وجود قاعدة معلومات عن العاملين في المدرسة وكذلك توفر خطط لقياس وتحليل معدلات التحسين والتطوير، على كافة المستويات، ليتسنى عمل المقارنات والتحليلات، وما إلى ذلك من الوقاية من المشكلات والتحسين المستمر.

وبذلك يرى الباحثون أن الإدارة العليا لأي مؤسسة يجب أن تعمل على تكاتف جهود جميع العاملين في المؤسسة في كافة المستويات الإدارية، وكل من له علاقة بالمدرسة من إدارة مدرسة ومعلمين وأخصائيين وطلاب وهيئة معاونة وأولياء أمور وممثلين عن مؤسسات المجتمع المدني للمشاركة في عملية التخطيط والتطوير والتحسين وألا يقتصر على فئة معينة.

الدراسات السابقة:

1- دراسة مرسى، سعيد، ومرسي، ناهد (2025): بعنوان (التخطيط الاستراتيجي مدخل لتحسين جودة الداء المدرسي) والتي هدفت إلى استكشاف العلاقة بين التخطيط الاستراتيجي وجودة الأداء المدرسي، وقد استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي في الدراسة لمناسبتها لأهداف الدراسة، وتم استخدام استبيان منظم لجمع البيانات، وقد أظهرت النتائج أن التخطيط الاستراتيجي يلعب دوراً مهماً للوصول للتميز المؤسسي،

2- دراسة السمارة، هناء (2024): بعنوان (العلاقة بين التخطيط الاستراتيجي وتحسين جودة التعليم في المملكة العربية السعودية)، حيث هدفت الدراسة إلى استكشاف العلاقة بين التخطيط الاستراتيجي وتحسين جودة التعليم في المملكة العربية السعودية، حيث اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، تم جمع البيانات من خلال الاستبانة ومراجعة الأدبيات والدراسات السابقة والتقارير وآراء المفكرين التي تتعلق بالموضوع محل الدراسة، تمت هذه الدراسة في العام 2024 م. أظهرت النتائج أن التخطيط الاستراتيجي يلعب دوراً حيوياً في تحسين جودة التعليم، حيث يؤدي إلى تحسين الأداء التعليمي وزيادة فعالية العمليات التعليمية. وقد تبين أن المؤسسات التعليمية التي تتبنى التخطيط الاستراتيجي تحقق مستويات أعلى من الجودة التعليمية مقارنة بتلك التي لا تعتمد على هذا النهج. وأكدت النتائج أيضاً على أن التخطيط الاستراتيجي يساعد في تحسين مخرجات التعليم وأداء العاملين في القطاع التعليمي.

3- دراسة أحمد، إيناس (2024): بعنوان (دور التخطيط الاستراتيجي وعلاقته بجودة الأداء في المؤسسات التعليمية)، حيث هدفت الدراسة إلى استكشاف العلاقة بين دور التخطيط الاستراتيجي جودة الأداء في المؤسسات التعليمية، اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، حيث تم جمع البيانات من خلال الاستبيانات والمقابلات الشخصية مع مديري المؤسسات التعليمية وأعضاء هيئة التدريس، أظهرت النتائج أن المؤسسات التعليمية التي تتبع تخطيطاً استراتيجياً فعالاً تحقق أداءً أكاديمياً وإدارياً متفوقاً مقارنة بالمؤسسات التي تفتقر إلى استراتيجيات واضحة. وأوصت بضرورة تعزيز ثقافة التخطيط الاستراتيجي في المؤسسات التعليمية، وتوفير برامج تدريبية للكوادر الإدارية والأكاديمية لضمان تطبيق استراتيجيات فعالة تؤدي إلى تحسين جودة التعليم.

4- دراسة الموسوي والطور جاري (2024): بعنوان (تأثير التخطيط الاستراتيجي لضمان جودة التعليم وأثره على إدارة الأزمات)، حيث هدفت الدراسة إلى معرفة تأثير التخطيط الاستراتيجي لضمان جودة التعليم وأثره على إدارة الأزمات وقد استخدم الباحثان المنهج الوصفي، وتم استخدام استبيان منظم لجمع البيانات، وتم تطبيقها على الكادر التدريسي في كلية الاقتصاد في جامعة الكوفة، وقد أسفرت النتائج أن إدارة الأزمات تتحقق بشكل سريع من خلال توافر التخطيط الاستراتيجي لضمان الجودة في التعليم، وأوصت الدراسة بضرورة اهتمام الإدارة العليا بإيجاد إدارة فعالة للتخطيط الاستراتيجي تعمل على تحسين أدائها في إدارة الأزمات.

5- دراسة السيد، ورمضان (2018): بعنوان (تحقيق جودة التعليم قبل الجامعي في ضوء مدخل التخطيط الاستراتيجي)، حيث هدفت الدراسة إلى تحليل وتحديد مدى وجود علاقة بين التخطيط الاستراتيجي وبين تطوير التعليم قبل الجامعي، حيث اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، تم جمع البيانات من خلال الاستبانة ومراجعة الأدبيات والدراسات السابقة والتقارير وآراء المفكرين التي تتعلق بالموضوع محل الدراسة، تمت هذه الدراسة في العام 2018 م. أظهرت النتائج أن اتباع النهج العلمي للتخطيط الاستراتيجي يساعد في بلوغ المستوى المطلوب بجودة عالية وكلفة أقل، حيث يهتم بتقديم أفضل الطرق الممكنة للاستفادة من عناصر قوة منظومة التعليم المدرسي، والاستفادة من الفرص التي تتيحها البيئة الخارجية، واستثمار مواردها البشرية والمادية بطريقة جيدة.

6- دراسة (Altinkurt,2010): بعنوان Attitudes of Employees of Provincial Directorates of National Education and School Administrators towards Strategic Planning Educational Sciences Theory and Practice، هدفت إلى التعرف على مواقف واتجاهات مديري المدارس الثانوية والعاملين بمديرية التربية والتعليم بمدينة كوتاهيا التركية، نحو التخطيط الاستراتيجي، وتوصلت الدراسة إلى أن مواقف عينة الدراسة نحو التخطيط الاستراتيجي كانت إيجابية، مع وجود عدم الثقة ومقاومة من الموظفين نحو استخدام التخطيط بسبب نقص المعلومات المتعلقة به، كما أظهرت النتائج وجود فروق في الاتجاهات والمواقف تعزى لمتغير عدد سنوات الخبرة لصالح الخبرات الأعلى.

7- دراسة (Steyn& Wolhuter,2010): بعنوان reating Sustainable Learning Environments in Schools by Means of Strategic Planning: The Experience of Engagement by a Comparative Education Team at a University، هدفت إلى وضع تصور لتطوير المدارس بجنوب أفريقيا باستخدام مدخل التخطيط الاستراتيجي من أجل تحقيق فاعلية التعليم، وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن التخطيط الاستراتيجي عالج بدرجة كبيرة العديد من المشاكل المتعلقة بالانضباط المدرسي، والتسرب والتغيب، وأدى إلى تحسين الوضع الإداري ومعدلات نجاح الطلاب.

التعقيب على الدراسات السابقة:

استقادت هذه الدراسة من الدراسات السابقة بإثراء البعد النظري والعملية المتضمن خلالها، وذلك في بناء الاستبانة الخاصة بالدراسة، مما أسهم في نضج أداة الدراسة وشمولها وصدقها، كذلك في اختيار المنهج الوصفي وذلك لمناسبتها لهذا النوع من الدراسات.

حيث اتفقت الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في الهدف من الدراسة مع دراسة مرسى، سعيد، ومرسى، ناهد (2025) ودراسة السمارة، هناء (2024)، ودراسة أحمد، إيناس (2024)، كذلك اتفقت في استخدام المنهج الوصفي مع دراسة مرسى، سعيد، ومرسى، ناهد (2025) ودراسة السمارة، هناء (2024)، ودراسة أحمد، إيناس (2024)، ودراسة السيد، ورمضان (2018)، واتفقت الدراسة مع الدراسات السابقة في استخدام الاستبانة كأداة لجمع البيانات مع دراسة مرسى، سعيد، ومرسى، ناهد (2025) ودراسة السمارة، هناء (2024)، ودراسة أحمد، إيناس (2024).

الاختلاف مع الدراسات السابقة:

اختلفت الدراسة في الهدف مع دراسة عبد النبي، كمال (2021)، ودراسة الموسوي والطور جاري (2024)، كذلك اختلفت مع دراسة عبد النبي، كمال (2021)، حيث استخدم المنهج الاستنباطي، بالإضافة للمنهج الوصفي، واختلفت هذه الدراسة مع الدراسات السابقة في المنطقة الجغرافية، حيث تم تنفيذها في المناطق الجنوبية بفلسطين، واختلفت في عينة الدراسة حيث ركزت هذه الدراسة على مديري المدارس كعينة للدراسة.

منهجية الدراسة:

اتبع الباحثون المنهج الوصفي التحليلي في إجراء الدراسة نظراً لمناسبة هذا المنهج لطبيعة الدراسة وأهدافها، وذلك بهدف وصف الظاهرة موضوع الدراسة وتحليل بياناتها وبيان العلاقة بين مكوناتها، (صافي، 2017).

مجتمع وعينة الدراسة:

يتمثل مجتمع الدراسة من مديري مدارس مديريات الوسطى وخانيونس ورفح الحكومية في المحافظات الجنوبية لفلسطين وتم تحديد مجتمع الدراسة بهذا الكيفية لإمكانية التواصل تحت ظرف النزوح المستمر والعمليات العسكرية المتصاعدة، وتوافر الانترنت منذ بدء عدوان أكتوبر 2023 والتي ما زال جارياً حتى تاريخ كتابة البحث.

ووفقاً للكتاب الإحصائي السنوي لوزارة التربية والتعليم 2023-2024 (وزارة التربية والتعليم، 2023) سُجِّل (196) مديراً للمدارس الحكومية بمديريات الوسطى وخانيونس ورفح، ولحساب أقل حجم عينة ممثلة مطلوب للدراسة تم استخدام المعادلة التالية وفقاً لأنظمة البحوث والإبداعية (Creative Research Systems, 2025) حيث احتسبت نسبة الثقة بـ (95%) والخطأ الهامشي بـ (0.05) كما هو منصوص في البحوث التربوية، وبالتالي تبين أن أقل حجم عينة مطلوب (131) مفردة (مديراً).

واعتباراً لاحتمال ضعف نسب الاسترداد، قامت الباحثتان باستهداف جميع المدراء في المحافظات الثلاث، وتم استرداد (140) استجابة مع استبعاد استجابتين ذي بيانات متطرفة، وبالتالي كان عدد الاستجابات القابلة للتحليل (138) استجابة أي بنسبة استرداد (71%)، ويُعد عدد الاستجابات المستردة أعلى من حجم العينة المطلوب (131).

أداة الدراسة:

استخدمت الاستبانة كأداة رئيسية للدراسة، وقد تضمنت الاستبانة بصورتها النهائية (52) فقرة كما يلي:

- الخصائص الشخصية (3 فقرات)
 - المحور الأول: واقع التخطيط الاستراتيجي (35 فقرة).
 - المحور الثاني: واقع جودة التعليم المدرسي (17 فقرة).
- وقد تبين الباحثون مقياس ليكرت الخماسي لقياس استجابات أفراد العينة.

الصدق والثبات:

أولاً: صدق الاستبانة: يُشير الصدق إلى قدرة الأداة التي تم تصميمها على تمثيل الظاهرة البحثية تمثيلاً صحيحاً، وبمعنى آخر أنها تقيس ما صممت لقياسه (صافي، 2017)، وقام الباحثون بالتأكد من صدق الاستبانة بطريقتين:

- **صدق المحكمين:** عُرِضَت الاستبانة الأولى على ستة خبراء في الإدارة التربوية لتقييم مدى شمولية وسلامة البنود ومطابقتها للأبعاد النظرية، مما أسفر عن إدخال التعديلات المطلوبة على صياغتها قبل التطبيق المبدئي.

- **صدق المقياس:** تم تطبيق الاستبانة على عينة استطلاعية من (30) مفردة ثم اختبرهم بطريقة عشوائية من مديري المدارس الحكومية، وقام الباحثون بفحص صدق المقياس كما يلي:

أ. صدق الاتساق الداخلي: حسب الارتباط بين كل فقرة والدرجة الكلية للبعد، حيث تراوحت معاملات بيرسون ما بين $(.648 \leq r \leq .939)$ وكانت القيمة الاحتمالية لجميع الارتباطات $(Sig.=0.000)$ مما يدل على صدق الاتساق الداخلي لأداة الدراسة.

ب. صدق الاتساق البنائي: من خلال ارتباط أبعاد التخطيط الاستراتيجي وجودة التعليم بالمحور التابع لها؛ حيث تراوحت معاملات ارتباط بيرسون بين $(.773 \leq r \leq .959)$ وكان مستوى الدلالة للارتباطات كافة $(Sig.=0.000)$ مما يدل على صدق الاتساق البنائي لأداة الدراسة.

ثانياً: ثبات الاستبانة: وقد تحقق الباحثون من ثبات استبانة الدراسة بطريقة ثبات الاتساق الداخلي (Internal Consistency) كما يلي:

- **معامل ألفا كرونباخ:** استخدم الباحثون طريقة ألفا كرونباخ لقياس ثبات الاستبانة، وكانت النتائج تدل على ثبات عال، حيث أن قيمة معامل ألفا كرونباخ لكل الأبعاد ومحوري الدراسة الرئيسيين تراوحت بين $(.892, .978)$.

- **طريقة التجزئة النصفية:** تم حساب معامل الارتباط بين درجات الأسئلة الفردية ودرجات الأسئلة الزوجية وبعد ذلك تم تصحيح معامل الارتباط بمعادلة سبيرمان - براون (Spearman Brown)، ويتضح أن قيمة معامل الارتباط المعدل لكل الأبعاد/ المحاور يدل على ثبات الاستبانة حيث تراوح بين $(.952, .996)$.

نتائج الدراسة و مناقشتها:

خصائص وسمات عينة الدراسة

تتضح خصائص وسمات العينة البالغة ثلاث خصائص شخصية كما في جدول)، وتكمن أهمية هذه الخصائص في فهم طبيعة مجتمع الدراسة، ومن المهم الإشارة أنه تم دمج فئات المؤهل العلمي (ماجستير ودكتوراة) وفقاً لإرشادات تحليل التجزئة (disagregation) حيث يُوصى بأن لا تقل الطبقة الواحدة عن قيمة تتراوح بين (10-25) مفردة (Gujarati, 2015; UNICEF, 2014).

جدول(1): خصائص وسمات العينة (كامل العينة = 138)

السمة	الفئة	التكرار	النسبة المئوية %
الجنس	ذكر	39	28%
	أنثى	99	72%
سنوات الخبرة في المجال التعليمي	أقل من 5 سنوات	31	22%
	من 5 - 10 سنوات	29	21%
	أكثر من 10 سنوات	78	57%
المؤهل العلمي	بكالوريوس	86	62%
	درجة عليا؛ ماجستير أو دكتوراة	52	38%

ويلاحظ من الجدول السابق ما يلي:

1. تشكل الإناث 72% من العينة، مقابل 28% للذكور. ويعود ذلك إلى أن عدد مدارس البنات أكبر، بالإضافة إلى استجابة الإناث الأعلى للاستبانة.
2. أن فئة كبيرة (57%) من المشاركين لديهم خبرة تزيد عن 10 سنوات، بينما (21%) لديهم خبرة من 5 إلى 10 سنوات، و (22%) خبرتهم أقل من 5 سنوات. ويُعزى ذلك إلى أن التعيين في المناصب الإدارية يتطلب خبرة طويلة.
3. أن 62% من العينة من حملة البكالوريوس، و38% من حملة الدراسات العليا (ماجستير ودكتوراه). وهذا يعكس تركيبة الكوادر التعليمية، حيث يشكل حملة البكالوريوس الغالبية في المناصب الإدارية، في حين يشكل حملة الدراسات العليا شريحة أصغر.

نتائج محور واقع التخطيط الاستراتيجي:

تضمن محور التخطيط الاستراتيجي خمسة أبعاد، ويوضح جدول (2) نتائج استجابات مديري المدارس الحكومية لهذا المحور.

جدول (1): نتائج استجابات أفراد العينة لمحور التخطيط الاستراتيجي (كامل العينة = 138)

الترتيب	تفسير النتيجة	الوزن النسبي %	القيمة الاحتمالية من طرف واحد (One - Tailed Sig)	قيمة اختبار t لعينة واحدة	الانحراف المعياري (Standard Deviation)	الوسط الحسابي (mean)	البيان	المحور
2	موافقة	78.56%	0.000	23.11	0.58	4.14	الفلسفة والقيم (6 فقرات)	1
1	موافقة	78.88%	0.000	23.15	0.59	4.16	الرؤية والرسالة الاستراتيجية (7 فقرات)	2
3	موافقة	76.49%	0.000	521.3	0.58	4.06	أهداف المدرسة (9 فقرات)	3
4	موافقة	72.61%	0.000	14.19	0.75	3.90	إعداد الخطة الاستراتيجية (5 فقرات)	4
5	موافقة	69.59%	0.000	10.74	0.86	3.78	التحليل الاستراتيجي (8 فقرات)	5
-	موافقة	75.23%	0.000	19.71	0.60	4.01	واقع التخطيط الاستراتيجي (الأبعاد الخمسة)	المحور

وباستقراء استجابات عينة الدراسة كان مستوى التخطيط الاستراتيجي يختلف عن درجة الحياد (3) عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) حيث تميل العينة نحو الموافقة على وجود واقع جيد للتخطيط الاستراتيجي وفقا للعناصر المقاسة في الاستبانة وبوزن نسبي (75.23%)، ($\mu=4.01$, $SD=0.60$, $t[137]=19.71$, $Sig.=0.000$).

وجاء البعد الثاني: "الرؤية والرسالة الاستراتيجية" بوزن نسبي (78.88%) والبعد الأول: "الفلسفة والقيم" بوزن نسبي (78.56%) والبعد الثالث: "أهداف المدرسة" بوزن نسبي (76.49%) كأعلى الأبعاد التي تعكس واقع التخطيط الاستراتيجي.

وجاء البعد الرابع: " إعداد الخطة الاستراتيجية " بوزن نسبي (72.61%) والبعد الخامس: "التحليل الاستراتيجي" بوزن نسبي (69.59%) كأدنى الأبعاد التي تعكس واقع التخطيط الاستراتيجي. وفيما يلي تحليل تفصيلي لهذه الأبعاد.

نتائج محور واقع جودة التعليم المدرسي

تضمن محور جودة التعليم المدرسي ثلاثة أبعاد، ويوضح جدول () نتائج استجابات مديري المدارس الحكومية لهذا المحور.

جدول (3): نتائج استجابات أفراد العينة لمحور واقع جودة التعليم المدرسي (كامل العينة= 138)

الترتيب	تفسير النتيجة	الوزن النسبي %	القيمة الاحتمالية من طرف واحد (One - Tailed Sig)	قيمة اختبار t لعينة واحدة	الانحراف المعياري (Standard Deviation)	الوسط الحسابي (mean)	البعد	الترتيب
3	موافقة	72.85%	0.000	14.19	0.757	3.914	إدارة الطلبة (7 فقرات)	1
1	موافقة	78.08%	0.000	18.80	0.702	4.123	العمليات الداخلية (5 فقرات)	2
2	موافقة	73.84%	0.000	14.60	0.767	3.954	التعلم والنمو (5 فقرات)	3
-	موافقة	74.93%	0.000	16.61	0.71	4.00	واقع جودة التعليم المدرسي (17 فقرة)	المحور الثاني

وباستقراء استجابات عينة الدراسة كان مستوى جودة التعليم المدرسي يختلف عن درجة الحياد (3) عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) حيث تميل العينة نحو الموافقة على وجود واقع جيد لجودة التعليم المدرسي وفقاً للعناصر المقاسة في الاستبانة وبوزن نسبي (74.93%)، ($\mu=4.00$, $SD=0.71$, $t[137]=16.61$, $Sig.=0.000$). وجاءت نتيجة جميع الأبعاد الثلاثة بالموافقة على الترتيب التالي؛ البعد الثاني: "العمليات الداخلية" بوزن نسبي (78.08%) ثم البعد الثالث: "التعلم والنمو" بوزن نسبي (73.84%) وآخرًا البعد الأول: "إدارة الطلبة" بوزن نسبي (72.85%).

اختبار الفرضية الأولى: يوجد أثر ذو دلالة إحصائية للتخطيط الاستراتيجي بأبعاده الخمسة على تحسين جودة التعليم المدرسي

تنص الفرضية الأولى على دراسة وجود أثر ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) للتخطيط الاستراتيجي بأبعاده الخمسة (الفلسفة والقيم، الرؤية والرسالة الاستراتيجية، أهداف المدرسة، إعداد الخطة الاستراتيجية، التحليل الاستراتيجي) على جودة التعليم المدرسي من وجهة نظر مديري المدارس الحكومية. ولاختبار الفرضية تم استخدام نموذج الانحدار الكلاسيكي (Classical Linear Regression Model CLRM) المبني على طريقة المربعات الصغرى (Ordinary Least Squares OLS) لتقدير معاملات نموذج الانحدار، وبعد إجراء الانحدار على برنامج (E-Views) نتضح النتائج في جدول ().

جدول (4): نموذج الانحدار الخطي لأبعاد التخطيط الاستراتيجي الخمسة على متغير جودة التعليم المدرسي وفقا للفرضية الأولى (كامل العينة=138)

المتغير التابع: جودة التعليم المدرسي					
المشاهدات: 138					
المتغير	المعامل (Coefficient)	الخطأ المعياري (Std. Error)	قيمة اختبار t لعينة واحدة	القيمة الاحتمالية (Sig) من طرف واحد	تفسير النتيجة الفردية للمتغيرات
الثابت	0.372	0.270	1.38	0.086	يمر معنوياً بنقطة الأصل
الفلسفة والقيم	0.125	0.068	1.83*	0.034	يؤثر معنوياً على المتغير التابع
الرؤية والرسالة الاستراتيجية	-0.081	0.101	-0.80	0.212	لا يؤثر معنوياً على المتغير التابع
أهداف المدرسة	0.221	0.117	1.88*	0.031	يؤثر معنوياً على المتغير التابع
إعداد الخطة الاستراتيجية	0.421	0.075	5.61*	0.000	
التحليل الاستراتيجي	0.239	0.077	3.08*	0.001	
معامل التحديد R ²	78%	اختبار F	93.81	القيمة الاحتمالية (Sig)	0.000

* المتغير المستقل يؤثر معنوياً على التابع عند مستوى دلالة $\alpha \leq 0.05$.

ويلاحظ من الجدول السابق وجود معنوية عالية للنموذج عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$)، $F[5,132] = 93.81$ ، أي أن أبعاد التخطيط الاستراتيجي ككل تؤثر معنوياً على محور جودة التعليم المدرسي، وبلغت درجة معامل التحديد ($R^2 = 78\%$)، أي أن (78%) من التغير في جودة التعليم المدرسي يمكن عزوه لأبعاد التخطيط الاستراتيجي وفقاً للنموذج.

وبدراسة المعنوية الفردية للنموذج يتبين معنوية المتغيرات التالية بالترتيب من حيث قوة التأثير: "إعداد الخطة الاستراتيجية"، "التحليل الاستراتيجي"، "أهداف المدرسة"، "الفلسفة والقيم"، حيث كانت قيم اختبار t معنوية ($1.83 \leq t[137] \leq 0.034$)، بينما يتضح عدم معنوية بُعد "الرؤية والرسالة الاستراتيجية" ($t[137] = -0.80$ ، $\text{Sig.} = 0.212$).

وكانت قيمة الثابت (0.372) لا تختلف معنوياً عن نقطة الأصل أو الصفر ($t[137] = 1.38$ ، $\text{Sig.} = 0.086$)، أي أن متوسط مستوى جودة التعليم المدرسي من وجهة نظر أفراد العينة تبدأ من الصفر بعدم وجود المتغيرات الخمسة، ومن ثم يبدأ التفاوت في جودة التعليم المدرسي وفقاً للتغير في أبعاد التخطيط الاستراتيجي.

ويمكن عزو نتائج تحليل الانحدار السابقة إلى: أن التخطيط الاستراتيجي ليس مجرد عملية شكلية، بل هو محرك رئيسي وفعال لجودة التعليم المدرسي. كلما كانت المدارس أكثر فعالية في أبعاد التخطيط الاستراتيجي، كلما انعكس ذلك إيجاباً وبشكل مباشر على مستوى الجودة التعليمية التي تقدمها، كما تُظهر استجابات أفراد العينة إدراكاً ووعياً واضحين بأن العمليات الاستراتيجية الممنهجة (مثل تحديد الأهداف، التحليل، إعداد الخطط) هي أساس بناء ورفع جودة التعليم في مدارسهم.

اختبار الفرضية الثانية: تُوجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى محور التخطيط الاستراتيجي ومستوى محور جودة التعليم المدرسي تُعزى لمتغير: الجنس

تنص الفرضية الثانية على دراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) في محوري الدراسة الرئيسيين (التخطيط الاستراتيجي، جودة التعليم المدرسي) تُعزى لمتغير: "الجنس"، ونظراً لأن متغير "الجنس" يعد متغيراً وصفيًا ثنائيًا تم تطبيق اختبار t لعينتين مستقلتين (Independent Samples t Test) وكانت النتائج كما في جدول (5).

جدول (5): نتائج اختبار t لعينتين مستقلتين (Independent Samples t Test) لدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى محور التخطيط الاستراتيجي ومستوى محور جودة التعليم المدرسي تُعزى لمتغير: الجنس وفقاً للفرضية الثانية (كامل العينة=138)

م.	المجال	الفئة	الوسط الحسابي (Mean)	الانحراف المعياري (SD)	قيمة اختبار t لعينتين مستقلتين	درجة الحرية DF	القيمة الاحتمالية من طرف واحد (One - Tailed Sig)	تفسير نتيجة الاختبار	اتجاه الفروق لصالح
المحور الأول	واقع التخطيط الاستراتيجي	الذكور	4.26	0.47	3.15	136.00 ¹	0.001	توجد فروق ذات معنوية	الذكور
		الإناث	3.91	0.62					
المحور الثاني	واقع جودة التعليم المدرسي	الذكور	4.27	0.46	2.91	136.00 ²	0.002	توجد فروق ذات معنوية	الذكور
		الإناث	3.89	0.76					

وباستقراء البيانات أعلاه كانت نتيجة اختبار الفرضية كما يلي:

- توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابة أفراد العينة على مستوى محور "التخطيط الاستراتيجي" تُعزى لمتغير: "الجنس" وذلك لصالح فئة "الذكور"، أي أن فئة الذكور قيموا محور التخطيط الاستراتيجي ($\mu_1=4.26$, $SD=0.47$) بشكل أعلى معنوياً من تقييمه من قبل فئة الإناث ($\mu_2=3.91$, $SD=0.62$) وذلك عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$)، ($t[136]=3.15$, $Sig.=0.001$)

¹ يشير اختبار ليفين (Levene's) إلى تجانس التباين حيث كانت القيمة الاحتمالية ($F[1,136]=0.335$, $Sig.=0.564$).

² يشير اختبار ليفين (Levene's) إلى تجانس التباين حيث كانت القيمة الاحتمالية ($F[1,136]=0.559$, $Sig.=0.456$).

- **توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابة أفراد العينة على مستوى محور "جودة التعليم المدرسي" تُعزى لمتغير: "الجنس" وذلك لصالح فئة "الذكور"، أي أن فئة الذكور قيموا محور جودة التعليم المدرسي ($\mu_1=4.27, SD=0.46$) بشكل أعلى معنوياً من تقييمه من قبل فئة الإناث ($\mu_2=3.89, SD=0.76$) وذلك عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) ($t[136]=2.91, Sig.=0.002$).**

ويمكن عزو هذه النتيجة إلى النظرة الشمولية لدى الذكور لأبعاد التخطيط الاستراتيجي وجودة التعليم، و لابد التنويه إلى أن هناك اختلافات في التوقعات الشخصية التي لم تُقاس في الدراسة، قد ساهمت في هذه الفروق.

اختبار الفرضية الثالثة: تُوجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى محور التخطيط الاستراتيجي ومستوى محور جودة التعليم المدرسي تُعزى لمتغير: سنوات الخبرة في المجال التعليمي

تنص الفرضية الثالثة على دراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) في محوري الدراسة الرئيسين (التخطيط الاستراتيجي، جودة التعليم المدرسي) تُعزى لمتغير: "سنوات الخبرة في المجال التعليمي"، ونظراً لأن متغير "سنوات الخبرة" متغير وصفي ترتيبى من ثلاث مجموعات (أقل من 5 سنوات، من 5-10 سنوات، أكثر من 10 سنوات) فقد تم تطبيق اختبار التباين الأحادي (Anova One-Way) وكانت النتائج كما في جدول (6).

جدول (6): نتائج اختبار التباين الأحادي (One-Way Anova) لدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى محور التخطيط الاستراتيجي ومستوى محور جودة التعليم المدرسي تُعزى لمتغير: سنوات الخبرة في المجال التعليمي وفقاً للفرضية الثالثة (كامل العينة=138)

الفئة	المحور	المتغير	المتوسط الحسابي (Mean)	الانحراف المعياري (SD)	قيمة اختبار F	القيمة الاحتمالية من طرف واحد (Sig One-Tailed)	تفسير نتيجة الاختبار
أقل من 5 سنوات	واقع التخطيط الاستراتيجي	المحور الأول	4.11	0.74	4.34	0.015	توجد فروق ذات معنوية
			3.72	0.46			
			4.08	0.56			
أقل من 5 سنوات	واقع جودة التعليم المدرسي	المحور الثاني	3.92	1.07	1.43	0.243	لا توجد فروق معنوية
			3.85	0.57			
			4.08	0.55			

وباستقراء البيانات أعلاه كانت نتيجة اختبار الفرضية كما يلي:

توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابة أفراد العينة لمستوى محور "التخطيط الاستراتيجي" تُعزى لمتغير: "سنوات الخبرة في المجال التعليمي" وذلك عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) ($F[2,135]= 4.34, Sig.=0.015$).

ولمعرفة مصدر الفروق تم تطبيق اختبار شيفيه (Scheffe) أحد اختبارات المقارنات الثنائية البعدية نظراً لتباين التجانس³، وكانت النتائج كما في جدول (7).

جدول (7): نتائج اختبار شيفيه (Scheffe) للمقارنات الثنائية البعدية لدراسة مصدر الفروق المعنوية في مستوى محور التخطيط الاستراتيجي التي تُعزى لمتغير: سنوات الخبرة في المجال التعليمي (كامل العينة=138)

٢.٠	المحور	المقارنات الثنائية (Pairwise comparisons)	فرق المتوسطات (Mean Difference)	الخطأ المعياري (Std. Error)	القيمة الاحتمالية (Sig.)	تفسير نتيجة الاختبار	اتجاه الفروق لصالح
المحور الأول	واقع التخطيط الاستراتيجي	أقل من 5 سنوات	0.38	0.15	0.046	توجد فروق ذات معنوية	أقل من 5 سنوات
		أقل من 5 سنوات	0.03	0.12	0.974	لا توجد فروق معنوية	-
		من 5-10 سنوات	-0.35	0.13	0.025	توجد فروق ذات معنوية	أكثر من 10 سنوات

ويتضح من الجدول أعلاه أن مصدر الفروق هي فئة مديري المدارس الحكومية من ذوي الخبرة "5-10 سنوات"، حيث كان تقييمهم للمحور أقل بشكل معنوي من تقييم الفئتين الأخرتين "أقل من 5 سنوات" و "أكثر من 10 سنوات" ($MD_{12}=0.38, SD=0.15, Sig.=0.046$ | $MD_{23}=-0.35, SD=0.13, Sig.=0.025$) وكذلك تقاربت نتائج الفئتين "أقل من 5 سنوات" و "أكثر من 10 سنوات" دون وجود فروق معنوية بينهما ($MD_{13}=0.03, SD=0.12, Sig.=0.974$) وذلك عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$).

وحول محور "جودة التعليم المدرسي" وبالإشارة لجدول (7) مرة أخرى، يشير اختبار التباين الأحادي بعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في بين استجابة أفراد العينة لمستوى محور "جودة التعليم المدرسي" تُعزى لمتغير: "سنوات الخبرة في المجال التعليمي" وذلك عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) ($F[2,135]=1.43, Sig.=0.243$)، مما لا يتطلب اللجوء للاختبارات البعدية.

و يمكن عزو هذه النتائج إلى: أن توقعات المدراء في الفئة المتوسطة من التخطيط الاستراتيجي أعلى، وعندما لا تتحقق هذه التوقعات بشكل كامل في الواقع العملي، ينعكس ذلك على تقييمهم الأدنى، في المقابل قد يكون لدى الأقل خبرة توقعات أقل، ولدى الأكثر خبرة توقعات أكثر واقعية أو لديهم آليات أفضل للتكيف مع تحديات التنفيذ.

³ يشير اختبار ليفين (Levene's) إلى تجانس التباين حيث كانت القيمة الاحتمالية ($F[2,135]=2.68, Sig.=0.072$).

اختبار الفرضية الرابعة: تُوجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى محور التخطيط الاستراتيجي ومستوى محور جودة التعليم المدرسي تُعزى لمتغير: المؤهل العلمي

تنص الفرضية الرابعة على دراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) في محوري الدراسة الرئيسين (التخطيط الاستراتيجي، جودة التعليم المدرسي) تُعزى لمتغير: "المؤهل العلمي"، ونظرا لأن متغير "المؤهل العلمي" بات متغيرا وصفيا ترتيبيا ثنائيا (بعد دمج فئتي الماجستير والدكتوراة كما سبق إيضاحه في خصائص وسمات عينة الدراسة) فقد تم تطبيق اختبار t لعينتين مستقلتين (Independent Samples t Test) وكانت النتائج كما في جدول (٨).

جدول (8): نتائج اختبار t لعينتين مستقلتين (Independent Samples t Test) لدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى محور التخطيط الاستراتيجي ومستوى محور جودة التعليم المدرسي تُعزى لمتغير: المؤهل العلمي وفقا للفرضية الرابعة (كامل العينة=138)

الفئة	المتغير	المتوسط الحسابي (Mean)	الانحراف المعياري (SD)	قيمة اختبار t لعينتين مستقلتين	درجة الحرية DF	القيمة الاحتمالية من طرف واحد (One - Tailed Sig)	تفسير نتيجة الاختبار	اتجاه الفروق لصالح
بكالوريوس	واقع التخطيط الاستراتيجي	4.11	0.47	2.41	75.592 ⁴	0.009	توجد فروق ذات معنوية	بكالوريوس
		3.84	0.75					
بكالوريوس	واقع التعليم المدرسي	4.18	0.48	3.63	69.118 ⁵	0.000	توجد فروق ذات معنوية	بكالوريوس
		3.89	0.76					

وباستقراء البيانات أعلاه كانت نتيجة اختبار الفرضية كما يلي:

- **توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابة أفراد العينة على مستوى محور "التخطيط الاستراتيجي" تُعزى لمتغير: "المؤهل العلمي" وذلك لصالح فئة "حملة شهادة البكالوريوس"، أي أنهم قيموا محور التخطيط الاستراتيجي ($\mu_1=4.11$, $SD=0.47$) بشكل أعلى معنويا مما قيمه حملة الماجستير والدكتوراة ($\mu_2=3.84$, $SD=0.75$) وذلك عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) ($t[75.592]=2.41$, $Sig.=0.009$).**

⁴ يشير اختبار ليفين (Levene's) إلى عدم تجانس التباين حيث كانت القيمة الاحتمالية ($F[1,136]=10.21$, $Sig.=0.002$).

⁵ يشير اختبار ليفين (Levene's) إلى تجانس التباين حيث كانت القيمة الاحتمالية ($F[1,136]=8.76$, $Sig.=0.004$).

- **توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين استجابة أفراد العينة على مستوى محور "جودة التعليم المدرسي" تُعزى لمتغير: "المؤهل العلمي" وذلك لصالح فئة "حملة شهادة البكالوريوس"، أي أنهم قيموا محور جودة التعليم المدرسي ($\mu_1=4.18, SD=0.48$) بشكل أعلى معنوياً مما قيمه حملة الماجستير والدكتوراة ($\mu_2=3.89, SD=0.76$) وذلك عند مستوى دلالة ($\alpha \leq 0.05$) ($t[69.118]=3.63, p=0.000$).**

ويمكن عزو هذه النتائج إلى: أن حملة الشهادات العليا (الماجستير والدكتوراه) تكون لديهم توقعات أعلى وأكثر تفصيلاً لعملية التخطيط الاستراتيجي، مستندة إلى دراساتهم الأكاديمية والنظريات المتقدمة في الإدارة الاستراتيجية، وعندما يقارنون الواقع العملي بهذه المعايير المثالية، قد يجدون قصوراً أكبر، مما يدفعهم لتقييم أقل.

كما أن لديهم وعياً أكبر بالمعوقات والتحديات التي تواجه التخطيط الاستراتيجي الفعال في المؤسسات التعليمية (مثل نقص الموارد، مقاومة التغيير، ضعف المشاركة)، هذا الوعي قد ينعكس في تقييمهم الأقل.

التوصيات:

في ضوء ما تقدم من عرض لنتائج الدراسة و مناقشتها، قدم الباحثون مجموعة من التوصيات كالاتي:

- ضرورة تبني مبادئ الجودة عند إعداد الخطة الاستراتيجية للمدرسة، والسعي إلى بناء ثقافة تنظيمية لدى العاملين بمفهوم وأهمية التخطيط الاستراتيجي.
- تطوير معايير ومؤشرات أداء واضحة ومعتمدة تصلح لقياس عملية التخطيط الاستراتيجي في كافة مراحلها وتنسجم ومعايير الجودة.
- تعزيز اتجاهات العاملين نحو ممارسة التخطيط الاستراتيجي من خلال نشر الثقافة المؤسسية التي تعمق مفاهيم إيجابية نحوه.
- تحفيز جميع مديري المدارس باختلاف جنسهم نحو توظيف التخطيط الاستراتيجي المدرسي، و ربطه بجودة التعليم.
- العمل على قياس دوري لجودة الخدمات التي تقدمها المدارس كتنظيم داخلي و توظيفها في عمليات التخطيط الاستراتيجي.
- اعتبار الخطة التنفيذية للمدرسة وثيقة ملزمة لجميع العاملين للسير عليها لتحقيق أهداف المدرسة مع وضع نظام واضح ومحدد لمتابعة التزامهم بتنفيذها.
- تعميم نتائج هذه الدراسة على جميع مديريات المحافظات الجنوبية لفلسطين للاستفادة منها.

المراجع العربية:

- أحمد، إيناس (2024). دور التخطيط الاستراتيجي وعلاقته بجودة الأداء في المؤسسات التعليمية، مجلة بحوث الإعلام وعلوم الاتصال، العدد (22)
- إبراهيم، حسام الدين (2013). معوقات التخطيط الاستراتيجي في مدارس التعليم الثانوي العام بجمهورية مصر العربية، مجلة رابطة التربية الحديثة، العدد (17)، الجزء (5).
- البيشي، محمد (2005). التخطيط الاستراتيجي: مفاهيم وتطبيقات.
- الثقفي، مستور بن محمد (2024). دور التخطيط الاستراتيجي على مستوى المدرسة في تطوير الأداء المدرسي من وجهة نظر القيادات التربوية، المجلة الدولية للبحوث والنشر، المجلد الخامس.
- الرفاعي، أحمد (1998). مناهج البحث العلمي: تطبيقات إدارية واقتصادية. عمان: دار وائل للنشر.
- الزنفلي، أحمد (2010). التخطيط الاستراتيجي للتعليم الجامعي ودوره في تلبية متطلبات التنمية المستدامة. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- السمارق، هناء (2024). العلاقة بين التخطيط الاستراتيجي وتحسين جودة التعليم في المملكة العربية السعودية، *International Journal of Research and Studies*, 175.
- السنيدي، محمد (2020). درجة ممارسة التخطيط الاستراتيجي بالمدارس الخاصة في سلطنة عمان من وجهة نظر عينة الدراسة.
- السيد، نادية، ورمضان، صلاح (2018). تحقيق جودة التعليم قبل الجامعي في ضوء مدخل التخطيط الاستراتيجي، مجلة المعرفة التربوية، العدد (11).
- العارف، ناديا (2010). الإدارة الاستراتيجية: إدارة الألفية الثالثة. مصر: الدار الجامعية.
- العبيدي، نور (2022). دور التخطيط الاستراتيجي في تحقيق التنمية المستدامة: دراسة تحليلية لآراء عينة من القيادات الإدارية في جامعة الموصل، مجلة تكريت للعلوم الإدارية والاقتصادية، العدد (57).
- العجمي، محمد حسنين (2013). الإدارة والتخطيط التربوي: النظرية والتطبيق (ط3). عمان: دار المسيرة للطباعة والنشر.
- القرشوبي، فاطمة (2008). توظيف التخطيط الاستراتيجي لدى مديري مدارس التعليم الأساسي في محافظة مسقط، مشروع بحثي لنيل درجة الماجستير، كلية العلوم والآداب، جامعة نزوى، سلطنة عمان.
- دنيا، ضيف، وكمال، قاسمي (2020). أثر تطبيق تمكين العاملين في نجاح التخطيط الاستراتيجي في المؤسسة الخدمية: دراسة حالة بنك الفلاحة والتنمية الريفية، مجلة الاقتصاد والمالية الجزائرية، العدد (14).
- عبد النبي، كمال (2021). واقع التخطيط الاستراتيجي للجامعات المصرية في ضوء معايير الجودة وتأصيله من المنظور الإسلامي، كلية التربية، جامعة الأزهر، القاهرة.
- عقيلي، عمر وصفي (2005). إدارة الموارد البشرية المعاصرة: بعد استراتيجي. عمان: دار وائل للطباعة والنشر.

- غنيم، عثمان. (2001) التخطيط: أسس ومبادئ عامة (ط2). عمان: دار رضا للنشر والتوزيع.
- غنيم، محمد متولي. (2005) التخطيط التربوي. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.
- صافي، سمير. (2017) مقدمة في التحليل الإحصائي. غزة: مكتبة آفاق.
- محمد، الشيماء (2023). معايير ضمان جودة التعليم في حالات الطوارئ، رسالة دكتوراة، المجلة التربوية لتعليم الكبار، جامعة أسيوط، المجلد الخامس، العدد الثاني.
- مدبولي، محمد. (2001) التخطيط المدرسي الاستراتيجي. القاهرة: الدار العربية للكتاب.
- مرسى، سعيد (2025). التخطيط الاستراتيجي مدخل لتحسين وجودة الأداء المدرسي، المجلة الدولية للعلوم التربوية والتكنولوجية والتنمية، المجلد الثالث.
- المطيري، نايف لافي بطي (2020). درجة ممارسة مدراء المدارس الحكومية في الكويت لمبادئ التخطيط الاستراتيجي، مجلة التربية، جامعة الأزهر، العدد (188)، الجزء الثالث.
- الموسوي، هيام، والطور جاري، عدي (2024). تأثير التخطيط الاستراتيجي لضمان جودة التعليم وأثره على إدارة الأزمات: دراسة استطلاعية لآراء الكادر التدريسي في كلية الإدارة والاقتصاد، مجلة جامعة الزيتونة الدولية، العدد (23).
- وزارة التربية والتعليم. (2023) الكتاب الإحصائي السنوي لوزارة التربية والتعليم 2023-2024. متاح عبر الرابط : <https://www.mohe.ps/>.

المراجع الأجنبية:

- Altinkurt, Yahya (2010). *Attitudes of Employees of Provincial Directorates of National Education and School Administrators towards Strategic Planning Educational Sciences Theory and Practice*, 10(4), p1947-1968.
- Creative Research Systems. (2025). *Sample Size Calculator*. Retrieved from <https://www.surveysystem.com/sscalc.htm>
- Gujarati, D. (2014). *Econometrics by example*: Bloomsbury Publishing.
- Kwak, S. G., & Kim, J. H. (2017). *Central limit theorem: the cornerstone of modern statistics*. *Korean journal of anesthesiology*, 70(2), 144-156 .
- Steyn, H.; Wolhuter, C (2010). *reating Sustainable Learning Environments in Schools by Means of Strategic Planning: The Experience of Engagement by a Comparative Education Team at a University*, *South African Journal of Higher Education*, 24 (3), p456-470
- UNICEF. (2015). *Global Out-of-School*.

عنوان البحث

الهوية الإسلامية في ظل الغزو الثقافي الحديث: التحديات والحلول

منى سلطان العتيبي¹

¹ باحثة في العلوم الإسلامية.

HNSJ, 2025, 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/7>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/68/7>

تاريخ النشر: 2025/08/01م

تاريخ القبول: 2025/07/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/07/07م

المستخلص

تهدف هذا الدراسة إلى استكشاف الهوية الإسلامية في ظل التحديات الحالية الناتجة عن موجات الغزو الثقافي المعاصر، الذي يسعى إلى التأثير على البنية النفسية والقيمية للمجتمعات الإسلامية، بدأت بتقديم تعريف شامل للهوية الإسلامية، باعتبارها نظامًا متكاملًا يشمل على العقيدة، والشريعة، واللغة، والقيم، والرموز الثقافية، ويظهر سماتها الربانية والشمولية والوسطية والاستمرارية. وتناولت الدراسة بعد ذلك تحليل مفهوم الغزو الثقافي المعاصر، الذي يُعتبر أداة استعمارية ناعمة تهدف إلى تشكيل وعي المسلم من خلال الإعلام والتعليم والفن والعولمة، بهدف إبعاده عن دينه وهويته وتاريخه. كما تناولت أهم التحديات التي تواجه الهوية، مثل الاغتراب الثقافي، والاندهاش بالنموذج الغربي، وضعف المؤسسات التعليمية، وتحويل صورة الإسلام بشكل متعمد. وخلصت الدراسة إلى أن الحفاظ على الهوية الإسلامية لا يتم عبر ردود الفعل الانفعالية، بل من خلال الوعي الاستراتيجي، وإعادة بناء الأسس الفكرية، وتحسين المناهج التعليمية، وتعزيز الإعلام الهادف، والانفتاح الواعي على الآخر دون الانصهار فيه. كما تقترح مجموعة من الحلول العملية لتعزيز صمود الهوية الإسلامية وضمان استمراريتها كقوة تأثير في البناء الحضاري الإنساني، مستلهمة من الماضي ومواجهة الحاضر برؤية مستقبلية متوازنة.

الكلمات المفتاحية: الهوية الإسلامية، الغزو الثقافي، التحديات، الحلول.

RESEARCH TITLE

Islamic Identity in Light of Modern Cultural Invasion: Challenges and Solutions

Abstract

This study aims to explore Islamic identity in light of current challenges posed by contemporary waves of cultural invasion, which seek to influence the psychological and value-based structure of Islamic societies. It begins by presenting a comprehensive definition of Islamic identity as an integrated system encompassing creed, Sharia, language, values, and cultural symbols—highlighting its divine origin, comprehensiveness, moderation, and continuity. The study then analyzes the concept of contemporary cultural invasion, seen as a form of soft colonialism that aims to reshape Muslim consciousness through media, education, art, and globalization, with the goal of distancing individuals from their religion, identity, and history. It also addresses major challenges to this identity, such as cultural alienation, fascination with the Western model, the weakness of educational institutions, and the deliberate distortion of Islam's image. The study concludes that preserving Islamic identity cannot be achieved through emotional reactions but through strategic awareness, rebuilding intellectual foundations, improving educational curricula, strengthening purposeful media, and conscious openness to others without assimilation. It proposes practical solutions to reinforce the resilience of Islamic identity and ensure its continuity as a force in the construction of human civilization, drawing inspiration from the past and confronting the present with a balanced future vision.

Key Words: Islamic identity, Cultural invasion, Challenges, Solutions.

المقدمة

في ظل التغيرات السريعة التي يشهدها العالم اليوم، ومع تزايد موجات العولمة والانفتاح الإعلامي والتكنولوجي، تواجه المجتمعات الإسلامية تحديات غير مسبقة تؤثر على جوهر وجودها الثقافي والديني، ومن أبرز هذه التحديات هو الغزو الثقافي، الذي يتمثل في محاولات منظمة لاختراق المجتمعات فكرياً وقيماً عبر أدوات ناعمة تهدف إلى إعادة تشكيل وعي الأفراد وتغيير أنماط تفكيرهم وسلوكهم، بما يتماشى مع ثقافات دخيلة تتعارض في كثير من الأحيان مع المرجعية الإسلامية.

في هذا السياق، تبرز الهوية الإسلامية كعنصر أساسي لحماية المجتمعات من الذوبان والانصهار في الثقافات الوافدة، حيث تمثل الهوية الإطار الذي يحتضن المعتقدات والقيم والتقاليد التي تحدد ملامح الشخصية المسلمة، لذا فإن الحفاظ على الهوية الإسلامية في مواجهة هذا الغزو الثقافي ليس مجرد ترف فكري أو خيار نخبوي، بل هو ضرورة حضارية ومصيرية تتطلب وعياً جماعياً ومشروعاً نهضوياً متكاملًا.

إشكالية الدراسة

تُعتبر الهوية الإسلامية في الوقت الحالي ساحة صراع مفتوحة بين قيم أصيلة مستمدة من الإسلام، وتيارات ثقافية وفكرية خارجية تهدف إلى التأثير على المجتمعات الإسلامية وإعادة تشكيلها وفق نماذج غربية أو مادية. وتتبع الإشكالية من طبيعة هذا الغزو الثقافي غير المعلن، الذي يعتمد على أدوات غير تقليدية مثل الإعلام، والتكنولوجيا، والتعليم، والفن، لفرض أنماط جديدة من التفكير والسلوك.

وتتمثل الإشكالية في السؤال الرئيس التالي:

كيف يؤثر الغزو الثقافي الحديث على الهوية الإسلامية؟

وتتفرع عنه أسئلة فرعية منها:

- ما مظاهر الغزو الثقافي الحديث وأدواته؟
- ما تجليات تأثيره على منظومة القيم والسلوك لدى المسلمين؟
- ما الاستراتيجيات الممكنة لتعزيز الهوية الإسلامية في مواجهة هذا الغزو؟

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، أهمها:

1. تعريف الهوية الإسلامية ومكوناتها وخصائصها.
2. تحديد مفهوم الغزو الثقافي الحديث ووسائله وآلياته.
3. رصد التحديات التي تواجه الهوية الإسلامية في الوقت الراهن.
4. تحليل الآثار المترتبة على الهوية الإسلامية في ظل الغزو الثقافي.
5. اقتراح حلول عملية ونظرية للحفاظ على الهوية الإسلامية في ضوء التحديات الراهنة.

أهمية الدراسة

تتبع أهمية الدراسة من عدة جوانب:

1. أهمية الهوية الإسلامية بوصفها الضمان لوحدة الأمة وثباتها القيمي والحضاري.
2. خطورة الغزو الثقافي الحالي الذي يتسلل إلى الأذهان والقلوب ويُعيد تشكيل الشخصية المسلمة بعيداً عن ثوابتها.

3. حاجة المجتمعات الإسلامية إلى خطاب ثقافي وتجديدي يجمع بين الأصالة والحداثة، ويرتكز على وعي نقدي بالذات والآخر.

4. مساهمة البحث في تقديم إطار نظري وعملي يمكن أن يستفيد منه الباحثون وصناع القرار التربوي والإعلامي.

منهجية الدراسة

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، لأنه يقوم بوصف الهوية الإسلامية والغزو الثقافي وصفاً علمياً دقيقاً، وتفسير الآثار المترتبة على تفاعل الهوية مع الغزو الثقافي، وبيان سبل المواجهة والحلول المقترحة.

المبحث الأول: مفهوم الهوية الإسلامية وخصائصها

الهوية الإسلامية تُعتبر عماداً أساسياً يميز الفرد والمجتمع المسلمين عن باقي المجتمعات، فهي ليست مجرد طقوس دينية متكررة، بل هي في حقيقة الأمر مجموعة متكاملة من القيم والمعتقدات والممارسات التي يستلهمها المسلم من قواعد إيمانه وتعاليم دينه، هذه الهوية تُجسد نفسها في سلوك المرء ونمط حياته، مما يمنحه شعوراً عميقاً بالانتماء والفردية، إن الهوية الإسلامية تتجاوز المظاهر السطحية لتغوص في عمق النفس، حيث تتشكل بها رؤية الإنسان للعالم، وتحدد مغزى وجوده، وتضع حدوداً لعلاقاته بنفسه، وبالأخرين، وبالكون الذي يعيش فيه⁽¹⁾.

وقد أكد القرآن الكريم هذه الهوية في العديد من المواضع، مثل قوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾⁽²⁾، مما يدل على أن الانتماء إلى الإسلام هو انتماء لهوية متكاملة في الإيمان والسلوك والثقافة.

تتكون الهوية الإسلامية من عدة عناصر، هي⁽³⁾:

1. العقيدة الإسلامية: تمثل تلك العقيدة الخيط الناظم الذي يربط معالم الهوية الإنسانية، إذ ترتكز على الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، وآخرة الأيام. إنها الأساس المتين الذي تبنى عليه قيمنا ومبادئنا الحياتية، حيث تغمر الروح بمعاني عميقة تتجاوز الظاهر.
2. الشريعة الإسلامية: تمثل هذا إطاراً تشريعياً وأخلاقياً محورياً يتفاعل من خلاله الفرد مع المجتمع، وهو بمثابة الأساس الذي يُرسي نظاماً شاملاً يمتد من السياسة إلى الاقتصاد، مروراً بالأخلاق والعلاقات الأسرية. هي ليست مجرد نصوص قانونية بل هي رؤية متكاملة تُرشد السلوك وتحفظ التوازن.
3. اللغة العربية: إنها ليست مجرد وسيلة للتواصل بين الناس، بل هي اللغة التي تحتضن القرآن الكريم والسنة النبوية، وتجسد عمق المعاني الدينية والثقافية. تمثل وعاءً للهوية الإسلامية، حيث تروي قصصاً وتعبر عن مشاعر ليس لها مثيل، أسلوبها الفريد يجعل كل كلمة تموج بمعاني تلامس الروح.
4. التراث والحضارة الإسلامية: يمثل هذا التراث زاداً تاريخياً وثقافياً ضخماً للأمة الإسلامية، يُسطر فيه بطولات الفتوحات وإسهامات العلماء والمؤسسات الحضارية العريقة. إن هذا الإرث يعزز شعور المسلم بالانتماء إلى حضارة عظيمة، تُعتبر سراجاً أضاء دروب الإنسانية وأسهمت بشكل جلي في تشكيل مساراتها.

(1). حنفي، الهوية، ص65.

(2). سورة الحج، الآية 78.

(3). حسان، الهوية الإسلامية رؤية تأسيسية في ضوء التحديات المعاصرة، ص151 - 159.

5. القيم الأخلاقية والاجتماعية: من قبيل العدل، والأمانة، والتكافل، والحياء، والإيثار، والرحمة، فهذه القيم لا تقتصر على كونها مجرد سلوكيات يومية، بل هي تنبض بالحياة نتيجة الإيمان، وتجذرت في عمق التشريع الإسلامي. هي الدليل على كيف نعيش ونتعايش، وتظهر جمال التفاعل الإنساني في أسمى صوره.
6. الرموز والشعائر الدينية: كالصلوات، وصيام رمضان، والحج، والتي تُمارس ضمن جماعة، مما يعزز من وحدة الشعور والانتماء.

وتتميز الهوية الإسلامية بعدد من الخصائص التي تجعلها فريدة من نوعها وتميزها عن سائر الهويات الأخرى، مثل (4):

- ربانية المصدر: هذه الهوية تستمد قوتها من الوحي الإلهي، سواء من القرآن الكريم أو من السنة النبوية، مما يضيف إليها طابعاً مقدساً وثابتاً لا يتأثر بمرور الزمن أو تغير الأمكنة.
 - الشمولية: فهي ليست مجرد فكرة محددة أو جانب واحد للحياة، بل تفيض بعمق لتشمل جميع مجالات الحياة، من الفكر والسلوك إلى الاقتصاد والسياسة والأخلاق، مما يجعلها بمثابة نظام متكامل للحياة.
 - الوسطية والتوازن، فهي تُمثل الاعتدال في كل جوانب الحياة، تسعى بلا كلل لتحقيق التوازن بين الروح والمادة، وبين الفرد والمجتمع، مما يساهم في بناء حياة تنبض بالانسجام.
 - المرونة والثبات: حيث تجمع الهوية الإسلامية بين المبادئ الأساسية الثابتة مثل التوحيد والأخلاق، وبين القدرة الفائقة على التكيف مع متغيرات الزمن، لكن يتم ذلك ضمن ضوابط الشريعة.
 - الانفتاح على الآخر: هذه الهوية ليست كما قد يُظن أنه ينغلق على نفسه، بل تدعو إلى الحوار والتفاعل الحضاري والتعايش، مع الحفاظ على الهوية وعدم الذوبان في الآخر.
 - الاستمرارية التاريخية: هذه الهوية لم تتوقف ابداً منذ بزوغ فجر الإسلام، بل انتقلت كسلسلة من جيل إلى جيل، وأنتجت حضارات غنية ومتنوعة في شتى البيئات الجغرافية، مما يُضفي عليها عمقاً تاريخياً متأسلاً.
- الهوية الإسلامية تشكل وعي المسلم وتصوغ رؤيته للعالم، فهي ليست مجرد أفكار، لكنها تشكل طريقة تفكيره وسلوكه في الحياة كلها، فهي تؤثر في (5):

1. السلوك الفردي: يتمثل في ضبط النفس، والتقوى، ومراقبة الله في سرّاً وعلانية.
 2. السلوك الاجتماعي: لأنها تدفعه إلى الالتزام بالأخلاق، وإقامة العلاقات على أساس الرحمة والعدل.
 3. موقفه من الحضارات الأخرى: وذلك من خلال الوعي النقدي والانفتاح الواعي، وليس التقليد والانبهار.
 4. تصوره للنجاح والتقدم: يُقاس النجاح بمعايير دينية وأخلاقية، وليس فقط مادية أو دنيوية.
- من هنا فإنه عندما يضعف الوعي بالهوية أو يتراجع حضورها في حياة المسلم، يُفتح المجال لدخول مؤثرات ثقافية خارجية تتعارض مع ثوابته الدينية، هذا ما يجعل الحديث عن الهوية الإسلامية ضرورة وجودية لحماية الفرد والمجتمع.

(4). عبد الرزاق، الهوية الإسلامية مقوماتها، ووسائل الحفاظ عليها، ص 215-216.

(5). حسان، الهوية الإسلامية رؤية تأسيسية في ضوء التحديات المعاصرة، ص 211 - 215.

المبحث الثاني: مفهوم الغزو الثقافي الحديث

يُعتبر الغزو الثقافي من أخطر المخاطر المعاصرة التي تواجهها المجتمعات الإسلامية، لأنه لا يُنفذ بالسلاح التقليدي، بل يتسلل سرًا إلى العقول والوجدان، ويغيّر تكوين الإنسان من الداخل دون إحساس.

يعرف الغزو الثقافي بأنه مجموعة من الوسائل والأساليب التي تستخدمها قوى حضارية خارجية لفرض قيمها وأنماطها السلوكية والفكرية والاجتماعية على مجتمع معين، بهدف طمس هويته واستلابه من داخله، دون استخدام القوة العسكرية المباشرة⁽⁶⁾.

يرى مالك بن نبي أن الغزو الثقافي يجسد الوجه الخفي للاستعمار، غير أنه يحمل في طياته خطرًا أكبر بكثير، فلا يقتصر هذا الغزو على مجرد احتلال الأراضي، بل يتعداه إلى محاولات استبقاء الإنسان ذاته، أو بالأحرى يسعى لتفكيك الهيكل الثقافي والاجتماعي والديني الذي ينتمي إليه الفرد، ليزرع مكانه قيمًا استهلاكية ومادية تعيد تشكيله كإنسان تابع للثقافة المهيمنة بلا حول له ولا قوة⁽⁷⁾.

أما محمد عمارة فيرى أن الغزو الثقافي يُعتبر جزءًا لا يتجزأ من الصراع الحضاري المحتدم بين الأمة الإسلامية والعالم الغربي، ويصفه بأنه غزو ناعم، لا يظهر للعين المجردة، لكنه يضرب في عمق الوجود، الأمر ببساطة يستهدف العقل واللغة والعقيدة، مما يؤدي إلى إنتاج إنسان ممسوخ فكريًا، يفصل تمامًا عن تراثه وتاريخه، وكأنه يتمزق من جذوره⁽⁸⁾.

يتميز الغزو الثقافي الحديث بعدد من الخصائص التي تُصعب اكتشافه أو مقاومته بسهولة، هي⁽⁹⁾:

1. النعومة والتخفي: إنه لا يظهر كعدو صارخ أمام العيان، بل يتسلل برشاقة من خلال قنوات تبدو للوهلة الأولى محايدة أو حتى مغرية، مثل الفن والإعلام والتعليم والتجارة.
 2. التركيز على الشباب: هذه الفئة هي الأكثر تأثرًا بالرموز الثقافية الجديدة، وهي أيضًا الأكثر تفاعلًا مع التقنيات الحديثة.
 3. الاعتماد على الأدوات الرمزية: كحروف اللغة وصور صغيرة تتراقص، وموسيقى تأسر القلوب، وأفكار تجريدية تدور في الأذهان، مما يجعل التأثير يتغلغل في النفوس بشكل عميق ودون أن يشعر المتلقي بذلك.
 4. استخدام التكنولوجيا الحديثة كمنصات التواصل الاجتماعي والبث الفضائي والألعاب الرقمية كوسائل لتمرير القيم والسلوكيات الغربية.
 5. المراهنة على تفكيك القيم الإسلامية: من خلال التشكيك، أو التحريف، أو حتى السخرية، أو إعادة التأويل المرنة، مما يؤدي ببطء لكنه بثبات إلى إضعاف المرجعية الدينية.
- لقد تغيرت أدوات الغزو الثقافي بمرور الزمن، فبعد أن كانت الكتب والمناهج والمستشرقين هم الواجهة في القرن الماضي، أصبحت الأدوات اليوم أكثر تعقيدًا وخطورة، ويمكن حصر أهم الأدوات في⁽¹⁰⁾:

(6). زريق، مخاطر الغزو الثقافي، ص34.

(7). بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، ص76.

(8). عمارة، الغزو الفكري: وهم أم حقيقة، ص90.

(9). البطاينة، العولمة والغزو الثقافي وتأثيرها على الهوية القومية والإسلامية، ص76.

(10). المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، ص204-207.

أولاً: وسائل الإعلام والترفيه وتشمل القنوات الفضائية، منصات البث الرقمي، وسائل التواصل الاجتماعي، والمسلسلات والأفلام، التي تُروّج لقيم ومفاهيم أجنبية مثل: الفردية المتطرفة، والإباحية والنقل من الضوابط، والاستهلاك المفرط، وإقصاء الدين عن الحياة العامة، وتمجيد النموذج الغربي في الحياة والنجاح.

ثانياً: المناهج التعليمية المستوردة: في بعض الدول الإسلامية، نجد أنه يتم الاعتماد على مناهج تعليمية مُستوردة تقتصر على الروح الإسلامية الحقيقية، حيث تبعد عن تناول تاريخ الحضارة الإسلامية وتتعامل مع الدين باعتباره مجرد ظاهرة اجتماعية، من دون أي عمق إيماني. والأسوأ من ذلك، أن بعض هذه المناهج تُسهم في تشكيل جيل يبحث عن هويته في زحام العوالم المختلفة، لا يعرف تاريخ أجداده، ولا يفهم معاني دينه، ولا يعتز بلغة آبائه.

ثالثاً: الاقتصاد الاستهلاكي والعولمة التجارية: إن الغزو الثقافي لا يقتصر على الفكر وحده، بل ينفذ إلى حياتنا اليومية عبر المنتجات والعلامات التجارية، تلك التي تحمل رموزاً ثقافية غربية، وتعيد تشكيل الذوق والهوية بطرق غير مرئية، تجد الأطفال يعرفون أسماء الشخصيات الأجنبية عن ظهر قلب، في حين تظل أسماء الصحابة وأعلام التاريخ غير معروفة بالنسبة لهم، بل ويفضلون حفظ شعارات الشركات بدل الآيات القرآنية.

رابعاً: اللغة والثقافة اليومية: يظهر أثر هذا الغزو بوضوح في استخدام مصطلحات أجنبية بلا داع، حيث يتداخل الحديث العربي مع الإنجليزية بشكل غير متناغم، ويتم تبني مفاهيم ومصطلحات فكرية غربية دون أي وعي بمحتواها العميق، مثل: (الحرية المطلقة، الجندر، ما بعد الحداثة، النسبية القيمة).

خامساً: التشكيك في التراث والدين: تتجلى محاولات منظمة تهدف إلى تصوير الدين كمُعوق أمام التقدم، والتراث كفترة زمنية تجاوزتها الإنسانية، مما يساهم بطريقة مقلقة في زعزعة ثقة الشباب في هويتهم وموروثهم الثقافي. وتتمثل أهداف الغزو الثقافي في⁽¹¹⁾:

1. إزالة القيم والدلالات الدينية من الهوية الإسلامية.
2. تشكيل الشخصية الإسلامية حسب النمط المادي الغربي.
3. غرس التبعية الثقافية والفكرية للغرب.
4. تقليل الإحساس بالانتماء إلى الأمة الإسلامية.
5. تفكيك المجتمعات الإسلامية وتقليل قدرتها الحضارية.

تري الباحثة أن الهجوم الثقافي المعاصر ليس مجرد تواصل طبيعي أو تفاعل حضاري، بل هو جهد منظم يهدف إلى تفكيك الهياكل الثقافية الأصلية للدول، وإضعاف مرجعياتها الدينية والمعرفية، وإعادة تشكيل الوعي الفردي والجمعي بما يتناسب مع النموذج الغربي السائد، وقد تم استخدام في هذا الهجوم أدوات حديثة ذات تأثير عميق، مثل الإعلام الرقمي، والتعليم العالمي، والفن الجماهيري، والقوانين الدولية، مما يجعل هذا الهجوم أكثر خطورة من الغزو العسكري التقليدي. وتتجلى خطورة هذا الهجوم في كونه ناعماً، ومتكرراً، وتراكيمياً، إذ يحدث اختراقاً تدريجياً للقيم والأفكار دون أي مقاومة تذكر، معتمداً على سحر الصورة، وإغراء الاستهلاك، وشعارات الحرية الفردية الزائفة، إن وعي المجتمعات المسلمة بطبيعة هذا الهجوم وفهم أهدافه وطرقه يعتبر خطوة أولى أساسية نحو مواجهة فعالة وحماية الهوية من الذوبان أو التهميش.

(11). المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، ص 69-70.

المبحث الثالث: التحديات التي تواجه الهوية الإسلامية

ليست الهوية الإسلامية مهددة فقط من التهديدات الخارجية الناتجة عن الغزو الثقافي المتزايد، بل تواجه أيضًا مجموعة من العقبات المعقدة التي تتنوع مصادرها، حيث يأتي بعضها من داخل المجتمعات الإسلامية نفسها فيما يأتي بعضها الآخر من قوى ثقافية وإعلامية واقتصادية تؤثر عبر الحدود، وتأتي خطورة هذه التحديات من أنها تؤثر في الوقت ذاته على الجانبين: المادي والرمزي، مما يعرض أسس الفكر والمعتقد والسلوك للخطر، ويؤثر على عمق علاقة المسلم بدينه وتاريخه وهويته الجماعية. فالهوية لا تموت في واحدة، بل تتآكل تدريجيًا، حتى يفاجأ الفرد يومًا بأنه أصبح غريبًا في نفسه ومع أهله⁽¹²⁾.

أولاً: التحديات الخارجية: وتتمثل في:

1. العولمة الثقافية وهيمنة النموذج الغربي: العولمة في جوهرها ليست مجرد عملية اقتصادية أو تقنية، بل هي مبادرة ثقافية كبيرة تسعى إلى إرساء نمط حياة موحد (غربي - مادي - فردي) ويعتبر النموذج الأكثر كفاءة والفريد من نوعه، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال⁽¹³⁾:
 - فرض لغة معينة (الإنجليزية) لتكون لغة عالمية على حساب اللغة العربية.
 - نشر أنماط من الملابس، الطعام، السلوك، والعلاقات، بطريقة تتجاهل الخصوصية الثقافية الإسلامية.
 - تقديم المفاهيم الغربية المتعلقة بالحرية، الجندر، الجسد، والنجاح المالي.
2. الغزو الإعلامي والفني: تعتمد القوى الثقافية الغربية على استراتيجيات ناعمة وفعالة للتأثير في المجتمعات، وأهمها وسائل الإعلام، ومن تجليات هذا التأثير⁽¹⁴⁾:
 - البرامج التلفزيونية والأفلام التي تقدم أفكار تتعارض مع القيم الإسلامية، وتعيد صياغة مفاهيم الأسرة، الجنس، والحرية.
 - المنصات الإلكترونية التي تنشر المحتوى الغربي على مستوى عالمي، مما يجعل النموذج الغربي مرجعًا رئيسيًا.
 - ألعاب الفيديو التي تعزز مفاهيم العنف والفردية، وتحتوي أبطال خارقين يمثلون ثقافات أخرى.
3. محاولات التشكيك في الإسلام ومصادره: ويتجلى في⁽¹⁵⁾:
 - التشكيك في ملاءمة الشريعة الإسلامية للحياة الحالية.
 - الانتقاد الموجه للقرآن والسنة والتراث الإسلامي في وسائل الإعلام الغربية والعربية.
 - تعزيز أفكار داخلية تدعو إلى "الإسلام الليبرالي" أو "الإسلام المدني" الذي يتجاهل أسس الدين.
4. المنظمات الدولية والتعليمية الأجنبية: تقوم بعض المنظمات الغربية (الثقافية، التعليمية، العالمية) بممارسة نوع من السيطرة الثقافية من خلال⁽¹⁶⁾:
 - وضع برامج تعليمية تستبعد الدين.
 - دعم المناهج التي تدعو إلى مفاهيم "الحرية الجنسية" أو "النوع الاجتماعي".
 - تمويل دراسات أو مؤتمرات تهدف إلى تفكيك بنية الأسرة والمجتمع الإسلامي.

(12). الصياغ، اشكالية الهوية وثنائية اللغة والترجمة في السياق العربي المعاصر، ص25.

(13). لطفي وآخرون، أثر العولمة الثقافية والثورة المعلوماتية على ثقافة طالب الجامعة "دراسة تحليلية"، ص249.

(14). طه عبد الرحمن، روح الحداثة، ص176.

(15). القعيد، الطلبة المسلمون في الغرب بين المخاطر والآمال، ص60.

(16). حسين، الهوية الإسلامية للأقليات المسلمة في المجتمعات غير الإسلامية، ص202.

ثانياً: التحديات الداخلية: وتتجلى في⁽¹⁷⁾:

1. افتقار الشباب للوعي بالهوية: يواجه الكثير من الشباب في الدول الإسلامية مشكلة في الانتماء الثقافي، حيث ينشأ هؤلاء غير واعين بأهمية لغتهم وتراثهم ودينهم، ويتأثرون بشكل كبير بالنموذج الغربي، مما يؤدي إلى تقليد سلوكياته بلا فهم أو تمييز، ويحدث هذا نتيجة لفقدان التعليم الديني الجيد ونقص القدوة الحسنة، مما ينتج عنه فراغ روحي ومعرفي.
 2. نقص في الخطاب الديني والإعلامي: يتسم الخطاب الديني التقليدي في العديد من الأحيان بكونه غير ملائم للزمن الحالي، حيث يكتفي بإعادة طرح أفكار ماضية. أما الإعلام الإسلامي فيعاني من نقص في الاحترافية والجاذبية والعمق في مواجهة الإعلام العالمي القوي، مما ينعكس سلباً على الإنتاج الثقافي والفني الإسلامي الذي من المفترض أن يقدم نماذج مثيرة تعكس الواقع وتعزز الهوية.
 3. مشكلات اللغة العربية: يعاني استخدام اللغة العربية من الضعف في مجالات التعليم والإعلام والتواصل اليومي، حيث تفضل اللغات الأجنبية في الجامعات والمؤسسات. وهناك نظرة سلبية تجاه العربية تُعتبرها لغة قديمة، في حين يتم مدح اللغة الإنجليزية باعتبارها رمز المستقبل.
 4. تراجع مستوى التعليم والتربية: أنظمة تعليمية تفصل بين الدين والحياة ولا تعزز القيم الإسلامية، عدم وجود فلسفة تعليمية واضحة تستند إلى العقيدة الإسلامية، ضعف العلاقة بين المدرسة والأسر والمؤسسات الدينية.
 5. الانشاقات الثقافية في المجتمعات الإسلامية: صراع بين نخب علمانية وغربية التأثير، ومجموعات محافظة ومتعصبة، خطاب يهمل المخالفين ويؤدي إلى تفتت المجتمع، عدم وجود مشروع ثقافي موحد يجمع الأمة حول قيمها وهويتها.
 6. التحديات النفسية والفكرية: الشعور بالهزيمة النفسية أمام الغرب، والإحساس بالدونية الثقافية، ورؤية التراث والدين كعائق للتقدم، وتعارض القيم التي يتلقاها المسلم في دينه مع تلك التي يعيشها في مجتمعه.
- ترى الباحثة أن الصعوبات الحديثة التي تصادف الهوية الإسلامية تُظهر حجم الضغط الذي تتعرض له المجتمعات الإسلامية، سواء من عوامل داخلية أو خارجية، بهدف تقويض أسس هذه الهوية، وتفكيك ثوابتها، وإفراغها من بعدها الثقافي والديني، وتبرز هذه التحديات في أشكال متنوعة، من أبرزها: الغزو الثقافي المدبر، والعولمة الفكرية التي تسعى لفرض نموذج ثقافي موحد، والانخفاض في مناعة الأفراد، والانهيار بالنموذج الغربي في الفكر والسلوك، بالإضافة إلى التبعية الإعلامية والتكنولوجية، وتدني دور المؤسسات التعليمية والدينية في تعزيز الهوية.
- كذلك تضاف إلى تلك التحديات الداخلية ذات الصلة بضعف الوعي، والتقاوس عن الالتزام بالقيم الإسلامية، والتشويه المتعمد لصورة الإسلام في الخطاب الدولي، وارتفاع خطاب الكراهية والعنصرية ضد المسلمين، مما يجعل الحفاظ على الهوية الإسلامية مشروعاً حضارياً مستمراً، يتطلب معالجة تتجاوز ردود الفعل العاطفية، بل تحتاج إلى رؤية علمية استراتيجية متكاملة.
- فالهوية الإسلامية تواجه خطراً مزدوجاً: خطر الاستلاب الثقافي الخارجي، وخطر التميع الداخلي وفقدان المرجعية، مما يستدعي تدخلاً منظماً يبدأ بإعادة بناء الوعي لدى الشباب، وتعزيز الانتماء المتوازن، وتفعيل دور الأسرة، والمؤسسات التعليمية، والإعلام، والخطاب الديني، لإعادة الاعتبار للهوية كعنصر فعال في نهضة الأمة، بدلاً من اعتبارها حالة انغلاق أو تراجع. لذا فإن التصدي لهذه التحديات لا يقتصر على الدفاع السلبي، بل يتطلب الانتقال نحو مشروع حضاري تجديدي، يعيد الاعتبار للهوية الإسلامية باعتبارها هوية رسالية، جامعة، متوازنة، قابلة للتفاعل والتجديد، دون أن تفقد جوهرها.

(17). القرضاوي، خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، ص70.

المبحث الرابع: حلول مقترحة للحفاظ على الهوية الإسلامية

في مواجهة التحديات المتزايدة التي تؤثر على الهوية الإسلامية من جانبيها الداخلي والخارجي، يُعتبر من المهم العمل على تطوير خطة شاملة تتضمن مقومات فكرية وتعليمية، إلى جانب سياسات إعلامية وتعليمية، وإصلاحات ثقافية واجتماعية، وإن حماية الهوية الإسلامية ليست مجرد ترف ثقافي أو مجرد دفاع عاطفي عن التراث، بل تمثل ضرورة وجودية تحافظ على كيان الأمة الروحي وأصالتها الثقافية، مما يساعد في إبقائها نشطة في عالم تتصارع فيه القيم والأفكار⁽¹⁸⁾.

وعليه، فإن مواجهة الغزو الثقافي واستعادة الهوية تتطلب رؤية متعددة الأبعاد، تتمثل في:

أولاً: إصلاح المنظومة التربوية والتعليمية، وذلك من خلال⁽¹⁹⁾:

1. إعادة بناء المناهج وفق الهوية الإسلامية، بإدخال القيم الإسلامية في كل المواد الدراسية وليس فقط في مادة الدين، وعرض التاريخ الإسلامي كتجربة إنسانية رائعة، وليس مجرد تسلسل للأحداث، وإعطاء الأولوية للغة العربية كجزء أساسي من الهوية، وتعليمها بأسلوب جذاب وعميق، واستخدام سير النبي وقصص القرآن لغرس المبادئ والقيم الأخلاقية، وإدراج قضايا الأمة الإسلامية (مثل فلسطين، وحدة الأمة، الاستعمار الثقافي) لتعزيز الوعي والانتماء.

2. تطوير النظام التعليمي: وذلك بتدريب المعلمين على تبني الفكر الإسلامي المعتدل والقيم في التعليم، وربط التعليم بالحياة اليومية، بدلاً من الاكتفاء بحفظ المعلومات والاختبارات، وإنشاء بيئة مدرسية تعكس القيم الإسلامية في السلوك والانضباط، وإضافة مواد دراسية تتعلق بالفكر الإسلامي، والسلوك المدني الإسلامي، والحوار الثقافي.

ثانياً: تفعيل الخطاب الديني المعاصر، من خلال⁽²⁰⁾:

1. تجديد الخطاب الديني: وذلك بعرض الدين بصورة رحيمة وواقعية، متجنباً التعصب أو الإفراط، وتناول قضايا العصر بلغة سهلة للشباب، وربطها بمفاهيم الإيمان، واستخدام الوسائل الحديثة (كالرقمية، والبصرية، والتفاعلية) في الرسالة الدعوية.

2. إعادة بناء المرجعية الدينية الوسطية: من خلال مساعدة العلماء الذين يجمعون بين المعرفة الشرعية وفهم الحضارة، والتصدي للأفكار المتطرفة أو التي تقبل بالتسليم ثقافياً من خلال مرجعية علمية قوية، وتوحيد الجهود الدعوية على مستوى الأمة من خلال مؤسسات تتجاوز حدود الدول.

ثالثاً: النهوض بالثقافة والإعلام الإسلامي، وذلك من خلال⁽²¹⁾:

1. إنتاج إعلام هادف وجذاب: بتطوير منصات رقمية ومحتوى ترفيهي متميز يعزز الهوية ويواكب التطورات الحديثة، وعرض المسلسلات والأفلام التاريخية الإسلامية بشكل احترافي يتسم بالمنافسة، واستخدام وسائل التواصل الاجتماعي لدعم الفكر الإسلامي المعتدل.

(18). مالك بن نبي، شروط النهضة، ص37.

(19). الجواد، الأهر الشريف والإصلاح الاجتماعي والمجتمعي، ص218.

(20). القرضاوي، في فقه الأولويات، ص88.

(21). عبد الرزاق، الهوية الإسلامية مقوماتها ووسائل الحفاظ عليها، ص54.

2. دعم الإنتاج الفكري والفني الإسلامي: بتعزيز الأعمال الأدبية مثل الروايات والشعر والأفلام والمسرحيات التي تندرج تحت الإطار الإسلامي الحديث، وإصدار مؤلفات سهلة الفهم للأطفال والمراهقين تعزز الانتماء والفخر بالهوية، ومساعدة في ترجمة الأفكار الإسلامية إلى لغات أخرى عالمية.

3. مواجهة المحتوى المضلل: بتشكيل مجموعات لمراقبة وتحليل الحملات الإعلامية التي تسيء إلى الدين، وتوزيع الإجابات العلمية والعقلانية على الأوهام، وتعزيز الوعي النقدي بين الناس لتمييز ما يُعرض من قيم يبدو ظاهرها التحرر بينما هدفها الحقيقي هو التغريب

رابعاً: تعزيز اللغة العربية: بفرض استخدام اللغة العربية في جميع مراحل التعليم، وتخصيص فترة أسبوع أو شهر لترتيب نشاطات تتعلق باللغة العربية في المؤسسات التعليمية ووسائل الإعلام، وتوفير محتوى عربي رقمي يستهدف الشباب ويعزز الفخر باللغة العربية، ودعم الهيئات اللغوية والمبادرات التي تهدف إلى تحسين وتطوير اللغة⁽²²⁾.

خامساً: ترسيخ الهوية في الأسرة والمجتمع: وذلك من خلال⁽²³⁾:

1. دور الأسرة: بتعزيز الفخر بالدين الإسلامي منذ سن مبكرة للأطفال، وتعليم السلوك من خلال المثال، والتواصل، والانضباط، ووقاية الأطفال من المواد الرقمية الضارة.

2. دور المؤسسات الاجتماعية: بتعزيز مساهمة المساجد والنوادي والجمعيات في المجال التعليمي والثقافي، وإقامة مخيمات ومعسكرات للشباب تُقوي الشعور بالهوية والانتماء، والترويج لفكرة التطوع والمشاركة في دعم قضايا المجتمع.

سادساً: دعم الوعي السياسي الحضاري: وذلك من خلال إبلاغ المسلمين بشأن جوهر الصراع الثقافي، وأهمية تحقيق استقلال حضاري، وتعزيز القضايا الأساسية للأمة (مثل القدس، فلسطين، ووحدة الأمة)، وتعزيز الوعي النقدي تجاه الإعلام الغربي والمحتوى المخصص⁽²⁴⁾.

سابعاً: بناء مشروع حضاري متكامل: فليس كافياً حماية الهوية، بل من الضروري تقديم رؤية حضارية إسلامية تستطيع المنافسة، وتحقيق الإقناع، وتلهم الآخرين، والإنفاق على البحث العلمي، والتعليم العالي، والاقتصاد الإسلامي، واسترجاع الثقة بالنفس، ورؤية الإسلام كمنبع للابتكار والتطور بدلاً من أن يكون سبباً للتخلف⁽²⁵⁾.

ترى الباحثة أن المحافظة على الهوية الإسلامية هي واجب جماعي تحتاج إلى تنسيق بين الفرد والعائلة والمؤسسات والدولة، إنها صراع طويل من الوعي، لا يتم عن طريق الرفض السلبي، بل من خلال البناء الإيجابي، الحل لا يكمن في الانعزال أو التحصين، بل في الوعي والتجديد والإبداع، واستخدام أدوات العصر لتعزيز القيم الإسلامية، فمن يفتقر إلى أدوات التأثير يبقى مستهلكاً ومتقبلاً، حتى وإن كان لديه أفضل القيم.

إن الثقافة الإسلامية، بنظامها المتكامل، لا تزال تمتلك القدرة على المساهمة في نهضة العالم الحديث، بشرط أن يتم إنعاشها، وتفعيل أدواتها، وإنشاء مؤسساتها، واستعادة وعيها في جميع المجتمعات الإسلامية. فالنهضة ليست مجرد استحضر للماضي، بل هي تطبيق لقيمه الخالدة في الحياة اليومية، وتجديد لدوره في صراع الحضارات.

(22). حنفي، الهوية، ص 186.

(23). الجواد، الأثر الشريف والإصلاح الاجتماعي والمجتمعي، ص 198.

(24). لطفي وآخرون، أثر العولمة الثقافية والثورة المعلوماتية على ثقافة طالب الجامعة "دراسة تحليلية"، ص 261.

(25). النجار، الهوية الحضارية في الفكر الإسلامي، ص 91.

ومن الأهمية بمكان أن نرسخ في العقول بأن الهوية الإسلامية لا تتعارض مع العصر الحديث، بل تحتوي في جوهرها على إمكانيات التقدم، وأسس العدالة، وطرق النهوض. فإذا تم استثمار هذه الهوية بشكل جيد، وإعادة توجيه الطاقات نحو استعادة الفعل الحضاري، فإن الأمة الإسلامية قادرة، ليس فقط على حماية وجودها، بل أيضاً على المساهمة في توجيه البشر نحو عالم أكثر عدلاً ورحمة وكرامة.

الخاتمة

إن مناقشة الثقافة الإسلامية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالفكرة الشاملة التي طرحها الإسلام في سبيل تشكيل الإنسان والمجتمع والحضارة. لقد أسس الإسلام، منذ بداياته، نموذجاً حضارياً متكامل الأبعاد، يعتمد على توحيد الله، واحترام الإنسان، وتحقيق العدالة، وتطهير النفس، وإعمار الأرض، وتنظيم العلاقات بين الأفراد والمجتمعات والسلطات وفق أسس إلهية، تجمع بين الثبات في المبادئ ومرونة الأساليب.

ومع ذلك، فإن الوضع الحالي يشير إلى انخفاض ملحوظ في وجود الثقافة الإسلامية، وتآكل ملامح الهوية في العديد من المجتمعات الإسلامية، نتيجة مجموعة من التحديات الكبيرة، من أبرزها التغلغل الثقافي المعاصر، الذي لا يسعى فقط للاستيلاء على الأراضي أو الموارد، بل يهدف إلى التأثير على العقول والقلوب، ويتطلع إلى إعادة تشكيل المسلم بشكل يتعارض مع عقيدته وهويته وتاريخه.

وقد أظهرت الدراسات أن هذا التغلغل ليس طارئاً أو بريئاً، بل منهجي، ويُمارس عبر وسائل إعلامية وتعليمية وفنية وتشريعية واقتصادية، بهدف تعزيز قيم النمط الغربي واستبعاد القيم الإسلامية، مما يستلزم وعياً شاملاً وخطة متكاملة لمواجهته، ليس فقط عبر الدفاع، بل من خلال المبادرة والمنافسة والمساهمة في إعادة بناء الحضارة الإنسانية.

التوصيات:

وفي ضوء ذلك، توصي الباحثة بما يلي:

1. تعزيز الخطاب الإسلامي الحضاري الذي يُظهر عالمية الإسلام وواقعيته وعدله.
2. إعادة تقديم الثقافة الإسلامية للأجيال الجديدة بلغة معاصرة، وروح منفتحة، ومنهج علمي رصين.
3. مواجهة محاولات التشويه والتغريب، لا بالانغلاق أو العداء، بل بالحكمة والمنافسة الفكرية والمنهجية، ودعوة كل مسلم لأن يكون سفيراً لهويته، يعتز بدينه، ويُجيد تمثيله سلوكاً وقولاً.
4. إنتاج محتوى إعلامي جذاب يعكس القيم الإسلامية، ويخاطب العالم بلغة العصر.
5. دعم البحث العلمي في قضايا الهوية والثقافة ومواجهة الغزو الثقافي.
6. بناء بيئة اجتماعية تُرسخ القيم الإسلامية في السلوك اليومي، وتشجع العمل الثقافي التطوعي، والمبادرات الشبابية، والمسابقات الفكرية.

المراجع

1. البطائنة، أحمد، العولمة والغزو الثقافي وتأثيرها على الهوية القومية والإسلامية، مجلة شؤون اجتماعية، 26(101)، أبو ظبي، 2019م.
2. بن نبي، مالك، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر، دمشق، 1981م.
3. بن نبي، مالك، شروط النهضة في البلاد المستعمرة، دار القلم، دمشق، 2011م.
4. الجوادي، محمد، الأزهر الشريف والإصلاح الاجتماعي والمجتمعي، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2015م.
5. حسان، حسن، الهوية الإسلامية رؤية تأصيلية في ضوء التحديات المعاصرة، حولية كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، 8(25)، 148 – 248، 2011م.
6. حسين، أحمد، الهوية الإسلامية للأقليات المسلمة في المجتمعات غير الإسلامية، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، 40 (2)، 183 – 214، 2016م.
7. حنفي، حسن، الهوية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2012م.
8. زريق، برهان، مخاطر الغزو الثقافي، منشورات وزارة الاعلام السورية، دمشق، 2019م.
9. الصياغ، فايز، إشكالية الهوية وثنائية اللغة والترجمة في السياق العربي المعاصر، مجلة تبين، العدد الاول، 2012م.
10. عبد الرحمن، طه، روح الحداثة؛ المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2006م.
11. عبد الرزاق، عبد الرزاق، الهوية الإسلامية مقوماتها، ووسائل الحفاظ عليها، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، 1(18)، 2014م.
12. عمارة، محمد، الغزو الفكري: وهم أم حقيقة، الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة، الأزهر الشريف، القاهرة، 2003م.
13. القرضاوي، يوسف، خطابنا الاسلامي في عصر العولمة، دار الشروق، القاهرة، 2006م.
14. القرضاوي، يوسف، في فقه الأولويات، مكتبة وهبة، الدوحة، 1997م.
15. القعيد، ابراهيم، الطلبة المسلمون في الغرب بين المخاطر والآمال، مكتبة دار السلام، الرياض، 1415هـ.
16. لطفي، عنتر وعبد القادر، أيمن ومبروك، محمود ومرسي، صباح، أثر العولمة الثقافية والثورة المعلوماتية على ثقافة طالب الجامعة "دراسة تحليلية"، مجلة جامعة مطروح للعلوم التربوية والنفسية، 3(5)، ص 240 – 268، 2023م.
17. المرزوقي، علي، الغزو الثقافي الغربي (أسبابه، ومخاطره ، ونتائجه)، مجلة التربية، الجامعة المفتوحة، العدد 12، 2018م.
18. المسيري، عبد الوهاب، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، دار الشروق، القاهرة، 2004م.
19. النجار، عبد الكريم، الهوية الحضارية في الفكر الإسلامي، دار القلم، دمشق، 2009م.

عنوان البحث

الفاعل الجمعي وآليات التفاوض الاجتماعي مع المرض

دارس عبد الحكيم¹

¹ جامعة ابن طفيل كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، المغرب.

المختبر: المجتمع والقيم

الاستاذة المشرفة: الدكتورة زبيدة أشهبون

HNSJ, 2025, 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/8>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/68/8>

تاريخ النشر: 2025/08/01م

تاريخ القبول: 2025/07/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/07/07م

المستخلص

تتناول هذه الدراسة الدور الحيوي الذي تؤديه الجمعيات المدنية، ممثلة في "جمعية الحمد لمرضى القصور الكلوي"، في تطوير آليات التفاوض الاجتماعي مع المرض المزمن في سياق الهشاشة الاجتماعية والاقتصادية بمدينة سيدي قاسم بالمغرب. استندت الدراسة إلى مقارنة سوسيو-أنثروبولوجية لرصد التفاعل بين المرضى والمؤسسة العلاجية، مستعرضة البعد الذاتي والرمزي لتجربة المرضى ومعاناتهم. وأظهرت النتائج الميدانية أن أغلب المستفيدين من خدمات المركز من النساء ذوات التعليم المحدود والدخل المنخفض، مما يبرز العلاقة بين الفقر والأمراض المزمنة. كما بينت الدراسة أن المرضى، على الرغم من محدودية وعيهم القبلي بالمرض، يميلون إلى تفسير القصور الكلوي تفسيرات عضوية أكثر من غيبية، وأن الأغلبية فضّلوا الطب العصري على الطرق التقليدية، ما يدل على تحوّل تدريجي في التمثلات الصحية. وسلطت الدراسة الضوء على الأثر العميق للمرض على الحياة الاجتماعية والمهنية للمصابين، حيث عانى أغلبهم من تدهور في العلاقات المهنية والعائلية وفقدان مصدر الدخل. وخلصت الدراسة إلى أهمية دمج البعد الإنساني في التعامل مع المرضى وتبني مقاربات محلية قاعدية، تُشرك المجتمع المدني كمكوّن أساسي في التخفيف من تبعات المرض المزمن، وتدعو إلى إصلاح العلاقة بين المريض والطبيب وتجاوز الصدمة في إبلاغ التشخيص.

الكلمات المفتاحية: القصور الكلوي، التفاوض الاجتماعي، الهشاشة الصحية، الجمعيات المدنية، سوسيلوجيا المرض.

RESEARCH TITLE

The Role of Civil Society Actors and Mechanisms of Social Negotiation with Illness

Abstract

This study explores the vital role played by civil society organizations—specifically the "Al-Hamad Association for Kidney Failure Patients"—in developing mechanisms of social negotiation with chronic illness in the context of social and economic vulnerability in Sidi Kacem, Morocco. Adopting a socio-anthropological approach, the study investigates the interaction between patients and the treatment center, highlighting the subjective and symbolic dimensions of the illness experience. Field data revealed that most beneficiaries were women with limited education and low income, underscoring the strong link between poverty and chronic disease. Despite limited prior awareness of their condition, most patients interpreted kidney failure as stemming from organic rather than metaphysical causes, and the majority opted for modern medicine over traditional remedies—indicating a gradual shift in health perceptions. The study also sheds light on the deep impact of illness on patients' social and professional lives, marked by job loss and strained relationships. Ultimately, the findings call for humanizing healthcare, involving grassroots civil society initiatives, and improving doctor-patient communication to reduce the psychological shock of diagnosis and to better manage chronic illness in marginalized communities.

Key Words: Kidney failure, social negotiation, health vulnerability, civil society organizations, sociology of illness.

تمهيد

اتخذ المغرب في العقود الأخيرة عدة تدابير لإصلاح هيكله لمواجهة الاختلالات والهزات التي لحقت بأوضاعه الاقتصادية والاجتماعية، ومن جملة هذه التدابير طورت الدولة مواقفها وخطاباتها بإقرارها لمزايا الحركة الجمعوية وعمل المجتمع المدني هذا التحول أملت عوامل خارجية وأخرى مرتبطة بالحراك الاجتماعي والتغيرات التي عرفها المجتمع المغربي، وترمي هذه السياسات الجديدة إلى إشراك السكان وتبني مقاربات تنطلق من الميكرو ومن العمل الميداني الإمبريقي. في ظل هذا المناخ الجديد المؤسس على تشجيع سياسة القرب وروح المبادرة والمشاركة والتضامن ارتأينا الاشتغال على جمعية "الحمدة" لمرضى القصور الكلوي والأمراض المزمنة بمدينة سيدي قاسم بمنطقة الغرب بالمغرب.

والقصور الكلوي هو مصطلح طبي يطلق على حالات فشل الكلي في تأدية وظائفها. وهناك نوعان من الفشل الكلوي، القصور الكلوي الحاد والمزمن، وهذا المرض بشكل عام هو حدوث قصور في عمل الكلية ووظائفها لكن تداعياتها وتأثيراتها تشمل الجسم كله. وتعتبر الجمعية النموذج "جمعية الحمدة" التي استطاعت أن تتبنى منحى جديد يهتم بالعمل التطوعي وبتقديم الخدمات الاجتماعية لفئات هشة بمنظور يحكمه منطق المشروع، متوخيا الانتقال إلى العمل الاجتماعي المأمس، يتوخى تحقيق أهداف وترجمتها على أرض الواقع، وذلك من خلال خطوات محددة:

- تعبئة أرض تملكها الجمعية

- البحث عن التمويل وعقد شراكات مع الفاعلين في المجال الصحي رغبة في تقديم خدمات صحية تعتمد على العلاج الطبي. ويشكل اختيار جمعية الحمدة لمركز تصفية الكلي كمشروع للتدخل لتدبير أشكال التفاوض الاجتماعي مع المرض بغية تخفيف معاناة شريحة مهمة من المعوزين وسكان الهامش بمنطقة سيدي قاسم.

فهل استطاع هذا التوجه الجديد الذي يندرج في إطار تفعيل سياسة القرب والانطلاق من المحلي والهامش أن يخلق آليات جديدة للتفاوض مع المرض؟

وهل استطاعت عبر الخدمات المقدمة بالمركز وبالعلاقتها بالمرضى أن تنهض به اجتماعيا وتصل إلى حدود سقف التنمية الصحية؟ أم أن هذا النوع من المشاريع لازال يقبع في قلب المشاريع التي يغلب عليها الطابع الإحساني؟ كل هذه الأسئلة سنحاول محاورتها في مقالنا من خلال عمل ميداني وذلك عبر أربعة محاور أساسية:

المحور الأول: الخصائص السوسيو-ديمقراطية للمبحوثين

المحور الثاني: آليات التفاوض الاجتماعي واستراتيجيات العلاج

المحور الثالث: تداعيات المرض وآثاره على الحياة الاجتماعية

المحور الرابع: كيف يتم تدبير المرض داخل المركز

نموذج تجربة "جمعية الحمدة"

بدأت الجمعية كفكرة حين اقترح أحد أبناء المنطقة بسيدي قاسم الغرب بالمغرب، الفكرة على المقربين من أجل تكوين مركز يختص بتصفية الدم والقصور الكلوي، هذا الرجل الذي اقترح فكرة المشروع كان يعاني من المرض نفسه أي انه خبر جيدا معاناة وقسوة هذا المرض الصحية والنفسية والمادية، وقد لاحظ أن جل المراكز تتمركز بالحوضر الكبرى مما يضطر ساكنة الهوامش إلى تجشم عناء السفر لتلقي العلاج ربما يجدون مكانا شاغرا لهم أمام كثرة الطلب من المصابين وقلة المراكز.

في خطوة ثانية تم البحث عن طاقم مسير للجمعية تتوفر فيهم خصال الكفاءة والقدرة على تحمل المسؤولية، عقدت الجمعية شركات واستفادت من هبات خارجية وخصوصا السفارة اليابانية، وبذلك استطاعت أن تحدث قفزة نوعية على مستوى تقديم العلاجات الضرورية للمرتفقين مجاناً، وبذلك استطاعت هذه الجمعية رغم حداثة نشأتها تبوؤ الصدارة في ترتيب الجمعيات العاملة في مجال تصفية الدم لمرضى القصور الكلوي على الصعيد الوطني.

المحور الأول: الخصائص السوسيو-ديموغرافية للمبحوثين

1-الجنس

الجنس	التكرارات	النسبة المئوية
. ذكر	20	37,03
. أنثى	34	62,97
المجموع	54	100

الجدول رقم (1): توزيع المبحوثين حسب الجنس

المصدر: البحث الميداني

من خلال معطيات الجدول أعلاه يتضح لنا أن النساء يشكلن أكبر المستفيدات من خدمات المركز بنسبة 62,97 % مقابل 37,03 % للذكور، وهذا يدل على أن المرأة في هذه المجتمعات أغلبها ذات الطابع القروي منخرطة بشكل فعال في الحياة السوسيو- اقتصادية لذلك فهي أكثر احتياجاً للخدمات الصحية ومرض القصور الكلوي تحديداً.

2-الفئات العمرية

يعتبر السن متغيراً هاماً في حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية والسوسولوجيا بخاصة.

السن	التكرارات	النسبة المئوية
(40-30)	10	18,52
(50-41)	12	22,23
(60-51)	11	20,37
(70-61)	13	24,08
(80-71)	7	12,93
81 فما فوق	1	1,87
المجموع	54	100

جدول رقم (2): توزيع المبحوثين حسب السن

المصدر: البحث الميداني

من خلال المعطيات المبينة أعلاه يلاحظ تقارب كبير بين مختلف الفئات العمرية، خصوصاً بين الفئات الأربع الأولى بفارق بسيط لا يتجاوز نسبة 2% وهذا يدل على أن هذا المرض يشمل مختلف الفئات، ومع ذلك تظل الفئة العمرية بين (30 و 40) حضرت بنسبة مهمة تتجاوز 18 % وهو مؤشر على أن هذه الفئة النشيطة تكون أكثر إقبالاً على الحياة ولا تأخذ الاحتياطات الكافية.

3-المستوى التعليمي

النسبة المئوية	التكرارات	المستوى الدراسي
61,12	33	بدون
3,70	2	كتاب
18,52	10	ابتدائي
11,11	6	إعدادي
3,70	2	ثانوي
1,85	1	جامعي
100	54	المجموع

جدول رقم (3) : توزيع المبحوثين حسب المستوى التعليمي

المصدر : البحث الميداني

المؤشرات الرقمية دالة على أن الفئة التي يستهدفها المرض هي الفئات الأقل تدرسا، وينسب أقل الفئات المتعلمة وهو الأمر الذي ينم على أن المستوى التعليمي ووعي الناس قد يحد من مخاطر القصور الكلوي. يعتبر المستوى التعليمي مؤشر هام ودال إذ يحيلنا على الكيفية التي يدبر بها مرضهم، وهو أيضا محدد اجتماعي مهم نقيس من خلاله كيفية تفاعل المبحوثين بخصوص المرض ومدى قدرة تقبل أوضاعهم وهو الأمر الذي سنحاول استقراءه من خلال البيانات التالية.

4-الوضعية العائلية

نهدف من خلال هذا المتغير الاجتماعي إبراز أهمية العائلة بالنسبة لتفاوض المريض مع وضعه الصحي وفي تحديد آليات تدبيره للعلاج

المجموع	الجنس				الحالة العائلية
	%	أنثى	%	ذكر	
8	12,12	4	19,04	4	أعزب
29	42,42	14	71,43	15	متزوج
5	9,10	3	9,53	2	مطلق
12	36,36	12	0	0	أرمل
54	100	33	100	21	المجموع

جدول رقم (4): توزيع المبحوثين حسب الحالة العائلية

المصدر : البحث الميداني

يبين الجدول أعلاه أن نسبة المتزوجين شغلت نسبة مهمة من مجموع المبحوثين بنسبة 53,71% والتفسير الأقرب في اعتقادي هو ضغوط الحياة وتحمل المسؤولية وكثرة الالتزامات في ظل صعوبات الحياة ، تليها بنسبة 22,22 فئة الأرامل وهي فئة هشة تعاني من أعباء الحياة دون سند حماية اجتماعية والواقع من خلال الإحصائيات يتضح أن المرأة

أكثر تحملاً للمسؤولية من الرجل فهي دوماً كانت حاضنة للأسرة حتى في أصعب الظروف ، وبذلك نستشف أن المرض المزمن في العادة يكون سبباً في الإقصاء والنزاع الاجتماعي خصوصاً في صفوف النساء ، إذ يعبر هذا الوضع انطلاقاً من المؤشرات الرقمية المحصلة عليها عن وضع يسوده الفقر والهشاشة .

5- المهنة

معاناة المريض تتضاعف إذا تدخل العامل الاقتصادي والمتمثل في البطالة أو عدم وجود عمل قار يستطيع من خلاله الفرد تلبية احتياجاته الأساسية أمام تدني الخدمات الاجتماعية بما فيها الصحية في مجتمعاتنا .

المهنة	التكرارات	النسبة المئوية
- بدون	28	51,86
- حرفي	1	1,86
- مياوم	3	5,56
- فلاح	6	11,11
- مستخدم	8	14,81
- تاجر	3	5,55
- سائق	5	9,25
المجموع	54	100

جدول رقم (5): توزيع المبحوثين حسب مهنتهم

المصدر: البحث الميداني

يبين الجدول أعلاه أن أكثر من نصف المبحوثين بدون مهنة ونصف الباقي يتوزعون على مهن مختلفة بسيطة على الشكل التالي: مستخدمين 14,11%- الفلاحين 11,11%- السائقين 9,24%- المياومين 5,56%- التجار 5,55%- الحرفيين 1,86% .

المهنة	ال		جنس		المجموع
	ذكر	%	أنثى	%	
بدون (ة)	1	5%	27	41.79%	28
حرفي (ة)	1	5	0	0%	1
مياوم (ة)	0	0	8	8.83%	3
فلاح (ة)	5	25%	1	2.94%	6
مستخدم (ة)	5	30%	2	5.88%	8
تاجر (ة)	2	10%	1	2.94%	3
سائق (ة)	5	25%	0	0%	5
المجموع	20	100%	34	100%	54

جول تركيبي رقم (6): يبين العلاقة بين الجنس والمهنة

يتضح لنا من خلال هذه المؤشرات الرقمية المستقاة من ميدان البحث بأن الفئات المستفيدة اما معطلة عن العمل أو الانتماء إلى طبقة ذات دخل محدود والمشاكل التي تعترض هؤلاء وتزيد من تفاقم أوضاعهم أنهم مجبرين على الانتقال إلى ورشاتهم أو متاجرهم مباشرة بعد انتهاء حصص التصفية ، وهو الأمر الذي يعرض حياتهم للخطر¹

المصدر: البحث الميداني

تبين الأرقام انه 27 امرأة ورجل واحد بدون مهنة، و19 رجل و7 نساء يشتغلون مهنا غير قارة، والملاحظ أيضا أن المبحوثين رجالا ونساء غير قادرين بالمرّة على تأمين حتى احتياجاتهم الضرورية وهو ما يبرز بوضوح تفشي الفقر والهشاشة لدى كل المبحوثين.

خلاصة

تبين لنا من خلال هذا المبحث أن الفئة الأكثر ترددا على مركز " الحمد " هن النساء وهذا يدل على أن المرأة في مجتمعنا هي الأكثر احتياجا للخدمة الصحية العامة وطبعا هذه المسألة قد نجد لها تفسيراً إذا ما تبيننا التحليلات التي تنطلق من الهامش فالمرأة عموما في الهوامش تعاني بشكل مضاعف مقارنة مع المرأة في الحواضر أولا لنقل المسؤولية المزدوجة الملقاة على عاتقهن، وأيضا هي تعتبر الحاضنة والمسؤولة عن التنشئة. كذلك المركز يستوعب جميع الفئات العمرية بحيث تتراوح الفئات المستفيدة من الخدمات بالمركز بين 30 و80، وهذا يدل على أن كل الأعمار هي ليست بمنأى عن الإصابة بمرض القصور الكلوي، والملاحظة الثالثة والأهم بالنسبة هي أن المركز هو ملاذ للفقراء والمعوزين وذوي الدخل المحدود.

المحور الثاني: مرضى القصور الكلوي وآليات التفاوض الاجتماعي.

1- زمن الإصابة بالمرض

تضمنت الاستمارة سؤالاً يفيد زمن إصابة المبحوثين بمرض القصور الكلوي، وذلك لقياس حجم معاناة المريض مع المرض، وقد تم تجميع النتائج في الجدول الآتي:

زمن الإصابة بالمرض	التكرارات	النسبة المئوية
(1997-2000)	6	11,11
(2001-2004)	8	14,82
(2005-2008)	13	24,07
(2009-2012)	14	25,93
(2013-2022)	13	24,07
المجموع	54	100

جدول رقم (7): توزيع المبحوثين حسب زمن إصابتهم

المصدر: البحث الميداني

لا تهمنا في هذه الدراسة السنة التي أصيب فيها المريض بمرض القصور الكلوي، بقدر اهتمامنا بمعرفة المدة التي عاش

¹ خمس ساعات تستغرقها الحصة الواحدة بمعدل عشر ساعات في الأسبوع فالمبحوث يستفيد من حصتين في الأسبوع

فيها بهذا المرض، وقياس حجم معاناته مع مثل هذه الأمراض في ظل المعارف التي توصلنا إليها في المبحث السابق على المبحوثين. فالملاحظ من خلال أرقام الجدول أن الفئة الأولى تصل مدة الإصابة 20 سنة، وهذه المدة إذا ما اجتمعت مع متغيرات أخرى من قبيل السن والمهنة تجعل المريض أمام معاناة كبيرة تكلفه ماديا ومعنويا. وهذا ما سنحاول التأكد منه من خلال معطيات الجدول الآتي:

2- المعرفة القبلية بالمرض

تساهم المعرفة القبلية للمريض بالمرض خاصة الأمراض المزمنة في تحديد أشكال التدبير لحالات الإصابة المحتملة، فعدم وعي المريض القبلي بالمرض قد يكون له تأثير على كيفية تدبيره له بعد الإصابة، وهذا ما سنعرفه من خلال الجدول الآتي:

معرفة المبحوث القبلي بالمرض	التكرارات	النسبة المئوية
نعم	12	22,22
لا	42	77,78
المجموع	54	100

جدول رقم (8): توزيع المبحوثين حسب معرفتهم القبلية بالمرض

المصدر: البحث الميداني

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن نسبة 77,78% من حالات الدراسة لم تكن لها معرفة قبلية بمرض القصور الكلوي، و فقط نسبة 22,22% هي من كانت لها داريه به.

3- أسباب المرض حسب منظور المبحوثين.

اشتملت استمارة البحث على سؤال يحدد أسباب المرض حسب منظور المبحوثين، وهو متغير يهدف إلى معرفة أسباب الإصابة بالمرض حسب منظور المبحوثين، وذلك انطلاقا من الأنماط الثقافية والحياة الاجتماعية و تمثلاته التي تؤثر مزيلته، وتحدد أسلوب تفكيره وممارسته الاجتماعية. فكانت النتائج كالتالي:

منظور المبحوثين لأسباب المرض	التكرارات
ارتفاع الضغط	20
الأعصاب	8
البرد	4
العين والتوكل	2
الوراثة	2
إهمال المرض في بدايته	13
قضاء وقدر	4
الممارسات الجنسية غير المقننة	1
المجموع	54

جدول رقم (9) : توزيع المبحوثين حسب منظورهم لأسباب المرض

المصدر: البحث الميداني

تبين هذه التعبيرات أنواع التمثلات التي يحملها المريض لمرض القصور الكلوي، والتي تتراوح بين ارتفاع ضغط الدم

بنسبة 37,03%، يليه إهمال علاج المرض في بدايته بنسبة 24,07 %، والأعصاب بنسبة 14,82%، يليه قضاء الله وقدره بنسبة 7,41%، والبرد بنسبة % 7,40، ويأتي العين والتوكال والوارثة في نفس الترتيب بنسبة 3,71 %، وتحفظ الممارسات الجنسية غير المقننة بالنسبة الأقل وهي 1,85 % .

نستنتج من هذه النتائج أن معظم المبحوثين يرجعون الإصابة بمرض القصور الكلوي المزمن إلى أسباب علمية وباتولوجية (ارتفاع ضغط الدم - إهمال علاج المرض في بدايته - البرد - الممارسات الجنسية - الوارثة)، وأسباب غيبية وثقافية (العين - التوكال قضاء وقدر).

يمكن تصنيف مختلف التمثلات إلى نوعين وذلك من خلال الجدول التفسيري الآتي:

أسباب الإصابة	النسبة المئوية
- أسباب عضوية وباتولوجية	48
- أسباب غيبية وثقافية	6
المجموع	54

جدول (10): تصنيف أسباب الإصابة بالمرض

المصدر: البحث الميداني

يبين الجدول أعلاه أن 74% من المبحوثين لم تقم بأي طرق علاجية قبل مباشرة العلاج الطبي، لتظل نسبة 26% فقط من مجموع المبحوثين الذين نهجوا طرق علاجية بعد الإصابة وقبل البدء في العلاجات الطبية، وتوزع بين الأعشاب (معدنوس - عسل الدغموس - زعفران شعرة - حلبة - زعتر والشيخ)، والكتابة عند الفقيه.

وللتفسير أكثر سنحاول معرفة هل هؤلاء الذين أرجعوا أسباب المرض لأسباب قبلية، هم أنفسهم من لجأوا للطرق التقليدية قبل مباشرة العلاج الطبي، وذلك عبر الجدول الآتي:

أسباب الإصابة حسب منظور المريض	القيام بطرق علاجية قبلية				المجموع
	نعم	%	لا	%	
- أسباب عضوية وباتولوجية	14	100	34	85	48
- أسباب غيبية	0	0	6	15	6
- المجموع	14	8,33	40	100	54

جدول تركيبي رقم (11): يبين أسباب إصابة المبحوثين وقيامهم بعلاجات قبلية

المصدر: البحث الميداني

تبين أرقام الجدول أن ما افترضناه بأن من ربطوا الإصابة بالمرض بعوامل غيبية وثقافية هم من اعتمدوا الطرق العلاجية التقليدية قبل مباشرة العلاج العصري لم يكن صحيحا، بحيث إنهم جميعا اتجهوا إلى العلاج مباشرة، ولم يقوموا بطرق علاجية قبله، في حين إن الذين أرجعوا الإصابة لأسباب عضوية وباتولوجية، 14 منهم قاموا بطرق علاجية قبل

مباشرة العلاج الطبي. ولهذا نستنتج أن من يرجع الإصابة لأسباب غيبية ليس بالضرورة أن يرجح الطرق التقليدية للعلاج. وكذلك حقيقة عدم معرفة المبحوثين القبلية بالمرض وضعف مستواهم التعليمي لم تتحكم في إستراتيجية تفاوضهم معه.

بعدما علمنا بمستوى وعي المستفيدين وتمثلهم للمرض بتلخيص أسباب الإصابة، ثم علمنا كذلك أن الذين أرجعوا الأسباب لما هو عضوي وباتولوجي ليس كلهم اتجهوا للعلاج الطبي مباشرة، وأن الذين أرجعوه لما هو غيبي ثقافي ليس هم من قاموا بطرق علاجية تقليدية قبل مباشرة العلاج الطبي العصري، سنحاول الآن معرفة هل الذين قاموا بطرق علاجية قبل مباشرة العلاج الطبي لا يزالون يقومون بها ويصرون عليها بالموازاة مع العلاج الطبي. وهذا ما سيتبين من خلال معطيات الجدول الآتي:

قيام المبحوثين بعلاجات موازية مع آلة التصفية	التكرارات	النسبة المئوية
نعم	6	11
لا	48	89
المجموع	54	100

جدول رقم (12): توزيع المبحوثين حسب قيامهم بعلاجات موازية مع آلة التصفية

المصدر: البحث الميداني

تبين أرقام الجدول أن هناك تراجعاً في نسبة المُقبلين على الطرق التقليدية لعلاج مرض القصور الكلوي، وذلك من 14 إلى 6 مبحوثاً. وهذا يؤكد أن آليات التفاوض الاجتماعي مع المرض المزمن تختلف تماماً عما عهدناه على الأمراض العرضية، وثقة المريض بالعلاج الطبي كانت أكبر من ثقته بالطرق العلاجية التقليدية.

• خلاصة تركيبية:

تم التوصل إلى عدة معطيات، أولها أن كلما طالت مدة الإصابة، كلما كان حجم معاناة المريض أكبر، مع مراعاة متطلبات كل من سن وحجم مسؤوليات والتزامات المريض، وما يحدثه المرض من تحولات على هذه المتطلبات وهذه الالتزامات. ثانياً أن نسبة مهمة من المبحوثين ليس لهم وعي مسبق بمرض القصور الكلوي، وذلك راجع إلى النقص الموجود داخل المنظومة الصحية، وعجز مؤسسات الدولة في احتضان مجال التأطير للتعريف بهذا المرض، وبأسبابه، وتداعياته، وطرق الوقاية منه، وكيفية تدبيره في حالة الإصابة به. فالتوعية الصحية تتم عبر المؤسسات الاجتماعية، بدءاً بالأسرة مروراً بالمدرسة والمسجد وصولاً إلى وسائل الإعلام البصرية والسمعية، إذ يسجل غياب الطب المدرسي، اللهم بعض الزيارات الخاطفة لحملات التلقيح للمدارس في المرحلة الابتدائية، وكذلك لم يتم توظيف مؤسسة المسجد لهذا الغرض، إذ لا تكاد تتعدى التوصية بزيارة المريض أو الصبر على الابتلاء. ثالثاً أنه رغم عدم وعي المبحوثين المسبق بالمرض، وضعف مستواهم التعليمي، إلا أن معظمهم أقرّوا أن إصابتهم بمرض القصور الكلوي كان لأسباب عضوية باتولوجية، والقليل منهم من أرجعوا إصابتهم لأسباب غيبية وثقافية، وهذا يوضح التطور الذي طرأ على الفكر الاجتماعي المغربي على مستوى الاعتقاد بالغيبيات في مسألة الصحة والمرض، والدليل في ذلك أن الفئة التي آمنت بما هو غيبي سبباً للمرض، توجهت مباشرة للطب الحديث بعد الإصابة بالمرض، ولم تقم بأي طرق علاجية تقليدية، وحتى التي قامت بطرق علاجية قبل مباشرة العلاج الطبي منها من تأرجح بعد الشروع في عملية التصفية.

المحور الثالث: المريض وتدبير آثار المرض على الحياة الاجتماعية

إن الدياليز أو تصفية الكلي عملية ذات أهمية كبرى على حياة مرضى الفشل الكلوي المزمن، لما لها من تأثير مباشر وواضح على حياتهم الاجتماعية، ولمعرفة مواقف المبحوثين اشتملت استمارة البحث على سؤال مفاده تحديد آثار المرض على وضعيتهم الاجتماعية. فكانت النتائج على الشكل التالي:

المجموع	مواقفهم				آثار المرض على الوضعية الاجتماعية للمبحوثين
	النسبة المئوية	لا	النسبة المئوية	نعم	
26	7,70	2	92,30	24	المهنية
54	31,48	17	68,52	37	الأسرية
29	48,27	14	51,73	15	الزوجية
54	24,07	13	75,93	41	الأصدقاء
54	29,63	16	70,37	38	الأقارب
54	31,49	17	68,51	37	الجيران

جدول رقم (13): توزيع المبحوثين حسب آثار المرض على وضعيتهم الاجتماعية

المصدر: البحث الميداني

توضح أرقام هذا الجدول أن المرض قد أثر بشكل بالغ على الوضعية الاجتماعية، وكل الجوانب قد مسها التأثير ما عدا العلاقات الزوجية فقد عرفت تقريبا تكافؤا بين من يُقر بالتأثير وبين من ينفيه. تأثر الجانب المهني مثله مثل كل الجوانب الاجتماعية بشكل كبير، ولأهميته في تحديد كيفية تدبير لمرضى نفقات المرض سنحاول معرفة إذا ما استمر المبحوثون في عملهم بعد الإصابة فكانت النتائج كالآتي:

النسبة المئوية	التكرارات	الاستمرار في مزاولة المبحوثين لعملهم بعد الإصابة بالمرض بنفس النشاط والحيوية
0	0	نعم
100	13	لا
100	13	المجموع

جدول رقم (14): توزيع المبحوثين حسب استمرارهم في مزاولة عملهم بعد الإصابة بالمرض

المصدر: البحث الميداني

تبين من خلال أرقام الجدول أن نصف النسبة العاملة ظلت تزاوّل عملها بعد الإصابة، والنصف الآخر قد خسره. وقد جاء في تعبيرات مبحوثي الفئة الأخيرة، أن المهن التي كانوا يزاولونها تعتمد بالدرجة الأولى على القوة الجسدية، والمرضى قد أثر بشكل بالغ على مردوديتهم وإنتاجيتهم، هذا الوضع يجعلنا نستشعر نوعاً ما حجم المعاناة التي يعيشها المريض وهو يجمع بين حدة المرض والالتزامات العائلية، وقلة الإمكانيات المادية. أما فيما يخص مبحوثي الفئة الأولى أردنا التحقق من ردودهم، ما إذا كانوا لا يزالون يزاولون عملهم بنفس النشاط والحيوية. فكانت النتائج كما يلي:

الاستمرار في مزاولة المبحوثين لعملهم بعد الإصابة بالمرض بنفس النشاط والحيوية	التكرارات	النسبة المئوية
نعم	0	0
لا	13	100
المجموع	13	100

جدول رقم (15): توزيع المبحوثين حسب استمرارهم في مزاولة عملهم بعد الإصابة بالمرض بنفس النشاط والحيوية.

المصدر: البحث الميداني

تبين أرقام الجدول أن كل المبحوثين الذين ظلوا يزاولون عملهم بعد الإصابة لم يعودوا يستطيعون ممارسته بنفس الحيوية والنشاط كما كانوا قبل الإصابة، وهذا يبين درجة حدة المرض ومدى تأثيره على مردودية وإنتاجية المبحوثين.

1- معين المبحوثين على تكاليف العلاج

نستشف من خلال المعطيات السابقة حجم الصعوبات التي يجابهها مريض القصور الكلوي المزمّن لتدبير نفقات مرضه. ولمعرفة ما إذا كان للمبحوثين من معين على تكاليف العلاج، شملت الإستمارة سؤالاً يفيد توزيعهم حسب معينهم على تكاليف العلاج فكانت النتائج كما يلي:

المجموع	مواقفهم				معين المبحوث على تكاليف العلاج
	نعم	النسبة المئوية	لا	النسبة المئوية	
54	8	14,82	46	7,70	عن طريق الأخوة
54	14	25,92	40	31,48	عن طرق الأقارب
54	15	27,77	39	48,27	عن طريق الأولاد
54	7	12,97	47	24,07	عن طريق المحسنين
54	7	12,97	47	29,63	عن طريق التسول
54	3	5,55	51	31,49	إعالة ذاتية
324	54	100	270	100	المجموع

جدول رقم (16): توزيع المبحوثين حسب معينهم على تكاليف العلاج

المصدر: البحث الميداني

ما يثير الانتباه أكثر في أرقام الجدول أن فقط 15 من المبحوثين يعينهم أولادهم على تكاليف العلاج، في حين 39 المتبقية لا تفعل، الشيء الذي يجعلنا نتساءل عن سر هذا التحول الذي طرأ على قيم البر بالوالدين ورعايتهم في حالة الضعف والمرض، وعلى وروح التكافل الذي عهدناه في المجتمع المغربي باعتباره مجتمعا تقليديا.

2- قيام المبحوثين بالتشخيص والفحوصات الطبية

أردنا معرفة مدى انعكاس متغير عسر الحالة المادية للمبحوثين على قيامه بالتشخيص والفحوصات الطبية التي يطلبها الطبيب المشرف على مرضه، فتضمنت الإستمارة سؤالاً أسفر على النتائج التالية:

قيام المبحوثين بالتشخيص والفحوصات الطبية	التكرارات	النسبة المئوية
نعم	15	27,78
لا	39	72,22
المجموع	54	100

جدول رقم (17): توزيع المبحوثين حسب قيامهم بالتشخيص والفحوصات الطبية

المصدر: البحث الميداني

تبين أرقام الجدول أن 39 من المبحوثين لا يقومون بالفحوصات الطبية المطلوبة منهم، وهذا يؤيد أولا معطى أن دخل المبحوثين المحدود لا يستطيع تغطية تكاليف العلاج، ثانيا أن حجم معاناة المريض تزداد في حالة عدم قدرته على مواكبة وتدبير مرضه ماديا. ثالثا في غياب المعين على تكاليف العلاج تصبح عملية تدبير المريض للمرض جد صعبة، وهذا ما يفسر النتيجة المحصل عليها سلفا أن 7 من المبحوثين لجأوا للتسول، و7 آخرون بحثوا عن محسنين لتدبير تكاليف العلاج.

3- منظور المبحوثين لذواتهم:

من المؤكد أن الاعتماد المادي والمعنوي على الآخر ينعكس بشكل سلبي على نفسية المبحوثين، وبالتالي سيحدد طبيعة نظرتهم لذواتهم وللحياة، ولهذا الغرض تضمنت استمارة الدراسة سؤالاً يحدد توزيع المبحوثين حسب منظورهم لذواتهم بعد الإصابة، فأجملنا النتائج المحصل عليها في الجدول التالي:

• خلاصة تركيبية للمحور الثالث

من خلال هذا المحور توصلنا إلى استنتاج مجموعة من النتائج، أولها أن الإصابة بالمرض قد أثرت على كل جوانب الحياة لدى المبحوثين، ماعدا الحياة الزوجية التي ظلت التأثير عليها محدودا نظار للأعراف والقيم الدينية التي تحكم المجتمع. وثانيها إن تأثر الجانب المهني بالإصابة قد كان له تبعات خطيرة على عدة مستويات، منها التأثير المباشر على كيفية تدبير نفقات علاج المرض، إذ أصبح المريض عاجزا على تأمينها، وازداد الوضع عندما لم يجد من يعينه على تدبيرها، مما جعلهم يبحثون على وسائل أخرى من قبيل التسول والبحث عن محسنين، وهذا نفسه ما جعل المبحوثين ينظرون لذواتهم نظرة ازدراء وتذمر.

المحور الرابع: كيفية تدبير مرض القصور الكلوي المزمن بالمركز

1- كيفية تعرف المبحوثين على المركز

النسبة المئوية	التكرارات	كيفية تعرف المبحوثين على المركز
77,78	42	- طبيب أو ممرض
1,85	1	- مستفيد
20,37	11	- وسيط أو أحد المعارف
100	54	المجموع

جدول رقم (18): توزيع المبحوثين حسب كيفية تعرفهم على المركز

المصدر: البحث الميداني

تعكس أرقام الجدول أن نسبة 77,78 % من المبحوثين تعرفوا على المركز عن طريق الأطر الطبية بمستشفى ابن سينا المعروف بالسويس وبمستشفى سيد الحسن بمدينة تمارة، أطباء وممرضين. وهذا يدل على أن المركز معترف به كوحدة صحية من طرف أطباء مستشفيات جامعية كمستشفى ابن سينا.

2- وسيلة تنقل المبحوث إلى المركز

لمعرفة نسبة المبحوثين الذين يستعملون النقل العمومي أدرجنا سؤالاً في الإستمارة يعكس توزيع المبحوثين، حسب من يستعمل النقل العمومي ومن يستعمل النقل الخاص فكانت النتائج كالتالي:

المجموع	مواقفهم				الوسيلة التي يستعملونها في التنقل إلى المركز
	النسبة المئوية	لا	النسبة المئوية	نعم	
54	25,93	14	74,07	40	- نقل عمومي
54	74,07	40	25,93	14	- نقل خاص

جدول رقم (19): توزيع المبحوثين حسب الوسيلة التي يستعملونها في التنقل إلى المركز

المصدر: البحث الميداني

تبين أرقام الجدول أن نسبة 74,07% من المبحوثين يستعملون النقل العمومي، مما يجعلهم أمام معاناة كبيرة، فالوقوف لوقت طويل في موقف حافلة النقل لانتظار قدومها، وحالة الاكتظاظ داخلها التي تجبر المبحوث أن يظل واقفاً لوقت طويل في وضعية غير سليمة، كلها عوامل تضر المبحوث ولا تفيده. كل المبحوثين بدون استثناء أعربوا عن استيائهم من هذا الأمر

هذه الوضعية ألا تضع جمعية الحمد للتضامن الاجتماعي في حرج باعتبارها حاملة للمشروع

3- العلاجات المقدمة بالمركز وآثارها الاجتماعية على المستفيدين

أظهرت النتائج السابقة أن لمرض القصور الكلوي والالتزام على حصص التصفية له آثار بليغة على الحياة الاجتماعية للمبحوثين، ولهذا ارتأينا أن نكمل استمارة البحث سؤالاً نوضح به كيف أصبحت حياة المبحوثين بعد الاستفادة من الخدمات المقدمة في المركز، فكانت النتائج على الشكل الآتي:

المجموع	مواقفهم				التأثير الإيجابي للعلاج بالمركز على حياة المبحوثين الاجتماعية
	النسبة المئوية	لا	النسبة المئوية	نعم	
26	57.70	15	42,30	11	المهنية
54	29,63	16	70,37	38	الأسرية
54	38,89	21	61,11	33	مع الجيران
54	38,89	21	61,11	33	مع الأقارب
54	0	0	100	54	الارتياح من التفكير في تكاليف التصفية

جدول رقم (20): توزيع المبحوثين حسب التأثير الإيجابي للعلاج بالمركز على حياتهم الاجتماعية

المصدر: البحث الميداني

كما رأينا في الجدول رقم 14 الذي يعكس التأثير السلبي لمرض القصور الكلوي المزمن على حياة المبحوثين الاجتماعية والالتزام على حصص التصفية، وما يصاحبها من آلام ومعاناة قد أحدثت تغيرات جذرية بدون شك على حياة المبحوثين، لهذا ولمعرفة درجة نجاح المشروع (مركز تصفية الكلى الحمد) لابد من قياس أثره على حياة الفئة المستهدفة، فعند مقابلتها تبين أن نسبة 50,70% من مجموع المبحوثين لم يحدث العلاج لهم بالمركز أي تأثير إيجابي على حياتهم المهنية، لأن أجسادهم الواهنة ظلت غير قادرة على تحمل المهن التي تتوقف على سلامة وقوى الأبدان . بخلاف الجانب الأسري فقد تأثر بشكل إيجابي وذلك بنسبة 70,37 %، وهو رقم دال يعكس مدى ارتياح هذه الفئة للتغيرات الإيجابية الذي أحدثته العلاج بالمركز على حياتها الأسرية. فعدم التفكير في تكاليف التصفية يعكس لا محالة على الجانب النفسي ويخفض درجة التوتر لكل أفراد الأسرة، وبالتالي قد يتقبل المرض بشكل من الأشكال. في حين ظلت نسبة 29,63% لم يكن للعلاج أي تأثير إيجابي على حياتهم الأسرية. أما العلاقة مع الجيران والأقارب والتي عهدناها في المجتمع المغربي إحدى الدعائم الرئيسية في المحن والشدائد، فقد كان للعلاج بالمركز أثر إيجابي عليها، وهذا ما عكسته النسبة المحصلة عليها لكل منهما وهي 61,11%، بحيث عاد المبحوثين، وخصوصا النساء يؤدين بعض الطقوس الاجتماعية. ويبقى الأمر الوحيد الذي تم الإجماع عليه من طرف كل المبحوثين بدون استثناء هو أنهم ارتاحوا من مصاريف التصفية ومن تعب التفكير المستمر في كيفية تحصيله. والجدير بالذكر أن تكاليف التصفية ليس بالأمر الهين، هناك من كان يمتلك بيتا يأويه فأنتهى به الأمر بعد الإصابة ببيعته لتغطية نفقات وتكاليف العلاج.

خلاصة:

انطلاقاً من هذا المحور توصلنا إلى مجموعة من الملاحظات أبرزها أن كل المستفيدين يؤكدون على حاجتهم إلى وسائل النقل، لأنهم يعانون كثيراً من أجل الوصول إلى المركز، وتزداد المعاناة في غياب مرافق لهم، الأمر الذي يجعل صحتهم تزداد سوءاً أكثر فأكثر. أما في مواقفهم من الكيفية التي يدبر بها مرضى القصور الكلوي بالمرض، فقد نوهوا بالطريقة التي يتعاملون ويستقبلون بها.

خاتمة

من خلال هذا العمل الميداني تبين على ضرورة أهمية أنسة الطب، والانعتاق من سلطة وقهرية النظرة الوضعية التي بطبيعة الحال تميزت بسيطرة مطلقة للذات العالمية على الموضوع وهو منظور اختزالي أدى إلى استبعاد ذاتية الموضوع، لذلك ومن خلال تجربة رئيس "جمعية الحمد" لتصفية الكلي نلمس ذلك الحضور القوي لتجربة المريض مع المرض، ذاتيته، تصوره، معاناته ومن تم أوصى علماء انثربولوجيا الصحة على ضرورة الاهتمام بما يقوله المريض برواياته عن مرضه، والإنجاز الغير مسبوق الذي حققه رئيس جمعية الحمد انجاز كانت دوافعه ذاتية بالأساس واتكأ على معاناته وتجربته القاسية مع مرض القصور الكلوي وهو بهذا يؤصل لتصور سوسيولوجي فينومينولوجي ينطلق من معاناة الذات لفهم ما يقاسيه الآخر.

كما يجدر بنا أن لا ننظر إلى المريض نظرة استعلاء أو نقص لا لشيء سوى لأنه مصاب بمرض القصور الكلوي أو أي مرض آخر، بل يحتاج منا المريض أن نعتبره أولاً وأخيراً إنسان متمتع بكامل حقوقه بعيداً عن منظور الشفقة فهذا الأخير يحتاج إلى ادماجه وتمتعه بمواطنة كاملة غير منقوصة، والواقع تجربتنا مع المبحوثين في هذا المركز وما صرحوا به يشيرون بهذه التجربة الفريدة التي كرس منظورا جديداً ينطلق من المحلي ومن الهامش ونجحت في ذلك لدرجة أن المرتفقين المرضى لم يحسوا للحظة أنهم أشخاص غير مرغوب فيهم أو انتهت صلاحيتهم بل على العكس من ذلك هم أشخاص كسائر البشر بعيداً عن منطق الاستعلاء والواقع أن تجربتنا الميدانية في مجتمع البحث جعلتنا نقف على ضرورة كيفية تدبير الأمراض المزمنة ولعل قطب رحاها هو مسألة التواصل بين المريض والطبيب، لأنه ومن خلال تجربة المرضى بـ "مركز الحمد" صرح العديد من المبحوثين أنهم عانوا من مسألة اختلال التواصل بينهم وبين أطبائهم فمعظمهم صرحوا بأنه في المستشفيات العمومية ولحظة اكتشاف مرضهم أخبروا به دون أي مقدمات أو أعداد نفسي وهذا ما يمكن الاصطلاح عليه بمفعول الصدمة. والواقع أن الأمراض المزمنة هي حقيقة لم تحظى في إطار المقاربات التي تنطلق من الماكرو باهتمام كبير لكن مع المعالجات الجديدة التي تنطلق من المحلي وتشرك فاعلين ومتدخلين جدد من قبيل جمعيات المجتمع المدني والمؤسسات المانحة ووعي الساكنة المحلية في اعتقادنا هذا المنظور الجديد قد يحد إلى حد ما من استئصال الأمراض وخصوصاً في الهامش والأجمل هو أنسة المرض وهذا هو المطلوب.

نتائج الدراسة

1. ارتفاع نسبة النساء المستفيدات من خدمات مركز تصفية الدم، مما يعكس هشاشة الوضع الصحي والاجتماعي للمرأة، خصوصاً في المناطق الهامشية.
2. انتشار مرض القصور الكلوي عبر مختلف الفئات العمرية، مع تركيز أكبر في فئة الأعمار المنتجة (30-70 سنة)، ما يشير إلى خطر اقتصادي واجتماعي مضاعف.

3. أغلبية المرضى من ذوي المستويات التعليمية المتدنية، مما يرتبط بضعف الوعي الصحي وصعوبة تدبير المرض.
4. الفقر والبطالة عاملان مفاقمان للمعاناة الصحية، حيث أن أكثر من نصف المرضى بدون عمل، ويعتمدون على الإعالة أو المساعدات.
5. المرض يؤثر سلباً على الحياة الاجتماعية للمصابين، خاصة على العلاقات المهنية والعائلية والجوارية.
6. ضعف الوعي القبلي بالمرض لدى 78% من المرضى، مما يبرز قصوراً في منظومة التنقيف الصحي الوطني.
7. أغلبية المرضى يفسرون المرض تفسيرات عضوية (ارتفاع الضغط، الإهمال)، مقابل نسبة أقل تعتمد التفسيرات الغيبية.
8. تراجع كبير في الاعتماد على الطب التقليدي، وثقة متزايدة في الطب العصري رغم ضعف الإمكانيات.
9. قلة المساعدين في تغطية تكاليف العلاج، مما يدفع بعض المرضى للجوء إلى التسول أو الاعتماد على محسنين.
10. جمعية الحمد أحدثت تحولاً في حياة المرضى، خصوصاً من حيث مجانية العلاج وتخفيف العبء المادي، ولكن لم تتجح بالكامل في تحسين الوضع المهني والاجتماعي للمستفيدين.
11. وسائل النقل إلى المركز لا تزال تمثل معاناة يومية للمرضى، خاصة من يستخدمون النقل العمومي.
12. العلاقة بين المريض والطبيب تعاني من ضعف في التواصل، مما يفاقم الصدمة النفسية عند التشخيص ويضعف ثقة المريض في المؤسسة الطبية العمومية.

التوصيات:

1. إطلاق حملات توعية صحية منتظمة حول القصور الكلوي وأسبابه وطرق الوقاية، خاصة في المناطق الهامشية.
2. إدماج التنقيف الصحي في المؤسسات التعليمية والدينية لتوسيع الوعي المجتمعي.
3. دعم الجمعيات المدنية النشيطة في المجال الصحي مادياً ولوجستياً لتوسيع نطاق خدماتها.
4. توفير وسائل نقل مخصصة وأمنة للمرضى نحو مراكز تصفية الدم لتخفيف معاناتهم.
5. تعزيز برامج الحماية الاجتماعية للأسر الفقيرة التي تعاني من الأمراض المزمنة.
6. تكوين الأطر الصحية في مهارات التواصل الإنساني وتحسين علاقة الطبيب بالمريض.
7. تبني مقاربة إنسانية في الرعاية الصحية تُراعي معاناة المرضى وظروفهم النفسية والاجتماعية.
8. تشجيع البحث السوسولوجي والأنثروبولوجي لفهم تمثلات المرض داخل المجتمعات المحلية.
9. إدماج مرضى القصور الكلوي في الحياة المهنية والاجتماعية وفقاً لقدراتهم الصحية.
10. إشراك الفاعلين المحليين والمجتمع المدني في تصميم وتنفيذ السياسات الصحية التنموية.

لائحة المراجع

1. أبو زيد، محمد. (2014). *سوسيولوجيا الصحة والمرض: مقاربات نظرية وتطبيقية*. القاهرة: دار الوفاء.
2. بن نونة، فاطمة (2018). "تمثلات المرض في المجتمع المغربي: دراسة ميدانية". *مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية*، 16(2)، 96-77.
3. اليعقوبي، سعاد (2020). "دور المجتمع المدني في تعزيز الصحة بالمغرب: دراسة حالة". *مجلة الدراسات المجتمعية*، 4(1)، 131-112.
4. الجمعية المغربية للأمراض الكلى. (2021) *التقرير السنوي حول الفشل الكلوي المزمن في المغرب*. الرباط: منشورات الجمعية.
5. سعدي، هشام (2019). "العلاج التقليدي والطب الحديث: صراع التمثلات في المجتمع المغربي". *حوليات علم الاجتماع*، جامعة الجزائر، العدد 12، ص 72-55.
6. Durkheim, É. (1995). *The Elementary Forms of Religious Life*. New York: Free Press. (Original work published 1912)
7. Foucault, M. (1973). *The Birth of the Clinic: An Archaeology of Medical Perception*. London: Tavistock Publications.
8. Kleinman, A. (1988). *The Illness Narratives: Suffering, Healing, and the Human Condition*. New York: Basic Books.
9. Farmer, P. (2004). *Pathologies of Power: Health, Human Rights, and the New War on the Poor*. University of California Press.
10. World Health Organization (WHO). (2020). *Social determinants of health*.
https://www.who.int/social_determinants

Prise en charge de la bilharziose à *Schistosoma mansoni* dans la zone de santé rurale D'Oicha au Nord Kivu en RD Congo

Bailanda Mumbere Pascal^{1,2,6}, Kimbilwa Katavali Emery⁷, Kakule Kithanga Jean de Dieu⁷, Matiaba Binda Paul⁶, Muyisa Bwambale Quenedy⁶, Kambale Mbakwiravyo Obede⁵, Mumbere Muvunga⁵, Paluku Kahuka Zephirin⁷, Kakule Mutsunga Maurice⁷, Kule Kyusa Archip⁷, Nzanzu Ndulutulu Joachim⁷, Kambale Soheranda Sadraka⁷, Wembo Ndeo Oscar³, Barhwamire Kabesha Theophile⁴, Muhindo Sahani Walere², Paluku Sabuni Louis³.

1. Université Officielle de Semuliki, République Démocratique du Congo
 2. Université Catholique du Graben de Butembo, République Démocratique du Congo
 3. Université Officielle de Ruwenzori, République Démocratique du Congo
 4. Université officielle de Bukavu, République Démocratique du Congo
 5. Institut Supérieur Pédagogique d'Oicha, République Démocratique du Congo
 6. Centre Hospitalier le Rocher, République Démocratique du Congo.
 7. Zone de santé rurale d'Oicha, République Démocratique du Congo.
- Auteur correspondant : drbailanda1@gmail.com, +243 994 053 744

HNSJ, 2025, 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/9>

Reçu le 07/07/2025

Accepté le 15/07/2025

Publié le 01/08/2025

Résumé

Introduction : La bilharziose est une parasitose chronique d'origine hydrique causée par des trématodes du genre *Schistosoma*. Le parasite est transmis par contact avec de l'eau douce contaminée contenant des cercaires, formes larvaires issues de mollusques d'eau douce du genre *Biomphalaria*, hôtes intermédiaires du parasite.

Matériel et méthodes : l'étude était menée dans la zone de santé rurale d'Oicha, Territoire de Beni au Nord Kivu en République Démocratique du Congo

Il s'agissait d'une étude transversale descriptive qui s'était déroulée durant 3 mois pour une période allant du 1^{er} janvier au 31 Mars 2025, menée sur 316 prestataires soignants confondus.

Résultats : 49% âgés de 25 - 34 ans ; 54,7% de sexe féminin ; 75,7% des infirmiers. 65% ; 76,7% avec douleurs abdominales ; 68% avec diarrhée ; 77% montrent que la schistosomiase se transmet par le contact avec de l'eau contaminée ; 77% administrés le Praziquantel ; 51,25% de rupture de stock des médicaments ; 70,7% ont des toilettes ; 67,7% utilise l'eau de rivière ; 60,3% leurs conditions socio-économiques étaient défavorables ; 86,3% confirme le manque de sensibilisation des communautés ; 68,3% n'avait pas de diagnostic précoce ; 66,3% avait montré que la schistosomiase crée l'incapacité de travailler ; 59,7% montre que leurs enfants avaient abandonnés ; 65,7% de surcharge en raison de la prise en charge de schistosomiase ; 52,7% soutenus par les autorités sanitaires dans la prise en charge.

Conclusion : Pour répondre efficacement à l'étude, il est essentiel d'adopter une approche intégrée et durable, combinant le **traitement médical, amélioration des conditions d'hygiène et d'assainissement, éducation sanitaire, contrôle des mollusques vecteurs**, et implication active de la communauté.

Mots Clés: Prise en charge, bilharziose à *Schistosoma mansoni*, zone de santé rurale d'Oicha.

RESEARCH TITLE

Management of *Schistosoma mansoni* bilharzia in the rural health zone of Oicha in North Kivu in the Democratic Republic of Congo.

Abstract

Introduction: Schistosomiasis is a chronic waterborne parasitic disease caused by trematodes of the genus *Schistosoma*. The parasite is transmitted by contact with contaminated freshwater containing cercariae, larval forms of freshwater mollusks of the genus *Biomphalaria*, intermediate hosts of the parasite.

Material and methods: The study was conducted in the rural health zone of Oicha, Beni Territory, North Kivu, Democratic Republic of Congo.

This was a descriptive, cross-sectional study that took place over a 3-month period from January 1 to March 31, 2025, and included 316 healthcare providers.

Results: 49% aged 25-34; 54.7% female; 75.7% nurses.

65%; 76.7% with abdominal pain; 68% with diarrhea; 77% show that schistosomiasis is transmitted through contact with contaminated water; 77% administered Praziquantel; 51.25% drug stockouts; 70.7% have toilets; 67.7% use river water; 60.3% their socioeconomic conditions were unfavorable; 86.3% confirm the lack of community awareness; 68.3% had no early diagnosis; 66.3% had shown that schistosomiasis creates the inability to work; 59.7% show that their children had abandoned them. 65.7% overload due to the management of schistosomiasis; 52.7% supported by health authorities in the management.

Conclusion: To effectively address the study, it is essential to adopt an integrated and sustainable approach, combining medical treatment, improvement of hygiene and sanitation conditions, health education, control of snail vectors, and active community involvement.

Key Words: Management, *Schistosoma mansoni* bilharzia, Oicha rural health zone.

1.Introduction

La bilharziose est une parasitose chronique d'origine hydrique causée par des trématodes du genre *Schistosoma*. Parmi les différentes espèces, *Schistosoma mansoni* est responsable de la forme intestinale de la maladie, qui touche principalement les populations vivant dans les régions tropicales et subtropicales, notamment en Afrique subsaharienne, en Amérique du Sud, et au Moyen-Orient [1,2].

Le parasite est transmis par contact avec de l'eau douce contaminée contenant des cercaires, formes larvaires issues de mollusques d'eau douce du genre *Biomphalaria*, hôtes intermédiaires du parasite. Une fois dans l'organisme humain, les schistosomes se développent, migrent et s'installent dans le système porte, où ils provoquent des dommages significatifs, notamment une fibrose hépatique, une splénomégalie et, dans les cas graves, une hypertension portale [3 ,4].

La bilharziose à *S. mansoni* constitue un problème majeur de santé publique, surtout dans les zones rurales où l'accès à l'eau potable et à des installations sanitaires est limité. Sa prise en charge nécessite une approche globale qui englobe le diagnostic, le traitement spécifique, la gestion des complications, la prévention communautaire et la surveillance épidémiologique.

Face à la persistance de la transmission malgré les efforts de lutte, il est crucial d'évaluer et d'améliorer les stratégies de prise en charge à travers des programmes intégrés, durables et centrés sur les communautés à risque [5].

Le diagnostic de la bilharziose à *Schistosoma mansoni* repose sur une combinaison de méthodes parasitologiques, sérologiques, cliniques et parfois d'imagerie. Le choix de la méthode dépend des ressources disponibles, du stade de la maladie et du but (diagnostic individuel, dépistage de masse ou surveillance).

La technique de Kato-Katz permet de détecter les œufs de *S. mansoni* dans les selles. C'est une méthode simple, peu coûteuse, et quantitative, car elle permet d'estimer la charge parasitaire. Toutefois, sa sensibilité est faible dans les cas de faible infestation ou après traitement.

Autres techniques coprologiques : Concentration par sédimentation ou flottation, moins utilisées en routine mais utiles pour améliorer la détection [6,7,8].

Les tests sérologiques permettent de détecter les anticorps ou les antigènes schistosomiaux dans le sang ou l'urine. La détection d'anticorps (ELISA, IFI, Western blot) : Utile pour identifier les personnes exposées, notamment dans les zones non endémiques ou pour les voyageurs. Cependant, ils ne permettent pas de différencier une infection active d'une ancienne. La détection d'antigènes circulants (CCA, CAA) : ces tests sont plus spécifiques d'une infection active. Le test CCA (Circulating Cathodic Antigen) sur urine est de plus en plus utilisé, car il est rapide et peut être effectué sur le terrain [8, 9,10].

Le PCR (Polymerase Chain Reaction) : très sensible et spécifique, elle permet de détecter l'ADN du parasite dans les selles, le sang ou l'urine. Cette technique est encore peu utilisée dans les pays à faibles ressources en raison de son coût et de la technicité requise.

En Europe, Bien que la bilharziose à *Schistosoma mansoni* soit historiquement une maladie tropicale, son apparition en Europe, notamment à travers les cas importés ou les foyers autochtones émergents (comme en Corse, France), pose un défi croissant pour les systèmes de santé. Dans un contexte où la maladie est peu connue des professionnels de santé et absente des programmes nationaux de lutte, **le diagnostic est souvent tardif, la prise en charge thérapeutique insuffisamment codifiée, et la surveillance épidémiologique lacunaire.** Cette situation soulève des enjeux de **santé publique, de formation médicale, de migration**

sanitaire et d'adaptation des politiques de prévention, dans des pays qui ne sont pas historiquement préparés à traiter les maladies parasitaires tropicales [11,12].

En France, Alors que la bilharziose à *Schistosoma mansoni* est traditionnellement considérée comme une maladie tropicale affectant principalement les régions d'Afrique subsaharienne, son apparition croissante en Europe à travers des cas importés, et plus récemment autochtones (notamment en France), soulève de nouveaux défis sanitaires. Or, les systèmes de santé européens, peu préparés à faire face à cette parasitose, présentent des lacunes en matière de diagnostic précoce, de traitement systématique au praziquantel, et de surveillance épidémiologique. Cette situation met en évidence la nécessité d'adapter les politiques de santé publique, de renforcer la formation médicale sur les maladies tropicales et d'instaurer des protocoles de prise en charge adaptés aux réalités locales et aux risques émergents.

En Asie, *S. mansoni* est rare comparé à *S. japonicum*, mais des cas importés par des migrants, des voyageurs ou des travailleurs expatriés peuvent poser un défi de diagnostic.

La faible prévalence entraîne un **manque d'attention politique et de ressources** allouées à cette forme spécifique de schistosomiase. Les **professionnels de santé sont peu formés** à reconnaître la bilharziose à *S. mansoni*, car elle est moins attendue, le diagnostic est souvent **tardif ou erroné**, car les symptômes intestinaux sont non spécifiques (diarrhée, douleurs abdominales, hépto-splénomégalie) [13].

En Afrique, malgré les efforts déployés depuis plusieurs décennies pour contrôler la bilharziose à *Schistosoma mansoni*, cette parasitose demeure un important problème de santé publique dans plusieurs pays d'Afrique subsaharienne. La forte prévalence de la maladie est favorisée par des facteurs tels que la pauvreté, l'insuffisance des infrastructures d'assainissement, l'accès limité à l'eau potable, la proximité des populations avec les zones de transmission (rivières, lacs, marigots), et le manque de sensibilisation [14].

De plus, bien que des campagnes de traitement de masse au praziquantel soient mises en œuvre, elles sont souvent irrégulières, mal ciblées ou sous-financées. À cela s'ajoutent la difficulté d'accès aux services de santé dans certaines zones rurales, le manque de personnel formé, l'absence de systèmes efficaces de surveillance-évaluation, et la réinfection rapide des individus traités.

Au Sénégal, la bilharziose intestinale causée par *Schistosoma mansoni* constitue toujours un problème de santé publique, particulièrement dans les zones rurales et périurbaines situées le long du fleuve Sénégal, dans la vallée et les régions du centre-sud. Malgré les campagnes de traitement préventif de masse au praziquantel initiées dans le cadre des programmes nationaux, la persistance des foyers de transmission, la réinfection rapide des populations traitées et la difficulté d'interrompre le cycle parasitaire posent de sérieux défis [16].

Les facteurs qui compliquent la prise en charge efficace incluent le contact fréquent des populations avec les eaux douces infestées, la faible couverture en eau potable et en infrastructures d'assainissement, l'insuffisance de la surveillance épidémiologique, et le manque de ressources financières et humaines. En outre, l'intégration de la lutte contre la bilharziose dans le système de santé de base reste incomplète, limitant la pérennité des interventions [16].

Au Cameroun, la bilharziose intestinale due à *Schistosoma mansoni* demeure un problème de santé publique dans plusieurs régions, notamment dans le Littoral, le Nord-Ouest, le Sud-Ouest et certaines zones de l'Adamaoua. Malgré l'existence de programmes de lutte contre les maladies tropicales négligées (MTN), les efforts de prise en charge de la bilharziose sont confrontés à de nombreux obstacles structurels, logistiques et socio-économiques.

La persistance de foyers endémiques s'explique par le contact fréquent des populations avec des plans d'eau infestés, l'insuffisance des infrastructures d'assainissement et d'accès à l'eau potable, ainsi que par une couverture incomplète ou irrégulière des campagnes de traitement de masse au praziquantel. En outre, le système de surveillance épidémiologique reste limité dans plusieurs zones rurales, et les stratégies actuelles manquent d'intégration avec d'autres interventions sanitaires, environnementales et éducatives.

Face à cette situation, comment améliorer la prise en charge globale et durable de la bilharziose à *Schistosoma mansoni* au Cameroun, en renforçant les capacités locales, en assurant une meilleure coordination intersectorielle, et en adaptant les interventions aux contextes épidémiologiques et socioculturels spécifiques des zones à risque [19]

Le Soudan reste l'un des pays d'Afrique les plus touchés par la bilharziose, en particulier dans sa forme intestinale causée par *Schistosoma mansoni*. La maladie est endémique dans plusieurs régions, notamment celles traversées par le Nil et ses affluents, où les conditions favorisent la prolifération des mollusques hôtes intermédiaires. Bien que le pays bénéficie du soutien de partenaires internationaux pour la distribution du praziquantel, la prise en charge globale de la maladie demeure insuffisante, fragmentée et peu durable.

Les défis majeurs incluent l'accès limité aux soins de santé, surtout dans les zones rurales et post-conflit, le manque d'eau potable et d'assainissement, la faible couverture des campagnes de traitement de masse, et l'absence de suivi rigoureux après traitement. De plus, les facteurs environnementaux, tels que l'irrigation agricole non contrôlée et les déplacements de populations, augmentent les risques de transmission [20].

Au Kenya, la bilharziose intestinale causée par *Schistosoma mansoni* représente un défi persistant de santé publique, particulièrement dans les régions proches du lac Victoria, de la vallée du Rift et dans certaines zones côtières. Malgré les efforts du Programme national de lutte contre les maladies tropicales négligées (MTN) et la distribution périodique de praziquantel dans les écoles, la transmission reste active et la maladie continue d'affecter des milliers d'enfants et d'adultes dans les zones endémiques.

La prise en charge de la bilharziose est confrontée à plusieurs difficultés : faible accès à l'eau potable et à l'assainissement, pratiques culturelles favorisant l'exposition aux eaux infestées, couverture incomplète des campagnes de traitement, et manque de suivi post-traitement. De plus, les populations à risque restent souvent mal informées sur les modes de transmission, et les services de santé de première ligne manquent de ressources pour assurer un diagnostic précoce et une prise en charge continue [21].

En Ouganda, la bilharziose intestinale due à *Schistosoma mansoni* est une maladie endémique majeure, particulièrement prévalente autour du lac Victoria, du lac Albert, ainsi que dans plusieurs districts riverains. Bien que des efforts soutenus aient été entrepris à travers le programme national de lutte contre les maladies tropicales négligées, notamment par la distribution de praziquantel en milieu scolaire, la transmission de la maladie persiste à un niveau préoccupant.

Plusieurs facteurs entravent une prise en charge efficace : le contact fréquent et quotidien des populations avec des eaux infestées, la faible accessibilité à l'eau potable et à des systèmes d'assainissement adéquats, la couverture inégale du traitement de masse, le manque de diagnostic communautaire actif, et l'insuffisance de la sensibilisation des populations sur les risques et les méthodes de prévention. De plus, la réinfection rapide après traitement montre les limites d'une approche centrée uniquement sur la chimiothérapie, sans action simultanée sur les déterminants environnementaux et sociaux [21].

En Tanzanie, la bilharziose intestinale causée par *Schistosoma mansoni* reste un problème de santé publique majeur, en particulier dans les régions situées le long du lac Victoria, du lac Tanganyika, et dans certaines zones de la vallée du Rift. Malgré la mise en œuvre de programmes nationaux de traitement préventif à base de praziquantel, la prévalence de la maladie demeure élevée dans plusieurs districts, témoignant de la persistance de la transmission. Cette situation s'explique par divers facteurs : l'accès limité à l'eau potable et à des infrastructures d'assainissement, l'exposition quotidienne des populations aux eaux douces infestées, la couverture incomplète et irrégulière des campagnes de traitement, le manque de sensibilisation communautaire, et l'insuffisance des ressources humaines et logistiques dans les services de santé locaux. Par ailleurs, la réinfection rapide après traitement et l'absence d'une stratégie intégrée incluant l'environnement, l'éducation et la surveillance posent un véritable défi [22].

Au Burundi, la bilharziose intestinale due à *Schistosoma mansoni* constitue une menace persistante pour la santé publique, notamment dans les zones riveraines du lac Tanganyika et dans les vallées humides où les conditions écologiques sont favorables à la transmission. Malgré les interventions du Programme National de Lutte contre les Maladies Tropicales Négligées (MTN), la prévalence de la bilharziose reste préoccupante dans plusieurs localités, affectant surtout les enfants d'âge scolaire et les communautés rurales.

La prise en charge de cette maladie est confrontée à de multiples défis : l'accès limité aux soins de santé dans les zones reculées, l'insuffisance des infrastructures d'assainissement et d'approvisionnement en eau potable, la couverture irrégulière du traitement préventif à base de praziquantel, et la faible sensibilisation des populations aux mesures de prévention

Au Rwanda, la bilharziose intestinale causée par *Schistosoma mansoni* demeure une maladie parasitaire endémique, particulièrement dans les régions proches des marais, des lacs et des zones humides du pays, notamment dans les districts de l'Est, du Sud et du Nord. Malgré les efforts notables du ministère de la Santé et de ses partenaires à travers le Programme National de Lutte contre les Maladies Tropicales Négligées, les campagnes de traitement préventif à base de praziquantel ne suffisent pas à éliminer la transmission dans les zones les plus exposées.

Les défis majeurs incluent l'accès limité à l'eau potable, l'absence d'infrastructures sanitaires adéquates dans certaines zones rurales, la réinfection rapide après traitement, le manque de sensibilisation des communautés et une surveillance épidémiologique encore incomplète. Par ailleurs, l'intégration insuffisante des actions de lutte contre la bilharziose dans les services de santé primaires, couplée à la nécessité d'impliquer davantage les secteurs de l'éducation, de l'environnement et du développement rural, limite l'efficacité globale des interventions [23].

En République Démocratique du Congo, la bilharziose intestinale due à *Schistosoma mansoni* reste un important problème de santé publique, particulièrement dans les zones rurales et périurbaines situées le long du fleuve Congo et de ses affluents, ainsi que dans les provinces du Kasaï, de l'Équateur, de la Tshopo et du Tanganyika. Malgré les efforts menés par le Programme National de Lutte contre les Maladies Tropicales Négligées (PNLMTN) en matière de traitement préventif à base de praziquantel, la maladie demeure largement sous-diagnostiquée, sous-traitée et mal surveillée.

Les défis majeurs sont nombreux : insuffisance des données épidémiologiques actualisées, couverture irrégulière des campagnes de traitement de masse, réinfection fréquente des populations traitées, faible accès à l'eau potable et à l'assainissement, éloignement des structures de santé, et manque de sensibilisation des communautés. En outre, l'instabilité de certaines zones, le manque de coordination multisectorielle, et le déficit chronique en

ressources humaines et financières compromettent la mise en œuvre efficace et durable des actions de lutte.

À Kinshasa, la bilharziose intestinale à *Schistosoma mansoni* représente un défi de santé publique, en particulier dans les zones périurbaines et certains quartiers riverains où l'accès à l'eau potable et aux infrastructures d'assainissement est limité. La forte densité de population, associée à des conditions d'hygiène précaires et à une exposition régulière aux eaux stagnantes ou contaminées, favorise la persistance de foyers de transmission.

Malgré les efforts du Programme National de Lutte contre les Maladies Tropicales Négligées et les campagnes ponctuelles de distribution de praziquantel, la couverture reste insuffisante et les interventions sont souvent peu coordonnées. De plus, le diagnostic précoce est rare, et le suivi post-traitement est faible, ce qui entraîne des cas de réinfection fréquents. L'insuffisance de sensibilisation communautaire et le manque d'intégration des actions de lutte dans les structures sanitaires de première ligne compliquent davantage la gestion durable de la maladie.

Au Katanga, région située dans le sud-est de la République Démocratique du Congo, la bilharziose intestinale due à *Schistosoma mansoni* est un problème de santé publique récurrent, surtout dans les zones rurales et périurbaines proches des cours d'eau et plans d'eau stagnants. Les conditions écologiques favorables, combinées à une faible accessibilité à l'eau potable et à des infrastructures d'assainissement inadéquates, facilitent la transmission continue de la maladie.

La prise en charge de la bilharziose dans cette région fait face à plusieurs difficultés : couverture insuffisante des campagnes de traitement de masse, accès limité aux services de santé, diagnostic tardif, réinfection fréquente, et faiblesse des actions de sensibilisation communautaire. Par ailleurs, les ressources humaines et financières dédiées à la lutte contre la bilharziose restent limitées, et la coordination entre les différents acteurs du secteur santé est souvent insuffisante [24].

Au Bas-Congo (actuel Kongo Central), la bilharziose intestinale causée par *Schistosoma mansoni* demeure une menace sanitaire importante, notamment dans les zones rurales proches des rivières, lacs et zones humides, où la population est régulièrement en contact avec des eaux contaminées. Malgré les campagnes de traitement par praziquantel menées dans le cadre du Programme National de Lutte contre les Maladies Tropicales Négligées, la transmission persiste, affectant particulièrement les enfants et les communautés vulnérables.

La prise en charge de cette maladie fait face à plusieurs contraintes majeures : faible accès à l'eau potable et aux infrastructures d'assainissement, insuffisance des services de santé de proximité, couverture limitée et irrégulière des traitements de masse, manque de sensibilisation et d'éducation sanitaire, ainsi que la réinfection rapide après traitement. Par ailleurs, les données épidémiologiques actualisées restent rares, limitant la planification efficace des interventions.

En province de l'Équateur, en République Démocratique du Congo, la bilharziose intestinale à *Schistosoma mansoni* représente un défi sanitaire majeur, particulièrement dans les zones riveraines du fleuve Congo et de ses affluents, ainsi que dans les régions où l'accès à l'eau potable et à l'assainissement est très limité. La forte exposition des populations aux eaux stagnantes infestées, combinée à des conditions socio-économiques défavorables, favorise une transmission continue et une prévalence élevée de la maladie.

La prise en charge de la bilharziose dans cette région est confrontée à plusieurs difficultés : faible couverture des campagnes de traitement de masse, accès limité aux structures de santé,

diagnostic tardif et insuffisant, réinfection fréquente, ainsi qu'un déficit en éducation sanitaire et en sensibilisation communautaire. De plus, le manque de données épidémiologiques actualisées entrave la planification et l'optimisation des interventions [24].

Au Maniema, province de la République Démocratique du Congo, la bilharziose intestinale due à *Schistosoma mansoni* demeure une maladie endémique préoccupante, en particulier dans les zones rurales proches des rivières, des lacs et des zones humides où la population est régulièrement exposée aux eaux infestées. Les conditions socio-économiques difficiles, associées à un accès limité à l'eau potable et à des infrastructures sanitaires insuffisantes, favorisent la persistance de la transmission et un taux élevé d'infection.

La prise en charge de la bilharziose dans cette province est entravée par plusieurs facteurs : une faible couverture des campagnes de traitement de masse à base de praziquantel, l'accès limité aux services de santé, un diagnostic peu systématique, la réinfection rapide après traitement, ainsi qu'une sensibilisation communautaire encore insuffisante. Par ailleurs, le manque de données épidémiologiques actualisées complique la planification et la mise en œuvre efficace des interventions.

En Ituri, province orientale de la République Démocratique du Congo, la bilharziose intestinale à *Schistosoma mansoni* constitue un problème de santé publique majeur, surtout dans les zones rurales et riveraines où l'exposition aux eaux douces contaminées est fréquente. Les conditions environnementales favorables, combinées à des infrastructures sanitaires précaires, un accès limité à l'eau potable et des conditions socio-économiques difficiles, maintiennent une transmission active et une prévalence élevée de la maladie.

La prise en charge de la bilharziose en Ituri est confrontée à plusieurs défis : couverture insuffisante des campagnes de traitement préventif à base de praziquantel, difficultés d'accès aux services de santé, diagnostic souvent tardif, réinfection rapide, et manque d'éducation sanitaire et de sensibilisation communautaire. De plus, l'instabilité sécuritaire dans certaines zones complique l'organisation et le suivi des interventions [25].

Au Sud-Kivu, province de l'est de la République Démocratique du Congo, la bilharziose intestinale causée par *Schistosoma mansoni* demeure une maladie endémique, surtout dans les zones rurales et riveraines du lac Tanganyika ainsi que des rivières et marais de la région. Les populations locales, souvent exposées à des eaux contaminées, sont vulnérables à l'infection en raison du manque d'accès à l'eau potable, à des infrastructures sanitaires adéquates et à des services de santé de qualité.

La prise en charge de la bilharziose dans cette province fait face à plusieurs défis majeurs : une couverture insuffisante et irrégulière des campagnes de traitement de masse avec praziquantel, un diagnostic limité et tardif, une réinfection fréquente des patients traités, un manque de sensibilisation communautaire et d'éducation sanitaire, ainsi que des ressources humaines et financières limitées. De plus, l'instabilité sécuritaire et les déplacements de populations compliquent davantage la mise en œuvre efficace des interventions de lutte [25].

Au Nord-Kivu, province de l'est de la République Démocratique du Congo, la bilharziose intestinale à *Schistosoma mansoni* constitue un problème de santé publique persistant, particulièrement dans les zones rurales et riveraines des lacs, rivières et marais. La population est fortement exposée à la contamination par contact fréquent avec des eaux douces infestées, dans un contexte marqué par un accès limité à l'eau potable, des infrastructures sanitaires insuffisantes, et une pauvreté généralisée.

La prise en charge de la bilharziose dans cette région est freinée par plusieurs défis : couverture inadéquate des campagnes de traitement préventif par praziquantel, difficultés

d'accès aux structures sanitaires, diagnostic tardif ou absent, réinfection fréquente, faible sensibilisation communautaire, et manque de ressources humaines et financières. Par ailleurs, l'instabilité sécuritaire et les déplacements de populations aggravent la vulnérabilité des communautés et complexifient la mise en œuvre des programmes de lutte.

Dans le Territoire de Beni, situé au Nord-Kivu en République Démocratique du Congo, la bilharziose intestinale à *Schistosoma mansoni* demeure une maladie endémique et un problème majeur de santé publique. La forte exposition des populations aux eaux douces contaminées, notamment dans les zones rurales et riveraines des rivières et marais, combinée à un accès limité à l'eau potable et aux infrastructures sanitaires adéquates, favorise la persistance de la transmission.

La prise en charge de la bilharziose dans ce territoire fait face à plusieurs obstacles : faible couverture des campagnes de traitement de masse par praziquantel, accès restreint aux services de santé, diagnostic souvent tardif ou absent, réinfection fréquente, et sensibilisation communautaire insuffisante. En outre, l'instabilité sécuritaire et les déplacements de population liés aux conflits armés compliquent la mise en œuvre efficace des interventions de lutte et limitent l'accès aux soins [25].

En zone de santé d'Oicha, située dans le Territoire de Beni au Nord-Kivu, la bilharziose intestinale à *Schistosoma mansoni* demeure un problème de santé publique préoccupant. La population est fortement exposée à la contamination par contact fréquent avec les eaux douces stagnantes et contaminées, notamment dans les zones rurales et riveraines, où l'accès à l'eau potable et aux infrastructures sanitaires est limité.

La prise en charge de la bilharziose dans cette zone est entravée par plusieurs facteurs : faible couverture des campagnes de traitement préventif par praziquantel, accès limité aux services de santé, diagnostic insuffisant ou tardif, réinfection rapide, et faible sensibilisation communautaire. Par ailleurs, l'instabilité sécuritaire persistante complique l'organisation et le suivi des interventions sanitaires [26].

Lors de notre étude, nous n'avons pas trouvé la publication scientifique spécifique concernant la prise en charge de la bilharziose à *Schistosoma mansoni* dans la zone de santé d'Oicha, située dans le territoire de Beni, province du Nord-Kivu, en République Démocratique du Congo (RDC). Les études disponibles se concentrent principalement sur d'autres provinces, telles que l'Ituri et le Kongo Central.

Cependant, des recherches similaires menées dans des provinces voisines, comme l'Ituri, offrent des informations pertinentes sur la situation épidémiologique de la schistosomiase dans la région. Par exemple, une étude menée en 2017 dans la province de l'Ituri a révélé une prévalence élevée de l'infection à *Schistosoma mansoni*, atteignant jusqu'à 95 % dans certaines zones. Les facteurs de risque identifiés comprenaient l'exposition aux eaux locales, le manque d'assainissement et l'absence de latrines familiales. Ces résultats suggèrent que la situation épidémiologique dans la zone de santé d'Oicha pourrait être similaire, compte tenu de la proximité géographique et des conditions environnementales comparables [26].

Pour obtenir des informations spécifiques sur la situation de la schistosomiase dans la zone de santé d'Oicha, il serait pertinent de consulter les autorités sanitaires locales ou les programmes de lutte contre les maladies tropicales négligées (MTN) opérant dans la région.

Dans ce contexte, comment mettre en place une stratégie efficace, durable et adaptée aux réalités locales pour la prise en charge intégrée de la bilharziose à *Schistosoma mansoni* en zone de santé rurale d'Oicha, combinant le traitement, la prévention, l'amélioration des conditions d'hygiène et disponibiliser l'eau potable à la population et le renforcement du

système de santé et mobilisation communautaire, tout en tenant compte des contraintes sécuritaires ?

Objectif général

Décrire la prise en charge de la bilharziose à *Schistosoma mansoni* dans la zone de santé d'Oicha, en améliorant l'accès au diagnostic, au traitement efficace, à la prévention et à la sensibilisation communautaire, tout en renforçant les capacités du système de santé local.

Objectifs spécifiques

1. Assurer une couverture optimale des campagnes de traitement de masse par praziquantel auprès des populations à risque dans la zone de santé d'Oicha.
2. Améliorer l'accès à l'eau potable et aux infrastructures d'assainissement pour réduire le contact avec les eaux contaminées.
3. Mettre en place un système de surveillance épidémiologique efficace pour le suivi et l'évaluation des interventions contre la bilharziose.
4. Promouvoir la collaboration intersectorielle entre les secteurs de la santé, de l'environnement, de l'éducation et de l'eau pour une lutte intégrée.

2. Matériel et méthodes

2.1. Cadre de l'étude

Notre étude est menée dans la zone de santé rurale d'Oicha se situant dans le Territoire de Beni au Nord Kivu en République Démocratique du Congo, couvre une superficie de 1.656 Km², située latitude Est 77696,989 m, longitude Nord 780671,652 m, altitude 1050,9 m avec une précision de 1,5 m et une population de 341.730 habitants répartis dans 27 aires de santé.



Figure 1. Carte postale de la zone de santé rurale d'Oicha

2.2. Type d'étude, période et cible de l'étude

Il s'agit d'une étude transversale descriptive qui s'est déroulée durant 3 mois pour une période allant du 1^{er} janvier au 31 Mars 2025. La population cible de l'étude est constituée de tous les personnels soignants confondus (médecins, infirmiers, laborantins et pharmacienne) œuvrant et enregistrés dans la zone de santé.

2.3. Variables de l'étude

Les variables indépendantes : les facteurs socio-professionnels, le niveau de connaissance, la pratique de la prise en charge, les obstacles, disponibilité des intrants, la perception, la sensibilisation communautaire et l'impact de la prise en charge.

La variable dépendante : Bilharziose à *Schistosoma mansoni*

2.4. Taille et population d'étude

La taille de l'échantillon était donnée par le bureau central de la zone de santé rurale d'Oicha, soit un effectif de 316 personnels soignants.

2.6. Critères d'éligibilité

Critères d'inclusion : tous personnels soignants de la zone de santé rurale d'Oicha, être reconnu par la zone de santé, travailler dans une des structures des soins de la zone de santé, être disponible et accepter de participer à l'étude.

Critères de non inclusion : tous critères contraires aux critères d'inclusion.

2.7. Techniques de collecte des données

La revue documentaire a permis de consulter différents ouvrages, articles et rapports de la zone de santé rurale d'Oicha, afin d'aborder l'état de la question et la problématique de l'étude ainsi que des données ayant appuyé les discussions des résultats trouvés.

Pour réaliser l'étude, nous avons d'abord utilisé l'interview couplée au questionnaire lié à la prise en charge. Le questionnaire est soumis aux personnels soignants qui savent lire et écrire pour recueillir leurs opinions par rapport à la thématique de recherche, il contient les questions ouvertes et sont expliquées en langue locale pour une meilleure compréhension ; les réponses fournies sont prises en compte et enregistrées directement sur le questionnaire.

2.8. Collecte, analyse et traitement des données

Nous avons distribué les questionnaires à nos enquêtés, après explication. La récolte des données était faite dans le respect strict des critères d'éligibilité et le raffinage du questionnaire qui a été plus protesté a permis de réduire le risque de biais.

L'enregistrement des données collectées était fait sur le questionnaire, le logiciel Microsoft Word 2010, Excel 2010 tandis que l'analyse des données était faite à l'aide de SPSS 27.

2.9. Considérations éthiques

L'étude avait obtenu une autorisation du comité d'éthique médicale de l'Université de Goma, en République Démocratique du Congo par l'attestation N° Approbation : UNIGOM/CEM/010/2023 du 01 Mars 2023.

Nous avons contacté les autorités politico administratives locales pour visa et autorisation de l'étude dans la zone de santé rurale d'Oicha.

Le consentement libre et éclairé des enquêtés était obtenu oralement après les explications en rapport avec l'étude à mener dans la zone de santé. L'enquêté était informé qu'il était libre de refuser ou de se retirer lors de l'étude et aucune sanction était prévue.

Pour garder l'intégrité, la discrétion, la confidentialité nous avons procédé à l'anonymat des enquêtés et des données recueillies spécialement pour la recherche.

Résultats

Tableau 1. Facteurs socio démographiques

Age de l'enquêté	Fréquence	%
Moins de 25 ans	55	18,3
[25 - 34 ans]	147	49
[35 - 44 ans]	67	22,3
[45 et plus]	31	10,3
Sexe de l'enquêté		
Masculin	136	45,3
Féminin	164	54,7
Poste actuel de l'enquêté		
Médecin	25	8,3
Infirmier	227	75,7
Pharmacien	48	16
Ancienneté dans le métier		
Moins de 2 ans	111	37
2-5 ans	116	38,7
6-10 ans	51	17
Plus, de 10 ans	22	7,3

De ce tableau 1, nous constatons que 49% des répondants avait l'âge variant entre 25 - 34 ans ; 54,7% des répondants était du sexe féminin ; 75,7% était des infirmier(res) ; 38,7% à une ancienneté de 2 à 5 ans.

Tableau 2. Les Facteurs sanitaires

Avoir déjà fait une formation spécifique sur la schistosomiase	Fréquence	Pourcentage
Oui	213	71
Non	87	29
Sang dans les urines		
Oui	105	35
Non	195	65
Douleurs abdominales		
Oui	230	76,7
Non	70	23,3
Fatigue chronique		
Oui	60	20
Non	240	80
Diarrhée		
Oui	96	32
Non	204	68
Retard de croissance chez les enfants		
Oui	39	13
Non	261	87

Il ressort de ce tableau 2 que 71% des répondants avait déjà participé à une formation spécifique sur la schistosomiase ; 65% n'avait pas le sang dans les urines ; 76,7% avait des douleurs abdominales ; 80% n'avait pas des fatigues chroniques ; 68% n'avait pas des symptômes de la diarrhée ; 87% n'avait pas de retard de croissance chez les enfants.

Tableau 3. Diagnostique des cas de schistosomiase

Diagnostique régulièrement des cas de schistosomiase	Fréquence	Pourcentage
Oui	195	65
Non	105	35
Total	300	100

De ce tableau 3, nous constatons que 65% des répondants sont diagnostiqué régulièrement des cas de la schistosomiase contre 35%.

Tableau 4. Information sur la Voie de transmission de la schistosomiase

Voie de transmission de la schistosomiase	Fréquence	Pourcentage
Par contact avec de l'eau contaminée	231	77,0
Par consommation d'eau non potable	56	18,7
Par les moustiques	6	2,0
Je ne sais pas	7	2,3
Total	300	100,0

De ce tableau 4, nous constatons que 77% des répondants avait montré que la schistosomiase se transmet par le contact avec de l'eau contaminée et 18% montre que c'est par la consommation d'eau non potable.

Tableau 5. Informations sur outils de diagnostique de la schistosomiase

Analyse clinique	Fréquence	Pourcentage
Oui	109	36,3
Non	191	63,7
Analyse des selles		
Oui	231	77
Non	69	23
Signes cliniques		
Oui	48	16
Non	252	84

Il ressort de ce tableau 5 que 63,7% des répondants n'avait pas fait une analyse d'urine ; 77% avait fait l'analyse de selles.

Tableau 6. Informations sur le traitement de la schistosomiase

Traitement principal administré par l'enquêté	Fréquence	Pourcentage
Praziquantel	231	77
Remèdes traditionnels (en collaboration avec les patients)	32	10,7
Vaccination	37	12,3
Avoir déjà rencontré des difficultés pour administrer un traitement		
Oui	160	53,3
Non	140	46,7
Ruptures de stock de médicaments		
Oui	82	51,25
Non	78	48,75
Coût élevé du traitement pour les patients		
Oui	86	53,8
Non	74	46,3
Refus de traitement par les patients		
Oui	71	44,4
Non	89	55,6

De ce tableau 6, nous constatons que 77% leur traitement les administrés était le Praziquantel ; 53,3% avait eu des difficultés pour administrer un traitement ; 51,25% avait montré que la difficulté était la rupture de stock des médicaments ; 53,8% certifie que c'était le cout élevé du traitement ; 55,6% des patients ne refusait pas le traitement.

Tableau 7. Les Facteurs de risque de la schistosomiase

Facteurs	Fréquence	Pourcentage
Absence de latrines		
Oui	88	29,3
Non	212	70,7
Utilisation d'eau de rivières ou de sources		
Oui	203	67,7
Non	97	32,3
Conditions socio-économiques défavorables		
Oui	181	60,3
Non	119	39,7
Manque de sensibilisation des communautés		
Oui	259	86,3
Non	41	13,7
Absence de diagnostic précoce		
Oui	95	31,7
Non	205	68,3
Insuffisance de médicaments disponibles		
Oui	79	26,3
Non	221	73,7
Infrastructure sanitaire inadéquate		
Oui	42	14
Non	258	86
Avis sur la suffisance de la formation du personnel sur la schistosomiase		
Oui	186	62
Non	114	38
Formation continue pour le personnel de santé		
Oui	194	64,7
Non	106	35,3
Fourniture régulière en intrants		
Oui	85	28,3
Non	215	71,7

Il ressort de ce tableau 7 que 70,7% des répondants avait confirmé avoir des toilettes ; 67,7% utilise l'eau d rivière ou de source ; 60,3% leurs conditions socio-économiques étaient défavorables ; 86,3% confirme le manque de sensibilisation des communautés ; 68,3% n'avait pas de diagnostic précoce ; 73,7% n'avait pas confirmé l'insuffisance de médicaments disponibles ; 86% montre que les infrastructures sanitaires sont adéquates ; 62% confirme la suffisance du personnel sur la schistosomiasis ; 64,7% avait confirmé une formation continue pour le personnel de santé ; 71,7% n'avait pas des fournitures régulière en intrants.

Tableau 8. Les Facteurs de risque de la schistosomiase (suite)

Amélioration des infrastructures sanitaires	Fréquence	Pourcentage
Oui	88	29,3
Non	212	70,7
Campagne de sensibilisation Communautaire		
Oui	157	52,3
Non	143	47,7
Avis de l'enquête sur le fait que la schistosomiase soit un problème de santé publique important		
Oui	231	77
Non	45	15
Je ne sais pas	24	8
A déjà participé aux campagnes de sensibilisation		
Oui	166	55,3
Non	134	44,7
A une position favorable sur renforcement de collaboration avec les leaders communautaires		
Oui	236	78,7
Non	53	17,7
Je ne sais pas	11	3,7

De ce tableau 8 70,7% confirme qu'il n'existe pas l'amélioration des infrastructures sanitaires ; 52,3% confirme qu'il y a des campagnes de sensibilisation communautaire ; 77% avait montré que la schistosomiase est un problème de santé publique important ; 55,3% avait déjà participé aux campagnes de sensibilisation ; 78,7% confirme une position favorable sur renforcement de collaboration avec les leaders communautaires.

Tableau 9. Impact de schistosomiase

Incapacité à travailler	Fréquence	Pourcentage
Oui	199	66,3
Non	101	33,7
Abandon scolaire des enfants		
Oui	121	40,3
Non	179	59,7
Dépenses élevées pour les ménages		
Oui	164	54,7
Non	136	45,3
Marginalisation sociale		
Oui	65	21,7
Non	235	78,3

Il ressort de ce tableau 9 que 66,3% avait montré que la schistosomiase crée l'incapacité de travailler ; 59,7% montre que leurs enfants avaient abandonnés l'école ; 54,7% avait montré que les dépenses du ménage sont élevées ; 78,3% n'impacte pas la marginalisation sociale.

Tableau 10. Prise en charge de la schistosomiase

Variables	Fréquence	Pourcentage
Ressent une surcharge en raison de la prise en charge de schistosomiase		
Oui	197	65,7
Non	103	34,3
Estime être suffisamment soutenu par les autorités sanitaires dans la prise en charge		
Oui	158	52,7
Non	142	47,3

De ce tableau 10, nous constatons que 65,7% confirme le fait de ressentir une surcharge en raison de la prise en charge de schistosomiase ; 52,7% estime être suffisamment soutenu par les autorités sanitaires dans la prise en charge.

Discussion

Les résultats confirment une prise en charge de la bilharziose à *Schistosoma mansoni* dans la zone de santé rurale d'Oicha. Les facteurs sociodémographiques, les Facteurs sanitaires, les facteurs sanitaires, les facteurs de risques et les informations sur la maladie jouent un grand rôle dans la prise en charge. Un renforcement des mesures de lutte intégrée s'avère nécessaire : traitement antiparasitaire en masse, amélioration de l'accès à l'eau potable, assainissement, et éducation communautaire.

Facteurs socio démographiques

Du tableau 1, nous constatons que 49% des répondants avait l'âge variant entre 25 - 34 ans ; 54,7% des répondants était du sexe féminin ; 75,7% était des infirmier(res) ; 38,7% à une ancienneté de 2 à 5 ans. La prise en charge de la bilharziose à *Schistosoma mansoni* dans la zone de santé rurale d'Oicha peut être efficace avec une compréhension fine du contexte sociodémographique local. Ces facteurs conditionnent à la fois la dynamique de transmission, l'accès aux soins et l'efficacité des interventions de santé publique.

Une prise en charge efficace de la bilharziose à *Schistosoma mansoni* devra être adaptée aux réalités sociodémographiques dans la zone de santé. Ce résultat corrobore avec ceux trouvés par [1,2, 3] se rapportant à une approche communautaire sensible au genre, à l'âge, à la pauvreté et à l'éducation est indispensable pour obtenir une réduction durable de la transmission et améliorer l'accès équitable aux soins.

Mais aussi la bilharziose touche principalement les enfants d'âge scolaire (5 à 14 ans), car ils passent plus de temps à jouer ou à se baigner dans les eaux contaminées. Les hommes adultes, notamment les pêcheurs, cultivateurs et laveurs de sable, sont également exposés. Les femmes sont souvent contaminées lors des activités ménagères comme la lessive ou la vaisselle dans les rivières. Cette distribution par âge et par sexe implique que les campagnes de traitement doivent cibler des groupes spécifiques, et pas uniquement les enfants, ce résultat est similaire à celui trouvé par [5,6].

Les Facteurs sanitaires

Il ressort du tableau 2 que 71% des répondants avait déjà participé à une formation spécifique sur la schistosomiase ; 65% n'avait pas le sang dans les urines ; 76,7% avait des douleurs abdominales ; 80% n'avait pas des fatigues chroniques ; 68% n'avait pas des symptômes de la diarrhée ; 87% n'avait pas de retard de croissance chez les enfants. La lutte contre la bilharziose dans les zones de santé endémiques repose sur un ensemble d'interventions

sanitaires, incluant le diagnostic, le traitement, la prévention et la surveillance épidémiologique. Toutefois, plusieurs contraintes limitent l'efficacité de la réponse sanitaire à cette maladie parasitaire. Ce résultat coïncide avec ceux trouvés par [7,8,9] qui stipulent que dans la majorité des zones de santé concernées, le système de santé primaire est sous-équipé, avec un manque de personnel formé, de laboratoires fonctionnels et de médicaments essentiels. Cela réduit la capacité des structures sanitaires à détecter, traiter et suivre les cas de bilharziose de manière efficace. Le personnel de santé, parfois non sensibilisé à la schistosomiase, peut négliger les symptômes légers ou les confondre avec d'autres pathologies gastro-intestinales. Le médicament de référence, le Praziquantel, est en principe fourni gratuitement dans le cadre des campagnes de traitement de masse (PTME) soutenues par l'OMS et le ministère de la Santé. Toutefois, des ruptures de stock sont fréquentes, particulièrement entre deux campagnes. Hors campagne, l'accès au Praziquantel dans les structures sanitaires reste limité, voire inexistant pour les patients qui consultent de manière individuelle [10, 11,12]. L'insuffisance d'activités de sensibilisation communautaire et l'absence de matériel éducatif dans les langues locales limitent la prévention. La prévention repose sur l'amélioration de l'accès à l'eau potable, la construction de latrines et la réduction des contacts avec les eaux contaminées, ce qui nécessite des approches intersectorielles (santé, éducation, WASH).

Diagnostic des cas de schistosomiase et informations sur outils de diagnostic de la schistosomiase

Des tableaux 3 et 4, nous constatons que 77% des répondants avait montré que la schistosomiase se transmet par le contact avec de l'eau contaminée et 18% montre que c'est par la consommation d'eau non potable, 77% des répondants avait montré que la schistosomiase se transmet par le contact avec de l'eau contaminée et 18% montre que c'est par la consommation d'eau non potable. Le diagnostic des cas de schistosomiase constitue une étape cruciale dans la chaîne de prise en charge, car il conditionne l'identification des malades, l'administration du traitement, ainsi que la surveillance de l'efficacité des programmes de lutte. Dans les zones de santé endémiques, plusieurs défis limitent une détection optimale des cas. Les méthodes de diagnostic disponibles : Méthode de Kato-Katz (examen parasitologique des selles), C'est la méthode standard recommandée par l'OMS pour le diagnostic des cas de bilharziose intestinale, le test CCA (Circulating Cathodic Antigen) : Test rapide réalisé sur l'urine, détectant les antigènes circulants produits par le parasite. De plus, le diagnostic clinique (basé sur les symptômes comme les douleurs abdominales, diarrhée sanglante ou hépatosplénomégalie) est non spécifique, conduisant parfois à des sous-diagnostic ou à des traitements inappropriés ; ces résultats sont semblables à ceux trouvés par [13,14,16]

Information sur la voie de transmission de la schistosomiase

La bilharziose à *Schistosoma mansoni* suit un cycle biologique complexe impliquant un hôte intermédiaire (les mollusques du genre *Biomphalaria*) et un hôte définitif (l'être humain). Le cycle comprend les étapes suivantes : Les œufs de *S. mansoni* sont excrétés dans les selles humaines et atteignent les plans d'eau douce ; Ils éclosent en miracidiums, qui infectent les mollusques ; Après multiplication dans le mollusque, ils libèrent des cercaires, formes infestantes qui nagent librement dans l'eau ; Les cercaires pénètrent la peau humaine au contact de l'eau contaminée selon [18,19].

Informations sur le traitement de la schistosomiase

En partant du tableau 6, nous constatons que 77% leur traitement les administrés était le Praziquantel ; 53,3% n'avait pas eu des difficultés pour administrer un traitement ; 51,25%

avait montré que la difficulté était la rupture de stock des médicaments ; 53,8% certifie que c'était le coût élevé du traitement ; 55,6% des patients ne refusait pas le traitement. Le traitement de la schistosomiase est un pilier fondamental de la stratégie de lutte contre cette parasitose. Dans la zone de santé endémique, le traitement vise non seulement à soigner les cas individuels, mais aussi à réduire la transmission communautaire. Toutefois, plusieurs facteurs influencent l'efficacité et l'équité de ce traitement dans le contexte local [26]. Le traitement de la schistosomiase à *S. mansoni* repose principalement sur le Praziquantel, administré dans le cadre de campagnes de masse ou à titre individuel. Une prise en charge efficace nécessite de garantir la disponibilité continue du médicament, d'améliorer la couverture et l'acceptabilité, et de renforcer le système de suivi thérapeutique. Le succès à long terme repose également sur la prévention de la réinfestation par l'amélioration des conditions d'eau et d'hygiène selon [25, 26].

Les Facteurs de risque de la schistosomiase

Il ressort de ce tableau 7 et 8 que 70,7% des répondants avait confirmé avoir des toilettes ; 67,7% utilise l'eau de rivière ou de source ; 60,3% leurs conditions socio-économiques étaient défavorables ; 86,3% confirme le manque de sensibilisation des communautés ; 68,3% n'avait pas de diagnostic précoce ; 73,7% n'avait pas confirmé l'insuffisance de médicaments disponibles ; 86% montre que les infrastructures sanitaires sont adéquates ; 62% confirme la suffisance du personnel sur la schistosomiasis ; 64,7% avait confirmé une formation continue pour le personnel de santé ; 71,7% n'avait pas des fournitures régulières en intrants. La compréhension des facteurs de risque liés à la schistosomiase est indispensable pour une prise en charge efficace et ciblée. Selon [20,21], ces facteurs influencent la dynamique de transmission de *Schistosoma mansoni* et permettent d'identifier les groupes et zones prioritaires dans une stratégie de lutte intégrée. Dans une zone de santé endémique, les facteurs de risque de la schistosomiase sont multiples et interconnectés : environnementaux, comportementaux, économiques, démographiques et structurels. La prise en charge efficace doit donc adopter une approche multidimensionnelle, combinant traitement médical, éducation sanitaire, amélioration des infrastructures, et lutte contre les mollusques vecteurs.

Impact de la bilharziose à *Schistosoma mansoni*

Il ressort de ce tableau 9 que 66,3% avait montré que la schistosomiase crée l'incapacité de travailler ; 59,7% montre que leurs enfants avaient abandonnés l'école ; 54,7% avait montré que les dépenses du ménage sont élevées ; 78,3% n'impacte pas la marginalisation sociale. Selon [21,22,23], la bilharziose à *Schistosoma mansoni*, a un impact multidimensionnel dans les zones de santé où elle est endémique. En plus des effets directs sur la santé humaine, elle a des répercussions économiques, éducatives et sociales, ce qui complique sa prise en charge globale. La schistosomiase à *Schistosoma mansoni* a un impact profond et durable sur les individus, les familles et l'ensemble du système de santé d'une zone endémique. Réduire cet impact nécessite une approche intégrée, préventive et curative, mais aussi sociale, en associant les communautés locales, les écoles et les autorités sanitaires à tous les niveaux de la réponse.

Prise en charge de la schistosomiase

De ce tableau 10, nous constatons que 65,7% confirme le fait de ressentir une surcharge en raison de la prise en charge de schistosomiase ; 52,7% estime être suffisamment soutenu par les autorités sanitaires dans la prise en charge. La prise en charge de la bilharziose à *Schistosoma mansoni* dans la zone de santé rurale d'Oicha repose sur une approche intégrée, combinant le traitement curatif, la prévention, la surveillance épidémiologique et la mobilisation communautaire. Les résultats de [23, 24,25] prouvent que la prise en charge doit

tenir compte des spécificités locales (environnementales, sociales, économiques) pour être efficace. Elle ne doit pas se limiter au traitement médicamenteux. Elle exige une approche globale incluant le dépistage précoce, la réduction des risques environnementaux, la mobilisation communautaire, ainsi que la coordination multisectorielle. C'est à ce prix que l'on peut espérer réduire durablement la morbidité et briser le cycle de transmission.

Conclusion

A l'issue de cette étude menée auprès de 316 prestataires soignants confondus de la zone de santé rurale d'Oicha, une étude portant sur la prise en charge de la bilharziose à *Schistosoma mansoni* dans la zone de santé rurale d'Oicha, une étude transversale descriptive qui s'était déroulée durant 6 mois pour une période allant du 1^{er} janvier au 30 juin 2024. L'étude de la bilharziose à *Schistosoma mansoni* dans la zone de santé rurale d'Oicha a permis de mettre en lumière la persistance de cette parasitose comme un problème de santé publique. Cette affection, liée à des conditions environnementales propices à la transmission et à des pratiques communautaires à risque, touche principalement les enfants d'âge scolaire et les populations vivant au contact des eaux douces contaminées.

Les résultats montrent que malgré les efforts de lutte déployés à travers les campagnes de traitement de masse au Praziquantel, la prévalence reste élevée dans certaines localités, en raison de multiples facteurs : accès insuffisant à l'eau potable, absence de latrines, faible sensibilisation des populations, couverture thérapeutique incomplète, et manque de suivi post-traitement. De plus, la capacité des structures sanitaires à assurer un dépistage systématique et une prise en charge continue des cas reste limitée. Pour répondre efficacement à cette problématique, il est essentiel d'adopter une approche intégrée et durable, combinant le **traitement médical, amélioration des conditions d'hygiène et d'assainissement, éducation sanitaire, contrôle des mollusques vecteurs**, et implication active de la communauté. La bilharziose à *Schistosoma mansoni* ne pourra être maîtrisée que par des actions coordonnées, adaptées au contexte local et soutenues à long terme, une analyse univariée était faite dans notre étude.

Références

1. Chitsulo, L., Engels, D., Montresor, A., & Savioli, L. The global status of schistosomiasis and its control, 2000, *Acta Tropica*, 77(1), 41–51.
2. Ross, A.G.P., et al. Advances in schistosomiasis vaccine development. *Human Vaccines & Immunotherapeutics*, 2022, 18(5), 2041904. DOI : 10.1080/21645515.2022.2041904
3. **Marc Gentilini, médecine tropicale, Médecine sciences, 2012, P359-379, SBN 978-257-20396-0, 6^{ème} éd, Paris.**
4. **Epilly trop, maladies infectieuses tropicales, CMIT, 2022, P 52.**
5. Jan Clerinx, Alfons Van Gompel, Schistosomiasis in traveller's and migrants, *Travel Medicine and Infectious Disease*, 2011, P 6–15 DOI : [10.1016/j.tmaid.2010.11.001](https://doi.org/10.1016/j.tmaid.2010.11.001).
6. Oliosi E., Angoulvant A., and al., *Chronic schistosomiasis imported in France: A retrospective multicenter analysis of 532 patients, calling for international recommendations*, *Travel Medicine and Infectious Disease*, 2023, DOI : [10.1016/j.tmaid.2023.102644](https://doi.org/10.1016/j.tmaid.2023.102644), Pays-Bas.

7. Allen G.P. Ross, Remigio M. and al., *Road to the elimination of schistosomiasis from Asia: the journey is far from over*, *Microbes and Infection*, **Pages** : 858–865, **DOI** : [10.1016/j.micinf.2013.07.010](https://doi.org/10.1016/j.micinf.2013.07.010), France
8. Kabuyaya, M., and al., *Efficacy of praziquantel treatment regimens in pre-school and school aged children infected with schistosomes in sub-Saharan Africa: a systematic review*, *Infectious Diseases of Poverty*, 2018, **DOI** : [10.1186/s40249-018-0448-x](https://doi.org/10.1186/s40249-018-0448-x), Royaume-Uni
9. Bruno Senghor, Souleymane Doucouré, Cheikh Sokhna, *Urogenital schistosomiasis in three different water access in the Senegal river basin: prevalence and monitoring praziquantel efficacy and re-infection levels*, *BMC Infectious Diseases*, 2022, **DOI** : [10.1186/s12879-022-07813-5](https://doi.org/10.1186/s12879-022-07813-5), Royaume-Uni
10. Ambe Fabrice Ngwa, Pride Tanyi Bobga, Ekwi Damian Nsongmayi, Gedeon Schadrack Yememe Yememe, Judith Ngong Nyeme, Mohamed Isah, Ebai Christabel Ashu, Calvin Bisong Ebai, *Prevalence and Predictors Associated to Schistosoma mansoni Infection among Patients Attending the Saint Jean de Malte Hospital, Njombe, Littoral Region, Cameroon*, *Journal of Parasitology Research*, 2023, **DOI** : [10.1155/2023/8674934](https://doi.org/10.1155/2023/8674934), Royaume-Uni
11. Ahmed M. Hussein and al., *The Prevalence of Schistosomiasis among People in Almatama locality River Nile State, Sudan*, *Journal of Clinical Research in HIV/AIDS and Prevention*, 2019, **Pages** : 1–6, **DOI** : [10.14302/issn.2324-7339.jcrhap-19-2711](https://doi.org/10.14302/issn.2324-7339.jcrhap-19-2711), États-Unis
12. Onkanga, Isaac O.; Mwinzi and al., *Impact of two rounds of praziquantel mass drug administration on Schistosoma mansoni infection prevalence and intensity: a comparison between community-wide treatment and school-based treatment in western Kenya*, *International Journal for Parasitology*, 2016 **P** 439–445, **DOI** : [10.1016/j.ijpara.2016.01.006](https://doi.org/10.1016/j.ijpara.2016.01.006), Pays-Bas
13. **Auteurs** : Kabatereine and al., *Efficacy and side effects of praziquantel treatment in a highly endemic Schistosoma mansoni focus at Lake Albert, Uganda*, *Transactions of the Royal Society of Tropical Medicine and Hygiene*, 2003, **P**599–603, **DOI** : [10.1016/S0035-9203\(03\)80044-5](https://doi.org/10.1016/S0035-9203(03)80044-5), Royaume-Uni
14. Kinunghi, Safari and al., *Comparison of the Impact of Different Mass Drug Administration Strategies on Infection with Schistosoma mansoni in Mwanza Region, Tanzania—A Cluster-Randomized Controlled Trial*, *The American Journal of Tropical Medicine and Hygiene*, 2018, **99**(6) **Pages** : 1298–1306 **DOI** : [10.4269/ajtmh.18-0356](https://doi.org/10.4269/ajtmh.18-0356), États-Unis
15. D. Engels, J. Ndoricimpa, B. Gryseels, *Schistosomiasis mansoni in Burundi: progress in its control since 1985*, *Bulletin of the World Health Organization*, 1993, **71**(2), **P** 207–214, **DOI** : [10.2471/BLT.93.020207](https://doi.org/10.2471/BLT.93.020207), Suisse
16. Niyonzima, N. and al., *Efficacy of Single-Dose Praziquantel for the Treatment of Schistosoma mansoni Infections among School Children in Rwanda*, *Journal of Tropical Medicine*, 2023, **DOI** : [10.1155/2023/37764978](https://doi.org/10.1155/2023/37764978), États-Unis
17. Maurice M. Nigo and al., *Epidemiology of Schistosoma mansoni infection in Ituri Province, North-eastern Democratic Republic of the Congo*, *medRxiv*, 2020, **DOI** : [10.1101/2020.08.10.20171090](https://doi.org/10.1101/2020.08.10.20171090)

18. Matangila and al., *Malaria, schistosomiasis and soil transmitted helminth burden and their correlation with anemia in children attending primary schools in Kinshasa, Democratic Republic of Congo*, *PLoS ONE*, 2014, 9(11), DOI : [10.1371/journal.pone.0110789](https://doi.org/10.1371/journal.pone.0110789), États-Unis
19. Auteur : J. Schwetz, *Note préliminaire sur la bilharziose à Sakania (Katanga, Congo Belge)*, *Annales de la Société Belge de Médecine Tropicale*, 1951, 3(1), P93–102, DOI : [10.1051/parasite/1951264323](https://doi.org/10.1051/parasite/1951264323), Belgique.
20. R. Khonde Kumbu, K. Mbanzulu Makola, Lu Bin, *Prevalence of Schistosoma mansoni Infection in Four Health Areas of Kisantu Health Zone, Democratic Republic of the Congo*, *Advances in Medicine*, 2016, DOI : [10.1155/2016/6596095](https://doi.org/10.1155/2016/6596095), États-Unis
21. Polderman, A. M.; Mpamila, K.; Manshande, *On the distribution and control of schistosomiasis mansoni in Maniema, Zaire*, *Acta Leiden*, 1982, (49), P17–29, DOI : [10.17058/acta.leiden.1982.49.1.17](https://doi.org/10.17058/acta.leiden.1982.49.1.17), Pays-Bas
22. Hermès Mushayuma Namegabe, *Étude d'impact de la variabilité climatique sur la schistosomiase dans la zone de santé de Katana, Sud-Kivu en RDC*, 2008
Lieu de publication : Université ouverte campus de Bukavu
DOI : Non disponible, Lien : [Accéder au mémoirehjournal.net+3](https://www.memoirehjournal.net+3)
23. Astrid M. Knoblauch and al., *Schistosomiasis and soil-transmitted helminth infections in schoolchildren in north-eastern Democratic Republic of the Congo*, *Transactions of The Royal Society of Tropical Medicine and Hygiene*, 2016, 110 (7), P424–426 ; DOI : [10.1093/trstmh/trw040](https://doi.org/10.1093/trstmh/trw040), Royaume-Uni.
24. Maurice M. Nigo and al., *Epidemiology of Schistosoma mansoni infection in Ituri Province, North-eastern Democratic Republic of the Congo*, *PLOS Neglected Tropical Diseases*, 2021, 15(12), DOI : [10.1371/journal.pntd.0009486](https://doi.org/10.1371/journal.pntd.0009486), États-Unis.
25. PNLMTN / Ministère de la Santé (RD Congo, Sénégal, Bénin, etc.) : Programmes nationaux de lutte contre les maladies tropicales négligées — rapports et plans stratégiques.
26. BCZ OICHA, rapport annuel, 2023.

عنوان البحث

المشاركة السياسية وأهم العوامل المؤثرة على قرار الناخب العراقي (بعد 2005)

م. د. صلاح حسن حمود الصراف¹

¹ جامعة جابر بن حياذ العراق.

بريد الكتروني: Salah.Alsarraf@jmu.edu.iq

HNSJ, 2025, 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/10>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/68/10>

تاريخ النشر: 2025/08/01م

تاريخ القبول: 2025/07/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/07/07م

المستخلص

تناولت هذه الدراسة موضوع المشاركة السياسية في العراق بعد عام 2003، مركزة على العوامل المؤثرة في قرار الناخب العراقي في مرحلة ما بعد التحول الديمقراطي. تُعد المشاركة السياسية أحد أركان النظم الديمقراطية، إذ تُعبّر عن وعي المواطنين وإسهامهم في الشأن العام، لا سيما عبر الانتخابات. وقد ركزت الدراسة على مجموعة من العوامل التي تؤثر على سلوك الناخب، من أبرزها وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي، ودور المؤسسة الدينية، والعشيرة، والأسرة، والأصدقاء، والمؤسسات التعليمية، والثقافة السياسية. كما تناول البحث أسباب العزوف عن المشاركة الانتخابية، مثل غياب الثقة بالعملية السياسية، وهيمنة القوى التقليدية، وغياب مرشحين نزيهين. وخلصت الدراسة إلى أن المشاركة السياسية الواسعة تمثل مؤشراً على استقرار النظام السياسي، وتعكس مدى شرعيته وتفاعله مع المواطنين. وأوصت الدراسة بضرورة ترسيخ ثقافة سياسية ديمقراطية، وتعزيز الوعي المجتمعي لضمان مشاركة فاعلة تسهم في بناء نظام سياسي متماسك ومشروع.

الكلمات المفتاحية: المشاركة السياسية، الانتخابات، الناخب العراقي، العوامل المؤثرة، التحول الديمقراطي.

RESEARCH TITLE

Political Participation and the Key Factors Influencing the Iraqi Voter's Decision (Post-2005)

Salah hasan Alsarraf¹

¹ Jabir ibn Hayyan University, Iraq.

Email: Salah.Alsarraf@jmu.edu.iq

HNSJ, 2025, 6(7); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/10>

Arabic Scientific Research Identifier: <https://arsri.org/10000/68/10>

Received at 07/07/2025

Accepted at 15/07/2025

Published at 01/08/2025

Abstract

This study explores political participation in Iraq after 2003, focusing on the key factors influencing the Iraqi voter's decision in the post-democratic transition phase. Political participation is considered a fundamental pillar of democratic systems, reflecting citizens' awareness and engagement in public affairs, especially through elections. The research highlights several influential factors on voter behavior, including media and social media, the role of religious institutions, tribes and clans, family, friends, educational institutions, and political culture. It also addresses the reasons behind voter abstention, such as a lack of trust in the political process, dominance of traditional powers, and the absence of trustworthy candidates. The study concludes that broad political participation is a strong indicator of political system stability and legitimacy. It recommends reinforcing democratic political culture and raising public awareness to ensure effective participation that contributes to building a cohesive and legitimate political system.

Key Words: Political Participation, Elections, Iraqi Voter, Influencing Factors, Democratic Transition.

المقدمة

لا بد من الإشارة أولاً إلى أن السياسة مرتبطة بكل مجتمع، وهي مما لا بد منه مع وجود أي اجتماع بشري، فلا وجود لمجتمع من دون سياسة، والعكس صحيح، فالسياسة هي حكم الدولة وإدارة شؤون الجماعة بالشكل الذي يخدم مصالحهم، ووجدت لإدارة الأفراد وتولي شؤونهم، فهي نتاج لحاجة الفرد للجماعة، لأنه كيان اجتماعي لا يعيش إلا وسط مجموعة اجتماعية.

والمشاركة السياسية هي من أهم مفاهيم النظام السياسي الديمقراطي، ولها تأثير كبير على شرعية النظام ووجوده، وتأثير آخر على المهتمين بالشأن السياسي من أجل البحث في المفهوم وتحليله ومعرفة مستوى مشاركة المجتمع وتعاطيهم معها، عبر مشاركتهم بالانتخابات مثلاً، أو دعمهم ومعارضتهم للنظام السياسي، فمفهوم المشاركة السياسية يشغل مساحة واسعة من تفكير المهتمين بالسياسة، ومن تفكير الماسكين بالسلطة من أجل استقرار النظام السياسي.

وتعد المشاركة مرتكز النظام السياسي الديمقراطي وشرط وجوده وديمومته، وهي روح الممارسة الديمقراطية، فلا حديث عن نظام سياسي ديمقراطي دون مشاركة سياسية للمجتمع، فالمشاركة هي الفعل السياسي للأفراد ومساهماتهم للتعاطي مع العملية السياسية، وعرفها (هيربرت ماركوسكي): بأنها مجموعة النشاطات الإرادية التي يمارسها أفراد المجتمع من أجل اختيار من يحكمهم ويمثلهم، والإسهام في صنع القرارات والسياسات مباشرة أو بشكل غير مباشر⁽¹⁾.

إن كل نشاط سياسي يمارسه الفرد مؤيداً كان أو معارضاً، وضمن إطار النظام السياسي العام يمثل مشاركة سياسية، وانعكاس ديمقراطي لسيادة الشعب واهتمامهم بالشأن العام، وهناك صور متعددة للمشاركة السياسية، فمعرفة ما يجري من أحداث سياسية، والإسهام في تنظيم أو حضور الجلسات السياسية، والترشيح للانتخابات، والتصويت، والانتماء للجمعيات والأحزاب والمنظمات السياسية، كلها وغيرها تمثل صور مختلفة من المشاركة السياسية.

وحدد الباحث دراسة العوامل المؤثرة على المشاركة بالانتخابات كواحدة من أوسع صور المشاركة السياسية للمجتمع، والأشد تأثيراً على العملية السياسية بالأنظمة الديمقراطية، والعملية الدستورية الأقدر على تغيير الماسكين بالسلطة عبر صناديق الاقتراع دون عنف.

أهمية البحث

تتمثل أهمية البحث في تعزيز المعرفة بأهم العوامل المؤثرة على قرار الناخب العراقي بعد عام (2003)، وفهم بيئة الناخب العراقي وخصوصيته، من خلال دراسة طبيعة المؤثرات الاجتماعية والسياسية كالانتماءات العشائرية والطائفية وغيرها، ومدى تأثيرها على اتخاذ القرار لدى الناخب العراقي، فضلاً عن بحث تأثير الأسرة والأصدقاء والمؤسسة الدينية ووسائل الإعلام لتشكيل الوعي السياسي، ومن خلال ذلك يمكن أن تطور الأحزاب ومنظمات المجتمع المدني ومفوضية الانتخابات أساليبها واستراتيجياتها لتوعية المجتمع وزيادة مستوى المشاركة والتأثير.

فرضية البحث

إن المشاركة السياسية في العراق بعد (2003) بشكل عام، وقرار الناخب العراقي بشكل خاص يتأثران سواء سلباً أو إيجاباً بعوامل عدة أهمها: وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي، والمؤسسة الدينية، والعشيرة، والأسرة، والأصدقاء، والمؤسسة التعليمية، والثقافة السياسية.

(1) مولود زايد الطيب، علم الاجتماع السياسي، منشورات جامعة السابغ من أبريل، ليبيا، 2007م، ص 87.

أولاً: مفهوم المشاركة السياسية

هي كلمة مشتقة من اسم المفعول للكلمة اللاتينية (Participate)، المكونة من مقطعين (pars) وتعني (جزء)، و(Compare) وتعني (القيام بـ)، فالمشاركة تعني القيام بدور ما⁽²⁾، أو هي مساهمة الأفراد والجماعات بشكل رسمي وغير رسمي بجميع نشاطات المجتمع السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية من أجل تحقيق الصالح العام، أما السياسة فهي مشتقة من مصدر الفعل (ساس)، وتعني عملية تدبير شؤون الأفراد وتملك أمرهم، والترأس عليهم ونفاذ أمر المترأس فيهم، وقد تستخدم هذه الكلمة لتدل على معان عدة كالقيادة والرئاسة والحكم والترويض⁽³⁾.

والمشاركة السياسية واحدة من أبسط حقوق المواطنة، والعملية التي يضطلع من خلالها المواطن بدور في الحياة السياسية، وفرصة لمشاركته في وضع الأهداف العامة لمجتمعه وتحقيقها، فهي حق للمواطن يؤدي من خلاله دوراً في صناعة القرارات السياسية، وهي لا تقتصر على التصويت في الانتخابات فقط كما يشير (كرستوفر آرترتون و هالان هان) في كتابهما (المشاركة السياسية) بل تشمل جميع الأنشطة السياسية التي تهدف إلى التأثير على أصحاب السلطة وصناع القرار، ومنها التواصل معهم، وتمويل الحملات الانتخابية، والتصويت فيها، والمشاركة في الاجتماعات السياسية ومناقشة القضايا المطروحة وإبداء الرأي بشأنها، ونيل عضوية الأحزاب والعمل ضمن أنشطتها ودعمها وإقناع الغير بتأييدها والتصويت لمرشحها⁽⁴⁾.

ولا بد من وجود ثقافة ديمقراطية وإيمان بالمواطنة وبحرية الشعب، لأن غيابها يعني عدم وجود مشاركة سياسية حقيقية، وكقاعدة أساس لأي حكم تغطيه الشرعية ينبغي اشتراك الحكام والمحكومين بممارسة السلطة، ورضى المحكومين بممارسات الحكام ومشاركتهم الفاعلة في الحياة السياسية عبر المؤسسات الديمقراطية، وبغير هذه المؤسسات التي يجري من خلالها عملية التنافس والتحاور، فلا يمكن الحديث عن وجود ديمقراطية حقيقية وصحيحة⁽⁵⁾، وإن صفة الديمقراطية تستلزم ضمان القانون الانتخابي لحقوق جميع القوى الفاعلة، وعدم حرمان أي مجموعة من حق تشكيل الأحزاب، أو حق الترشيح للمناصب، وإجراء الانتخابات دون تمييز لضمان المساواة السياسية وتكافؤ الفرص بين المشاركين، بمختلف أطيافهم وتوجهاتهم⁽⁶⁾.

إن المشاركة السياسية الفعالة تمثل مظهر الممارسة الديمقراطية وجوهرها، والإسهام الواعي والإرادية في الحياة السياسية، والأساس والعصب الحيوي للنظام الديمقراطي، بل هي التعبير العملي الصريح لوجود الديمقراطية في النظام السياسي، وانعكاس لوجود قيم الحرية والعدالة في مجتمع ذلك النظام، ومؤشر لمعرفة مستوى مشروعيتها، خاصة وأن كل تشكيل سياسي يسعى لضم أكبر قدر ممكن من أفراد المجتمع ودمجهم به لزيادة مساحة نفوذه من جهة، ومن جهة أخرى فإن هناك تناسب طردي بين أعداد المشاركين والمنتمين للتشكيلات السياسية ومستوى استقرار النظام السياسي، فكلما ازداد أعداد المنضمين للتشكيلات السياسية والمشاركين بالعملية السياسية، كلما ارتفع مستوى الاستقرار في النظام السياسي، فضلاً عن إن ازدياد مستوى المشاركة في العملية السياسية يعد تعبيراً حقيقياً عن ارتفاع مستوى ديمقراطية ذلك النظام.

(2) طارق محمد عبد الوهاب، سيكولوجية المشاركة السياسية: مع دراسة في علم النفس السياسي في البيئة العربية، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 1999م، ص106.

(3) سامية بادي، المرأة والمشاركة السياسية في الجزائر، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة الأخوة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2005م، ص26 . 27.

(4) ناجي عبد النور، المدخل في علوم السياسة، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2007م، ص121.

(5) عبد المنعم المشاط، العسكريون والتنمية السياسية في العالم الثالث، مجلة السياسة الدولية، عدد (92)، نيسان 1988م، ص85.

(6) سناء فؤاد عبد الله، القيم السياسية والفلسفة للعملية الانتخابية، مجلة الديمقراطية، العدد (39)، يوليو / تموز 2000م، ص39.

فالمشاركة السياسية تمثل مؤشراً لتفاعلية وصحة العلاقة بين المواطنين والدولة، فكلما عيّرت الدولة عن توجهاتهم ورغباتهم، تزداد المشاركة السلمية والمنظمة للأفراد أو الجماعات في الشؤون العامة، وعبر المؤسسات الطوعية التي ينتمون لها⁽⁷⁾، ولكن ينبغي التمييز بين⁽⁸⁾:

- (1) **المشاركة السياسية التقليدية:** وتعني جميع النشاطات السياسية التي تجري وفق القانون، ومن دون أن يشكك الأفراد بشرعية النظام السياسي القائم، ومن صور تلك الأنشطة (التصويت، والانتماء لحزب ما، والإسهام بحملة انتخابية، والاشتراك بمناقشة سياسية، ومتابعة وسائل الإعلام المختلفة لرصد ما يجري من أحداث سياسية).
- (2) **المشاركة السياسية غير التقليدية:** وتعني جميع أنواع المشاركة الاحتجاجية التي تحاول خرق شرعية النظام السياسي وتعمل على التشكيك به، ومثالها: (المشاركة بالمظاهرات، والإضرابات، والقيام بأعمال البلطجة والعنف، والعمل على احتلال المباني بشكل غير قانوني، واحتجاز الرهائن).

ويُعرف فيليب براو (Philippe Braud) المشاركة السياسية بأنها: مجموعة النشاطات الفردية والجماعية التي يقوم بها المحكومون، وتعطي هذه النشاطات تأثيراً على أداء النظام السياسي⁽⁹⁾، فيما عرفها جوزيف ناي (Joseph Nye) وسيدني فيربا (Sidney Verba) بأنها: النشاطات التي تهدف للتأثير على اختيار الحكام وعلى مهامهم التي يؤدونها، وكذلك التأثير على بعض قرارات السلطة الحاكمة، ويعرف لوسيان باي (Lucian W. Pye) المشاركة السياسية بأنها: اشتراك مجموعة كبيرة من الأفراد والجماعات في الحياة السياسية⁽¹⁰⁾، بينما عرفها صموئيل هنتغتون (Samuel Huntington)⁽¹¹⁾ وجون نيلسون (John Nelson)⁽¹²⁾ بأنها: تلك الأنشطة التي يقوم بها أفراد المجتمع العاديون بهدف التأثير بعملية صناعة القرار الحكومي سواء كانت هذه الأنشطة فردية أو جماعية، بشكل منظم أو عفوي، وقد تكون متواصلة أو متقطعة، وتتم بطريقة سلمية أو عنيفة، وسواء كانت شرعية أو غير شرعية، وفعالة أو غير فعالة، أما عند مايرون واينر (Myron Wiener) فالمشاركة السياسية تعني: كل نشاط طوعي، سواء كان ناجحاً أو غير ناجح، منظماً كان أو غير منظم، بشكل عرضي كان أو مستمر، مستخدماً لأساليب قانونية أو غير قانونية، يهدف هذا النشاط إلى التأثير على السياسة العامة، وإدارة شؤون البلاد، واختيار رجال السلطة على المستوى الحكومي أو المحلي⁽¹³⁾.

وعزّف سعد جمعة المشاركة السياسية بأنها: سلوك تطوعي مكتسب يتعلمه الفرد خلال حياته من تفاعله مع الأسرة والأصدقاء وغيرها من الجماعات المرجعية، وتتوقف ممارسة الفرد للمشاركة السياسية على توفر الدافعية والمقدرة

(7) سعد الدين إبراهيم، المجتمع والدولة في الوطن العربي . مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1996م، ص186.

(8) إلياس ميسوم، وباعلي واسعيد باحمد، التأصيل النظري لمفهوم المشاركة السياسية، المجلة الجزائرية للسياسة والأمن، المجلد (1)، العدد (1)، جانفي . يناير، 2022م، ص87.

(9) فيليب برو، علم الاجتماع السياسي، ترجمة: محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1998م، ص301.

(10) Lucian W. Pye, **Aspect of Development**, Boston. 1966, P.32

(11) Samuel p. Huntington and John Nelson, No easy choice :Political Participation in developing countries, Cambridge, MA, Harvard University Press, 1976, P.3.

(12) ثامر كامل الخرزجي، النظم السياسية الحديثة والسياسات العامة . دراسة معاصرة في استراتيجية إدارة السلطة، دار مجدلاوي، عمان، 2004م ، ص 181 . 182.

(13) Myron Wiener, **Political Participation: Crisis Of Political Process**, in Leorand Binder, eds. (Crisis And Sequences In Political Development (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1971, P.164.

والفرص التي يتيحها المناخ السياسي السائد في المجتمع⁽¹⁴⁾، كما عرفها صالح منسي بأنها: عملية ديناميكية يشترك من خلالها الأفراد بشكل إرادي وواع بالعملية السياسية بهدف التأثير على مسارها العام وبما يحقق المصالح العامة التي تتوافق مع توجهاته وانتمائه، وتتم هذه المشاركة عبر نشاطات مختلفة، وأهمها الانتماء للأحزاب والترشح للمؤسسات التشريعية والتصويت والاهتمام بالحياة السياسية⁽¹⁵⁾، أما (الهرماسي) فيرى بأنها في غالبية بلدان العالم الثالث، تتلخص في تصور سائد للمشاركة يكون قريباً لمفهوم التعبئة منه إلى الممارسة السياسية⁽¹⁶⁾، فيما عرفها إبراهيم أبراش بأنها: إعطاء فرصة للمواطن ليضطلع بدور في الحياة السياسية من خلال مساهماته المختلفة في إصدار القرارات⁽¹⁷⁾، أما أحمد زايد فعرفها بأنها: عملية اجتماعية سياسية، يقوم للفرد عبرها بدور في الحياة السياسية، وتُتاح له الفرصة للمشاركة في صياغة السياسة العامة لبلده عبر تقلده للمناصب السياسية، أو انتمائه لأحد الأحزاب أو الهيئات العامة، أو عبر التصويت أو الترشح في الانتخابات، أو المشاركة في المظاهرات⁽¹⁸⁾.

وعرّفت الموسوعة العالمية للعلوم الاجتماعية المشاركة السياسية بأنها: تلك النشاطات الإرادية التي بمقتضاها يشارك الأفراد في اختيار الحكام، وفي صياغة السياسة العامة للبلاد بشكل مباشر أو غير مباشر، أي اشتراك أفراد المجتمع بمختلف مستويات النظام السياسي⁽¹⁹⁾، أما المعنى الأكثر تداولاً لمفهوم المشاركة السياسية فهو "قدرة المواطن على التعبير العلني والتأثير في اتخاذ القرارات سواء بشكل مباشر أو عن طريق ممثلين يفعلون ذلك"⁽²⁰⁾.

أما الانتخابات التي حددها الباحث كواحدة من أوسع صور المشاركة السياسية فتعرّف على أنها شكل من أشكال عملية المشاركة السياسية، والتي من خلالها يعبر المشاركون فيها عبر ما يُعرف بعملية التصويت عن آرائهم وتوجهاتهم، فهو قيام المواطن بعملية المفاضلة بين عدد من المتقدمين أو المرشحين للانتخابات⁽²¹⁾.

ثانياً: مؤشرات المشاركة السياسية ومردوداتها الإيجابية

1. مؤشرات المشاركة السياسية وخصائص المشارك

يمكن تحديد مؤشرات المشاركة السياسية من خلال تعريفها الذي يقول بأنها: (مشاركة المواطنين بشكل مباشر أو غير مباشر بعملية صنع واتخاذ القرارات في النظام السياسي القائم)، وهذا التعريف يعد واحداً من أدق التعاريف التي يمكن من خلاله أن نحدد مؤشرات مفهوم المشاركة السياسية في المجتمع والتي هي⁽²²⁾:

- أ- حق المواطنين بعملية التصويت والانتخاب.
- ب- حق المواطنين في تولي الوظائف العامة.
- ت- حق المواطنين في الاشتراك بعملية صنع واتخاذ القرار.

(14) سعد جمعة، الشباب والمشاركة السياسية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1984م، ص34.

(15) صالح منسي، المشاركة السياسية للفلاحين، دار الموقف العربي، القاهرة، 1984م، ص12.

(16) محمد عبد الباقي الهرماسي، المجتمع والدولة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، 1987م، ص98.

(17) إبراهيم أبراش، علم الاجتماع السياسي، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 1998م، ص137.

(18) أحمد زايد، مقدمة في الاجتماع السياسي، ط2، دار نهضة مصر، مصر، 2007م، ص172.

(19) بو بكر جيملي، الشباب والمشاركة السياسية في الجزائر، أطروحة دكتوراه، جامعة قسنطينة، 2010، ص58.

(20) ثامر كامل محمد، إشكالية الشرعية والمشاركة وحقوق الإنسان في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد (251)، 2000م، ص117.

(21) مصطفى عبد الله خشيم، موسوعة علم السياسة - مصطلحات مختارة، ط2، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، مصراته، 2004م، ص131.

(22) المصدر السابق، ص419. 420.

ومما تقدم نجد أن للمشاركة السياسية مستويات عدة تمتد من السلبية إلى الإيجابية وذلك تبعاً لاختلاف نظام الحكم من حيث كونه نظام حكم ديمقراطي أو استبدادي.

ويمكننا أيضاً تحديد مؤشرات المشاركة السياسية عبر مفاهيم أخرى ومنها التعريف التالي للمشاركة السياسية الذي يشير إلى إنها: (حرص المواطنين على يؤدي دوراً إيجابياً في العملية السياسية من خلال مزاولتهم لعملية التصويت أو الترشح للمناصب العامة أو الانتماء للمنظمات والأحزاب أو مناقشة قضايا البلد السياسية مع الغير)، ومن التعريف المتقدم يمكن تحديد أهم المؤشرات الدالة على المشاركة السياسية، وهي:

- أ- الترشح للمناصب السياسية والإدارية المهمة وتقلدها.
- ب- الانتماء للأحزاب أو لمنظمات المجتمع المدني.
- ت- الاشتراك بالاجتماعات السياسية ومناقشة القضايا العامة.

والمشاركة السياسية هي تصرف غير عفوي ولا فردي، بل هي نوع من العلاقة الثنائية التفاعلية المقصودة بين المواطن والنسق السياسي، وعند عدم حصول التفاعل والتأثير المتبادل بين الطرفين فلا حديث عن مشاركة سياسية، لأنها ليست عملاً إرادياً ومادياً وطوعياً فحسب، بل هي قيم وعواطف تتحرك في المشارك تدعوه للمساهمة في بناء وطنه، وإرادة داخلية فيه نحو التغيير، وحالة من شعوره بالانتماء لوطنه وإحساسه بحق الوطن عليه، وأن مشاركته حق من حقوقه السياسية، ومن خلالها يمكنه التأثير على سياسة الدولة وتوجهاتها ومن ثم تغييرها⁽²³⁾.

ومما تقدم يمكن للباحث أن يسجل خصائص عدة أو ميزات للمشارك السياسي، وهي:

- أ- أن يتوفر فيه شعور داخلي بالانتماء والولاء للوطن يحفزه للمشاركة في القضايا السياسية كحق للوطن عليه من أجل بنائه ورفعته وتقدمه.
- ب- أن يتوفر فيه الوعي والإلمام والاهتمام بالقضايا السياسية ومناقشتها مع المختصين وغير المختصين، وحضور المؤتمرات والندوات السياسية، وكذلك التي تخص الشأن العام.
- ت- أن يحاول البحث عن حلول للمشكلات ومناقشتها مع الآخرين لتحفيزهم على المشاركة السياسية كجزء من التغيير.
- ث- أن تتوفر لديه القناة بعملية المشاركة السياسية في الانتماء لخط أو توجه ما، بتأييده أو معارضته، وتتوفر لديه الإرادة والعزيمة على المشاركة بهدف التغيير نحو الأفضل والشروع بعملية الإصلاح.
- ج- اهتمام المشارك بالمصلحة العامة كمبدأ سام وهدف أعلى يعمل من أجله، وليس غايته مصالحه الشخصية الضيقة.
- ح- امتلاك المشارك للحكمة ورجاحة العقل وتوفير النضوج الفكري في التعامل مع القضايا السياسية.

2. المردودات الإيجابية للمشاركة السياسية الواسعة

هناك شروط لتحقيق مشاركة سياسية واسعة منها رفع مستوى الوعي، وتحسين الأوضاع الاقتصادية، وتأسيس وسائل إعلام حرة، ومنظمات وأحزاب سياسية ودعمها لاستيعاب القوى السياسية الراغبة بالمشاركة، وتفعيل دور منظمات المجتمع المدني كواحدة من أهم وسائل مراقبة الحكومة، وبعد توفير ما تقدم يمكن الحديث عن مشاركة سياسية جماهيرية

(23) إبراهيم أبراش، مصدر سابق، ص 242.

والتي ستنج (24):

- أ- تحقيق مشاركة شعبية واسعة لرسم السياسة العامة للبلاد وصنع القرار وتنفيذه.
- ب- إعادة المستمرة لهيكل بنية النظام السياسي وتنظيم مؤسساته.
- ت- المشاركة الواسعة مؤشر رئيس على شرعية النظام السياسي.
- ث- المشاركة تتيح للحكومة فرصة معرفة رأي الشعب وتوجهاته.
- ج- توفر المشاركة السياسية حالة من استتباب الأمن والاستقرار لتحقيق التنمية.
- ح- تقضي المشاركة على الاستبداد والانفراد بالسلطة وتحقق الوحدة الوطنية.

ثالثاً: أسباب العزوف عن المشاركة في الانتخابات

لا بد أولاً من الإشارة إلى أن الأمية وتدني مستويات التعليم في العالم الثالث وخلافاً للدول الغربية لا يعد بالضرورة من عناصر العزوف عن المشاركة في الانتخابات، بل إن العكس صحيح، فيجد المتابع نسبة المشاركين في القرى أكثر مقارنة بالمشاركين في المدن على الرغم من ارتفاع مستويات الأمية في القرى، وسبب ذلك هو رغبة القروي في مساندة مرشح لدوافع قبلية وولاء عشائري أو التقرب من النظام الحاكم إن كان المرشح من الموالين له (25)، كما نسجل ميل ذوو الوظائف العليا للمشاركة بمستوى أعلى من ذوي الوظائف الدنيا، ويلاحظ أيضاً أن المرأة عامة أقل ميلاً للمشاركة من الرجل، مع استمرار التطور الاقتصادي والاجتماعي بالعمل على تضيق الهوة بين الجنسين، ولكن لا تزال الزوجة تتبع زوجها والبنات والداها في الغالب بعملية التصويت والانتماء الحزبي، ويضاف لما تقدم تأثر المشاركة السياسية بعمر المشارك، حيث ترتفع نسبة المشاركة بشكل تدريجي مع تقدم عمر المشارك، لتصل أعلى مستوى لها عند العقد الرابع والخامس من العمر ثم تبدأ المشاركة بالتراجع في العقد السادس (26).

ويمكن للباحث أن يحدد أسباب عدة لعزوف المواطنين عن المشاركة في الانتخابات، ومن أهمها:

- أ- **عدم الاهتمام بالقضايا السياسية:** فهناك نسبة كبيرة من المجتمع لا ترغب بالخوض بالأمور السياسية ولأسباب مختلفة تتوزع بين أسباب دينية، أو بسبب أسلوب التنشئة الاجتماعية للفرد، أو بسبب الخوف من تهديد الآخرين في حال الإعلان عن تأييد جهة على حساب أخرى في الانتخابات، وغيرها من الأسباب التي تجعل الفرد ينأى بنفسه عن المشاركة.
- ب- **الشعور بعدم نزاهة العملية الانتخابية:** وهذا الشعور ينتج الإحباط وعدم جدوى المشاركة في الانتخابات، لإحساس الأفراد بعبثية المشاركة، لاعتقادهم بأن العملية الانتخابية عملية شكلية لإضفاء الشرعية على النظام السياسي القائم، فالمقاعد البرلمانية ورئاسة الحكومة والكابينة الوزارية محسوم أمرها مسبقاً، وإن الأصوات داخل الصندوق تختلف تماماً عما يتم الإعلان عنه.
- ت- **هيمنة الأحزاب والتكتلات السياسية الكبيرة:** بسبب نفوذ وقدرات الأحزاب والتكتلات السياسية الكبيرة وعدم فسح المجال للأحزاب الصغيرة، قد يعزف الكثير عن المشاركة في الانتخابات لأنه يتوقع سلفاً بأن لا قيمة لصوته في عملية التغيير واختيار أحزاب جديدة، لمعرفته بعدم إمكانية حصولها على ما يؤهلها للتأثير وتغيير الواقع مع وجود أحزاب كبيرة متنفذة ماسكة بالسلطة.

(24) علي عباس مراد، التنمية السياسية وأزمة المشاركة - مشكلات وتجارب التنمية في العالم الثالث، منشورات دار الحكمة، بغداد، 1990م، ص 67.

(25) ثناء فؤاد عبدالله، الدولة والقوى الاجتماعية في الوطن العربي: علاقات التفاعل والصراع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001م، ص 175.

(26) Thomas M. Magstadt, *understanding politics: Ideas Institutions and Issues*, Sixth Edition, U.S.A, 2003, p. 210.

- ث - **الشعور بفقدان الثقة بالنظام السياسي القائم:** إذ يعتقد البعض بفساد الطبقة السياسية مما يفقده العزم على أهمية المشاركة في الانتخابات، فهو لا يثق بالنظام السياسي فلا يتوفر الدافع للمشاركة.
- ج - **عدم وجود مرشحين من ذوي النزاهة والكفاءة:** قد يعتقد من ينوي المشاركة بعدم وجود مرشح نزيه وكفوء يمثله، أو لا يجد من يعبر عن طموحاته واحتياجاته فيصوت له.
- ح - **عدم وجود الدافع الداخلي والاتكال على مشاركة الآخرين:** إن عدم توفر الوازع الداخلي الذي يدفع للمشاركة كواجب على الفرد اتجاه وطنه بغض النظر عن مستوى سخطه على النظام السياسي القائم بسبب التأثيرات السلبية الاجتماعية المحيطة وقلة الوعي السياسي يدفع للعزوف عن المشاركة، فضلاً عن تكاسل البعض عن المشاركة دون مبررات مقنعة اتكالا على مشاركة الآخرين.

رابعاً: العوامل المؤثرة على قرار الناخب العراقي

إن مستوى وقرار المشاركة في الانتخابات يؤثر عليه عوامل عدة، ومن بين أكثر العوامل المؤثرة هي المتغيرات السياسية، إلى جانب المتغيرات الأخرى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ويمكن أن نجل أهم العوامل المؤثرة على قرار الناخب العراقي بعد عام (2005) بالعوامل الآتية:

1) وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي:

تعد وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي واحدة من أهم المؤسسات والوسائل المؤثرة على قرار الناخب، من خلال تشكيلها للرأي العام وتكوين الاتجاهات نحو المشاركة أو المعارضة، فهناك علاقة ثنائية متشابكة بين وسائل الإعلام والمختلفة التقليدية والحديثة، ومستوى المشاركة السياسية، وينسحب هذا الارتباط على علاقة الديمقراطية بالإعلام، فلا وجود لديمقراطية من دون إعلام حر، ولا وجود لإعلام حر دون ديمقراطية، مع أن الباحث يميل إلى إيجاد الديمقراطية أولاً وهي التي بدورها تُنشئ الإعلام الحر، وليس العكس.

فوسائل الإعلام والتواصل تؤدي وظيفة في التأثير تفوق كل العوامل الأخرى، بل قد تفوق في تأثيرها على الأسرة والأصدقاء والعشيرة والمؤسسة التعليمية والدينية، فمن خلالها يتم توجيه أفراد المجتمع لتكوين رأيهم ومن ثم تحفيزهم على المشاركة، وتحويلهم إلى أغلبية مؤثرة في الانتخابات، ونقلهم من أغلبية صامتة إلى أغلبية فاعلة صانعة للقرار ومؤثرة فيه، أو قد تقوم بتشكيل وعي سياسي يعارض المشاركة في الانتخابات ويدعو لمقاطعتها.

ومن هنا نشير إلى أهم مؤثرات وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي على الناخبين:

- أ - **اضطلاعها بدور كبير في عرض وتحليل القضايا السياسية والبرامج والحملات الانتخابية والوصول السريع للمعلومات، وتوفير فرصة النقاشات السياسية التفاعلية وخاصة وسائل التواصل الاجتماعي المتاحة للجميع، مما يرفع من مستوى الوعي السياسي للأفراد، ويزيد من اهتمامهم بالشأن العام، وما تقدم يوافق نظرية الاعتماد على وسائل الإعلام (media dependency theory) التي قَدَّمها باحثا الاتصالات الأمريكيان (ميلفن ديفلير Melvin I. Defleur وساندرا بول روكيتش sandarac J. Ball Rokeach)، لأول مرة عام (١٩٧٦)⁽²⁷⁾، والتي من بين افتراضاتها: (أن المجتمعات تختلف وفق درجة استقرارها، فكلما ازدادت مستويات الاضطراب وحالة عدم الاستقرار فيها، كلما ازداد اعتماد الأفراد على وسائل الإعلام)⁽²⁸⁾.**

(27) سلوى محمد العوادلي، صورة الولايات المتحدة الأمريكية لدى الشباب الجامعي بعد أحداث 11 سبتمبر: دراسة ميدانية على عينة من طلاب جامعة القاهرة، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، العدد الرابع عشر، يناير . مارس 2002م، ص 143.

(28) Melvin I . Defleur, sandarac J. Ball Rokeach, **Theories of Mass communication**, U. S. A: N. y, long man, 5 Th Ed, 1989, p240.

ب- تركيز وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي على ملفات محددة، فيوجه تفكير المتلقين لما يجب أن يفكروا به وليس ما يقرره المجتمع، وهذا يتوافق مع نظرية ترتيب الأولويات (Agenda-Setting Theory)، ويعد الباحثان (ماكسول ماككمباس Maxwell Mc Mccombs) و (دونالد شو Donald Show) أول من قدم الأساس النظري لهذه النظرية وذلك في عام (1972) بدراستهم لتحديد تأثير وسائل الإعلام على ترتيب أولويات الناخبين في حملة الرئاسة الأمريكية عام (1968)، وأثبت الباحثان قدرة وسائل الإعلام على ترتيب أولويات الرأي العام واهتماماته، مشيرين إلى أن وسائل الإعلام تعد المصدر الأول للمعلومات السياسية، وهي التي تستطيع أن تمد المتلقي بالحقائق والمتغيرات السياسية⁽²⁹⁾.

ت- تعمل من خلال حملاتها الإعلامية الموجهة أو الهاشغائية أو المقاطع القصيرة (الريلز) أو بأدوات تفاعلية سهلة الاستخدام على التحفيز والتأثير العاطفي للمشاركة السياسية والشعور بالواجب الوطني والانتماء السياسي.

(2) المؤسسة الدينية:

العامل الديني بشكل عام والمؤسسة الدينية بشكل خاص لها التأثير الكبير على آراء وتوجهات غالبية الجمهور العراقي، فعلماء الدين في العراق يؤدون دوراً محورياً في الحياة السياسية، وأخذ هذا الدور بتأثيره الفاعل بعد عام (2003). ولا بد هنا من الإشارة إلى الدور المحوري الإيجابي للمرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف متمثلة بسماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني، من خلال خطب الجمعة والبيانات والدعوات للمشاركة في الانتخابات، فكان مطالباً بكتابة دستور دائم عبر مجموعة منتخبة تمثل الشعب، ثم في انتخابات (الجمعية الوطنية عام 2005) وهي الأولى بعد سقوط النظام في (نيسان 2003) وحثه الشعب العراقي على وجوب المشاركة الواسعة والمكثفة في الانتخابات، حيث جاء في بيان مكتبته: (ينبغي للمؤمنين الكرام أن يشاركوا في الانتخابات مشاركة فاعلة، ويختاروا من يتقون بكفاءته وأمانته وحرصه على المصالح العليا للشعب العراقي)، وكذلك في الانتخابات اللاحقة في أعوام (2010، و2014، و2018، و2021) بالدعوة للمشاركة الواسعة والمسؤولة، وعدم انتخاب المجرب الفاشل، والاختيار الواعي، والتحذير من انتخاب الفاسدين، واختيار النزاه والكفاءة والأصلح⁽³⁰⁾.

(3) العشيرة والقبيلة:

تعد العشيرة والقبيلة واحدة من البنى التقليدية الراسخة في أصل المجتمع العراقي، والعشيرة تعني وجود مجموعة من الأفراد يرتبطون نسبياً بجد مشترك، ويرتبطون بعلاقات قرابة فيما بينهم، أما القبيلة فهي تعني وجود مجموعة من العشائر يجمعها نسب واحد⁽³¹⁾.

وللعشيرة والقبيلة في العراق امتداد سياسي وحضور واسع وتاريخ مشرف وتأثير كبير كان وسيبقى، لأنها واحدة من أهم التكوينات الاجتماعية في بيئة المجتمع العراقي، فقد أنتج دورهما تاريخياً تأثيراً محورياً وحتى في الزمن المعاصر، فالعشائر والمرجعية الدينية هما من أكثر العوامل تأثيراً على الشخصية العراقية، فقد كان للعشائر دور واضح منذ تأسيس الدولة العراقية عام (1921)، واستمر لغاية يومنا هذا، فبعد عام (2003) نجد بشكل واضح دفع القبيلة أو العشيرة أبناءها للمشاركة في العملية السياسية أو توجيه خياراتهم في عملية التصويت، ومساندتهم في الانتخابات بدعوة أبناء العشيرة

(29) عزيزة عبده، الإعلام السياسي والرأي العام . دراسة في ترتيب الأولويات، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004، ص102.

(30) راجع: الموقع الرسمي لمكتب سماعة المرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني: <https://www.sistani.org/arabic/statement/26025>.

(31) متعب مناف جاسم، خصائص وسمات المجتمع العراقي، بيت الحكمة، بغداد، 1998، ص4.

وتحفيز غيرهم للتصويت لهم كتوجيه من شيخ العشيرة واجب التنفيذ، وذلك من خلال عقد المؤتمرات لهم في مضائف العشيرة ليتعرف عليهم أبناءها، فضلا عن دعمهم بعد الانتخابات لشغل اللجان البرلمانية أو المناصب الوزارية، ولا بد هنا من القول بأن تأثير العشيرة يزداد على قرار الناخبين كلما كانت الدائرة الانتخابية ضمن بيئة عشائرية.

فالانتماء العشائري يؤثر على القرارات السياسية، فقد يصوت الفرد في العراق بناء على انتمائه العشائري وليس لبرنامج المرشح السياسي، لأنه ينظر لمرشح العشيرة كممثل لها في قبة البرلمان، والتصويت له يعد جزءا من الوفاء للعشيرة والالتزام بتوجيه كبيرها، وفوزه يمثل نصرا لها، حتى مع عدم توفر الكفاءة السياسية للمرشح، وقد تستثمر الأحزاب السياسية النفوذ العشائري باستقطاب مرشح من العشيرة لضمان كسب أصواتها.

(4) الأسرة:

تعد الأسرة في بداية التنشئة الاجتماعية، من أبرز العوامل المؤثرة على قرار الناخبين ومستوى المشاركة السياسية للفرد فيما بعد، فعملية التنشئة الاجتماعية والسياسية لها دور حاسم في توجه قرار الناخب العراقي، لأن نمط التربية التي يتلقاها الفرد من أسرته كأول بيئة اجتماعية له في مراحل تربيته الأولى تشكل عاملا مؤثرا على قراره في المشاركة السياسية لاحقا، فيكتسب غالبا قيم الولاء ومعايير الانتماء السياسي من والديه، عبر المناقشات السياسية التي تدور في أروقة الأسرة، أو من خلال ما يتبناه رب الأسرة من مواقف سياسية اتجاه القضايا المطروحة.

إن المجتمع العراقي من المجتمعات ذات الطابع الأبوي، فيكون لرب الأسرة الأب أو الجد أو الأكبر سنا فيها تأثيرا على القرارات السياسية لأفراد الأسرة ومشاركتهم الانتخابية، والتي غالبا ما يتم احترامها والأخذ بها، فقد يُتوقع تصويت أفراد الأسرة لمرشح يشير رب الأسرة لوجوب انتخابه، سواء كان المرشح من العشيرة، أو الطائفة، أو من الأصدقاء والمعارف، أو ممن يرغب به رب الأسرة بسبب تأثيرات أخرى، ويتم التصويت له دون النظر لكفاءته.

(5) الأصدقاء

يبدأ تأثير الأصدقاء على الفرد في مراحل لاحقة من التنشئة الاجتماعية، فيظهر ذلك على قراره وسلوكه وشكل مشاركته السياسية ومستواها، فمن خلال ما يتلقاه الفرد من ثقافة سياسية من الأصدقاء، وممن يشعر الفرد بقربهم منه والثقة بهم، تتشكل لديه تدرجيا أنماط لسلوكه السياسي وميوله للمشاركة السياسية من عدمها بشكل عام، أو ممارسة العمل السياسي بشكل مباشر من خلال الانتماء للمؤسسات السياسية.

فمن خلال اللقاءات والمناقشات السياسية وتبادل المعلومات بين الأصدقاء، يتشكل لدى الفرد الرأي والتوجه السياسي وتبني موقف ما، فيعمل تأثير الأصدقاء على ترسيخ القناعة السياسية القائمة، أو تغييرها نحو توجه آخر، لأن الأصدقاء جزء مهم من شبكات التأثير على الأفراد، فالفرد لا يتخذ قراره السياسي بمعزل عن الآخرين.

وفي المجتمع العراقي كمجتمع تقليدي، فإن الاختلاف في التوجه السياسي عن مجموعة الأصدقاء قد يؤدي إلى حالة من العزلة الاجتماعية عنهم، لذا قد يتبنى بعض الأفراد توجهات أصدقائهم، ويتخذون نفس قراراتهم الانتخابية في التصويت، على الرغم من عدم قناعتهم الشخصية بتلك المتبنيات والقرارات، لكنها تسير قناعات أصدقائهم.

وهنا لابد من الإشارة إلى أن انخفاض ثقة الأفراد بالمؤسسات الرسمية السياسية والإعلامية تؤدي إلى أن يعتمد الناخب العراقي على مصادر قريبة منه أكثر ثقة للحصول على المعلومات وهم الأسرة والأصدقاء لتحديد قراره الانتخابي، ويضاف لذلك ما مر به العراق من أزمات بعد عام (2003)، عززت الدور التأثيري على قرار الناخب في التصويت

لمرشح ما بتأثير اجتماعي من (الأسرة والأصدقاء والعشيرة والطائفة)، قبال التصويت بشكل عقلاني لمرشح يمتلك الكفاءة والبرنامج الانتخابي المتميز أو ممن له ميزات أخرى.

(6) المؤسسات التعليمية:

للمؤسسات التعليمية في العراق دور مهم بعملية تشكيل الوعي السياسي، والتأثير على قرار الناخب وخاصة فئة الشباب، وذلك عبر إيجاد بيئة معرفية تساعد على اتخاذ الأفراد لقرارات مستنيرة، فمن خلال عدد من المقررات المنهجية في مختلف المراحل الدراسية سواء في المدارس أو الجامعات يتزود الطلبة بمعلومات مهمة عن شكل النظام السياسي وبنود دستور العراق لعام (2005)، وحقوق الإنسان، فضلا عن ما تقوم به الجامعات ومراكز التعليم فيها بتنظيم الندوات وورش العمل حول مفاهيم مثل: (الديمقراطية، ومكافحة الفساد والإرهاب، والانتخابات، وغيرها)، ويضاف لذلك دور أقسام الدراسات العليا في الكليات الإنسانية بوضع الحلول الناجعة لمشكلات النظام السياسي أو لتعديل القانون الانتخابي وغيرها من المشكلات في النظام السياسي، فتكون الجامعات في العراق مراكز مهمة للحوارات الفكرية والسياسية سواء المتحيزة أو المستقلة.

وهنا لا بد من إشارة إلى أهمية أن يبذل المعنيون في وزارتي التربية والتعليم العالي جهدا في متابعة وتحديث واستحداث مناهج دراسية هامة خاصة بالوعي والثقافة السياسية، وبترسخ قيم المواطنة والبادئ الإسلامية والأخلاقية، وبالنزاهة ومكافحة الفساد والإرهاب، وبالتعريف بالدستور العراقي، وغيرها من المقررات الدراسية من خلال مختلف المراحل الدراسية لرفع المستوى الثقافي والسياسي لأبناء المجتمع.

وهناك دور لا مناص من الإشارة إليه وهو أن المفوضية العليا المستقلة للانتخابات في العراق تعمل قبل كل عملية انتخابية على تنظيم العديد من الندوات والفعاليات التعريفية والتثقيفية بالعملية الانتخابية في مختلف المؤسسات ومن بينها الجامعات، فضلا عن توفير الفرق مع معداتهم اللوجستية في المدارس الإعدادية وفي الجامعات والمعاهد من أجل تحديث سجل الناخبين للطلبة وللكوادر التدريسية بكل سهولة ويسر.

(7) الثقافة السياسية:

عرّفت (ماريا يوجينا Maria Eugenia) الثقافة السياسية بأنها (مجموعة من الممارسات الرمزية التي يعبر من خلالها المواطنون عن حالة علاقتهم بالنظام السياسي، ويبيّنون مطالبهم السياسية)، والثقافة السياسية تعكس أنماط تفكير أفراد المجتمع واستجاباتهم النابعة مما يحملونه من قيم تشكل دوافعهم السياسية، من حيث تفاعلهم ومشاركتهم أو رفضهم ومقاطعتهم أو تأييدهم وعدم تأييدهم، وقد نشر عالما السياسة (غابرييل أ尔蒙د Gabriel Almond و سيدني فيربا Sidney Verba) عام (1963) دراسة حول الثقافات السياسية لخمس دول ديمقراطية، هي: (ألمانيا وإيطاليا والمكسيك والمملكة المتحدة والولايات المتحدة)، ووفقا لدراستهما فإنه توجد (3) من الأنواع الأساسية للثقافة السياسية، وهذه الأنواع تُستخدم لتفسير أسباب مشاركة وعدم مشاركة الأفراد في العملية السياسية وهي⁽³²⁾:

أ- **الثقافة السياسية المحلية:** وتجدها عند المكسيك، إذ يُلاحظ في الغالب عدم اطلاع أفراد المجتمع على عمل حكومتهم، وليس لديهم اهتمام بالعملية السياسية.

⁽³²⁾ مارينا أراكليان أرابيان، الثقافة السياسية وتأثيرها في المجتمع، مقال متاح على الموقع الإلكتروني لصحيفة الزمان الدولية: <https://azzaman-iraq.com/content.php?id=100771>، تاريخ الاطلاع (2025/6/4).

ب- **الثقافة السياسية الموضوعية:** وتجدها عند الألمان والإيطاليين، ويُلاحظ إن المواطنين فيهما مطلعين إلى حد ما على أعمال حكومتهم وقد يشاركون في العملية السياسية أحياناً.

ت- **الثقافة السياسية المشاركة:** وتجدها في المملكة المتحدة والولايات المتحدة، ويُلاحظ إن المواطنين فيهما مطلعين على أعمال الحكومة ويشاركون في العملية السياسية بشكل نشط.

إن الثقافة السياسية إحدى مكونات سلوك الأفراد في النظام السياسي والمؤثر المباشر على قرار الناخب، وفي العراق تشكل عاملاً حاسماً لتوجيه قرار الناخب، وقد عانت الثقافة السياسية من مشكلات عدة بسبب ارتباطها بالأيديولوجيات التي تصارعت في العراق وحكمت، مما أسهم غالباً بتشكيل ثقافة سياسية سلبية أو خاضعة، خاصة مع هيمنة الهويات الفرعية (القومية والطائفية والعشائرية) على توجهات الناخب العراقي بعد (2003)، وضعف ثقة الناخبين بالمؤسسات السياسية بسبب ضعف الأداء والفساد والانقسامات، مما انعكس على قرار الناخب بضعف مشاركته، والمطلوب من كل الجهات والمؤسسات المعنية الحكومية وغير الحكومية العمل على تكثيف جهودها لتعزيز حالة الوعي، وبناء ثقافة سياسية وانتخابية واعية، وترسيخ قيم الديمقراطية للوصول إلى مشاركة واسعة ومواطن يشعر بالمسؤولية اتجاه وطنه لبناء نظام ديمقراطي يحقق تطلعات الشعب العراقي.

الاستنتاجات

- إن غياب وجود ثقافة ديمقراطية وإيمان بالمواطنة وبحرية الشعب، يعني عدم وجود مشاركة سياسية حقيقية، وكذلك غياب مؤسسات ديمقراطية لمشاركة المحكومين في الحياة السياسية عبر التنافس والتحاور، يعني عدم وجود ديمقراطية حقيقية وصحيحة.
- هناك شروط لتحقيق مشاركة سياسية واسعة تبدأ برفع مستوى الوعي، وتحسين الأوضاع الاقتصادية، وتأسيس وسائل إعلام حرة، ومنظمات وأحزاب سياسية لاستيعاب القوى الراغبة بالمشاركة، وتفعيل دور منظمات المجتمع المدني كواحدة من أهم وسائل مراقبة الحكومة.
- تعد المشاركة السياسية الواسعة وسيلة لحماية النظام السياسي الديمقراطي من الاستبداد والتسلط، وإن واحدة من أهم مخرجاتها هو استقرار النظام السياسي.
- إن من بين أهم أسباب عزوف العراقيين عن المشاركة في الانتخابات، هي: عدم الاهتمام بالقضايا السياسية، والشعور بعدم نزاهة العملية الانتخابية، وهيمنة الأحزاب والتكتلات السياسية الكبيرة، والشعور بفقدان الثقة بالنظام السياسي القائم، وعدم وجود مرشحين من ذوي النزاهة والكفاءة، فضلاً عن عدم وجود الدافع الداخلي والالتكال على مشاركة الآخرين.
- إن أهم العوامل المؤثرة على قرار الناخب العراقي، هي: وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي والمؤسسة الدينية والعشيرة والأسرة والأصدقاء والمؤسسة التعليمية والثقافة السياسية.

قائمة المصادر العربية

1. إبراهيم أبراش، علم الاجتماع السياسي، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 1998م.
2. أحمد زايد، مقدمة في الاجتماع السياسي، ط2، دار نهضة مصر، مصر، 2007م.
3. إلياس ميسوم، وباعلي واسعيد باحمد، التأصيل النظري لمفهوم المشاركة السياسية، المجلة الجزائرية للسياسة والأمن، المجلد (1)، العدد (1)، جانفي، 2022م.

4. بو بكر جيملي، الشباب والمشاركة السياسية في الجزائر، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة قسنطينة، 2010م.
5. ثامر كامل الخزرجي، النظم السياسية الحديثة والسياسات العامة . دراسة معاصرة في استراتيجية إدارة السلطة، دار مجدلاوي، عمان، 2004م.
6. ثامر كامل محمد، إشكالية الشرعية والمشاركة وحقوق الإنسان في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد (251)، 2000م.
7. ثناء فؤاد عبدالله، الدولة والقوى الاجتماعية في الوطن العربي: علاقات التفاعل والصراع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001م.
8. سامية بادي، المرأة والمشاركة السياسية في الجزائر، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة الأخوة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2005م.
9. سعد الدين إبراهيم، المجتمع والدولة في الوطن العربي . مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1996م.
10. سعد جمعة، الشباب والمشاركة السياسية، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 1984م.
11. سلوى العوادلي، صورة الولايات المتحدة الأمريكية لدى الشباب الجامعي بعد أحداث 11 سبتمبر: دراسة ميدانية على عينة من طلاب جامعة القاهرة، المجلة المصرية لبحوث الإعلام، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، العدد (14)، يناير . مارس 2002م.
12. سناء فؤاد عبدالله، القيم السياسية والفلسفة للعملية الانتخابية، مجلة الديمقراطية، العدد (39)، يوليو - تموز 2000م.
13. صالح منسي، المشاركة السياسية للفلاحين، دار الموقف العربي، القاهرة، 1984م.
14. طارق محمد عبد الوهاب، سيكولوجية المشاركة السياسية: مع دراسة في علم النفس السياسي في البيئة العربية، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 1999م.
15. عبد المنعم المشاط، العسكريون والتنمية السياسية في العالم الثالث، مجلة السياسة الدولية، عدد (92)، نيسان 1988م.
16. عزيزة عبده، الإعلام السياسي والرأي العام . دراسة في ترتيب الأولويات، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004م.
17. علي عباس مراد، التنمية السياسية وأزمة المشاركة . مشكلات وتجارب التنمية في العالم الثالث، منشورات دار الحكمة، بغداد، 1990م.
18. فيليب برو، علم الاجتماع السياسي، ترجمة: محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1998م.
19. مارينا أراكيليان أرابيان، الثقافة السياسية وتأثيرها في المجتمع، مقال متاح على الموقع الإلكتروني لصحيفة الزمان الدولية: <https://azzaman-iraq.com/content.php?id=100771>
20. متعب مناف جاسم، خصائص وسمات المجتمع العراقي، بيت الحكمة، بغداد، 1998.
21. محمد عبد الباقي الهرماسي، المجتمع والدولة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، 1987م.
22. مصطفى عبد الله، موسوعة علم السياسة، ط2، الجماهيرية للنشر، مصراته، 2004م.

23. الموقع الرسمي لمكتب سماعة المرجع الديني الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني:
<https://www.sistani.org/arabic/statement/26025> .
24. مولود زايد الطيب، علم الاجتماع السياسي، منشورات جامعة 7 أبريل، ليبيا، 2007م.
25. ناجي عبدالنور، المدخل في علوم السياسة، دار العلوم للنشر، الجزائر، 2007م.

قائمة المصادر الأجنبية

1. Lucian W. Pye, **Aspect of Development**, Boston. 1966.
2. Melvin I. Defleur, sandarac J. Ball Rokeach, Theories of Mass communication, U. S. A: N. y, long man, 5 Th Ed, 1989 .
3. Myron Wiener, **Political Participation: Crisis Of Political Process**, in Leorand, eds. (Crisis And Sequences In Political Development (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1971.
4. Samuel p. Huntington and John Nelson, **No easy choice :Political Participation in developing countries**, Cambridge, MA, Harvard University Press.
5. Thomas M. Magstadt, **understanding politics: Ideas Institutions and Issues**, Sixth Edition, U.S.A, 2003.

عنوان البحث

الكفاءة المهنية للفاحص الضريبي وأثرها في زيادة كفاءة نظام التقدير الذاتي

هناء بشير نورالدين بشير^{1*}، د. محمد المعتز طه²

¹ وزارة المالية والتخطيط الاقتصادي، ديوان الضرائب، الإدارة العامة للعمليات الفنية، السودان.

بريد الكتروني: Hanaatax2000@gamil.com

² كلية التجارة، جامعة النيلين، السودان. بريد الكتروني: moutaztaha2@gmail.com

HNSJ, 2025, 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/11>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/68/11>

تاريخ النشر: 2025/08/01م

تاريخ القبول: 2025/07/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/07/07م

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل أثر الكفاءة المهنية للفاحص الضريبي في نجاح تطبيق نظام التقدير الذاتي في السودان. يمثل نظام التقدير الذاتي تحولاً جوهرياً في الإدارة الضريبية، يعزز من مبادئ الشفافية والثقة بين الإدارة الضريبية والممولين. وتكمن أهمية الدراسة في الكشف عن دور الفاحص الضريبي في فحص وتقييم القوائم المالية المراجعة، ومدى تأثيره في تحديد الوعاء الضريبي بدقة وعدالة. اعتمدت الدراسة على حالة عملية واقعية لإحدى الشركات السودانية خلال عام الأساس 2007، حيث تم تحليل بياناتها المالية ومقارنتها مع محتوى الإقرار الضريبي وتقارير الفحص. وقد كشفت النتائج أن الكفاءة المهنية دوراً حاسماً في تعزيز مصداقية القوائم المالية، والتقليل من الاختلافات الجوهرية، ورفع مستوى الالتزام الطوعي. وتوصي الدراسة بضرورة تأهيل الفاحصين الضريبيين من خلال التدريب المستمر، واعتماد معايير الفحص التحليلي والمحاسبي الدقيق، وتطبيق نظام معلومات ضريبي متكامل. كما تدعو إلى تفعيل دور المحاسبة في مكافحة التهرب الضريبي، ودمج التقدير الذاتي ضمن إستراتيجيات الإصلاح الضريبي الشامل. وتؤكد النتائج على أن نجاح النظام يعتمد بدرجة كبيرة على كفاءة ومهنية الفاحص في فهم البيئة المحاسبية والضريبية.

الكلمات المفتاحية: الفحص الضريبي، التقدير الذاتي، الكفاءة المهنية، الإفصاح المحاسبي، الوعاء الضريبي.

RESEARCH TITLE

The Professional Competence of the Tax Auditor and Its Impact on Enhancing the Efficiency of the Self-Assessment System

Abstract

This study aims to analyse the impact of the professional competence of tax auditors on the successful implementation of the self-assessment tax system in Sudan. The self-assessment system represents a major transformation in tax administration, fostering transparency and trust between the tax authority and taxpayers. The study emphasizes the importance of the tax auditor's role in reviewing audited financial statements and accurately determining the tax base. A real-world case study of a Sudanese company in 2007 was examined, analysing financial records and tax return data to assess consistency and accuracy. The findings revealed that auditor competence significantly influences the credibility of financial reporting and reduces discrepancies between declared and actual tax liabilities. The study recommends continuous professional training for auditors, implementation of analytical review procedures, and development of integrated tax information systems. Furthermore, the results stress the need for aligning accounting practices with tax policy reforms to minimize tax evasion and ensure fairness. The study concludes that the effectiveness of the self-assessment regime is closely tied to the auditor's technical capacity and familiarity with both financial and tax environments.

Key Words: Tax Audit, Self-Assessment, Professional Competence, Financial Disclosure, Tax Base.

المحور الأول: الإطار المنهجي

مقدمة:

تُعد الضرائب من الأدوات الأساسية التي تستخدمها الدولة لتحقيق الاستقرار المالي والتنمية الاقتصادية، حيث تمثل مصدرًا رئيسيًا للإيرادات العامة، وتساهم في إعادة توزيع الدخل وتقليل الفجوات الاجتماعية (جمهورية السودان، 2006م؛ أبو طبل، د.ت). وقد شهدت الإدارة الضريبية السودانية تحولات جوهرية في بنيتها وتوجهاتها، من أبرزها اعتماد نظام التقدير الذاتي، الذي يهدف إلى تعزيز الثقة بين الممول والإدارة الضريبية، وتقليل التدخلات التقديرية المباشرة، مما يرفع من درجة الالتزام الطوعي (حسن مبارك، 2011م).

في ظل هذا التوجه، تبرز الكفاءة المهنية للفاحص الضريبي بوصفها عاملاً محورياً لضمان دقة فحص الإقرارات الضريبية والقوائم المالية، ولتحقيق العدالة الضريبية. إذ إن فاحصاً غير مؤهل قد يؤدي إلى تقديرات خاطئة، تُضعف من مصداقية النظام وتزيد من النزاعات الضريبية (أحمد الضي، 2016م). وفي إطار الإستراتيجية العامة للدولة والرامية للإصلاح الاقتصادي الشامل تهدف إستراتيجية ديوان الضرائب للتطوير والتحسين المستمر في العملية الضريبية وذلك من خلال تبني مفاهيم الإصلاح الضريبي الشامل الذي يؤدي إلى خدمة المجتمع الضريبي وبناء جسور الثقة مع المتعاملين وقد كان للجان الإصلاح الضريبي التي شكلتها الدولة في الأعوام (1983 - 1987 - 1994 - 2006) دور فعال في هذا المضمار. تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف مدى تأثير كفاءة الفاحص الضريبي على نجاح نظام التقدير الذاتي في السودان، من خلال تحليل دراسة حالة واقعية ودعمها بإطار نظري وتحليل نقدي للدراسات السابقة، مع التركيز على التداخل بين الجوانب المحاسبية والتشريعية والفنية للفحص الضريبي.

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في قيام ديوان الضرائب بإجراء تعديلات على المعلومات المحاسبية المدرجة في القوائم المالية، استناداً إلى افتراض بأن هذه القوائم - رغم مراجعتها - لا تعكس بدقة وعدالة الوضع المالي الحقيقي للمكلفين بضريبة أرباح الأعمال، مما يجعلها، في نظر الإدارة الضريبية، غير كافية لتحديد الوعاء الضريبي بدقة. في المقابل، يرى المكلفون بالضريبة أن الأساليب والإجراءات المتبعة من قبل السلطات الضريبية في قياس وتحديد الوعاء الضريبي انطلاقاً من القوائم المالية المراجعة، تفقر إلى العدالة والدقة.

أهمية الدراسة:

- 1- تأتي أهمية هذه الدراسة من خلال النزاعات الكبيرة التي تحدث بين الممولين وديوان الضرائب فيما يتعلق بتحديد الوعاء الضريبي لضريبة أرباح الأعمال بصورة سليمة وإيجاد الثقة المفقودة بين المتعاملين مع الديوان.
- 2- رفع الكفاءة المهنية للفاحص الضريبي وأثرها في قبول أو رفض الحسابات المراجعة والإقرارات الذاتية كأساس للتحاسب.

- 3- كفاءة الفاحص الضريبي أحد مقومات نجاح تطبيق نظام التقدير الذاتي.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى مجموعة أهداف منها:

- 1- بيان أهمية الكفاءة المهنية للفاحص الضريبي لكل من الإدارة الضريبية ودافعي الضريبة.

2 -بيان أهمية إدخال نظام التقدير الذاتي كأحد الوسائل الرامية للإصلاح الضريبي وتعزيز الثقة لدى المتعاملين.

3 -دراسة أهمية الالتزام بمعايير الإفصاح المحاسبية في القوائم المالية.

4 -بيان أهمية إلمام الفاحص الضريبي بالتشريعات والإجراءات الضريبية التي تحكم فحص الحسابات المراجعة لتطوير العمل وتقديم خدمات أكثر دقة وكفاءة عند تطبيق النظام.

فرضيات الدراسة:

لتحقيق أهداف البحث تم اختبار الفرضيات الآتية:

الفرضية الأولى: تمكن الكفاءة المهنية للفاحص الضريبي من تحديد وعاء ضريبة أرباح الأعمال بصورة سليمة ودقيقة في ظل نظام التقدير الذاتي .

الفرضية الثانية: القوائم المالية المؤيدة بمجموعة دفترية ومستندية تمكن الفاحص الضريبي من تقدير ضريبة أرباح الأعمال بصورة سليمة .

الفرضية الثالثة: يساعد تطبيق نظام التقدير الذاتي على زيادة الكفاءة المهنية للفاحص الضريبي.

منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة على مجموعة من مناهج البحث العلمي منها:

- 1 -المنهج الاستنباطي: في تحديد أبعاد المشكلة وصياغتها واختيار الفرضيات.
- 2 -المنهج الاستقرائي: لاختبار صحة الفرضيات.
- 3 -المنهج التاريخي: لتتبع الدراسات السابقة التي لها علاقة بموضوع البحث.
- 4- المنهج الوصفي التحليلي: باتباع أسلوب دراسة الحالة للتحقق من فرضيات البحث.

المحور الثاني: الدراسات السابقة

تناولت عدد من الدراسات السابقة موضوع العلاقة بين الكفاءة المهنية والممارسات الضريبية، وبرزت من خلالها إشكاليات متعددة حول جودة المعلومات المحاسبية، وفاعلية النظم الضريبية، ومدى موثوقية القوائم المالية كمصدر لتحديد الوعاء الضريبي.

دراسة احسان ادريس محمد النعيم، 2007م:

تناولت الدراسة الضريبة علي القيمة المضافة واثرها علي ايرادات الدولة مقارنة بدولة المغرب حيث تمثلت مشكلة الدراسة في معرفة التأثير المباشر لضريبة القيمة المضافة علي الايرادات وابرار مدي النجاح والقصور الذي صاحب تطبيق الضريبة في السودان بالمقارنة مع دولة المغرب، لتحقيق اهداف الدراسة تم اختبار الفرضيات التالية: الاخذ بنظام الضريبة علي القيمة المضافة يحقق الاصلاح الضريبي، تطبيق الضريبة علي القيمة المضافة يؤدي الي زيادة الايرادات، مدي نجاح تجربة الضريبة علي القيمة المضافة في السودان بعد ان ثبت نجاحها في العديد من الدول المتقدمة والنامية. من اهم النتائج التي توصلت اليها الدراسة: ادخال ضريبة القيمة المضافة بعد الغاء ضرائب المبيعات والانتاج والاستهلاك ادى الي تبسيط النظام الضريبي، الضرائب غير المباشرة أكثر تحقيقاً لمبدأ وقاعدة العدالة كما انها تراعي ظروف الممول، التشريع الضريبي السليم يؤدي الي خلق نظام ضريبي خاص يساهم في زيادة الايرادات وخلق علاقات مميزة بين الجهات

المعنية بتطبيق ضريبة القيمة المضافة.

دراسة كباشي حميدان عبد الله ابراهيم، 2008م:

تناولت الدراسة أثر الخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية على موثوقية ديوان الضرائب بالقوائم المالية للمكلفين بالضريبة في ولاية النيل الأبيض، تمثلت مشكلة البحث في عدم توافر الخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية في القوائم المالية للمكلفين لتكون أساس يعتمد عليه في التحاسب الضريبي، وعدم الإفصاح للمعلومات في القوائم المالية للمكلفين يؤدي الي عدم ثقة ديوان الضرائب. اختبرت الدراسة الفرضيات الآتية: عدم توافر الخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية في القوائم المالية للمكلفين يؤدي الي صعوبة قياس وعاء الضريبة في ديوان الضرائب بولاية النيل الأبيض، عدم توافر الخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية في القوائم المالية للمكلفين يؤدي الي زيادة التهرب الضريبي بولاية النيل الأبيض. توصل البحث الي نتائج اثبتت صحة الفرضيات أهمها: توافر الخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية في القوائم المالية للمكلفين يؤدي الي سهولة قياس وعاء الضريبة في ديوان الضرائب بولاية النيل الأبيض، توافر الخصائص النوعية للمعلومات المحاسبية في القوائم المالية للمكلفين يحد من التهرب الضريبي بولاية النيل الأبيض، الالتزام بتطبيق المعايير والمبادئ المحاسبية بالقوائم المالية للمكلفين يؤثر ايجابا علي سلامة الوعاء الضريبي.

دراسة جبر الله محمد الامين ابراهيم، 2010م:

تناولت الدراسة دور المحاسبة في كشف التهرب الضريبي من خلال التقدير الذاتي. هدفت الدراسة الي بيان دور المعلومات المحاسبية في تقنية العمل الضريبي بما يحقق العائد المتوقع اضافة تحديد المحاور الرئيسية لإعادة صياغة طريقة التقدير الذاتي من خلال تقنيها محاسبيا مع التعرف على ظاهرة التهرب الضريبي من خلال اجراء الدراسات الاكاديمية المتخصصة. اختبرت الدراسة الفرضيات الآتية: توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين اعداد المعلومات الخاصة بالمنشأة وفق طريقة التقدير الذاتي الشامل وبين التهرب الضريبي، الثقافة الضريبية للممولين لها علاقة ذات دلالة إحصائية بالتهرب الضريبي. توصلت الدراسة الى العديد من النتائج منها: زيادة الوعي الضريبي يؤدي الي زيادة الحصيلة الضريبية، اشراك الممول في وضع سياسات التقدير الضريبي يؤدي الي قناعة ورضائه بدفع الضريبة مما يساعد في زيادة الإيرادات، استخدام الطرق المحاسبية في الحصول على المعلومة يقلل من التهرب الضريبي ويزيد الإيرادات.

دراسة هناء بشير نورالدين، 2012م:

تمثلت مشكلة الدراسة في تعديل المعلومات المحاسبية الواردة بالقوائم المالية المراجعة من قبل ديوان الضرائب، هدفت الدراسة إلى عرض مزايا توفير المعلومات المحاسبية بالقوائم المالية المراجعة لكل من الإدارة الضريبية ودافعي الضريبة، وبيان أهمية إدخال نظام التقدير الذاتي كأحد الوسائل الرامية للإصلاح الضريبي.

اختبرت الدراسة مجموعة من الفرضيات التي تؤكد على أن دقة المعلومات المحاسبية المدرجة في القوائم المالية المراجعة تمكن الفاحص الضريبي من تحديد وعاء ضريبة أرباح الأعمال بصورة دقيقة. كما أشارت إلى أن مفتشي ديوان الضرائب في السودان لا يعتمدون بشكل رئيسي على تلك القوائم المحاسبية عند تقدير الضريبة، مما يعكس تحديات في تبنيها كمصدر أساسي. وتبرز الدراسة أن تطبيق نظام التقدير الذاتي يسهم في تحسين جودة المعلومات المحاسبية ويعزز من خصائصها الفنية. وقد أظهرت النتائج أن تحديد الوعاء الضريبي يعتمد بدرجة كبيرة على مدى دقة ومصادقية البيانات المحاسبية. ونتيجة لذلك، تُعد هذه الدراسة تطويراً للدراسات السابقة من خلال ربط الكفاءة المهنية للفاحص بالإطار الفني لتطبيق نظام التقدير الذاتي، بما يمنحها خصوصية وتميزاً في الطرح والتحليل.

تحليل وتقييم الدراسات السابقة وتحديد الفجوة البحثية

شهد الأدب الضريبي عددًا من الدراسات التي تناولت أوجه القصور في نظام التقدير أو الالتزام الضريبي، إلا أن معظمها لم يمنح الكفاءة المهنية للفاحص الضريبي حقها في التحليل. فعلى سبيل المثال، ركزت دراسة النعيم (2007) على الجوانب التشريعية لضريبة القيمة المضافة من خلال المقارنة بين السودان والمغرب، دون التطرق إلى الأبعاد المهنية والإجرائية المرتبطة بفاعلية التطبيق الميداني.

أما دراسة كباشي (2008)، فقد ناقشت ضعف خصائص المعلومات المحاسبية وأثره على فعالية النظام الضريبي، لكنها أغفلت الدور التفاعلي للفاحص الضريبي في التأكد من مصداقية تلك المعلومات. وبنفس المنهج الوصفي، تناولت دراسة جبر الله (2010) العلاقة بين الثقافة الضريبية للممولين والتهرب الضريبي، مركزة على الجانب السلوكي دون التطرق للدور الرقابي للفاحص. وفي السياق ذاته، قدمت الباحثة نفسها (نورالدين، 2012) دراسة حول مدى وفاء القوائم المالية بمتطلبات التقدير الضريبي، لكنها لم تربط بين جودة تلك القوائم وكفاءة الفاحص في تحليلها.

وعليه، تظهر فجوة بحثية واضحة في هذه الأدبيات، حيث لم تُتناول العلاقة بين الكفاءة المهنية للفاحص الضريبي ونجاح نظام التقدير الذاتي بالتحليل العلمي الكافي. وتتميز هذه الدراسة بأنها تسد هذه الفجوة من خلال دمج البعد المهني للفاحص بالتحليل المحاسبي، مع تطبيق عملي على حالة واقعية، مما يمنحها خصوصية وتمايزًا في الإسهام العلمي.

المحور الثالث: الإطار النظري للفحص الضريبي:

أولاً: مفهوم الفحص الضريبي

يعرف البعض الفحص بأنها محاولة البحث والتدقيق في الحسابات والسجلات الخاصة لمنشأة ما عن فترة مالية سابقة بهدف التوصل إلى حقائق معينة عن المركز المالي أو اكتشاف بعض العوامل التي تكون قد أثرت على المركز المالي الماضي أو قد تؤثر عليه مستقبلاً (محمد خير يوسف، 1986م، ص 65).

يري الدكتور عيسى أبو طبل بأن الفحص معناه اتخاذ المحاسب لبعض الإجراءات وقيامه بالدراسات والاستفسارات والاستقصاء والبحث في دفاتر المنشأة وحساباتها عن سنة قائمة أو سنوات بناء على طلب أصحاب المنشأة أو اكتشاف بعض الحقائق وإظهار العوامل التي تكون لها تأثير في المركز المالي حالياً أو مستقبلاً أو إحداث التأثير في الماضي. أما الفحص الضريبي ويطلق عليه أحياناً عبارة تحاسب ضريبي فهي تعني محاسبة مصلحة الضرائب للممولين تمهيداً لربط الضرائب المستحقة عليهم. أي يمكن القول إن الهدف من الفحص الضريبي هو تحديد وعاء الضريبة طبقاً لأحكام التشريع الضريبي وربط الضريبة المستحقة على المنشأة في ضوء القواعد القانونية المعينة (عيسى أبو طبل، د.ت.).

ثانياً: أهداف الفحص الضريبي:

ترتكز عملية الفحص الضريبي على تحليل وفحص المستندات والدفاتر والسجلات المحاسبية، بوصفها المرجع الأساسي في تقييم الإقرارات الضريبية، وذلك بهدف تحقيق مجموعة من الأهداف المحورية، من أبرزها:

توجيه الممولين نحو الالتزام بالتشريعات الضريبية والمعايير الدولية للمحاسبة والمراجعة، بما يضمن التصحيح المستمر لسلوكهم الضريبي.

التأكد من مدى دقة وصحة البيانات المحاسبية المسجلة، ومدى إمكانية الاعتماد عليها في تحديد الأرباح أو الخسائر الحقيقية للمنشأة.

التحقق من انتظام الدفاتر والسجلات من الناحية الشكلية والموضوعية، ومدى توافقها مع القواعد المحاسبية والتشريعية المنظمة لعملية القيد والحفظ.

التأكد من شمول الدفاتر والسجلات لجميع الأنشطة التي يزاولها الممول، وانعكاس أرباحه الفعلية ضمن هذه السجلات. كشف الأخطاء بأنواعها المختلفة سواء كانت حسابية أو كتابية ضمن السجلات والدفاتر المحاسبية.

اكتشاف محاولات التزوير أو التلاعب التي تهدف إلى إخفاء الحقيقة المالية، بما يؤدي إلى التهرب من الضريبة المستحقة.

معالجة البيانات المثبتة في السجلات المحاسبية وفقاً للقوانين الضريبية، بهدف الوصول إلى وعاء ضريبي يعكس الواقع المالي الحقيقي للمنشأة، سواء فيما يتعلق بالدخل المباشر أو غير المباشر.

ويمكن تلخيص تلك الأهداف في الآتي:

أ. تعزيز الالتزام الطوعي من خلال توعية الممولين والمكلفين بحقوقهم وواجباتهم، وتوضيح القواعد المتعلقة بالاحتفاظ بالدفاتر وتقديم الإقرارات والمخالفات المترتبة على عدم الالتزام.

ب. التحقق من فعالية الأنظمة المحاسبية المستخدمة، ومدى دقة المعلومات التي تحتويها، ومدى تطابقها مع المتطلبات القانونية والتنظيمية المعمول بها، خاصة فيما يتعلق بالمكلفين الخاضعين للفحص الانتقائي.

ج. رصد المخالفات وحالات التهرب الضريبي، واتخاذ الإجراءات القانونية الرادعة وفقاً لما تنص عليه القوانين الضريبية.

د. تعزيز الإيرادات العامة للدولة من خلال كشف المبالغ غير المعلنة التي يتم إخفاؤها بطرق غير مشروعة مثل التلاعب أو تقليل قيم الضريبة المستحقة (أحمد الضي عبد الله عثمان، 2016م، ص 34-35).

ثالثاً: مقومات وخطوات الفحص الضريبي:

لغرض القيام بالفحص الضريبي لابد من توافر مجموعة من المقومات تساعد القائمين علي انجاز تلك العملية بالشكل الصحيح وهذه المقومات يمكن تحديدها بالآتي:

1- الفاحص الضريبي:

يعرف الفاحص "بانه مراجع يعمل في مصلحة الضرائب يقوم بفحص الاقرارات الضريبية"، وتبرز اهميته في الوصول الي قياس عادل للمركز المالي للجهة الخاضعة للضريبة من خلال توافر مقومات ومؤهلات علمية وعملية تؤهله للقيام بعمله على أفضل صورة.

2- القانون الضريبي:

ان السياسة الضريبية عبارة عن مجموعة من الاتجاهات العامة التي تعلن عنها الدولة مسبقا بصيغة احكام قانونية يتضمنها التشريع الضريبي للتعبير عن نيتها في تحقيق مجموعة من الاهداف الاجتماعية الاقتصادية والمالية والسياسية لمجتمعها.

3- توافر المعلومات والبيانات عن الوعاء الضريبي:

إذا ما توافرت الخبرة العملية للفاحص الضريبي والقانون الضريبي كان مراعي لقواعد الضريبة بحيث لا يسمح للمكلف ان يتهرب من اداء الضريبة المترتبة بذمته، تتمكن الادارة الضريبية بفرض رقابتها الحصول على المعلومات عن الدخل

باعتبارها الأساس للقيام بالفحص وتحديد نوع ونطاق الفحص. هذا ويتطلب الفحص الضريبي الجيد توفر المعلومات المالية الجيدة وهي المعلومات المالية المناسبة والمفيدة لاتخاذ القرارات الإدارية والاستثمارية ويتطلب الآخر التعرف على كمية ونوعية هذه المعلومات وطريقة عرضها وتصنيفها بالقوائم المالية

4- الوعي الوطني والضريبي للمكلفين:

إن البعد الوطني للضريبة يضع ادائها في مقدمة واجبات المواطنة وواجب اطاعة القانون وتنفيذ احكامه، وبالتالي فإن الاخلال بهذا الواجب الوطني لابد ان ينظر اليه على انه موقف اخلاقي يتنافى مع المسؤولية الاجتماعية والوطنية للفرد تجاه المجتمع والوطن، الا انه مازال الكثير من الناس ينظر الي مخالفة القانون بانها شجاعة والتهرب من الضريبة ذكاء. يرى الباحث ان المشكلة هنا سلوكية أكثر مما هي مشكلة محاسبية وبالتالي نحتاج الي تدريب مكثف لتغيير سلوك وذهنية التعاملين (مجلة الكوت للعلوم الاقتصادية والادارية، 2018م).

رابعاً: انواع الفحص الضريبي

تعدد أنواع الفحص الضريبي طبقاً للزوايا والمعايير التي ينظر لها منها ورغم هذا التعدد تظل الأهداف والقواعد العامة للفحص واحدة ويكون الاختلاف (إن وجد) في التفصيل والإجراءات ومن أهم هذه الأنواع ما يلي:

1- من حيث درجة دورية الفحص:

أ- الفحص الدوري: هو الفحص الذي يتم بصفة دورية ويتكرر في نهاية كل فترة زمنية محددة (في نهاية كل عام) وفقاً لخطط محددة مسبقاً.

ب- فحص عارض (لأغراض خاصة): وهو فحص غير دوري، ويتم بناء على طلبات مقدمة من الممولين أو جهات أخرى داخل المصلحة ويتم وضعها في خطط حسب الأولوية، مثل الحالات التالية :

- التوقف عن النشاط أو تصفية المنشأة.

- المبالغ المسددة بالزيادة تحت حساب الضريبة المستحقة.

- تحقيق البيانات.

- إعادة الفحص.

2- من حيث الأمور القائم بالفحص:

أ- فحص فردي: حيث يقوم فاحص ضريبي واحد ومحدد بفحص إقرار أو ملف الممول.

ب- فحص جماعي: حيث يقوم فريق عمل (من فاحصين وخبراء متخصصين إذا لزم الأمر) بفحص إقرار أو ملف الممول.

3- من حيث خطوات الفحص:

أ- الفحص المكتبي: وهو الفحص الذي يعتمد على الدراسة المكتبية للبيانات المتاحة عن ملف الممول وهو يسبق الفحص الميداني، ومما لا شك أن الدراسة المكتبية الجيدة للممول، والمستندة على قاعدة بيانات داخلية وخارجية شاملة وحديثة قد يغني فبعض الحالات عن الفحص الميداني، وخاصة في ظل سياسة دعم الالتزام الطوعي والتقدير الذاتي . وفي بعض الدول التي نجحت في تطبيق سياسة لا تزيد عن 5 % من المجتمع الضريبي أو الإقرارات الضريبية.

ب- الفحص الميداني: هو الفحص الذي يتم لدفاتر وسجلات الممول ومستنداته وقوائمه المالية، من أجل إبداء الرأي في مدى مصداقية إقراره وخلوه من مخاطر التحريف الجوهرية وبالتالي تحديده الالتزام الضريبي.

4- من حيث عدد الملفات وحجم الإقرارات الخاضعة للفحص:

أ- فحص شامل: يقصد به فحص جميع مفردات المجتمع الضريبي المحددة أو التي تم حصرها، وبصرف النظر عن شكل وحجم منشأة الممول وصغر وكبر حجم معاملاتها، ليون ممول يجب محاسبتهم وربط الضريبة عليهم، فإن جميع ملفات المليون سواء من كان قد قدم إقرار أو لم يقدم يجب فحصها ثم ربط الضريبة عليهم .

ب- فحص انتقائي (عينة الملفات): هو اختيار وفحص نسبة أو عينة من مفردات المجتمع الضريبي، أو من الملفات والإقرارات المقدمة، واعتماد باقي الملفات والإقرارات بدون فحص .وعند اختيار هذه النسبة في الأعوام التالية قد يتم استبعاد الملفات السابق اختيارها في الأعوام الماضية، أو قد لا تستبعد حيث أن الهدف من الفحص الانتقائي هو فحص جميع الملفات والإقرارات.

5- من حيث وحدة الفحص ودرجة التنسيق

أ- فحص ضريبي منسق: هو اجرا الفحص الضريبي للإقرارات الضريبية المختلفة التي تخص الممول الواحد مرة واحدة.

ب- فحص ضريبي مستقل: حيث يتعدد فحص الممول من قبل فاحيين مستقلين دون التنسيق بينهم حسب نوع الضريبة الخاضع لها.

6- من حيث نطاق فحص دفاتر وإقرار الممول الواحد:

أ- فحص تفصيلي: حيث يقوم الفاحص بفحص جميع المستندات والعمليات المسجلة بالدفاتر والحسابات والقوائم المالية.

ب- فحص اختياري: هو اختيار وفحص عدد معين من المستندات والعمليات المسجلة بالدفاتر والحسابات والقوائم المالية.

7- من حيث أسلوب الفحص:

أ- الفحص الحسابي: هو فحص العمليات الحسابية المختلفة من جمع وطرح وضرب ونقل الأرقام.

ب- الفحص المستندي: هو تنفيذ إجراءات الفحص المستندي على العنصر محل الفحص للتأكد من سلامة المستندات، وصحة التوجيه والتسجيل بالدفاتر، وخلال الفترة المالية المختصة.

ج- الفحص التحليلي: هو اجراء الربط والمقارنات لعناصر الإيرادات والمصروفات المسجلة بالدفاتر، واكتشاف ما بها من امور شاذة واسبابها.

8- من حيث اعتماد الفحص علي الدفاتر والمستندات الامينة:

أ- الفحص المعتمد على الدفاتر: هو الفحص الذي ينتهي بتحديد وعاء الضريبة والضريبة المستحقة بناء على اقرار الممول المعتمد على البيانات الفعلية الثابتة في قوائمه المالية ودفاتره المنتظمة والامينة والمؤيدة بالمستندات الصحيحة.

ب- الفحص التقديري: هو الفحص الذي يتحدد فيه وعاء الضريبة عن طريق التقدير، بسبب عدم وجود دفاتر ومستندات غير منتظمة وامينة، او بسبب عدم تقديم الممول لإقراره الضريبي (كامل السيد، 2017م).

المحور الرابع: الإطار النظري للتقدير الذاتي:**أولاً: مفهوم التقدير الذاتي:**

تعتمد الأنظمة الضريبية المعاصرة في إدارتها على مبدأ الالتزام الطوعي، والذي يقوم على أساس أن المكلفين يؤدون التزاماتهم الضريبية بمبادرة ذاتية، دون الحاجة إلى تدخل مباشر ومستمر من قبل الإدارة الضريبية. ويتجسد هذا المبدأ عملياً من خلال ما يُعرف بنظام التقدير الذاتي، حيث يقوم المكلف بإعداد حساباته الختامية وتقديم الإقرار الضريبي باستخدام نماذج مُعتمدة من قبل السلطة الضريبية، ومن ثم يسدد الضريبة المستحقة بناءً على الدخل الذي قام هو نفسه بتحديد. ويُرافق هذا النظام وجود آلية رقابية لاحقة تعتمد على التدقيق الانتقائي لعينة من الإقرارات، وذلك بهدف التحقق من مدى التزام المكلفين وتقاضي حالات التهرب الضريبي، مما يجعل من هذا الأسلوب أحد أدوات الرقابة الفعالة التي توازن بين الثقة بالمولد وتأكد الامتثال. (محمد سلمان، باسم هاني عبود).

يمكن القول إن التقدير الذاتي في أبسط معانيه هو ترك الخيار لدافع الضريبة ووضوح الثقة في تحديد الدخل والضريبة المستحقة عليه. وأيضاً يمكن القول إن نظام التقدير الذاتي هو نظام يقوم فيه الممول بتقدير ضرائب الدخل على نشاطه وذلك وفقاً للقوانين واللوائح والأسس المتبعة بواسطة سلطات الضرائب.

هو نظام يحمل عبء مسؤولية تقديم إقرار صحيح للممول وهو بخلاف التقدير الإداري حيث تتدخل الإدارة الضريبية في تحديد الدخل حتى وإن كان دافع الضريبة قد تقدم بإقرار صحيح مدعم بالمستندات مما يؤدي إلى فقدان الثقة بين الطرفين والدخول في منازعات قد تمتد من مرحلة الأمين العام إلى مرحلة لجنة ضريبة الدخل أو المحكمة (جمهورية السودان، 2006م، ص182). عرف التقدير الذاتي للضريبة في استراليا بأنه النتيجة النهائية لعملية تأكيد دافعي الضريبة لدخلهم الخاضع للضريبة وتحصيل الضريبة المشتقة عن ذلك الدخل (حسن مبارك، 2011م، ص3).

تعتبر طريقة التقدير الذاتي من الطرق المباشرة في تحديد وعاء الضريبة حيث يقوم المكلف بموجب هذه الطريقة بتقديم كشف التقدير الذاتي بنفسه محدداً به دخله الخاضع للضريبة المتحقق له من مصدر أو عدة مصادر ومبيناً فيه مقدار الضريبة المستحقة عليه (محمد سلمان، باسم هاني عبود).

ثانياً: الإطار القانوني لنظام التقدير الذاتي:

التقدير الذاتي أوجبه التعديل الذي طرأ على قانون ضريبة الدخل لسنة 1986م تعديل 2006م والذي صدر بتاريخ 2006/12/20م حيث نص المادة 1/البند 2 على ما يلي:

علي الرغم من أحكام البند (1) يطبق نظام التقدير الذاتي المنصوص عليه من المادة (3/47) على مراحل وذلك من التاريخ الذي يحدده الوزير بموجب أمر يصدره بناء على توصية الأمين العام لكل مرحلة. هذا ويجدر بنا أن نتناول مفهوم التقدير الذاتي هو نظام يقوم فيه الممول بتقدير ضرائب الدخل المفروضة على نشاطه وذلك وفقاً للقوانين واللوائح والأسس المتبعة بواسطة سلطات الضرائب وهو نظام يحمل عبء مسؤولية تقديم إقرار صحيح وتحديد الدخل الخاضع للضريبة للممول وهو بخلاف التقدير الإداري حيث تتدخل الإدارة الضريبة في تحديد الدخل حتى وإن كان دافع الضريبة قد تقدم بإقرار صحيح مدعم بالمستندات مما يؤدي إلى فقدان الثقة بين الطرفين والدخول في منازعات.

ثالثاً: أهمية نظام التقدير الذاتي:

تسعى الدراسات الضريبية إلى تطوير النظام الضريبي من خلال تبني منهجيات علمية حديثة، يُعد من أبرزها أسلوب التقدير الذاتي، الذي انعكس بشكل إيجابي على كفاءة المحاسبة الضريبية وجودة الخدمات المقدمة للمكلفين. ويتطلب تطبيق هذا النظام إصلاحاً متوازياً لكل من الإطار التشريعي والإداري؛ حيث يُعد القانون الضريبي حجر الأساس، وتأتي

الإدارة الضريبية كجهة تنفيذية تُفَعِّل هذه القوانين. ويُسهّم هذا التكامل في ترسيخ مفاهيم الالتزام الضريبي وتعزيز الوعي لدى المكلفين، من خلال تبسيط الإجراءات وتحديث البنية المؤسسية بما يتماشى مع المتغيرات المحلية والدولية. وفي إطار ضريبة الدخل، يبرز التحدي الأساسي أمام الإدارة الضريبية في دقة تحديد الوعاء الضريبي الذي تُفرض عليه الضريبة (خليل عواد أبو حشيش).

تبرز أهمية نظام التقدير الذاتي من خلال الفوائد التالية:

تقليل التكاليف المرتبطة بعملية تقدير الدخل وتحقيق الضريبة، مقارنة بالأنظمة التقليدية التي تتطلب موارد وجهودًا مضاعفة.

الاستغناء عن التقدير الجزافي الذي قد يؤدي إلى ظلم المكلفين، وإيجاد بديل أكثر عدالة يأخذ بعين الاعتبار ظروفهم الخاصة.

تعزيز الثقة المتبادلة بين الإدارة الضريبية والمكلفين، مما يساهم في تقليص فجوة عدم الثقة التي خلفتها الأساليب التقليدية، ويشجع على الامتثال الطوعي.

تحقيق كفاءة زمنية من خلال تقليص الوقت الذي تستغرقه عمليات التقدير والتحصيل، إذ تقتصر الإجراءات في هذا النظام على تقديم الإقرار السنوي مرفقًا بالبيانات المالية والمستندات المطلوبة.

الحد من الفساد الإداري عبر تقليص فرص الاحتكاك المباشر بين المكلفين والموظفين، إذ يتحمل المكلف مسؤولية تحديد وعائه الضريبي بنفسه، مما يحد من محاولات التأثير غير المشروع على القرارات الضريبية.

رابعاً: أهداف نظام التقدير الذاتي:

إن تطبيق نظام التقدير الذاتي يحقق العديد من المزايا للإدارة الضريبية وللممولين والمكلفين التي من أهمها:

1- تحسين ورفع درجة الالتزام الطوعي أو الامتثال الضريبي:

ترتكز الأنظمة الضريبية الحديثة على مبدأ الامتثال الطوعي، الذي يُعنى بأن يقوم المكلفون بأداء التزاماتهم الضريبية بمبادرة ذاتية دون تدخل مباشر من السلطات الضريبية، مما يعكس مستوى من الثقة المتبادلة بين الطرفين. ويتجسد هذا الامتثال من خلال نظام التقدير الذاتي، الذي يتيح للمكلف إعداد حساباته الختامية وتقديمها عبر نماذج معدة من قبل الإدارة الضريبية، ثم دفع الضريبة المستحقة بناءً على دخله المصرح به.

ويُعد الامتثال الطوعي أحد المرتكزات الأساسية في هذا النظام، حيث يقيس مدى التزام المكلفين بتقديم إقرارات ضريبية صحيحة، ومكتملة، وفي المواعيد القانونية المحددة. ويُفترض في المكلف، وفق هذا المفهوم، أن يتحمل المسؤولية الكاملة في عملية ربط الضريبة، من خلال الالتزام بثلاثة واجبات رئيسية:

أ. تقديم الإقرار الضريبي في الوقت القانوني المحدد.

ب. الإفصاح بدقة عن جميع البيانات المالية الواردة في الإقرار.

ج. سداد الضريبة المستحقة طوعية دون تأخير.

وقد أشار أحمد الضي عبد الله عثمان (2016، ص 90-91) إلى أن الامتثال الطوعي يمثل انعكاسًا للجوانب الاقتصادية والسلوكية لدى دافعي الضرائب، ويُعد أداة رئيسية لتحقيق أهداف السياسة الضريبية. ومن هنا جاءت أهمية دراسة هذا

المفهوم كونه ركيزة لتفعيل نظام التقدير الذاتي، الذي يضع عبء الربط الضريبي على عاتق المكلف، ويحفزه على الالتزام الذاتي دون الحاجة لتدخلات ميدانية مباشرة.

فوائد إضافية لنظام التقدير الذاتي:

رفع كفاءة التحصيل الضريبي:

يساعد هذا النظام على تسريع عملية جمع الإيرادات وتحقيق وفورات مالية مبكرة، وهو ما يُعد هدفًا ماليًا محوريًا لتعزيز الموازنة العامة وتقادي التضخم المالي.

تطوير منهجية المحاسب الضريبي:

يسهم التقدير الذاتي في تحسين أساليب المحاسبة الضريبية، من خلال الانتقال من نماذج تقليدية تعتمد على الاجتهادات الشخصية، إلى نماذج علمية حديثة تعتمد على البيانات الفعلية للمكلف، مما ينعكس إيجابًا على بناء علاقة شفافة ومستقرة بين الإدارة الضريبية ودافعي الضرائب.

كما يُمكن هذا النظام من تحقيق العدالة الضريبية من خلال تكيف الوعاء الضريبي وفقًا للظروف الفعلية لكل ممول، بدلاً من الاعتماد على التقدير الجزافي أو الافتراضات العامة، الأمر الذي يعزز ثقة المكلف في عدالة النظام الضريبي ويزيد من رغبته في الالتزام.

4- خلق نوع من الشفافية والمصادقية:

بدأ تطبيق نظام التقدير الذاتي اعتباراً من سنة الأساس 2007 والذي تزامن مع الإرباح في العام 2008م (سنة الأساس 2007م) ويعتبر هذا التخفيض من أهم عوامل نجاح النظام واحد مقوماته حيث أنه لا بد أن يكون السعر الضريبي مشجع ليتمكن الشريك من أعداد حساباته بشفافية ومصادقية وعكس ذلك في الإقرار الضريبي فالسعر العالي يكون في كثير من الأحيان مدعاة للتهرب الضريبي والتلاعب في الحسابات وخلق عدم الالتزام وكذلك فإن قبول الإقرار الضريبي دون تدخل من الإدارة الضريبية مالم يثبت العكس قد ساهم خلق نوع من الشفافية والمصادقية. تخفيض السعر الضريبي لضريبة إرباح الأعمال من 30% إلى 15% من صافي

5- الحد من الاستثناءات والطعون:

يحق للممول والمكلف أن يعترض على التقدير الصادر إذا راي أن فيه زيادة أو خطأ ويتقدم باعتراضه الي الدائرة المختصة خلال الفترة المحددة قانوناً بعد استيفاء الشروط الشكلية والقانونية، كلما ما كانت التقديرات مؤسسة ومبنية على نتائج فحص ومراجعة كلما قلت شقة الخلاف بين الديوان ودافعي الضريبة وبالتالي كان النظام أكثر فعالية في تقليل النزاعات وتحقيق أهدافه. كما أنه في ظل نظام التقدير الذاتي ليست هنالك حاجة للفحص والتدقيق لكافة الممولين كما هو الحال في نظام التقدير الإداري حيث يتم التركيز على الأقلية من الممولين الذين يمثلون مصدر خطر لعدم التزامهم مما يقلل عدد الاستثناءات المقدمة (حسن مبارك علي، 2011م، ص3).

6- تطوير مهنة المحاسبة:

يسهم نظام التقدير الذاتي في تهيئة بيئة مناسبة تعيد لمهنة المحاسبة والمراجعة ما فقدته من مكانة وتأثير، لا سيما على مستوى المعايير الفنية والأخلاقية التي تأثرت بفعل النماذج التقليدية. ففي ظل هذا النظام، تصبح البيانات المالية الناتجة عن العمليات المحاسبية حجر الزاوية في تحديد الوعاء الضريبي، ومن ثم تحديد ضريبة الدخل المستحقة. وبالتالي،

يكتسب العمل المحاسبي - بدءاً من التوثيق والتسجيل، مروراً بإعداد التقارير المالية، ووصولاً إلى تدقيقها وإبداء الرأي بشأنها - أهمية متزايدة، نابعة من اعتماد الجهات الضريبية على هذه المخرجات كأساس لإجراء التقديرات وتحقيق الإيرادات.

7 - تخفيض تكلفة الإدارة الضريبية:

يُعد نظام التقدير الذاتي وسيلة فعالة لتقليص التكاليف التشغيلية المرتبطة بتقدير وتحقيق وجباية الضرائب، مقارنة بالأنظمة الأخرى التي تتطلب تدخلاً مباشراً ومستمرّاً من الإدارة الضريبية. ففي هذا النظام، تُخصص الموارد فقط للفحص الانتقائي للحالات ذات المخاطر العالية، ما يخفف من العبء الإداري ويُسهل في توجيه الجهود نحو الملفات التي تستدعي التدقيق، مما يعزز الكفاءة التشغيلية ويوفر نفقات إضافية على الدولة.

8- إعادة تخصيص الموارد المتاحة لدى الإدارة الضريبية:

نجد أنه وفي ظل نظام التقدير الذاتي أن الإقرار الضريبي الذاتي هو الأصل في ربط الضريبة على أرباح الأعمال حيث يعتبر الإقرار نفسه ربطاً للضريبة والتزاماً على الممول بادلها في موعد تقديم الإقرار وعلى الديوان قبول الإقرار الضريبي الذاتي مع التزام الممول بسداد الضريبة المقر عنها في الموعد المحدد. وتتجسد مسؤولية الإدارة الضريبية على الفحص الضريبي للحالات التي يتم اختيارها وذلك وفقاً لمعايير تحليل المخاطر وهو بخلاف ما يحدث في ظل التقدير الإداري حيث يتم تقدير كل الممولين وبالتالي يكون الفحص لكل الملفات ولكن بإدخال نظام التقدير الذاتي يمكن الاستفادة من الموارد المتاحة في إدارة التقدير وتوجيهها نحو الفحص والتدقيق مما ينعكس إيجاباً في نتائج المراجعة.

9- تحسين العلاقة بين الإدارة الضريبية ودافعي الضريبة وتمديد جسور الثقة بين الطرفين:

في إطار الهيكل التنظيمي الجديد للديوان الضرائب السوداني القائم على أساس المهام وإدخال نظام التقدير الذاتي تم إنشاء إدارات لخدمات المكلفين ودافعي الضريبة وذلك لتقديم خدمات جيدة ومتكاملة وذلك من خلال:

أ- الاتصال والحوار مع المتعاملين.

ب- التوعية والتثقيف.

ج- تزويد المتعاملين بالقوانين واللوائح والمنشورات والمطبقات.

د- توفير الخدمات مثل التلفون، الفاكس، الانترنت والتصوير.

هـ- عمل الدراسات اللازمة لتحديد احتياجات المتعاملين.

هذا ويرى البعض أن التقدير الذاتي وسيلة جمعت بين الإقرار الضريبي والاتفاق في آن واحد، والتي حققت أيضاً أهدافاً اجتماعية واقتصادية ساهمت في التنمية مما أدى إلى تحقيق الأهداف الآتية (رياض ممدوح الحلبي، 2001م، ص161):

أ- تحقيق أهداف اقتصادية من خلال المساهمة في تمويل نفقات الدولة.

ب- تحقيق أهداف اجتماعية بحيث تفرض الضريبة تصاعدياً مما يؤدي إلى التوازن بين الدخل وتوزيع الثروات وإعادتها للمكلفين على شكل خدمات.

ج- تحقيق التوازن بين حاجة الدولة ومقدرة المكلف على الدفع بما يحقق العدالة.

المحور الخامس: تحليل البيانات واختبار الفرضيات

حالة عملية للشركة (س)

أولاً: بيانات الشركة (س) للسنة المنتهية في 2007/12/31

جدول (1) قائمة المركز المالي للشركة (س) للسنة المنتهية في 2007/12/31

الأصول	الإيضاحات	العام 2007 / جنييه	العام 2006 / جنييه
الأصول المتداولة			
أرصدة النقدية والبنوك	3	4.980.360	751.492
أوراق الشركة قبض	4	3.142.921	9.706.393
مخزونات	5	10.500.138	21.700.011
مدفوعات مقدمة		1.575.702	1.062.427
أصول أخرى	6	20.199.121	33.220.323
الأصول الثابتة:			
الممتلكات والمعدات	7	9.115.478	2.866.349
مشروعات تحت التنفيذ	8	0	5.840.248
مجموع الأصول		29.314.599	41.926.920
الالتزامات			
الالتزامات المتداولة:			
مصروفات مستحقة والتزامات جارية أخرى	9	1.900.395	3.276.743
مستحقات للأطراف ذات العلاقة	10	25.509.767	31.111.825
مجموع الالتزامات		27.410.162	34.388.568
الالتزامات طويلة الأجل			
التزامات طويلة الأجل أخرى	11	583.817	522.389
مجموع الالتزامات		27.993.979	34.910.957
حقوق المساهمين			
رأس المال	12	25.000	25.000
أرباح مرحلة		6.990.963	4.700.264
		(5.695.343)	2.290.699
صافي الدخل للعام		1.320.620	7.015.963
إجمالي الالتزامات وحقوق المساهمين		29.314.599	41.926.920

المصدر: إعداد الباحثة بالاعتماد على بيانات الشركة س، 2018م

ثانياً: قائمة الدخل عن السنة المنتهية في 2007/12/13م

جدول (2) قائمة الدخل عن السنة المنتهية في 2007/12/13م

البيان	إيضاح	جنيه	جنيه
المبيعات: -			
صافي المبيعات = إجمالي المبيعات - (خصم مسموح به + مردودات المبيعات)			21.442.942
مبيعات الصادر			-
إجمالي المبيعات			21.442.942
تكلفة المبيعات: -			
بضاعة أول المدة			22.038.271
(+) تكلفة المشتريات المحلية خلال السنة			533.552
(+) تكلفة المشتريات المستوردة خلال السنة			7.648.149
جملة المشتريات			30.219.972
(-) بضاعة آخر المدة			10.770.195
تكلفة المبيعات			19.449.777
إجمالي الأرباح			1.993.165
هامش الربح كنسبة مئوية من تكلفة المبيعات %			10.25%
(+) الإيرادات الأخرى	1		858.834
(-) المصروفات العمومية والإدارية	2		8.547.342
صافي الربح / الخسارة			(5.695.343)

المصدر: إعداد الباحثة بالاعتماد على بيانات الشركة س، 2018م

ثالثاً: الإقرار الضريبي للنشاط التجاري لشركة س عن السنة المالية المنتهية في 2007/12/31م

جدول (3) الإقرار الضريبي للنشاط التجاري لشركة س عن السنة المالية المنتهية في 2007/12/31م

البيان	إيضاح	جنيه	جنيه
صافي الربح / الخسارة			(5.695.343)
يضاف إلى صافي الربح ويخصم من صافي الخسارة المحاسبية البنود التالية:			
التبرعات والإعانات	3		23.713
أي ضريبة على الدخل	4		22.526
أي احتياطات أو مخصصات فيما عدا التي يسمح بها القانون	5		3.248.289
الغرامات والتعويضات	6		2.074

		7	الديون المدومة غير المستوفاة لشروط الخصم
			مكافأة مجلس الإدارة الظاهرة بالحسابات
	44.946		مبالغ لم تدرج ضمن قائمة الدخل وتعد من الإيرادات الخاضعة للضريبة
	741.796	8	قيمة استهلاكات الأصول الثابتة المادية والمعنوية
			أي مصروف من رأس المال أو أي خسارة أو تخفيض أو استغراق لرأس المال
		9	تكلفة الاقتراض غير المستوفاة لشروط الخصم
			أي مصروفات أو الخسائر مما يجوز تغطيته بموجب أي تأمين أو عقد أو تعويض
	29.000	10	المصروفات الشخصية
			أتعاب المديرين المتفرغين غير المستوفاة لشروط الخصم
		11	الخسائر المرحلة غير المستوفاة لشروط الخصم
4.112.344	4.112.344		إجمالي البنود المضافة لصافي الربح أو المخصومة من الخسارة المحاسبية
(1.582.999)			إجمالي الربح/ الخسارة الضريبة
			بنود تخصم من إجمالي الربح الضريبي أو تضاف لإجمالي الخسارة الضريبية: -
	483.976		قيمة الاستهلاكات المحسوبة طبقاً للنسب الواردة في اللائحة ووفقاً للقيمة التاريخية وعلى طريقة القسط الثابت.
	4.403	12	ديون مدومة تتوافر فيها شروط الخصم وتم خصمها من المخصص
		13	مخصصات سبق خضوعها للضريبة
	238.111	14	المستخدم من المخصص لمواجهة تكاليف واجبة الخصم
			التبرعات والإعلانات المسموح بها
		15	مكافأة مجلس الإدارة وفقاً للقانون
			الخسائر المرحلة والمستوفاة لشروط الخصم
726.490	726.490		إجمالي بنود تخصم من إجمالي الربح الضريبي أو تضاف لإجمالي الخسارة الضريبية
(2.309.489)			صافي الربح الضريبي أو الخسارة الضريبة المعدلة

المصدر: بيانات الإقرار الضريبي لنشاط الشركة المقدمة لديوان الضرائب عن السنة المنتهية في 2007/12/31م

ثانياً: دراسة وتحليل البيانات المالية للشركة س للعام 2007م:

القوائم المالية عن السنة المالية المنتهية في 2007/12/31 وهي سنة الأساس لتطبيق نظام التقدير الذاتي هذا وقد تم قبول الاقرار الضريبي الذاتي المدعم بها. تم مراجعة وفحص الميزانية للعام 2007م وقائمة الدخل وقائمة الأرباح والخسائر والإيضاحات المرفقة مع الميزانية. وتم أيضاً فحص الإقرار الضريبي الذاتي للشركة للعام 2007م وذلك بواسطة الفاحص الضريبي المختص وقد أسفرت نتائج الفحص والمراجعة عن الآتي: -

1. إن الشركة لديها نظام محاسبي آلي جيد يمكن الاعتماد على الا ان الإجراء المحاسبي المتبع عند تعديل القيمة الدفترية للمخزون لا يتميز بالإفصاح الشامل وتوجد أخطاء عبارة عن أخطاء محاسبية وفنية ولا يوجد تهرب ضريبي وقد تمثلت هذه الأخطاء في الآتي: -

ا. معالجة المخزون ومخصص هبوط أسعار المخزون في الحسابات المراجعة بصورة غير سليمة وعدم إتباع طريقة واضحة ومحددة، هذا وقد قامت الشركة بإظهار المخزونات الصافية بعد خصم المخصص المتراكم في قائمة الدخل حيث بلغت المخزونات في 2007/12/31 مبلغ 15.936.134 جنية مخصوماً منها مخصص هبوط الأسعار (تقادم مخزونات) بمبلغ 5.435.996 جنية كذلك تم إدراج الزيادة في رصيد المخصص في قائمة الدخل والبالغ قدره 3.248.289 جنية.

هذا وبالرجوع إلى طرق معالجة الانخفاض في القيمة السوقية للمخزون السلعي عن تكلفة الشراء الأصلية لهذا المخزون تعتبر طريقة تقويم المخزون السلعي على أساس التكلفة أو سعر السوق أيهما تحولاً هاماً عن المبدأ المحاسبي المتعارف عليه (التكلفة التاريخية) حيث انه يجب تسجيل الخسائر الناتجة عن هبوط قيمة المخزون بسبب التلف أو الضياع أو تغير الأسعار القياسية أو التقادم في حساب الدخل وتخفيض قيمة المخزون السلعي لتعكس القيمة الواقعية بدلاً عن التكلفة الأصلية للحصول عليه.

القاعدة المحاسبية العامة هنا تنص على الآتي: (يجب التخلي عن مبدأ التكلفة التاريخية عندما يفقد الأصل منفعته المستقبلية (المقدرة على إنتاج الإيرادات) حيث تفوق تكلفته الأصلية تلك المنفعة). إن الإجراء المحاسبي الصحيح المتبع عند تعديل القيمة الدفترية للمخزون والذي يتميز بالإفصاح الشامل عن الخسائر الناتجة من هبوط القيمة السوقية للمخزون خلال الفترة هو أن يتم فتح حساب مستقل لتسجيل الفرق بين القيمة الدفترية والسوقية باعتباره مخصص لهبوط القيمة السوقية للمخزون فيتم جعل حساب المخصص دائناً وفقاً للقيود التالية:

من /حساب المخزون السلعي إلى /حساب تكلفة السلع المباعة (أو حساب الدخل).

- خسارة هبوط القيمة السوقية للمخزون.

- مخصص هبوط القيمة السوقية.

(تسجيل هبوط القيمة السوقية للمخزون ويعتبر حساب المخصص أحد الحسابات المقابلة وي طرح من تكلفة المخزون في الميزانية) هذا ويمكن اعتبار الفرق بين الرصيد الدائن لحساب المخصص أول الفترة والرصيد في نهاية الفترة خسائر تخص الفترة الحالية وتؤثر على حساب الدخل.

ب. عدم الالتزام بخصم ضريبة على القيمة المضافة vat بعد الخصم في فواتير بيع الاسبيرات وذلك عدم الإفصاح عن المبيعات والخصم بصورة واضحة وفقاً لقانون الضريبة على القيمة المضافة لسنة 2001 ولائحته لسنة 2000 حيث تقبل

الخصومات التجارية المتعارف عليها والخصم النقدي المعلق على شرط عند تحديد قيمة السلعة أو الخدمة الخاضعة للضريبة أو إجراء التسويات الخاصة بها، وذلك في حالة ما إذا كان البيع من مكلف إلى مشتر مستقل كل منهما عن الآخر بحيث يكون وعاء الضريبة هو القيمة الحقيقية للسلعة أو الخدمة.

ج. معالجة الضريبة على الأتعاب technical management بصورة غير صحيحة.

حيث أن الشركة تتحمل الضريبة المدفوعة على الأتعاب للإدارة التقنية (مدفوعات لجهات خارجية) وبالتالي يجب أن تكون المعالجة باعتبار أن الضريبة المدفوعة تعتبر ضريبة للجهة المدفوعة وبالتالي يفترض أن يضاف مبلغ الضريبة ويخضع الوعاء بما فيه الضريبة.

هذا ويرى الباحث ان الكفاءة المهنية للفاحص الضريبي تمكن من تحديد وعاء ضريبة ارباح الاعمال بصورة سليمة وذلك لوجود معالجات محاسبية تتعلق بالإفصاح الشامل مثال المعالجة التصحيحية للمخزون ومخصص هبوط أسعار المخزون في الحسابات المراجعة في البند (1) اضافة لوجود معالجات فنية تتعلق بالإفصاح المحاسبي الضريبي عند تحويل الربح المحاسبي إلى ربح ضريبي وفقاً لقوانين الضرائب مثال المعالجة التصحيحية للبند (2) و(3). مع اعتماد مفتشي ديوان الضرائب على المعلومات المحاسبية الواردة بالقوائم المالية المراجعة والمؤيدة بالمستندات بصورة أساسية في تقدير ضريبة أرباح الأعمال عند تطبيق نظام التقدير الذاتي.

وهذه النتيجة تثبت صحة الفرضية الاولى التي تنص على: تمكن الكفاءة المهنية للفاحص الضريبي من تحديد وعاء ضريبة أرباح الأعمال بصورة سليمة ودقيقة في ظل نظام التقدير الذاتي.

والفرضية الثانية التي تنص على: القوائم المالية المؤيدة بمتطلبات الإفصاح المحاسبي الضريبي تمكن الفاحص الضريبي من تقدير ضريبة أرباح الأعمال بصورة سليمة.

والفرضية الثالثة التي تنص على: يساعد تطبيق نظام التقدير الذاتي على زيادة الكفاءة المهنية للفاحص الضريبي.

المحور السادس: النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج منها:

1- تحديد وعاء ضريبة أرباح الأعمال في ظل نظام التقدير الذاتي يعتمد بشكل أساسي على الكفاءة المهنية للفاحص الضريبي والمقدرة على الفحص والتدقيق للمعلومات الواردة بالقوائم المالية.

2- عدم اعتماد كثير من البنود الواردة بالقوائم المالية لعدم الإفصاح المحاسبي الضريبي التام.

3- عدم وجود المستندات والدفاتر المالية المنتظمة والمكتملة المؤيدة للقوائم المالية يضعف الثقة بها وان كانت حائزة على كافة الشروط القانونية.

4- عدم التزام المراجعين بالمعايير والمبادئ المتعارف عليها عدم الإفصاح عن عدم التزام الادارة بتطبيق معايير الإفصاح المحاسبي الضريبي.

5- إتباع أساليب الفحص والتدقيق لضريبة أرباح الأعمال في ظل نظام التقدير الذاتي والتي تقوم علمياً وعملياً على المعلومات الواردة بالقوائم المالية وعلى المستندات والدفاتر المؤيدة يعزز من كفاءة الفاحص الضريبي ويغلق الباب أمام أي تقديرات إيجازيه.

ثانياً: التوصيات

- 1- رفع الكفاءة المهنية للفاحص الضريبي من خلال التدريب المستمر في فحص الأنشطة المختلفة ومعايير الاداء الضريبي.
- 2- وضع معايير للأداء الضريبي موضع الدراسة والبحث واسنادها لأسس علمية واضحة مع توحيد المعايير والمعالجات على مستوى المكاتب والأنشطة والعمل بها.
- 3- العمل على تدريب وتأهيل مفتشي الضرائب في الجانب المهني وخلق الكوادر المتخصصة والمؤهلة تأهيلاً رفيع المستوى في مهنة المحاسبة والمراجعة للاستفادة منهم في مجال فحص القوائم المالية.
- 4- ضرورة إنشاء شبكة للمعلومات وذلك لتوفير المعلومات الجيدة والتي تمتاز بالملائمة والدقة وإمكانية الاتصال في الوقت المناسب والاقتصادية وذلك حتى تتمكن الفاحص الضريبي من اتخاذ القرارات السليمة.
- 5- الحاجة إلى وجود جهاز فني محايد للفصل النهائي بين المنازعات التي تحدث بين ديوان الضرائب والممولين والمراجعين وذلك في حالة عدم الالتزام بمعايير الاداء الضريبي ويكون من اختصاصه التحقق من مدى الالتزام بهذه المعايير.
- 6- ضرورة تعميم تطبيق تجربة نظام التقدير الذاتي على جميع الاشخاص.
- 7- تطوير أساليب الفحص بحيث تركز على الكيف بقدر تركيزها على الكم.
- 8- رفع الوعي الضريبي لدى المتعاملين مع الديوان.
- 9- غرس مفاهيم الجودة وتطوير وتحديث اساليب العمل بصفة دورية.

ثالثاً: الخاتمة

خلصت هذه الدراسة إلى أن الكفاءة المهنية للفاحص الضريبي تُعد عاملاً جوهرياً في فاعلية نظام التقدير الذاتي، إذ كشفت نتائج تحليل الحالة الواقعية أن قدرة الفاحص على التعامل مع القوائم المالية ومطابقة محتواها مع الإقرارات الضريبية تلعب دوراً مباشراً في تقليل التقديرات الجزافية وتعزيز الثقة المتبادلة بين الإدارة الضريبية والممولين.

كما أظهرت الدراسة أن الاعتماد على قوائم مالية مدققة لا يكفي ما لم يكن الفاحص قادراً على تحليلها وفقاً لمعايير الفحص المحاسبي الحديث، مما يستدعي التأكيد على أهمية التدريب المهني المستمر للفاحصين ورفع كفاءاتهم الفنية. إضافة إلى ذلك، بينت الدراسة أن نظام التقدير الذاتي لا يُعفي الإدارة الضريبية من مسؤولية الرقابة، بل يفرض عليها تطوير أدوات الفحص وتوظيف الفاحصين ذوي الكفاءة لتحليل المخاطر وتوجيه الفحص إلى مواضع الخلل.

وتوصي الدراسة بضرورة تبني استراتيجية متكاملة تدمج بين تطوير النظام التقني للفحص الضريبي، ورفع الوعي لدى الممولين، وتعزيز القدرات المهنية للكادر الضريبي، بما يحقق العدالة والكفاءة والاستدامة في النظام الضريبي السوداني. وتمثل هذه التوصيات خطوة باتجاه إصلاح حقيقي وشامل يعزز الالتزام الطوعي ويقلل من فجوة الثقة بين الدولة والممول.

قائمة المراجع

- أبو حشيش، خ. ع. (د.ت). المحاسبة الضريبية. جامعة البتراء.
- أبو طبل، ع. (د.ت). دراسات في المراجعة والفحص. دار النهضة العربية.
- إبراهيم، ج. م. ا. (2010). دور التقدير الذاتي في الإصلاح الضريبي في السودان (بحث تكميلي غير منشور، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية الدراسات العليا).
- إبراهيم، ك. ح. ع. (2008). دور التقدير الذاتي في الإصلاح الضريبي في السودان (بحث تكميلي غير منشور، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية الدراسات العليا).
- الحلي، ر. م. (2001). المحاسبة الضريبية في إطار التطور التشريعي لقانون ضريبة الدخل في الأردن (رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة النيلين، كلية الدراسات العليا).
- السودان، وزارة المالية والاقتصاد الوطني. (2006). التقرير الختامي لأعمال لجنة الإصلاح الضريبي. الخرطوم.
- التهامي، ع. ع. ا. (2009). دور التقدير الذاتي في الإصلاح الضريبي في السودان (بحث تكميلي غير منشور، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية الدراسات العليا).
- النعيم، إ. إ. م. (2007). الضريبة على القيمة المضافة وأثرها على إيرادات الدولة: مقارنة بدولة المغرب (رسالة ماجستير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي).
- نورالدين، ه. ب. ن. (2012). مدى وفاء البيانات المالية المراجعة بمتطلبات تحديد وقياس وعاء ضريبة أرباح الأعمال بالسودان (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النيلين، كلية الدراسات العليا).
- نادية، م. ي. م. (2010). دور الضريبة على القيمة المضافة كأداة للإصلاح الضريبي في السودان (رسالة دكتوراه غير منشورة، أكاديمية السودان للعلوم، مجلس الدراسات الاقتصادية والاجتماعية والإنشائية).
- عثمان، أ. ض. ع. (2016). الفحص الضريبي ودوره في تحديد وإدارة مخاطر الإيرادات الضريبية (رسالة دكتوراه منشورة، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا).
- علي، ح. م. (2011، أبريل 2). الإطار العام لنظام التقدير [ورشة عمل]. إدارة ديوان الضرائب، الخرطوم.
- مجلة الكوت للعلوم الاقتصادية والإدارية. (2018، يناير). العدد 28. كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة واسط.
- محمد، م. خ. (1986). دروس وبحوث في المراجعة. دار الفكر العربي.
- محمد، م. & عبود، ب. ه. (د.ت). الإطار القانوني لأسلوب التقدير.

عنوان البحث

**مقاومة محمد بن عبد الكريم الخطابي والشريف محمد أمزيان في بعض
الأشعار الأمازيغية**

محمد أدراوي¹

¹ مختبر التراث الثقافي والتنمية، جامعة محمد الأول، وجدة، المغرب.

تحت إشراف. فاطمة الزهراء مازاري

HNSJ، 2025، 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/12>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/68/12>

تاريخ النشر: 2025/08/01م

تاريخ القبول: 2025/07/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/07/07م

المستخلص

تتناول هذه الدراسة تجليات المقاومة الريفية ضد الاستعمار الإسباني والفرنسي من خلال الشعر الأمازيغي الريفي، مركزة على شخصيتي محمد بن عبد الكريم الخطابي والشريف محمد أمزيان. تنطلق الدراسة من الحاجة إلى ترميم الذاكرة التاريخية للريف، وتوظيف الشعر التقليدي كوثيقة تاريخية تنقل نبض المقاومة، وتؤرخ لمجريات الأحداث السياسية والاجتماعية والوجدانية. وقد برز الشعر الريفي كشكل تعبيرى شائع، شفوي ومرتبطة بالذاكرة الجماعية، يمزج بين الغنائية والملحمية، ويتخذ أبعاداً سياسية تحريضية تعبّر عن الرفض والتمرد والاستنهاض الوطني، مع إضفاء طابع بطولي على شخصيات المقاومة. كما تسلط الدراسة الضوء على الطابع الوظيفي للشعر المقاوم، إذ طغت رسالته التحفيزية والتعبوية على جماليته الفنية. وتؤكد الدراسة أن هذا الشعر لعب دوراً محورياً في تعبئة الريفيين، رجالاً ونساءً، وحفظ تراثهم المقاوم، مما جعله مصدراً غنياً لفهم المقاومة الريفية من منظور ثقافي وشعبي. وتختتم الدراسة بالإشارة إلى ضرورة جمع وتوثيق هذا التراث الشعري باعتباره ذاكرة شفوية حية تنقل تجربة الريف السياسية والاجتماعية والثقافية.

الكلمات المفتاحية: الريف، الشعر التقليدي، المقاومة، الأمازيغ، الأدب الشفوي.

RESEARCH TITLE

The Resistance of Mohammed bin Abd al-Karim al-Khattabi and Sharif Mohammed Amezian in Selected Amazigh Poetry**Abstract**

This study explores the manifestations of Rifian resistance against Spanish and French colonialism through traditional Amazigh poetry, focusing on the figures of Mohammed bin Abd al-Karim al-Khattabi and Sharif Mohammed Amezian. The research aims to restore the historical memory of the Rif region by utilizing traditional poetry as a historical document that captures the spirit of resistance and chronicles key political, social, and emotional events. Rifian poetry emerged as a widely shared, oral, community-based expression, blending lyrical and epic elements, and taking on a political dimension that conveyed defiance, mobilization, and national pride. The poems often glorify resistance leaders and reflect the sacrifices of men and women alike in their struggle for liberation. The study highlights the functional role of resistance poetry, noting that its aesthetic depth was often eclipsed by its urgent motivational purpose. Ultimately, the research affirms that Amazigh resistance poetry played a central role in mobilizing the Rifian people and preserving their cultural heritage, serving as a valuable oral record of their resistance experience. It concludes with a call to collect and document this poetic heritage as a living memory that enriches our understanding of the region's socio-political and cultural dynamics.

Key Words: Rif, Traditional Poetry, Resistan, Amazigh, Oral Literature.

محور تمهيدي

يصاحبنا الزمن، لا يكل ولا يمل من مراقبتنا من فوق بشكل دائم، انه معنا في كل حين نحس به في كل الأوقات، عنيد بإصراره، يظل منقوشا في قبو ذاكرتنا، يجول ويصول في أرصفة الحاضر ويخلق عاليا في المستقبل، يرافقني هذا الاحساس بزمن الماضي وأنا أحاول النش في تاريخ المقاومة واحد قاماتها السامقتين محمد بن عبد الكريم الخطابي والشريف محمد أمزيان من خلال تفكيك المتون الشعرية الأمازيغية.

إن الباحث المشتغل والمنشغل بالحقل الأدبي الأمازيغي أول ما يستأثره هو ندرة في الدراسات المتخصصة أو تلك التي تقارب الأجناس الأدبية الأمازيغية والتي تسعى جاهدة إلى معالجة الاشكالات النقدية الأجناسية من منظورات وزويا في بعده النظري والمونوغرافي. إن تفحصنا لمجموع التراكم والمتون تشكلت لدينا ملاحظات مبعثرة تتضمنها، تحديدا، دراسات رحبة حول الشعر أو الحكاية وهذا القول يستتبع ان يتم التنبيه الى ان نظرية الاجناس الادبية في مجال الادب الامازيغي بالتحديد، تعتبر ورشا دراسيا مفتوحا امام المنشغلين بالدراسات الامازيغية، وان كان اثر المعاول والفؤوس في هذا الحقل باديا بفضل بضع دراسات رصينة انارت عتمات كثيرة محدقة بالسؤال الاجناسي.

وفي هذا الإطار تناسلت جملة من الأسئلة التي ترقق بالنا ونراها ضرورية لملاسة جوانب الموضوع قيد الدرس.

- أولا ما المقصود بالشعر التقليدي ؟
- هل كان لاسهامات الشعر التقليدي أثر على مقاومة عبد الكريم الخطابي والشريف محمد أمزيان ؟ وما هي اهم تجلياته ؟
- واخيرا هل ارتكان الشعر التقليدي إلى نصرة المقاومة الريفية واقتصاره على البعد الوظيفي افقده قوته وعمقه الشعري والجمالي ؟

الكلمات المفتاحية: الريف، الشعر التقليدي، الأجناس الأدبية، الأمازيغ، المقاومة.

خيوط لترميم الذاكرة

من الواجب بل من المؤكد والضروري على الباحثين في الحقل الأدبي وفي العلوم الإنسانية والاجتماعية والمشتغلين في التراث وكل أبناء المنطقة صيانة ذاكرتها، ومحاولة رأب الصدع بالشروع في إحياء وترميم ما اعتبر عهدا منسية من تاريخ المغرب، كما يتطلب الأمر صياغة منهج جديد في البحث من خلال تجميع متون شعرية والبحث في ثناياها وعن ما تخترنه من أحداث ووقائع تؤرخ لتاريخ المنطقة، لذلك وطدنا العزم على سبر أغوار المتون الشعرية والمرويات والحكايات الشعبية... كل هذا الزخم نضعه في خانة الابداع الأدبي والشعري وتعميق الدراسة حوله وبذلك نمضي قدما في محاولة ترميم جزء من إرث ثقافي إنساني مبتور من تاريخ المغرب وهو ما تكلل بمقالنا المعنون بـ "مقاومة محمد بن عبد الكريم الخطابي والشريف محمد أمزيان في بعض الأعمال الشعرية الأمازيغية"، إذ بإمادتنا اللثام عن المعاني الثاوية خلف بنيات هذه الأشعار والمتون الأدبية وخاصة الشفهية منها نكون قد استطعنا مساءلة بصمات ناطقة من تاريخ المغرب المبتور.

ولعل أهم أنواع الأجناس الأدبية التقليدية والأكثر انتشارا الشعر التقليدي، الذي أنتجته الذاكرة الجماعية في ظروف متعددة من بينها الحرب، ويعتبر الشعر التقليدي تعبيرا خالصا في حياة الجماعة لدى الأمازيغ بل أكثر من ذلك أعتبر أحد الدعامات الأساسية لتشكيل الهوية الأمازيغية الجماعية و مساهمته أيضا في تشظي و توارى النزعة القبلية، فالشعر اليفي باعتباره جزء من الشعر التقليدي قد عرف بدوره تطورات مهمة ولا سيما فيما يخص شعر المقاومة في مرحلة الشريف

محمد أمزيان ومرحلة محمد بن عبد الكريم الخطابي.

ويتمثل هذا الشعر فيما يردده الشعب الريفي ويتغنون به من أناشيد وتراويل منذ قدم، فقد ثبت أنهم كانوا ينظمون الملاحم في مختلف المعارك، يسجلون فيها بطولاتهم ويمتدحون بها عندهم من أمجاد، ويبدو أن آثار هذه الملاحم ظلت ممتدة في الزمن.

البلد وأهله

العجيب في الأمر والذي يحثنا على طرح السؤال هو كيف اندرجت النخب وعموم أهل القلم على إهمال بلاد الريف، وهو ما استرعى انتباهنا ودفعنا دفعا لإنارة زاوية من زوايا تاريخية مظلمة ومعتمة من تاريخ المنطقة، وهي وضعية ظلت ممتدة في الزمن بل استقبلت في عصرنا الحديث، وليس أدل على طبقات هذا الظلام الدامس الجاثم والذي طال أمده والذي حجب الأنظار عن تاريخ المنطقة و تراثها وإبداعاتها من قول أحدهم بأن الريف بأسره، حتى بمعناه الأوسع ظل أرضا مجهولة بحق.

وهو الأمر الذي ينطبق نفسه على أصول الريفيين وأنسابهم التي ظلت من المواضيع المستعصية على أقلام المتخصصين و الباحثين في حقول معرفية وأدبية متعددة. كما أن جل الأبحاث على قلتها التي همت المنطقة ظلت أسيرة متاهات متداخلة والتي يصعب الاستئناس بها أو ترتيب حلقاتها وضبط مواضيعها وربطها بسياقاتها التاريخية. وهو الأمر الذي يدفعنا حقيقة لطرح السؤال مجددا عن أصول البربر وخصائص ثقافتهم ؟ خصوصا وأن العديد من الدارسين و في حقل الدراسات الأنثروبولوجيا ك "دافيد هارت" و "مولييرياس" وآخرون الذين اعتبروا أن باربارا أو بربر لفظ غامض.

لذلك في اعتقادنا يجب تعميق البحث في تراث المنطقة والتعريف به والنش في ثناياه بدل الاقتصار على أقسام ومعاهد عليا للدراسات الأمازيغية تستكين لما انتهى منه الآخر من أبحاث في أحسن الأحوال تظل مقتصرة على تعليم الحروف.

المبحث الأول: التحديدات المفاهيمية الأساسية

1-الريف

الريف في الاصلاح الجغرافي المغربي فيراد به الشريط الساحلي والمنطقة الجبلية الممتدة على شكل قوس شمال المغرب الأقصى، من المحيط الأطلسي غربا إلى ملوية السفلى شرقا، وتضاريسها تشمل سلسلة الجبال الممتدة على هذه المنطقة.

وعن سبب إطلاق الاسم على هذه الناحية، فقد قيل ان العرب الذين نزلوا بجهة الريف سألوا زعيمهم أين سيسقرون، فقال لهم ريفو هنا، أي ارعوا غنمكم ريفا¹.

بلاد الريف منطقة جبلية في شمال المغرب، تمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى ملوية شرقا، على شكل قوس تجوي فيها نحو الشمال، على طول أزيد من 300 كلم، وهي أقل ارتفاعا من جبال الأطلس، غير أن قربها من البحر الأبيض المتوسط جعل هذا الارتفاع ظاهرا، وبصفة دقيقة يمكننا القول إن بلاد الريف مجال محصور ما بين غمارة غربا وهضاب نهر ملوية شرقا، امتدادا على ساحل البحر الأبيض المتوسط، ومشرفا على عتبة تازة وسهل مسون جنوبا.

¹ - أحمد عبد السلام البوعياشي: حرب الريف التحررية ومراحل النضال، ج1، سنة 1974، ص110.

2- مفهوم الشعر الأمازيغي الريفي التقليدي

عندما نتحدث عن الشعر الأمازيغي فمن أهم ما يقال عنه أنه شغوي بسبب الإهمال والاضطهاد والتهميش والإقصاء والأمية وعدم معرفة الكتابة التي كانت حكرًا على المثقفين والطبقات الاجتماعية الراقية وأصحاب السلطة والنفوذ. وقد ترتب عن هذا ضياع كثير من التراث الثقافي والإبداعي ناهيك عن عدم توظيف اللغة الأم في التسجيل والتدوين كما وقع للإرث الأمازيغي الشعبي والعامي. ولا يعني هذا أنه لم يكن هناك أشعار أمازيغية مدونة، بل وصلت لنا نصوص كتبت إما باللغة اللاتينية وإما باللغة العربية ولاسيما في العصور الوسطى. ومن هذه النماذج نذكر "شعر سيدي حمو السوسي المتعدد الأغراض، الذي يرجع عهده إلى القرن الثاني الهجري "عمر أمرير"، والشعر الديني التعليمي لـ"محمد أوزال" من القرن الثالث عشر الهجري، وشعر الـ"سي موحند القبائلي" من القرن التاسع عشر الميلادي (LES ISFRA DE Si Mohand)، وهو شعر ذو نفس فلسفي؛ وشعر تاوكرات الملحمي (Taougrat) من أوائل القرن العشرين؛ وعدد من القصائد المتفرقة لشعراء مختلفين من القرن العشرين أيضًا².

والشعر الريفي أحد أكثر الأجناس الأدبية التقليدية انتشارًا في المجتمع الريفي قديمًا وحاضرًا، والشعر الريفي هو ذلك الكلام أو القول الذي انبثق من الطبيعية والبساطة والألم والفرح...

فهو ذلك الكلام الذي يعتمد على الحفظ ويرسل عبره رسائل للآخر أو عن الآخر، فهو من إنتاج الجماعة أو الفرد، أي أنه ذو طابع شفهي ينتقل من جيل إلى جيل بين الرجال والنساء، لذلك تعرض الكثير من روائعه القديمة للضياع أي، فهذا ما جعل منه شعر مجهول المصدر، وبالتالي فإننا نراه قد يتغنى به في كثير من المناسبات الاحتفالية (الزواج، الختان، الولادة،...).

إن مجموعة من الباحثين في مجال الأدب الأمازيغي قد قسموا إزران إلى مجموعات، فأحدهم ميز بين ثلاثة أنماط من الشعر التقليدي على النحو التالي:

. إزران: وهي أبيات ثنائية أو رباعية

. قصائد قصيرة أو متوسطة: ذات طابع غنائي في الغالب

. قصائد طويلة: ذات طابع قصصي ترتبط في الغالب بالموضوعات الحربية والتاريخية أو ما سماها البعض بشعر المقاومة.

أما آخرون قد قسموا الشعر إلى أربعة أنواع:

. الإزري: قول شعري يلقي بطريقة ارتجالية يبنى على لازمة تتكرر بعد كل بيتين أو مقطع قصير.

. تقسيست: نصوص أو مقطوعات قصيرة تتكون من ثلاثة أو أربعة أبيات أو أكثر تتماسك بينهما وهي تركز على الهجاء في الغالب والنقد والصف.

. ثمدياست: تختلف عن تقسيست وعن الإزري العادي المفرد من حيث الطول والتماصك، وهو قول شعري ينقسم إلى شعر ملحمي وشعر قصصي، في الغالب مغنى من طرف ما يعرف بـ"إمديازن".

. إزران ن ربوز: مقطوعات صغيرة تتكون من بيت أو بيتين إثنين تنظم غي حفلات عائلية خاصة في الأعراس، أو عن طريق المعاني (رمعاني) بين شخصين.

² - محمد شفيق: لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرناً من تاريخ الأمازيغيين، دار الكلام، الرباط، ط 1988، ص، 60.

والباحث BIARNAY قد قسم إزران إلى صنفين، الصنف الأول يسمى « rehwa » يتحدث عن الحب وهو تتشده النساء في الغالب، أما الصنف الثاني يدعى « ra 3rur » يختص بمواضيع هجائية جارحة، ويختص به في الغالب الشيوخ. ولكن ما هو متفق عليه ومعروف فيمكننا أن نقسم الشعر الريفي التقليدي إلى نوعين حسب الباحث جمال أبرنوص:

الشعر المغنى ³ izran n ralla buya

ويحتضن هذا النمط مجمل الشعر الريفي التقليدي، أهم سماته خضوعه لميزان النقر الموسيقي المعروف بـ "رميزان أنعاشي" أو "أنعاشي" والمعروف أيضا لدى رواد الشعر المحدثين بـ "رميزان ن رلا بوي" الاثنا عشري النقرات⁴، وهو شعر مرتبط بالموسيقى أي يتغنى به المجتمع الأمازيغي أو الريفي على وجه الخصوص في كثير من المناسبات الاحتفالية. وهو يأخذ أشكالا متعددة وهي: الإزري (إزري أنعاشي، إزري أقوظاظ إزري إموزن)، تقسيست، لعاطية،...

الشعر غير المغنى izran n tanna

ونعني به نمطا شعريا مستقلا عن الغناء والموسيقى، يتم إنشاده فرديا بمناسبات مخصوصة، وهو الشعر الذي لم يتعرض له الباحثون إلا لماما، عندما فعلوا ذلك أدرجوه ضمن النمط الغنائي الأوحده⁵.

وهو الشعر الذي يردد بدون آلات موسيقية، ويمكن لأي شخص أن يردده في أي مكان.

ويمكن لنا تقسيم الشعر الأمازيغي بمنطقة الريف تاريخيا إلى مرحلتين أساسيتين: المرحلة القديمة، والمرحلة الحديثة. ومن الصعب بمكان تحديد بداية المرحلة الأولى، لكن من الممكن تحديد نهايتها ببداية المرحلة الجديدة مع بداية الاستقلال إلى يومنا هذا. وبالتالي، يمكن التمييز بين مرحلتين ضمن هذه المرحلة الأخيرة مرحلة الجمود والركود على المستوى الإبداعي، ومرحلة التجربة الشعرية السبعينية مع الشعراء الشباب، والتي تمتد إبداعها وعطاؤها الشعري إلى وقتنا هذا⁶.

3- مفهوم شعر المقاومة بالريف

لقد اقترن شعر المقاومة بالريف بالتدخل الأجنبي في هذه المنطقة، وحديثا اقترن هذا الشعر بانطلاق حملات المقاومة ضد المستعمر الإسباني، وقد رافق هذه المقاومة شعر غزير إذ سجل "الإزري" بالريف كل ما عرفته المنطقة من حوادث وقلق مهما صغر شأنها، فبالأحرى حين يتعلق الأمر بمقاومة شعبية استنفرت كل مكونات المجتمع، خصوصا أن "الإزري" في الريف سلاح في متناول الجميع، فيرتجل ويحفظ، وينتشر وينقل من جيل إلى آخر مخلدا بطولات الريفيين في مواجهته الأجنبي المحتل.

لقد استأثرت تيمة المقاومة على الشعر الريفي بعد تعرض المنطقة لأطماع الأجنبي مما جعل هذا الشعر نابع من وجدان المجتمع الذي يخوض المعركة وبهذا يكون تعبيرا صادقا يثير الأحاسيس والعواطف ويدعوا للزود عن الوطن والتعبئة لدحر

³ - تسمية مأخوذة من اللازمة الشعرية يتم ترديدها غالبا في مستهل التغني، تعزيزا لإيقاع الشعر في أذهان المبدعين والمغنين، ويسمى بـ "رميزان أنعاشي rmizan an3aci" نسبة إلى العدد 12، أي أنه إثني عشر النقرات، كما هو باد في هذا التقطيع:

A ya ra lla ya ral a ya ra lla bu ya

(a-ya-ral-la-ya-ral a-ya-rall-la-bu-ya)

جمال أبرنوص: الشعر الأمازيغي الريفي التقليدي، بحثي النص والسياق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة رقم 52.2007، سلسلة بحوث ودراسات رقم 2017/20، ص 52.

⁴ - جمال أبرنوص: المرجع نفسه ص 52.

⁵ - جمال أبرنوص: نفسه، ص 59.

⁶ - جميل حمداوي: الشعر الأمازيغي بمنطقة الريف ومقاومة محمد الشريف أمزيان (1907-1912م)، مقال ب تواليت مؤسسة ثقافية أمازيغية.

العد، فهو بهذا نوع آخر من المقاومة تختص به النساء في الأغلب كنوع من المشاركة في مقاومة المحتل⁷.

إن الشعر الريفى هو الجنس الأدبى الأقدر على تخليد أعمال المقاومين الأشاوس إزاء المحتل الغاصب لأرضه، فإذا كان الشعر هو فن المقاومة بشكل عام فإن الشعر الأمازيغى الريفى خلال مرحلتى حرب الريف التحررية، كن وسيلة من وسائل مقاومة النساء، عبر شحذ همم الرجال والسخرية من المحتل بالإضافة إلى توسيم المتخاذلين بالحناء تنقيصا لقيمتهم ولفرزهم من المقاومين الأحرار، فالشعر الأمازيغى بالريف كن مرتبطا أشد الارتباط بالمقاومة.

يعتبر شعر المقاومة الريفى المرتبط بحرب الريف التحررية شعرا سياسيا حيث تنساب أشعار إلى أشعار سياسية، تمجد الحرية تسترخس الحياة في سبيل الدفاع عن الوطن فهي تدعو إلى الانعتاق والتحرر، كما تحث على مقاتلة العدو، وفق ما يبرز "الإزري" التالي:

أوث أيمذهوش رخاث وا لابدا

أتمنذ زمسرم ورا جهنما⁸

الترجمة بالعربية:

اضرب يا مندهش لا بد من الموت

أن تموت مسلما خير من جهنم.

فهذا المقطع يحرض المجاهدين على ضرب العدو، ومقاومته، ويذكرهم بأن الموت مصير محتوم، ويؤكد لهم أن الموت مسلما مجاهدا أفضل من موت الخائن الذي سيكون مصيره جهنم.

إن الشعر الريفى خلال هذه الفترة الصعبة من تاريخ المنطقة كان بمثابة أنين لكل المعذبين من أم فقدت ابنها وزوجة لم يعد زوجها، وأخت لم تتمكن من رؤية أخيها وعاشقة لم تظفر بنظرة أخيرة لحبيبها، ومن أشخاص فقدوا أجزاء من أجسامهم في معارك فرضت عليهم فرضا.

الشعر الريفى شأنه شأن كل شعر مقاومة، مصدر مهم لا يمكن تجاهله في عملية التأريخ للمقاومة الريفية التي لا تزال جوانب هامة منها غير معروفة، وذلك عبر جمع النصوص التي لا زالت عالقة بالذاكرة الجماعية، واستكشاف خباياها، وهذه النصوص في تعاملها مع الحدث التاريخي تؤدي إلى خلق حدث تاريخي جديد يتجلى في ردود فعل كثرة وانتفاضة أو إحداث نصوص جديدة.⁹

إذا كان الشعر هو العمود الفقري للأدب الأمازيغى بالريف، بحكم غزارته وسرعة انتشاره وتداوله بين الناس، فإن ميزته التاريخية والفنية تقتزن أيضا بقدرته على احتواء أغراض وتيمات تمس مجالات الحياة والهموم المشتركة للأفراد والجماعات، وما ظاهرة ارتباطه بالغناء سوى ملمح دال على رواجه وقيمة وظيفته في المجتمع. وشعر المقاومة في الريف هو شعر سياسي بامتياز، ذلك ما يؤكد أكثر من دارس، لقد واكب الشعر الأمازيغى بالريف رحلة المقاومة منذ اندلاعها مع القائد الشهيد محمد الشريف أمزيان بمنطقة "قلعية"، ثم مع محمد بن عبد الكريم الخطابي بكل ربوع الريف، وقد كان

⁷ - عبد الصمد مجوقي: المقاومة الريفية من خلال الشعر الأمازيغى الريفى "دهار عوبران" نموذجا، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 2014، ص 38.

⁸ - اضرب أيها المندهش فلا بد من ملاقات المنية "" أن تموت مسلما خيرا لك من جهنم

⁹ - عبد الصمد مجوقي: المرجع نفسه، ص 40.

الشعر في هذه المرحلة الربية من تاريخ المغرب، القلب النابض والضمير الحي الذي يترجم رغبة الريفيين في الانعتاق والخلاص، كما استطاع أن يخلد انتصارات المجاهدين والمقاومين في نصوص ومقطوعات ظلت تتردد على ألسنة الناس قبل وبعد استقلال المغرب، بل وفي مناسبات قد لا يكون لها أدنى ارتباط بموضوع المقاومة، كما كان هذا الشعر وثيقة تاريخية -غير رسمية- في تصوير بشاعة المستعمر، وخططه العدائية التي استهدفت الإنسان والمجال والثقافة بالريف¹⁰.

المبحث الثاني: المقاومة في الشعر التقليدي بالريف

1- نبذة عن المقاومة بالريف

من بين أهم رموز المقاومة بالريف نجد كل من الشريف محمد أمزيان ومحمد بن عبد الكريم الخطابي، اللذان يعتبران رمزا للشجاعة والقوة على مستوى الريف، نظرا لمقاومتها الشرسة للعدو الإسباني الغاشم، كان هدفه الأسمى بسط نفوذه على منطقة الريف، واستغلال الثروات المعدنية والطبيعية واستعباد البشر.

ويظهر ذلك بتهافت الإسبان على معادن المنطقة فكما يقول "عبد الصمد مجوقي": "لقد توجس الريفيين بعد ظهور المعادن ببعض جبال الريف، واكتشافها من طرف البلدان الرأسمالية الصناعية الكبرى، خصوصا معدن الفضة لأن ذلك سيعرض المنطقة للأطماع الأجنبية وعلى بخصوص الإسبان الذي كان له عيون كثيرة بالمنطقة تتربص كل صغيرة وكبيرة"¹¹.

وطأة قدم المستعمر الإسباني للأراضي الريفية، في مطلع القرن العشرين، وعرف الدخول الإسباني مقاومة القبائل الريفية في الشمال الشرقي للريف بقيادة الشريف محمد أمزيان، ثم ما لبث أن استشهد الزعيم الريفي الأول سنة 1909، ثم أحكم الإسبان قبضتهم على هذه المنطقة.

وهذا ما يؤكد "عبد الصمد مجوقي" في هذا الصدد، حيث استطاع الشريف محمد أمزيان أن ينظم صفوف الريفيين الذين وقفوا بالمرصاد لأطماع المستعمر وأذنا به بالمنطقة، من أمثال الروكي بوحمار، فأنزلوا بهم عدة هزائم لذا حاول المحتال استمالته وإرشائه عبر إرسالهم له هدايا لم يتقبلها قط، فحاولوا بكل الطرق قتله إذ زرعوا له جواسيس يترصدونه أينما حل وارتحل فلما استفردوا به دون رفاقه وتيقنوا من وجوده مع نزر قليل من أصحابه، أحاطه من كل جهة جيش إسباني، فخرج إليه مع بعض من رفاقه فراح يجول على فرسه في المعركة يطلق النار على العدو الذي يصوب نحوه من كل الجهات حتى سقط على فرسه، إلا أن بعض الروايات تأتي على ذكر تفاصيل أكثر وتذكر أنه استشهد على أيادي الأهالي المنضويين في صفوف القوات الإسبانية¹².

ازدادت أطماع المستعمر الإسباني بدأ يتغلغل في الريف الأوسط، وفي سنة 1914 عاد محمد بن عبد الكريم الخطابي إلى الريف بعدما أن كان قاضيا وقيدها ومحررا في جريدة "لاتليغراما دي ريف" la telegrama di rif واستطاع أن يوحد قبائل الريف الأوسط لمقاومة المستعمر الإسباني، بعدما كانت هذه القبائل تعرف اقتتالا محتدما أي الثأر والثأر المضاد، هذه المرحلة عرفت بين أوساط الباحثين والدارسين سنوات "الريفوبليك".

التفت القبائل وزعمائها حول "محمد بن الكريم الخطابي"، وتعاقدوا فيما بينهم بمقاومة المستعمر الكولونيالي الإسباني.

وقد ساعده تكوينه "بمليلية" ومعرفته الإسبان ونواياهم وأفكارهم. وهكذا حل محمد بن عبد الكريم الخطابي محل أبيه عبد

¹⁰ - بلقاسم الجطاري، عبد الرزاق العمري: الأدب الأمازيغي بالريف من الشفاهية إلى الكتابة ومآزق الترجمة، الطبعة الأولى، مطبعة الشرق وجدة، 2008، ص46-47.

¹¹ - عبد الصمد مجوقي، المرجع السابق، ص 49.

¹² - نفسه، ص43-44.

الكريم الخطابي على رأس المقاومين الريفيين أخذ ينظم قيادات ثورية في القبائل الريفية، حيث شرع في عقد تجمعات للقاء زعماء وأعيان القبائل قصد تعبئة المقاومين، كما شرع في انتقاء المواقع الدفاعية لتعسكر جيشه وتنظيم صفوفه واختيار قادته المناسبين¹³.

وبعزيمة الرجال وبقيادة الزعيم المحنك استطاعوا الحاق خسائر جسيمة بالمستعمر الاسباني، ونحن نعلم حجم لقوات الاسبانية في تلك الفترة من التاريخ ومكانتها الاستعمارية وقوتها العسكرية واخضاعها لشعوب القارة الأمريكية واغتصاب أراضيها.

رغم العناد العسكري المتطور الذي كان يحظى به الجيش الاسباني والحكمة العسكرية للجنرالات الاسبان وتجربتهم في إخضاع شعوب القارة الأمريكية، استطاع محمد بن عبد الكريم الخطابي أن يهزم الاسبان في الكثير من المعارك ولعل أبرزها ما بقي خالدا في الذاكرة الجماعية معبرا عنه بشعر ريفي تقليدي يحرك النفوس ويذكر بطولات أمجاد هذه المنطقة ويحث عن اللحمة والمقاومة، ومن هنا قد أنتجت الذاكرة الجماعية مجموعة من الأشعار تعبر عن هذه الفترة المهمة من حياة الريفيين، وترسخ في قلوبهم أهمية الانتاج الشعبي محمولا في الصدور يردده الكل تعبيرا عن ما قاموا به الريفيين تجاه المستعمر الاسباني بالإضافة إلى وصف شجاعة وحكمة هؤلاء المجاهدين ومدى دفاعهم عن أراضيهم التي أصبحت محل أطماع الأجنبي، وكذلك رسم ما معاناة المرأة الريفية سواء من ناحية استشهاد إبنها أو زوجها أو من ناحية عدم رؤية هذا الرجل لمدة طويلة فتعبر عن شوقها له من خلال أبيات شعرية تصف كل ما تمر به.

وجراء الحرب التي خاضها الريفيين ضد المستعمر الاسباني، "حرب خلدها الشعراء في ابداعات كثيرة وصل إلينا نصيب منها بفعل مصادفة بقاء الكثير من مبدعيها وحفاظها على قيد الحياة، لحظة انطلاق جمع المأثور الريفي خلال بداية الثمانينيات القرن الماضي وتعتبر القصيدة المسماة (ملحمة دها ووبران) أشهر وأطول نص شعري شاهد على هذه الحرب إذ حظيت عناية عدد من الدارسين والمهتمين¹⁴.

هي ملحمة حرب الريف إذا، لا ملحمة موقعة واحدة، ولو شئنا مطابقة الاسم على مسمى كان علينا تحقيق النص باعتماد آلية المقابلة والتحميص، بغية تخليصه من عدد كبير من المقاطع الشعرية التي تؤرخ لأحداث لاحقة أو سابقة. وذلك عمل مضمّن يستدعي بحثا ولماما دقيقا لتاريخ حرب الريف وجغرافيته، وطبوغوميته، وأعلامه وأسماء أعيانه، ومجاهديه... وهو مالا تسمح له أهداف هذه الدراسة وفصول إشكالاتها¹⁵.

وبالتالي يمكننا القول أن المقاومة جعلت من الحدث التاريخي موضوع عمل شعري يساهم فيه أكثر من مبدع واحد. وقد يسرت من عوامل الفوز مقومات معهودة في جنس الشعر عند كل الانسانية من قبل التعبير بالاستعارة والتشبيهات والرموز والتوازي والقوافي... إلا أن الشاعر الريفي أضاف إلى سجلات المقومات الشعرية ما لا نجده إلا في الريف. فأنجأ أهل الريف أشعارا متعددة تعبر عن كل ما مروا به خلال مرحلة المقاومة وما خلفته الحرب.

2. مواكبة الشعر لمقاومة الشريف محمد أمزيان و التنبؤ بتهاافت الاجانب على معادن المنطقة

لقد توجس الريفيون بعد ظهور المعادن ببعض جبال الريف، واكتشافها من طرف البلدان الرأسمالية الصناعية الكبرى، خصوصا معدن الفضة، لأن ذلك سيعرض المنطقة لأطماع الاجنبي، وعلى الخصوص الفرنسيون والاسبان

¹³ - نفسه، ص 57.

¹⁴ - جمال أبرنوص، مرجع سابق، ص 106.

¹⁵ - نفسه، ص 107.

الذين كانت لهم عيون كثيرة بالمنطقة تترصد كل صغيرة وكبيرة. وهذا ما جعلهم على بينة. وقد وصف ذلك بشكل دقيق في الأزري التالي:

ءاذرا ن وكسان يفغاد ذاييس رماعدان.

يا فغاد ذاييس نوقاث ركنوس اضامنغان.

الترجمة بالعربية:

جبل وكسان خرج منه المعدن

خرجت منه الفضة والأجناس ستتهافت

لقد سبق القول، ان الشعر الريفى اضطلع بمهمة نقل الحدث كما هو على ارض الواقع، اي نقل الحدث بأكثر ما يمكن من الواقعية، فقد وصف "الأزري". الهجوم الاسباني على الريف ومقاومة الشريف امزيان له، وامتد الوصف الى نوع السلاح المستعمل المتجلي في استعمال الطائرات التي تغير على جبال الريف، كما يبرز الـ ءيزري التالي:

ثوريد طيارا ماني ث ميار أتواث

ءارقايذ امزيان يجاهذن س نياث

الترجمة بالعربية:

حلقت الطائرة مائلة لتقصف

أيها القائد أمزيان الذي جاهد بالنية

ان هذا "الأزري" يشيد بإخلاص "سيدي الشريف محمد أمزيان" النية في جهاد المحتل، رغم ان الاخير استعمل الطائرات والغارات الجوية التي لا قبل لمقاوم اعزل على مجابهته، ورغم ذلك لم يتراجع عن قرار المقاومة، ولم يتوان عن صد المحتل. بل واصل طريقه الذي اختاره، فراح يعبئ القبائل، ويذكي فيهم روح المقاومة، وان كان كل سلاحهم الذي يجابهون به العدو، لا يعدو ان يكون اخلاص النية وبندقية تقليدية، كما يورد "الأزري" التالي:

سيذي محمد ءامزيان ءايا مجاهذ ءاحوري

ياشاث سوزارماذ ءيتعاواذ سوفوسي

ءيحاما ماوسان رخذيز ثاسراقا ثيماسي

اذ ينعت الأزري المقاوم "الشريف محمد امزياني" بالمجاهد الحر الذي لا يبالي بقوة النصارى، بل انه تكفيه بندقية التقليدية، لانزال خسائر بالمستعمر، فهو يطلق الرصاص يمينة ويسرة، دون ايلاء اي اهتمام لحياته المعرضة للخطر. ويتكرر نفس المعنى في الـ الأزري التالي:

سيذي محمد ءامزيان ءايا مجاهذ ءاحوري

اخاذمي ذك زرماذ ونظان ذك فوسي

الترجمة بالعربية:

سيدي محمد أمزيان أيها المجاهد الحر

السكين في اليسار والآخر في اليمين

إن هذه الأبيات الشعرية تقدم لنا صورة واضحة عن نوع الأسلحة التي قاوم بها سيدي الشريف محمد أمزيان ورجاله الأسباني، والتي لا تعدو أن تكون بندقية تقليدية، وخنجرًا، وربما منجلاً وأدوات أخرى كانت تستعمل في حياتهم اليومية. ورغم هذا فالمقاومون الريفيون انزلوا بالأسبان هزائم نكراء، حتى صار الأسباني متعوداً على الانهزام بالريف، على الرغم من عتاده الحربي المتطور، وفق ما يبرز الأزري التالي:

ءسوكد ءورومي ءيسوكد كي ثكسات

ءيسوكد سار عسكا في نهان ثاخشث

ءاركازن وايموثن ءي مايي ثوذاث.

الترجمة بالعربية:

يخيف المستعمر يخيف في الهضبة

يخيف بجيشه في يوم الهزيمة

الرجال الذين لم يستشهدوا لماذا الحياة

إن هذه الأبيات الشعرية توضح لنا أن الحياة رخيصة بالنسبة للمقاوم الريفي، أن لم ينفقها صاحبها في الدفاع عن حوزة وطنه، إذ ما أهميتها أن لم تمكن صاحبها من مقاومة المحتل، وهذا ما دفع الريفيين إلى الاستماتة. لحر العدو وهزيمته، حتى كادوا يبيدونه، فالأسبان لم يقدر المقاومة حق قدرها حتى انزلت به هزائم متتالية، مما حدا به إلى طلب المزيد من الدعم.

3-التصدي للأطماع الأجنبية:

لقد وجد الريفيون أنفسهم مضطرين للدفاع عن أرضهم التي اغتصبها المحتل ونهب خيراتها، فلم يجدوا بدا من التأهب والاستعداد، ورص الصفوف وتعبئة القبائل، للتصدي لأطماع الأجانب التي لا حد لها، والتي سجلها الأزري التالي:

ءي صوظاد ءوصميد ذي ثغالاثث ءورومي

ياندا خاس ءاربي ءاقرعي ياودي

ناتا ذ سيذي موحد ءي يجاهذن ءارومي

الترجمة بالعربية:

هبت الرياح هبت في إبناء المستعمر

سلط عليه الله ذلك القلعي

هو سيدي محمد الذي جاهد المستعمر

قال الأزري يشيد بدور قبيلة قلعية في الجهاد، والتي يكفها فخرا أنها انجبت المقاوم "محمد أمزيان" الذي جاهد النصارى، وافسد عليهم المقام في الريف. لأن غرض النصارى الأول، هو نهب خيرات الريف واستغلال مناجمه، بل وحتى منابعه المائية، كما نجد في الأزري التالي:

ايا حرامن ءيرفيان وثاث خ ثموث نوام

ءاسبانيو يوسف ءاذياوي رجبوب نوام

الترجمة بالعربية:

يا شباب الريف جاهدوا على أرضكم

الاسبان قد جاء لينهب جيوبكم

فهو يستنهض هم شباب الريف ويحثهم للدفاع عن وطنهم المعرض للنهب من طرف الاحتلال الاسباني، الذي يأتي على الأخضر واليابس، خصوصا وأنه يستهدف السيطرة على منابع الماء، وحرمان السكان من مصدر الحياة، حتى يتسنى له العريضة بالريف كيفما يشاء.

4-الاشادة بالزعيم الشريف "محمد امزيان" وانتصاراته:

من الطبيعي ان يخلد هذا الشعر الذي واكب المقاومة منذ اندلاعها، بطولات الزعماء المحليين، ويشيد بزعيمها الشريف "محمد امزيان"، ويسجل انتصاراته ويشد ازهم ويخفف من معاناتهم خلال كل اخفاق مثل الازري التالي الذي يشيد بالشريف "محمد امزيان"، حتى انه ينصبه زعيما على كل القبيلة، لأنه استطاع ان يحرر العدو، ويجعله يتراجع الى ان احتفى بمدينة المحتلة، اذ يقول:

ءايا سيذي موحنذ أزداجين ن ثقبيلتش

ءايوزار خورومي ياسيذفيث ارمريتش

الترجمة بالعربية:

أيا سيدي محمد حاكم القبيلة

أخرج المستعمر حتى أدخله مليلية

كما يشيد الإزري بالشريف "محمد امزيان" الذي واجه الاسبان ببندقته التقليدية القصيرة، غير مبال بالعتاد الحربي للعدو، كما يصرح الإزري التالي:

سيذي محمد امزيان شنا ما راينات

ءاشنا ما را يحارب س ماوسا ثاقوظاظث

الترجمة بالعربية:

سيدي محمد أمزيان يستحق صفة السيادة

الذي حارب بالبندقية (ماوسا) القصيرة

قال الإزري يصرح بأن "سيدي محمد امزيان" محارب صنديد، فهو نعم المحارب حين يمسك ببندقته القصيرة، فحتى حين يتخلى بعض المقاومين ويخذلونه، فهو لا يستسلم كما سجل الإزري:

سيذي محمد امزيان يشاث وار ءيتكوذ

وايحذيج رعشارت ورا ويكيس أدبد

الترجمة بالعربية:

سيدي محمد أمزيان الذي يحارب ولا يخاف

لا يحتاج إلى رفقة ولا من يصاحبه

5-مقتل الشريف "محمد أمزيان":

كان لزاما ان يكون لمقتل "سيدي الشريف محمد أمزيان" اثار بليغة على الريف واهله، لما حظي به من وقار اثناء حياته، الا ان الاسباني كان سيفرح لمقتله ايما فرح، فهو لم يصدق مقتله الا حين اكده له مخبروه اللذين يعرفونه جيدا. فال الإزري يصف هذه الاثار المزدوجة التي خلفها مقتل "سيدي الشريف محمد أمزيان" في نفسية اهله ولدى العدو الاول اسبانيا، نحو ما يسجل الإزري التالي:

سيدي محمد ءامزيان ءيحرش اوشا يوظا

ءي فارحاس ءورومي يسيث ذي كاروسا

ءيوض ازرو همار يوثا رموسيقا

تسرياس حبيبة تنهمار سومطا

الترجمة بالعربية:

سيدي محمد أمزيان هب وسقط

فرح له المستعمر أخذه في العربة

وصل إلى أزرو همار عزف العدو الموسيقى

سمعه حبيبة فانهارت بالبكاء

انه مشهد دقيق يصف موت الشريف "محمد أمزيان"، وهو يهاجم النصراني الذي باغته، فلم يستسلم بل فضل الموت شهيدا، مما سر له النصراني فحمله معه الى "مليلية" حتى يتأكد الجميع من موته، وما ان وصل الى منطقة "ازرو همار" حتى اطلق المستعمر التحية العسكرية، فسمعا ابناؤه الريفيون، فانهمرت دموعهم حزنا على رجل قل ان وجود الزمان بمثله، فعم الحزن كل مناطق الريف، وفق ما يذكر الإزري التالي:

سيدي محمد ءامزيان ايا مجاهذ ءامقران

خاك ءي حزان ءويو وار اذيثران

الترجمة بالعربية:

سيدي محمد أمزيان أيها المجاهد الكبير

حزن عنك الهلال والنجوم

فحزن الريف كان عاما الى درجة ان الطبيعة بدورها كانت حزينة الى حد جعل الهلال يتوقف ولم يكتمل ليصير بدرا، لان الوضع بعد مقتل "محمد أمزيان" صار حالكا، ولا بصيص امل في الحياة بعده.¹⁶

¹⁶ - عبد الصمد مجوقي: المرجع السابق.

6- مواكبة الشعر لمقاومة محمد بن عبد الكريم الخطابي

أكاد أجزم أن ما حدث في الريف مهم وتجربة فريدة لم يمر بها أهله من قبل، وقد خلدها الازري حتى صار هذا الأخير سجلا ووثيقة تاريخية حافلة بأحداث كان الريف مسرحا لها. فقد واكب الشعر الريفي حرب الريف التحريرية بمرحلتها إلا أن حصة الأسد استأثرت بها مقاومة محمد بن عبد الكريم الخطابي، حيث خلد هذا الشعر هذا المقاومة منذ إرهاصات الأولى التي توجهت بمؤتمر "القامة" حيث بويع محمد بن عبد الكريم الخطابي أميرا على الريفيين إلى حين استسلامه مروراً بتسجيل المعارك التي دارت رحاها بالريف، ووصف المجاهدين وتعبئتهم للمقاومة، وهناك نماذج كثيرة تسجل بعض الأحداث التي مر منها الريف، منذ إعلان الأمير عن التعبئة لمقاومة المحتل إلى وصف المعارك مع ذكر بعض نتائج هذه المعارك.

أ-الإشادة بشخصية محمد بن عبد الكريم الخطابي

لم يفت الـ "إيزران" إيراد أوصاف ذاتية لشخص محمد بن عبد الكريم الخطابي، والافتخار به، كما نجد في هذا البيت الشعري يذهب مباشرة إلى شخص محمد بن عبد الكريم الخطابي، ويصفه مستعيراً صفات من الطبيعة حتى يضيف عليه هبة و وقاراً، هذا الوقار الذي يتضح أكثر في هذا البيت:

ءايا مولاي موحد بوثنان ءي زدجوبا

شنا مرا يرزاه ثوارت ن ثمزدا

الترجمة بالعربية:

أيا مولاي موحد صاحب الجلبابين

يستحق فتح باب المسجد

وجليه هنا النفحة الدينية التي اتسمت بها حركة محمد بن عبد الكريم الخطابي، الذي كان يروج لخطاب مشبع بالقيم الدينية، بغية القضاء على القلاقل التي كانت تسود القبائل لتوحيدها على ما يجمعها، هو الدين الاسلامي.

كما نجد أن الشعر وصف كذلك "ابن عبد الكريم الخطابي" الزعيم المحارب، ولم يكتفي بوصف ابن عبد الكريم الانسان، كما نجد في القصيدة التالية¹⁷:

ءايا مولاي موحد زعيم أمقران

أكورياخي خ نص ءاقرطاس ءيسدار

الترجمة بالعربية:

أيا مولاي موحد أيها الزعيم الكبير

البندقية في الوسط والرصاص في الجانب

وهذا المعنى يتكرر كثيرا في الشعر حيث نجده كثيرا ما يتغنى بزعامة محمد بن عبد الكريم الخطابي وتفتخر به، وإليه تسند فضل توحيد قبائل الريف مثل ما نجد في البيت التالي:

¹⁷ - عبد الصمد مجوقي: مرجع سابق، ص 67.

أيا مولاي موحد زعيم ن زعما

ء اكيس نشا نسوا ء اكيس نوبا رهنا.

الترجمة بالعربية:

أيا مولاي موحد يا زعيم الزعماء

معه أكلنا وشربنا وشعرنا معه بالأمان

ب-ثورة محمد بن عبد الكريم الخطابي

احتقلت النصوص الشعرية كثيرا بالتعبير عن هذه الثورة التاريخية، سواء من خلال وصف بداية التوغل الإسباني والأسلحة التي استعملها، أو مزايا بطل الريف والاشادة بشجاعة المقاتلين الريفيين، ناهيك عن وصف دقيق التي خاضها السكان الريفيين والتشهير بالخونة الجبناء كما نلاحظ ذلك من خلال البيت الشعري:

يقول الشاعر في التهكم من العدو تحقيره رغم تفوقه من حيث العدة

ستا ن طيارات ويس سبعا ذاقبوز

بويجروان اعفان اضع ذي ربيوز

الترجمة بالعربية:

ست طائرات والسابعة ضخمة

العدو الخبيث طمع في النسور

وفي قصيدة أخرى "دهار أبران" نقرأ ف موضوع الإشادة بمشاركة المرأة الريفية في القتال وحين استسلم أمير الريف للفرنسيين، حقنا للدماء، تم نيفه إلى جزيرة "لاريونيون" بالمحيط الهادئ وبقدر ما كانت فرحة السكان كبيرة بانتصار انوال كان حزنهم ايضا كبيرا بعد انتهاء الحلم الجميل إثر مغادرته زعيمهم و قائدهم أرضه ووطنه منفيا

فغاغد أذعياغ أور إينو تيمدجي

فقدغ مولاي محند أومي وذا يدجي

أيا مولاي محند كي ثمورا دانوجي

اتهيلات ذاكس أراعاشات ميكذ إيتيري

الترجمة بالعربية:

خرجت لأمرح وقلبي فحم

فقدت مولاي موحد لأنه لم يعد يتواجد هنا

أيا مولاي موحد في الغربة ضيف

اعتنوا به أيها الرفاق الذين يتواجد معهم

ج-صورة فرنسا في شعر المقاومة

فرنسا بقيت محايدة ومتفرجة على مسار الحرب بين الريف وإسبانيا الى حدود 1923، فقد كانت ترى أن الأمر لا يعنيها كثيرا مادامت الحرب تدور في منطقة الحماية الاسبانية...

لقد رسخت مقاومة القبائل للاستعمار الفرنسي، في كل البوادي المغربية الخاضعة له، صورة القبلي الساذج والمتعصب المقاوم لكل جديد والمعادي للأجنبي في أذهان المسؤولين الفرنسيين بالمغرب، وأنه من السهل استمالته بالعمل السياسي والإغراء المادي وإخضاعه أيضا بالعمل العسكري، ولعل هذه الصورة هي التي هيمنت أيضا على الجنرال الاسباني "سيلفستري" تجاه مقاومة الريف قبل معركة "ادهار أوبران". لذلك استهانت السلطات الفرنسية بحركة محمد بن عبد الكريم الخطابي وبقيت محايدة تتفرج على انكسارات إسبانيا...

وكان تطور الأحداث في الجبهة بين المقاومة الريفية والقوات الاسبانية خاصة بين سنتي 1921 و 1923 قد بدأ يدفع الاسبانين إلى تأمل الحركة الريفية بجدية أكبر. فبدأ التفكير في استيعابها والتأثير عليها، إلى درجة أن النخبة السياسية الفرنسية داخل فرنسا نفسها كانت تنظر إلى الحركة كحركة تابعة لها¹⁸.

لذا أنتجوا الريفيين ألبات شعرية يحذرون فيها الفرنسيين وأنا مصيرهم سيكون مصير إسبانيا في حالة دخول الريف.

أيا مولاي موحد زعيم أسياس

إجودج حتا أومي يارا أفرانسييس أر دساس

أيا رحمام إنو إطاون أور إتروس

راح صيوضاس سرام إي رايس ن أوفرانسييس

إنياس تدوكرد عبد كريم ذ أمنحوس

سوكند غاري ركنوس ياسا ذايي أومنوس

الترجمة بالعربية:

يا مولاي موحد أيها الزعيم السياسي

قد أقسم على أن يعيد فرنسا إلى الحضيض

أيها الحمام الذي يطير ولا يقف

حلق بلغ رسالة للرئيس الفرنسي

قل له إن عبد الكريم نحس عليك

هجمت علي الدول فسكن في كياني القلق.

يمدح الشاعر في هذه الأبيات قائد المقاومة محمد بن عبد الكريم الخطابي، السياسي البار، ويعتبره قادرا على دحر الفرنسيين، ويطلب من الحمام أن يطير ويحمل رسالة إلى الرئيس الفرنسي لينبئه فيبتعد عن محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي سيصبح نحسا عليه¹⁹.

إن مشاركة أبناء الريف في الحرب الأهلية الاسبانية سنوات بعد حرب الريف التحررية، سيجد كثير من الريفيين أنفسهم

¹⁸ - محمد أقضااض، محمد الولي، ملحمة ادهار أوبران أنشودة المقاومة الريفية، الطبعة الأولى، مطبعة المناهل، 2007، ص 128-129.

¹⁹ - نفسه، ص 127.

مجبزين على الانخراط في سلك الجندية الإسبانية بقيادة الجنرال فرانكو، والمشاركة في حرب الأهلية الإسبانية (1936-1939)، فكان أن صدحت حناجر الشعراء، واتقدت شاعريتهم في التأثير من هذا الخطب الجلل، فنقلوا أهوال المعارك، ورسوموا صورة نحال القتلى والجرحى والمعطوبين، وباحوا بمشاعر الشوق إلى الأحبة والديار. وهي نفس المشاعر التي حملها شعر أهالي الجنود وهم يودعون أحبائهم وأقاربهم، ثم وقد استبد بهم الشوق إليهم، وأخيرا لحظة استقبال من نجا منهم من هذه الحرب الضروس، ومن النصوص الشاهدة نورد هذا الإزري²⁰:

طوموبين ناشمراشت خيذورار ن سيبيا

أ تكسي إمجراح إواضيبب أثنيداوا

الله مانا أوداوي والله إيرا ثجرا

الترجمة بالعربية:

السيارة البيضاء (أراها تسير) على جبال إشبيلية

حاملة الجرحى إلى الطبيب ليداويهم

كيف يقدر أن يداويهم يا لها من ورطة يا إلهي.

والذي ينقل صورة عن حال الجرحى من الجنود وقد سيقوا إلى مستوصف لن يعيد إليهم صحتهم ولا أطرافهم التي بترت في المعركة. وهذا النص في الحقيقة ناقل أمين لمناخ تراجيدي حزين الذي يغلب على الشعر هذا الموضوع، إذ يبدو من المتيسر تلمس مساحات اليأس والألم والندم والأسى في شعر الريفيين وهو يرسمون واقع هذه الحرب التي زجوا بهم فيها زجا²¹.

يقدم الشعر الشفوي المواكب لهذا الحدث معطيات مهمة حول أسباب انخراط أبناء الريف في هذه الحرب التي لا ناقة لهم فيها ولا جمل، وعلى الوضع الاقتصادي والاجتماعي بالريف خلال هذه الحقبة.

يقول أحد شعراء متلمسا من أمه الآن بالانخراط في الجندية²²:

جايي أيما جايي أذ بولسغ

إشت بويوت أتشغ إشت أمتيد سقاذغ

الترجمة بالعربية:

أتركيني يا أمي أن أجند

خبزة أكلها وأخرى أرسلها لك.

ومن خلال البيت السالف نلاحظ أن الريفيين دخلوا إلى الجندية الإسبانية بسبب الفقر والمجاعة التي خلفتها الحرب ضد الأسبان.

²⁰ - جمال أبرنوص، مرجع سابق، ص 109-110.

²¹ - نفسه، ص 110.

²² - بلقاسم الجطاري، عبد الرزاق العمري، مرجع سابق ص 70.

وقد سجل ها الشعر ما خلفته هذه الحرب من مآسي للعائلات الريفية، فقد قتل وأعطب في الحرب عدد كبير من الشباب مخلفين وراءهم اليتيم والتكل:

أثمغاث أبوليس شغام زي رسمان

أقام أرياز نم ذي سبانيا يسما

الترجمة بالعربية:

يا زوجة الجندي كفاك من طهي "المسمن"

زوجك في إسبانيا قد أصبح جثة ننتة.

وبالتالي يمكننا أن نقول الريفيين كانوا مجبرين للمشاعة في حرب الأهلية الإسبانية وليس عن طوعية نظرا لعدة أسباب.

المبحث ثالث: البعد الوظيفي لشعر المقاومة

سنحاول عقد مقارنة بين توظيف الشعر و الحكايات والمرويات الشعبية لتحفيز ودعم المقاومة في الريف ضد الاستعمارين الأسباني والفرنسي وبذلك أصبحت هذه الأجناس الأدبية أن صح التعبير تشمل بعدا وظيفيا لذلك جاءت مقاطع الأبيات خالية من الإيحاءات و الاستعارات وعمق في المعاني، وكانت الصور مادية شفافة مباشرة بعيدة عن التجريد وهو ما أفقد الشعر في هذه الحقبة بعده الجمالي، وهو نفس الشيء رغم غياب مفهوم التزامن مس الشعر في صدر الإسلام إذ أصابه وهن وتقهقر مقارنة بالشعر الجاهلي والمعلقات السبع، إذ اعتبر الشعر في هذه المرحلة ديوان العرب، أما الإسلاميون في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم لعبوا دورًا هامًا في خدمة الدعوة الإسلامية و من أبرز هؤلاء الشعراء حسان بن ثابت الذي اعتبر أحد الشعراء البارزين في المدينة المنورة، وقد استخدم شعره للدفاع عن الإسلام والرد على الشعراء الذين يسخرون من المسلمين. أما عن القيمة الشعرية والجمالية في العصر الجاهلي، كانت القصائد تُكتب غالبًا لتمجيد القبيلة، الفخر بالنفس، الوصف والغزل والمدح والتباري بين الشعراء في نظم الشعر و في المدح التكسبي. و قد يكون سبب خفوت القيمة الشعرية وقد يرجع النقاد سبب قوة وجمالية الشعر هذه المرحلة هو تركيزه على توثيق الحياة اليومية والعاطفية والاجتماعية للإنسان في الحقبة الجاهلية.

بشكل عام، يمكن القول أن الشعر في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كان له دور هام في خدمة الدعوة الإسلامية، ولكن قد تكون القيمة الشعرية والجمالية للشعر في هذه المرحلة مختلفة عن تلك الموجودة في العصر الجاهلي، وهو الأمر ذاته مس الشعر والحكايات و المرويات في الريف التي كانت تتميز بعمق في المعنى و بالحكم و بتمثالات الناس عن واقعهم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لكن ما أن انخرط الشعر في دعم المقاومة و طغى عليه البعد الوظيفي الذي أفقده بعده الجمالي

خاتمة

جعلت المقاومة الريفية من الحدث التاريخي موضوع عمل شعري يتجلى في شعر المقاومة، يساهم فيه كلا من الرجل والمرأة سواء من خلال الفوز في المعارك أو من ناحية الشوق والحنين للمقاوم الريفي، أو من خلال مؤازرة المعطوبين والجرحى أثناء الحرب.

وقد كان من ثمرات هذه الجهود أن ظهرت بالريف أصوات شعرية شابة عملت على نقل الممارسات الشعرية إلى آفاق جديدة وإنقاذ ما يمكن إنقاذه عن طريق الكتابة والنشر.

ومن ناحية أخرى كوثيقة تاريخية سجلت شعر المقاومة ضد المستعمر وظهرت مجموعات غنائية وشعراء فنانيين حافظوا على ما أنتجته الذاكرة الجماعية أو إبداعاتهم الفردية حول مجريات المقاومة مثل: فرقة ثروا ن الشيخ محند، فرقة إثران، الوليد ميمون محمد شاشا، تواتون،...

وبالتالي يمكن اعتبار الشعر وخاصة شعر المقاومة الشفوي كوثيقة تاريخية ناقلة لأحداث ومجريات الحقب السابقة، حتى وإن طالها الغموض من طرف المؤرخين.

لائحة المصادر والمراجع

- أحمد عبد السلام البوعياشي: حرب الريف التحررية ومراحل النضال، ج1، سنة 1974.
- محمد شفيق: لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين، دار الكلام، الرباط، ط 1988.
- جمال أبرنوص: الشعر الأمازيغي الريفي التقليدي، بحثفي النص والسياق، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، وجدة رقم 52.2007، سلسلة بحوث ودراسات رقم 20/2017.
- جميل حمداوي: الشعر الأمازيغي بمنطقة الريف ومقاومة محمد الشريف أمزيان (1907-1912م)، مقال ب توات مؤسسه ثقافيه أمازيغية.
- عبد الصمد مجوقي: المقاومة الريفية من خلال الشعر الأمازيغي الريفي "دهار ءوبران" نموذجاً، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش الحرير، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، 2014.
- بلقاسم الجطاري، عبد الرزاق العمري: الأدب الأمازيغي بالريف من الشفاهية إلى الكتابة ومأزق الترجمة، الطبعة الأولى، مطبعة الشرق وجدة، 2008.
- محمد أقضاض، محمد الولي، ملحمة ادهار أوبران أنشودة المقاومة الريفية، الطبعة الأولى، مطبعة المناهل، 2007.

الاستعارة المفردة في القرآن الكريم – دراسة بلاغية جمالية تحليلية

د. عبدالحفيظ خضر محمد بادي¹

¹ أستاذ البلاغة والنقد المساعد، كلية اللغات والعلوم الإنسانية – بريدة، جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية

بريد الكتروني: hafizbadi3@gmail.com

HNSJ, 2025, 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/13>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/68/13>

تاريخ النشر: 2025/08/01م

تاريخ القبول: 2025/07/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/07/07م

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل الاستعارة المفردة في القرآن الكريم تحليلاً بلاغياً وجمالياً، للكشف عن أبعادها الفنية ودورها في تشكيل المعنى وإبراز إعجاز النص القرآني. اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وتناولت في مبحثها الأول التأصيل النظري للاستعارة المفردة من حيث المفهوم والأركان والأنواع، مركزة على التصريحية والمكنية. أما المبحث الثاني فقد استعرض الأبعاد الجمالية للاستعارة، مثل تجسيد المعاني المجردة، وتشخيص الجماد، والتخييل، وإحياء الحالات النفسية، وإثارة الخيال والتأثير الوجداني. وتوصلت الدراسة إلى أن الاستعارة المفردة في القرآن ليست مجرد أداة بلاغية للتجميل، بل وسيلة بنيوية لصياغة الدلالة، وتعميق التأثير الفني والوجداني. وأوصت بإجراء دراسات بينية ومقارنة بين الاستعارة المفردة والمركبة، واستكشاف أثرها النفسي والمعرفي على المتلقي.

الكلمات المفتاحية: الاستعارة المفردة، التصريحية، المكنية، الجمالية، التخييل.

RESEARCH TITLE

Single Metaphor in the Holy Quran – An Aesthetic and Analytical Study

Dr. Abdelhafiz Khidir Mohammed Badi¹

¹ Assistant professor of rehtoric and criticism-Depatment of Arabic Language-College of languages and Humanities- Qassim. University Buraida, KSA.

Email: bady@qu.edu.sa

HNSJ, 2025, 6(7); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/13>

Arabic Scientific Research Identifier: <https://arsri.org/10000/68/13>

Received at 07/07/2025

Accepted at 15/07/2025

Published at 01/08/2025

Abstract

This study aims to analyze the single metaphor in the Holy Quran from rhetorical and aesthetic perspectives, highlighting its artistic dimensions and its role in shaping meaning and enhancing the miraculous nature of the Quranic text. The research adopts a descriptive analytical methodology. The first section provides a theoretical foundation for single metaphor, defining its concept, components, and types, with a focus on explicit and implicit metaphors. The second section explores the aesthetic dimensions of single metaphor, including the embodiment of abstract meanings, personification of inanimate objects, imaginative visualization, psychological suggestion, and emotional resonance. The study concludes that single metaphor in the Quran is not merely a rhetorical ornament, but a fundamental structural device for constructing meaning and deepening the artistic and emotional impact of the Quranic message. It recommends interdisciplinary and comparative studies on the cognitive and psychological effects of Quranic metaphor on recipients.

Key Words: Single Metaphor, Explicit, Implicit, Aesthetic, Imagery.

مقدمة البحث:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد

لقد استأثر القرآن العظيم بعناية العلماء واهتمام الباحثين والدارسين على مر العصور للكشف عن أسرار نظمته وبديع أساليبه واستجلاء كنوز بلاغته ودلالته. وفي هذا السياق يبرز علم البلاغة كعلم من العلوم الإسلامية، التي تعمل على إبراز وجوه الإعجاز البياني في القرآن الكريم، وكأداة أساسية لفهم هذه الجماليات القرآنية الكامنة والكشف عن تأثيره العميق في النفس الإنسانية. يحتل أسلوب الاستعارة مكانة سامية في علم البلاغة، فهو أسلوب جمالي وتعبيري، ظفر باهتمام الأدباء والنقاد والبلاغيين الأوائل، وعلماء اللسانيات في العصر الحديث، وبخاصة في مجال الدلالة والأسلوبية، ولا يخلو خطاب في فن من فنون اللسان العربي من أسلوب الاستعارة، فهو من أبلغ الأساليب البيانية وأوسعها أفقاً وأكثرها قدرة على تجسيد المعاني المجردة، وتقريب الصور الذهنية. ومن بين أنواع الاستعارة المختلفة، تتبوأ الاستعارة المفردة (التصريحية والمكنية) منزلة عالية في التعبير؛ لما تتميز به من دقة في التصوير، وعمق في الإيحاء، وإثارة للخيال، حيث يتم فيها إخفاء المشبه به والإشارة إليه بذكر شيء من لوازمه تاركةً للمتلقى متعة الاستكشاف والتأويل. ويزخر القرآن الكريم بأسلوب الاستعارة المفردة (التصريحية والمكنية) التي تضفي عليه جمالاً وروعةً وبهاءً، فمن خلال تلك الصور الاستعارية البديعية يتم تجسيد المفاهيم الغيبية، وتقريب الدلالات المجردة إلى الحس، وتشخيص المعاني والجمادات مما يجعل الخطاب القرآني حيويًا ومؤثرًا في القلوب والعقول. بسبب كل ذلك يأتي هذا البحث العلمي ليسلط الضوء على الجانب الجمالي في الاستعارة المفردة في سياقاتها المختلفة، كما يهتم بتحليل آيات الاستعارة المفردة. فإن فهم تحليل آلية الاستعارة المفردة في القرآن الكريم يساعدنا في معرفة طرف من أسرار نظم القرآن وإعجازه البياني.

وتتطلب هذه الدراسة من التساؤل المركزي التالي: ما الأبعاد الفنية للاستعارة المفردة في القرآن الكريم؟ وما الآليات التي تحقق بها تأثيرها في المتلقي؟ ولتحقيق هذه الغاية سيتناول البحث بالتحليل نماذج مختارة من الاستعارات المفردة في القرآن الكريم، مع التركيز على الأغراض البلاغية التي تخدمها، والآثار الفنية التي تحدثها في سياق النص. كما يسعى البحث إلى استكشاف الأنماط المميزة لاستخدام هذا النوع من الاستعارة في الموضوعات القرآنية المختلفة، والكشف عن السمات البلاغية الفريدة، التي تضفيها على النظم القرآني. نأمل أن تكون هذه الدراسة إضافة نوعية إلى الدراسات البلاغية في القرآن الكريم، وتسهم في تعزيز التدبر في آياته الكريمة.

مشكلة البحث:

تمثل الاستعارة المفردة (التصريحية والمكنية) أحد تجليات البلاغة القرآنية، حيث تُضفي على آيات القرآن الكريم جمالاً فنياً بديعاً، وتتجاوز آليات الاستعارة المفردة المعاني المعجمية المباشرة لتؤسس لعلاقات ضمنية بين المفاهيم، وتثير في نفس المتلقي آفاقاً فسيحة من التأمل والتأويل والفهم، وبالرغم من الاهتمام المتزايد بالدراسات البلاغية في القرآن الكريم، فلا يزال البحث في آليات اشتغال الاستعارة المفردة يستدعي مزيداً من التحليل والتفصيل. من هنا، تنبع أهمية هذه الدراسة التي تسعى للكشف عن الأبعاد الجمالية في الاستعارة المفردة في سياقاتها القرآنية المختلفة، وتقديم تحليل لآليات توليدها للمعاني وتأثيرها في نفس المتلقي.

منهج البحث:

يسير هذا البحث على المنهج الفني الوصفي التحليلي، ذلك المنهج الذي يهتم بتحليل القيم التعبيرية والقيم الشعورية كما يستضيء بالمنهج التاريخي في تتبع آراء السابقين، والمنهج النفسي في رصد الأبعاد الجمالية النفسية وقيمتها الفنية.

أهمية البحث:

تستمد هذه الدراسة أهميتها من كونها تتناول موضوعاً حيواً في الدراسات البلاغية القرآنية، ألا وهو الاستعارة المفردة (التصريحية والمكنية)، التي تمثل تجلياً للإعجاز البياني في القرآن الكريم. فالكشف عن آليات عمل هذه الاستعارة، وتحليل أبعادها الجمالية في سياقاتها القرآنية المختلفة يسهم في تعميق فهمنا لأساليب التعبير القرآني البليغ وقدرته الفائقة على التأثير والإيحاء. إضافة إلى ذلك، فإن الدراسة التحليلية المعمقة للاستعارة المفردة في القرآن الكريم تفتح آفاقاً جديدة لفهم العلاقة بين اللغة والتفكير والتأمل، وكيف يمكن للصور البلاغية أن تُشكّل تصوراتنا للمعاني الدينية والقيم الإسلامية؟ ومن هذا المنطلق أرجو أن يُشكّل هذا البحث إضافة نوعية للمكتبة القرآنية والبلاغية، ويسعى إلى تقديم نموذج تطبيقي لتحليل الاستعارة المفردة (التصريحية والمكنية) حتى يُستفاد منه في دراسات قرآنية بلاغية لاحقة.

أسئلة البحث:

يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن التساؤلات التالية المتعلقة بالاستعارة المفردة في القرآن الكريم:

- 1- ما المقصود بالاستعارة المفردة؟ ولماذا سُميت بهذه الاسم؟
- 2- كيف تتجلى الأبعاد الجمالية للاستعارة المفردة في القرآن الكريم على مستوى التعبير، والتصوير الفني؟
- 3- ما الآليات اللغوية والبلاغية التي يتم من خلالها بناء الاستعارة المفردة في القرآن الكريم، وما العناصر التي تسهم في فاعليتها الإيحائية والتأثيرية.
- 4- هل توجد خصائص أسلوبية مُميّزة للاستعارة المفردة في القرآن الكريم تُميّزها عن غيرها من الفنون البلاغية؟

أهداف البحث:

- 1- توضيح مفهوم الاستعارة، وتحليل أبرز أنواع الاستعارة المفردة في القرآن الكريم.
- 2- الكشف عن الأغراض الجمالية المتنوعة التي تخدمها الاستعارة المفردة في الخطاب القرآني.
- 3- توضيح الآليات الفنية التي من خلالها تنثري الاستعارة المفردة الصورة في القرآن الكريم.
- 4- تقديم دراسة معمقة تسهم في فهم الأبعاد الجمالية للاستعارة المفردة في القرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

- 1- بحث بعنوان (الاستعارة وروائعها في القرآن الكريم) كتبه الباحثة الدكتورة السيدة مسرت جمال، جامعة بيشاور باكستان، نُشر في مجلة الداعي الشهرية، الصادرة عن دار العلوم ديوبند، الهند شعبان 1428هـ - أغسطس - سبتمبر 2007م، العدد 8 السنة 31. تناولت الباحثة في بحثها تعريف الاستعارة، وأقسامها المختلفة، وكان بحثها في القرآن الكريم عن جماليات الاستعارة بكل أنواعها وأسرارها البلاغية، من خلال مجموعة من الآيات القرآنية.
- 2- بحث بعنوان (سر جمال الاستعارة في القرآن الكريم - دراسة تفسيرية بيانية) كتبه الدكتور نبيل مسالتي، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة الجزائر، نُشر في مجلة الشهاب كلية العلوم الإسلامية، جامعة الوادي - الجزائر، المجلد 9، العدد 2، ص: 419 - 434، بتاريخ 15 / 7 / 2023م. بدأ الباحث بحثه بمهاد معرفي عن: القرآن الكريم، والتفسير، والبيان، والاستعارة وأنواعها. ثم عقد مهاداً تأصيلياً للتجسيم، والتشخيص، والتوضيح، ثم تناول آيات مختارة من

القرآن الكريم من خلال تلك المفاهيم السابقة لبيان سر جمال الاستعارة في القرآن الكريم، ثم خُص في نهاية البحث إلى أهمية تحديد أركان الاستعارة ومعرفة السياق وقرائن الأحوال؛ لأنها تساعدنا في فهم معاني الآيات القرآنية، وإدراك الخيال.

المبحث الأول

التأصيل النظري للاستعارة المفردة

يهدف هذا المبحث إلى وضع الإطار النظري لموضوع (الاستعارة المفردة في القرآن الكريم - دراسة جمالية تحليلية)، وسنتناول فيه مفهوم الاستعارة لغةً واصطلاحاً، وذكر أنواعها وأقسامها مع التركيز على الاستعارة المفردة (التصريحية والمكنية) وأركانها الأساسية، ثم جوانب بلاغتها وجمالها وأسرار تأثيرها في المتلقي.

تعدّ الاستعارة من أهم الظواهر اللغوية والبلاغية التي حظيت باهتمام بالغ عبر العصور، وقد أدرك الفلاسفة والبلغاء قيمتها منذ القدم، وعرفها أرسطو بقوله: (والاستعارة هي نقل اسم شيء إلى شيء آخر، فلما أن يُنقل من الجنس إلى النوع، أو من النوع إلى الجنس، أو من نوع إلى نوع، أو يُنقل بطريقة المناسبة). (أرسطو، 1993، ص: 116) فجوهر الاستعارة عند أرسطو أنها (نقل) بمعنى إطلاق اسم على شيء عن طرق العلاقة الضمنية التي تجمع بينهما، ثم حدّد أرسطو أربعة أنواع للنقل، ولعلّ النوع الرابع هو الأكثر غموضاً وإبداعاً، حيث يتم الربط بين شيئين لا يتشابهان ظاهرياً ولكن توجد بينها علاقة تناسبية، وهنا يتحدث أرسطو عن العلاقة العقلية. ويتضح لنا إعجاب أرسطو بالاستعارة حين وصفها بقوله: (وأعظم هذه الأساليب حقاً هو أسلوب الاستعارة، وهو آية الموهبة). (أرسطو، 1993، ص: 116) فتعد هذه العبارة الوجيزة شهادة تقديرية رفيعة للاستعارة، حيث يضعها أرسطو في قمة الأساليب البلاغية، ويربطها ربطاً وثيقاً بالملكة الإبداعية والموهبة الفنية، واستخدام عبارة (أعظم هذه الأساليب حقاً) تدل على التفضيل، كما أن لفظة (حقاً) تؤكد التفوق والأهمية والأصالة لفن الاستعارة في الإبداع، أما لفظة (أسلوب) فتدل على أن الاستعارة وسيلة إبداعية لتحقيق غاية بلاغية فنية، وعبارة (هي آية) تحمل معنى الدليل والبرهان، وأن القدرة على صياغتها يعتبر مظهراً من مظاهر البراعة الفنية والذوق الرفيع. وعلى الرغم من ظهور تعريفات بلاغية كثيرة للاستعارة بعد هذا التعريف، لكن تعريف أرسطو للاستعارة لا يزال يحتفظ بقيمته الإيحائية، كما لا يزال مصدر إلهام للمهتمين بدراسة الأدب والبلاغة والنقد. ولعلّ أبا عمرو بن العلاء من أقدم العلماء الذين أشاروا إلى الاستعارة وذكروها في حديثهم، فقد روى أبو علي الحاتمي: (عن أبي عمرو بن العلاء، قال: كانت يدي في يد الفرزدق، وأنشدته قول ذي الرمة:

أقامت به حتى ذوى العود في الثرى وساق الثريا في ملاءته الفجر

قال: فقال لي: أأرشدك، أم أدعك؟ قلت: بل أرشدني. فقال: إن العود لا يزوي أو يجف الثرى، وإنما الشعر، حتى ذوى العود والثرى، قال أبو عمرو: ولا أعلم قولاً أحسن من قوله: وساق الثريا في ملاءته الفجر، فصير للفجر ملاءة، ولا ملاءة له، وإنما استعار هذه اللفظة، وهو من عجيب الاستعارات) (الحاتمي، 1979م، ص: 1/126) وأثنى أبو العباس على جمال استعارة ذي الرمة، بقوله: (هذا لعمرى نهاية الخيرة، وذو الرمة أبدع الناس استعارة). (الحاتمي، 1979م، ص: 137/1).

مفهوم الاستعارة لغة:

الاستعارة لغة: تعني الحركة والتّردّد والتّحويل، ونجد هذه المعاني في قول أحمد بن فارس (ت395هـ) عن أصل لفظة الاستعارة في اللغة: (عَيَّرَ) العَيْنُ وَالْيَأُ وَالرَّاءُ، يَدُلُّ عَلَى مَجِيءٍ وَذَهَابٍ. وَالْعَيْرُ: الْحِمَارُ الْوَحْشِيُّ وَالْأَهْلِيُّ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ عَيْرًا لِتَرَدُّدِهِ وَمَجِيئِهِ وَذَهَابِهِ. وَإِنْسَانُ الْعَيْنِ عَيْرٌ، يُسَمَّى لِمَا قُلْنَا مِنْ مَجِيئِهِ وَذَهَابِهِ وَاضْطِرَابِهِ). (ابن فارس،

1979م، عَيْرَ)، كما تعني تحويل الشيء من مكان إلى مكان، وفي هذا يقول ابن منظور (ت711هـ): (وَمِنْهُ إِعَارَةُ الثِّيَابِ والأدوات، وَاسْتَعَارَ فلانٌ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ: رَفَعَهُ وَحَوَّلَهُ مِنْهَا إِلَى يَدِهِ). (ابن منظور، 1414هـ، عَيْرَ). والاستعارة مأخوذة من العارية، قال ابن منظور في موضع آخر: (والعاريّة والعارة: مَا تَدَاوَلُوهُ بَيْنَهُمْ؛ وَقَدْ أَعَارَهُ الشَّيْءُ وَأَعَارَهُ مِنْهُ وَعَاوَرَهُ إِيَّاهُ . والمُعَاوَرَةُ والتَّعَاوُرُ: شَبُهَةُ الْمُدَاوَلَةِ والتَّدَاوُلِ فِي الشَّيْءِ يَكُونُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، وَتَعَوَّرَ وَاسْتَعَارَ: طَلَبَ الْعَارِيَّةَ. وَاسْتَعَارَ الشَّيْءَ وَاسْتَعَارَهُ مِنْهُ: طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُعِيرَهُ إِيَّاهُ). (ابن منظور، 1414هـ، عَيْرَ).

الاستعارة اصطلاحاً:

هناك صلة وثيقة بين المعنى اللغوي للاستعارة والمعنى الاصطلاحي البلاغي، لذلك نجد التعريفات البلاغية للاستعارة تدور حول نقل اللفظ من معناه الحقيقي إلى معنى مجازي، ولعل أول من عرّف الاستعارة في التراث العربي تعريفاً بلاغياً هو الجاحظ (ت255هـ)، وقد ورد تعريفه البلاغي للاستعارة في تعليقه على قول الشاعر:

وطفقت سحابة تغشاها تبكي على عراصها عيناها

حيث قال: (وطفقت، يعني ظلت. تبكي على عراصها عيناها، عيناها هنا للسحاب، وجعل المطر بكاءً من السحاب على طريق الاستعارة، تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه). (الجاحظ، 1958م، ص: 142/1) يتسم تعريف الجاحظ بالإيجاز والتركيز على جوهر الاستعارة، ويشير قوله (إذا قام مقامه) إلى وجود علاقة مشابهة وظيفية أو تأثرية بين هذين الشيئين، وتتضح علاقة المشابهة في المثال السابق (تبكي على عراصها عيناها) حيث يقوم المطر (أثر البكاء) مقام الدموع (علامة البكاء). فالجاحظ يؤكد في تعريفه على فكرتين، الأولى: التجاوز الاسمي، والثانية: العلاقة التي تربط بين المستعار منه والمستعار له.

واهتم ابن المعتز (ت296هـ) بالاستعارة، ووضعها أول باب في كتابه (البدیع)، وذلك لمكانتها في تحسين الكلام وتزيينه، وأورد لها مجموعة كبيرة من الأمثلة، ثم عرّفها بقوله: (وإنما هو استعارة الكلمة لشيء لم يُعرف بها، من شيء قد عُرف بها؛ مثل: أم الكتاب، وجناح الذل). (ابن المعتز، 1990م، ص: 75) لقد أضاف ابن المعتز في تعريفه بُعداً جديداً، وهو البعد المعرفي للكلمة، فالاستعارة عند ابن المعتز استخدام كلمة ذات دلالة أصلية معروفة في سياق جديد لم تُعرف به من قبل، ففي قوله (أم الكتاب) يستعير لفظ (الأم) للدلالة على الأصل والمرجع، كما في دلالتها الأصلية على الوالدة. ولما كان الجاحظ أول من وضع أساس البلاغة، وابن المعتز أول من صنف في علم البديع، يقول الدكتور بدوي طبانة معلقاً على تعريفهما للاستعارة: (ولعل هذين التعريفين القديمين اللذين أثرا عن الجاحظ وابن المعتز هما الأصل الذي روعي في محاولات العلماء للتعريف والتحديد، وكل تعريف قديم أو مستحدث لا يخرج في جوهره عن جوهر هاتين الكلمتين المأثورتين) (طبانة، 1958م، ص: 299)

وعقد قدامة بن جعفر (ت337هـ) باباً للاستعارة في كتابه (نقد النثر)، تحدث فيه عن الحاجة إليها في كلام العرب، فقال: (وأما الاستعارة فإنما احتيج إليها في كلام العرب لأن ألفاظهم أكثر من معانيهم، وليس هذا في لسان غير لسانهم، فهم يعبرون عن المعنى الواحد بعبارات كثيرة ربما كانت مفردة له، وربما كانت مشتركة بينه وبين غيره، وربما استعاروا بعض ذلك في موضع بعض على التوسع والمجاز). (قدامة، 1941م، ص: 71) ذكر قدامة بن جعفر في تعريفه علة وجود الاستعارة في اللغة العربية، وذلك أن العرب يلجأون إليها للتوسع اللغوي في التعبير، ولسد الفجوة بين الألفاظ والمعاني، فقدّم قدامة في تضاعيف حديثه تبريراً وظيفياً للاستعارة موضحاً ضرورتها في إثراء اللغة، وتلبية حاجات التعبير المتنوعة.

وعرّف الرماني (ت 386هـ) الاستعارة بقوله: (الاستعارة تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل). (الرماني، 1976م، ص: 85) أضاف الرماني في تعريفه قضيتين، الأولى تتمثل في قوله (تعليق العبارة) فالاستعارة قد تكون عبارة أو تركيباً وليست كلمة مفردة، والثانية في قوله (على جهة النقل) مما يدل على وجود عملية تحويل وتوجيه للمعنى الأصلي نحو معنى جديد.

ووصف ابن رشق القيرواني (ت 463هـ) الاستعارة بالحسن والجمال، حين يقول: (الاستعارة أفضل المجاز، وأول أبواب البديع، وليس في حلي الشعر أعجب منها، وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها، ونزلت موضعها). (ابن رشيق، 1975م، ص: 268/1) عزز ابن رشيق من مكانة الاستعارة السامية، وأكد على أهميتها الجمالية وضرورة ملاءمتها للسياق، ووضعها في الموضع المناسب لتحقيق الروعة والحسن. فقد لفت ابن رشيق الانتباه إلى الجانب السياقي والوظيفي ليكتمل جمال الاستعارة.

وعرّفها عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) بقوله: (اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدلّ الشواهد على أنه اختُصّ به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم، فيكون هناك كالعاريّة). (الجرجاني، أسرار البلاغة، ص: 30) يعتبر تعريف عبد القاهر الجرجاني هو التعريف الأكثر دقة وشمولية، حيث يركز على أربع قضايا أساسية، هي: أولاً: الأصل اللغوي المعروف للفظ. ثانياً: الاستعمال في غير هذا الأصل. ثالثاً: النقل غير اللازم، ويعني به أن الاستعمال المجازي ليس هو المعنى الأصلي والدائم للفظ. رابعاً: التشبيه بالعاريّة، مما يشير إلى علاقة مشابهة ضمنية بين المعنيين.

أما ضياء الدين بن الأثير (ت 637هـ) قد مزج بين الدلالة اللغوية والاصطلاحية، وذلك لتوضيح المعنى البلاغي والمعنوي للاستعارة وترسيخه في الذهن، فلجأ إلى القياس المنطقي بين مفهوم العاريّة الحقيقية المادية والاستعارة البلاغية المعنوية من خلال سرد الأسباب والشروط والدوافع القوية في كل منهما، مع تركيزه على العلاقات الفنية التي يجب أن تتوفر في الاستعارة البلاغية بين المعنى الأصلي واللفظ المستعار، حيث قال: (إنما سُمي هذا القسم من الكلام "استعارة"؛ لأن الأصل في الاستعارة المجازية مأخوذة من العاريّة الحقيقية التي هي ضرب من المعاملة، وهي أن يستعير بعض الناس من بعض شيئاً من الأشياء، ولا يقع ذلك إلا من شخصين بينهما سبب معرفة، ما يقتضي استعارة أحدهما من الآخر شيئاً، وإذا لم يكن بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه، فلا يستعير أحدهما من الآخر شيئاً؛ إذ لا يعرفه حتى يستعير منه، وهذا الحكم جار في استعارة الألفاظ بعضها من بعض، فالمشاركة بين اللفظين في نقل المعنى من أحدهما إلى الآخر كالمعرفة بين الشخصين في نقل الشيء المستعار من أحدهما إلى الآخر) (ابن الأثير، ص: 62/2 - 63) إن تتبع هذه التعريفات الاصطلاحية بالنقل والتحليل يوضح التطور المنهجي في الدرس البلاغي، وكيف سعى العلماء عبر الأجيال إلى فهم هذه الظاهرة اللغوية البديعة وتحليلها بدقة وعمق، لتصل إلينا في صورة أكثر اكتمالاً ونضجاً بفضل جهودهم المتراكمة.

أركان الاستعارة المفردة:

الاستعارة المفردة (التصريحية والمكنية) هي أحد أنواع الاستعارة في البلاغة العربية، وسُميت (مفردة) لأنها تتكون من كلمة واحدة فقط تُستخدم للدلالة على معنى آخر، أي أن اللفظ المستعار أو المستعمل في غير موضعه الأصلي يكون مفرداً (كلمة واحدة). وبمعنى آخر، هي استعارة تقع في لفظ واحد، سواء كان هذا اللفظ اسماً، أو فعلاً، أو حرفاً. وهذا ما يميزها عن الاستعارة المركبة التي تتكون من جملة أو أكثر. والاستعارة المفردة لها ثلاثة أركان أساسية لا تتم الاستعارة إلا بها، وهي:

- المستعار: وهو اللفظ المنقول أو الصفة التي أخذت من شيء وأعطيت لشيء آخر، أي ما وقعت فيه الاستعارة.

- المستعار منه: وهو المشبه به الحقيقي، الذي أخذت منه الصفة أو اللفظ.

- المستعار له: وهو المشبه الذي نُسبت إليه الصفة أو اللفظ المنقول.

ثم تأتي القرينة، والتي قد تكون لفظية (منطوقة)، أو معنوية (مفهومة). وفي تقديري أن القرينة ركناً أساسياً في عبارة الاستعارة، وليس في لفظة الاستعارة؛ لأن حقيقة الاستعارة تقوم على ادعاء أن المشبه من جنس المشبه به، وهذا الادعاء لا يصح إلا بوجود قرينة تمنع إرادة المعنى الأصلي للفظ المستعار، فالقرينة هي المانع الوحيد الذي يمنع الذهن من إرادة المعنى الحقيقي للفظ، وهي التي توجهه نحو المعنى المجازي المقصود.

ونستطيع توضيح تلك الأركان وتفصيلها من خلال قوله تعالى: (الرَّءِ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ). (سورة إبراهيم، الآية: 1) تشتمل هذه الآية الكريمة على ثلاث استعارات تصريحية، هي: (الظلمات)، و(النور)، و(صراط). ولكل استعارة ثلاثة أركان. فالاستعارة الأولى في كلمة (الظلمات): فالمستعار كلمة (الظلمات)، والمستعار له (الكفر)، والمستعار منه نعي به المعنى اللغوي المعجمي الذي وضعه اللغويون لكلمة (الظلمات). والاستعارة الثانية في كلمة (النور) فالمستعار كلمة (النور)، والمستعار له (الإيمان)، والمستعار منه هو المعنى الذي وضعه اللغويون لكلمة (النور). والاستعارة الثالثة في كلمة (صراط)، فالمستعار كلمة (الصراط)، والمستعار له (الإسلام)، والمستعار منه المعنى الذي وضعه اللغويون لكلمة (الصراط) في معجمهم اللغوي. يقول الدكتور فضل حسن عباس: (ويمكنك أن تدرك أن المستعار له دائماً هو المشبه، وأن المستعار منه هو المشبه به، وأن المستعار - وهو الكلمة - لفظ المشبه به. ويمكنك أن تستنتج قاعدة أخرى، وهي أهمية المشبه به في الاستعارة، إذ إنه الأساس لركنين من أركانها المستعار والمستعار منه، أما المشبه فليس إلا ركناً واحداً فقط، وهو المستعار له). (فضل، 2009م، ص: 189)

أنواع الاستعارة:

يمكننا أن نُقسم الاستعارة بشكل عام إلى خمسة أقسام رئيسية، يعتمد كل قسم منها على وجهة نظر خاصة في تركيب الاستعارة أو معناها:

1- من حيث طرفي الاستعارة (التصريحية والمكنية): يعتمد هذا التقسيم على حذف أحد طرفي الاستعارة (المشبه والمشبه به). فالاستعارة التصريحية ما حُذف فيها المشبه وصُرح بلفظ المشبه به. والاستعارة المكنية ما حُذف فيها المشبه به، ورُمز إليه بشيء من لوازمه.

2- من حيث جمود اللفظ واشتقاقه (الأصلية والتبعية): يرتبط هذا التقسيم بطبيعة اللفظ المستعار، من حيث كونه جامداً أو مُشتقاً. فالاستعارة الأصلية تكون في الأسماء الجامدة، والاستعارة التبعية تكون في الأسماء المشتقة والأفعال والحروف، وُسُميت (تبعية) لتبعيةها لاستعارة أخرى، لأنها في المشتقات تابعة للمصادر، وفي معاني الحروف تابعة لمتعلق معانيها). (الهاشمي، ص: 266) يقول الدكتور شفيع السيد: (والواقع أن هذا التقسيم للاستعارة التصريحية ليس إلا لوناً من تأثر النظرة البلاغية عند القدماء بمنهج الدراسة النحوية، ونحن لا نغيب التأثير بين البلاغة والنحو بصورة مطلقة، بل إنه لم يكن من الممكن تجنبه بينهما، وإنما الذي نغيبه أن يؤدي هذا التأثير إلى إكثار البلاغيين من التقسيمات والتفريعات جرياً وراء تقسيمات النحاة). (السيد، 1977م، ص: 138)

3- من حيث ذكر الملائم: (المجردة، المرشحة، المطلقة). يتعلّق هذا التصنيف بذكر ما يُلائم المشبه أو المشبه به، أو

عدم ذكر شيء منهما. فالاستعارة المجردة: هي ما ذكر معها ما يُلائم المشبه، (الطرف المحذوف). والاستعارة المرشحة: هي ما ذكر فيها ما يُلائم المشبه به (الطرف المذكور). يقول ابن أبي الأصبع: (وأجل الاستعارات الاستعارة المرشحة). (ابن أبي الأصبع، ص: 99) ثم الاستعارة المطلقة: وهي ما لم يُذكر معها شيء يُلائم المشبه أو المشبه به، أو ذكر معها ما يُلائمها معاً.

4- من حيث الأفراد والتركيب: المفردة والمركبة. يتناول هذا التقسيم عدد الألفاظ التي تُكوّن الاستعارة. فالاستعارة المفردة: ما كان اللفظ المُستعار فيها لفظاً واحداً، وهي الأنواع المذكورة سابقاً. والاستعارة المركبة: ما كان المُستعار فيها مركباً من عدة ألفاظ، كالاستعارة التمثيلية.

5- من حيث أن تكون أطراف الاستعارة حسية أو عقلية، أو أحدهما يكون حسياً والآخر عقلياً.

أنواع أخرى من الاستعارة:

إلى جانب هذه التصنيفات الأساسية، ذكر البلاغيون أنواعاً أخرى من الاستعارات، وتعكس هذه التقسيمات الكثيرة دقة ملاحظات البلاغيين، وتقديرهم لأوجه الاستعمال المختلفة، حيث تتناول جوانب معنوية وسياقية متعددة، مثل: الاستعارة التحقيقية، والتخييلية، والاحتمالية، والتعليقية، والتهمكسية، والخاصية، والحقيقية، والعنادية، واللطيفة، والكثيفة، والعامية، والقطعية، والوفاقية. وهذه التقسيمات للاستعارة تُشير إلى درجات من الوضوح، أو الغموض، أو شيوع الاستعمال، أو قوة العلاقة بين الطرفين. ولعل هذه التقسيمات الكثيرة ما حملت دكتور شفيع السيد أن يقول: (هذا فضلاً عن سائر التقسيمات الأخرى التي قسمت لها الاستعارة بعامة، وخضعت فيها تارةً لمنطق العقل، وتارةً أخرى لمناقشات لفظية جوفاء لا معنى لها، ولا تُقدم شيئاً ذا بال، ومُحصلة ذلك كله هو تجمّد الدراسات البلاغية، وعدم نفاذها إلى الجوهر واللباب وهو إدراك لمسة الجمال في التعبير والكشف عن مواطن الحسن فيه). (السيد، 1977م، ص: 129) ولعل هذا الرأي يتفق مع العديد من الآراء النقدية الحديثة التي تدعو إلى تجديد الدراسات البلاغية والخروج بها من دائرة التصنيفات الجافة إلى رحاب تذوق الجمال اللغوي. فالبلاغة في جوهرها هي فن الكشف عن مواطن الحسن في الكلام وإبراز تأثيره في المتلقي. إن التركيز المفرط على التقسيمات، سواء كانت عقلية بحتة أو لفظية جوفاء، قد يُبعد الباحث عن الغاية الحقيقية من البلاغة، ألا وهي فهم كيفية توظيف اللغة لخلق التأثير الفني والجمالي. وهذا الرأي لا يعني التخلي عن التصنيفات تماماً، فالتصنيفات الدقيقة قد تكون مفيدة في التنظيم والتوضيح، ولكن يجب أن تكون وسيلة لا غاية. وعرضت الدكتورة عزة جدوع تصنيفاً جديداً نسبياً في إطار الدراسات الأسلوبية الحديثة يعتمد على الخصائص الدلالية للاستعارة (التجسيمية، والاستحيائية، والتشخيصية) حيث تقول: (وتُصنّف الاستعارة لدى الأسلوبيين بحسب خصائصها الدلالية، ثلاثة أنواع: التجسيمية: وتكون باقتران كلمة تشير دلالتها إلى جماد بأخرى تُشير دلالتها على مُجرّد. والاستحيائية: وتحصل باقتران كلمة يرتبط مجال استخدامها بالكائن الحي، بشرط ألا تكون من خصائص البشر، بأخرى ترتبط دلالتها بمعنى مُجرّد أو جماد. والتشخيصية: وتكون باقتران كلمتين، إحداها تُشير إلى خاصية بشرية، والأخرى على جماد، أو حي، أو مُجرّد). (جدوع، 2017م، ص: 145) وعندما ننثي على هذا التقسيم ونصفه بالجديد، فإننا ننثي على كل النقد الذي أثروا هذه الاتجاه الأسلوبية وخاصة سيد قطب في مصنفاته النفيسة (التصوير الفني في القرآن) و(في ظلال القرآن) و(مشاهد القيامة في القرآن) و(النقد الأدبي أصوله ومناهجه)؛ ذلك لأن التصنيفات التقليدية غالباً ما تهتم بالشكل والعلاقة الظاهرية، أما هذا التصنيف فيغوص في نظم الاستعارة والدلالات العميقة المقترنة بها. كما أن هذا التصنيف يأتي من رحم الدراسات الأسلوبية، التي تُعنى بتحليل الأساليب اللغوية وكيفية بناء المعنى وتأثيره، بخلاف البلاغة القديمة التي تركز على جماليات القول وقواعده. وهذه الأنواع (التجسيم، الاستحياء، التشخيص) تُشير إلى طرق مختلفة في إدراكنا وتصويرنا للعالم

من خلال اللغة. ولا يفوتني أن أشير إلى أن هذه المفاهيم موجودة ضمناً في التحليلات البلاغية القديمة، إلا أن صياغتها بهذا الشكل المنهجي وتقسيمها إلى هذه الأنواع الثلاثة بناءً على الخصائص الدلالية هو نهج حديث يعكس تطور النقد الأسلوبية الذي يسعى إلى فهم أعمق لكيفية عمل اللغة في إنتاج المعنى والتأثير.

إن هذا التقسيم الدقيق للاستعارة يُثبت أن البلاغة العربية علم وفن يتناول أعماق اللغة ودقائق النظم وروائع التعبير، ويكشف عن آفاق الجمال الفني في النصوص، ويدعو إلى تدبر أسرارها. ولعلنا عندما اخترنا أن تكون دراستنا للاستعارة مقصورة على الاستعارة المفردة (التصريحية والمكنية) فقد أخذنا برأي الدكتور أحمد مطلوب حين قال بعد أن سرد أقسامها: (وتقسيم الاستعارة إلى تصريحية ومكنية خير وأجدى في دراسة هذا الفن، لأن ذلك عمدته ما دامت الاستعارة تقوم على التشبيه عند معظم البلاغيين). (مطلوب، 2007م، ص: 87)

خلاصة البحث:

تُعَدُّ الاستعارة في إطارها النظري تحولاً دلاليًا عميقاً؛ إذ تتباين تعريفاتها الاصطلاحية بين البلاغيين والنقاد السابقين، لتُظهر طبيعتها المنقولة من الأصل الوضعي. وتتجلى علاقتها الوثيقة بالتشبيه في كونها تشبيهاً حُذِفَ أحد طرفيه، كما تُمثل ركناً أساسياً من أركان المجاز اللغوي. ومع تعدد أركانها وأقسامها التي تناولت جوانبها المختلفة، يبقى جوهرها البلاغي وخصائصها الكامنة في قدرتها على رسم المعنى وتجديد الصورة، وهو ما أكدّه عبد القاهر الجرجاني في بلاغة الاستعارة وخصائصها من خلال عباراته الرصينة العميقة، والتي أضفت على الاستعارة نفسها زينةً وجمالاً وبهاءً يفوق حدود الوصف والتصنيف.

المبحث الثاني

الاستعارة المفردة وأبعادها الجمالية

تترجع الاستعارة على عرش البيان لغة وفكراً وقلباً وروحاً، وهي نبض المعنى المتجدد وروح الفكرة المتسامية، وهي اللفظة التي لا تكتفي بظاهرها، وفي رحاب الاستعارة المفردة بشقيها التصريحية والمكنية، تتجلى أروع صور الإبداع اللغوي، حيث ينتقل المعنى من ضيق الحقيقة إلى سعة المجاز، ليرسم في الأذهان صوراً حيةً، ويُوقِظ في النفوس مشاعر عميقة. وتُضفي الاستعارة المفردة على المألوف بهاءً، وتُلبس المُجرد ثوب الحس، فبها يتجاوز اللفظ حدوده المعهودة ليُحلّق في فضاءات الدلالة المطلقة، مُحَرِّكاً للوجدان، ومثيراً للتأمل، ومعلياً من شأن الفنّ في أعلى تجلياته. فالاستعارة المفردة روحٌ تسري في جسد النصّ، تُحيي مواطن الجمال، وتُضفي بهاءً يأسر القلوب، ويُنعش الأذهان. وهي الفن الذي يُحول الأفكار المُجرّدة إلى لوحات فنية مُبهرة تُرسم بالكلمات، ويُضفي على الجماد والمُجرد صفات الكائنات الحية. وهذه القدرة الفائقة على التصوير الحي، وتجسيد المعاني، وإثارة المشاعر، وتكثيف الدلالات، هي ما يُشكّل جوهر الأبعاد الجمالية للاستعارة المفردة. وفي هذا المبحث سنغوص في أعماق فن الاستعارة المفردة، مُستكشفين أسرارها الجمالية، ومُبيّنين إسهامها في إثراء معاني الآيات القرآنية، وتعميق الأثر الفني في نفس المتلقي.

ما المقصود بالأبعاد الجمالية؟

تُشير الأبعاد الجمالية في سياق البلاغة عموماً، والاستعارة خصوصاً، إلى تلك الجوانب التي تُكسب النصّ حُسناً ورونقاً فنياً، وتُثير في نفس المتلقي المتعة والدهشة والتقدير، إنها الوظيفة التي تُحوّل اللغة من أداة للتواصل إلى فن يُحرّك الوجدان، ويُنبّض الخيال، ويمنح الكلام بهاءً وتأثيراً. وتُركّز الأبعاد الجمالية على كيفية صياغة الفكرة لتُصبح جاذبة ومدهشة ومؤثرة عاطفياً، سواء أكان ذلك عبر أساليب التصوير الفني المختلفة التجسيد والتشخيص والتخييل، أو عبر

التناسق الفني لإحداث المفاجأة والغربة، أو إثارة المشاعر النفسية المختلفة. يقول سيد قطب عن أسلوب التعبير بالصورة في القرآن الكريم: (إن التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن). (قطب، 2004م، ص: 36) ويقول في موضع آخر: (إن التصوير هو قاعدة التعبير في هذا الكتاب الجميل، القاعدة الأساسية المتبعة في جميع الأغراض، فيما عدا غرض التشريع بطبيعة الحال). (قطب، 2004م، ص: 9) وبعد تعريف الأبعاد الجمالية، ننقل إلى تفصيل تلك الأبعاد، ومن الأبعاد الجمالية:

1- تجسيد المعاني المجردة:

المقصود بمصطلح التجسيم (التجسيد) في علم البلاغة، إضفاء الصفات الحسية المادية على المفاهيم المجردة، وهي المعاني غير المحسوسة بحيث تبدو وكأنها أجسام ملموسة. ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ). (سورة البقرة، الآية: 16) ففي هذه الآية تجسيد الضلالة والهدى بالسلع المتبادلة، حيث لا يُذكر الهدى والضلالة كمعاني مجردة فقط، بل يُصوران وكأنهما سلعتان يتم تبادلها في عملية تجارية. فـ (الهدى) هو السلعة الرابعة التي يمتلكها هؤلاء القوم، و(الضلالة) هي السلعة الخاسرة التي اختاروا شراءها. وهذا التجسيد يجعل الموقف أكثر وضوحاً وقابلية للاستيعاب، فالاستعارة التصريحية التبعية المرشحة نجدها في الفعل (اشترؤا) الذي يوحي بوجود عملية مبادعة أو مبادلة. ولتحليل الاستعارة وإجرائها نقول: الاستعارة التصريحية هي ما صُرحَ فيها بلفظ المشبه به وحُذف المشبه. والمشبّه به المصرح به: هو (الشراء) (اشترؤا). و(الشراء) في المعنى الحقيقي يعني مقايضة شيء بشيء، أو مبادلة مال بسلعة. والمشبّه المحذوف: هو (استبدال) أو (اختيار) الضلالة على الهدى. ولقد صُرحَ بلفظ (الشراء) الذي هو المشبه به، وحُذف الفعل الدال على الاستبدال أو الاختيار. وبما أن لفظ المشبه به (الشراء) هو الذي ظهر في الكلام، فهي استعارة تصريحية. ولماذا هي تبعية؟ لأن الاستعارة التبعية هي ما كان فيها المستعار صفة أو فعلاً أو حرفاً. بمعنى أن الاستعارة تقع في معنى الفعل أو الاسم المشتق أو الحرف، وتكون تابعة للمصدر، لذلك سُميت بالتبعية، يقول السكاكي: (لأن إجراءها في الفعل أو المشتق تابع لإجرائها في المصدر). (السكاكي، 1987م، ص: 380) ولماذا هي مرشحة؟ لأن الترشيح في الاستعارة هو ذكر شيء من لوازم المشبه به أو من صفاته بعد تمام الاستعارة، لزيادة تقويتها وإبرازها. والترشيح يُقوي الاستعارة ويزيدها جمالاً وتأثيراً. فبعد أن تمت الاستعارة التصريحية التبعية في (اشترؤا الضلالة بالهدى)، جاء قوله تعالى: (فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ). لأن (الربح) و(التجارة) من لوازم ونتائج (الشراء) الحقيقي. فالتاجر الذي يشتري ويبيع يربح الربح، وعملية الشراء نفسها جزء من التجارة. فبذكر (الربح) و(التجارة) بعد الاستعارة، كأن القرآن يُبقي على جو المشبه به (الشراء الحقيقي والتجارة المادية) ويُعززه، مما يُقوي الاستعارة ويُبرز فداحة الخسارة المعنوية في صورة حسية مألوفة. قال يحيى بن حمزة العلوي: (الاستعارة المرشحة من أعجب الاستعارات وأغربها، واستظرفها كل محصل من علماء البيان). (العلوي، 1423هـ، ص: 111/1) ولعل الزمخشري كان له سبق في الإشارة للمجاز المرشح، حين قال: (هب أن شراء الضلالة بالهدى وقع مجازاً في معنى الاستبدال، فما معنى ذكر الربح والتجارة؟ كأن ثمة مبادعة على الحقيقة؟ قلت: هذا من الصنعة البديعة، التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا، وهو أن تُساق كلمة مساق المجاز، ثم تُقفى بأشكال لها وأخوات، إذا تلاحقن لم تر كلاماً أحسن منه ديباجة وأكثر ماء ورونقا، وهو المجاز المرشح). (الزمخشري، 1987م، ص: 70/1) وتتضح لنا الأبعاد الجمالية في هذه الاستعارة البديعة حيث يُجسد القرآن الكريم خسارة هؤلاء القوم في سعيهم الروحي والأخلاقي بعبارة فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ. والربح والخسارة مفاهيم مرتبطة بالمال والأعمال التجارية، وباستخدامها هنا، يُصور القرآن خسارتهم المعنوية كخسارة مادية واضحة ولموسة، وهذا التجسيد يُبرز سوء اختيارهم وفداحة عاقبتهم بصورة أكثر إيلافاً في أذهان السامعين، واستخدام لفظة (اشترؤا) توحى بأن هذا الاختيار لم

يكن قسرياً، بل كان نابغاً عن إرادتهم الحرة وقرارهم الواعي. لقد دفعوا ثمناً (الهدى) مقابل سلعة (الضلالة)، وهذا يؤكد أنهم المسؤولون عن مصيرهم. وعبرة (فَمَا رَبِحَتْ تَجَارَتُهُمْ) تُشير ضمناً إلى أنهم قد خسروا كل شيء. وعبرة (وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) تؤكد حرمانهم من التوفيق الإلهي للهداية. كما أن الطباق بين (الهدى) و(الضلالة) يبرز التناقض بين الحالين، ويُسلط الضوء على سوء اختيارهم، واستخدام الأفعال الماضية (اشترؤا)، (ربحت)، (كانوا) يُعطي للحدث صفة اليقين والتحقق، وكأن الأمر قد وقع وانتهى، مما يزيد من قوة الرسالة وتأثيرها في النفس. ويرى العلامة عبد القاهر الجرجاني أن الاستعارة طاقة بيانية هائلة، تستطيع أن تحدث تحولات كبيرة في إدراكنا للأفكار والمعارف والمعاني من خلال عوالمها الساحرة المتخيلة، وإبجاءاتها الرمزية الخفية عندما تُصبح المعاني روحانية لا تتألف إلا الظنون، حيث يقول: (فإنك لترى بها الجماد حياً ناطقاً، والأعجم فصيحاً، والأجسام الخرس مبنية، والمعاني الخفية بادية جلية، وإن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل، كأنها قد جُيِّمت حتى رأيتها العيون، وإن شئت لطفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تتألف إلا الظنون، وهذه إشارات وتلوينات في بدائعها). (الجرجاني، أسرار البلاغة، ص: 43)

2- تشخيص الجماد والظواهر الطبيعية:

نعني به إضفاء الصفات البشرية (كالحركة والكلام والتنفس والمشاعر والإدراك والإرادة) على غير الإنسان سواء كان جماداً، أو نباتاً، أو حيواناً، أو مفهوماً مجرداً. ويهدف التشخيص إلى إضفاء الحركة والحياة على المشهد، وجعله أقرب إلى إدراك المتلقي ووجدانه. ويتمثل فن التشخيص في قوله تعالى: "وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ". (التكوير: 18) تشمل هذه الآية الكريمة على استعارة مكنية، صورت (الصُّبْح) وهو المُشبه في شكل كائن حي (إنسان) يتنفس، وحذف المشبه به (الإنسان، أو الكائن الحي) ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (التنفس)، فالمستعار منه هو الكائن الحي، والمستعار له (الصُّبْح)، والجامع بينهما هو التنفس والحياة. ويبرز فن التشخيص في هذه الآية القرآنية أبعاداً جمالية دقيقة، إذ تُغيّر الآية (الصُّبْح) من وقت محدد أو ظاهرة ضوئية في وقت محدد إلى كائن حي يتنفس، وهذا التشخيص يشعر المتلقي بأن الكون ليس صامتاً أو ساكناً، بل ينبض بالحياة، ويتفاعل ويشترك في عملية الوجود. فالآية الكريمة تُصوّر (الصُّبْح) كأنه كان نائماً في سكون الليل، ثم يستيقظ ويتنفس نفساً عميقاً يملأ به الوجود. وتنفس الصُّبْح هذا يوحي بالولادة وبداية دورة حياة جديدة، فكما يتنفس المولود ليعلن بدء حياته، كذلك يتنفس الصبح ليعلن بدء يوم جديد، وهذا المشهد الحي يمنح لحظة الفجر بعداً عميقاً من الأمل الجديد، ويحرك في الوجدان شعوراً بالحياة المتجددة، يُذكر بالقدرة الإلهية على إحياء ما كان ميتاً أو ساكناً. وهي دلالة تُشير ضمناً إلى البعث بعد الموت. والتنفس عادة ما يكون حركة هادئة منتظمة ومستمرة، بخلاف الزفير. لذلك فعبرة (وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ) توحي بانتشار النور بشكل هادئ لطيف مناسب، وهنا يتجلى جمال العناية الإلهية في بسط النور. وهذا التنفس الهادئ للصبح يُعطي البشرية إحساساً بالسكينة والطمأنينة في لحظة الانتقال من الليل إلى النهار. والقسم بـ (الصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ) يسبغ على (الصبح) مهابة وعظمة وجلالة، ويجعله آية عظيمة تدل على قدرة الله سبحانه وتعالى وحكمته وإتقان صنعه، التي تستحق أن يُقسم بها الحق سبحانه وتعالى. يقول سيد قطب: (والصبح حي يتنفس. أنفاسه النور والحياة والحركة التي تدب في كل حي. وأكاد أجزم أن اللغة العربية بكل مآثراتها التعبيرية، لا تحتوي نظيراً لهذا التعبير عن الصبح. ورؤية الفجر تكاد تشعر القلب المتفتح أنه بالفعل يتنفس، ثم يجيء هذا التعبير فيصور هذه الحقيقة التي يشعر بها القلب المتفتح. وكل متذوق لجمال التعبير والتصوير يدرك أن قوله تعالى: "فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس، والليل إذا عسعس، والصبح إذا تنفس" ثروة شعرية وتعبيرية. فوق ما يشير إليه من حقائق كونية. ثروة جميلة بديعة رشيقة؛ تُضاف إلى رصيد البشرية من المشاعر، وهي تستقبل هذه الظواهر الكونية بالحس الشاعر) (قطب، 2003م، ص: 384/6)

3- التخييل:

نعني بالتخييل تصوير المعاني الغيبية والمجردة والحقائق الكبرى، بما في ذلك أهوال الآخرة ونعيم الجنة وغيرها، في صورة حية محسوسة، تُستحضر في ذهن كما لو كانت صورة مرئية وملموسة. وهذا النوع من التصوير البلاغي يهدف إلى ترسيخ المفاهيم الدينية، وإثارة الوجدان، وتحفيز حواس التدبر والتفكير، وتقريب الحقائق العظيمة إلى الإدراك البشري. ومن مشاهد التخييل في القرآن الكريم قوله تعالى: "وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا" (الإسراء: 24) الصورة البلاغية في هذا التعبير القرآني هي الاستعارة المكنية، حيث يصور التعبير الذل (بمعنى التواضع والخضوع) كطائر له جناحان، والمشبّه به المحذوف: الطائر (الذي خفض جناحه)، والقرينة الدالة اللازمة و(الخفض) و(جناح) فهذه الألفاظ من لوازم الطائر الذي يخفض جناحه. ويتضح لنا البعد الجمالي المتمثل في التخييل في هذه الآية من خلال تصوير التعبير القرآني لـ (الذل)، حيث يتخيل الذل - الذي هو معنى مجرد - كطائر له جناحان، وهذا الطائر لا يرتفع عالياً في تحليقه، بل يُطلب منه أن يخفض جناحيه، فهذه الصورة تحرك الخيال ليرى التواضع والخضوع للوالدين حركة، كحركة كائن حي ليعبر عن ضعفه وخضوعه. يقول أبو الفضل محمود الألوسي: "وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ" أي: تَوَاضَعْ لَهُمَا وَتَذَلَّ، عَلَى مَعْنَى جَنَاحِكَ الدَّلِيلِ وَيَكُونُ "جَنَاحَ الذُّلِّ" بَلْ خَفَضَ الْجَنَاحَ تَمْثِيلًا فِي التَّوَاضُعِ، وَجَارَ أَنْ يَكُونَ اسْتِعَارَةً فِي الْمَقْرَدِ وَهُوَ الْجَنَاحُ، فَيَكُونُ فِي الْكَلَامِ اسْتِعَارَةً مَكْنِيَّةً وَتَخْيِيلِيَّةً بِأَنْ يُشَبَّهَ الذُّلُّ بِطَائِرٍ مُنْحَطٍّ مِنْ غُلُوِّ تَشَبُّهِهَا مُضْمَرًا وَيُثَبَّتَ لَهُ الْجَنَاحُ تَخْيِيلًا وَالْخَفَضُ تَرْشِيحًا؛ فَإِنَّ الطَّائِرَ إِذَا أَرَادَ الطَّيْرَانِ وَالْغُلُوَّ نَشَرَ جَنَاحَيْهِ وَرَفَعَهُمَا لِيَرْتَفِعَ فَإِذَا تَرَكَ ذَلِكَ خَفَضَهُمَا، وَأَيْضًا هُوَ إِذَا رَأَى جَارِحًا يَخَافُهُ لَصِقَ بِالْأَرْضِ وَالصَّقَ جَنَاحَيْهِ وَهِيَ غَايَةُ خَوْفِهِ وَتَذَلُّهُ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِخَفَضِهِمَا مَا يَفْعَلُهُ إِذَا ضَمَّ فِرَاحَهُ لِلتَّرْبِيَةِ، وَأَنَّهُ أُنْسَبَ بِالْمَقَامِ، وَفِي الْكَشْفِ: أَنَّ فِي الْكَلَامِ اسْتِعَارَةً بِالْكِنَايَةِ نَاشِئَةً مِنْ جَعْلِ الْجَنَاحِ الذُّلَّ ثُمَّ الْمَجْمُوعَ كَمَا هُوَ مَثَلٌ فِي غَايَةِ التَّوَاضُعِ، وَلَمَّا أُثَبَّتَ لِذَلِكَ جَنَاحًا أَمَرَهُ بِخَفْضِهِ تَكْمِيلًا؛ لِأَنَّ الْغَرَضَ تَصْوِيرُ الذُّلِّ كَأَنَّهُ مُشَاهِدٌ مَحْسُوسٌ، وَأَمَّا عَلَى التَّرْشِيحِ لِأَنَّ جَعْلَ الْجَنَاحِ الْمَخْفُوضِ لِلذُّلِّ يَدُلُّ عَلَى التَّوَاضُعِ. (الألوسي، 1994م، 55/8-56) ويؤكد الشيخ إسماعيل حقي الإستانبولي في تفسيره نوع هذه الاستعارة ودلالاتها، فيقول: (استعارة بالكناية، جعل الذل والتواضع بمنزلة طائر، فاثبت له الجناح تخيلاً، أي تواضع لهما ولين جانبك، وذلك أن الطائر إذا قصد أن ينحط خفض جناحه وكسره، وإذا قصد أن يطير رفعه، فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلاً في التواضع ولين الجانب، وأمره بخفضه مبالغة في إيجاب الذل وترشياً للاستعارة). (حقي، روح البيان، ص: 147/5) وعندما نسأل: لماذا تشتمل هذه الآية على التخييل؟ لأنها تُبدل (الذل) (المعنوي) إلى كائن مُجَسَّد يمتلك (أجنحة) ويقوم بفعل حركي (خفض الجناح). فنحن لا نرى الذل أو التواضع بأعيننا، لكن الآية تُقدم لنا صورة بصرية له من خلال استعارة فعل الطائر. وهذا التخييل يزيد المعنى عمقاً وجمالاً وحيوية، ويجعله أكثر رسوخاً في الذهن. فإن خفض الطائر لجناحيه يُوحى بالضعف والاستسلام، والوداعة، والخضوع. وعندما تُنسب هذه الصورة إلى لفظ (الرحمة)، فإنها تُصور التواضع للوالدين في أبهى وأرق صورته. ليس تواضعاً مذلاً مهيناً، بل تواضعاً نابعاً من الرحمة واللين والمحبة. فالتخييل يُبرز أن هذا التواضع هو من جنس التواضع الذي يبديه الطائر الصغير لأُمه سكيناً ومودة. فصورة التخييل في هذه الآية الكريمة يُراد به أن التواضع للوالدين يجب أن يكون كاملاً وشاملاً، ينبع من القلب (الرحمة) ويظهر على الجوارح (خفض الجناح). يقول أبو العباس السمين الحلبي موضحاً دلالة الاستعارة: (استعارة بديعة، وذلك أنه لما كان الذل ضربين؛ ضرب يرفع الإنسان وضرب يضعه، وكان المقصود في هذا المكان جهة الرفع قيل جناح الذل، كأنه قيل: استعمل الذل الذي يرفعك عند الله من أجل الرحمة أو من أجل رحمتك لهما). (السمين الحلبي، 1996، جنح) وهذا المعنى العميق لا يُمكن التعبير عنه بالألفاظ المجردة بنفس هذه القوة. كما أن إضافة قيد (من الرحمة) بعد (جناح الذل) تُضيف بعداً عاطفياً على الصورة. فهي تُزيل أي إحياء سلبي بكلمة (الذل) وتجعله معنى إيجابياً كريماً نبيلاً. فالتخييل هنا يربط بين الذل (التواضع) والرحمة بطريقة

بديعة. والرحمة (وهي شعور) تُصبح هي الدافع لهذا الخفض، فهي قوة داخلية تُوجّه الجناح. وهذا يُرسّخ في الذهن أن تواضع الأبناء للوالدين يجب أن يكون نابعاً من عاطفة قوية وحب عميق، لا من مجرد الالتزام أو العادة. وتُعزّز الآية هذا المعنى بالدعاء الذي يليها: (وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا). وهذا الربط يُرسّخ في الوجدان أن التواضع والرحمة للوالدين جزء من رد الجميل والامتنان لما قدّماه من تربية وعناية في الصغر. يقول سيد قطب: (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) هنا يشف التعبير ويلطف، ويبلغ شغاف القلب وحنايا الوجدان. فهي الرحمة ترق وتلطف حتى لكانها الذل الذي لا يرفع عينا، ولا يرفض أمراً. وكأنما للذل جناح يخفضه إيدانا بالسلام والاستسلام. (و: قل: رب ارحمهما كما ربياني صغيراً) فهي الذكرى الحانية. ذكرى الطفولة الضعيفة يرعاها الوالدان، وهما اليوم في مثلها من الضعف والحاجة إلى الرعاية والحنان. وهو التوجه إلى الله أن يرحمهما فرحمة الله أوسع، ورعاية الله أشمل، وجناب الله أرحب. وهو أقدر على جزائهما بما بذلا من دمهما وقلبهما مما لا يقدر على جزائه الأبناء) (قطب، 2003، ص: 4/2221)

4- إحياء الحالات النفسية:

يُعرف العلامة علي بن محمد الجرجاني الإحياء تعريفاً وجيزاً ودقيقاً، حيث يقول: (الإحياء إلقاء المعنى في النفس بخفاء وسرعة). (الشريف الجرجاني، ص: 37) ونستطيع أن نستخلص من كلماته بعض المعاني عندما نحللها بدقة ليكتمل في أذهانها معنى الإحياء، فقله (إلقاء المعنى) يُشير هذا إلى جوهر الإحياء، وهو نقل فكرة أو شعور أو رسالة. فالإحياء ليس مجرد نقل معلومات جافة، بل هو نقل لمعنى يحمل دلالة أو تأثيراً معيناً على المتلقي. هذا المعنى يمكن أن يكون معلومة، أو فكرة، أو شعوراً، أو رغبة، أو حتى أمراً غير مباشر. وقوله: (في النفس): يُحدد الجزء المستهدف في الإنسان من عملية الإحياء فالمقصود نفس المتلقي. وهذا يعني أن الإحياء يتجاوز الإدراك السطحي إلى مستويات أعمق من الوعي لدى الشخص، حيث يمكن أن يؤثر على مشاعره، أو أفكاره، أو سلوكه. هو ليس مجرد سماع أو رؤية، بل هو استقبال داخلي للمعنى. وقوله: (بخفاء) هنا يحدد طبيعة الإحياء. فعملية الإحياء تعني نقل المعنى بطريقة غير مباشرة، وغير ملحوظة بشكل واضح. قد يتم ذلك من خلال التلميحات، أو الإشارات غير لفظية، أو سياق معين، أو حتى كلمات تحمل دلالات خفية. وهذا الخفاء هو ما يمنح الإحياء قوته وتأثيره في كثير من الأحيان، لأنه يتجاوز عملية الرفض والمقاومة الواعية. وقوله: (وسرعة): تُشير هذه الكلمة إلى أن عملية الإحياء غالباً ما تكون لحظية وفورية في تأثيرها. قد لا يستغرق الأمر وقتاً طويلاً حتى يستقبل الشخص المعنى ويستوعبه، حتى لو لم يكن مدركاً تماماً لعملية الإحياء نفسها. هذه السرعة تجعل الإحياء أداة فعالة في التأثير الفوري على الأفكار والمشاعر. يصف صاحب المعجم التعريفات (الإحياء) بأنه عملية إلقاء سريعة للمعاني والأفكار في نفس المتلقي بأسلوب غير مباشر، بطريقة تجعله يتأثر بها دون إدراك كامل لعملية التأثير نفسها، ويُبرز هذا التعريف الجوانب النفسية الدقيقة للإحياء كشكل من أشكال التواصل والتأثير. وعندما تحدث العلامة عبد القاهر الجرجاني عن خصائص الاستعارة، وصفها بقوله: (ومن خصائصها التي تُذكر بها، وهي عنوان مناقبها، أنها تُعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تُخرج من الصدفة الواحدة عدّة من الدُرر، وتُجني من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر). (الجرجاني، أسرار البلاغة، ص: 43) يقدّم الإمام عبد القاهر الجرجاني في هذا النص وصفاً بليغاً لوظيفة الاستعارة، مركزاً على الإيجاز والتكثيف، والإثراء والإحياء. ونجد أنه يستخدم الاستعارة التمثيلية في عبارته لتوضيح فكرته، حيث يجسد اللفظ المستعار بـ (الصدفة الواحدة) ويجسد المعاني المتولدة بـ (الدُرر) وهذا التصوير يؤكد على فكرة إثراء المعنى وتعدد الدلالات التي تقدّمها الاستعارة، فالصدفة قد تبدو بسيطة من الخارج لكن في داخلها كنوز من اللآلئ الثمينة. كما رمز بـ (الغصن الواحد) إلى اللفظ المستعار، و(أنواع الثمر) إلى الدلالات المختلفة والمتنوعة التي يمكن استخلاصها منه. وقد تثير الاستعارة الواحدة صوراً مُتنوعة، وتُشير إلى جوانب متعددة من الفهم، وتُثير عواطف متباينة،

كل ذلك من خلال جذر لغوي واحد. ويُعدّ القرآن الكريم خير شاهد على بلاغة الاستعارة المفردة في تحقيق الإيجاز والتكثيف والإثراء والإيحاء، وذلك لما يُجسده من إعجازٍ بيانيٍّ في صياغاته المعجزة، ففي سياق الآية الكريمة: (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) (البقرة: 10) نجد الاستعارة التصريحية في لفظة (مرض) قد تجاوزت حدود المعنى المباشر وأضافت ظلالاً واسعة لمعنى هذه اللفظة. فالمشبه المحذوف هو (النفاق، والشك، والضعف الإيمان، والتهاون) (الطبري، ص: 259/20)، وهذه كلها معانٍ مجردة. والمشبه به (المذكور في الآية): هو (المرض) الحسي الذي يُصيب الأجساد، ويُسبب ضعفها ووهنها وفسادها. والعلاقة بين المشبه والمشبّه به، هي الفساد والإفساد والضعف والخطر الذي يؤدي إلى الهلاك. فكما أن المرض يفسد البدن ويُتلفه ويُعجزه، كذلك النفاق والكفر يُفسدان القلب والنفس والعقل، ويُضعفان الإيمان، ويُعجزان الفرد عن إدراك الحق، ويُؤديان به إلى الهلاك في الدنيا والآخرة. والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي كلمة (قلوبهم) فالمرض الحسي الذي يُصيب الجسد، قد يُصيب القلب كعضو، لكن الآية تتحدث عن مرض آخر غير الجسدي المتعارف عليه، مرض يُعاقب الله عليه ويزيده، مما يدل على أنه مرض معنوي، والسياق يتحدث عن المنافقين وصفاتهم، والنفاق مرض في النفس والمشاعر لا في الجسد. فالاستعارة في الآية القرآنية تصريحية؛ لأن الحق سبحانه وتعالى صرّح بلفظ المشبه به، وهو المستعار، وحذف المشبه الأصلي (النفاق، والشك، والكفر الباطني) الذي هو المقصود. والاستعارة التصريحية في الآية السابقة تحقق مجموعة من الأبعاد الجمالية، منها: البعد التجسدي والتصويري، إذ تجسد أمام أعيننا المعنى المجرد (النفاق، والشك) في صورة حسيّة ملموسة، هي (المرض)، وهذا التجسيد والتصوير يجعل الفكرة أكثر وضوحاً وقوة وتأثيراً في الذهن. فكما أننا نحس بالمرض وتأثيره السلبي على الجسد، كذلك تُصبح فكرة مرض القلب بـ (النفاق) محسوسة ومدرّكة مما يزيد من وقعها. وهناك البعد الجمالي النفسي الذي تثيره هذه الاستعارة في نفس المتلقي من الشعور بالخوف والنفور من صفة (النفاق). فلفظ (المرض) يرتبط في أذهاننا بالألم والمعاناة، فكيف به إذا ارتبط بصفة يملكها الله ورسوله ويمقتها المجتمع المسلم، إضافة إلى مآل صاحبها الويل في الآخرة. وكذلك هناك البعد الجمالي التكثيفي، فلفظة المرض تُوجز وتُكثّف دلالات كثيرة ومتشابهة للنفاق، فبدلاً من تعداد كل تلك الدلالات والصفات، جاءت لفظة (المرض) لتعبر عن كل تلك المعاني. يقول ابن فارس (ت395هـ): (مَرَضٌ (الْمِيمُ وَالرَّاءُ وَالضَّادُ) أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَا يَخْرُجُ بِهِ الْإِنْسَانُ عَنْ حِدِّ الصِّحَّةِ فِي أَيِّ شَيْءٍ كَانَ. مِنْهُ الْعِلَّةُ، وَشَمْسٌ مَرِيضَةٌ إِذَا لَمْ تَكُنْ مُشْرِقَةً. وَالنِّفَاقُ مَرَضٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ". (ابن فارس، 1979م، مرض) وقد وردت كلمة مرض بمعنى النفاق في قوله تعالى: (فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ). (الأحزاب: 32) يقول الشيخ العلامة محمد بن عاشر: (وَالْمَرَضُ: حَقِيقَتُهُ اخْتِلَالُ نِظَامِ الْمَزَاجِ الْبَدَنِيِّ مِنْ ضَعْفِ الْقُوَّةِ، وَهُوَ هُنَا مُسْتَعَارٌ لِاخْتِلَالِ الْوَزَائِعِ الدِّينِيَّةِ مِثْلَ الْمُنَافِقِينَ وَمَنْ كَانَ فِي أَوَّلِ الْإِيمَانِ مِنَ الْأَعْرَابِ مِمَّنْ لَمْ تَرَسَخْ فِيهِ أَخْلَاقُ الْإِسْلَامِ، وَكَذَلِكَ مَنْ تَخَلَّقُوا بِسُوءِ الظَّنِّ). (ابن عاشر، 1984م، ص: 9/22).

وكذلك وتقدّم لنا الآية الكريمة: "أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ" (آل عمران: 22) نموذجاً فريداً للاستعارة المكنية، يوضّح قدرتها على تجسيد المعنويات والبأس المُجَرَّدات ثوب الحس، فالمشبه في الاستعارة المكنية (أعمالهم) وهي أعمال المنافقين التي يظنونها نافعة ومقبولة، لكنها في حقيقتها ليست مقبولة بل مجردة من الثواب. والمشبه به المحذوف الطعام أو العلف الذي يفسد في بطن الدابة فيتسبب في موتها. يقول ابن منظور: (وَالْحَبِطُ وَجَعٌ يَأْخُذُ الْبَعِيرَ فِي بَطْنِهِ مِنْ كَلٍّ يَسْتَوِيلُهُ، وَالْحَبِطُ أَنْ تَأْكُلَ الْمَاشِيَةُ فَتُكْثِرَ حَتَّى تَنْتَفِخَ لَذَلِكَ بَطُونُهَا وَلَا يَخْرُجُ عَنْهَا مَا فِيهَا. حَبِطَتِ الدَّابَّةُ حَبِطًا، بِالْخَرِيكِ، إِذَا أَصَابَتْ مَرْعَى طَيِّبًا فَأَفْرَطَتْ فِي الْأَكْلِ حَتَّى تَنْتَفِخَ فَتَمُوتَ) (ابن منظور، 1414هـ، حبط) والقرينة اللازمة: هي الفعل (حبطت) الذي يشير إلى المعنى الأصلي للمشبه به المحذوف (الفساد، والانتفاخ، والهلاك)، وتجسد هذه الآية مجموعة من الأبعاد الجمالية نركز على بعدين جماليين من تلك الأبعاد، البعد الجمالي التصويري

التجسدي، إذ تصوّر لنا الآلية فساد الأعمال وبطلانها في صورة حسية واقعية، فالمتلقي لا يقرأ عن فساد فحسب، بل يرى بعينه أعمالاً لا فائدة منها. أما البعد الجمالي الثاني فهو الإيجاز والتكثيف، لفظة (حبطت) تغني عن سرد طويل لأعمال المنافقين بأنها فاسدة لا نفع فيها ولا ثواب، وقد جاءت هذه اللفظة الواحدة لتعبّر عن صفات الفساد كلها المتعلقة بأعمال المنافقين.

5- إثارة الخيال والتأثير الوجداني:

الاستعارة المفردة لا تعني أننا نضع لفظة مكان أخرى، بل هي ومضة سحرية تُلقي بظلالها على المعنى فتُحليه من معنى مجرد إلى صورة حيّة نابضة بالخيال، فهي بمثابة دعوة خفية للعقل ليرى ما لا تراه العين، وللقلب ليشعر بما لا تسمعه الأذن، فكل استعارة مفردة (تصريحية أو مكنية) تحمل في طياتها عالماً من الخيال والجمال والتأثير، فهي مرآة سحرية تعكس جوهر الفكرة بلغة الإحساس والتّصوير، فتحدث فينا إحساساً لطيفاً يلامس وجداننا ويوقظ بصيرتنا. فقله تعالى: "وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذْنَاهُمْ صَاعِقَةً الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ". (فصلت: 17) تضم هذه الآية القرآنية استعارتين الأولى في لفظة (العَمَى) وهي استعارة تصريحية، والثانية مكنية في لفظة (صاعقة العذاب)، وسنكتفي بتحليل الاستعارة الأولى وإجرائها وتوضيح أبعادها الجمالية. فالمشبه به في الاستعارة التصريحية هو المصريح به (العَمَى)، والمشبه محذوف (الضلالة)، والعلاقة بين (الضلالة) و(العَمَى) هو عدم القدرة على رؤية الطريق الصحيح. فالعَمَى الحسي يمنع الإنسان من رؤية الأشياء المادية، والضلالة تمنعه من رؤية طريق الهداية والإيمان والرشاد. وسُميت هذه الاستعارة (تصريحية) لأنه صُرح فيها بلفظ المشبه به، وهو (العَمَى). يقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: (وَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى مَعْنَاهُ: أَحَبُّوا، فَالْهَيْئَةُ وَالنَّاءُ لِلْمُبَالَغَةِ أَيْ كَانَ الْعَمَى مَحْبُوبًا لَهُمْ. وَالْعَمَى هُنَا مُسْتَعَارٌ لِلضَّلَالَةِ فِي الرَّأْيِ، أَيْ اخْتَارُوا الضَّلَالَ بِكُسْبِهِمْ. وَضُمِّنَ (اسْتَحَبُّوا) مَعْنَى: فَضَلُّوا، وَهِيَ لِهَذَا النِّصْمِ اقْتِرَانُهُ بِالسَّيْنِ وَالنَّاءِ لِلْمُبَالَغَةِ لِأَنَّ الْمُبَالَغَةَ فِي الْمَحَبَّةِ تَسْتَلْزِمُ التَّقْضِيلَ عَلَى بَقِيَّةِ الْمَحْبُوبَاتِ، فَلِذَلِكَ عُدِّي (اسْتَحَبُّوا) بِحَرْفِ عَلَى، أَيْ رَجَّحُوا بِاخْتِيَارِهِمْ. وَتَغْلِيْقُ عَلَى الْهُدَى بِفِعْلِ (اسْتَحَبُّوا) لِنِصْمِيْنِهِ مَعْنَى: فَضَلُّوا وَاتَّزَوْا. وَفُرِعَ عَلَيْهِ فَأَخَذْنَاهُمْ صَاعِقَةً الْعَذَابِ الْهُونِ، وَكَانَ الْعِقَابُ مُنَاسِبًا لِلْجُرْمِ لِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الضَّلَالَ الَّذِي هُوَ مِثْلُ الْعَمَى، فَمَنْ يَسْتَحِبُّه فَشَأْنُهُ أَنْ يُحِبَّ الْعَمَى، فَكَانَ جَزَاؤُهُمْ بِالصَّاعِقَةِ لِأَنَّهَا تُعْمِي أَبْصَارَهُمْ فِي حِينِ تَهْلِكُهُمْ). (ابن عاشور، 1984م، ص: 262/24) فالأبعاد الجمالية لهذه الاستعارة تتمثل في أن هذه الاستعارة البديعة تصور حالة (ثمود) تصويراً حياً يُوقظ الخيال ويُفزع الوجدان، لفظة (العَمَى) في هذا السياق تُشير إلى عمى البصيرة وعمى القلب وعمى الروح. وعندما نقرأ (فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى) نتخيلهم وكأنهم يختارون الظلام الدامس بكامل إرادتهم، يُفصلون التيه والضلال على النور الهادي، ويتشبثون بالغفلة والجهل ويُعرضون عن الحق والمعرفة، فهذه الصورة تثير في نفس المتلقي شعوراً بالأسى والدهشة، كيف لإنسان له حق الاختيار أن يختار الظلام ويُفضله على النور، والجهل على العلم، والضلال على الهدى؟!، هذا الاختيار الغريب يُعمق إحساسنا بحجم ضلالهم وتماديهم في الباطل والغي، ويُحذرننا من عواقب الإعراض عن الحق، إنها صرخة بلاغية تُبصّرنا بخطر تزيين الباطل في النفوس. واستخدام لفظة (العَمَى) بدلاً من (الضلالة) أو (الكفر) تُشير إلى أن الضلالة التي اختاروها متأصلة في نفوسهم. كما أن استخدام الفعل (استحبوا) يُبرز إرادتهم الحرة في هذا الاختيار، فهم لم يضلوا قسراً، بل اختاروا العمى حباً ورغبةً، وتوضح الاستعارة أن الهداية كانت متاحة لهؤلاء القوم لكنهم أعرضوا عنها باختيارهم، مما يجعل عاقبتهم نتيجة حتمية لأفعالهم، ودرساً بليغاً للأمم اللاحقة. وبعد استعراضنا استعارة (فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى) وكيف جسّدت اختيار ثمود للضلال بكامل إرادتهم، يحسن بنا أن نُبحر قليلاً في كتاب الله لنذكر كيف تتجلى دلالات (العَمَى) في القرآن الكريم. (وهنا.. أوصي بدراسة دلالة العمى في القرآن الكريم) فنجد أنها تتجلى في مظاهر جمالية ودلالية متنوعة تختلف باختلاف السياق، ولكنها غالباً ما تدور حول

مفهوم (عمى البصيرة) و(الضلال). قال تعالى: "فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ". (الحج:46) تُقدم لنا الآية صورة بلاغية رائعة تُفرّق بين العمى الحسي، والعمى المعنوي، وتوضح أن المشكلة الحقيقية ليست في فقدان البصر الخارجي، بل في فقدان البصيرة الداخلية، فالجمال هنا يكمن في دقة التحديد والتخصيص، فالأبصار قد تكون سليمة ترى الحقائق، لكن القلوب هي التي تُصاب بالعمى والعمه، فتعجز عن إدراكها. وهذه الآية تجعلنا نتساءل هل نحن نرى الحقائق على حقائقها أم أن هناك حجاباً يحجب عنا النور؟ وتؤكد هذه الآية أن عمى البصيرة هو الأخطر لأنه يؤدي إلى الضلال والكفر، بينما عمى البصر لا يحول دون الهداية والإيمان، فعمى البصر يُثاب عليه الإنسان، إما عمى البصيرة فيحاسب عليه ويُجازى. وقال تعالى: "وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا". (الإسراء:12) ولعل كثرة ورود لفظة (العمى) في القرآن الكريم يرجع إلى بعض الأسباب الفنية والجمالية، منها: أن القرآن الكريم يلجأ إلى تجسيد المعاني المجردة في صورة حسية ملموسة لتقريبها إلى الأفهام وتثبيتها في الأذهان، فالضلال مفهوم معنوي قد يصعب على الذهن إدراكه بكل أبعاده، لكن ربطه بـ (العمى) عمى البصيرة يُحوّله إلى مشهد بصري حي. كما أن لفظة (العمى) تُثير إحياءات أوسع وأعمق، لأنها تعني بجانب الضلال عن معرفة الطريق؛ فقدان القدرة على الإبصار، والعزلة والضياع، والخطر والهلاك، والتحذير والترهيب، فعاقبة العمى الحسي معروفة ومخيفة، فما بالنا بعمى البصيرة الذي يقود إلى جهنم والعياذ بالله؟ وفي كثير من السياقات القرآنية التي ورد فيها (العمى) بمعنى الضلال يُوضح القرآن أن العمى ليس قدرًا محتومًا بل هو اختيار ذاتي للإنسان، ويعزز القرآن الكريم الربط بين عمى البصيرة في الدنيا وعمى الحشر في الآخرة، وهذا الربط يُشكل إنذاراً شديداً للهجة يجعل من العمى في الدنيا مقدمة لعمى أشد في الآخرة، فلا يجد الضال سبيلاً إلى النجاة.

6- تجسيد الحالات النفسية:

يعني مصطلح (تجسيد الحالات النفسية) تحويل المشاعر، والأفكار، والانفعالات، والمواقف الداخلية غير الملموسة إلى صور حسية، أو أفعال مادية، أو تعابير لغوية تجعلها محسوسة ومرئية للمتلقّي. وبعبارة أخرى يعني: أن نلبس ما هو نفسي ومجرد ثوباً مادياً حسيّاً، حتى يصبح من السهل تخيله وفهمه والتأثر به. ويحدث هذا التجسيد من خلال الاستعارات والتشبيهات والكنائيات وغيرها من فنون البلاغة واللغة. ويهدف هذا التجسيد إلى جعل المعاني أكثر تأثيراً ووضوحاً، وإضفاء حيوية على القيم والسلوكيات، ليسهل على المتلقّي التعاطف والفهم العميق. ومن الأمثلة البليغة لتجسيد الحالات النفسية في القرآن الكريم قوله تعالى: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ). (الأنعام:157).

فتُعد هذه الآية مثلاً حياً لتجسيد حالة (الظلم) من خلال أفعال وسلوكيات تكشف عن موقف نفسي جاحد ومعاند وكاره للحق. والآية القرآنية لا تكتفي بذكر الظلم كصفة مجردة، بل تُصوره من خلال انفعالات نفسيين عميقين، هما (التكذيب) و(الصدود) وكيف تضافر هذان الانفعالات ليصوراً أشد أنواع الظلم. ففي قوله تعالى: (كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ): نجد هنا تجسيدا لحالة نفسية من الإنكار والجحود والرفض القلبي للحقائق الواضحة. وهذا التكذيب لا يعتمد على منطق معرفي، بل هو عناد ورفض، دافعه الكبر والهوى والخوف من تبعات الإيمان. وقوله تعالى: (وَصَدَفَ عَنْهَا) هذا الجزء يجسد الحالة النفسية المترتبة على التكذيب، وهي الصدوف والإعراض والتولي والابتعاد المتعمد عن الحق. والصدوف هنا لا يعني عدم رؤية الحق أو عدم السماع إليه، بل هو فعل إرادي يعكس نفوراً نفسياً داخلياً من مواجهة الحقيقة أو الانصياع لها. إنه تجسيد لسلوك الهروب والتجاهل الذي ينتج عن الموقف النفسي الرفض. يقول الشيخ محمد جمال الدين القاسمي: (يصدفون يُعْرِضُونَ عن آيات الله، فَلَا يَتَأَمَّلُونَ فِيهَا، عِنَادًا وَحَسَدًا وَكِبْرًا). (القاسمي، 1418هـ، ص: 362/4) والاستعارة المكنية في هذه الآية في الفعل "صَدَفَ عَنْهَا" و(صَدَفَ) في اللغة بمعنى مَالَ بوجهه أو بظهره عن الشيء، وأعرض. والمشبه:

الإعراض عن آيات الله. والمشبّه به المحذوف شخصٌ مُعرضٌ يدير وجهه عن شيء. والقرينة الدالة (اللازمة) الفعل (صدف) الذي يدل على هذا الانحراف الجسدي، بالتفاتته بوجهه للجهة الأخرى. ونوع الاستعارة مكنية، حيث حذف المشبّه به (الإنسان المعرض الذي يدير وجهه) ورمز له بلازمة من لوازمه. وتتجلى الأبعاد الجمالية والدلالة هذه الاستعارة في عدة أبعاد، منها: الفعل (صَدَفَ) في أصله اللغوي يشير إلى حركة جسدية (إدارة الوجه للجهة الأخرى) وهي الإعراض عن آيات الله التي تمثل الحجج والبراهين، والتي تُرى بالبصيرة وتُدرَك بالعقل، فإنها تُجسّد الإعراض المعنوي في صورة حسية ملموسة، فالمتلقي لهذه الآية القرآنية يتخيل شخصاً تُعرض عليه أدلة واضحة وبراهين قاطعة لكنه يتعمّد أن يُدير وجهه عنها، كأنه يرفض رؤيتها عمداً، فهذا التصوير يجعل المعنى المجرد (الإعراض عن الحق) مرئياً وملموساً وواضحاً في الذهن. ويأتي الاستفهام الإنكاري في بداية الآية (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا؟) هذا الاستفهام يصور حجم الظلم الذي ارتكبه من يجمع فعل التّكذيب بالقلب واللسان، والصّدود بالجوارح. فلفظة (صَدَفَ) تُصور كل ذلك بل تكشف ما في النفس من عناد ومكابرة. ويحمل الفعل (صَدَفَ) إيحاءً بالهروب من المواجهة وعدم الرغبة في رؤية الحقيقة التي تزعجه، فكأن الآيات القرآنية نور ينعكس على عينيه فيختار أن يُدير وجهه ليتحاشاه، وهذا يصور حالة الكبر والتّعالي المتعمّد. ويلق سيد قطب على تكذيب المشركين وإعراضهم عن الحق بقوله: (إن الذين يعرضون عن هذا الحق في طبعهم آفة تميلهم عنه؛ كالأفة التي تكون في خف البعير فتجعله يصدف - أي يميل - بجسمه ولا يستقيم! إن التعبير القرآني يستخدم مثل هذا اللفظ، المنقول في اللغة من حالة حسية إلى حالة معنوية ليستصحب في الحس أصل المعنى. فيستخدم هنا لفظ (يصدف) وقد عرفنا أنه من صدف البعير إذا مال بخفه ولم يعتدل لمرض فيه. كذلك يستخدم لفظ (يصعر خده) وهو مأخوذ من داء الصّعر الذي يصيب الإبل كما يصيب الناس فتعرض صفحة خدها، اضطراباً، ولا تملك أن تحرك عنقها ببسر، ومثله استخدام لفظ (حبطت أعمالهم) من حبطت الناقة إذا رعت نباتاً مسموماً فانفتخ بطنها ثم ماتت ومثلها كثير). (قطب، 2003، ص: 12389/3) وتعزز الاستعارة الوعيد والتهديد في قوله تعالى: (سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ) فكما أعرضوا بوجوههم عن الحق في الدنيا، فإن العذاب سيأتيهم يوم القيامة من حيث لا يحتسبون. ونختتم هذا المبحث بتعليق سيد قطب على قوله تعالى: "أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ." (الأنعام: 46) (وهو تعجيب مصحوب بمشهد الصدوف! المعروف عند العرب، والذي يذكّره بمشهد البعير المؤوف! فيثير في النفس السخرية والاستخفاف والعزوف). (قطب، 2003م، ص: 1092/5)

خلاصة المبحث:

يتناول هذا المبحث بلاغة الاستعارة المفردة مركزاً على أبعادها الجمالية المتعددة. يبدأ المبحث بتعريف شامل لمفهوم الأبعاد الجمالية بشكل عام، ثم يغوص في تفصيل هذه الأبعاد في سياق الاستعارة المفردة. ومن أبرز هذه الأبعاد قدرة الاستعارة على تجسيد المعاني المجردة، مما يجعلها أقرب للفهم والإدراك. كما تُبرز الاستعارة جمالها في تشخيص الجمادات والظواهر الطبيعية، مانحة إياها صفات إنسانية تضفي حيوية على النص. وتلعب الاستعارة أيضاً دوراً مهماً في التخيل، إذ تفتح آفاقاً واسعة للإبداع وتثير ملكة الخيال لدى المتلقي. ولا يقتصر دورها على ذلك، بل يمتد لتشمل إحياء الحالات النفسية المختلفة وتجسيدها بشكل فاعل، مما يعمق التجربة الشعورية للقارئ أو السامع ويثير خياله.

خاتمة البحث:

لقد سعت هذه الدراسة (الاستعارة المفردة في القرآن الكريم - دراسة بلاغية جمالية تحليلية)، إلى الكشف عن الأبعاد المتعددة للاستعارة المفردة في النص القرآني الكريم، مؤكدةً على أنها بنية عميقة تضطلع بوظائف بلاغية وجمالية بالغة الأهمية. فمن خلال المباحث السابقة التي تناولت التأصيل النظري، والأبعاد الجمالية، تبين أن الاستعارة القرآنية المفردة تُشكل ركيزة أساسية من ركائز الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

لقد أظهر البحث بوضوح كيف تُمكن الاستعارة من تجسيد المعاني المُجَرَّدة، وتحويلها إلى صور حسية ملموسة تُقربها إلى أفهام المتلقين على اختلاف مستوياتهم. كما برز دورها الفاعل في تشخيص الجمادات والظواهر الطبيعية، وبث الروح فيها، مما يُضفي حيوية وواقعية على المشهد القرآني. ولم يغفل البحث عن إبراز قدرتها الفريدة على إثارة الخيال، وإيجاد صور ذهنية مبتكرة تُثري التجربة القرائية، فضلاً عن إحياء وتجسيد الحالات النفسية العميقة، مما يُعزز من التأثير الوجداني للخطاب القرآني..

إن نتائج هذه الدراسة تؤكد أن الاستعارة المفردة في القرآن الكريم هي ظاهرة لغوية فائقة الحسن والجمال، تُسهم بشكل مباشر في إبراز بلاغة القرآن الكريم المتشعبة. كما إنها وسيلة بيانية وأداة معرفية تُعمق الفهم، وتُثير التدبر، وترسخ المعاني القرآنية في النفوس.

التوصيات:

بناء على ما توصلت إليه هذه الدراسة من نتائج، تُقدم التوصيات التالية لتعميق فهم الاستعارة القرآنية والمساهمة في الدراسات المستقبلية:

- يُوصى بإجراء دراسات بينية تجمع بين علم البلاغة وعلوم أخرى كعلم النفس، وعلم اللسانيات، لدراسة الأثر الإدراكي والنفسي للاستعارة القرآنية المفردة على المتلقي، وكيفية معالجتها للمعلومات وتشكيلها للمعنى في ذهن البشري.
- يُنصح بتطبيق المنهج التحليلي لهذه الدراسة على عينات أوسع وأكثر تنوعاً من الاستعارة المفردة في القرآن الكريم، مع التركيز على سياقاتها المختلفة في السور المكية والمدنية، للكشف عن الفوارق المحتملة في وظائفها وأبعادها.
- يُقترح إجراء دراسات مقارنة معمقة بين الاستعارة المفردة والاستعارة المركبة (التمثيلية) في القرآن الكريم، لتحديد أوجه التشابه والاختلاف في تأثيرهما البلاغي والجمالي والدلالي، ومدى تكاملهما في خدمة المعنى القرآني.

ثبت المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

- 1- ابن أبي الإصبع، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي، اسم الكتاب: تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، الناشر: الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي.
- 2- ابن الأثير، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد، اسم الكتاب: المثل السائر في أدب الكاتب، والشاعر تحقيق: أحمد الحوفي - بدوي طبانة، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- المؤلف: محمد الطاهر ابن عاشور، اسم الكتاب: التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤م.
- 3- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، اسم الكتاب: مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- 4- ابن المعتز، أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي، اسم الكتاب: البديع في البديع، الناشر: دار الجيل، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

- 5- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي، اسم الكتاب: لسان العرب، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ.
- 6- أرسطو طاليس، اسم الكتاب: فن الشعر، نقل أبي بشر متى بن يونس القناني من السرياني إلى العربي، حققه مع ترجمه حديثة ودراسة لتأثيره في البلاغة العربية: الدكتور شكري محمد عياد، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: سنة 1993م.
- 7- الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، اسم الكتاب: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- 8- الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، اسم الكتاب: البيان والتبيين، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: ١٤٢٣هـ.
- 9- جدوع، د. عزة محمد جدوع جامعة الملك فيصل، اسم الكتاب: البلاغة العربية - البيان والبدیع، الناشر: مكتبة المتنبی السعودية - الرياض، الطبعة: الثالثة: 1438هـ - 2017م.
- 10- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني، اسم الكتاب: أسرار البلاغة قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.
- 11- الحاتمي، محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي، أبو علي، اسم الكتاب: حلية المحاضرة، تحقيق الدكتور جعفر الكتاني، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، سلسلة كتب التراث (82) 1979م.
- 12- حقي، المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي أبو الفداء، اسم الكتاب: روح البيان، الناشر: دار الفكر - بيروت.
- 13- الرماني، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي، اسم الكتاب: النكت في إعجاز القرآن، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، سلسلة: ذخائر العرب، المحقق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، الناشر: دار المعارف بمصر، الطبعة: الثالثة، ١٩٧٦م.
- 14- الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، وبهامشه أربعة كتب: الانتصاف من الكشاف، والكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف، وحاشية الشيخ محمد عليان المرزوقي، ومشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف، ضبطه وصححه ورتبه: مصطفى حسين أحمد، الناشر: دار الريان للتراث بالقاهرة - دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة: الثالثة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- 15- السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب، اسم الكتاب، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م
- 16- السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، اسم الكتاب: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

- 17- السيد، دكتور شفيق السيد، كلية دار العلوم جامعة القاهرة، اسم الكتاب: التعبير البياني رؤية بلاغية نقدية، الناشر: مكتبة الشباب القاهرة - المنيرة، الطبعة الأولى: سنة 1977م.
- 18- الشريف الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، اسم الكتاب: معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، مصر - القاهرة.
- 19- طبانة، دكتور بدوي طبانة، اسم الكتاب: البيان العربي دراسة فنية تاريخية في أصول البلاغة العربية مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية مطبعة الرسالة 1377هـ - 1958م مصر - القاهرة.
- 20- الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، توزيع: دار التربية والتراث - مكة المكرمة.
- 21- العلوي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلوي الطالب الملقب بالمؤيد بالله، اسم الكتاب: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، الناشر: المكتبة العنصرية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.
- 22- فضل، الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس، اسم الكتاب: البلاغة فنونها وأفناها علم البيان والبديع، الناشر: دار النفائس للطباعة والتوزيع الأردن، الطبعة الثانية عشر 1429هـ - 2009م.
- 23- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، اسم الكتاب: محاسن التأويل، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ.
- 24- قدامة، قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي، اسم الكتاب: نقد النثر، حققه وعلق حواشيه: طه حسين بك، وعبد الحميد العبادي، الأستاذان بكلية الآداب، بجامعة فؤاد الأول، الناشر: وزارة المعارف الحكومية، المطبعة الأميرية ببلاط - القاهرة 1941م.
- 25- قطب، سيد قطب، اسم الكتاب: التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، الطبعة الشرعية السابعة عشرة، 1425هـ - 2004م.
- 26- قطب، سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، طبعة جديدة مشروعة، لبنان - بيروت، الطبعة الشرعية الثانية والثلاثون، 1423هـ، - 2003م.
- 27- مطلوب، أحمد مطلوب، اسم الكتاب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها عربي - عربي، مكتبة لبنان ناشرون. بيروت - لبنان 2007م.
- 28- الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، اسم الكتاب: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت

العدالة التنظيمية كمدخل لحوكمة الموارد البشرية

د. عاطف عوض علي¹

¹ أستاذ الإدارة ورئيس قسم إدارة الأعمال بجامعة العلوم والتقانة، كلية العلوم الإدارية، السودان.
HNSJ, 2025, 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/14>
المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/68/14>

تاريخ النشر: 2025/08/01م

تاريخ القبول: 2025/07/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/07/07م

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل العلاقة بين العدالة التنظيمية وتطبيق حوكمة الموارد البشرية، من خلال استكشاف مدى مساهمة أبعاد العدالة التنظيمية (عدالة التوزيع، وعدالة الإجراءات، وعدالة المعاملات) في دعم مبادئ الحوكمة داخل المؤسسات. وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، بالإضافة إلى المنهج الاستقرائي والاستنباطي، لتفسير الظاهرة محل الدراسة بالاستناد إلى الأدبيات النظرية والدراسات السابقة. توصلت النتائج إلى أن العدالة التنظيمية تمثل مدخلاً أساسياً لتحقيق الحكم الراشد في إدارة الموارد البشرية، حيث إن الشعور بعدالة العائد وعدالة الإجراءات والمعاملة ينعكس إيجاباً على أداء الموظفين، ويقلل من النزاعات والانخفاض في الولاء الوظيفي. وأوصت الدراسة بمراجعة سياسات المؤسسات تجاه توزيع العوائد، وضمان العدالة في إجراءات التوظيف والترقية والتقييم والتدريب، والتأكيد على تطبيق السياسات الإدارية بشفافية وعدالة لتعزيز فعالية الحوكمة وتحقيق التوازن بين مصلحة الإدارة والموارد البشرية.

الكلمات المفتاحية: العدالة التنظيمية، حوكمة الموارد البشرية، عدالة التوزيع، عدالة الإجراءات، عدالة المعاملات.

RESEARCH TITLE

Organizational Justice as an Approach to Human Resource Governance

Abstract

This study aims to analyze the relationship between organizational justice and the implementation of human resource governance by exploring the extent to which the dimensions of organizational justice—namely distributive justice, procedural justice, and interactional justice—contribute to supporting governance principles within institutions. The study adopted the descriptive analytical method, along with inductive and deductive approaches, to interpret the phenomenon under investigation based on theoretical literature and previous studies. The findings revealed that organizational justice constitutes a fundamental entry point to achieving good governance in human resource management. Employees' perceptions of fairness in outcomes, procedures, and interpersonal treatment positively influence their performance and reduce workplace conflicts and disengagement. The study recommends that institutions review their policies concerning reward distribution, ensure fairness in recruitment, promotion, performance appraisal, and training procedures, and commit to applying administrative policies transparently and equitably to enhance governance effectiveness and balance the interests of management and human capital.

Key Words: Organizational Justice, Human Resource Governance, Distributive Justice, Procedural Justice, Interactional Justice.

الإطار المنهجي للدراسة

تمهيد:

لعل الفضائح الأخلاقية والإنهيارات المالية والإقتصادية، التي طالت كبريات الشركات في العالم، سيما تلك المدرجة في الأسواق المالية، في دول مثل الولايات المتحدة الأمريكية، والمملكة المتحدة، وروسيا، واليابان ودول شرق آسيا فشل الأساليب التقليدية في منع مسببات تلك الانهيارات والفضائح، والتي كان لظهورها آثار مدوية ونتائج مدمرة، الأمر الذي دفع الجهات المعنية وعلى المستويين الوطني والدولي إلى إجراء دراسات معمقة لتحديد الأسباب الرئيسة التي كانت وراء حدوث الأزمات والانهيارات المشار إليها في أعلاه، والتي كانت في مجملها تتعلق بنواحى أخلاقية من خلال التلاعب المحاسبي والمالى.

وكانت الحوكمة والياتها ثمرة هذه الدراسات لمنع حدوث مثل هذه الأزمات أو الحد منها في اقل تقدير، وذلك من خلال مجموعة من الآليات، من أبرزها الشفافية والإفصاح عن المعلومات المالية وغير المالية وإعدادها وفقاً للمعايير المحاسبية ذات الصلة، وكذلك تعزيز دور وظيفتي التدقيق الداخلي والخارجي، وبخاصة ما يتصل باستقلالية هاتين الوظيفتين وتشكيل لجنة التدقيق من مجلس الإدارة للإشراف عليهما.

وبالرغم من أن مفهوم الحوكمة في بداياته إرتبط بالشركات والقطاع الخاص وتحديداً الأنظمة المحاسبية والمالية ألا أنه بعد ذلك أصبح مفهوماً عاماً لشملى شتى القطاعات الخاصة منها والعام على حد سواء، وكذلك شتى المجالات السياسية والإقتصادية والقانونية والإدارية.. الخ، وعليه سوف يقتصر الباحث إستخدام مفهوم الحوكمة من زاوية إدارية فقط توضح العلاقة الحاكمة بين الإدارة والموارد البشرية، بإعتبار هذا المفهوم يحتمل مجالات ودلالات واسعة كما أشرنا سلفاً.

مشكلة الدراسة:

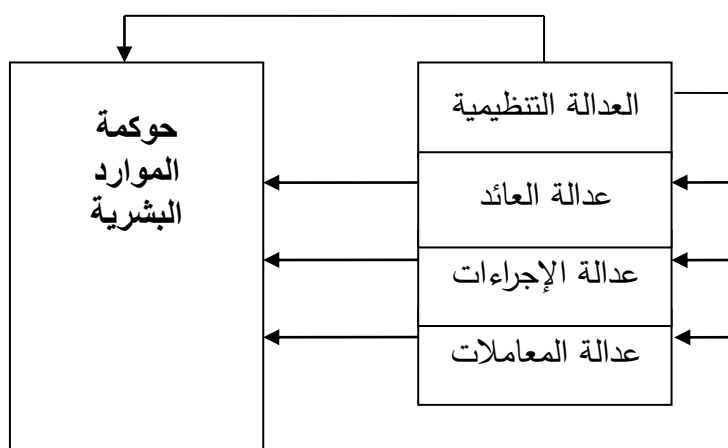
تمثلت مشكلة الدراسة من خلال ملاحظة الباحث بأن كثير من المؤسسات العامة وشركات القطاع الخاص تغفل جانب العدالة التنظيمية بأبعادها المختلفة والمتمثلة في عدالة العائد وعدالة الإجراءات وعدالة المعاملات، الأمر الذى ينعكس سلباً على أداء المورد البشري وربما يؤدي الى سلوكيات سلبية تؤثر على أداء المنظمة بشكل عام ومباشر، الأمر الذي يتناقض مع إرساء مفهوم الحوكمة بمعناه العام والداعي لإرساء مبادئ الحكم الراشد والتميز والتطور فى الأداء، وعليه يرى الباحث بأن مبدأ العدالة التنظيمية يمثل المدخل الأساسى لحوكمة الموارد البشرية من هنا يلخص الباحث مشكلة الدراسة فى التساؤل الرئيسى التالى: (هل

تمثل العدالة التنظيمية مدخلاً أساسياً لحوكمة الموارد البشرية؟)

ومنه تشتق التساؤلات الفرعية التالية:

1. هل تمثل عدالة العائد مدخلاً لحوكمة الموارد البشرية؟
2. هل تمثل عدالة الإجراءات مدخلاً لحوكمة الموارد البشرية؟
3. هل تمثل عدالة المعاملات مدخلاً لحوكمة الموارد البشرية؟

أنموذج الدراسة:



المصدر: إعداد الباحث، 2025

أهمية الدراسة:

1/ الأهمية الموضوعية

تتبع أهمية الدراسة من أهمية الموضوع نفسه حيث موضوع الحوكمة بشكل عام وحوكمة الموارد البشرية على وجه الخصوص يعد من المواضيع الحيوية والتي وجدت إهتماماً واسعاً خلال الآونة الأخيرة على الصعيدين العام والخاص نظراً لانتشار ظاهرة الفساد وتساقط القيم الأخلاقية حيث تمثل الحوكمة إحدى الأدوات الفاعلة التي جاءت لأجل الإصلاح الإداري والحد من تلك الظواهر السالبة وتحقيق الحكم الراشد وزيادة فعالية أداء المؤسسات.

2/ الأهمية العملية

تقدم الدراسة معلومات من خلال النتائج المتوصل إليها وكذلك التوصيات المقدمة يمكن أن تساعد متخذي القرار في المنظمات المختلفة في هذا الخصوص.

3/ الأهمية العلمية

تمثل هذه الدراسة إضافة علمية ومعرفية كما يمكن أن تمثل إحدى الدراسات السابقة للباحثين مستقبلاً في هذا الخصوص كما يمكن أيضاً أن تفتح آفاقاً لبحوث مستقبلية في ذات الخصوص.

منهجية الدراسة:

إستخدمت الدراسة المنهج الوصفي، والمنهج الاستقرائي والاستنباطي، للوصول إلى نتائج وتصورات علمية وعملية، من خلال الاستفادة من الأدبيات السابقة المرتبطة بمتغيري الدراسة (العدالة التنظيمية_ حوكمة الموارد البشرية) .

مصادر جمع البيانات:

أعتمدت الدراسة في جمع المعلومات على المصادر الثانوية مثل الكتب والمراجع والدراسات السابقة والمنشورات.

الحدود الموضوعية للدراسة:

تقتصر الدراسة على تناول العدالة التنظيمية كمدخل لحوكمة الموارد البشرية.

مصطلحات الدراسة:

العدالة التنظيمية: (الطريقة التي يحكم من خلالها الفرد على عدالة الأسلوب الذي يستخدمه المدير في التعامل معه على المستويين الوظيفي والإنساني) (Karrikar & Williams, 2009: 114).

الحوكمة: (النظام الذي يتم من خلاله إدارة المنظمة والتحكم في أنشطتها) (مركز أبوظبي للحوكمة، د.ت: 5)

حوكمة الموارد البشرية: (نظام يتم من خلاله التحكم في جميع الافراد العاملين في المنظمة اي كان موقعهم بما يتماشى مع أهداف المنظمة وتعظيم القيمة المضافة لديها، وتحقيق مبدأ العدالة والتوازن بين مصالح الإدارة من جهة ومصالح الأطراف الأخرى من جهة ثانية).

عدالة التوزيع: (عدالة المخرجات المادية والغير مادية التي يحصل عليها العامل من المنظمة مقابل جهوده المبذولة) (فهداوي وقطاونة، 2004م: 11)

عدالة الإجراءات: (الطريقة التي تتبع في اتخاذ القرارات المتصلة بتوزيع النواتج) (العطوي، 2007: 150).

عدالة المعاملات: (مدى إحساس الأفراد بعدالة المعاملة التي يحصلون عليها عندما تطبق عليهم الإجراءات) (حامد، 2003: 10).

الدراسات السابقة:

دراسة (محمد، 2017م)⁽¹⁾

تتمثل مشكلة الدراسة في الإجابة عن التساؤلات الآتية: ما مدى توافر الأبعاد الرئيسية للعدالة التنظيمية في قطاع البنوك؟ هل هناك فروق جوهرية بين العاملين بالبنوك الحكومية والعاملين بالبنوك الخاصة فيما يتعلق بإدراكهم لأبعاد العدالة التنظيمية؟ هل هناك فروق جوهرية بين العاملين بالبنوك الحكومية والعاملين بالبنوك الخاصة فيما يتعلق بإدراكهم لالتزامات العقد النفسي؟ ما هو تأثير أبعاد العدالة التنظيمية على إدراك العاملين لالتزامات العقد النفسي؟، إتبعنا الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، توصلت الدراسة إلي مجموعة من النتائج أهمها يوجد تأثير معنوي لأبعاد متغير العدالة التنظيمية على متغير التزامات المنظمة بالعقد النفسي، وتأتي هذه الأبعاد حسب قوة تأثيرها (العدالة الأخلاقية، عدالة التعاملات، العدالة التوزيعية، العدالة التقييمية، العدالة الإجرائية)، يوجد تأثير معنوي لأبعاد متغير العدالة التنظيمية على متغير التزامات العاملين بالعقد النفسي، وتأتي هذه الأبعاد حسب قوة تأثيرها (العدالة الأخلاقية، العدالة التوزيعية، العدالة الأخلاقية، عدالة التعاملات، العدالة التقييمية)، توجد فروق جوهرية بين البنوك الحكومية والبنوك الخاصة لحساب البنوك الحكومية فيما يتعلق بالعدالة الإجرائية، أوصت الدراسة بمجموعة توصيات أهمها إتباع طريقة التوسعات المحدودة في نظام التعويضات، والتنوع في أنظمة التعبير الصوتي مثل صحيفة السؤال/ الإجابة، وسيلة التليفون المفتوح، البريد الإلكتروني، وكتابة تقارير دورية عن آراء العاملين تجاه مشرفيهم.

دراسة (العربي، 2018م)⁽²⁾

تمثلت مشكلة الدراسة في الإجابة علي الآتي: ما مدى ملائمة النموذج المقترح لدراسة العلاقة القائمة بين كل من الالتزام التنظيمي والعدالة التنظيمية والثقة التنظيمية لدى موظفي شبه الطبي العاملين بالمصالح الاستشفائية العمومية الجزائرية؟ ويتحدد على ضوء هذا الطرح تساؤلات أخرى فرعية لا تقل شأنًا عن الاشكالية الرئيسية السابقة الطرح أولاً: ما

(1) محمد بهاء الدين عبد المنعم، تأثير تطبيق العدالة التنظيمية على تحقيق الالتزام بالعقد النفسي، (القاهرة: رسالة دكتوراة في إدارة الأعمال غير منشورة، جامعة عين شمس، كلية التجارة، قسم إدارة الأعمال)، 2017م.

(2) العربي فرح، أثر العدالة والثقة التنظيمية على الالتزام التنظيمي "نموذج مقترح" دراسة تطبيقية على المؤسسات الاستشفائية العمومية الجزائرية، (الجزائر: رسالة دكتوراة في إدارة الأعمال منشورة، جامعة أبو بكر بلقايد، كلية العلوم الاقتصادية والإدارية والتجارية، تخصص إدارة الأعمال)، 2018م.

مستوى تقييم موظفي شبه الطبي للعدالة التنظيمية الممارسة عليهم بالمصالح الاستشفائية العمومية؟ ثانياً: ما مستوى الثقة التي ينظر بها موظفو شبه الطبي بالمصالح الاستشفائية العمومية نحو كل من الإدارة المشرفين وزملاء العمل؟ ثالثاً: ما مستوى الالتزام التنظيمي لدى موظفي شبه الطبي العاملين بالمصالح الاستشفائية العمومية؟، اتبعت الدراسة المنهج الوصفي، توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها إن العدالة التنظيمية بأبعادها الثلاثة التوزيعية الاجرائية والتعاملية من وجهة نظر موظفي شبه الطبي العاملين في المؤسسات الاستشفائية محل الدراسة لا تمارس بمستوى عالي وإنما جاءت متوسطة، كما أن المستوى العام للثقة التنظيمية التي ينظر بها موظفو شبه الطبي محل الدراسة كان متوسطاً، وأن مستوى ثقة الموظفين ببعضهم البعض كزملاء في العمل جاء عالياً مقارنة بمستوى الثقة بالإدارة والثقة في المشرفين، ومن جانب آخر وجد أن موظفي شبه الطبي بالمؤسسات الاستشفائية محل الدراسة لا يتمتعون بمستوى عالي من الالتزام التنظيمي بأبعاده، وإنما كان متوسطاً، أوصت الدراسة بمجموعة توصيات أهمها تشجيع المؤسسات العمومية الاستشفائية على تبني بيئة تنظيمية من شأنها أن تشجع وتنمي مستوى الالتزام من خلال الحرص على ممارسة العدالة التنظيمية بمختلف أبعادها، والعمل على المراجعة المستمرة للسياسات والممارسات والتعامل مع كافة الأفراد العاملين في صيغ تحقق المساواة والانصاف بعيداً عن المحاباة والمحسوبية، والتركيز على الجانب النفسي بدرجة أولى في التعامل مع الموظفين، باعتباره القوة الدافعة نحو الانجاز من خلال تشجيعهم على المساهمة الحقيقية في عملية صنع القرارات، والمساهمة في رسم الرؤية المستقبلية للمؤسسة وذلك لما له من أثر في توليد شعور داخلي لديهم بأن نجاح المنظمة هو نجاح لهم، مما يجعلهم أكثر تمسكاً والتزاماً بالمنظمة والعمل على التوزيع العادل للأعباء الوظيفية على العاملين والاهتمام بوضع هيكلة مناسبة تتحدد على ضوءها التعويضات بالتركيز على ما تتطلبه الوظيفة من صعوبات.

دراسة (محمد، 2018م)⁽³⁾

تمثلت مشكلة الدراسة حول قضية ارتفاع معدلات الانقطاع ونقص الرضا الوظيفي والالتزام التنظيمي في قطاع الصناعات الكيمائية، والتي يمكن أن تكون ناتجة عن عدم الشعور بالعدالة التنظيمية بين الموظفين، اتبعت الدراسة المنهج الكمي لجمع البيانات من خلال استبيان على عينة عشوائية من موظفي شركات في قطاع الصناعات الكيمائية، توصلت الدراسة إلى أن هناك علاقة إيجابية وقوية بين مستوى العدالة التنظيمية والرضا الوظيفي للموظفين، وتبين الدراسة أن الموظفين الذين يشعرون بالعدالة التنظيمية يظهرون مستويات أعلى من الالتزام التنظيمي، ويشير البحث إلى أن تحسين مستوى العدالة التنظيمية داخل الشركات يمكن أن يساهم في تحسين الرضا الوظيفي وزيادة مستويات الالتزام التنظيمي للموظفين، أوصت الدراسة بمجموعة توصيات أهمها تشجيع الشركات في قطاع الصناعات الكيمائية على تبني سياسات وإجراءات تعزز العدالة التنظيمية داخل المنظمة، وتوفير برامج تدريبية للمديرين والموظفين لزيادة فهمهم وتطبيقهم لمفهوم العدالة التنظيمية في العمل اليومي، وتحفيز البحوث والدراسات المستقبلية لاستكشاف آليات العدالة التنظيمية وتأثيرها على سلوك الموظفين في السوق العمل.

دراسة (Asres, 2019)⁽⁴⁾

تمثلت مشكلة الدراسة في استكشاف التحديات والفرص والآثار المرتبطة بمبادرات التغيير الاستراتيجي في منطمتين محددتين من منظور نظرية العدالة التنظيمية، اتبعت الدراسة المنهج الوصفي باستخدام المقابلات، ومجموعات التركيز، وتحليل الوثائق لجمع البيانات، توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها توجد نتائج تظهر أن مبادئ العدالة التنظيمية تؤثر

(3) محمد عبد الرحمن محمد، تقويم مستوى العدالة التنظيمية وأثرها على الرضا الوظيفي والالتزام التنظيمي: دراسة حالة في قطاع الصناعات الكيمائية، (الخرطوم: رسالة دكتوراة في إدارة الأعمال غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة الخرطوم)، 2018م.

(4) Asres Abitie Kebede, **Strategic Change in a Developmental State Context: An Organizational Justice Theory Perspective (OJTP) Strategy Reorientation in Ethio Telecom and Commercial Bank of Ethiopia**, Doctoral Thesis in Management, Addis Ababa University College of Business and Economics, 2019.

بشكل على توجهات وسلوكيات الموظفين تجاه التغيير الاستراتيجي في كلتا المؤسستين، وتظهر العدالة في عمليات اتخاذ القرار وتوزيع الموارد كعوامل حرجة تؤثر على الالتزام الوظيفي والأداء التنظيمي خلال التغيير الاستراتيجي، ويتم تحديد التباينات في تطبيق مبادئ العدالة التنظيمية بين إثيو تيليكوم والبنك التجاري الإثيوبي، مما يبرز أهمية العوامل السياقية في مبادرات التغيير الاستراتيجي، أوصت الدراسة بأنها ينبغي على كلتا المؤسستين أن تعطي أولوية للعدالة والشفافية في عمليات اتخاذ القرار وتوزيع الموارد خلال جهود التغيير الاستراتيجي لتعزيز معنويات الموظفين والأداء التنظيمي، ويجب على القادة والمديرين التواصل بنشاط مع الموظفين لضمان وضوح وفهم حول مبادرات التغيير الاستراتيجي، مما يعزز الشعور بالعدالة الإجرائية، ويجب إجراء مراقبة وتقييم مستمر لتصورات العدالة التنظيمية بين الموظفين لتحديد المجالات التي تحتاج إلى تحسين وضمان التوافق مع أهداف التغيير الاستراتيجي.

دراسة (عبد القادر، 2019م)⁽⁵⁾

تمثلت مشكلة الدراسة في تسليط الضوء على طبيعة الأثر بين العدالة التنظيمية والانتماء التنظيمي لدى عينة من موظفي المؤسسات العمومية ذات الطابع الإداري بولاية المدية، ولتحقيق أهداف الدراسة اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها وجود اتفاق بين أفراد عينة الدراسة على عدم إدراكهم لبعدي العدالة التوزيعية والإجرائية في حين كان رأيهم محايدا لبعد العدالة التعاملية، أما فيما يخص الانتماء التنظيمي فقد كان تجاههم معارضا لبعدي الانتماء العاطفي والاستمراري، ومحايدا لبعد الانتماء المعياري. كما تبين وجود فروق في تقديرات أفراد عينة الدراسة لدى إدراكهم لكل من العدالة والانتماء التنظيميين في المؤسسات العمومية الإدارية بولاية المدية تعزى لخصائصهم الشخصية والوظيفية، بالإضافة إلى قبول النموذج المقترح لتأثير العدالة التنظيمية على الانتماء التنظيمي بالمؤسسات العمومية الإدارية بولاية المدية، وهذا نظرا لتوفر كل المؤشرات الإحصائية المستخدمة على أفضل القيم، كما أظهرت نتائج التحليل العاملي التوكيدي لأثر العدالة التنظيمية بأبعادها الثلاثة على الانتماء التنظيمي بالمؤسسات العمومية الإدارية بالمدية أن العدالة التنظيمية تفسر (83 %) من الانتماء التنظيمي، أوصت الدراسة بمجموعة توصيات أهمها وضع نظام للحوافز في المؤسسات العمومية الإدارية بما يكفل توزيعها بعدالة بين الموظفين، وإعادة النظر في منظومة المخرجات التنظيمية للمؤسسات العمومية الإدارية، مع ضرورة تناسبها مع الجهد المبذول، وضرورة مراعاة توزيع الأعباء الوظيفية على الموظفين في المؤسسات العمومية الإدارية بما يتناسب مع مؤهلاتهم وقدراتهم.

دراسة (سارة، 2019م)⁽⁶⁾

تمثلت مشكلة الدراسة في تحديات الصناعات الغذائية في جذب والحفاظ على الموظفين المؤهلين وتحسين أدائهم. يعتبر تحقيق العدالة التنظيمية أحد العوامل الرئيسية التي قد تؤثر على رضا الموظفين وأدائهم في هذا القطاع، استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها وجود علاقة إيجابية وقوية بين مستوى العدالة التنظيمية ورضا الموظفين في قطاع الصناعات الغذائية، كما تبين أن الموظفين الذين يشعرون بالعدالة التنظيمية يظهرون أداءً أفضل في مهامهم مقارنة بالذين لا يشعرون بذلك، وتحديد أن رضا الموظفين يرتبط بشكل مباشر بأدائهم، حيث يزداد أداء الموظفين كلما زاد مستوى رضاهم عن العمل، أوصت الدراسة بتشجيع الشركات في قطاع الصناعات

⁽⁵⁾ عبد القادر سونة، أثر العدالة التنظيمية على الانتماء التنظيمي حالة عينة من المؤسسات العمومية ذات - الطابع الإداري بولاية المدية -، (الجزائر: رسالة دكتوراة في إدارة الأعمال منشورة، جامعة يحي فارس بالمدية، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية والإدارية)، 2019م.

⁽⁶⁾ سارة محمد أحمد، تأثير العدالة التنظيمية على رضا الموظفين وأدائهم: دراسة في قطاع الصناعات الغذائية، (القاهرة: رسالة دكتوراة في إدارة الأعمال غير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة القاهرة)، 2019م.

الغذائية على تطبيق مبادئ العدالة التنظيمية في سياساتها وإجراءاتها الداخلية، وتوفير برامج تدريبية للمديرين والموظفين لتعزيز فهمهم لأهمية العدالة التنظيمية وكيفية تطبيقها في بيئة العمل، إجراء دراسات دورية لقياس مستوى العدالة التنظيمية داخل الشركات، وتطوير استراتيجيات تحسين العدالة التنظيمية بناءً على نتائج هذه الدراسات.

دراسة (عبد الرحمن، 2019م)⁽⁷⁾

تمثلت مشكلة الدراسة في أن ضعف التماثل التنظيمي يرجع لعدم الاهتمام بالعدالة التنظيمية وعليه يمكن صياغة المشكلة من خلال السؤال الرئيس الذي ينص على ما هو أثر أبعاد العدالة التنظيمية على التماثل التنظيمي لدى منسوبي البنوك التجارية الأجنبية في السودان والأسئلة الفرعية تنص على ما هو أثر العدالة التوزيعية على التماثل التنظيمي، ما هو أثر العدالة الإجرائية على التماثل التنظيمي، ما هو أثر العدالة التعاملية على التماثل التنظيمي، أستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي لملائمته لهذه الدراسة، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين بعد العدالة التوزيعية والتماثل التنظيمي وكذلك وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين بعد العدالة الإجرائية والتماثل التنظيمي علاوة على وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين بعد العدالة التعاملية والتماثل التنظيمي، وتوصلت الدراسة إلى عدة توصيات منها على إدارات البنوك التجارية الأجنبية العاملة في السودان العمل على توطيد العلاقة بين أبعاد العدالة التنظيمية والتماثل التنظيمي، وتطبيق القرارات الإدارية على الجميع دون استثناء وفق أنظمة قانونية، والعمل على اتخاذ القرارات بناءً على معلومات مكتملة ودقيقة.

دراسة (بكري، حنان 2020م)⁽⁸⁾

تمثلت مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس اثر العدالة التنظيمية في الرضا الوظيفي بالتطبيق علي اعضاء هيئة التدريس والموظفين بجامعة ام درمان الإسلامية ,وتمثلت مشكلة الدراسة حول مستوى العدالة السائد في الجامعة من وجهة نظر المبحوثين وذلك من خلال فرضية رئيسية: توجد علاقة موجبة ذات دلالة احصائية بين العدالة التنظيمية والرضا الوظيفي لاعضاء هيئة التدريس والموظفين بالجامعة, تم استخدام المنهج التاريخي الاستنباطي لجمع البيانات الخاصة بالجزء النظري والدراسات السابقة واستخدام الاستبيان لجمع اراء العينة واستخدام البرنامج الاحصائي spss لتحليل البيانات, توصلت الدراسة الي عدة نتائج اهمها: ان درجة توفر العدالة كانت متوسطة, اي ان افراد العينة لا راي محدد لهم نحو مدي توفرعدالة التوزيع, والاجراءات , والمعاملات , كما ان درجة توفر الرضا الوظيفي كانت متوسطة, وقد خرجت الدراسة بعدد من التوصيات اهمها: اهمها العمل علي تحسين العدالة التنظيمية في اجل تطوير الموارد البشرية واستثمارها الاستثمار الامثل,وذلك لان العمل علي زيادة رضائهم سينعكس ايجابا علي ادائهم وزيادة ولائهم.

دراسة (يوسف، 2020م)⁽⁹⁾

تمثلت مشكلة الدراسة في وجود التحديات التي تواجهها شركات قطاع الخدمات اللوجستية في جذب والحفاظ على الموظفين الملتزمين، والتي يمكن أن تنبع من عدم الشعور بالعدالة التنظيمية داخل المنظمة، اتبعت الدراسة المنهج

(7) عبد الرحمن بشر عربي وار، العدالة التنظيمية وأثرها على التماثل التنظيمي: دراسة حالة على البنوك التجارية الأجنبية في السودان، (الخرطوم: رسالة دكتوراة في إدارة الأعمال غير منشورة، جامعة النيلين، كلية الدراسات العليا)، 2019م.

(8) بكري الطيب موسي، حنان عثمان محمد، اثر العدالة التنظيمية في الرضا الوظيفي بالتطبيق علي اعضاء هيئة التدريس بجامعة ام درمان الإسلامية،المجلة الاكاديمية للبحوث والدراسات، المجلد 1، العدد 11، (1-35) 2022

(9) يوسف علي محمد، دور العدالة التنظيمية في تعزيز الالتزام التنظيمي: دراسة في قطاع الخدمات اللوجستية، (الرياض: رسالة دكتوراة في إدارة الأعمال غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الإدارة والاقتصاد)، 2021م.

الوصفي التحليلي، توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها أن هناك علاقة إيجابية وقوية بين مستوى العدالة التنظيمية ومدى الالتزام التنظيمي للموظفين في قطاع الخدمات اللوجستية، وتبين الدراسة أن الموظفين الذين يشعرون بالعدالة التنظيمية يظهرون مستويات أعلى من الالتزام بأهداف وقيم المنظمة، كما تشير النتائج إلى أن تحسين مستوى العدالة التنظيمية يمكن أن يساهم في تعزيز الالتزام التنظيمي والإنتاجية في شركات الخدمات اللوجستية، أوصت الدراسة بمجموعة توصيات أهمها تشجيع شركات الخدمات اللوجستية على تبني سياسات وإجراءات تعزز العدالة التنظيمية وتشجيع الشفافية والمساواة داخل المنظمة، وتوفير برامج تدريبية للموظفين والمدراء لزيادة فهمهم وتطبيقهم لمفهوم العدالة التنظيمية في بيئة العمل، ودعم البحوث المستقبلية لاستكشاف تأثير العدالة التنظيمية على مختلف جوانب أداء الموظفين والمؤسسات.

دراسة (أحمد، 2021م)⁽¹⁰⁾

تمثلت مشكلة الدراسة في وجود " قصور في إدراك دور العدالة التنظيمية وأبعادها وما يترتب عليها من نتائج هامة لكل من العاملين والمنظمة والمجتمع، بالإضافة إلى ارتفاع مستويات التهكم التنظيمي لدى العاملين بالشركات محل الدراسة"، لذلك فإن هناك حاجة ماسة لدراسة دور العدالة التنظيمية للحد من ظاهرة التهكم التنظيمي في شركات إنتاج الدواء المصرية محل الدراسة. كما يمكن صياغة مشكلة الدراسة في التساؤل الآتي: هل تساهم العدالة التنظيمية في الحد من مستوى التهكم التنظيمي؟، اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لإدراك العاملين للعدالة التوزيعية (كأحد أبعاد العدالة التنظيمية) على التهكم التنظيمي، يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لإدراك العاملين للعدالة الإجرائية (كأحد أبعاد العدالة التنظيمية) على التهكم التنظيمي، يوجد أثر ذو دلالة إحصائية لإدراك العاملين لعدالة المعاملات (كأحد أبعاد العدالة التنظيمية) على التهكم التنظيمي، أوصت الدراسة بعدة توصيات أهمها دعم مدرّكات العاملين للعدالة التوزيعية بأن تعكس الامتيازات التي يحصل عليها العاملين من عملهم الجهد الذي يبذلونه أن يشعر العاملين بعدالة ما يحصلون عليه من عملهم مقارنة بما يحصل عليه زملائهم في نفس المستوى بالشركات الأخرى المماثلة، ودعم مدرّكات العاملين للعدالة الإجرائية عن طريق أن يشعر العاملين بأن الإجراءات المستخدمة في تقييم أدائهم عادلة، ودعم مدرّكات العاملين لعدالة المعاملات عن طريق أن يتعامل المدير مع كل الزملاء بنفس القدر من الاحترام.

دراسة (Thomas, 2021)⁽¹¹⁾

تمثلت مشكلة الدراسة في تقييم نموذج نظري يفترض تأثير وساطة تحكّمي للعدالة التنظيمية على العلاقة بين ممارسات إدارة المواهب المتضمنة والجهد الوظيفي بطريقة تجريبية، اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها أنه أدت ممارسات إدارة المواهب المتضمنة إلى زيادة في تصورات العدالة التوزيعية، كما تبين أن العدالة التوزيعية توسط العلاقة بين ممارسات إدارة المواهب المتضمنة والجهد الوظيفي، كما تبين أن العدالة الإجرائية تعتبر عاملاً تحكّميًا للعلاقة بين العدالة التوزيعية والجهد الوظيفي بحيث أن للعدالة التوزيعية تأثيراً أكبر على الجهد الوظيفي عندما تكون تصورات العدالة الإجرائية منخفضة، أوصت الدراسة بعدة توصيات أهمها ينبغي على المؤسسات أن

(10) أحمد صبرى فؤاد، أثر العدالة التنظيمية على التهكم التنظيمي، (عين شمس: رسالة دكتوراة في إدارة الأعمال غير منشورة، جامعة عين شمس، كلية التجارة، قسم إدارة الأعمال)، 2021م.

(11) Thomas Kramer, The Effects of Perceived Organizational Justice of Inclusive Talent Management Practices on Employee Work Effort, . Human Resource Development Theses and Dissertations, University of Texas at Tyler, U.S.A, 2021,

تسعى لتنفيذ ممارسات إدارة المواهب التي يُدركها الموظفون على أنها عادلة وشاملة، ويمكن تحقيق ذلك من خلال وضع سياسات وإجراءات شفافة لتحديد المواهب وتطويرها ومكافأتها، وينبغي على المؤسسات التركيز على تحسين عدالة إجراءاتها وعملياتها المتعلقة بإدارة المواهب ويشمل ذلك ضمان أن عمليات اتخاذ القرار شفافة ومتسقة وتستند إلى معايير موضوعية، وينبغي توفير فرص التدريب والتطوير للموظفين لتعزيز مهاراتهم وقدراتهم ويمكن أن يزيد ذلك من تصورهم للعدالة في ممارسات إدارة المواهب ويحفزهم على بذل جهد أكبر في عملهم.

دراسة (Long,2023)⁽¹²⁾

تمثلت مشكلة الدراسة في البحث لاستكشاف العلاقة بين سلوك القيادة والعدالة التنظيمية المتعلقة باندماج الموظفين، اعتمدت الدراسة علي المنهج التحليلي، توصلت الدراسة إلي عدة نتائج أهمها أن سلوكيات القيادة الإيجابية لها تأثير إيجابي على اندماج الموظفين، كما توصلت الدراسة إلي أن العدالة التنظيمية لها تأثير إيجابي على اندماج الموظفين، وأظهر التفاعل بين سلوكيات القيادة الإيجابية والعدالة التنظيمية تأثيراً ملموساً على اندماج الموظفين، مشيراً إلى أن تأثير المجتمع لهذه العوامل أكبر من تأثيراتها الفردية، أوصت الدراسة بعدة توصيات أهمها أنه ينبغي على المؤسسات التركيز على تطوير وتعزيز سلوكيات القيادة الإيجابية بين المديرين والقادة، ويجب بذل جهود لضمان العدالة والنصف في السياسات التنظيمية والإجراءات وعمليات اتخاذ القرار، ويجب على المؤسسات التعرف على التأثير المشترك لسلوكيات القيادة الإيجابية والعدالة التنظيمية على اندماج الموظفين والسعي لخلق بيئة عمل تعزز كلاهما.

دراسة (خالدة، 2023م)⁽¹³⁾

تمثلت مشكلة الدراسة في الإجابة علي السؤال التالي : هل توجد علاقة ارتباطية بين العدالة التنظيمية وفعالية الأداء الوظيفي لدى عمال المؤسسة الاقتصادية ؟، اتبعت الدراسة المنهج الوصفي، توصلت الدراسة إلي عدة نتائج أهمها وجود علاقة ارتباطية خطية موجبة ودالة إحصائياً بين العدالة التنظيمية وفعالية الأداء الوظيفي لدى عمال مؤسسة تندال بالمسيلة، وكشفت الدراسة عن عدم وجود فروق دالة إحصائية في متغيرات الدراسة تبعا لمتغير الجنس/الوظيفة/الخبرة، وجود علاقة ارتباطية جوهرية طردية بين إدراك العدالة التنظيمية للعاملين والثقة لديهم، أوصت الدراسة بعدة توصيات أهمها الاهتمام بعقد اجتماعات دورية بين الإدارة والعمال لتنمية روح التعاون بينهم، وتصميم برامج تكوينية لجميع العمال تشجع على تأهيلهم وإعدادهم لتولي مراكز قيادية، وضرورة توضيح الطرق والإجراءات المعمول بها في المؤسسة لتتوافق مع العمال، كتشجيع المبادرات والاقتراحات التي يقدمها العمال لغرض تبادل الأفكار.

الإطار النظري (المفاهيمي) للدراسة

أولاً: مفهوم الحوكمة

يعتبر مفهوم الحوكمة من المفاهيم العامة والتي يمكن إسقاطها في كل مجال أو نشاط، وعليه لا يوجد إجماع في الأدبيات على تعريف موحد لمصطلح الحوكمة، وكل عرفها حسب الاستخدام وزوايا النظر (محاسبية، إدارية، إقتصادية، قانونية، سياسية.. الخ)، وكما أشرنا سلفاً إرتباط مفهوم الحوكمة في بداياته بالشركات وقطاع الأعمال مما جعل كثير من

⁽¹²⁾Long, Felicia A., "The Effects of Positive Leadership Behaviors and Organizational Justice on Employee Engagement", Doctoral Dissertations and Projects., Liberty University, U,S,A 2023.

⁽¹³⁾ خالدة شتراري، العدالة التنظيمية وعلاقتها بفعالية الأداء الوظيفي لدى عمال المؤسسة الاقتصادية -دراسة ميدانية ب مؤسسة تيندال المسيلة، (الجزائر: رسالة دكتوراة في تخصص العمل والتنظيم منشورة، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة محمد بوضياف المسيلة)، 2023م

التعاريف تسير في هذا الاتجاه وتحديداً في الجانب المالى والمحاسبى، وهناك من نظر للحوكمة بإستخدام مصطلحات مرادفة مثل (الصالح احمد علي، 2006: 117):

(حاكمية الشركة، حكامية الشركة، التحكم المؤسسى، الحكم الراشد، حوكمة الشركة، ضبط الشركة، السيطرة على الشركة، المشاركة الحكومية، إدارة شؤون الشركة، الشركة الرشيدة، توجيه الشركة، الإدارة الحقة للشركة، الحكم الصالح للشركة، أسلوب ممارسة سلطة الإدارة).

ولأغراض هذا البحث سوف يعتمد الباحث مصطلح (الحكم الراشد) بإعتباره المصطلح الأنسب مع طبيعة الدراسة القاصرة على حوكمة المورد البشرى.

فيما يلى بعض التعاريف لمصطلح الحوكمة (مركز أبحاث الحوكمة، د.ت : 5):

مؤسسة التمويل الدولية (IFC): «النظام الذي يتم من خلاله إدارة المنظمة والتحكم في أنشطتها.»

منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD): «مجموعة من العلاقات التي تربط بين القائمين على إدارة الشركة و مجلس الإدارة وحملة الأسهم وغيرهم من أصحاب المصالح.»

كما يوجد تعريف آخر للحوكمة يدور حول الطريقة التي تدار بها الشركة وآلية التعامل مع جميع أصحاب المصالح فيها، بدء من عملاء الشركة والمساهمين والموظفين (بما فيهم الإدارة التنفيذية وأعضاء مجلس الإدارة) وإنهاء بآلية تعامل الشركة مع المجتمع ككل.

وعليه نخلص بأن الحوكمة (الحكم الراشد): ما هو إلا نظام يحكم العلاقات بين الأطراف الأساسية بالمنظمة، الغرض منه الإصلاح الإدارى والحد من التلاعب والفساد وتطوير البيئات التنظيمية (مؤسسات الدولة والشركات المختلفة) وذلك يساهم في ضبط العمل وتوجيه العمليات نحو النجاح والتطور المستمر.

بالإعتماد على الأدبيات السابقة يعرف الباحث حوكمة الموارد البشرية (الحكم الراشد للموارد البشرية):

(نظام يتم من خلاله التحكم في جميع الافراد العاملين في المنظمة اي كان موقعهم بما يتماشى مع أهداف المنظمة وتعظيم القيمة المضافة لديها، وتحقيق مبدأ العدالة والتوازن بين مصالح الإدارة من جهة ومصالح الأطراف الأخرى من جهة ثانية).

ومن خلال ذلك يخلص الباحث بأن حوكمة الموارد البشرية (الحكم الراشد للموارد البشرية) تتضمن الآتى:

- ✓ وجود نظم وإجراءات فعالة.
- ✓ تنفيذ لتلك النظم والإجراءات.
- ✓ رقابة على التنفيذ.

ثانياً: العدالة التنظيمية كمدخل لحوكمة الموارد البشرية

كما أشرنا فى التعريف الإجرائى لهذه الدراسة بأن الحوكمة (الحكم الراشد) تعبر عن الأنظمة التى تحكم العلاقة بين الإدارة والموارد البشرية بالمنظمة.

ويعتبر العدل هو الأساس والمدخل للحكم الراشد ويسبق اسم "العدل" في ترتيب أسماء الله الحسنى، اسم "الحكيم" ويليه اسم "اللطيف" وتعكس ثلاثية أسماء الله الحسنى متتالية بهذا الشكل حكمة بالغة في وصف معنى ومفهوم العدالة،

فالحكم الذي لا مرد لقضائه و معقب على حكمه لا بد أن تكون صفته الأساسية العدالة، وفي ذلك إشارة واضحة إلى وجوب تحقيق العدالة من خلال حكم عادل، أما اسم "اللطيف" فهو الذي لطف أفعاله وحسنت، أو الذي لا تدركه الحواس، أو العليم بخوافي الأمور ودقائقها، أو البر بعباده الذي يلفظ بهم من حيث لا يعلمون ويهيئ مصالحهم من حيث لا يحتسبون وبمنظرة فاحصة إلى أسماء الله الحسنى السابقة نجد أنها تجسد خصائص أساسية ومتصلة بالعدالة وهي الحكم العدل اللطيف.

إن العدل من الأسس التي عليها عمار الكون، وصلاح العباد، لذا حث عليه الإسلام وجعله أساساً للحكم بين الناس: "لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه شديد ومنافع للناس" (الحديد: 25) والله سبحانه وتعالى هو الحكم العدل المقسط، فهو سبحانه لا يحكم إلا بالحق، ولا يقول الحق، ولا يقضي إلا بالحق: والله يقضي بالحق.

وقد تنبه علماء الاجتماع منذ زمن طويل إلى أهمية مبادئ العدالة وقيمها التي وفرها الإسلام أساساً للأداء المميز للمنظمات، وتحقيقاً لرضا الأفراد العاملين فيها، الأمر الذي دفع علماء الإدارة الحديثة إلى تركيز اهتمامهم على الكثير من الظواهر المتعلقة بمفهوم العدالة كاختيارات التوظيف، والأجور المتكافئة، وأدى بهم إلى اعتبار العدالة التنظيمية أحد المكونات الأساسية للهيكل الاجتماعي والنفسي للمنظمة، حيث تعتبر العدالة التنظيمية "قيمة اجتماعية ونمطاً اجتماعياً، يؤدي غيابها إلى مخاطر جسيمة تهدد المؤسسة والفرد معاً إذ أن إدراك العاملين لعدم توافر العدالة يؤدي بهم إلى ممارسات سلوكية سلبية، كنقص الولاء للمنظمة والنية في تركها، وزيادة معدل دوران العمل، إضافة إلى سلوكيات الانتقام الموجهة نحو المؤسسة أو قادتها. والعدالة التنظيمية ترتبط بشكل جوهري بقيم العاملين وعلاقاتهم الاجتماعية، وهي تؤثر بشكل مباشر على دوافع العاملين وجهودهم، الأمر الذي أدى إلى اعتبارها إحدى أهم نظريات السلوك الإنساني في المنظمات لفترة طويلة (زايد، عادل، 2006م: 3-4).

لقد أثبتت الكثير من الدراسات التي أجريت فيما بعد على هذه النظرية صحة أفكارها، حيث تشير هذه الدراسات التي أجريت فيما بعد على هذه النظرية صحة أفكارها، حيث تشير هذه الدراسات إلى أن شعور الموارد البشرية بعدم العدالة يؤدي إلى شعورها بعدم الرضا الوظيفي، وما يترتب على ذلك من سلوكيات تنعكس بالسلب على المؤسسة مثل التغيب عن العمل، تدهور الأداء ... إلخ. وفي الحالة المعاكسة أين يكون هناك شعور بالعدالة يؤدي ذلك إلى زيادة درجة الرضا الوظيفي للموارد البشرية وما يترتب على ذلك من زيادة في مستويات الأداء وجودته (الصيرفي، 2007م: 151-152).

مما سبق يتبين أن العدالة هي الأساس الذي يقوم عليه إدارة أي تنظيم بشري، وبالتالي يعتبر الباحث أن مبدأ العدالة التنظيمية هو المدخل الرئيس لحوكمة المورد البشري.

ثالثاً: أبعاد العدالة التنظيمية

تناول العديد من الباحثين العدالة التنظيمية باعتباره تتضمن بعدين هما: عدالة التوزيع وعدالة الإجراءات (Nasurdin & Khan, 2007: 339) وهناك من اعتبر عدالة التعاملات جزءاً لا يتجزأ من عدالة الإجراءات، كما يرى البعض أن العدالة التنظيمية تتضمن ثلاثة أبعاد رئيسية هي: (Tatum & Eberlin, 2008: 298):

1/ عدالة التوزيع:

تعرف عدالة التوزيع بأنها: (عدالة المخرجات التي يحصل عليها العامل) (فهداوي وقطاونة، 2004م: 11)، وهناك من عرفها بأنها: (درجة الشعور المتولدة لدى العاملين إزاء عدالة القيم المادية وغير المادية التي يحصلون عليها من

المنظم بوصفها متحققة) (Ishak&Alam, 2009: 326). وعرفها آخرون بأنها: (تشير إلى عدالة المخرجات أو العوائد التي يحصل عليها الفرد) (حامد، 2003: 10).

وعرفها غيرهم أنها: (تركز على إدراك الموظفين لعدالة المخرجات المستلمة، فهم يقيمون الحالة النهائية لعملية توزيع الموارد في المنظمة) (Lee, 2000: 21).

تركز عدالة التوزيع على عنصرين هما:

1- رأى العاملين في عدالة ما يحصلون عليه من المنظمة مقارنة بما يعتقدون أنهم يقدمونه للمنظمة.

2- رأى العاملين في عدالة ما يحصلون عليه من المنظمة مقارنة بأشخاص آخرين يعملون في ظروف مماثلة لهم سواء في نفس الشركة أو في شركات أخرى أو هؤلاء الذين يقومون بنفس الأعباء الوظيفية ويتساوون معهم في الخبرة ومستوى التعليم ومدة الخدمة بالشركة.

وبما أن عدالة التوزيع تتعلق بالنتائج أو المخرجات التي يحصل عليها الفرد من وظيفته فإن عدالة التوزيع تتضمن ما يلي: (Giap et. Al, 2005:6).

1. جانب مادي (هيكل التوزيعات): ويعبر عن حجم ومضمون ما يحصل عليه الفرد من مكافآت.

2. جانب اجتماعي: ويعبر عن المعاملة الشخصية للفرد الذي يحصل على المكافآت وذلك من قبل متخذي القرارات.

2/ عدالة الإجراءات:

ظهرت نظرية عدالة الإجراءات كامتداد لعدالة التوزيع التي فشلت في الإجابة على الأسئلة التي تظهر حول العدالة في الحالات التي يكون الاهتمام فيها بكيفية صنع القرارات الخاصة بالنواتج مثل كيفية الاختيار والتعيين والتخطيط للأجور والحوافز أو كيفية تقييم الأداء.

وتعرف عدالة الإجراءات بأنها:

* (درجة الشعور المتولدة لدى العاملين إزاء عدالة الإجراءات التنظيمية التي تستخدم في تحديد المخرجات التنظيمية) (فهداوي، وقطانة، 2004: 10).

* (تشير إلى السلوك والعمليات التي تستخدمها المنظمة لتنفيذ الوظائف المختلفة) (حامد، 2003: 10).

* (تعكس إحساس العاملين بعدالة الإجراءات التي تتبع في اتخاذ القرارات المتصلة بتوزيع النواتج) (العطوي، 2007: 150).

* (العدالة المدركة عن الإجراءات والسياسات المستخدمة في اتخاذ القرارات في مكان العمل) (Lee, 2000: 27).

وعليه يمكن القول بأن عدالة الإجراءات تمثل جميع الإجراءات المتعلقة بالعمل من حيث عدالة نصوصها وعدالة حيث تطبيقها مثل إجراءات الاختيار والتعيين والترقية والثواب والعقاب وغيرها من الإجراءات.

وحدد "Leventhal" في دراسته عام 1980م ست قواعد للعدالة الإجرائية يمكن أن تستخدمها المنظمات وهي: (حواس، 2003م: 49).

1. قاعدة الاستئناف: بمعنى وجود فرص لتبديل وتعديل القرارات إذا ما ظهر ما يبرر ذلك ويدعمه.

2. قاعدة الأخلاقية: أي أن توزيع المصادر يجب أن يتم وفقاً للمعايير الأخلاقية السائدة.
3. قاعدة التمثيل: يجب أن تستوعب عملية اتخاذ القرار وجهات نظر أصحاب العلاقة
4. قاعدة عدم الانحياز: يجب عدم تمكين المصلحة الشخصية من التأثير على مجريات عملية اتخاذ القرار.
5. قاعدة الدقة: يجب أن تتخذ القرارات بناءً على معلومات صحيحة وسليمة ودقيقة.
6. قاعدة الانسجام: يجب أن تتسجم وتتناغم إجراءات توزيع الجزاءات والمكافآت على جميع الأفراد في كل الأوقات.

ويلاحظ من طرح "Leventhal" لهذه القواعد أنها لا تتمتع بأثقال وأوزان متساوية في أغلب الأحوال، بل أن الأفراد ينزعون بصورة انتقائية إلى تفصيل قواعد معينة دون الأخرى وفقاً لمقتضيات الموقف (حواس، 2003: 50). وهناك من عرف عدالة الإجراءات في ضوء مجموعة من المكونات هي: (محارمة، 2000: 326).

1- ثبات الإجراءات.

2- دقة الإجراءات.

3- صحة الإجراءات.

4- واقعية الإجراءات.

5- عدم التحيز.

مما سيق يمكن استخلاص ما يلي:

1/ يركز مفهوم عدالة التوزيع على عدالة النواتج أو المخرجات التي يحصل عليها الموظف، بينما تركز الإجراءات على عدالة السياسات والإجراءات التي استخدمت في تحديد تلك المخرجات، وهذا يتفق مع رأي (Fryxell and Gordan, 1989) بأن عدالة الإجراءات ترتبط بكيفية صنع القرارات بينما ترتبط عدالة التوزيع بنتائج تلك القرارات.

2/ يوجد ارتباط وثيق بين عدالة التوزيع وعدالة الإجراءات، فلكي يشعر الموظف بعدالة التوزيع فلا بد وأن يشعر أولاً بأن التوزيع قد تم طبقاً لإجراءات عادلة وموثوق بها.

3/ عدالة التعاملات: وهي درجة إحساس العاملين بعدالة المعاملة (الإنسانية والتنظيمية) التي يحصلون عليها عند تطبيقهم للإجراءات (Robert, 2001: 312)، وعدالة التعاملات تشير إلى مدى إحساس الأفراد بعدالة المعاملة التي يحصلون عليها عندما تطبق عليهم الإجراءات (حامد، 2003: 10).

وتتضمن عدالة التعاملات جانبين هما: (حواس، 2003: 51).

1- معاملة الأفراد بواسطة الرؤساء.

2- تقديم شرح مناسب للقرارات إلى الأفراد الذين يتأثرون بها.

وبالرغم من تلك النظريات التي حددت أبعاد العدالة التنظيمية إلا أن مفهوم العدالة التنظيمية يعد من المفاهيم النسبية، بمعنى آخر أن الإجراء التنظيمي الذي ينظر إليه فرداً على أنه إجراء عادل قد يكون إجراءً متحيزاً أو غير موضوعي في نظر فرد آخر، ولذا فإن العدالة التنظيمية تتحدد في ضوء ما يدركه الفرد من نزاهة وموضوعية الإجراءات والمخرجات

وتشير كثير من الدراسات بأن عدم توفر أي بعد من أبعاد العدالة التنظيمية يمكن أن يمثل خطورة على المنظمات، وذلك على النحو التالي: (عواد، 2003: 22).

1. بالنسبة لبعد العدالة التوزيعية: فقد توصلت الدراسات إلى أن انخفاض مدركات العاملين لهذا البعد قد يسبب العديد من النتائج السلبية مثل، انخفاض كمية الأداء الوظيفي، وانخفاض جودة الأداء ونقص التعاون مع زملاء العمل، وضعف ممارسة سلوكيات المواطنة التنظيمية .

2. أما بالنسبة لبعد العدالة الإجرائية: فقد توصلت الدراسات إلى أن عمليات صناعة القرارات غير العادلة ترتبط بالعديد من التباينات التنظيمية السلبية مثل: انخفاض التقييم الكلي للمنظمة، ونقص الرضا الوظيفي، وانخفاض الانتماء الوظيفي.

3. أما بالنسبة لبعد عدالة التعاملات: فقد أشارت الدراسات أن عدم مراعاة الحساسية الشخصية (المكون الأول لعدالة التعاملات) يترتب عليه نشأة الصراعات التنظيمية، وزيادة الاتجاهات السلبية نحو المنظمة والعمل، كما أكدت التوزيعات غير المواتية يتم استقباليها بشكل أفض من جانب العاملين عند تقديم تفسيرات منطقية لها من قبل المنظمة (المكون الثاني لعدالة التعامل).

مما سبق يخلص الباحث بأن عدم توفر أي بعد من أبعاد العدالة التنظيمية يهزم آلية الحوكمة التي تهدف للسيطرة والتحكم في سلوك المورد البشري بما يحقق أهداف المنظمة، وعليه يتأكد بشكل أكبر أن العدالة التنظيمية بأبعادها تمثل مدخلاً وأساساً لحوكمة الموارد البشرية.

الخاتمة:

تشتمل على النتائج والتوصيات

أولاً النتائج:

1. العدالة التنظيمية تمثل مدخلاً رئيسياً في تطبيق حوكمة الموارد البشرية.
2. عدالة العائد تمثل مدخلاً رئيسياً في تطبيق حوكمة الموارد البشرية.
3. عدالة الإجراءات تمثل مدخلاً رئيسياً في تطبيق حوكمة الموارد البشرية.
4. عدالة المعاملات تمثل مدخلاً رئيسياً في تطبيق حوكمة الموارد البشرية.

ثانياً التوصيات:

1. على المؤسسات مراجعة أنظمتها الداخلية في العوائد المقدمة للمورد البشري بما يتناسب مع مجهوداته ومتطلباته الأساسية.
2. على المؤسسات مراعاة العدالة في إجراءاتها الداخلية مثل إجراءات الإختيار والتعيين، الترقية، النقل، تقييم الأداء، التدريب، المحاسبة.. الخ.
3. على المؤسسات مراعاة العدالة عند تطبيق الإجراءات والأنظمة الداخلية المختلفة.

قائمة المصادر والمراجع

1. احمد علي الصالح، "بناء محافظ رأس المال الفكري من الأنماط المعرفية ومدى ملاءمتها لحاكمة الشركات في القطاع الصناعي المختلط في بغداد"، اطروحة مقدمة إلى مجلس كلية الإدارة والاقتصاد بجامعة بغداد كجزء من متطلبات شهادة الدكتوراه فلسفة في إدارة الأعمال، 2006م .
2. أميرة محمد حواس، "أثر الالتزام الوظيفي والثقة التنظيمية علي العلاقة بين العدالة التنظيمية وسلوكيات المواطنة التنظيمية بالتدقيق علي البنوك التجارية"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، ج. م. ع، 2003م .
3. ثامر محمد محارمة، "مدى إحساس موظفي الدوائر الحكومية بالدونية في محافظتي الكرك والطفيلة بالعدالة التنظيمية : دراسة ميدانية"، مجلة الإدارة معهد الإدارة العامة، م 40، ع 2، 2000م .
4. حامد سعيد شعبان، "أثر علاقة الفرد وإدراكه للدعم التنظيمي كمتغيرين وسيطين علي العلاقة بين العدالة التنظيمية وسلوك المواطن التنظيمي"، مجلة المحاسبة والإدارة والتأمين، كلية التجارة جامعة القاهرة، م 42، ع 61، 2003م .
5. عادل محمد زايد، "الأداء التنظيمي المتميز : الطريقة إلي منظمة المستقبل"، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، القاهرة، 2013م .
6. عامر علي حسين العطوي، "أثر العدالة التنظيمية في الأداء السياقي" مجلة القادسية للعلوم الإدارية والاقتصادية، جامعة القادسية، العراق، م 9، ع 3، 2007م .
7. عمرو محمد أحمد عواد، "تحليل أبعاد العدالة التنظيمية"، مجلة البحوث الإدارية، أكاديمية السادات للعلوم الإدارية، ج. م. ع، م 21، ع 1، 2003م .
8. فهمي خليفة الفهداوي، القطاونة نشات أحمد، "تأثير العدالة التنظيمية في الولاء التنظيمي : دراسة ميدانية للدوائر المركزية في محافظات الجنوب الاردنية" المجلة العربية للإدارة، عمان، م 24، ع 2، 2004م .
9. محمد الصيرفي عبد الفتاح، "الإدارة الرائدة"، ط 1، دار صفاء للنشر، عمان، 2003
10. سلسلة نشرات مركز أبوظبي للحوكمة، "أساسيات الحوكمة : مصطلحات ومفاهيم"، الإمارات العربية المتحدة، أبوظبي .
11. Karriker J. H., Williiams M. L., "Organization Justice and Organization Citizenship Behavior: A mediated Multifocil Model", Journal of management 1992.
12. Lee H. R., "An Empirical Study of Organization Justice as a mediator of the Relationship: Among Leader-Member Exchange and Job Satisfaction Organization Commitment, and Turnover International in the Lodging Industry" Unpublished dissertation, Faculty of Virginia Polytechnic Institute and State University.
13. Nasurdin . A. M & Khuan. S. L., "Organization Justice as an Antecedent of Job Performance", Gadjah Mada International Journal of Businesses, Vol 9, No 3.
14. Giap B. N. Hackermeier, I. Jiao. X. & Wagdarikar. S. P. , "Organization Citizenship Behavior and Perception of Organization Justice in student jobs" research study, Ludwig-Management University, Munich 2005.
15. Tatum. B. C., & Eberlin. R. J., "The Relationship between Organization Justice and Conflict Style", Business Strategy Series, Vol 9, No 6, 2008.

عنوان البحث

**دور العنصر الزخرفي المفرد في تشكيل البلاطات الخزفية لواجهات المراقد
المقدسة في العراق: دراسة تحليلية شمولية**

حسام محمد تايه¹، أ. د. عمر محمد الحسن درمة¹

¹ جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا كلية الفنون الجميلة، السودان.

HNSJ, 2025, 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/15>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/68/15>

تاريخ النشر: 2025/08/01م

تاريخ القبول: 2025/07/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/07/07م

المستخلص

تُعالج هذه الدراسة تساؤلاً رئيساً حول مفهومي **الكلي والجزئي** في تصاميم الزخارف الإسلامية المنفذة على بلاط الواجهات الخزفية في المراقد المقدسة بالعراق، ومنها العتبات العلوية، الحسينية، العباسية، الكاظمية والعسكرية. يهدف البحث إلى تحليل بنية الزخارف الخطية، الهندسية، والنباتية (الزهرية، الكاسية، الغصنية)، من حيث هيئاتها التصميمية، وتقسيماتها المساحية، واستخدام الألوان والعناصر الزخرفية، وفق رؤية تحليلية مقارنة. اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وتم اختيار 26 عينة قصدية. أظهرت النتائج تنوعاً كبيراً في طرق التقسيم (تناظر، شعاعي، حر)، واستخداماً غنياً للزخارف النباتية والألوان لإضفاء الطابع الجمالي والتعبيري. كما بينت الدراسة قابلية العناصر المفردة على تشكيل تصميمات زخرفية كلية مرنة، تضم عناصر معمارية وحيوانية ضمن أنساق زخرفية دقيقة.

الكلمات المفتاحية: الجزئي، التصميم، الزخرفة، الواجهة، الهيئة التصميمية.

RESEARCH TITLE

The Role of the Single Decorative Element in Shaping Ceramic Tiles of Sacred Shrines' Facades in Iraq: A Comprehensive Analytical Study

Abstract

This study addresses a key question regarding the **concepts of "whole" (kulli) and "part" (juzzi)** in Islamic decorative designs applied to ceramic tile facades of sacred shrines in Iraq, including the Alawi, Husseini, Abbasid, Kadhimi, and Askari shrines. The research aims to analyze linear, geometric, and vegetal ornamentations (floral, leafy, and branch-like) in terms of their compositional structures, spatial divisions, color schemes, and decorative elements. Using a descriptive-analytical approach, 26 purposive samples were selected. Findings reveal a variety of compositional strategies (symmetrical, radial, free-form) and rich use of vegetal motifs and colors to enhance visual and symbolic impact. The study highlights how single decorative elements can construct cohesive and flexible overall designs, incorporating architectural and animal forms within intricate ornamental systems.

Key Words: Partial, Design, Ornamentation, Facade, Compositional Structure.

1. مقدمة:

تُعرف التربة بأنها نظام مفتوح، مسامي، غير متجانس ومتغير، يشغل الجزء السطحي من القشرة الأرضية التي تغطي معظم سطح اليابسة. وقد تشكلت التربة على مدى ملايين السنين، وتضم مزيجاً من المواد العضوية والمعدنية، بالإضافة إلى بعض العناصر الدخيلة التي قد تكون نافعة أو ضارة. وتُعدّ التربة ركيزة أساسية للحياة البشرية، إذ تمثل قاعدةً للإنتاج الزراعي، ومصدراً لغذاء الإنسان وكسائه وأسباب بقائه. (Brady & Weil, 2016)

أدى تزايد أعداد السكان في المدن إلى توسع عمراني كبير طال العديد من الأراضي الصالحة للزراعة، خاصة في ضواحي التجمعات الحضرية، حيث تم هذا التوسع في كثير من الحالات بشكل غير منظم نتيجة غياب التخطيط الحضري الرشيد. وقد ساهمت الهجرة القروية في مقاومة هذا التوسع، إذ إن ارتفاع عدد السكان يؤدي بالضرورة إلى زيادة الطلب على الأراضي لأغراض السكن والخدمات الأساسية.

كذلك تلعب وسائل النقل دوراً مهماً في تسريع الزحف العمراني على حساب الأراضي الزراعية، من خلال شق الطرق وبناء المنشآت والأنشطة التجارية على جوانبها. كما ساهم غياب التخطيط الحضري المتكامل، إلى جانب بعض العوامل السلوكية كالرغبة في التملك الفردي بالضواحي، في تفتت المجال الزراعي وتحويله إلى كتل عمرانية متناثرة (Schäffler & Swilling, 2013; NELGA, 2025).

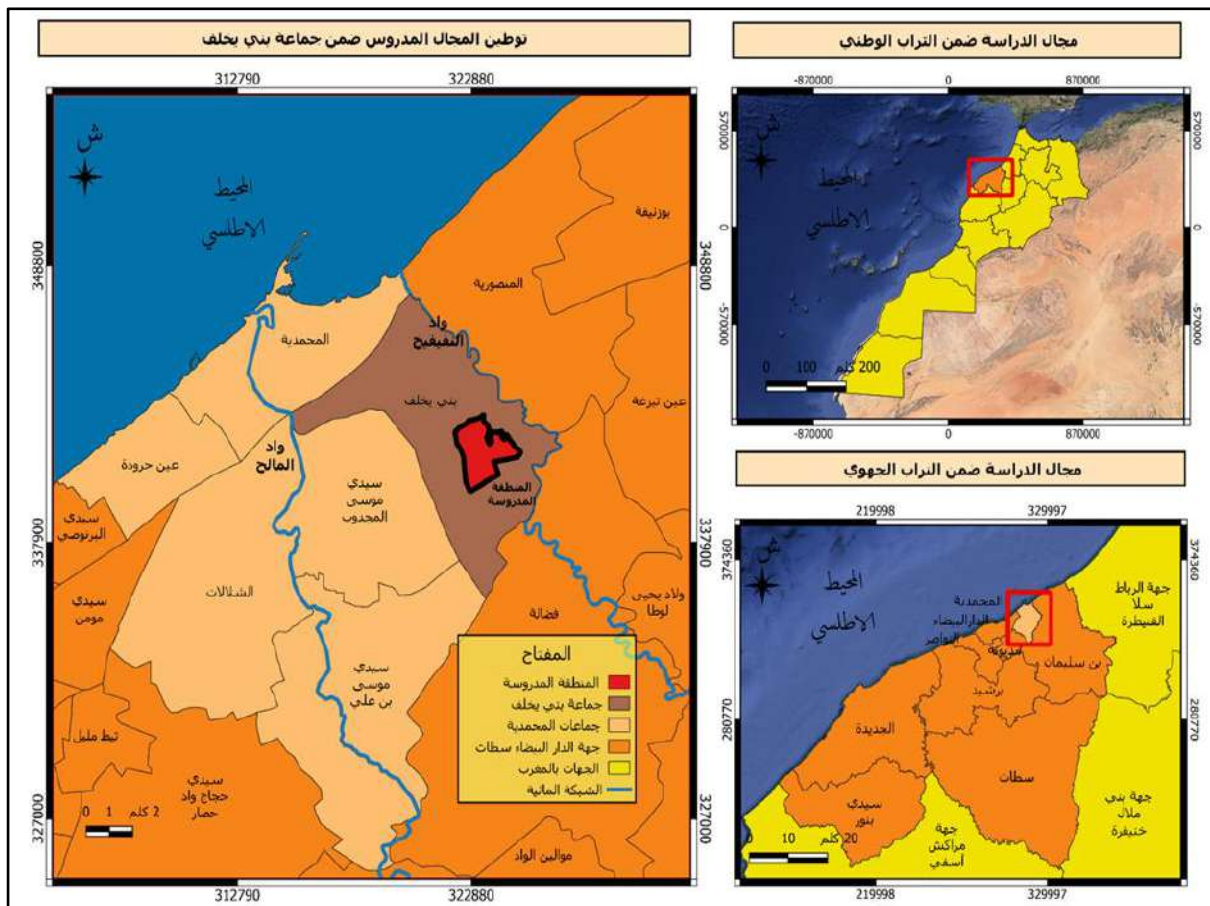
2. المجال الدراسة

تحتل جماعة بني يخلف مكانة هامة على مستوى عمالة المحمدية، وذلك لما تتوفر عليه من معطيات يمكن أن تجعل منها قطبا اقتصاديا مهما إذا تضافرت الجهود، نظرا لموقعها الجيوستراتيجي الهام بين كبريات التجمعات الاقتصادية والعمرانية للمملكة.

وتمتد الجماعة على مساحة إجمالية تبلغ حوالي 66 كلم² أي ما يقارب 6600 هكتار ويبلغ عدد سكانها 48338 نسمة. يحد جماعة بني يخلف من الشمال جماعة المنصورية، ومن الجنوب جماعة سيدي موسى الجنوب وجماعة الشلالات، شرقا جماعة فضالات غربا جماعة المحمدية ولا يفصلها عن هذه الأخيرة إلا الطريق السيار.

وقد ارتبط ظهور ونمو مركز بني يخلف بتداخل عدة عوامل جعلت منه مجالا لتوسع عمراني مهم، من أهمها توفر المنطقة على معطيات اقتصادية مهمة، إضافة إلى سهولة المواصلات. كما أن تواجدها في المحور الاقتصادي المتروبولي الرابط بين القنيطرة و الجديدة ساهم في تنمية اقتصاد المنطقة وجعلها مركز جذب من مختلف المراكز الحضرية و القروية، و كان يسمى مركز بني يخلف في الماضي باسم " اللويزية " نسبة إلى يهودية تدعى " لويظة "، كما عرفت أيضا بسان دي فضالة عندما أنشأت سلطات الحماية قرية استعمارية و لما استقل المغرب أطلق اسم اللويزية على المركز ثم قرر المسؤولون في أواخر السبعينيات من القرن العشرين تغيير هذا الاسم ليصبح بني يخلف.

خريطة رقم (1): توطين مجال الدراسة



كانت الجماعة تابعة إداريا لعمالة الدار البيضاء، وبعد إحداث إقليم بن سليمان سنة 1977، انضمت جماعة بني يخلف إلى النفوذ الترابي لهذا الأخير، إلا أنه إثر التقسيم الجماعي الذي عرفه المغرب، تفرعت عن جماعة بني يخلف (الجماعة الأصلية) جماعة أخرى هي جماعة المنصورية، هذه الأخيرة ظفرت برصيد عقاري وغابوي وسياحي هام أثر سلبا على مداخل الجماعة الأم، وألحقت جماعة بني يخلف إداريا بعمالة المحمدية لسنة 2003.

3. نتائج ومناقشة:

3-1 طوبوغرافية جماعة بني يخلف

تنتمي جماعة بني يخلف من حيث التضاريس إلى هضبة ابن سليمان، ويحدها غربا الميسيطا الساحلية لمنطقة المحمدية، ومن الشمال هضبة بوزنيقة، وجنوبا سهل الشاوية. من خلال النظرة الأولى للخريطة الطبوغرافية للمحمدية، تظهر المنطقة وكأنها تتميز بنوع من الانبساط، لكن عند التحليل نلاحظ وجود اختلافات مهمة بين المناطق، ففي الجنوب الشرقي تسجل أعلى الارتفاعات، بينما كلما اتجهنا نحو الشمال الغربي تنخفض الارتفاعات. يغلب على المنطقة الطابع الهضبي الذي يمثل 90% من المجال المدروس، مع تموج واضح على السطح يتخذ اتجاها موازيا للساحل، هذه التموجات يفسرها وجود أشطرة من الحث المتصلب، تمتد على مسافة 20 كلم نحو الداخل، وتتميز بقمم منبسطة تفصل بينها مجالات منخفضة طولية تشغلها أحيانا ضايات.

3-2 الخصائص المناخية للمجال المدروس

تشير معطيات التساقطات المطرية خلال السنوات الإحدى والعشرين الأخيرة إلى أن المعدل السنوي للتساقطات يبلغ حوالي 400 ملم. وتُظهر هذه الكمية تفاوتاً ملحوظاً من سنة إلى أخرى، إذ سُجل خلال سنة 2010 ما مجموعه

690.3 ملم، مقابل 124.9 ملم فقط خلال سنة 2020، ما يعكس حدة التباين السنوي في حجم التساقطات.

كما تعرف التساقطات تفاوتاً موسمياً واضحاً، إذ تتركز غالبية الأمطار في أشهر فصل الشتاء، بينما تكاد تنعدم في فصل الصيف. ففي شهر دجنبر، على سبيل المثال، تُسجل حوالي 38.5 ملم، في حين لا تتجاوز 3 ملم خلال أشهر الصيف، كما هو مبين في (المبيان رقم 2).

وتشهد المنطقة أيضاً تغيرات بيسنوية لافتة في كميات الأمطار، بحيث تتعاقب سنوات مطيرة مع أخرى شبه جافة. فقد سُجلت خلال سنة 1996 تساقطات هامة بلغت 831.8 ملم، في مقابل 121.7 ملم فقط سنة 1998، مما يؤكد الطابع المتذبذب للمناخ المحلي (السلوي، 1997).

3-3 البنية الجيولوجية:

يضم المغرب عموماً على مستوى التشكيلة الجيولوجية بروزات صخرية قديمة مرتبطة بالدرع الإفريقي، والتي تظهر بشكل واضح في الأطلس الكبير والصغير. كما يضم أيضاً تشكيلة جيولوجية تعود للزمن الثاني تنتشر في الأطلس المتوسط، ونجد أيضاً أشكالاً تعود للزمن الثالث بالشمال وهي الوحدة الألبية لجبال الريف، أما بالنسبة للمجال المدروس فهو ينتمي إلى المسيطا الساحلية وهي وحدة شاسعة تتميز أساساً بعودة بروز القاعدة القديمة، تقع المسيطا الساحلية بين الهضبة الوسطى والمحيط الأطلسي، وهي عبارة عن مجموعة من الهضاب السفلى المنحدرة في اتجاه الساحل الأطلسي، وتمتد من منطقة الصويرة في الجنوب الغربي إلى منطقة واد الشراط في الشمال الغربي، توجد منطقة المحمدية بين هذه المجموعة من الهضاب حيث يعبرها واد المالح وواد النفيفيخ، وتحدها منطقة ابن سليمان وبوزنيقة في الشرق والشمال الشرقي، والمحيط الأطلسي من الشمال الغربي إلى الجنوب الغربي، ومنطقة الدار البيضاء والشاوية السفلى من الجنوب الغربي إلى الجنوب الشرقي، التنوع الطبوغرافي لمنطقة المحمدية يتميز بتغير معالم السطح من الانبساط إلى التموج (ظهور كتبان متصلة ممتدة من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي) وبانحدار عام في اتجاه البحر، هذا التنوع الطبوغرافي يقابله تنوع بنيوي حيث يتكون الأساس الجيولوجي من تعاقب مقعرات متهللة تحمل رواسب متفاوتة السمك، ومحدبات تبرز فيها القاعدة أو تغطيها تكوينات حديثة. تنتمي هذه المنطقة من الناحية البنيوية إلى المحذب المركب الدار البيضاء الممتد من منطقة الدار البيضاء إلى منطقة واد الشراط، ويتكون هذا المحذب من صخور أولية تأثرت بالحركات الهرسينية التي وجهت معالم الترسيب في العصور الجيولوجية اللاحقة.

تعددت الأبحاث حول المسيطا الساحلية ومن بينها (Destombes- jeannette G. Beaydet 1966 ; H. Ghanem 1981 ; 1980)، بالإضافة إلى كل من (نافع رشيدة 1987، عبد الرحمان العثماني 1988)، التي تشكل المراجع الموجهة للدراسات المرتبطة بالبنية والتضاريس والتطورات الجيومورفولوجية والمورفوترايبية والمشاكل التي يطرحها المجال.

هذه الدراسات ربطت ظهور مسطحة بنسليمان المورفوبنيوية داخل القاعدة الكامبو - اوردوفيسية بالحركات البنائية للإنتهاضات الهرسينية التي شكلت بنية التوائية مشوهة بشبكة من الانكسارات المعقدة، والتي منححت السطح - زمن البيئات السحيقة - تضرراً شديداً تحكم بشكل أو بآخر في الآليات التطورية اللاحقة، حيث ساهمت عمليات الرفع التكتونية وما رافقها من تشوهات موازية، في غياب أو ضعف الإرسابات الغمرية الثنائية والثلاثية من جهة، وفي تنشيط التعرية الجيولوجية التي عملت على تعديل تلك الأشكال المورفوبنيوية، انتهت بتسطيح شبه الكلي للمجال من جهة أخرى، والتي لم تسلم منها إلا شذرات من بقايا طيات من الصخور الكوارتزيتية الصلبة، والبارزة حالياً في شكل قمم شاهدة. هذه القاعدة

القديمة تتطبع فوقها أشكال هيدروغرافية مغلقة ورتيبة تجسدها من جهة، كثرة الضايات المولدة لسلوك الاحتقان والميهية وتركز أكاسيد الحديد، ومن جهة أخرى بوجود بعض المجاري المائية الخائفة ضعيفة المدى، التي تخترق مواد النشر الفيلافرنشية والمواد الفتاتية المحركة محليا وبسبك ضعيف وتتافري مع القاعدة الأولية.

هذا المجال البنيوي يتهدل في اتجاه الجنوب الغربي عند إلتقائه بالهوامش الشمالية للكرابن القديم برشيد-الكاره، وهو ما سمح بتوغل أغمار بحرية ضحلة، خلفت طبقات رسوبية بسيطة من الطين الأحمر والبازلت الترياسي الهش، تعلوهما طبقة كلسية بليوسينية (G. Beaudet (1969) la dalle calcaire.

3-4 الخصائص الترابية

تُعدّ التربة جسماً طبيعياً هشاً ثلاثي الأبعاد، يمتلك مساحة وسمكاً، ويغطي بطبقة رقيقة السطح العلوي للقشرة الأرضية. وتمثل وسطاً مركباً يتكون من عناصر معدنية، وأخرى عضوية، بالإضافة إلى المحاليل. وتنشط داخل هذا الوسط الديناميات البيوجينية، كالتفسخ، والتحلل، والنشاط الإحيائي.

تتشكل المادة المعدنية نتيجة لتفكك الصخرة الأم تحت تأثير العوامل المناخية والأحياء الدقيقة، بينما تنتج المادة العضوية عن تحلل بقايا الكائنات الحية النباتية والحيوانية، حيث يؤدي ذبولها وتفككها إلى تكوين الدبال (humus) ويسفر تفاعل العناصر المعدنية والعضوية عن إنتاج مركبات معقدة تُعرف بالمركبات المعدنية-العضوية، التي تشكل أساس البنية الترابية.

وتتخلل التربة دينامية محاليل المياه، التي تساهم في إعادة توزيع العناصر الكيميائية عبر عمليات التحريك العمودي والأفقي، مما يؤدي إلى تنظيم هذه العناصر ضمن بنية أفقية دقيقة تُعرف بالمسكات أو الآفاق الترابية.

(رشيدة نافع، محمد أزار، عبد الرحيم وطفة، 2019)

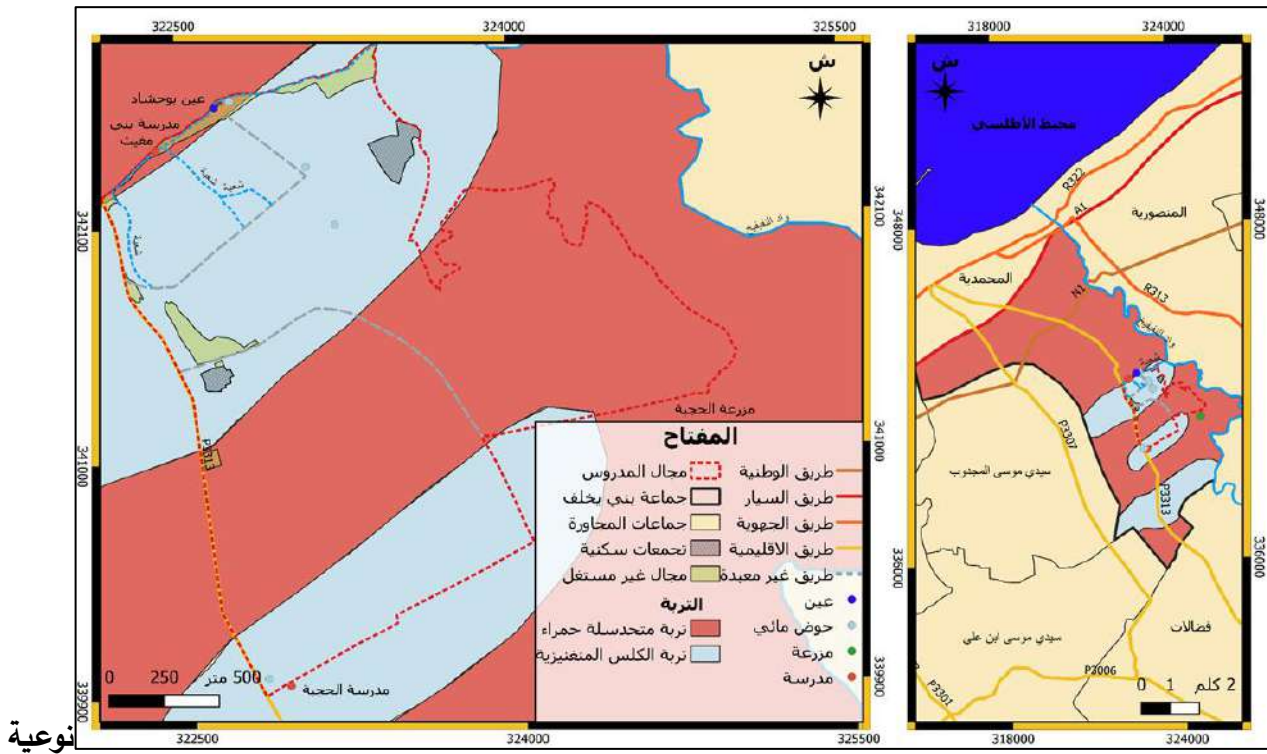
أكسبت دينامية التشكيل والتترب، خلال الفترة الباليوربائية وما واكلها من تذبذبات مناخية، تنوعا ترابيا كبيرا (المختار الأكل 2001)، وهي كالتالي :

تربة متحسلة حمراء التي يقصد بها التربة الحمراء السفحية المتواجدة في مختلف الفسحات التي تغطي سفوح الطين الترياسي، وهي تتميز بغناها بالحديد الي يمنحها الاحمرار، وهي ذات حموضة قليلة بالسطح، كما ترتفع بها نسبة المادة العضوية.

تربة ضعيفة التطور وهي تربة ذات تطور ضعيف، مسكاتها غير واضحة، توجد فوق السفوح والقمم المعرضة للتعرية، كما تتواجد فوق التوضعات الريحية والنهرية والسفحيات المنتمية للرباعي الحديث، تمثل تربة حديثة وأحيانا متجددة، لا تسمح ظروفها الطبغرافية أو المناخية بتطورها بصفة مستمرة ومتوازنة، هذا ما يجعل قطاعها ذات سمك ضعيف.

التربة المتحسلة الصفراء هي في الأصل تربة متحسلة حمراء، لكنها ونتيجة الغمر المائي تعرضت لتأكسد جزيئات الحديد بها، مما أدى إلى فقدانها للونها الأحمر. في ضوء ما سبق، يتبين أن مختلف السحنات والسفحيات الهشة المميزة لمنطقة بني خلف، تغطيها أصناف ترابية مهمة ومتنوعة، كالتربة المتحسلة الحمراء والصفراء والتربة الميهية والتربة ضعيفة التطور، هذه الغطاءات الترابية الواقية، من شأنها إضفاء نوع من الاستقرار القاعدي للتكونات الجيولوجية، إلا أن دورها قد يتراجع في حالة عدم استحضار خصوصياتها أثناء عملية الاستغلال الفلاحي.

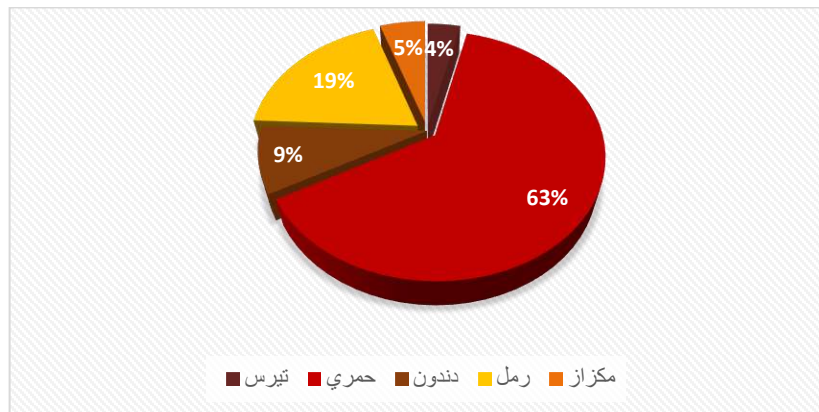
خريطة رقم (2) أنواع التربة بمنطقة الحجة جماعة بني يخلف



التربة بالحجة حسب الفلاح

اعتمادا على العمل الميداني الذي قمنا به سنقوم باستخراج أنواع التربة بمنطقة الحجة، وذلك استنادا على رأي الفلاح بهذا الخصوص، الشيء الذي يمكننا من إنتاج خريطة لتوزيع الأتربة (الشكل 9)

مبيان رقم 1: رسم بياني يمثل نسبة الأراضي حسب نوع التربة



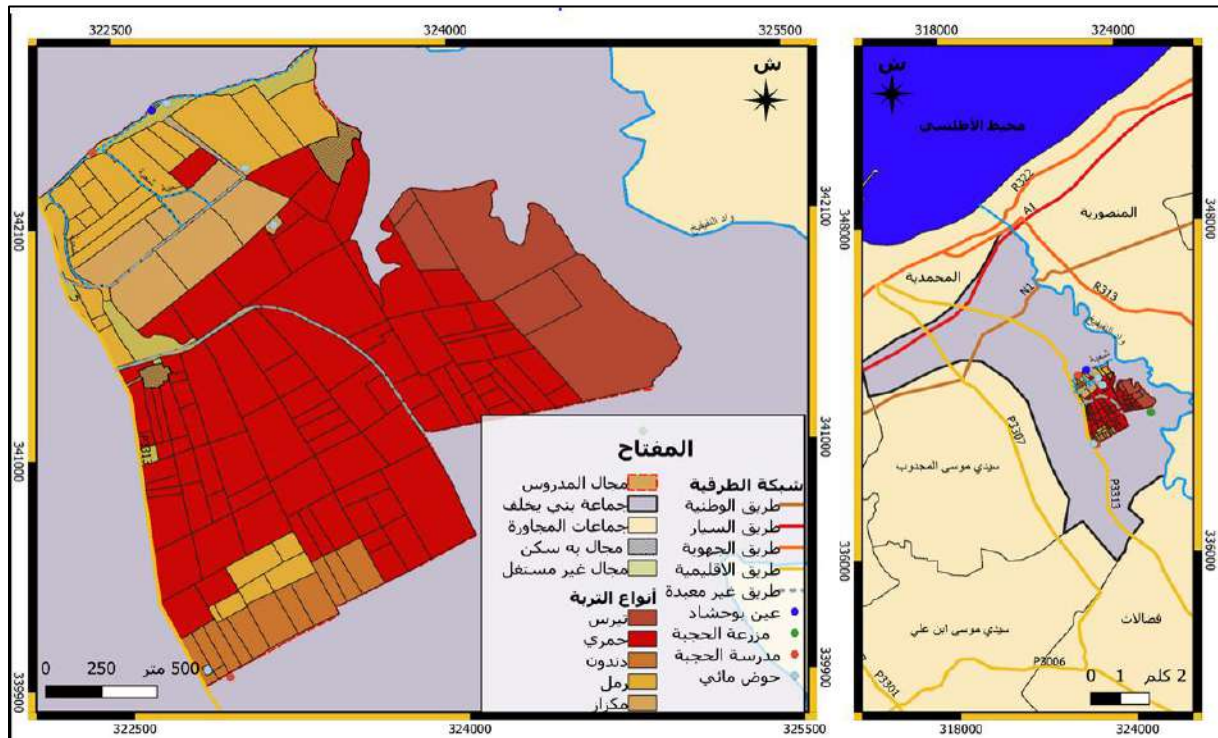
عمل ميداني أبريل 2023

من خلال خريطة توزيع أنواع التربة (الشكل 3)، وحسب تحليلنا للمبيان رقم 1، يتضح لنا أن منطقة الحجة تتميز بتنوع في التركيبة الترابية، حيث أنها تتوفر على خمسة

أنواع من الأتربة :

✓ تربة الدندون: تتركز في أغلب مناطق جنوب الغربي للمجال المدرس، وتهيمن على نسبة 9% من نسبة الأراضي الزراعية، يتميز بلون بني فاتح .

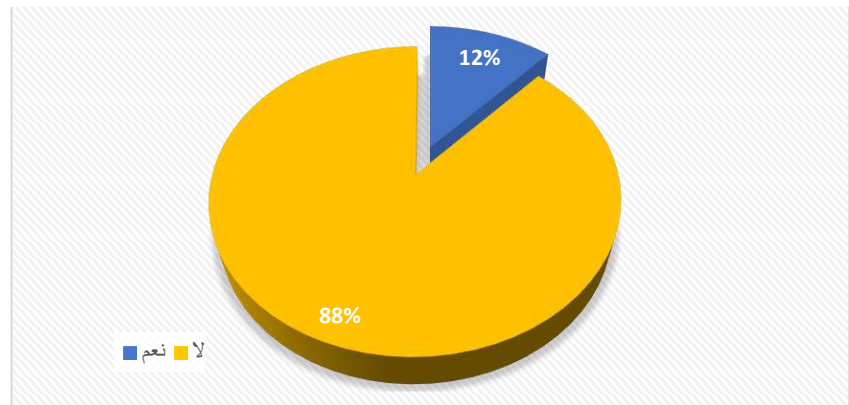
- ✓ تربة الحمري: التي تتواجد بكل من الجنوب والوسط تمثل أكبر حصة بمعدل 63% من نسبة الأراضي الزراعية بالمجال المدروس.
 - ✓ تربة التيرس: تتركز بجنوب الشرقي للمجال المدروس وخصوصا بجنابات واد النفيفيخ، وتغطي ما نسبته 4% من مساحة الأراضي الزراعية.
 - ✓ تربة المكزاز: تغطي حوالي 5% من مجموع الأراضي الزراعية بالمنطقة، وتتواجد بالشمال الغربي للمجال المدروس.
 - ✓ تربة الرمل: يمثل هذا النوع من التربة 19% من مجموع الأتربة يتواجد بأقصى الشمال وجنوب الغربي.
- خريطة رقم (3) أنواع التربة بمنطقة الحجة حسب رأي الفلاحين ✓



وضعية الموارد المائية

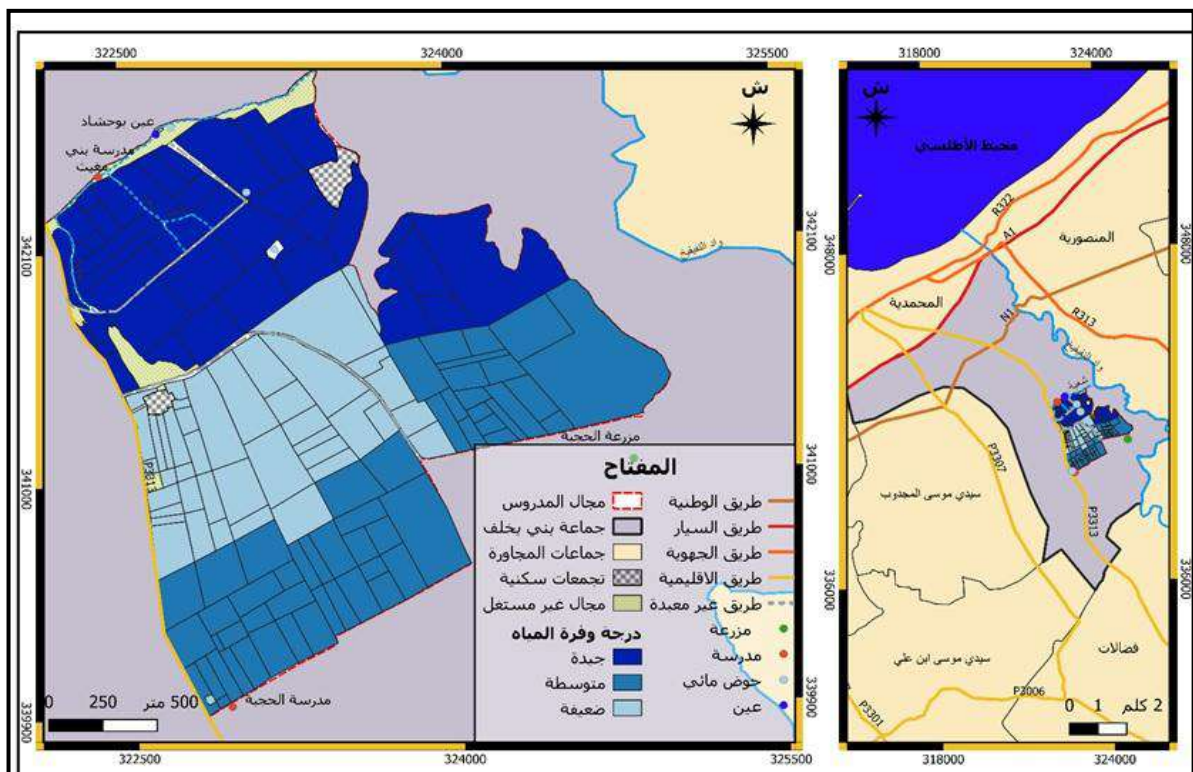
تعرف منطقة الحجة عموماً وضعا ضعيفا إلى متوسط فيما يخص توفر الموارد المائية، نظرا لتذبذب حجم الواردات السنوية من سنة لأخرى ذلك لتوالي سنوات الجفاف، توجد في مجال الدراسة عين بوحشاد التي تعتبر من أهم روافد واد النفيفيخ، الذي يتميز بجريان موسمي، يجري انطلاقا من الجنوب الغربي في اتجاه الشمال الشرقي، وتختلف الوضعية المائية لكل مشارة عن أخرى، كما يتضح في (الشكل رقم 11)، وذلك راجع لعدة عوامل؛ منها ما هو طبيعي مثل: عمق الفرشة المائية الباطنية، القرب أو البعد من مجرى الواد، وما هو مادي المتمثل أساسا في القدرة على إنشاء بئر أو خزان للمياه، ذلك ما يفسر ضعف توفر كل فلاح على بئر الخاص.

مبيان رقم 2 رسم بياني يمثل نسبة التوفر على الآبار بمنطقة الحجة



عمل ميداني أبريل 2023

خريطة رقم (4) أنواع التربة بمنطقة الحجة حسب رأي الفلاحين



يبين (المبيان رقم 2) ما وضعناه سابقاً، في انعدام القدرة عند أغلب الفلاحين على امتلاك بئر لسقي وتطوير نشاطهم الزراعي والرفع من مردوديته، حيث يمثل من يمتلك بئراً إلا 12% من إجمالي عدد الفلاحين بالمنطقة، كما أن أغلب آبار المنطقة تتوفر على مياه مالحة (شلوقي)، يتراوح عمق هذه الآبار ما بين 50 و 90 متراً، يرجع تاريخ حفر أغلبها إلى فترة الحماية الفرنسية، ويستعمل أغلب الفلاحين في استخراج المياه باعتماد على غار البوتان نظراً لكلفته المنخفضة نسبياً.

1. استعمالات التربة بمنطقة الحجة

من خلال هذا المحور سوف نقوم بعرض وتحليل نتائج بحثنا الميداني، عبر التركيز على استعمالات الإنسان لهذه الثروة الطبيعية المتمثلة في التربة، وخصوصاً الاستعمالات الزراعية، حيث أن المنطقة تتوفر على طبع جغرافية شبه منبسطة، وفرشة مائية لا بأس بها تساعد في توفير المتطلبات الأساسية للأنشطة الفلاحية، في هذا الصدد سنتطرق لدراسة أنواع المزروعات وطرق السقي إضافة إلى الأساليب المستعملة لتحسين الإنتاج، وأسباب تراجع المساحات الزراعية بمنطقة الحجة.

1.1. الزراعة بالحجة

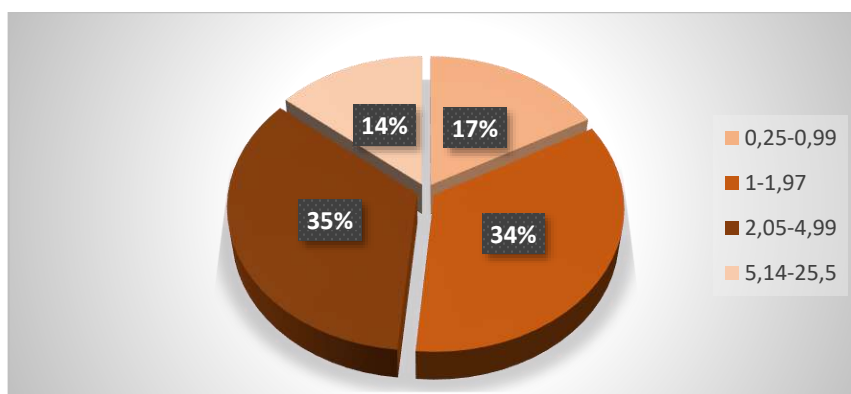
تعد الزراعة أحد النشاطات الاقتصادية الرئيسية التي تسهم في الاقتصاد الوطني، حيث عرفت تطوراً مستمراً عبر التاريخ، من حيث الأدوات المستعملة في الحرث والحصاد، ومن حيث نوع المزروعات، كذلك من حيث الطرق والأساليب المستعملة، إضافة إلى أنها تعتبر أهم الأنشطة الاقتصادية، باعتبارها توفر فرص الشغل، والمساهمة في الرفع الناتج الإجمالي الخام للدول، إلا أنها تكتسي أهمية أكبر من ذلك فيما يخص توفير الأمن الغذائي للسكان.

نظراً لتوفر المنطقة على ظروف ملائمة، فقد توطنت فيها الزراعة منذ القدم، ومن خلال دراستنا للميداني قمنا بجمع عدد من العناصر المهمة في النشاط الزراعي وذلك خلال موسمي سنة 2022 و2023، من قبيل مساحة المشاركات الزراعية، ونوع وصنف المزروعات التي تتميز بها منطقة الحجة.

1.1.2. حجم المشاركات الزراعية بالحجة

بناء على العمل الميدان المنجز، واعتماداً على المعالجة ببرنامج نظم المعلومات الجغرافية (QGIS)، تم إنتاج خريطة تمثل حجم المشاركات الزراعية بالهكتار لمنطقة الحجة، الممثلة في (الشكل رقم 13)، ولتسهيل قراءة هذه الخريطة يمكننا الاستعانة بـ (المبيان 3)، فبعد قراءتنا لهذه الخريطة نلاحظ هيمنة الفئة الأولى ذات اللون البرتقالي الداكن الذي يمثل المشاركات ذات مساحة ما بين 2.05 و4.99 هكتار الذي يغطي 47 مشاركة زراعية، حيث أنها تمثل ما يعادل 35% من المجموع العام للمشاركات، وهي تتوزع على كامل المجال المدروس مع شبه تركيز بالشمال، تأتي الفئة الثانية التي تمثل المشاركات ذات مساحة تتراوح ما بين 1 و 1.97 هكتار لتغطي ما نسبته 34% من عدد المشاركات أي ما يعادل 46 مشاركة، تتركز بالأساس في كل من الشمال الشرقي والجنوب الغربي قليل منها بالوسط، في حين أن الفئة الثالثة التي تمثل المشاركات ذات مساحة ما بين 0.25 و0.99 هكتار، تعادل 17% من حجم المشاركات الزراعية بمنطقة الحجة، أي ما يساوي 23 مشاركة، تتركز أساساً في مناطق الشمال الغربي والجنوب الشرقي في الأخير الفئة الرابعة التي تمثل المشاركات ذات مساحة ما بين 5.14 و25.5 هكتار، تعادل 14% من حجم المشاركات الزراعية، أي ما يساوي 19 مشاركة، تتركز أساساً في مناطق الشمال الغربي والجنوب الشرقي.

مبيان رقم 3: رسم بياني يمثل نسبة توزيع المشاركات حسب المساحة بالهكتار



المصدر: عمل ميداني أبريل 2023

. الإنتاج الزراعي حسب الموسم (2021 - 2022)

تم الاعتماد على الفلاح لمعرفة صنف ونوع المزروعات التي كانت تشغل المشاركة الزراعية المستغلة خلال الموسم الفلاحي 2022، وبناء عليه تم إنتاج كل من خريطة (الشكل رقم 14) التي تمثل خريطة توزيع أصناف المزروعات التي

تتواجد بمنطقة الحجة، و(الشكل رقم 15)، التي تمثل خريطة أنواع المزروعات لنفس الموسم، بعد دراستنا للخريطين يتبين أن لدينا أربعة أصناف يمكن تفصيلها في الآتي:

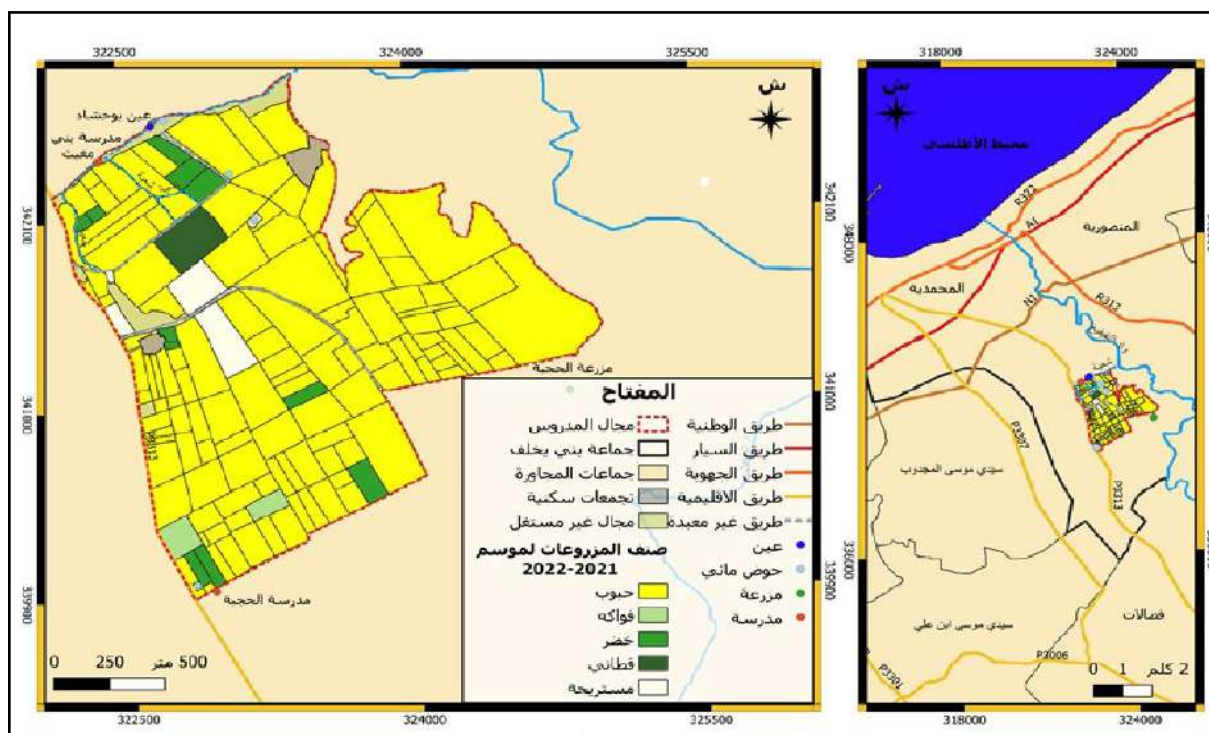
صنف الحبوب: يطغى على الأصناف الأخرى حيث يمثل ما يقارب 90% من مجموع الأراضي المستغلة زراعيًا خلال موسم 2022، كما أنها تتركز بجل المجال المدروس، يغلب على الحبوب نوع الشعير وهو يمثل ما يزيد عن 45% من الأراضي التي يشملها صنف الحبوب، في حين يأتي الخرطال بنسبة 30% ثم ترتيكا بنسبة 13% والفريئة بنسبة 9% وفي الأخير الذرة بنسبة 0.8%.

صنف الخضر: يأتي في المرتبة الثانية وهي تمثل ما يقارب 8% من مجموع الأراضي الزراعية، تتوطن بمناطق الشمال الغربي والجنوب الغربي، حيث تعرف ثلاث أنواع، وتشمل هذه الأنواع (السلوي بدرجة أولى، ومن ثم الطماطم، وأخيرا البطاطس).

صنف الفواكه: يأتي في المرتبة الثالثة بنسبة 1.5% من المساحة الإجمالية المستغلة برسم الموسم نفسه، تتواجد بالجنوب الغربي، وتشمل هذه الفواكه نوع واحد فقط هو العنب.

صنف القطاني: ويأتي هذا الصنف في المرتبة الأخيرة بنسبة 0.5% من مجموع الأراضي الزراعية المستغلة، يتركز بالشمال، ويتشكل من نوع واحد فقد (الفول).

خريطة رقم (5) أنواع التربة بمنطقة الحجة حسب رأي الفلاحين



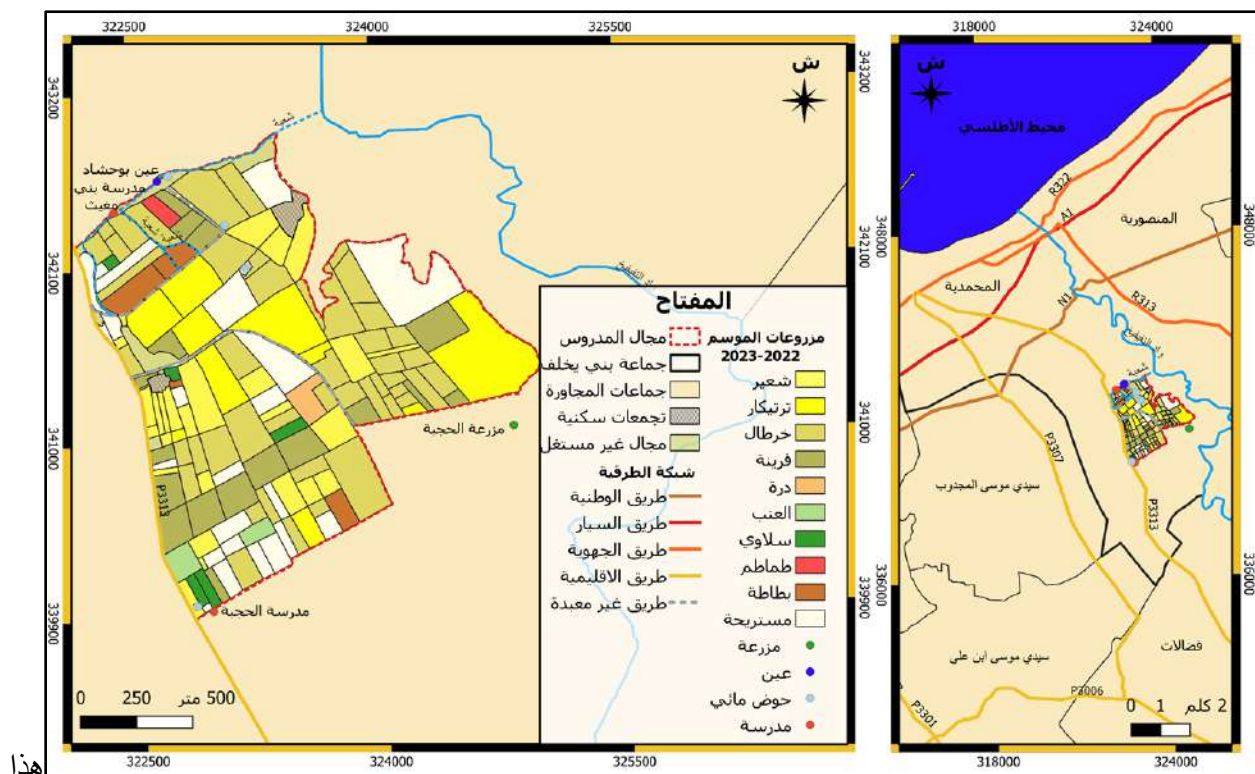
(الشكل رقم 17) تمثل أنواع المزروعات بالموسم الحالي 2023، ومن خلال دراستنا للخريطين سنقسم أصناف المزروعات حسب كل صنف على حدة فيما يلي:

صنف الحبوب: تتركز بجل المناطق المجال المدروس، يستحوذ على ما يقارب 75% من مجموع الأراضي الزراعية المستغلة، ويشمل نوع الخرطال لوحده نسبة 46% (صورة رقم 1)، ثم يأتي الشعير ثانياً بنسبة تقارب 26% من المساحة المخصصة للحبوب، فيما مساحة المخصصة للفرينة تأتي بنسبة 15% من المساحة الإجمالية المخصصة للحبوب وثم الترتيكار بنسبة 10% وفي الأخير تأتي الذرة بنسبة ضعيفة 1%.

صنف الخضر: والتي تغطي 7% من مجموع الأراضي الزراعية بالمنطقة، يتواجد أغلبها بالشمال الغربي والجنوب الغربي، تتميز هذه الخضر بثلاثة أنواع حيث تشمل كل من، السلاوي (صورة رقم 2)، ثم البطاطس (صورة رقم 3)، بالإضافة إلى طماطم (صورة رقم 4).

صنف الفواكه: تعتبر الفواكه من أقل الأصناف الزراعية انتشاراً بمنطقة الحجة، حيث أنها تغطي إلا أقل من 1% من المساحة المستغلة زراعياً، وتتفرد خلال هذا الموسم بنوع العنب فقط بالشمال الغربي من مجال الدراسة. (صورة رقم 5)

خريطة رقم 6: أنواع التربة بمنطقة الحجة حسب رأي الفلاحين



وتستحوذ الأراضي الزراعية المستريحة على ما نسبته 17% من مجموع الأراضي الزراعية بمنطقة الحجة خلال موسم 2023، حيث أنها تترك فارغة بغرض إراحتها، والتي غالباً ما تستخدم لرعي الماشية. (صورة رقم 6)

2.2. وسائل وآليات تحسين الإنتاج

عرفت وسائل وآليات وطرق الزراعة تقدماً مهماً ولا تزال في تطور مستمر، خصوصاً مع التقدم التكنولوجي الذي يعرفه العالم اليوم، التي يكون الهدف منها تحسين ورفع من المردودية الإنتاجية لتلبية حاجيات البشرية والحيوانية، لكن بالرغم من ذلك يبقى السقي والتسميد وطرق اقتناء البذور من أهم الوسائل المستعملة لتحسين الإنتاجية الفلاحية بمنطقة الحجة.

1.2.2. طرق السقي

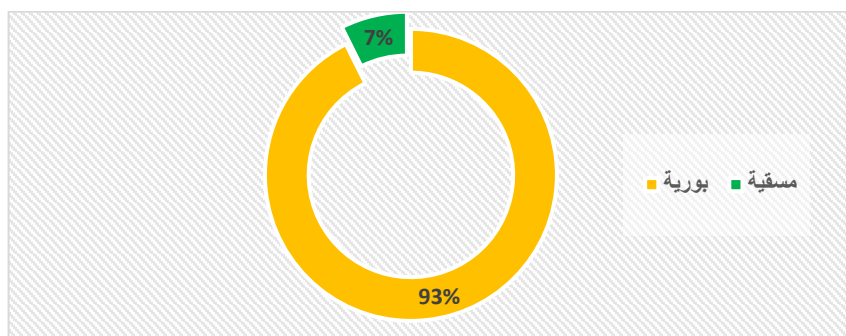
يبقى سقي المحاصيل الزراعية من أقدم الوسائل المستعملة لتحسين المردودية والرفع من الإنتاج، خاصة خلال الفترة الاستعمارية، وذلك لملائمة الظروف العامة السائدة بمنطقة وعندما تتأخر التساقطات المطرية، التي تستلزم التدخل عن طريق السقي لسد الحاجيات من الماء، كما يبقى استعمال هذه التقنية رهين بعدة عوامل منها توفر الموارد المائية، والإمكانيات المادية التي من دونها لا يكون باستطاعة الفلاح اقتناء التجهيزات اللازمة لتوفير أفضل الآليات المستعملة في السقي.

من خلال عملنا الميداني بمنطقة الحجة، يتضح لنا أن ما يعادل 97% من مجموع الفلاحين لا يتوفرون على البئر الذي يوفر لهم المورد المائي، كما أن النسبة التي تتوفر على هذه المنشأة المهمة في النشاط الفلاحي، تمتلك تجهيزات الحديثة المعتمدة في السقي وتوفير الماء، من بين هذه الطرق استعمال السقي بالتنقيط (الصورة رقم 8) وهي من الطرق العقلنة لتوفير المخزون المائي في ظل ندرة التساقطات والجفاف بالمنطقة. حيث تبقى نسبة قليلة من الفلاحين تعتمد على تقنية السقي بالتنقيط. مرد ذلك إلى كلفته المرتفعة.



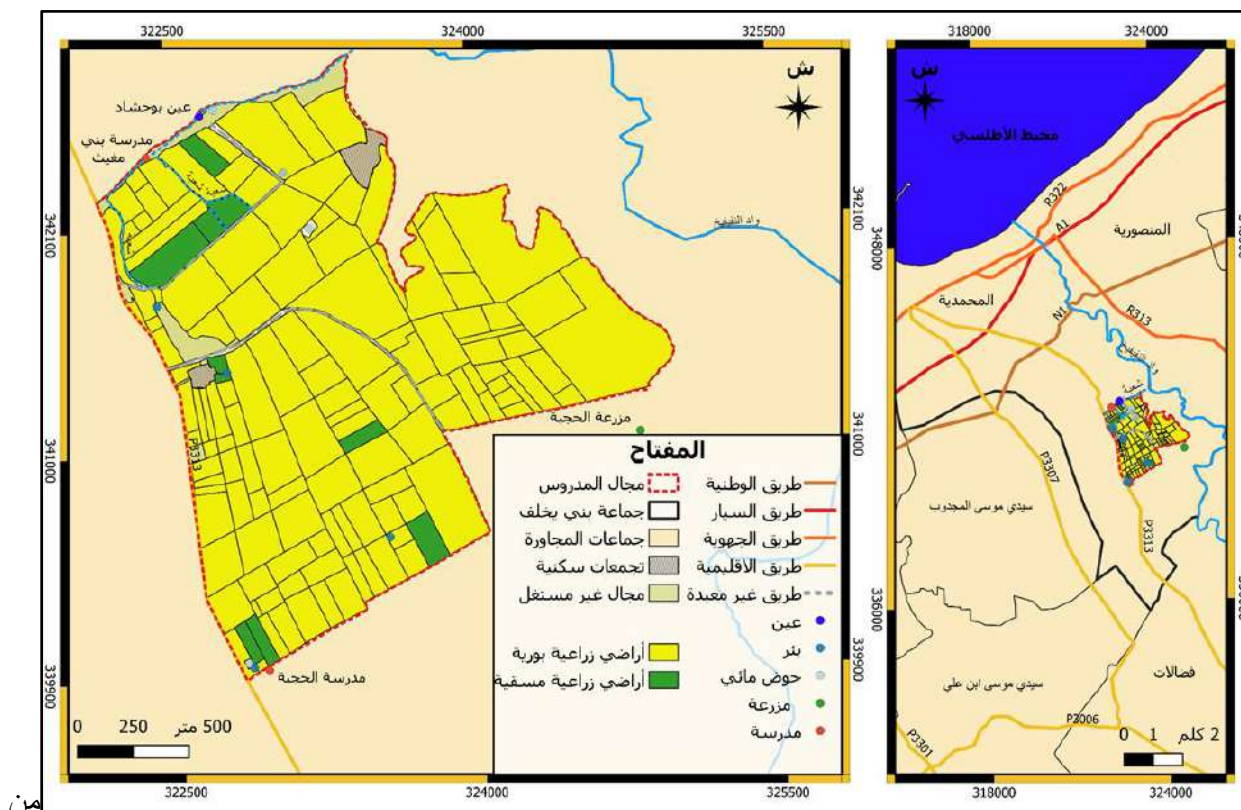
اعتمادا على (المبيان رقم 9) يتبين لنا أن نسبة المشارات المسقية لا تمثل إلا 7% من مجموع المشارات الزراعية المستغلة، والتي في الغالب ما تكون تشغل صنف الخضر، فيما تمثل المشارات البورية ما يعادل 93% من الأراضي الزراعية حيث انه يطغى عليها زراعات الحبوب.

مبيان رقم 4: رسم بياني لنسبة الأراضي حسب نظام السقي



عمل ميداني أبريل 2022

خريطة رقم (7) أنواع التربة بمنطقة الحجة حسب رأي الفلاحين



خلال ملاحظتنا لخريطة (الشكل رقم 18)، التي تمثل توزيع نظام السقي بكل مشاركة زراعية على حدة، وكذلك توطین الآبار بمنطقة الحجة، يتبين أن أغلب المشارات الزراعية لها نظام سقي بوري أي أنها تعتمد على التساقطات المطرية فقط، في الغالب من الأحيان الاستغلال المهمين على هذا النوع من الأراضي الزراعية هو الحبوب (الشعير، الخرطال)، كما أن هذه المشارات تتركز بجل مناطق المجال المدرس، هناك بعض المشارات التي تتوفر على بئر لكنها لا تتوفر على آلة ضخ المياه ما يقف عائقا أمام تحويلها لمشاركة مسقية واستغلالها بشكل يزيد من مردوديتها الإنتاجية، في حين بعض المشارات الأخرى هي بالأساس مشارات مسقية وتستعمل في إنتاج الخضر، لكن الفلاح قرر إراحتها عن طريق زرعها بالحبوب وهي من الطرق المستعملة كثيرا في إراحة الأراضي الزراعية بالمنطقة. (الصورة رقم 9)

. استعمال الأسمدة

تعتبر الأسمدة من المواد الغذائية الأساسية لنمو النبات، والغرض منها هو إنتاج محاصيل وفيرة من المزروعات أصبح المزارعون يستخدمون كميات كبيرة من الأسمدة سنويا في شتى أنحاء العالم، حيث بلغت الزيادة في الإنتاج بسبب إضافة الأسمدة حوالي ربع إنتاج المحصول العالمي، ذلك لأن النباتات تحتاج كميات كبيرة من تسعة عناصر كيميائية وتسمى العناصر الكبرى وهي: الكربون، الهيدروجين، الأكسجين، الفوسفور، البوتاسيوم، النيتروجين، والكبريت، والمغنسيوم، والكالسيوم، يحصل النبات على الكربون والأكسجين من الهواء والهيدروجين من الماء، وتنقسم الأسمدة لنوعين:

الأسمدة العضوية: تشمل أساسا روث الحيوانات ومواد نباتية، تحتوي هذه الأسمدة على نسب أقل من العناصر مقارنة بالأسمدة الكيميائية، ولهذا فهي تستخدم بكميات أكبر للحصول

على محاصيل أكبر، تكون تكلفة الأسمدة العضوية أقل من الأسمدة الكيميائية، وأيضا في نفس الوقت تحل مشكلة التخلص من نفايات الحيوانات التي ليس لها استخدامات عدا إضافتها للتربة على شكل سماد.

المعروض من الأسمدة لأسباب تتعلق بالحرب الروسية الأوكرانية، وكذا حظر صادرات الأسمدة الذي فرضته بعض الدول، الشيء الذي أدى لتضاعف أسعار الأسمدة محليا، الشيء الذي يترك العديد من الفلاحين يستغنون عنها بصفة كاملة أو نسبية، وكذلك هناك بعض فلاحين يقومون بكراء الأراضي و هذا سبب آخر في ندرة استعمال الأسمدة الكيميائية.

خلاصة:

من خلال دراستنا وتحليل المعطيات الخرجات الميدانية بمنطقة الحجة تتوفر على خصائص ترابية غنية تتنوع بين تربة الدندون والحمري، التيرس، المكزاز، الرمل، وهذا يمنحها ميزة التنوع في إنتاجها الزراعي، الذي تتعد أصنافه من الحبوب (الشعير، الخرطال، الفرنية، الترتيكار والذرة)، ومن الخضر التي تتميز بتنوعها الذي يشمل كل من البطاطس، الطماطم (السلوي)، بالإضافة إلى القطناني التي تهتم فقط الفول، و ثم صنف الفواكه نجد نوع واحد العنب، كما أن أغلب المشارات الزراعية هي بالأساس مشارات بورية لأسباب من بينها قلة الآبار وضعف القدرة المادية للفلاحين على إنشائها، بالإضافة إلى جودة المياه التي هي في الغالب مياه مالحة، وفي أحسن تكون المياه قليلة الملوحة (شلوقي)، يعتمد الفلاح على طرق حديثة في سقي محاصيله الزراعية بحيث لا تشكل نسبة الفلاحين اللذين يستعملون طرقا حديثة إلا 7% من المجموع العام، ويطغى على هذه التقنيات، تتمثل هذه التقنية السقي بالتنقيط، يستعمل أغلب الفلاحين الأسمدة الكيميائية العضوية، وبدرجة أقل يستخدمون الأسمدة العضوية يكون الفلاح في الغالب من يختار نوع وكمية الأسمدة المستعملة، ذلك طبعا بغرض الرفع من الإنتاجية، ولهذا الغرض أيضا يتم انتقاء البذور المنتقاة بدرجة أقل من بذور الموسم السابق، يتم اقتناء هذه البذور من المكتب الفلاحي، هذه المميزات التي تجعل من منطقة الحجة منطقة خصبة فلاحيا، أدى الاستغلال الزراعي الكثيف إلى ترك مخلفات من ضمنها التلوث الفلاحي الذي يؤثر على التربة وجودتها، كما سيؤثر بالطبع على الفرشة المائية الباطنية هي الأخرى، التي تؤثر بدورها على جودة الإنتاج الزراعي، ومع تزايد النمو الديموغرافي ورصيد الهجرة يتزايد معه الطلب على العقار المبنى الذي أصبح يجتاح المنطقة على حساب الراضي الزراعية، ما يؤدي لتراجع المساحات الزراعية فتتراجع كميات الإنتاج الزراعي.

لائحة المراجع

باللغة العربية:

- المختار الأكل: (2001) دينامية المجال الفلاحي ورهانات التنمية المحلية حالة هضبة بن سليمان، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في الجغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة.
- عبد الرحمان العثماني: (1988) هضبة بن سليمان وساحل بوزنيقة، دراسة جيومورفولوجية، رسالة لنيل الدراسات العليا في الجغرافية الطبيعية، جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.
- رشيدة نافع: (1987) دراسة جيومورفولوجية لهضبة سيدي بطاش، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في الجغرافية، جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط. رشيدة نافع: (1997) الخصائص الطبيعية لمنطقة المحمدية- مدينة المحمدية ومحيطها البيئي - سلسلة ندوات رقم 5 كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية.
- محمد صباحي: (2014) محاضرات في الجغرافية الطبيعية " كلية الآداب والعلوم الإنسانية تطوان.
- محمد الصباحي: (2012) قراءة مختصرة لمناخ المغرب، كلية الآداب، تطوان.
- أسماء بوعوينات: (2021) الفصل الرابع، وحدة جغرافية المغرب العامة (غير منشور).
- معطيات جيولوجية لمنطقة المحمدية لسنة 1960.

- عادل حدية: (2019)، تقييم أثر الاستعمالات الرعي- زراعية في التصريف الهيدرولوجي والتعرية المائية بهضبة بنسليمان، أطروحة دكتوراه.
 - المكتب الجهوي للاستثمار الدار البيضاء-سطات 2022.
 - عبدالصمد كندول: 2021/2020، الفصل الأول من رسالة نيل شهادة الماستر حول الآثار البيئية والسوسيو اقتصادية لمطرح مديونة.
 - بوشعيب السالك: 2007-2008، الوضع المائي بالمغرب: حالة الحوض المائي أبي رقراق الشاوية ابن سليمان، من رسالة نيل شهادة الماستر.
 - مبروك صباح: (2020-2019)، التأثيرات البيئية والصحية للمطراح الوسيطة للنفايات ومسألة التدبير (حالة المطرح المراقب بجامعة بني يخلف)، من رسالة نيل شهادة الماستر.
 - الإحصاء العام للسكان والسكنى، 23 ابريل 2015، الجريدة الرسمية عدد 6345.
 - الموقع الرسمي للمندوبية السامية للتخطيط، <https://www.hcp.ma>
 - الموقع المركز الوطني للمعلومات البيئية، <https://www.ncdc.noaa.gov>
 - منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة، 2023.
 - صور الأقمار الاصطناعية عبر برنامج EARTH GOOGLE.
- باللغة الفرنسية:

- Abdelkrim Afenzar et Rachid Essamoud, mai 2017, SEDIMENTOLOGIE DE FACIES DES DEPOTS TRIASIQUES DE LA REGION DE OUED EL MALEH ET ELGARA (BASSIN DE MOHAMMEDIA-BENSLIMANE-ELGARA-BERRECHID, MAROC.)
- Khadija Farki, Zahour Ghalem, Hassan El Hadi, Saida Alikouss, Youssef Zerhouni, Mars 2015, LES THOLÉIITES FINI-TRIASIQUES DE MOHAMMEDIA (MESETA CÔTIÈRE, MAROC) : TÉMOINS D'UN VOLCANISME DE RIFT INTRACONTINENTAL AVORTÉ.

عنوان البحث

**المنظومة الجمالية في تصاميم الزخارف الإسلامية على واجهات المراقد المقدسة
في العراق: دراسة تحليلية شمولية**

حسام محمد تايه¹، أ. د. عمر محمد الحسن درمة¹

¹ جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا كلية الفنون الجميلة، السودان.

HNSJ, 2025, 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/16>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/68/16>

تاريخ النشر: 2025/08/01م

تاريخ القبول: 2025/07/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/07/07م

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن المنظومة الجمالية المتمثلة في البُعد الكلي والجزئي في تصاميم الزخارف الإسلامية المنفذة على بلاط واجهات المراقد المقدسة في العراق (2025م). وركز على الزخارف الخطية والهندسية والنباتية (الزهرية، الكاسية، الغصنية) في واجهات العتبات المقدسة مثل الروضات العلوية والحسينية والعباسية والكاظمية والعسكرية. اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي وتحليل 26 عينة مختارة قصدياً. وتوصل إلى أن تنوع التقسيمات (متناظرة، شعاعية، غير متناظرة) أسهم في تشكيل جمالية كلية متوازنة، كما أظهرت المفردات النباتية مرونة عالية في التعبير الجزئي، من خلال توظيف أشكال واقعية ومحورة، وألوان متضادة. وأسهم هذا التنوع في إضفاء عمق بصري وتعبيري على التصاميم، يعكس الهوية الفنية والتراثية للزخارف الإسلامية في المراقد العراقية.

الكلمات المفتاحية: الجزئي، التصميم، الزخرفة، الواجهة، الهيئة التصميمية.

RESEARCH TITLE

The Aesthetic System in the Designs of Islamic Ornaments on the Facades of Sacred Shrines in Iraq: A Comprehensive Analytical Study**Abstract**

This research aims to explore the aesthetic system represented by the macro and micro aspects in the design of Islamic ornaments applied to the tiled facades of the sacred shrines in Iraq (as of 2025). It focuses on linear, geometric, and vegetal decorations (floral, leafy, and branching types) found on the external and internal facades of major shrines such as Al-Haydariyya, Al-Hussainiyya, Al-Abbasiyya, Al-Kazimiyya, and Al-Askariyya. The study adopts a descriptive-analytical method and analyzes 26 purposefully selected samples. Results revealed that the diversity in spatial organization (symmetrical, radial, asymmetrical) contributes to a balanced overall aesthetic, while the vegetal motifs demonstrated expressive flexibility in their partial application, through both naturalistic and stylized forms. The use of contrasting colors further enriched the visual and expressive depth of the designs, reinforcing the artistic and cultural identity of Islamic.

Key Words: Element, Design, Ornamentation, Facade, Design Structure.

مقدمة البحث:

يتناول البحث قيمة مهمة تم تطبيقها في الزخارف الإسلامية الا وهي الكلي والجزئي للزخارف الإسلامية وتمثيلاتها في العتبات المقدسة في العراق - العلوية والحسينية والعباسية والكاظميين انموذجاً للفترة من 2000_2021 لان ضمن هذه الفترة الزمنية تم تركيب الكثير من البلاطات الزخرفية الخزفية في العتبات. فقد كان بناء المرقد العلوي في العهد الصفوي مغلفاً من الحجر القاشاني الازرق وبعد تولي السلطان نادر شاه الافشاري الحكم في ايران امر بقلع القاشاني عن القبة والمنارتين والايوان الشرقي الكبير واستبدلها بالصفائح النحاسية المطلية بالذهب الخالص وقد ابتدأ بالتذهيب سنة 1155 هـ وانتهى سنة 1156 هـ وهذا الموضوع سوف يأخذني الى تاريخ بناء العتبة العلوية ومراحل التطور الحاصل من جيل الى جيل وكيف شيد اول مره والمادة المستخدمة في الزخرفة وفي التزيين من حاكم الى اخر ويلاحظ ان عملية التذهيب والنقوش والتصاميم الهندسية قد تضمنت الكثير من الزخارف الرائعة والصفائح التي نقش عليها الآيات القرآنية والاحاديث النبوية فسوف اسلط الضوء ابتداء بالعتبة العلوية الشريفة والجماليات الموجودة في الضريح الشريف من القدم والى زماننا هذا ونلاحظ مراحل التطور بالتصاميم والمنقوشات وكذلك التذهيب من القبة والأروقة والباحات الداخلية والخارجية لكي نطلع المتلقي بالفن الموجود والذائقة الفنية المتواجدة في الضريح الشريف.

من جهة اخرى لم يعرف الفنان المسلم من خلال ابداعاته الفنية المختلفة وبالأخص في مجال الزخرفة والتذهيب التفريق بين الفنون الجمالية والتطبيقية بصوره عامة فقد كانت كل الفنون الاسلامية تراد لمنفعة الحضارة الاسلامية وضريح ابا عبد الله الحسين انموذجاً فنياً فريداً في التذهيب والزخرفة الاسلامية ويجتمع القاصي والداني ان الفنون المستخدمة في الضريح الشريف هو يخدم الحضارة الإسلامية ومبدعها في توظيف التذهيب والزخرفة التي تعطي جواً من الجمال واحياناً تحسس المتواجد بالقرب من شخص ابا عبد الله اي ان الفنان المسلم عبقرى الى حد سوف اسلط الضوء على الكلي والجزئي في تصميم الوحدات الزخرفية وجمالياتها وكيفيه ملئها للفراغ بطرق مبتكرة وفنية فريدة وحل كل جمال ظاهر وباطن في العتبات المقدسة الشريفة اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي، لكونه الأنسب لدراسة وتحليل النماذج الزخرفية من الناحية الشكلية والمضمونية. فشمّل مجتمع البحث الزخارف النباتية والهندسية والخطية والتشخيصية المنفذة على البلاطات الخزفية (القاشاني المعرق) في واجهات العتبات المقدسة في العراق، بما في ذلك العناصر النادرة داخل الحرم إن وجدت وأعدّ الباحث استمارة تحليل محتوى خاصة، استندت إلى مؤشرات مُستخلصة من الإطار النظري تم عرض الاستمارة على عدد من الخبراء المختصين في الفنون الإسلامية للتأكد من صلاحيتها البحثية. قام الباحث بزيارات ميداني والمصادر والمراجع لجمع المعلومات وتم اختيار العينة باستخدام أسلوب الانتقاء القسدي من مجتمع البحث الأصلي. تكونت من (16) نموذجاً زخرفياً يغطي تنوع التصاميم في العتبات الأربعة، مع استبعاد التكرارات الشكلية. حيث تم تحليل العناصر الزخرفية المفردة من حيث نوعها (نباتي، هندسي، خطي، تشخيصي)، وطريقة تكرارها وتوزيعها على البلاطات، ومدى تكاملها البصري في تكوين واجهات المراقد، مع مقارنة أسلوبية بين مختلف العتبات، في ضوء ماتم ذكره سابقاً تحدد مشكلة البحث من خلال الأسئلة الآتية.

مشكلة البحث ما هو الجزئي والكلي في تصاميم الزخارف الإسلامية المطبقة على الخزف في العتبات المقدسة في العراق المتمثلة في العتبات العلوية والحسينية والعباسية والكاظمية المطهرة ؟ وهل هناك فرق بينهما؟ حيث إنّ البحث لم تتم دراسته وفق هذا التخصص الدقيق، من حيث قلّة الدراسات الاكاديمية التي تناولت دراسة هذا البحث، والذي يُعدّ مرجعاً مهماً في بنية الفن التشكيلي العراقي والعربي والعالمي.

أهمية البحث والحاجة اليه تتجلى أهمية البحث من خلال ما يأتي:

- تكمن اهمية البحث الحالي في (معرفة الكلي والجزئي في تصاميم الزخارف الاسلامي المنفذة على الواجهات الخزفية للمراقد المقدسة في العراق كونها لم تدرس سابقاً.....
- وللبحث أهمية بالنسبة للباحثين والمهتمين في هذا المجال) إنَّ الاطِّلاعَ على نماذج عَيِّنَةِ البحثِ الحالي ونتائجِه واستنتاجاتِه يفيد منها المهتمون بحركةِ النقدِ التشكيليِّ.

اهداف البحث: من خلال ما تقدّم من أهميّة للبحث، تتبلورُ الحاجةُ إليه فيما يأتي:

- 1- يرومُ الباحثُ من خلال دراسته سد الفراغ المعرفي الخاص الريادي بفن الكلي والجزئي ومعالجة هذا الموضوع واستخلاص نتائجه.
- 2- يغني المكتبة المعرفية محلياً وعربياً، حيث يرفد الطلبة والمتخصصين والباحثين في هذا المجال جزءاً من المعرفة الاكاديمية حول هذا الفن.
- 3- التعرف على الكلي والجزئي في تصاميم الزخارف الإسلامية المنفذة على بلاط الواجهات الخزفية للمراقد المقدسة في العراق.

منهج البحث:

أولاً: منهج البحث: وصفي تحليلي (تحليل محتوى) الدراسة ميدانيه _ المشاهدة العينية المباشرة والمقابلات الشخصية.
ثانياً: المنهج التجريبي.

حدود البحث:

- 1- الحدود الزمانيّة: تحدد من قبل الباحث والمشرف.
- 2- الحدود المكانية: العراق في العتبات العلوية والحسيني والعباسية والعسكرية والكاظمية.

ادوات البحث:

- 1.المراجع والدراسات العلمية المتعلقة بموضوع البحث.
2. الأساليب المتبعة في عمليه البحث وخبره الباحث والمقابلات الشخصية.
- 3.مواقع البحث العالمية على الإنترنت.

مصطلحات الدراسة:

الكلي _ التصميم _ الزخرفة _ الواجهة _ الهيئة التصميمية _ الجماليات.

مصطلحات الدراسة:الكلي _ التصميم _ الزخرفة _ الواجهة _ الهيئة التصميمية _ الجماليات.

- 1-جماليات: أ- لغة: ورد مصطلح (الجمال، وجميل، وجميلاً) في القرآن الكريم في مواضع عدة(*) منها: قال تعالى:، أي زينة ومنظر حسن. (كمال مصطفى شاكر، 1430هـ، ص319).
- ورد مصطلح (الجمال) في لسان العرب بمعنى الحسن، والجمال مصدر الجميل، والفعل جمل وجمّله: أي زينه.

(*)ورد مصطلح الجمال مرتين في القرآن الكريم في (سورة النحل، آية (6)، وسورة المرسلات، آية (33)، بينما ورد مصطلح جميل وجميلاً (7 مرات) في (سورة يوسف، آية (18 و 83)، وسورة الحجر، آية (85)، وسورة الأحزاب، آية (28 و 49)، وسورة المزمل، آية (10)، وسورة المعارج، آية (5)).

ب- اصطلاحاً: ان الجمال عند (أفلاطون) هو "ليس جمال الأجسام بل جمال النفوس، لأن النفس هي التي تسقط الجمال على الأجسام، وهذا يدل على أن الجمال معنوي وليس مادياً، والذي نعثر عليه في الفنون والآداب، أي في مجال التأمل والنظر، وليس في مجال الفعل" (مراد هبة، بلا تاريخ، ص 28)، وتشكل القيمة الجمالية عند (أفلاطون) "من المفاهيم الثلاثة (الحق، والخير، والجمال) والتي من المفترض أن تتعامل معها الفلسفة تقليدياً" (McMillan: 1967, p. 15)

بينما نجد الجمال عند (أرسطو) يعني التنسيق والعظمة، فهو يقول: "الكائن أو الشيء المكون من أجزاء متباينة لا يتم جماله ما لم تترتب أجزاؤه في نظام وتتخذ أبعاداً ليست تعسفية؛ ذلك لأن الجمال ما هو إلا التنسيق والعظمة". (راوية عبد المنعم عباس، 1998، ص 57).

بينما تعرف (صفا) الجمالية بأنها: "تنظيم الوحدات البصرية ضمن نطاق علاقتها بأسس التنظيم الشكلي في التصميم". (صفا لطفي، 2001، ص 9)

التعريف الإجرائي: الجماليات: هي التطبيقات الفكرية التي تبحث عن موقف جمالي في بنية التكوين الزخرفي وتنوعه.

2- الزخرفة

أ- لغة: ورد مصطلح (زُخْرُف، وَزُخْرُفًا) في القرآن الكريم بمواضع عدة (*) نذكر منها:

قال تعالى: ﴿والأنعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون﴾ (سورة يونس، آية (24)، و(زخرفاً) هو كمال حسن الشيء. (كمال مصطفى شاكراً: مصدر سابق، ص 554)

"وَزَخْرَفَهُ زَيْنَهُ وَحُسْنَهُ وَ - كَمَلَهُ (الزخرف) الذهب و - كمال حسن الشيء. و(الزخرف) من الأرض: ألوان نباتها". (اللبباني، العلامة السعيد سعيد الخوري الشرتوني: مصدر سابق، ص 460)

ب- اصطلاحاً: عرفها (الصراف) بأن "الزخرفة الإسلامية فن صوفي، روحاني، يمثل العمق الوجداني والنظرة التأملية للكون، فهي في تشكيلها الذي تتداخل بدايته بنهايته، تحاكي سرمدية الحياة وأولية الوجود". (الصراف، عباس، 1979، ص 237-238).

ويعرفها (كمال) بأنها "فن التزيين والحلية، وأحد فروع فنون المناسبة، أهم فروع ودوره يوجد في فن المعمار". (كمال عيد، 1978، ص 231)

تعرفها (زينا) بأنها (نتاج تصميمي متكون من تفاعل المكونات الزخرفية على وفق تنوعاتها الشكلية (الهندسية والنباتية والحيوانية) على وفق أسس بنائية تتطوي على نظم يبتكرها المصمم لأحداث بنية تصميمية متماسكة وتوليفة بصرية منسجمة في تنوعاتها الزخرفية ومظهرها التركيبي متضمنة ابعاداً وظيفية جمالية وتعبيرية).

التعريف الإجرائي: التكوينات الزخرفية: هو عمليه تآلف وتظمين وترتيب جمالي للتكوينات الزخرفية (النباتية، الهندسية، الخطية، التشخيصية (الحيوانية والأدمية)، ومتنوعة بتقنيات التنفيذ، فضمن تكوين منفرد أو متعدد تتشعب وتنقسم وتتفرع وتتوالد لإكمال الصورة الجمالية.

(*) ورد مصطلح (زخرفاً) مرة واحدة في القرآن الكريم، (وزخرفها) مرة واحدة في سورة يونس، آية (24)، و(زُخْرُف) مرتين في سورة الأنعام، آية (112)، وسورة الإسراء، آية (93).

الكلي كُل: (اسم) أ-لغة:

أ-لغة: جميع؛ كلمة تدلّ على الشُّمول والاستغراق والتَّمام لأفراد ما تضاف إليه أو أجزائه والغالب استعمالها مضافة لفظاً أو تقديرًا وحكمها الإفراد والتذكير، ومعناها بحسب ما تضاف إليه.

ب- اصطلاحاً: الجزئي _ أ-لغة: جميع؛ كلمة تدلّ على الشُّمول والاستغراق والتَّمام لأفراد ما تضاف إليه أو أجزائه والغالب استعمالها مضافة لفظاً أو تقديرًا وحكمها الإفراد والتذكير، ومعناها بحسب ما تضاف إليه.

ب- اصطلاحاً: التصميم أ-لغة: والتصميم هو: (إبداع وخلق لأعمال جميلة وممتعة ونافعة وهو الخطة الكاملة لتشكيل شيء ما، وتركيبه في قالب موحد ليس من الناحية الجمالية فحسب، بل من الناحية الوظيفية) (حنقر، يوسف يوسف، 1983. ص5)

ويرى (الواسطي): ان فن التصميم في ابسط مفهوم له هو: (تخطيط وتنظيم وتنسيق وسياق عمل لإخراج عمل فني ما على وسط ناقل، وفق مفاهيم الغرض والقياس). (حنقر، يوسف يوسف، 1999، ص8)

ب-اصطلاحاً: تعرفها (زينا) بأنها (نتاج تصميمي متكون من تفاعل المكونات الزخرفية على وفق تنوعاتها الشكلية (الهندسية والنباتية والحيوانية) على وفق أسس بنائية تنطوي على نظم يبتكرها المصمم لأحداث بنية تصميمية متماسكة وتوليفة بصرية منسجمة في تنوعاتها الزخرفية ومظهرها التركيبي متضمنة ابعادا وظيفية جمالية وتعبيرية). (صبحي، سمير، 1965، ص4)

يختلف العلماء والباحثون في تعريف مصطلح Design فيرى (البسيوني): (ان التصميم يتضمن التكوين. كما يرتبط معناه بالمصطلحات المختلفة التي تفهم منها وحدة البناء وشكله العام وسحنته، وان التصميم يعطي العمل المبتكر كيانه) (النجار، محمد سعيد الغريب، 1998، ص2)

(وللتصميم مدلول واسع غير محدود، ويعتبر اصل كل الفنون وتطبيقاً لكافة النشاطات الانسانية الهادفة الى تنظيم الوحدات وتكوينها، كما انه احد فصائل القدرات العقلية المتمثلة في الذكاء والقدرات الفنية معاً) (Nelson , , U.S.A:) 1977

وعرفه (الشال) بأنه: (عملية تنظيم عناصر مرئية للهيئة الفنية، وهو يرتبط بعناصر لازمة كالخط والشكل واللون والمسافة والضوء وملامس السطوح، بحيث تتلاءم كلها لخدمة الشكل العام، ولا بد من ان يحقق التصميم هدفاً معيناً ويخدمه)(سكوت، روبرت جيلام، 1956). وعرفه (وونك) على انه: (ليس عملية تزيين فقط بل هو عملية خلق ذات فائدة ملموسة ومرئية، وهو التعبير الامثل المرئي لماهية شيء ما، اذا كان رسالة او انتاجاً او غيره) (Wussiuswong,) 1972 (New York).

ويذكر (رشدان) بأن التصميم هو: (الابتكار التشكيلي او خلق اشياء جميلة وممتعة، وهو تلك العملية الكاملة لتخطيط شكل ما، وانشائه بطريقة ليست مرضية من الناحية الوظيفية فحسب ولكنها تجلب السرور الى النفس ايضاً، وفي هذا اشباع لحاجة الانسان نفعياً وجمالياً في وقت واحد) (رشدان، احمد حافظ، التصميم، القاهرة 1983، ص14)، (ص11).

والتصميم يعني: (بناء المطبوع وتركيبه واخراجه بشكله العام ويكون ذلك بتحديد محتوياته والتركيز على الجزء المهم منه والذي يسمى نقطه التأثير) (Walter HerdayGraphis Annual 80/81..).

وتقول (تروبل) في تعريفها للتصميم بأنه: (معمل عمليات تخطيط وتنفيذ على نمط لا يرضي من الناحية الوظيفية

فحسب، ولكن يروق له النظر واللمس، أي انه يرضينا لما فيه منفعة وجمال في نفس الوقت) (تروبل، ماركريت، اصول التصميم في الفن الاغريقي، بدون تاريخ طبع).

نفهم مما تقدم ان التصميم هو جهد منظم لخطة ذات اهداف ووظائف محددة ويستهدف جميع كل العناصر التي تخدم الهدف النهائي في وحدة كلية متكاملة، كما انه يؤسس على عوامل محددة، ويفترض عناصر ضرورية لازمة لإكمال التصميم. وهي الأنماط التقنية التي تستخدم في تصميم صفحات القرآن الكريم من حيث التذهيب والتزيين ودراسة انماط الخطوط والمسافات ما بين الحروف والاسطر والكلمات التي يستخدمها المصمم، فضلاً عن دراسة الابعاد الفنية لعلاقة الشكل والفضاء، ويكون ناتج كل ذلك الوصول الى تحقيق البعدين الوظيفي والجمالي. ولما كان التصميم هادفاً ومعبراً عن جهد واداء انساني واع، فإنه يجب ان ينتهي الى صياغة شكل محدد، كما يعبر عن شيء مفهوم، لذا فان الباحث يتفق مع تعريف الواسطي لانه الاقرب الى البحث الحالي.

ويتبنى الباحث تعريف (زينا) تعريفاً اجرائياً له. الهيئة: وهو شكل وتكوين الشئ (<http://www.answers.com/dictionary>). وايضاً الشكل الخارجي لشيء ما (<http://www.encyclopedia.com>). (dictionary).

التعريف الاجرائي للهيئة: وهي الخطوط الخارجية المكونة لمظهر شيء ما، التي يستطيع المتلقي من خلالها التعرف على تلك المادة.

التعريف الاجرائي للهيئة التصميمية

د- الهيئة التصميمية: وهو شكل وتكوين التصميم او الشكل الخارجي والداخلي المكونه لعمل زخرفي او عمل فني والابتكار التشكيلي او خلق اشياء جميلة وممتعة، وهو تلك العملية الكاملة لتخطيط شكل ما، وانشائه بطريقة ليست مرضية من الناحية الوظيفية فحسب ولكنها تجلب السرور الى النفس ايضاً، وفي هذا اشباع لحاجة الانسان نفعياً وجمالياً في وقت واحد.

-العتبة

أ- لغة: "العتبة" الدرج وكل مرقاة (عتبة) ويجمع على (عتبات) (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: مصدر سابق، ص410).

و"العتبة" - كل مرقاة من الدرج". (البناني، العلامة السعيد سعيد الخوري الشرتوني: مصدر سابق، ص740)

ب- اصطلاحاً: ورد تعريفها في المعجم الفلسفي "خشب الباب... وتطلق مجازاً على بداية كل شيء". (جميل صليبا: مصدر سابق، ص54)

والعتبة "هي العمارة القائمة التي تضم البقعة المطهرة المحيطة بالمرقد المقدس لوصي رسول الله (ص) أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (ع)، التي تعلوها القبة المشرفة المحاطة بالأروقة والمنافذ في الجهات الأربعة، والتي تتصل بدورها بالأسوار المحيطة بها عبر الساحة (الصحن)، وكل العمارات التي تشيد وتلتحق بالعمار القائمة، ويشمل هذا المفهوم المنشآت والموجودات التي تحتويها العتبة جميعاً". (النظام الداخلي للعتبة العلوية المقدسة، 2007، ص76)

ويعرفها (السهلاني) "العتبة لكل ما دار عليه سور الصحن، من الروضة المباركة والرواق والصحن وجميع المنشآت المشيدة داخلها حالياً أو ما سيلحق بها". (السهلاني، حيدر محمد علي محمد جواد: مصدر سابق، ص76)

وسوف يتبنى الباحث تعريف (السهلاني) ؛ لأنه يتفق وإجراءات البحث، ولأنه يتماشى مع عنوان البحث وهدفه.

ادبيات الورقة

فن الزخرفة: نشأة وتطور الزخارف الإسلامية في المراقد المقدسة

- عد فن الزخرفة قديم قدم الإنسان فقد تأثر الإنسان (منذ نشأته بهذا الفن فزين وجهه وجسده بالوشم والخطوط الزخرفية المختلفة ثم تطورت الزخرفة حتى دخلت في أعماله وحياته، فتزينت المعابد والجدران بها)، (إبراهيم مرزوق: م، مصدر سابق، ص93). وحرص إنسان الكهوف على أن يزخرف جدران كهفه بزخارف مختلفة، والألوان المتباينة، وقد ظل هذا الحرص ملازماً له عبر العصور وإن اختلفت وسائل الزخرفة (محمد عبد العزيز مرزوق:، 1974، ص69)، وقام المزخرف البدائي بتحويل العناصر الطبيعية إلى (وحدات زخرفية تجريدية في تكوينات بديعة بارزة وغائرة ومسطحة... ثم تناقلته الأجيال عبر التاريخ لتكون بعد ذلك أساس هذا الفن العريق) (إبراهيم مرزوق: موسوعة الزخارف، مصدر سابق، ص11).
- وظف الفنان العراقي القديم (عصر الأشوريين) وحدات زخرفية متنوعة حيث تميز ببعض المفردات مثل زهرة الروزيت المستديرة، البشنين شكل (31) وشجرة الحياة شكل (32) والانتيمون شكل (33) وبراعمها وقرص الشمس المجنح الأشوري (يونس خنف، 2000، ص26) شكل (34)، أم اللوتس فقد كانت مشتركة ما بين الأشوريين والمصريين مع بعض الاختلافات ككبر حجم أوراق زهرة اللوتس الأشورية. وعلى الرغم من استخدام الزخرفة منذ القدم وحتى في العصور المسيحية ألا (إن التزيين الديني في الإسلام ينقل روحانية مؤكدة من دون إيقونات الفن المسيحي، وهو يربط السكون باللانهاية وعن طريق التشابه الجزئي، يرتبط العلم المادي بالله، أن نشوء هذه النماذج يتبع انسجاماً رائعاً من الأسلوب، مبيناً نقاء متقدماً للكمال المركزي. وتصبح النماذج مع مرور الوقت أكثر كثافة وتعقيداً، وتصبح الألوان براقاً مشرقة، ويصبح المقياس متدرجاً للوصول إلى الجمال السامي) (Wade David, New York, 1976, p7)، بحيث تضي على الوحدات الزخرفية المتكررة والمتنوعة تكامل هندسي واتساق فني، فالخطوط الهندسية والحسابية لعالم الأشياء، هو تجريد ذهني للجزئي ليصبح كلياً. ولهذا أمكن للوحدات الهندسية المتناهية لتكوين إشكال لانهاية بهذا يلتقي فن (الارابيسك) مع الفن التجريدي في مجال الانطلاق للتعبير عن المطلق (مصطفى عبده: الفن، 2008، ص2). و(تضي هذه الزخارف على مكان العبادة شكلاً جميلاً يؤثر في النفوس. حيث يبدو المبنى من الداخل ككتلة سابعة اختفت فيها العناصر المادية) (انظر المصادر: - نعمت إسماعيل علام:، 1977، ص31).
- نجد (أن كل مفردة زخرفية ما هي إلا تركيبية من مجموعة عناصر تتمثل بالنقطة والخط والشكل والفضاء والاتجاه، وعندما تنظم ضمن مساحة محددة فأنها ستظهر شكلاً أو هيئة تحمل صفة معينة ذات هدف محدد) (يسرى خضير عباس:، 2007، ص34)، ومن المؤكد (أن قيمة العمل الزخرفي تتمثل في التنظيم الشكلي للعناصر الزخرفية على وفق أسس فنية، فلكل عنصر من هذه العناصر الزخرفية بنية مستقلة بهيئتها وشكلها عن بقية العناصر الأخرى) (هاشم جراح لازم:، 2007، ص69)،
- وونج استعاره الفنان المسلم وحدات من الطبيعة بعد أن شذّبها وحوّرها بالإضافة والحذف؛ لأنه كان (يسعى إلى المعاني الكامنة وراء الأشياء، وخاصة منها المعنى الإلهي، ولذلك فإن هدف الفنان من الفن ليس التعويض عن حاجة مادية، وإنما الكشف عن أعماق الحياة... وممارسة الكشف هي التقوى والتقرب من الله
- وقد أسست الهيئات الزخرفية على تنوع هيئتها وإشغالها الزخرفي على صعيد الزخارف (الهندسية، النباتية، الخطية) على وفق تعددية وظهيرية لمكوناتها البنائية، فضلاً عن تنظيمها المكاني، إلى

جانب التنوع في التقنية التنفيذية المعتمدة فيها والمعالجة اللونية للفضاء وتكويناتها الزخرفية (زينا رحيم نعمة: 2004، ص1)، نذكر منها (الارابيسك، الرقش^(*)، المعرق، عينة كار وغيرها)، (فتحوير الزهور والنباتات، والاستنباط المتنوع لإشكالها والتوفيق بينها ينبئ عن قدرة فريدة على الابتكار حتى لتبدو وكأن معينها لا ينضب، توريقات تتشابهك إضلاعها وتلتحم ثم تفترق على نحو لا ينتهي في حيوية نابضة ونبل رصين). (ثروت عكاشة:، 1994، ص42).

الأبعاد الجمالية للزخارف الإسلامية على الواجهات الخزفية للعتبات المقدسة

أتجه فكر عرب ما قبل الإسلام اتجاهاً واقعياً حسياً، فكانت النظرة تتمثل باتجاه المحسوس الجزئي باعتباره موجوداً حقيقياً، متخذين المفاهيم العامة الموجودة في الذهن كليات، لذلك كان تصورهم للإله من خلال التماثيل والحجارة، وفعل هذه الإلهة لا تكون إلا من خلال وسائط مادية «مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى»^{*}.

• ولا شك أنهم كانوا يعتقدون بوجود مبدأ للوجود يسمونه (إله)، إلا أنهم اعتقدوا بالتوحيد الذاتي دون التوحيد الصفاتي والأفعالي، فهم تصوروا آله آخر إلى جانب الخالق تعالى، أما منتزعاً منه أو على هيئة صنم (مجموعة باحثين: الإسلام، ت: ماجد الغرابوي، ص28)، وعند مجيء الإسلام لم تعد النظرة إلى الوجود عند حدود عالم الحس وفي نطاق الكون المشاهد المتغير، فوجود الكون نفسه يحتاج إلى تعليل، وحركته وارتباطه وأجزائه وانتظام قوانينه تحتاج إلى تفسير، وهذا ما يستدعي الإيمان بخالق للكون مقتدر على إدارة النظام الكوني وفقاً لتكامل معين، فوجود الله جلي لا يدركه شك. فمعرفة الله تنبع من داخل الإنسان وقد جعلها الله تعالى أمراً فطرياً، وإن دراسة الأعمال الفنية وأساليب معالجتها ومقارنتها بعضها مع بعض نظرياً علاوة على الدراسات ذات الواقع الميداني، (محمد مبارك، 1986، ص48)، من أجل التوصل إلى عملية الخلق الفني وكيفياته والدلالات الرمزية التي تكونت منها الرؤى الفنية وتجليات المؤثرات الوجدانية الفاعلة في النص أو الخطاب البصري، بما أنه يوجد هناك عالماً واقعياً وراء الذهن، وأن الإنسان جزء منه، يقع الكلام في صحة ما يعكسه الذهن عن ذلك العالم، ومدى مطابقتها تلك الإدراكات الذهنية والتصميمات الخارجية، ولمّا كانت طبيعة الوجود العام في حدود التصور الانساني مقسّمة بين المثالية والواقعية، باختلاف الطرق المعرفية، فإن الفكر الاسلامي يوضح حقيقة المعرفة، وطرقها بتصورات عقائدية تقرر المنهج الاسلامي المعرفي الذي يؤسس طبيعة الفن الاسلامي من خلال مسؤولية الإنسان في هذا الكون بإضافته بعداً من أبعاد المعادلة المعرفية (الله - العالم - الانسان) وهو ما يتمحور في اتجاهين: ذاتي اتجاه نفسه، وموضوعي اتجاه العالم والله (حسام محمد، زخرف المخطوط، ص82).

• الهياكل التصميمية لواجهات الحضرة الحسينية

• ان الهيئة التصميمية للروضة الحسينية تتألف من ثلاثة أجزاء: الضريح والصحن والاواوين. والضريح الذي يتوسطه القبر مستطيل الشكل طوله (125م×95م) مزين بالمراميز لـزخارف هندسية غاية في الدقة والروعة ويغطي القبر الشريف مشبك من الفضة والذهب مزخرف بزخارف نباتية وهندسية وآيات من الذكر الحكيم ويحيط بالضريح من

(*) الرقش: هو صورة مرسومة وملونة أو منقوشة ذات إشكال هندسية جاذبة نابذة، أو ذات أشكال توريقية مكررة، وفي الحالين تحمل معنا صوفياً رمزياً للتبتل والعبادة الإسلامية (راجع: عفيف بهنسي: جمالية الفن العربي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1979، ص29)، والرقش بمعناه الواسع، يشمل زخرفة أشكال نباتية، وعملاً متشابكاً يسير على وفق نظام هندسي صارم. وإذ تتميز الأشكال النباتية بأنها إيقاعية انسيابية، فإن النوع الثاني تضلعي حاد. (راجع: إيناس حسني: التلاصق الحضاري الإسلامي والأوربي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 2009، ص13).

(*) سورة الزمر: (3).

ثلاث جهات رواق عريض (القسم الشمالي منها الحائر) حوض طبيعي لانخفاضه تجتمع فيه الأمطار فتبقى دون مخرج (الطعمة ,عبد الحسين الكليدار، ب.ت.ص103)

- مصلى تقام فيه الصلاة مزين بمقرنصات عنقودية معمولة بالمرايا ويعلو الضريح قبة بصلية الشكل ذات رقبة طويلة يتخللها نوافذ ذات عقود مدببة طليت القبة والرقبة بالذهب فضلاً عن المئذنتين المكسوتين بالمعدن نفسه.
- أما الصحن الشريف فيتمثل (بمساحة مستطيلة طول ضلعها من الشمال الى الجنوب (125) متراً ومن الشرق إلى الغرب (295) متراً كسيت جدرانه الخارجية بتشكيلات زخرفية نباتية وهندسية وأشرطة خطية تحمل آيات من الذكر الحكيم نفذت على البلاط المزجج بشكل فني دقيق. والايوان مكون من طبقتين الداخلية منها تتضمن أولوين و(11 باباً)مدخل) ضمن السور واشهرها باب القبلة وباب قاضي الحاجات،فضلاً عن إشغال هذه الاواوين لألقاء الدروس على طلبة العلم والفقهاء وهناك مدرسة تشغل القسم الشمالي من الصحن بهيأة ايوان ضخم أبعاده من الداخل (7×10) امتار وكانت لها مئذنتان تعرف بمئذنة العبد أعيد بناؤها بأمر من أمين الدين مرجان سنة 786هـ/1365 م (الطعمة ,عبد الحسين الكليدار،،1982.ص150)
- أن أول عمارة للروضة كانت سنة (65هـ/644م) وتلتها مراحل التجديد والاصلاحات منها في عهد اويس الجلاني سنة(676هـ/1364م)وفي عهد الاحتلال الصفوي سنة(932هـ/1511م) وسع الصحن وبناء برج الساعة وفي سنة (941هـ/1520م) أمر سليمان القانوني بتجديد القبة والمئذنتين(موسوعة العتبات المقدسة العراقية،، 1965.ص132).

الهيئات التصميمية لواجهات الحضرة العباسية:

- تتكون الهيئة التصميمية للروضة من ثلاثة أجزاء رئيسة هي:الضريح والصحن والسور المحيط.والضريح يتسم بضخامة جدرانه ويضم القبر الشريف المغطى بمشيك مزدان بالفضة والذهب ويتخذ الضريح مكاناً لأقامة الصلاة وهو مقسوم على مصلى للرجال وآخر للنساء ويعلو الضريح قبة ومئذنتان وتمتاز القبة بشكلها البصلي مدببة الرأس ذات رقبة طويلة نسبياً يتخللها نوافذ ذات عقود، وطلت القبة بالذهب وكسيت الرقبة والمئذنتان بمادة الآجر والبلاط المزجج بتشكيلات زخرفية نباتية وهندسية وأشرطة خطية كوفية لآيات من الذكر الحكيم.
- و يتصل الصحن (الذي تبلغ مساحته (110×120) متر بصورة مستطيلة)(العمارة العربية الإسلامية في العراق،،1982.ص59) بالضريح، أما الاواوين المحيط فتتكون من طابقين تسعة أبواب (مداخل)منها باب صاحب الزمان وباب الرضا وباب السدره وزينت جدرانه من الخارج بزخارف متنوعة وأشرطة خطية ذات ألوان جميلة معمولة بمادة البلاط والآجر المزجج فضلاً عن برج للساعة ومكتبة الإمام العباس.
- ان أول بناء للروضة كان سنة (65هـ/644م) وتوالت عمليات أعمار الروضة وتجديدها منها في العهد البويهي (334هـ/913م)وفي عهد الصفويين سنة(914هـ/1508م)وأجرت توسيعات في الروضة في عهد الاحتلال العثماني للعراق سنة(941هـ/1520م) مثل اعمار القبة ووضع مشبك من الفضة للضريح وتوسيع الصحن واكسائهما بمادة الآجر والبلاط المزجج وفي سنة(1355هـ/1934م)جرى تجديد الباب الداخلي الذي يقع امام الضريح. (وسوي، عبد الرزاق المقرم، 1949.ص26،27،128)
- وتعاقبت أعمال الصيانة والتجديد للروضة منذ سنة (1392هـ/1972م) حتى سنة (1422هـ/2001م) ومازالت أعمال التجديد والإعمار مستمرة الى يومنا هذا.

- وتتجلى في الروضة العباسية روعة الفن المعماري العربي الإسلامي إذ لا يخلو جزء من اجزاء الروضة من الزخارف الفنية البديعة التي تتسم بالدقة والجمال وهي تعد (من أضخم العتبات المقدسة العراقية شأنها شأن الروضة الحسينية الطاهرة من حيث مساحتها الواسعة وما تحتويه من تحف لا تقدر بثمن) (دليل السياحة الدينية في العراق، 1999.ص59)

دراسة مقارنة في الهياكل التصميمية الزخرفية بين العتبات المقدسة

- تتناول هذه الدراسة المقارنة بين الهياكل التصميمية الزخارف وواجهات العتبات المقدسة العراقية من حيث العلاقة بين (الجزء) التفاصيل الزخرفية (والكل) الهيئة العامة للواجهة. تهدف إلى إبراز مدى التكامل بين العناصر الجزئية والزخرفية ضمن التكوين العام للمشهد المعماري لهذه العتبات للمقارنة بين الهياكل التصميمية لزخارف وواجهات العتبات المقدسة في العراق بصورة مفصلة، ولابد من دراسة العوامل التالية: الهيئة العامة للواجهة، الطراز المعماري، (الزخارف) الهندسية، النباتية، الخطية (المواد المستخدمة، التدرج الزمني، والتأثيرات الثقافية والسياسية والدينية..

- مفاهيم "الجزء" و"الكل" في الهياكل الزخرفية
-الكل: التكوين الشامل للواجهة، ويشمل الإيوان، القبة، المآذن، المدخل، الإطارات، التناظر العام.
-الجزء: الزخارف المفردة كالفسيفساء، البلاطات المفردة، النصوص الخطية، وحدات التزيين، الزخارف الهندسية الصغيرة، النوافذ المزخرفة، الحليات.

- جدول مقارنة: العلاقة بين الجزء والكل في زخارف وواجهات العتبات

ملاحظ اتفنية	علاقة التفاصيل بالمعمار العام	توزيع الزخارف	تكامل الزخارف الجزئية مع الكل	العتبة
وحدة بصرية قوية، أسلوب صفوي	الزخارف تدعم الهيئة البصرية للمحور الطولي	مركزية حول الإيوان والباب الذهبي	عالي جداً	الحسينية
التكويني وحيد القدسية عبر التماثل	الخط والزخارف يوجهان النظر للوسط	زخارف متناظرة على جانبي المحور	عالي الدقة	العباسية
تنوع في الأساليب يعكس العصور المختلفة	بعض الزخارف لا تتبع نمط موحد	متفرقة نسبياً بسبب مراحل الترميم	تكامل متوسط	العلوية
الزخارف تضيف توازناً بصرياً دون تعقيد	التفاصيل تسند الجمال الكلي دون نسيطرة	توزيع متوازن على القبتين والمآذن	جزئي	الكاظمية
الطراز السامرائي يركز على الكتلة قبل الزخرفة	التفاصيل تخدم ضخامة القبة وإيقاع المئذنتين	حديثاً نسبياً بعد الترميم	متغير	العسكرية

مفهوم الكلي والجزئي للزخارف الإسلامية

الجزء: هي مكونات التصميمية التي يبنى بها التصميم (الأشكال اللونية والعناصر المرئية إذا انفردت الأجزاء كانت وفقاً لاسلوب التحليل أو إذا اجتمعت الفتتظرنظمو متغيرات نتائجها وحده العلاقات في تماسك الأجزاء) بين قوسين (علاقته الجزء معناها لاسلوب الذي يالف فيه كل جزء من التصميم بالأخر لخلق إحاسيس بالسلطة المستمرة بين هذه الأجزاء) (دكتور نعيم عباس، مفهوم، بحث منشور العدد 60 سنة 2011) ويتم مع الجهل تأليف بين الأجزاء على وفق التوزيع الحيزي وقوه الجذب بين الأبعاد وحركه الأشكال واتجاهه أو مالها من نظم الاسس البنائية التي تتناسب في حجم ومؤثرات الجذب إذ ان موضوعها لإنشاء التحتية بلو الأساسية وذلك الذي لا يمكن ان يكون متكون الا بحيث انه جزء من الظاهر النهائي في حين حامله ثم انه من الفعل الى الحد الذي ينظر بالمعنى للمعاصرة صفهسته صفحه 29 فان الأجزاء في التصميم الثنائي الأبعاد تكون بنيه الموضوع والفكرة إذ ان العلاقة تكون في أطراف كل جزء أي انها تسهم في فقر رموز الموضوع بصورة عامه.

يتم حساب الأجزاء على وفق علاقته الجزء بالقياس وعلاقته الجذب الأجزاء الأخرى وعلاقته الجزء بالاسلوب الفني وعلاقته الجزء بالاسلوب التقني وعلاقته الجزء بفكره الموضوع وعلاقته الجزء بنظام التصميم

الاستنتاجات:

1. اتاحت مساحة التصميم خيارات متنوعة من خلال اعتماد تقسيم معين لتصميم (متناظر أو غير متناظر أو شعاعي) فضلاً عن امكانية ضم التصميم أكثر من تقسيم داخل فضاءه بصورة موحدة.
2. اتاح التنوع الحركي للأغصان النباتية (تنظيمها) خيارات تصميمية في نشر حركة الأغصان بحيث تتسجم مع طبيعة والمساحة الأساسية وتقسيمها.
3. التنوع المتغير في بنية المفردات الزخرفية النباتية (كاسية وزهرية وغصنية) من حيث المظهر العام والحشو الداخلي وبإخراجات لونية متنوعة سواء كانت لنوع واحد أو لنوعين أسهم في اضعاء التنوع والتعدد المظهري للمفردات الزخرفية من وحدة تصميمية مترابطة.
4. استخدام الزخارف النباتية وفق شاكلتين منها المحورة والقريبة من الواقع وبأساليب متنوعة فضلاً عن التكثف الشكلي في بعض مفرداتها على عكس الثراء المظهري والمرونة والمطاوعة للزخارف وامكانية اشغالها أي مساحة من التصميم وقابيلتها على توظيف أشكال عمارية وجوانية ضمنا بغية تحقيق تنوعات في الجانب الجمالي للتصميم.
5. اعتماد أساليب تصميمية غير مألوفة عبر توظيف نصوص قرآنية ذات مفردات زخرفية مدمجة مع النص مما ينطوي على أحداث الوظيفة القرائية ضمنا مع الوظيفة التزيينية لشكل ينم عن مطاوعة التكوين الخطي وتقبله للإضافة الزخرفية ومطاوعة الزخارف للمزاوجة مع بنية الحروف والكلمات المكونة للنص.
6. توظيف الوحدات الزخرفية النباتية (القلوب) على وفق هيأت متباينة شكلياً داخل التصميم للخروج من الرتابة الناشئة من التكرار وبصورة متناسبه جمالياً.
7. التركيز في تحديد مواقع الجذب البصري من خلال المعالجات الشكلية و اللونية للوحدات (الأنية والقلوب) لكبر قياساتها واحتلالها مواقع السيادة الواضحة داخل التصميم.
8. اعتماد الانشاء الزخرفي بصيغة مستحدثة غير متداولة يدل على مطاوعة الزخارف وتكيفها في تقبل الإضافات

والتغيرات الجديدة التي تطرأ على الزخارف ويمثل ذلك اتجاهًا زخرفيًا يمكن استخراج مفردات ووحدات تتكيف وفقًا لمظهر يعد نوعاً جديداً.

9. استخدام المبالغة في القياس وتوظيف أكثر من أنشاء زخرفي ضمن أجزاء الأنية الزخرفية وباللون المتضادة والمتقاربة أدى الى لا مألوفية شكلية تصدر اثارة الاهتمام لهذا التكوين على بقية التصميمات الأخرى.

10. اتاح التكرار الثابت والمتناوب على وفق اتجاه واحد احياءا بالتوسع نحو الاعلى والاسفل عبر أشغال التصميمات الزخرفية مساحة ضمنا مع التصميم العام.

التوصيات:

يوصي الباحث بما يأتي:

1. امكانية الافادة من نتائج البحث في ردف الأقسام المعنية بشؤون الفنون الزخرفية منها كلية الفنون الجميلة (قسم الخط العربي والزخرفة) وكلية الاداب (قسم الآثار) فضلاً عن الدوائر والمؤسسات المعنية بإدارة شؤون العتبات المقدسة في العراق.

2. مراعاة الاعتماد على الأساليب الزخرفية المتبعة في تصاميم واجهات العتبات المقدسة عند عملية تجديد الواجهات لغرض الحفاظ على اصالة الزخارف لما تتمتع به من خصوصية مميزة بالنسبة لتراث الروضات الشريفة. واعتماد الخبرة الفنية الدقيقة في تنفيذ تلك التصاميم بغية تحقيق دورها الوظيفي والجمالي.

3. توظيف الزخارف النباتية غير المألوفة ضمن تصميم الواجهات بشكل اكبر ولاسيما ذات التوظيف القرائي (النصي) مما يشكل ذلك اضافة زخرفية جديدة متنوعة تعكس نتائج جمالية وتعبيرية للعتبات المقدسة كمثال العينتين (6،7).

4. يمكن انتاج تصاميم زخرفية على وفق تقنية (الزخارف المفرغة المجسمة) مع مراعاة الأصول والمبادئ الزخرفية من حيث وضوح الشكل التصميمي مما يشكل ذلك تقنية تنفيذية جديدة مع التقنية المعمول بها حالياً على البلاط المزجج او تقنية التعريق.

المصادر والمراجع:

1. آل طعمة ,عبد الحسين الكليدار، موسوعة العتبات المقدسة العراقية، قسم كربلاء دار التعارف، بغداد، 1965.
2. _____، العمارة العربية الإسلامية في العراق، وزارة الثقافة والاعلام، العراق ج:1982،2.
3. _____، بغية النبلاء في تاريخ كربلاء، مطبعة الارشاد بغداد ، ب.ت.
4. ثروت عكاشة:القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، ط1، دار الشروق، القاهرة-بيروت، 1994.
5. دكتورنعيم عباس ,مفهوم العلاقات البنائية المتبادله في تصميم الاعلان, بحث منشور العدد60سنة 2011
6. دليل السياحة الدينية في العراق، وزارة الثقافة والأعلام بغداد 1999.
7. مجموعة باحثين: الاسلام ، ت: ماجد الغرباوي ، مركز الدراسات الثقافية ، إيران ، ب ت.
8. محمد عبد العزيز مرزوق: الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974.
9. محمد مبارك: نظام الاسلام -العقيدة والعبادة ، دار الفكر ، بيروت ، 1986.

10. مصطفى عبده: الفن الإسلامي والتعبير عن المطلق، مجلة حراء، ع(11)، (ابريل-يونيو)، (قسم ثقافة وفن)، 2008.
 11. الموسوي، عبد الرزاق المقرم، قمر بني هاشم بن امير الومنيين علي بن ابيطالب، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، 1949.
 12. نعمت إسماعيل علام: فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية، ط2، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1977.
 13. هاشم جراح لازم: العلاقات البنائية في تكوينات زخارف سامراء الجصية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، 2007.
 14. يسرى خضير عباس: الأسس الفنية لبنية التصميم الزخرفي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، 2007.
 15. يونس خنفر: تاريخ وتطور فنون الزخرفة والأثاث عبر العصور، ط1، دار الراتب الجامعية-سوفنير، بيروت، 2000.
- المراجع باللغة الانجليزية

1. Wade ,David: Pattern in Islamic Art, First publishing, by: Cassell and Collier McMillan publishers Ltd ,New York, 1976.

الدراسات العلمية:

1. زينا رحيم نعمة: التكوينات الزخرفية لآبواب المراقد المقدسة في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، 2004.

العينة (6)

الموقع: برج الساعة ضمن السور المحيط ب(الروضة الحسينية).

القياسات: الطول 3، 60 امتار، العرض 1، 60 متر.

الهيئة التصميمية: مستطيلة.

عنوان البحث

دينامية الأتربة واستعمالاتها الزراعية في منطقة الحجة (جماعة بني يخلف – الحمديّة)

د. ياسين الشاوي¹، ذ. مصطفى وادريم²، ذ. رشيدة المرابط³

¹ طالب باحث بسلك الدكتوراه جامعة الحسن الثاني كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية chaoui23@gmail.com

² أستاذ التعليم العالي جامعة الحسن الثاني كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية ouadrim11@gmail.com

³ أستاذة التعليم العالي جامعة الحسن الثاني كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية

Laboratoire Dynamiques des Espaces et des Sociétés, Faculté des lettres et des Sciences Humaines de
Mohammedia, Université Hassan II de Casablanca.

HNSJ, 2025, 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/17>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/68/17>

تاريخ النشر: 2025/08/01م

تاريخ القبول: 2025/07/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/07/07م

المستخلص

تُعالج هذه الدراسة ديناميكية التربة واستعمالاتها الزراعية بمنطقة الحجة (جماعة بني يخلف) من خلال مقارنة منهجية تجمع بين العمل الميداني، واستطلاع آراء الفلاحين، والتحليل المجالي باستعمال نظم المعلومات الجغرافية (QGIS). تم تصنيف أنواع التربة وتحديد أنماط الاستغلال الزراعي اعتماداً على بيانات ميدانية تم جمعها خلال موسمي 2022 و2023. أظهرت النتائج أن الزراعة البورية تسود المجال بفعل محدودية الموارد المائية وملوحتها، كما أن زراعة الحبوب تشكل النشاط الرئيسي، في حين يظل استعمال الأسمدة ضعيفاً بسبب ضعف الإمكانيات وارتفاع التكاليف. خلصت الدراسة إلى أن الضغط العمراني وتدهور التربة يهددان الاستدامة الزراعية، مما يتطلب تدخلاً تخطيطياً عاجلاً.

الكلمات المفتاحية: ديناميكية التربة، الزراعة، المدخلات الزراعية، نظم المعلومات الجغرافية، المحمدية.

RESEARCH TITLE

Soil Dynamics and Their Agricultural Uses in the Hajba Area (Beni Yakhlef Commune – Mohammedia)

Abstract

This study investigates soil dynamics and agricultural land use in the Hajba area (Beni Yakhlef Commune) using a multidisciplinary approach that combines field surveys, farmer interviews, and spatial analysis through GIS tools (QGIS). Soil classification, land use patterns, and water resource availability were assessed based on empirical data collected during the 2022–2023 agricultural seasons. The findings show that rain-fed agriculture dominates due to limited and saline groundwater. Cereal crops are prevalent, while fertilizer use remains low due to economic constraints. The study warns of growing urban pressure and soil degradation, urging strategic planning to safeguard agricultural sustainability.

Key Words: Soil dynamics, agriculture, agricultural inputs, geographic information systems, Mohammedia.

1. مقدمة:

تُعرف التربة بأنها نظام مفتوح، مسامي، غير متجانس ومتغير، يشغل الجزء السطحي من القشرة الأرضية التي تغطي معظم سطح اليابسة. وقد تشكلت التربة على مدى ملايين السنين، وتضم مزيجاً من المواد العضوية والمعدنية، بالإضافة إلى بعض العناصر الدخيلة التي قد تكون نافعة أو ضارة. وتُعد التربة ركيزة أساسية للحياة البشرية، إذ تمثل قاعدة للإنتاج الزراعي، ومصدراً لغذاء الإنسان وكسائه وأسباب بقاءه. (Brady & Weil, 2016)

أدى تزايد أعداد السكان في المدن إلى توسع عمراني كبير طال العديد من الأراضي الصالحة للزراعة، خاصة في ضواحي التجمعات الحضرية، حيث تم هذا التوسع في كثير من الحالات بشكل غير منظم نتيجة غياب التخطيط الحضري الرشيد. وقد ساهمت الهجرة القروية في مقاومة هذا التوسع، إذ إن ارتفاع عدد السكان يؤدي بالضرورة إلى زيادة الطلب على الأراضي لأغراض السكن والخدمات الأساسية.

كذلك تلعب وسائل النقل دوراً مهماً في تسريع الزحف العمراني على حساب الأراضي الزراعية، من خلال شق الطرق وبناء المنشآت والأنشطة التجارية على جوانبها. كما ساهم غياب التخطيط الحضري المتكامل، إلى جانب بعض العوامل السلوكية كالرغبة في التملك الفردي بالضواحي، في تفتت المجال الزراعي وتحويله إلى كتل عمرانية متناثرة (Schäffler & Swilling, 2013; NELGA, 2025).

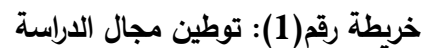
2. المجال الدراسة

تحتل جماعة بني يخلف مكانة هامة على مستوى عمالة المحمدية، وذلك لما تتوفر عليه من معطيات يمكن أن تجعل منها قطبا اقتصاديا مهما إذا تضافرت الجهود، نظرا لموقعها الجيوستراتيجي الهام بين كبريات التجمعات الاقتصادية والعمرانية للمملكة.

وتمتد الجماعة على مساحة إجمالية تبلغ حوالي 66 كلم² أي ما يقارب 6600 هكتار ويبلغ عدد سكانها 48338 نسمة. يحد جماعة بني يخلف من الشمال جماعة المنصورية، ومن الجنوب جماعة سيدي موسى الجنوب وجماعة الشلالات، شرقا جماعة فضالات غربا جماعة المحمدية ولا يفصلها عن هذه الأخيرة إلا الطريق السيار.

وقد ارتبط ظهور ونمو مركز بني يخلف بتداخل عدة عوامل جعلت منه مجالا لتوسع عمراني مهم، من أهمها توفر المنطقة على معطيات اقتصادية مهمة، إضافة إلى سهولة المواصلات. كما أن تواجدها في المحور الاقتصادي المتروبولي الرابط بين القنيطرة و الجديدة ساهم في تنمية اقتصاد المنطقة وجعلها مركز جذب من مختلف المراكز الحضرية و القروية، و كان يسمى مركز بني يخلف في الماضي باسم " اللويزية " نسبة إلى يهودية تدعى " لويزة "، كما عرفت أيضا بسان دي فضالة عندما أنشأت سلطات الحماية قرية استعمارية و لما استقل المغرب أطلق اسم اللويزية على المركز ثم قرر المسؤولون في أواخر السبعينيات من القرن العشرين تغيير هذا الاسم ليصبح بني يخلف.

كانت الجماعة تابعة إداريا لعمالة الدار البيضاء، وبعد إحداث إقليم بن سليمان سنة 1977، انضمت جماعة بني يخلف إلى النفوذ الترابي لهذا الأخير، إلا أنه إثر التقسيم الجماعي الذي عرفه المغرب، تفرعت عن جماعة بني يخلف (الجماعة الأصلية) جماعة أخرى هي جماعة المنصورية، هذه الأخيرة ظفرت برصيد عقاري وغابوي وسياحي هام أثر سلبا على مداخل الجماعة الأم، وألحقت جماعة بني يخلف إداريا بعمالة المحمدية لسنة 2003.



3-1 طبوغرافية جماعة بني يخلف

2-3 الخصائص المناخية للمجال المدروس

كما تعرف التساقطات تفاوتاً موسمياً واضحاً، إذ تتركز غالبية الأمطار في أشهر فصل الشتاء، بينما تكاد تنعدم في فصل الصيف. ففي شهر دجنبر، على سبيل المثال، تُسجل حوالي 38.5 ملم، في حين لا تتجاوز 3 ملم خلال أشهر الصيف، كما هو مبين في (المبيان رقم 2).

وتشهد المنطقة أيضاً تغيرات بيسنوية لافتة في كميات الأمطار، بحيث تتعاقب سنوات مطيرة مع أخرى شبه جافة. فقد سُجلت خلال سنة 1996 تساقطات هامة بلغت 831.8 ملم، في مقابل 121.7 ملم فقط سنة 1998، مما يؤكد الطابع المتذبذب للمناخ المحلي (السلوي، 1997).

3-3 البنية الجيولوجية:

يضم المغرب عموماً على مستوى التشكيلة الجيولوجية بروزات صخرية قديمة مرتبطة بالدرع الإفريقي، والتي تظهر بشكل واضح في الأطلس الكبير والصغير. كما يضم أيضاً تشكيلة جيولوجية تعود للزمن الثاني تنتشر في الأطلس المتوسط، ونجد أيضاً أشكالاً تعود للزمن الثالث بالشمال وهي الوحدة الألبية لجبال الريف، أما بالنسبة للمجال المدروس فهو ينتمي إلى الميسيطا الساحلية وهي وحدة شاسعة تتميز أساساً بعودة بروز القاعدة القديمة، تقع الميسيطا الساحلية بين الهضبة الوسطى والمحيط الأطلسي، وهي عبارة عن مجموعة من الهضاب السفلى المنحدرة في اتجاه الساحل الأطلسي، وتمتد من منطقة الصويرة في الجنوب الغربي إلى منطقة واد الشراط في الشمال الغربي، توجد منطقة المحمدية بين هذه المجموعة من الهضاب حيث يعبرها واد المالح وواد النفيفيخ، وتحدها منطقة ابن سليمان وبوزنيقة في الشرق والشمال الشرقي، والمحيط الأطلسي من الشمال الغربي إلى الجنوب الغربي، ومنطقة الدار البيضاء والشاوية السفلى من الجنوب الغربي إلى الجنوب الشرقي، التنوع الطبوغرافي لمنطقة المحمدية يتميز بتغير معالم السطح من الانبساط إلى التموج (ظهور كتبان متصلة ممتدة من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي) وبانحدار عام في اتجاه البحر، هذا التنوع الطبوغرافي يقابله تنوع بنيوي حيث يتكون الأساس الجيولوجي من تعاقب مقعرات متهللة تحمل رواسب متفاوتة السمك، ومحدبات تبرز فيها القاعدة أو تغطيها تكوينات حديثة. تنتمي هذه المنطقة من الناحية البنيوية إلى المحذب المركب الدار البيضاء الممتد من منطقة الدار البيضاء إلى منطقة واد الشراط، ويتكون هذا المحذب من صخور أولية تأثرت بالحركات الهرسينية التي وجهت معالم الترسيب في العصور الجيولوجية اللاحقة.

تعددت الأبحاث حول الميسيطا الساحلية ومن بينها (Destombes- jeannette G. Beaydet 1966 ; H. Ghanem 1981 ; 1980)، بالإضافة إلى كل من (نافع رشيدة 1987، عبد الرحمان العثماني 1988)، التي تشكل المراجع الموجهة للدراسات المرتبطة بالبنية والتضاريس والتطورات الجيومورفولوجية والمورفوترايبية والمشاكل التي يطرحها المجال.

هذه الدراسات ربطت ظهور مسطحة بنسليمان المورفوبنيوية داخل القاعدة الكامبو - اوردوفيسية بالحركات البنائية للإنتهاضات الهرسينية التي شكلت بنية إلتوائية مشوهة بشبكة من الانكسارات المعقدة، والتي منحنت السطح - زمن البيئات السحيقة - تضرراً شديداً تحكم بشكل أو بآخر في الآليات التطورية اللاحقة، حيث ساهمت عمليات الرفع التكتونية وما رافقها من تشوهات موازية، في غياب أو ضعف الإرسابات الغمرية الثنائية والثالثية من جهة، وفي تنشيط التعرية الجيولوجية التي عملت على تعديل تلك الأشكال المورفوبنيوية، انتهت بتسطيح شبه الكلي للمجال من جهة أخرى، والتي لم تسلم منها إلا شذرات من بقايا طيات من الصخور الكوارتزيتية الصلبة، والبارزة حالياً في شكل قمم شاهدة. هذه القاعدة القديمة تتطبع فوقها أشكال هيدروغرافية مغلقة ورتيبة تجسدها من جهة، كثرة الضايات المولدة لسلوك الاحتقان والميهية وتركز أكاسيد الحديد، ومن جهة أخرى بوجود بعض المجاري المائية الخائفة ضعيفة المدى، التي تخترق مواد النشر الفيلافرنشية والمواد الفتاتية المحركة محلياً وبسمك ضعيف وتتأفري مع القاعدة الأولية.

هذا المجال البنيوي يتهدل في اتجاه الجنوب الغربي عند إلتقاءه بالهوامش الشمالية للكرابن القديم برشيد-الكاره، وهو ما سمح بتوغل أغمار بحرية ضحلة، خلفت طبقات رسوبية بسيطة من الطين الأحمر والبازلت الترياسي الهش، تعلوهما طبقة كلسية بليوسينية (G. Beaudet (1969).

3-4 الخصائص الترابية

تُعدّ التربة جسماً طبيعياً هشاً ثلاثي الأبعاد، يمتلك مساحة وسمكاً، ويغطي بطبقة رقيقة السطح العلوي للقشرة الأرضية. وتمثل وسطاً مركباً يتكون من عناصر معدنية، وأخرى عضوية، بالإضافة إلى المحاليل. وتنشط داخل هذا الوسط الديناميات البيوجينية، كالنفسخ، والتحلل، والنشاط الإحيائي.

تتشكل المادة المعدنية نتيجة لتفكك الصخرة الأم تحت تأثير العوامل المناخية والأحياء الدقيقة، بينما تنتج المادة العضوية عن تحلل بقايا الكائنات الحية النباتية والحيوانية، حيث يؤدي ذوبها وتفككها إلى تكوين الدبال (humus) ويسفر تفاعل العناصر المعدنية والعضوية عن إنتاج مركبات معقدة تُعرف بالمركبات المعدنية-العضوية، التي تشكل أساس البنية الترابية.

وتتخلل التربة دينامية محاليل المياه، التي تساهم في إعادة توزيع العناصر الكيميائية عبر عمليات التحريك العمودي والأفقي، مما يؤدي إلى تنظيم هذه العناصر ضمن بنية أفقية دقيقة تُعرف بالمسكات أو الآفاق الترابية.

(رشيدة نافع، محمد أزهار، عبد الرحيم وطفة، 2019)

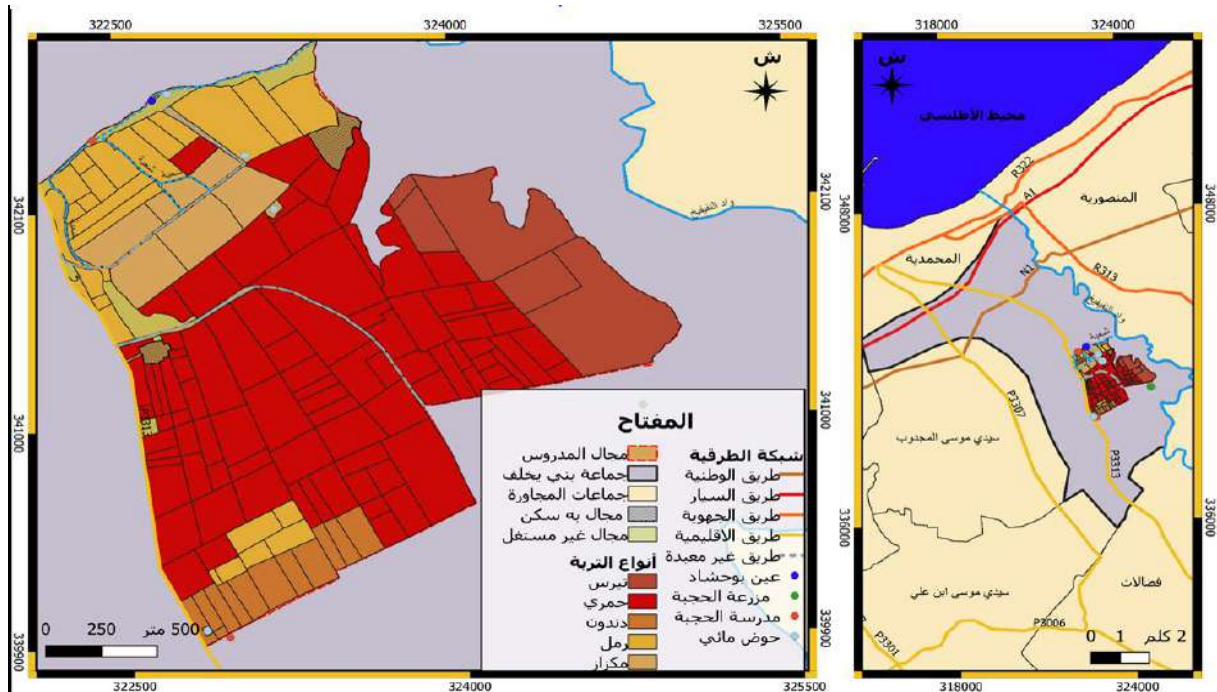
أكسبت دينامية التشكيل والترب، خلال الفترة الباليورباكية وما واکبها من تذبذبات مناخية، تنوعاً ترابياً كبيراً (المختار الأكل 2001)، وهي كالتالي :

تربة متحسلة حمراء التي يقصد بها التربة الحمراء السفحية المتواجدة في مختلف الفسحات التي تغطي سفوح الطين الترياسي، وهي تتميز بغناها بالحديد الي يمنحها الاحمرار، وهي ذات حموضة قليلة بالسطح، كما ترتفع بها نسبة المادة العضوية.

تربة ضعيفة التطور وهي تربة ذات تطور ضعيف، مسكاتها غير واضحة، توجد فوق السفوح والقمم المعرضة للتعرية، كما تتواجد فوق التوضعات الريحية والنهرية والسفحيات المنتمية للرباعي الحديث، تمثل تربة حديثة وأحياناً متجددة، لا تسمح ظروفها الطبغرافية أو المناخية بتطورها بصفة مستمرة ومتوازنة، هذا ما يجعل قطاعها ذات سمك ضعيف.

التربة المتحسلة الصفراء هي في الأصل تربة متحسلة حمراء، لكنها ونتيجة الغمر المائي تعرضت لتأكسد جزيئات الحديد بها، مما أدى إلى فقدانها للونها الأحمر. في ضوء ما سبق، يتبين أن مختلف السحنات والسفحيات الهشة المميزة لمنطقة بني يخلف، تغطيها أصناف ترابية مهمة ومتنوعة، كالتربة المتحسلة الحمراء والصفراء والتربة الميهية والتربة ضعيفة التطور، هذه الغطاءات الترابية الواقية، من شأنها إضفاء نوع من الاستقرار القاعدي للتكوينات الجيولوجية، إلا أن دورها قد يتراجع في حالة عدم استحضار خصوصياتها أثناء عملية الاستغلال الفلاحي.

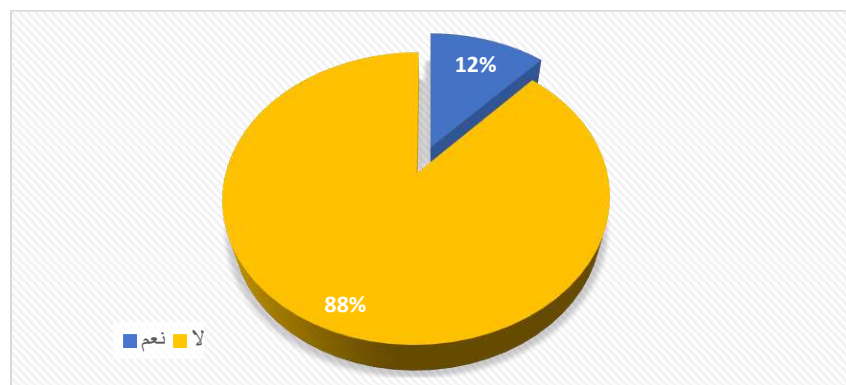
- ✓ تربة التيرس: تتركز بجنوب الشرقي للمجال المدروس وخصوصا بجنابات واد النفيفيخ، وتغطي ما نسبته 4% من مساحة الأراضي الزراعية.
- ✓ تربة المكزاز: تغطي حوالي 5% من مجموع الأراضي الزراعية بالمنطقة، وتتواجد بالشمال الغربي للمجال المدروس.
- ✓ تربة الرمل: يمثل هذا النوع من التربة 19% من مجموع الأتربة يتواجد بأقصى الشمال وجنوب الغربي.



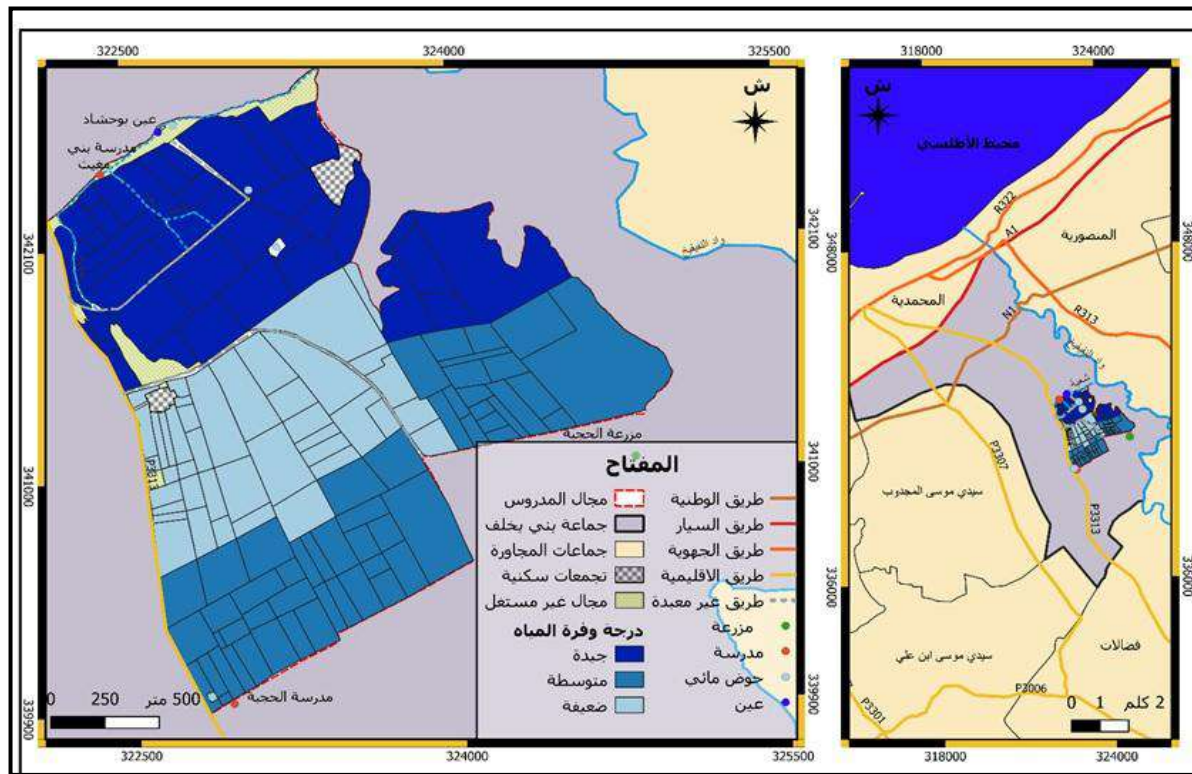
خريطة رقم (3) أنواع التربة بمنطقة الحجة حسب رأي الفلاحين

وضعية الموارد المائية

تعرف منطقة الحجة عموما وضعا ضعيفا إلى متوسط فيما يخص توفر الموارد المائية، نظرا لتذبذب حجم الواردات السنوية من سنة لأخرى ذلك لتوالي سنوات الجفاف، توجد في مجال الدراسة عين بوحشاد التي تعتبر من أهم روافد واد النفيفيخ، الذي يتميز بجريان موسمي، يجري انطلاقا من الجنوب الغربي في اتجاه الشمال الشرقي، وتختلف الوضعية المائية لكل مشارة عن أخرى، كما يتضح في (الشكل رقم 11)، وذلك راجع لعدة عوامل؛ منها ما هو طبيعي مثل: عمق الفرشة المائية الباطنية، القرب أو البعد من مجرى الواد، وما هو مادي المتمثل أساسا في القدرة على إنشاء بئر أو خزان للمياه، ذلك ما يفسر ضعف توفر كل فلاح على بئر الخاص.



مبيان رقم 2 رسم بياني يمثل نسبة التوفر على الآبار بمنطقة الحجة
عمل ميداني أبريل 2023



خريطة رقم (4) أنواع التربة بمنطقة الحجة حسب رأي الفلاحين

يبين (المبيان رقم 2) ما وضحناه سابقا، في انعدام القدرة عند أغلب الفلاحين على امتلاك بئر لسقي وتطوير نشاطهم الزراعي والرفع من مردوبيته، حيث يمثل من يمتلك بئرا إلا 12% من إجمالي عدد الفلاحين بالمنطقة، كما أن أغلب آبار المنطقة تتوفر على مياه مالحة (شلوقي)، يتراوح عمق هذه الآبار ما بين 50 و 90 مترا، يرجع تاريخ حفر أغلبها إلى فترة الحماية الفرنسية، ويستعمل أغلب الفلاحين في استخراج المياه باعتماد على غار البوتان نظرا لكلفته المنخفضة نسبيا.

1. استعمالات التربة بمنطقة الحجة

من خلال هذا المحور سوف نقوم بعرض وتحليل نتائج بحثنا الميداني، عبر التركيز على استعمالات الإنسان لهذه الثروة الطبيعية المتمثلة في التربة، وخصوصا الاستعمالات الزراعية، حيث أن المنطقة تتوفر على طبغرافية شبه منبسطة، وفرشة مائية لا بأس بها تساعد في توفير المتطلبات الأساسية للأنشطة الفلاحية، في هذا الصدد سنتطرق لدراسة أنواع المزروعات وطرق السقي إضافة إلى الأساليب المستعملة لتحسين الإنتاج، وأسباب تراجع المساحات الزراعية بمنطقة الحجة.

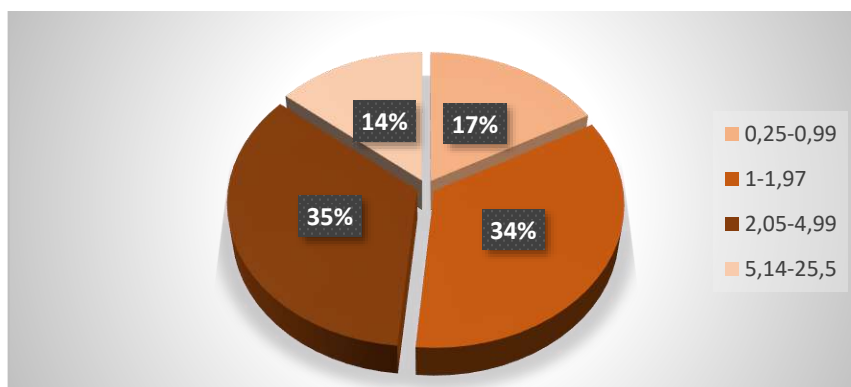
1.1 الزراعة بالحجة

تعد الزراعة أحد النشاطات الاقتصادية الرئيسية التي تسهم في الاقتصاد الوطني، حيث عرفت تطورا مستمرا عبر التاريخ، من حيث الأدوات المستعملة في الحرث والحصاد، ومن حيث نوع المزروعات، كذلك من حيث الطرق والأساليب المستعملة، إضافة إلى أنها تعتبر أهم الأنشطة الاقتصادية، باعتبارها توفر فرص الشغل، والمساهمة في الرفع الناتج الإجمالي الخام للدول، إلا أنها تكتسي أهمية أكبر من ذلك فيما يخص توفير الأمن الغذائي للسكان.

نظرا لتوفر المنطقة على ظروف ملائمة، فقد توطنت فيها الزراعة منذ القدم، ومن خلال دراستنا للميداني قمنا بجرد عدد من العناصر المهمة في النشاط الزراعي وذلك خلال موسمي سنة 2022 و 2023، من قبيل مساحة المشاركات الزراعية، ونوع وصنف المزروعات التي تتميز بها منطقة الحجة.

1.1.2. حجم المشارات الزراعية بالحجة

بناء على العمل الميدان المنجز، واعتمادا على المعالجة ببرنامج نظم المعلومات الجغرافية (QGIS)، تم إنتاج خريطة تمثل حجم المشارات الزراعية بالهكتار لمنطقة الحجة، الممثلة في (الشكل رقم 13)، ولتسهيل قراءة هذه الخريطة يمكننا الاستعانة ب(المبيان 3)، فبعد قراءتنا لهذه الخريطة نلاحظ هيمنة الفئة الأولى ذات اللون البرتقالي الداكن الذي يمثل المشارات ذات مساحة ما بين 2.05 و 4.99 هكتار الذي يغطي 47 مشاركة زراعية، حيث أنها تمثل ما يعادل 35% من المجموع العام للمشارات، وهي تتوزع على كامل المجال المدروس مع شبه تركيز بالشمال، تأتي الفئة الثانية التي تمثل المشارات ذات مساحة تتراوح ما بين 1 و 1.97 هكتار لتغطي ما نسبته 34% من عدد المشارات أي ما يعادل 46 مشاركة، تتركز بالأساس في كل من الشمال الشرقي والجنوب الغربي قليل منها بالوسط، في حين أن الفئة الثالثة التي تمثل المشارات ذات مساحة ما بين 0.25 و 0.99 هكتار، تعادل 17% من حجم المشارات الزراعية بمنطقة الحجة، أي ما يساوي 23 مشاركة، تتركز أساسا في مناطق الشمال الغربي و الجنوب الشرقي في الأخير الفئة الرابعة التي تمثل المشارات ذات مساحة ما بين 5.14 و 25.5 هكتار، تعادل 14% من حجم المشارات الزراعية، أي ما يساوي 19 مشاركة، تتركز أساسا في مناطق الشمال الغربي و الجنوب الشرقي .



مبيان رقم 3: رسم بياني يمثل نسبة توزيع المشارات حسب المساحة بالهكتار

المصدر: عمل ميداني أبريل 2023

. الإنتاج الزراعي حسب الموسم (2021 - 2022)

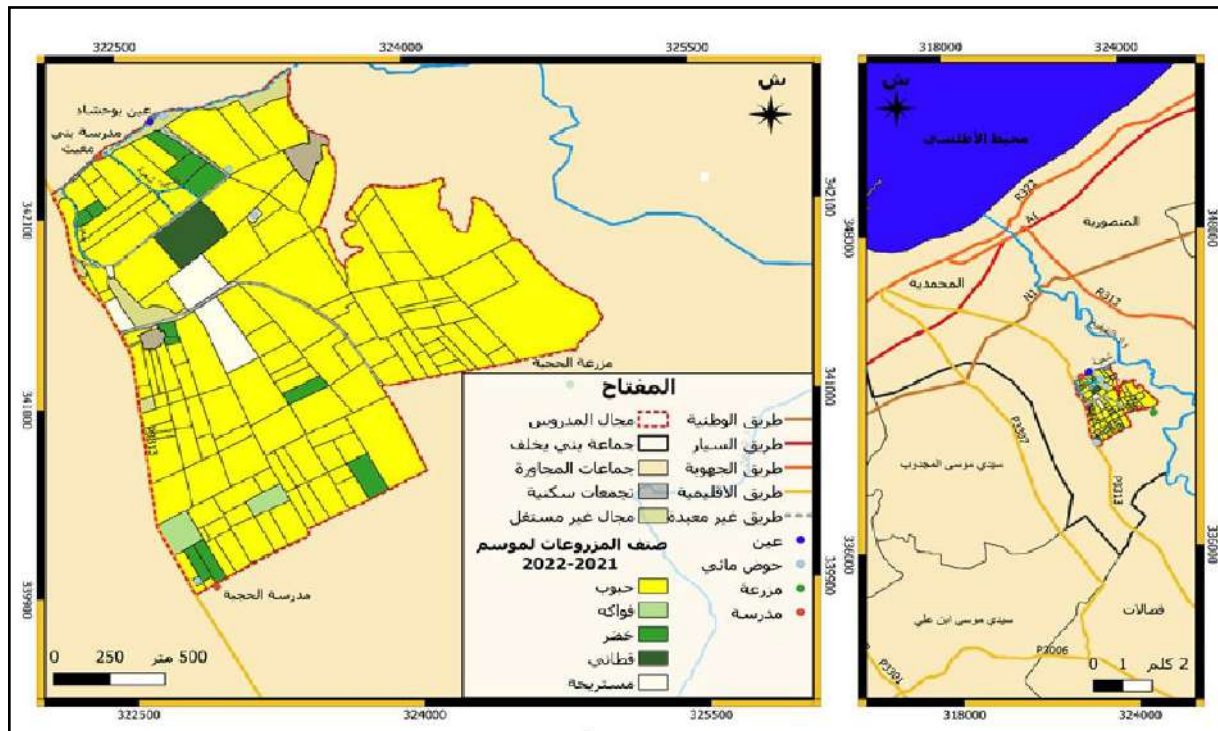
تم الاعتماد على الفلاح لمعرفة صنف ونوع المزروعات التي كانت تشغل المشاركة الزراعية المستغلة خلال الموسم الفلاحي 2022، وبناء عليه تم إنتاج كل من خريطة (الشكل رقم 14) التي تمثل خريطة توزيع أصناف المزروعات التي تتواجد بمنطقة الحجة، و(الشكل رقم 15)، التي تمثل خريطة أنواع المزروعات لنفس الموسم، بعد دراستنا للخريطتين يتبين أن لدينا أربعة أصناف يمكن تفصيلها في الآتي:

صنف الحبوب: يطغى على الأصناف الأخرى حيث يمثل ما يقارب 90% من مجموع الأراضي المستغلة زراعيًا خلال موسم 2022، كما أنها تتركز بجل المجال المدروس، يغلب على الحبوب نوع الشعير وهو يمثل ما يزيد عن 45% من الأراضي التي يشملها صنف الحبوب، في حين يأتي الخرطال بنسبة 30% ثم ترتيكا بنسبة 13% والفريفة بنسبة 9% وفي الأخير الذرة بنسبة 0.8%.

صنف الخضر: يأتي في المرتبة الثانية وهي تمثل ما يقارب 8% من مجموع الأراضي الزراعية، تتوطن بمناطق الشمال الغربي والجنوب الغربي، حيث تعرف ثلاث أنواع، وتشمل هذه الأنواع (السلواي بدرجة أولى، ومن ثم الطماطم، وأخيرا البطاطس) .

صنف الفواكه: يأتي في المرتبة الثالثة بنسبة 1.5% من المساحة الإجمالية المستغلة برسم الموسم نفسه، تتواجد بالجنوب الغربي، وتشمل هذه الفواكه نوع واحد فقط هو العنب.

صنف القطني: ويأتي هذا الصنف في المرتبة الأخيرة بنسبة 0.5% من مجموع الأراضي الزراعية المستغلة، يتركز بالشمال، ويتشكل من نوع واحد فقد (القول).



خريطة رقم (5) أنواع التربة بمنطقة الحجة حسب رأي الفلاحين

في حين تمثل الأراضي المستريحة ما نسبته 3% من المجموع العام للأراضي الزراعية، وتبقى هذه النسبة ضعيفة، ذلك راجع إلى أن مستغلي هذه الأراضي هم فقط يقومون بكرائها.

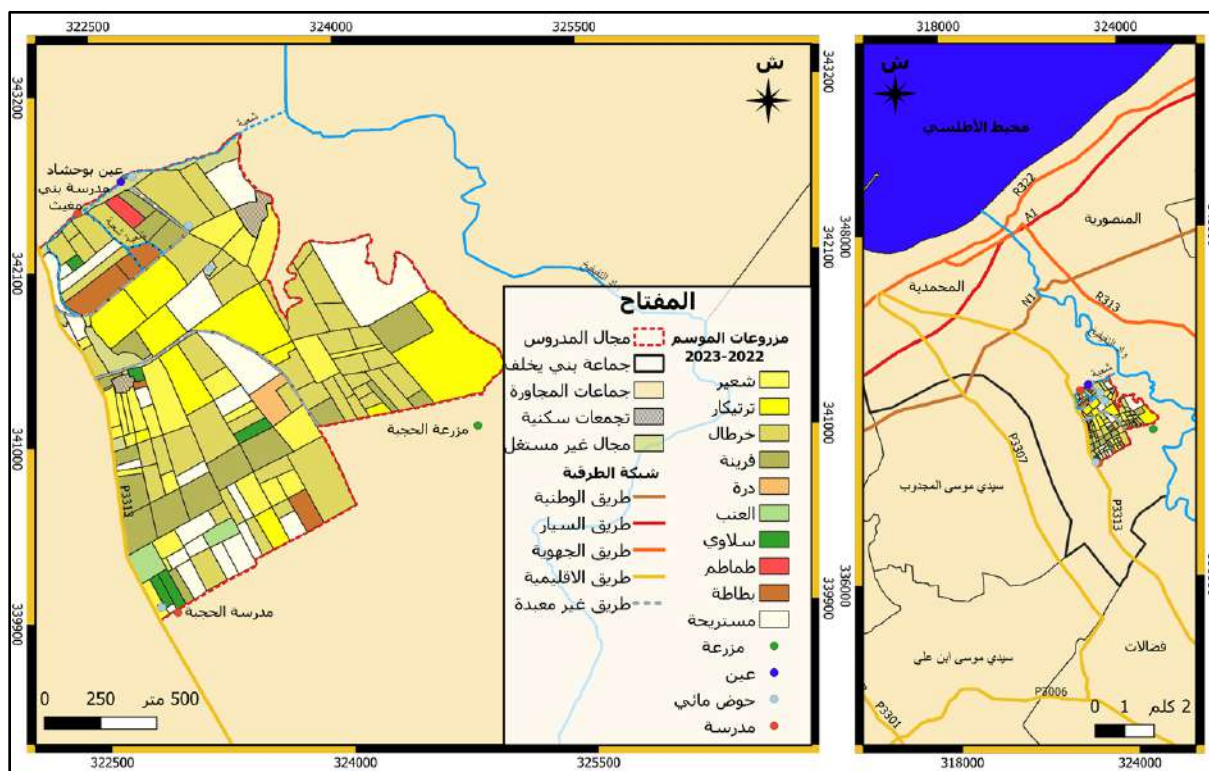
الإنتاج الزراعي حسب الموسم (2022-2023)

مواصلة لما سبق في دراستنا للزراعة بمنطقة الحجة، واستمرارا لاستثمارنا للمعطيات التي وفرناها من خلال العمل الميداني، قمنا بإنجاز خريطة (الشكل رقم 16) تمثل أصناف المنتوجات الزراعية بالمنطقة للموسم الحالي 2023، وخريطة (الشكل رقم 17) تمثل أنواع المزروعات بالموسم الحالي 2023، ومن خلال دراستنا للخريطتين سنقسم أصناف المزروعات حسب كل صنف على حدة فيما يلي:

صنف الحبوب: تتركز بجل المناطق المجال المدروس، يستحوذ على ما يقارب 75% من مجموع الأراضي الزراعية المستغلة، ويشمل نوع الخرطال لوحده نسبة 46% (صورة رقم 1)، ثم يأتي الشعير ثانيا بنسبة تقارب 26% من المساحة المخصصة للحبوب، فيما مساحة المخصصة للفرينة تأتي بنسبة 15% من المساحة الإجمالية المخصصة للحبوب وثم الترتيكار بنسبة 10% وفي الأخير تأتي الذرة بنسبة ضعيفة 1%.

صنف الخضر: والتي تغطي 7% من مجموع الأراضي الزراعية بالمنطقة، يتواجد أغلبها بالشمال الغربي والجنوب الغربي، تتميز هذه الخضر بثلاثة أنواع حيث تشمل كل من، السلاوي (صورة رقم 2)، ثم البطاطس (صورة رقم 3)، بالإضافة إلى طماطم (صورة رقم 4).

صنف الفواكه: تعتبر الفواكه من أقل الأصناف الزراعية انتشارا بمنطقة الحجة، حيث أنها تغطي إلا أقل من 1% من المساحة المستغلة زراعيًا، وتنفرد خلال هذا الموسم بنوع العنب فقط بالشمال الغربي من مجال الدراسة. (صورة رقم 5)



خريطة رقم 6: أنواع التربة بمنطقة الحجة حسب رأي الفلاحين

هذا وتستحوذ الأراضي الزراعية المستريحة على ما نسبته 17% من مجموع الأراضي الزراعية بمنطقة الحجة خلال موسم 2023، حيث أنها تترك فارغة بغرض إراحتها، والتي غالبا ما تستخدم لرعي الماشية. (صورة رقم 6)

2.2. وسائل وآليات تحسين الإنتاج

عرفت وسائل وآليات وطرق الزراعة تقدما مهما ولا تزال في تطور مستمر، خصوصا مع التقدم التكنولوجي الذي يعرفه العالم اليوم، التي يكون الهدف منها تحسين والرفع من المردودية الإنتاجية لتلبية حاجيات البشرية والحيوانية، لكن بالرغم من ذلك يبقى السقي والتسميد وطرق اقتناء البذور من أهم الوسائل المستعملة لتحسين الإنتاجية الفلاحية بمنطقة الحجة.

1.2.2. طرق السقي

يبقى سقي المحاصيل الزراعية من أقدم الوسائل المستعملة لتحسين المردودية والرفع من الإنتاج، خاصة خلال الفترة الاستعمارية، وذلك لملائمة الظروف العامة السائدة بمنطقة وعندما تتأخر التساقطات المطرية، التي تستلزم التدخل عن طريق السقي لسد الحاجيات من الماء، كما يبقى استعمال هذه التقنية رهين بعدة عوامل منها توفر الموارد المائية، والإمكانيات المادية التي من دونها لا يكون باستطاعة الفلاح اقتناء التجهيزات اللازمة لتوفير أفضل الآليات المستعملة في السقي.

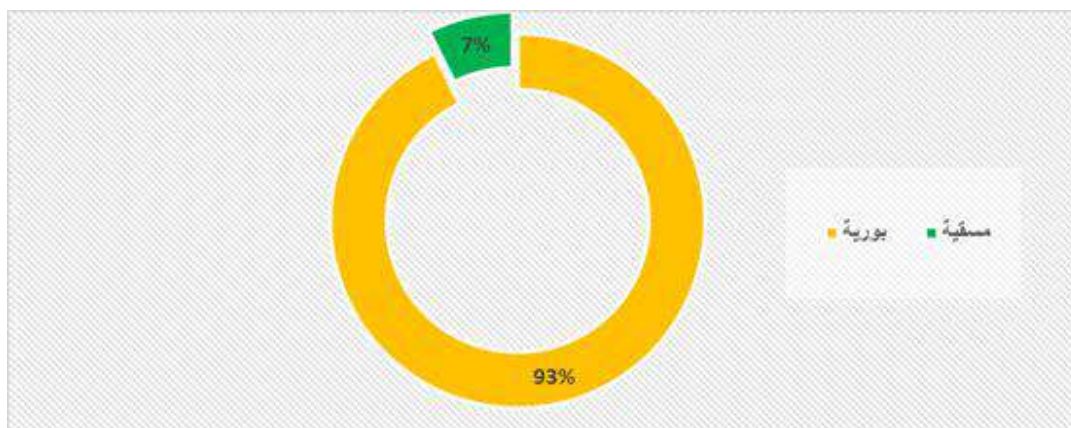
من خلال عملنا الميداني بمنطقة الحجة، يتضح لنا أن ما يعادل 97% من مجموع الفلاحين لا يتوفرون على البئر الذي يوفر لهم المورد المائي، كما أن النسبة التي تتوفر على هذه المنشأة المهمة في النشاط الفلاحي، تمتلك تجهيزات الحديثة

المعتمدة في السقي وتوفير الماء، من بين هذه الطرق استعمال السقي بالتنقيط (الصورة رقم 1) وهي من الطرق العقلنة لتوفير المخزون المائي في ظل ندرة التساقطات والجفاف بالمنطقة. حيث تبقى نسبة قليلة من الفلاحين تعتمد على تقنية للسقي بالتنقيط. مرد ذلك إلى كلفته المرتفعة.



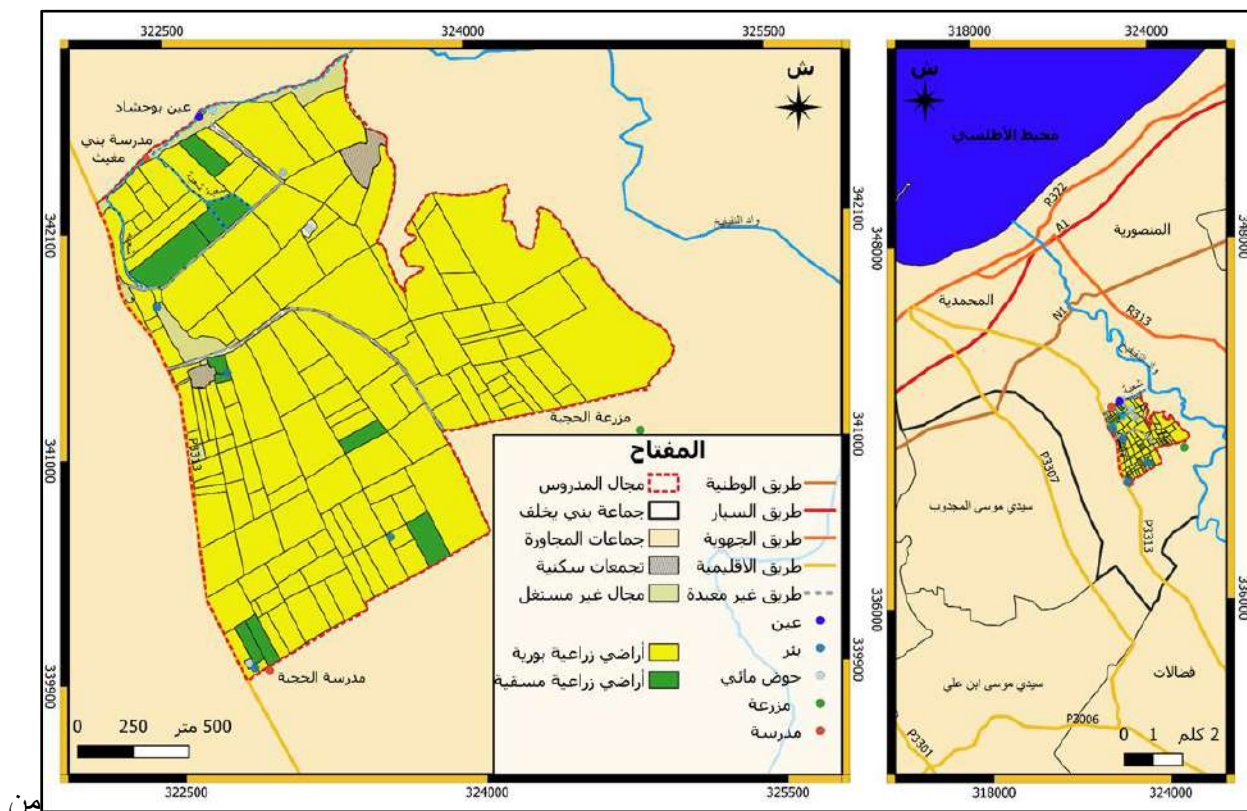
صورة رقم (1)

اعتمادا على (المبيان رقم 4) يتبين لنا أن نسبة المشارات المسقية لا تمثل إلا 7% من مجموع المشارات الزراعية المستغلة، والتي في الغالب ما تكون تشغل صنف الخضر، فيما تمثل المشارات البورية ما يعادل 93% من الأراضي الزراعية حيث انه يطغى عليها زراعات الحبوب.



مبيان رقم 4: رسم بياني لنسبة الأراضي حسب نظام السقي

عمل ميداني أبريل 2022



خريطة رقم (7) أنواع التربة بمنطقة الحجة حسب رأي الفلاحين

خلال ملاحظتنا لخريطة (الشكل رقم 18)، التي تمثل توزيع نظام السقي بكل مشارة زراعية على حدة، وكذلك توطين الآبار بمنطقة الحجة، يتبين أن أغلب المشارات الزراعية لها نظام سقي بوري أي أنها تعتمد على التساقطات المطرية فقط، في الغالب من الأحيان الاستغلال المهمين على هذا النوع من الأراضي الزراعية هو الحبوب (الشعير، الخرطال)، كما أن هذه المشارات تتركز بجل مناطق المجال المدروس، هناك بعض المشارات التي تتوفر على بئر لكنها لا تتوفر على آلة ضخ المياه ما يقف عائقا أمام تحويلها لمشاراة مسقية واستغلالها بشكل يزيد من مردوديتها الإنتاجية، في حين بعض المشارات الأخرى هي بالأساس مشارات مسقية وتستعمل في إنتاج الخضر، لكن الفلاح قرر إراحتها عن طريق زرعها بالحبوب وهي من الطرق المستعملة كثيرا في إراحة الأراضي الزراعية بالمنطقة. (الصورة رقم 9)

. استعمال الأسمدة

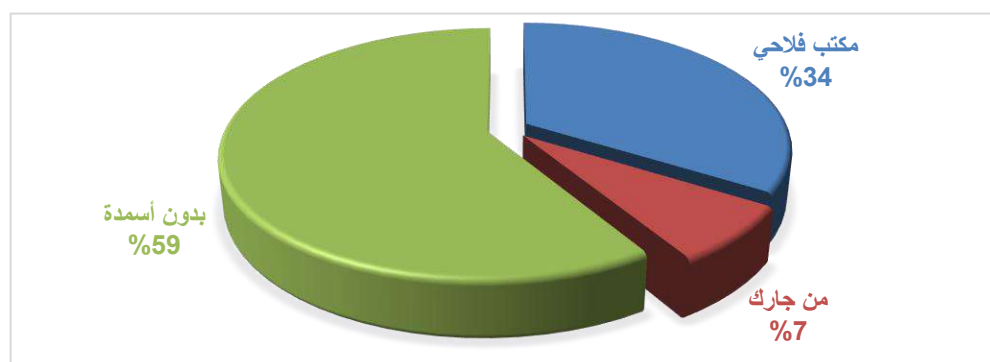
تعتبر الأسمدة من المواد الغذائية الأساسية لنمو النبات، والغرض منها هو إنتاج محاصيل وفيرة من المزروعات أصبح المزارعون يستخدمون كميات كبيرة من الأسمدة سنويا في شتى أنحاء العالم، حيث بلغت الزيادة في الإنتاج بسبب إضافة الأسمدة حوالي ربع إنتاج المحصول العالمي، ذلك لأن النباتات تحتاج كميات كبيرة من تسعة عناصر كيميائية وتسمى العناصر الكبرى وهي: الكربون، الهيدروجين، الأكسجين، الفوسفور، البوتاسيوم، النيتروجين، والكبريت، والمغنسيوم، والكالسيوم، يحصل النبات على الكربون والأكسجين من الهواء والهيدروجين من الماء، وتنقسم الأسمدة لنوعين:

الأسمدة العضوية: تشمل أساسا روث الحيوانات ومواد نباتية، تحتوي هذه الأسمدة على نسب أقل من العناصر مقارنة بالأسمدة الكيميائية، ولهذا فهي تستخدم بكميات أكبر للحصول

على محاصيل أكبر، تكون تكلفة الأسمدة العضوية أقل من الأسمدة الكيميائية، وأيضا في نفس الوقت تحل مشكلة التخلص من نفايات الحيوانات التي ليس لها استخدامات عدا إضافتها للتربة على شكل سماد.

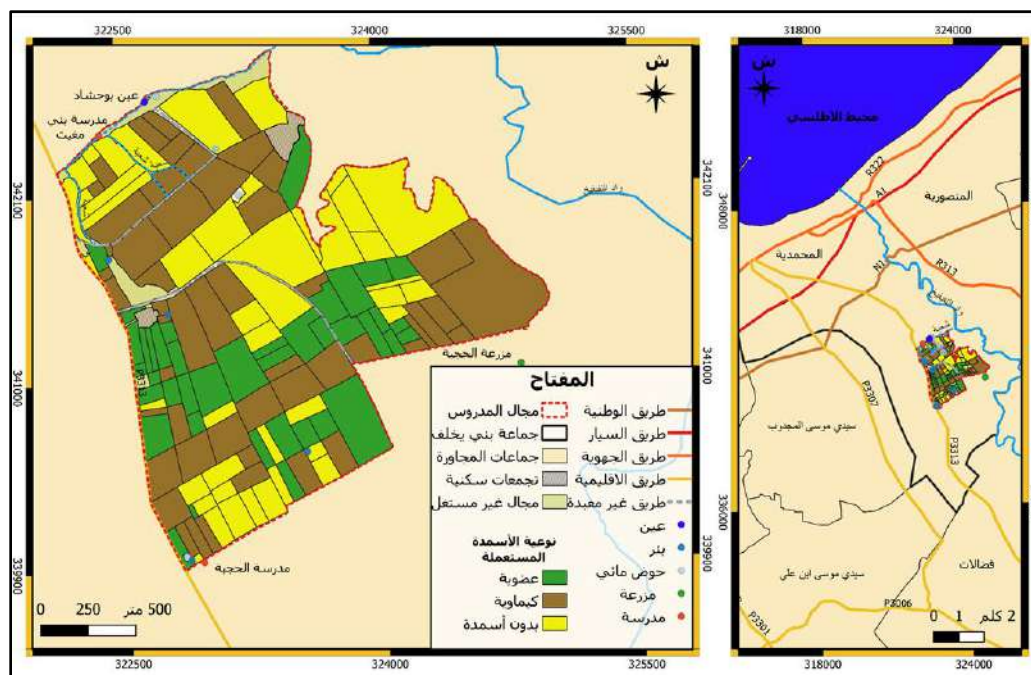
الأسمدة الكيميائية: هي عبارة عن ثلاث عناصر (النيتروجين، الفوسفور، البوتاسيوم)، مركبة مع بعضها البعض إضافة لعناصر أخرى، تشكل معا أهم حاجيات النبات، وذلك على ثلاثة مراحل مرحلة الإنبات، مرحلة النمو وتكوين الخلفات، وأخيرا مرحلة التزهير وعقد وتكوين الثمار. (منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة)

من خلال دراستنا (للشكل رقم 19) الذي يمثل خريطة المشارات حسب نوع الأسمدة المستعملة في منطقة الحجة ومنه يتضح أن 30% من الفلاحين يستعملون الأسمدة العضوية، تسود في الجنوب الغربي وأجزاء من الشمال، والتي غالبا ما تكون متوفرة لديهم من مخلفات الماشية التي يكتسبونها، ومن لا يتوفر على ماشية يقوم باقتنائها إما من جاره أو من طرف آخر، فيما تمثل نسبة الفلاحين الذين يستعملون الأسمدة الكيميائية 38% من مجموع المشارات الزراعية، تتواجد في مناطق متفرقة في الشمال والوسط بالإضافة إلى الجنوب، يتم اقتناء ما يعادل 34% منها عن طريق المكاتب الفلاحية، بينما تمثل نسبة من يقتني الأسمدة من جاره بنسبة 7% من مجموع الفلاحين، في حين تبقى نسبة 59% من مجموع الفلاحين لا يستعملون الأسمدة بمنطقة الحجة. (مبيان رقم 4)



مبيان رقم 5: رسم بياني يمثل اختيار الفلاح للأسمدة

عمل ميداني أبريل 2023



خريطة رقم (8) أنواع التربة بمنطقة الحجة حسب رأي الفلاحين

يتضح من خلال رأي الفلاحين تراجعاً مهماً في استعمال الأسمدة الكيميائية، وذلك للارتفاع الكبير في أسعارها

محليا، يرجع هذا الارتفاع إلى السوق الدولي، الذي يعرف أزمة ارتفاع معدلات التضخم عالميا، الناتج عن انخفاض المعروض من الأسمدة لأسباب تتعلق بالحرب الروسية الأوكرانية، وكذا حظر صادرات الأسمدة الذي فرضته بعض الدول، الشيء الذي أدى لتضاعف أسعار الأسمدة محليا، الشيء الذي يترك العديد من الفلاحين يستغنون عنها بصفة كاملة أو نسبية، وكذلك هناك بعض فلاحين يقومون ببراء الأراضي و هذا سبب آخر في ندرة استعمال الأسمدة الكيميائية.

خلاصة:

من خلال دراستنا وتحليل المعطيات الخرجات الميدانية بمنطقة الحجة تتوفر على خصائص ترابية غنية تتنوع بين تربة الدندون والحمري، التيرس، المكزاز، الرمل، وهذا يمنحها ميزة التنوع في إنتاجها الزراعي، الذي تتعد أصنافه من الحبوب (الشعير، الخرطال، الفرنية، التريكار والذرة)، ومن الخضر التي تتميز بتنوعها الذي يشمل كل من البطاطس، الطماطم (السلوي)، بالإضافة إلى القطني التي تهم فقط الفول، و ثم صنف الفواكه نجد نوع واحد العنب، كما أن أغلب المشارات الزراعية هي بالأساس مشارات بورية لأسباب من بينها قلة الآبار وضعف القدرة المادية للفلاحين على إنشائها، بالإضافة إلى جودة المياه التي هي في الغالب مياه مالحة، وفي أحسن تكون المياه قليلة الملوحة (شلوقي)، يعتمد الفلاح على طرق حديثة في سقي محاصيله الزراعية بحيث لا تشكل نسبة الفلاحين الذين يستعملون طرقا حديثة إلا 7% من المجموع العام، ويطغى على هذه التقنيات، تتمثل هذه التقنية السقي بالتنقيط، يستعمل أغلب الفلاحين الأسمدة الكيميائية العضوية، وبدرجة أقل يستخدمون الأسمدة العضوية يكون الفلاح في الغالب من يختار نوع وكمية الأسمدة المستعملة، ذلك طبعا بغرض الرفع من الإنتاجية، ولهذا الغرض أيضا يتم انتقاء البذور المنتقاة بدرجة أقل من بذور الموسم السابق، يتم اقتناء هذه البذور من المكتب الفلاحي، هذه المميزات التي تجعل من منطقة الحجة منطقة خصبة فلاحيا، أدى الاستغلال الزراعي الكثيف إلى ترك مخلفات من ضمنها التلوث الفلاحي الذي يؤثر على التربة وجودتها، كما سيؤثر بالطبع على الفرشة المائية الباطنية هي الأخرى، التي تؤثر بدورها على جودة الإنتاج الزراعي، ومع تزايد النمو الديموغرافي ورصيد الهجرة يتزايد معه الطلب على العقار المبنى الذي أصبح يجتاح المنطقة على حساب الراضي الزراعية، ما يؤدي لتراجع المساحات الزراعية فتتراجع كميات الإنتاج الزراعي.

لائحة المراجع

باللغة العربية:

- المختار الأكحل: (2001) دينامية المجال الفلاحي ورهانات التنمية المحلية حالة هضبة بن سليمان، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في الجغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة.
- عبد الرحمان العثماني: (1988) هضبة بن سليمان وساحل بوزنيقة، دراسة جيومورفولوجية، رسالة لنيل الدراسات العليا في الجغرافية الطبيعية، جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.
- رشيدة نافع: (1987) دراسة جيومورفولوجية لهضبة سيدي بطاش، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في الجغرافية، جامعة محمد الخامس كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط. رشيدة نافع: (1997) الخصائص الطبيعية لمنطقة المحمدية - مدينة المحمدية ومحيطها البيئي - سلسلة ندوات رقم 5 كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية.
- محمد صباحي: (2014) محاضرات في الجغرافية الطبيعية " كلية الآداب والعلوم الإنسانية تطوان.
- محمد الصباحي: (2012) قراءة مختصرة لمناخ المغرب، كلية الآداب، تطوان.
- أسماء بوعوينات: (2021) الفصل الرابع، وحدة جغرافية المغرب العامة (غير منشور).
- معطيات جيولوجية لمنطقة المحمدية لسنة 1960.

- عادل حدية: (2019) ، تقييم أثر الاستعمالات الرعي- زراعية في التصريف الهيدرولوجي والتعرية المائية بهضبة بنسليمان، أطروحة دكتوراه.
 - المكتب الجهوي للاستثمار الدار البيضاء-سطات 2022.
 - عبدالصمد كندول: 2021/2020، الفصل الأول من رسالة نيل شهادة الماستر حول الآثار البيئية والسوسيو اقتصادية لمطرح مديونة.
 - بوشعيب السالك: 2007-2008، الوضع المائي بالمغرب: حالة الحوض المائي أبي رقرق الشاوية ابن سليمان، من رسالة نيل شهادة الماستر.
 - مبروك صباح: (2020-2019)، التأثيرات البيئية والصحية للمطرح الوسيطة للنفايات ومسألة التدبير (حالة المطرح المراقب بجماعة بني يخلف)، من رسالة نيل شهادة الماستر.
 - الإحصاء العام للسكان والسكنى، 23 ابريل 2015، الجريدة الرسمية عدد 6345.
 - الموقع الرسمي للمندوبية السامية للتخطيط، <https://www.hcp.ma>
 - الموقع المركز الوطني للمعلومات البيئية، <https://www.ncdc.noaa.gov>
 - منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة، 2023.
 - صور الأقمار الاصطناعية عبر برنامج EARTH GOOGLE.
- باللغة الفرنسية:

- Abdelkrim Afenzar et Rachid Essamoud, mai 2017, SEDIMENTOLOGIE DE FACIES DES DEPOTS TRIASIQUES DE LA REGION DE OUED EL MALEH ET ELGARA (BASSIN DE MOHAMMEDIA-BENSLIMANE-ELGARA-BERRECHID, MAROC.)
- Khadija Farki, Zahour Ghalem, Hassan El Hadi, Saida Alikouss, Youssef Zerhouni, Mars 2015, LES THOLÉIITES FINI-TRIASIQUES DE MOHAMMEDIA (MESETA CÔTIÈRE, MAROC) : TÉMOINS D'UN VOLCANISME DE RIFT INTRACONTINENTAL AVORTÉ

عنوان البحث

تأثير الكفاءة المهنية للفاحص الضريبي على جودة الإفصاح المحاسبي: مقارنة تحليلية في ظل نظام التقدير الذاتي

هناء بشير نورالدين بشير^{1*}، د. محمد المعتز طه²

¹ السودان - وزاره المالية والتخطيط الاقتصادي - ديوان الضرائب- الإدارة العامة للعمليات الفنية، السودان.

بريد الكتروني: Hanaatax2000@gamil.com

² السودان - جامعه النيلين - كلية التجارة، السودان. بريد الكتروني: moutaztaha2@gmail.com

HNSJ, 2025, 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/18>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/68/18>

تاريخ النشر: 2025/08/01م

تاريخ القبول: 2025/07/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/07/07م

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل أثر الكفاءة المهنية للفاحص الضريبي على جودة الإفصاح المحاسبي الضريبي عند تحديد وعاء ضريبة أرباح الأعمال في السودان، وذلك في ظل تطبيق نظام التقدير الذاتي. تركز الدراسة على تقييم قدرة الفاحص الضريبي في فحص القوائم المالية واستخلاص البيانات الضريبية بصورة دقيقة وموثوقة، وتختبر ثلاث فرضيات رئيسة تتعلق بالكفاءة المهنية وجودة الإفصاح. استخدمت الباحثة مناهج علمية متعددة، منها الاستنباطي والاستقرائي والتاريخي والوصفي التحليلي، وتم تطبيقها على دراسة حالة واقعية. خلُصت الدراسة إلى أن الكفاءة المهنية العالية للفاحص تسهم بشكل فعال في تحقيق الإفصاح المحاسبي الضريبي السليم وتقلل من النزاعات بين دافعي الضرائب وديوان الضرائب. وأوصت الدراسة برفع كفاءة الفاحصين من خلال التدريب الفني المستمر وتطوير أساليب الفحص.

الكلمات المفتاحية: الكفاءة المهنية، الفاحص الضريبي، جودة الإفصاح المحاسبي الضريبي.

RESEARCH TITLE

The Impact of the Tax Auditor's Professional Competence on the Quality of Accounting Disclosure: An Analytical Approach under the Self-Assessment System

Abstract

This study aims to analyse the impact of the tax auditor's professional competence on the quality of tax accounting disclosure in determining the taxable base for business profits in Sudan, particularly under the self-assessment system. The research focuses on assessing the auditor's ability to examine financial statements and derive accurate and reliable tax data. Three main hypotheses regarding professional competence and disclosure quality were tested. The researcher employed multiple scientific methodologies including deductive, inductive, historical, and descriptive-analytical methods, applied to a real case study. The study concluded that a high level of professional competence significantly enhances the quality of tax accounting disclosure and reduces disputes between taxpayers and the tax authority. It recommends enhancing the auditors' competence through continuous professional training and development of auditing techniques.

Key Words: professional competence, The tax examiner, quality of tax accounting disclosure.

المحور الأول: الإطار المنهجي:

تمهيد:

تعتبر الضرائب من أهم مصادر الإيرادات العامة للدولة وتلعب دوراً كبيراً في توجيه الأنشطة الاقتصادية وإعادة توزيع الدخل وتحقيق التنمية، وفي إطار الإستراتيجية العامة للدولة والرامية للإصلاح الاقتصادي الشامل تهدف إستراتيجية ديوان الضرائب للتطوير والتحسين المستمر في العملية الضريبية وذلك من خلال تبني مفاهيم الإصلاح الضريبي الشامل الذي يؤدي إلى خدمة المجتمع الضريبي وبناء جسور الثقة مع المتعاملين. تنقسم الضرائب إلى نوعين رئيسيين، ضرائب مباشرة وهي تلك الضرائب التي يتم تحصيلها من الشخص ويتحمل أعباءها مباشرة، وضرائب غير مباشرة وهي الضرائب التي لا يتحمل أعباءها من يقوم بدفعها إنما ينقله إلى شخص آخر لذلك يسعى الباحث الى الوقوف على الكفاءة المهنية للفاحص الضريبي وأثرها في جودة الإفصاح المحاسبي الضريبي عند تحديد وعاء ضريبة ارباح الاعمال في السودان.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في تعديل المعلومات المحاسبية الواردة بالحسابات المراجعة من قبل ديوان الضرائب حيث تفترض الإدارة الضريبية أن المعلومات المحاسبية الواردة بالقوائم المالية المراجعة لا تعكس بصدق وعدالة حقيقة الموقف المالي لدافعي ضريبة إرباح الأعمال وبالتالي لا تفي بمتطلبات تحديد الوعاء لضريبة أرباح الأعمال وفي الجانب الآخر يرى دافعي الضريبة أن الإجراءات والأسس المتبعة في قياس وتحديد وعاء ضريبة أرباح من واقع القوائم المالية المراجعة ليست عادلة وصحيحة.

أهمية الدراسة:

- 1- تأتي أهمية هذه الدراسة من خلال النزاعات الكبيرة التي تحدث بين الممولين وديوان الضرائب فيما يتعلق بتحديد الوعاء الضريبي لضريبة أرباح الأعمال بصورة سليمة وإيجاد الثقة المفقودة بين المتعاملين مع الديوان،
- 2- رفع الكفاءة المهنية للفاحص الضريبي وأثرها في قبول أو رفض الحسابات المراجعة والإقرارات الذاتية كأساس للحاسب الضريبي.

- 3- رفع كفاءة الفاحص الضريبي الكفاءة المهنية للفاحص الضريبي وأثرها في جودة الإفصاح المحاسبي الضريبي

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى مجموعة أهداف منها:

- 1-بيان أهمية الكفاءة المهنية للفاحص الضريبي لكل من الادارة الضريبية ودافعي الضريبة.
- 2- بيان أهمية كفاءة الفاحص الضريبي الكفاءة المهنية للفاحص الضريبي وأثرها في جودة الإفصاح المحاسبي الضريبي
- 3- دراسة أهمية الالتزام بمعايير الافصاح المحاسبية في عرض القوائم المالية.

فرضيات الدراسة:

لتحقيق أهداف الدراسة تم اختبار الفرضيات الآتية:

الفرضية الأولى:

تمكن الكفاءة المهنية للفاحص الضريبي من تحديد وعاء ضريبة أرباح الأعمال بصورة سليمة ودقيقة في ظل نظام التقدير الذاتي.

الفرضية الثانية:

القوائم المالية المعدة وفقا للالتزام بمتطلبات الإفصاح المحاسبي الضريبي تمكن الفاحص الضريبي من تقدير ضريبة أرباح الأعمال بصورة سليمة.

الفرضية الثالثة:

رفع الكفاءة المهنية للفاحص الضريبي يؤثر ايجابيا في جودة الإفصاح المحاسبي الضريبي.

منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة على مجموعة من مناهج البحث العلمي منها:

- 1- المنهج الاستنباطي: في تحديد أبعاد المشكلة وصياغتها واختيار الفرضيات.
- 2- المنهج الاستقرائي: لاختبار صحة الفرضيات.
- 3- المنهج التاريخي: لمتابعة الدراسات السابقة التي لها علاقة بموضوع البحث.
- 4- المنهج الوصفي التحليلي: بإتباع أسلوب دراسة الحالة للتحقق من فرضيات البحث.

المحور الثاني: الدراسات السابقة:

دراسة: حسن، 2008م:

تمثلت مشكلة الدراسة في ان استخدام الحاسوب في ادارة البيانات المحاسبية المحوسبة في المنشآت الخاضعة للضريبة على القيمة المضافة والتي يقوم ديوان الضرائب بفحصها ومراجعتها، أدى الى غياب مسار المراجعة وتغيير شكل المستندات والملفات التقليدية التي كان الفاحص الضريبي يعتمد عليها في عمليات الفحص والمراجعة والى صعوبة استخدام طرق المراجعة والفحص الضريبي التقليدي. اختبرت الدراسة الفرضيات الآتية: يساعد تطبيق نظم المعلومات المحاسبية المحوسبة على تخفيض تكلفة قياس وعاء الضريبة على القيمة المضافة، تؤثر نظم المعلومات المحاسبية المحوسبة قياس وعاء الضريبة على القيمة المضافة من ناحية الاجراءات والوسائل، تمكن نظم المعلومات المحاسبية المحوسبة قياس وعاء الضريبة على القيمة المضافة بصورة دقيقة. توصلت الدراسة الى عدد من النتائج منها: هنالك عدد من المنشآت المسجلة بالضريبة على القيمة المضافة تستخدم نظم المعلومات المحاسبية المحوسبة ذات البرامج الجاهزة لما تمتاز به من انخفاض التكلفة واختصار وقت التنفيذ، استخدام نظم المعلومات المحاسبية المحوسبة يقلل من الفترة الزمنية المطلوبة لعمليات قياس الوعاء الضريبي للضريبة على القيمة المضافة.

دراسة: التجاني، 2010م:

تناولت الدراسة تطبيق التقدير الذاتي وأثره على الإيرادات الضريبية حيث تمثلت مشكلة الدراسة في مشاكل تطبيق التقدير الذاتي فيما يتعلق بتحديد وعاء ضريبة أرباح الأعمال والتي تتمثل في عدم توفر المعلومات وعدم وجود معايير لاختيار الملفات ذات المخاطر العالية وتأخير تقديم التقرير مما يؤثر سلبا على الإيرادات الضريبية

دراسة: حسن، 2010م:

تناولت الدراسة تعارض بعض نصوص القوانين الضريبية ذات الصلة بتطبيقها مع المبادئ المحاسبية وقواعد الضريبة للشركات، وتمثلت مشكلة الدراسة في ضعف الانظمة المحاسبية المطبقة في بعض الوحدات الاقتصادية ممادى الى انخفاض الایراد حسب ما يراه المكلف في السودان. هدفت الدراسة الى بيان العوامل التي تؤدي نجاح تجربة التقدير الذاتي الذي يساعد على اصلاح نظام ضرائب ارباح الاعمال في السودان، وبيان اوجه النقد التي تواجه النصوص المتعلقة بالنواحي المحاسبية والفحص الضريبي في القوانين الضريبية ذات الصلة بتطبيقها والتي تتعارض مع المبادئ المحاسبية وقواعد الضريبة. توصلت الدراسة الى عدد من النتائج منها: التقديرات الإدارية لضريبة ارباح الاعمال والتي كانت تقوم بها الإدارات السابقة في ظل غياب المعلومة ساهم في اتساع الفجوة والنزاعات بين الديوان والمكلفين، يعتبر نظام التقدير الذاتي مجموعة من الواجبات والمسؤوليات على الادارة الضريبية والمكلفين - من اهمها الوعي المستمر وتبسيط الاجراءات.

دراسة: هناء، 2012م:

تمثلت مشكلة الدراسة في تعديل المعلومات المحاسبية الواردة بالقوائم المالية المراجعة من قبل ديوان الضرائب، حيث تفترض الإدارة الضريبية أن المعلومات المحاسبية الواردة بالقوائم المالية المراجعة لا تعكس بصدق وعدالة الموقف المالي لدافعي ضريبة أرباح الأعمال وبالتالي لا تفي بمتطلبات تحديد الوعاء لضريبة أرباح الأعمال. هدفت الدراسة إلى عرض مزايا توفير المعلومات المحاسبية بالقوائم المالية المراجعة لكل من الإدارة الضريبية ودافعي الضريبة وبيان أهمية إدخال نظام التقدير الذاتي كأحد الوسائل الرامية للإصلاح الضريبي.

تحليل الدراسات السابقة:

تمثل الدراسات السابقة الخلفية المعرفية التي يُبنى عليها الإطارين التحليلي والنظري وتعتبر الركيزة الأساسية لأي بحث علمي. تطرقت مجموعة من الدراسات الى موضوع الإفصاح المحاسبي والضريبة، كان تركيز تلك الدراسات متفاوتاً من حيث التناول المنهجي والمفاهيمي، نتج عن ذلك ثغرات معرفية مهمة لا تزال بحاجة إلى معالجة علمية.

ركزت دراسة حسن (2008) على استخدام نظم المعلومات المحاسبية المحوسبة وأثرها الواضح في فحص ضريبة القيمة المضافة. تعتبر دراسة قيمة لتناولها موضوع ربط التقنية بالعمل الضريبي، وتركيزها بشكل أساسي على النظم التكنولوجية دون الربط المباشر بين مستوى الإفصاح المحاسبي وكفاءة الفاحص الضريبي، مما أضعف من فاعلية نتائجها في السياق المهني البشري. أما دراسة التجاني (2010) فقد تطرقت إلى مشاكل تطبيق التقدير الذاتي وأثره على الإيرادات الضريبية، غير انها اهتمت بالجوانب الإدارية والتنظيمية للمنظومة الضريبية، ولم تنظر إلى أداء الفاحصين الضريبيين ضمن العوامل المؤثرة في نجاح هذا النظام، رغم أن الممارسة الميدانية تشير إلى أن العامل البشري هو من يقود التطبيق اليومي ويحدد مدى نجاح أو إخفاق النظام. ركزت دراسة حسن (2010) على الجانب التشريعي مما اضفى طابعاً قانونياً على الدراسة كما وناقشت تعارض بعض القوانين الضريبية مع المبادئ المحاسبية المتعارف عليها. ولكنها تجاهلت دور الفاحص الضريبي تماماً، الذي يعتبر المنفذ العملي لتلك التشريعات، وذلك جعلها تفنقر إلى التكامل بين الإطار القانوني والبعد التنفيذي المهني.

تُعد دراسة هناء (2012) الأقرب لمجال هذه الورقة البحثية، حيث ناقشت مدى التزام القوائم المالية المراجعة بمتطلبات تحديد وعاء ضريبة أرباح الأعمال. وأكدت أهمية تلك القوائم في تعزيز الشفافية وتخفيف النزاعات الضريبية. ولكنها لم تتعمق في تحليل الكفاءة المهنية للفاحص الضريبي، ولم تقدم معالجات منهجية للعلاقة بين تلك الكفاءة وجودة الإفصاح المحاسبي.

اذن يتضح جليا أن معظم الدراسات السابقة قد ركزت على الجوانب التقنية أو التشريعية أو النظامية في العمل الضريبي، بينما أغفلت بدرجات متفاوتة الدور الحاسم الذي تلعبه الكفاءة المهنية للفاحص الضريبي في تعزيز جودة الإفصاح المحاسبي وتحقيق عدالة التقدير الضريبي. طبقا لذلك، يمكن تحديد الفجوة البحثية الأساسية التي تسعى هذه الدراسة لسدها في كونها واحدة من الدراسات القليلة - إن لم تكن الأولى في السياق السوداني - التي تربط بشكل مباشر بين الكفاءة المهنية للفاحص الضريبي وجودة الإفصاح المحاسبي الضريبي عند تقدير وعاء ضريبة أرباح الأعمال. إذ تعتمد الدراسة على تحليل العلاقة السببية بين مهارات الفاحص من جهة، ودقة التقديرات الضريبية وشفافية البيانات المحاسبية من جهة أخرى، مستفيدة من إطار نظري متين وتحليل حالة تطبيقية واقعية. تُسهم هذه الدراسة في إثراء الأدبيات المحاسبية والضريبية من خلال تقديم منظور جديد ومتكامل يدمج بين المهارات المهنية والنتائج المالية، ويوفر توصيات قابلة للتطبيق لتحسين نظام التقدير الذاتي وتحقيق العدالة الضريبية.

المحور الثالث: الإطار النظري للكفاءة المهنية للفاحص الضريبي:

أولاً: مفهوم الكفاءة المهنية:

عرفت الكفاءة المهنية بأنها تحمل المسؤولية المهنية والإنصاف والأهلية، لذلك ينبغي على الشخص الممارس للمهنة بذل قصارى جهده لإتمام العمل المنوط به على أحسن وجه، ولا يتحقق ذلك الا قام الشخص الممارس للمهنة بتأهيل نفسه علمياً وعملياً (نعمة احمد متتابط، 2006م، ص29).

عرفها آخر بأنها المحافظة على المعرفة والمهارات المهنية بالمستوى المطلوب لضمان حصول العملاء على الخدمة المهنية الكفؤة وتأدية المهام بكل اجتهاد وعناية وفقاً للمعايير المهنية المعمول بها عند تقديم الخدمات المهنية (أحمد حلمي جمعة، 1999م، ص301).

عرفت بأنها الوسيلة الرئيسية لتعزيز قدراتهم ومهاراتهم خاصة في ظل ما تشهده بيئة الأعمال والمراجعة من متغيرات ومستجدات وتطورات تكنولوجية وأزمات مالية (محمود الناعى، 1996م، ص105).

يعرف لوك بايور الكفاءة المهنية بأنها القدرة على تنفيذ مهام محددة، وهي قابلة للقياس والملاحظة في النشاط وبشكل أوسع، وهي استعداد لتجديد وتجميع ووضع الموارد في العمل، والكفاءة لا تظهر إلا أثناء العمل.

هي مجموعة من المعارف والمهارات والخبرات، التي تترجم إلى تصرفات أو أعمال أو نشاطات في ميدان العمل، أو أثناء تأدية وظيفة ما، في إطار محدد وقابل للملاحظة والقياس، وذلك من أجل مواجهة تحديات العمل المفروض، أو الخروج من مواقف عملية حرجة في إطار المهنة المنوطة به.

يعرف الفاحص الضريبي بأنه الشخص القائم بعملية الفحص بغرض الوصول إلى قياس دقيق للدخل الخاضع للضريبة، وبالتالي فإنه لا بد من توافر المؤهلات العلمية والعملية لديه والتي تؤهله للقيام بعمله بأفضل صورة ممكنة (جمعية المجمع العربي للمحاسبين القانونيين، 2007م، ص16).

ينص معيار التدقيق الدولي رقم (910) في الفقرة الرابعة من المعايير الدولية لممارسة أعمال التدقيق على انه يجب أن يلتزم المدقق بقواعد السلوك المهني للمحاسبين القانونيين الصادر عن الإتحاد الدولي للمحاسبين، وتعتبر اخلاقيات السلوك المهني هي المبادئ والصفات الاخلاقية الواجب العمل بها اثناء عملية التدقيق المالي والضريبي التي تحكم المسؤوليات المهنية للمدقق كما يلي: الاستقلالية، الامانة والموضوعية، الكفاءة والعناية المهنية، السرية، السلوك المهنية، المعايير الفنية.

مما تقدم يتضح للباحثة أن الكفاءة المهنية للفاحص الضريبي يمكن التعبير عنها بأنها قيام الفاحص الضريبي بفحص ومراجعة القرارات الضريبية والقوائم المالية ودراسة السجلات والمستندات المؤيدة للعمليات بغرض تحديد وقياس الدخل الخاضع للضريبة بناء على خبرته المعرفية والعملية.

ثانياً: مفهوم كفاءة الإدارة الضريبية:

- 1- بالنسبة للإدارة: هي قابلية الجهاز الإداري على انتاج الخدمات العامة بالكميات والنوعيات المطلوبة، وتوزيع هذه الخدمات وفقاً لمعايير محددة. وذلك بأقل قدر ممكن من المجهود البشري والموارد المادية وبأقصر وقت ممكن.
- 2- بالنسبة للفرد العامل: اما بالنسبة للفرد العامل في هذا الجهاز، فيمكن تعريف الكفاءة بالنسبة له بانها درجة اسهامه فعلا في القيام بمهام وظيفته العمومية في الجهاز الإداري من انتاج وتوزيع للخدمات العامة وذلك بأقل قدر ممكن من المجهود البشري والموارد المادية وبأقصر فترة زمنية ممكنة.
- 3- الكفاءة المؤسسية: تعرف بانها فعالية المؤسسة وكفاءتها في استخدام مواردها المتاحة لتحقيق اهدافها بشكل أمثل (زينب بخيت بوش، 2012م، ص105).

ثالثاً: العوامل المحددة لكفاءة الإدارة الضريبية:

تتوقف كفاءة الجهاز الإداري الضريبي على ما يلي:

- 1- **النواحي التنظيمية:** يجب أن تكون الهيكلية كاملة للدائرة مصممة بحيث تمنع التهرب الضريبي من قبل المكلف وهذا يتطلب أن يكون المكلف في موضع يرى فيه حقيقة كفاءة الدائرة ويجب ألا تكون الإدارة والسلطة مسألة ذات أهمية واعتبار لتحقيق كفاءة الإدارة وقدرتها الوظيفية أو في حالة عدم تخصيص الموظفين بعناية. أو في حالة تسيير الجهاز الإداري بشكل غير كفء أو العمليات الوظيفية غير معرفة بدقة.

إضافة لذلك هناك حاجة لقطاع مهم داخل وحدة التدقيق للتحقق من التقصير والخداع من قبل المكلف بالنظر لتنفيذ الالتزام، ولتميز وتعزيز طاقم الوحدات بأفراد مدربين جيداً ولديهم الخبرة من خلال عمليات التدريب المستمرة في المكاتب وفي حقل التدقيق ومراجعة الحسابات، العلاقات العامة ووظائف أخرى متنوعة (علاء سعيد حسين، 2014م، ص23).

- 2- **العنصر البشري:** يعتبر العنصر البشري المورد الأساسي في المنظمة والذي يتوقف على كفاءته تحقيق الأهداف المرسومة للمنظمة بفعالية لذلك فإن الاهتمام بهذا العنصر ورفع كفاءته وتطويره وتنميته ضرورة حتمية لنجاح المنظمة وللارتقاء بأداء أفراد الجهاز الإداري للضريبة ولابد من الاهتمام بعملية الانتقاء أو الاختيار ثم الاهتمام بإلية التدريب واستمرارها.

يتضح للباحثة من خلال العرض السابق لمفهوم الكفاءة والفاعلية أن كفاءة وفاعلية الفحص الضريبي تعني قيام الإدارة الضريبية باستخدام مواردها المادية والبشرية الموجهة نحو عملية الفحص الضريبي الاستخدام الأمثل في تحقيق الأهداف المرجوة كما ان كفاءة وفاعلية الفاحص الضريبي تعني درجة اسهامه فعلا في القيام بمهام وظيفته العمومية في الجهاز الإداري من انتاج وتوزيع للخدمات العامة وذلك بأقل قدر ممكن من المجهود البشري والموارد المادية وبأقصر فترة زمنية ممكنة.

رابعاً: المبادئ الأساسية للكفاءة المهنية:

هناك جملة من المبادئ والمقومات التي يجب أن توفرها حتى يستطيع المجتمع بصفة عامة والمؤسسة بصفة خاصة

الحصول على كفاءات مهنية عالية، وتتدرج هذه المبادئ من المراحل الأولى للتكوين وتمتد إلى ما بعد التقاعد، ونوجز بعض هذه المبادئ فيما يلي:

1- المستوى التعليمي الجيد: إن الاستثمار الحقيقي هو ذلك الاستثمار في رأس المال البشري، وهذا الاستثمار يكون في مراحل التكوين الأولى أي المرحلة الدراسية، حيث أنه لا يمكن الحصول على عامل كفء دون أن يتحصل على التعليم الجيد.

2- الاختيار الجيد للعمال: أول أساس أو قاعدة يمكن من خلالها بناء كفاءة مهنية هي القدرة على العمل والرغبة فيه (مربط عياش عزوز، 1999م، ص 9-10).

خامساً: العوامل المؤثرة في قرارات الفاحص الضريبي ضريبة الدخل:

يوجد العديد من العوامل التي تؤثر في قرارات الفحص الضريبي، منها العوامل المرتبطة بالإدارة الضريبية، والعوامل المرتبطة بالفاحص الضريبي، والعوامل المرتبطة بالمكلفين، والعوامل المرتبطة بالتشريعات الضريبية، والعوامل المرتبطة بالمفوض عن المكلف، ويمكن توضيح هذه العوامل كما يلي (رلي عبد الرزاق حسين، 2010م، ص 50-53):

1-العوامل المرتبطة بالإدارة الضريبية: وهذه العوامل تتمثل في رغبة الإدارة الضريبية في زيادة التحصيلات الضريبية، من أجل تحسين صورتها أمام الإدارة العامة، وذلك بالضغط على الفاحص الضريبي مما يؤدي إلى إلحاق الضرر بالأهداف الاجتماعية، والاقتصادية والمالية لعملية الفحص الضريبي.

2-العوامل المرتبطة بالفاحص الضريبي: تشمل رغبة الفاحص في إنجاز أكبر عدد الملفات في سبيل إرضاء الإدارة، الأمر الذي يدفعه لإنجاز العدد المطلوب، ولكن بقرارات متسعة، وبعيدة عن الموضوعية المطلوبة.

كما يمكن أن تلعب رغبة الفاحص الضريبي بتحقيق أكبر قدر من الضريبة، فيقوم الفاحص بفحص كشوفات التقدير الذاتي إحساساً منه بأنه يمكن أن تكون هناك تحصيلات ضريبية أكبر يمكن الحصول عليها.

3-العوامل المرتبطة بالمكلفين: تتمثل في رغبة بعض المكلفين بعدم التعاون مع الفاحص، وذلك من خلال إحساسهم بأن الفاحص الضريبي جاء لياخذ أموالهم، فمنهم من يعمل كل جهده لعدم دفع الضريبة المترتبة عليه، مما يؤدي إلى عدم الثقة بين المكلف والفاحص الضريبي.

4- العوامل المرتبطة بالتشريعات الضريبية: التشريعات الضريبية تتميز عن باقي التشريعات الأخرى بأنها تتعدل باستمرار مما يؤدي إلى تعدد النصوص وتعقيدها وصعوبة تفسيرها وهذا قد يسبب ارتباكاً للفاحص الضريبي.

5- العوامل المرتبطة بالمفوض عن المكلف: يجب على الفاحص أن يكون على مستوى عال من المسؤولية تجاه خزينة الدولة وخاصة فيما يتعلق بالعلاقة الشخصية بين الفاحص والمفوض، فلا يجوز للمفوض أن يخفي بعض الحقائق عن مصدر دخل المكلف لأن هذا يضر بمصلحة الخزينة.

كما يشمل ذلك رغبة المفوض بتقليل الضريبة المفروضة على المكلف إلى أقل مستوى ممكن، وذلك كمحاولة منه في المحافظة على استمرارية تفويضه من قبل المكلف، باعتبار المكلف راغب بكل دائم في الوصول بالعبء الضريبي إلى أقل مستوى ممكن.

من العوامل المرتبطة بالمفوض استخدامهم لثغرات القانون، فلا يوجد في الدنيا أي قانون وضعي كامل، ويسعى المفوض دائماً لاستغلال أي ثغرة في القانون لمصلحة المكلف، لكي تكون الضريبة المفروضة أقل ما يمكن، حيث يحاول المفوض أن يحول هذه الثغرات لمصلحة المكلف.

المحور الرابع: الإفصاح المحاسبي عن القوائم والتقارير المالية:

أولاً: مفهوم الإفصاح:

1- الإفصاح لغة: الإفصاح لغة هو البيان، وأفصح عن الشيء إفصاحاً إذا بينه وكشفه (أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، 2000م، ص186).

2- مفهوم الإفصاح في القوائم المالية: يشير مصطلح الإفصاح في القوائم المالية إلى اتباع سياسة الوضوح الكامل وإظهار جميع الحقائق المالية الهامة التي تعتمد عليها الأطراف المهتمة بالمشروع، وهذا يعنى أن تشمل القوائم المالية الملاحظات والتحفظات والمعلومات الإضافية المرفقة بها كل المعلومات المتعلقة بالشركة لتجنب تضليل تلك الأطراف، كما يجب الإفصاح عن المعلومات الهامة والتي يترتب على عدم الإفصاح عنها تغير واختلاف جوهري في اتخاذ قرارات مستخدمي القوائم المالية (موفق عبد الحسين محمد، 2012م، ص13-14).

مما سبق يلاحظ الباحث ان الإفصاح في القوائم المالية يعتبر غاية أساسية لتزويد مستخدمي تلك القوائم بمعلومات تكون مفيدة لهم في اتخاذ القرار. بشرط أن تكون هذه المعلومات غير مضللة ولا تؤثر على كفاءة المعلومات الواردة في التقارير المالية.

3- مفهوم الإفصاح التام: يشير هذا المفهوم إلى ضرورة أن تفصح القوائم المالية الختامية عن السياسات والمعلومات المحاسبية بصورة كاملة وشاملة وواضحة بالإضافة إلى الإيضاحات المتممة لهذه القوائم وذلك بهدف تمكين الأطراف تعامله مع هذه القوائم المالية من اتخاذ القرارات ولهذا السبب قامت المنظمات والجمعيات المهنية الدولية والمحلية بإصدار المعايير المحاسبية، فالهدف من إصدار المعايير المحاسبية يتمثل في الإفصاح عن السياسات والمعلومات المحاسبية بالقوائم المالية).1(والإفصاح بالتقارير المالية يشتمل على قسمين، معلومات كمية تتضمنها القوائم المالية (المركز المالي، الدخل، التدفقات النقدية)، ومعلومات وصفية بجانب معلومات كمية يتضمنها تقرير الإدارة والإيضاحات المرفقة عن إدارة المخاطر والسياسات المحاسبية وأي معلومات أخرى متعلقة بأرصدة المركز المالي، وتكمن المشكلة في الإفصاح في ماهية أو حجم المعلومات التي يجب الإفصاح عنها للأطراف الخارجية.

يتضح للباحثة من مفهوم الإفصاح التام أن الإفصاح التام عن السياسات والمعلومات المحاسبية يمكن الأطراف المتعاملة مع هذه القوائم من اتخاذ القرارات الصحيحة وهو يشتمل على معلومات كمية ومعلومات وصفية بالإضافة الي معلومات أخرى متعلقة بأرصدة المركز المالي.

ثانياً: أهمية الإفصاح في القوائم المالية:

الإفصاح والشفافية في القوائم المالية وثقة المتعاملين مع الشركات تعتبران وجهان لنفس العملة وقيام الشركات بالتوفيق بين المعايير المحاسبية المحلية التي لا تتعارض ومعايير التقارير المالية الدولية، وتبنيها لتطبيقها من قبل الشركات المحلية ويحقق الشفافية في القوائم المالية ورسم الصورة الحقيقية للمراكز المالية ونتائج الأعمال والتدفقات النقدية وبالتالي تعزيز ثقة المتعاملين، يرى بعض الباحثين أن قائمة التدفقات النقدية من القوائم المالية التي توفر المعلومات الممكنة لترشيد قرارات المستثمرين عن طريق المساهمة في الاتي (مؤيد محمد على الفضل، 2002م، ص111):

1- تحديد قدرة المنشأة على توليد تدفقات نقدية موجبة في المستقبل.

2- إيجاد مقاييس لتقييم جودة أرباح المنشأة وسيولتها، وذلك لتوفير الفهم لطبيعة مسببات التغيرات الحاصلة فيها.

- 3- تقديم مؤشرات عن توسع ونمو المنشأة، حيث أنه كلما زادت التدفقات النقدية الخارجية للأنشطة، كلما كان ذلك دليلاً جيداً على نمو وتوسع أنشطة المنشأة وربحياتها.
- 4- إعطاء صورة واضحة وواقعية عن السياسات المالية لإدارة المنشأة مثل سياسة توزيع الأرباح وسياسة الائتمان والتمويل وغيرها.

ترى الباحثة أن مفهوم القوائم المالية هي كشف يوضح كل المعلومات عن نشاط الشركة والقوائم المالية هي الجوانب الأساسية في عملية الإفصاح المحاسبي لما تحتويه من معلومات وبيانات، وتهدف إلى إشباع حاجة مستخدمي القوائم المالية بالمعلومات.

ثالثاً: أهداف الإفصاح المحاسبي:

إن المتتبع للدراسات المحاسبية يواجه بصعوبات نتيجة للتداخل والترادف الشديدين بين كل من أهداف الإفصاح المحاسبي وأهداف القوائم المالية، وقد تعاضم هذا التداخل عندما تطور أهداف الإفصاح من الدور الوقائي إلى الدور الإعلامي، وإن عناصر ومضمون البحث في موضوع أهداف الإفصاح وأهداف القوائم المالية واحد، فكلاهما يستهدف المنفعة من المعلومات المحاسبية، كذلك فإن الإفصاح والقوائم المالية لهما نفس الهدف، فكلاهما أصبح يركز على وجهة نظر مستخدمي المعلومات الأمر الذي يجعل التمييز بينهما غامضاً إلا أنه يمكن القول أن الهدف الرئيسي من الإفصاح المحاسبي هو إشباع حاجة مستخدمي القوائم والتقارير المالية من البيانات والمعلومات المحاسبية، وبالتالي فإن تصرفات هؤلاء المستخدمين تتأثر بكمية ونوعية هذه البيانات والمعلومات التي يتم الإفصاح عنها (طلال إبراهيم عرابي سجينى، 1996م، ص 123).

هدف الإفصاح هو أن تشمل القوائم المالية معلومات تساعد مستخدميها على توجيه مدخراتهم نحو الاستثمار في المنشآت ذات العائد الحقيقي المجزي، الأمر الذي يترتب عليه التوزيع الأمثل للموارد الاقتصادية المحدودة (محمد فداء الدين وعبد الله قاسم، 1990م، ص 66).

كما يهدف الإفصاح المحاسبي إلى إزالة الغموض وتجنب التضليل في عرض المعلومات المالية والمحاسبية، هذا بالإضافة إلى مساعدة متخذي القرارات على صنع قرارات سليمة مبنية على معلومات دقيقة وبالذات في الجانب الاستثماري، لذا يتطلب أن تكون قيمة وحجم المعلومات المحاسبية المفصح عنها ونوعيتها يتناسب مع أهمية القرارات المزمع اتخاذها على ضوء توفير تلك المعلومات، وعلى أن يكون الاهتمام بالإفصاح أمر مرتبط زمنياً بتحليل نتائج الماضي وفهم واستيعاب الحاضر والتنبؤ بالمستقبل (كمال عبد العزيز النقيب، 2004م، ص 204).

أيضاً يهدف الإفصاح المحاسبي إلى تقديم معلومات من أجل:

- 1- وصف العناصر المعترف بها وتقديم المقاييس ذات العلاقة بهذه العناصر بخلاف المقاييس المستخدمة في القوائم المالية مثل تقدير القيمة العادلة لقائمة المركز المالي.
- 2- وصف العناصر غير المعترف بها وتقديم مقاييس مفيدة لهذه العناصر مثل مبلغ الضرائب المؤجل غير المعترف به ووصف للضمانات التي على المنشأة مقابل الديون.
- 3- توفير معلومات لمساعدة المستثمرين والدائنين لتقييم المخاطر والاحتمالات للعناصر المعترف بها وغير المعترف بها.
- 4- تقديم المعلومات المهمة التي تسمح لمستخدمي القوائم المالية بعمل المقارنات بين السنوات لتقديم معلومات عن التدفقات النقدية الداخلة والخارجة والمستقبلية.

5- مساعدة المستثمرين لتقييم العائد على استثماراتهم.

6- الهدف الرئيسي من الإفصاح هو تقديم معلومات مفيدة للمستثمرين للمساعدة على اتخاذ قرارات اقتصادية رشيدة (محمد فداء الدين وعبد الله قاسم، 1990م، ص66).

يتضح للباحثة من خلال ما تعرض له الكتاب والباحثين حول أهداف الإفصاح المحاسبي في القوائم المالية المنشورة في الآتي:

أ- تساعد مستخدمي القوائم المالية على توجيه مدخراتهم.

ب- تهدف الى كيفية عرض وشكل التقارير المالية وما تحتويه من معلومات حتى يتمكن مستخدميها من اتخاذ كافة القرارات المختلفة لتحقيق أهدافهم وكيفية التعامل مع المنشآت الاقتصادية المختلفة.

تري الباحثة أن هذه الأهداف ساعدت في مد جسور الثقة بين الممول ومفتشو الضرائب حول العناصر المعترف بها وغير المعترف بها في عرض القوائم المالية بكل شفافية والوصول الى الرقم الحقيقي لضريبة أرباح الأعمال.

رابعاً: أساليب وطرق الإفصاح في القوائم المالية:

يوجد العديد من وسائل وطرق الإفصاح المحاسبي والتي يمكن أن تساعد مستخدمي المعلومات على فهمها واتخاذ القرار الصحيح، وتتوقف المفاضلة بين طريقة وأخرى على طبيعة المعلومات المطلوبة وأهميتها النسبية، والآتي أكثر هذه الطرق شيوعاً في الاستخدام (موفق عبد الحسين محمد، ص19):

1- الإفصاح من خلال القوائم المالية.

2- استخدام المصطلحات الواضحة والمتعارف عليها.

3- المعلومات بين الأقواس.

4- الملاحظات والهوامش.

5- التقارير والجدول الملحقة.

6- تقرير رئيس مجلس الإدارة.

لقد أهتم معيار العرض والإفصاح العام بالطريقة التي يتم بها عرض المعلومات التي يتم الإفصاح عنها، وحدد المجموعة الكاملة للقوائم المالية التي تشكل الإطار العام للإفصاح بما يلي (محمد فداء الدين وآخرون، ص69):

1- قائمة المركز المالي.

2- قائمة الدخل.

3- قائمة التغيرات في حقوق أصحاب رأس المال او قائمة الأرباح المتبقية، نص على أن هذه القوائم وما يرتبط بها من إيضاحات تمثل الحد الأدنى الضروري لعرض المركز المالي ونتائج الأعمال ومصادر واستخدام الأموال، ووضح معيار العرض والإفصاح الأسس العامة لعرض المعلومات في القوائم المالية على النحو التالي:

أ- عند إعداد القوائم المالية يجب اختيار الشكل واستخدام المصطلحات وتبويب عناصر القوائم المالية بطريقة تكفل تسهيل استيعاب المعلومات الهامة التي تشملها تلك القوائم.

ب- تكتسب القوائم المالية فائدة إضافية إذا ما قورنت بنتائج كل مدة مالية بنتائج المدة أو المدد المالية السابقة لذا يجب عرض القوائم المالية المقارنة.

ج- يجب أن يعطى لكل قائمة عنوان يعبر عن محتوياتها ويوضح اسم الوحدة المحاسبية التي أصدرتها وشكلها النظامي والمدة المحاسبية التي تغطيها.

كما يجب إيضاح عناوين للإيضاحات المرفقة بالقوائم المالية بحيث يوضح كل عنوان ما يحتويه الإيضاح عن معلومات، كما يجب ترقيم هذه الإيضاحات وأن يشار إلى كل منها في القائمة المالية التي ترتبط بها.

هناك مجموعة من الأساليب العامة للإفصاح التي تتمتع بدرجة عالية من القبول والاتفاق بين أوساط المحاسبين والمستخدمين للقوائم المالية منها:

1- إعداد القوائم المالية وترتيب بنودها: إن جزءاً مهماً من الإفصاح المحاسبي يتمثل في عرض القوائم المالية وترتيب مكوناتها وفق القواعد والمبادئ المحاسبية المتعارف عليها يسهل عملية قراءتها وفهمها وإمكانية مقارنتها من قبل المستخدمين واستخلاص المعلومات.

2- الملاحظات الهامشية: تستخدم لتوضيح أو تفسير وإضافة معلومات أقل أهمية والمتعلقة بعناصر القوائم التي يمكن إظهارها في صلب القوائم المالية، ويجب الإشارة إلى أن الملاحظات الهامشية يمكن أن تحتوي على معلومات كمية أو وصفية.

3- الملاحق: وتشمل الملاحق على قوائم إضافية ترفق مع القوائم المالية الأصلية، يتم من خلالها إعطاء تفاصيل عن بعض البنود الواردة بالقوائم المالية والتي لا تستوعبها الملاحظات الهامشية.

4- المعلومات الموجودة من خلال الأقواس: تستخدم الأقواس في القوائم المالية لتوضيح بعض الأرقام الظاهرة بالقوائم المالية والتي يصعب فهم طرق احتسابها أو سبب ظهورها من قبل المستخدمين غير الملمين بالمحاسبة (محمد جار النبي مختار محمد، 2017م):

تستنتج الباحثة تعدد أساليب وطرق الإفصاح المحاسبي في القوائم المالية تتمثل في الآتي:

1- الإفصاح من خلال القوائم المالية، واستخدام المصطلحات الواضحة والمعلومات بين الأقواس والملاحظات والهوامش والتقارير والجدول الملحقة، وتقرير مجلس الإدارة.

2- هنالك معلومات تعتبر أساسية ويجب إظهارها ضمن المكونات الأساسية للقوائم المالية، وهنالك معلومات أخرى ثانوية يتطلب الإفصاح عنها في ملحقات القوائم المالية أو في الهوامش.

خامساً: الإفصاح في التقارير المالية:

يعتبر الإفصاح المحاسبي الوسيلة الرئيسة والأداة الفعالة لإيصال نتائج الأعمال للمستخدمين في دعم قراراتهم خصوصاً المتعلقة بمجالات الاستثمار والتمويل، ونظراً للاهتمام المتزايد لأصحاب الفكر والاختصاص من أكاديميين ومهنيين في مجال المحاسبة والمراجعة حول أهمية الإفصاح المحاسبي والشفافية في التقارير المالية، فإن ذلك يؤدي إلى استمرار الضغوط على المهنة لتطوير أدائها في خدمة قطاعات الأعمال من ناحية ودعم نظام الرقابة والمساءلة فيها (عصام الدين محمد متولي، 1991م، ص 114 - 115).

لكي يكون للإفصاح قيمة وفعالية، فلا بد من الإفصاح عن المعلومات في الوقت المناسب وبدون تأخير حتى لا

تفقد هذه المعلومات قيمتها وأهميتها، وإدراكاً لأهمية التوقيت الملائم فقد أكد مجلس مبادئ المحاسبة الأمريكي أن مبدأ التوقيت الملائم يقتضي إيصال المعلومات المحاسبية المالية في وقت مبكر بصورة كافية حتى يمكن استخدامها في القرارات الاقتصادية التي يمكن أن تتأثر بها وحتى يمكن تجنب أي تأخير في اتخاذ القرارات.

نص المعيار المحاسبي الدولي رقم (5) الصادر عام 2011م على المعلومات الواجب الإفصاح عنها في البيانات المالية وهي (أوبكر عبد الباقي محمد الطيب، 2001م، ص29):

1- المعلومات التي يتوجب الإفصاح عنها في التقارير المالية التي تتألف من قائمة المركز المالي وقائمة الدخل وقائمة التدفق النقدي والإيضاحات حول القوائم المالية.

2- استخدام القوائم المالية لإجراء الدراسات واتخاذ القرارات المالية المختلفة ولذلك يجب أن تكون المعلومات المالية واضحة ومفهومة من أجل سلامة قرارات المستثمر وغالباً ما تتضمن القوائم المالية معلومات تفرضها المتطلبات المحلية لكل دولة وذلك بالإضافة إلى الحد الأدنى الذي تفرضه المبادئ المحاسبية المتعارف عليها، وذلك لتكون المعلومات الواردة فيه أكثر إفصاحاً، فقد أصبحت للقوائم المالية التي تقوم بنشرها الوحدات المحاسبية مجموعة من المستخدمين المهتمين باقتصاديات الوحدة المحاسبية بشكل مباشر أو غير مباشر (عبدالرازق قاسم الشحادة وآخرون، 2011م، ص211).

تلاحظ الباحثة أن الالتزام بتطبيق الإفصاح المحاسبي تساعد مستخدمي المعلومات بالقوائم المالية من اتخاذ قراراتهم، وأن هذا الإفصاح يساعد الإدارة الضريبية في الوصول إلى البيانات المالية للممولين عن دخولهم السنوية ومما يعزز الثقة بينهم.

سادساً: جودة الإفصاح بالقوائم المالية:

إن الجودة العالية للتقارير المالية تعتمد على البنية الأساسية المساعدة التي تعمل على ضمان تفسير وترجمة وتطبيق تلك المعايير بطريقة دقيقة، وعلى تحديد الموضوعات والمشاكل وحلها بسرعة وتتضمن هذه البنية الأساسية ما يلي:

- 1- تفعيل دور التنظيمات المهنية لمهنة المحاسبة والتدقيق مع وضع نظم رقابية فعالة لجودة الإفصاح.
- 2- وجود معايير محاسبية ذات جودة عالية للعملية المحاسبية
- 3- ضرورة وجود شركات مهنية متخصصة ومستقلة للتدقيق مع وضع رقابة قومية فعالة للجودة.
- 4- ضرورة إشراف لجنة الأوراق المالية على وضع المعيار المحاسبي.
- 5- ضرورة إشراف لجنة الأوراق المالية على عمليات الترجمة والتفسير والتطبيق للمعيار من خلال عملية إعادة النظر والتعليق التي يقوم بها قسم تمويل الشركات المساهمة.

سابعاً: الإفصاح المحاسبي الضريبي:

تتم عملية ربط الضريبة من واقع البيانات التي يقدمها الممول والمضمنة في إقراره الضريبي عن نتيجة أعماله من ربح أو خسارة لمصلحة الضرائب والتي تقوم وبناء على إقرار الممول بعد فحصه والتأكد من صحة البيانات المرفقة طي الإقرار بربط الضريبة المقررة والتي يجب على الممول أن يلتزم بسدادها (أوبكر عبد الباقي محمد الطيب، 2001م، ص123).

بناءً على ما سبق أنه يمكن تقسيم الإفصاح من وجهة النظر الضريبية إلى نوعين (عصام الدين محمد متولي، 1991م، ص 114 - 115):

- 1- إفصاح من جانب المكلفين بدخله الحقيقي الخاضع للضريبة من واقع إقراره الذاتي: وهذا النوع تحكمه المعايير المحاسبية الدولية بالإضافة إلى المعايير المحاسبية المحلية.
- 2- إفصاح من جانب المشرع الضريبي: وهذا النوع تحكمه القوانين الضريبية.
- المحور الخامس: تحليل البيانات واختبار الفرضيات:

حالة عملية

جدول (1)

قائمة المركز المالي للشركة س المنتهية في 2007/12/31

الأصول	الإيضاحات	العام 2007 / جنيه	العام 2006 / جنيه
الأصول المتداولة			
أرصدة النقدية والبنوك	3	4.980.360	751.492
أوراق قبض	4	3.142.921	9.706.393
مخزونات	5	10.500.138	21.700.011
مدفوعات مقدمة		1.575.702	1.062.427
أصول أخرى	6	20.199.121	33.220.323
الأصول الثابتة:			
الممتلكات والمعدات	7	9.115.478	2.866.349
مشروعات تحت التنفيذ	8	0	5.840.248
مجموع الأصول		29.314.599	41.926.920
الالتزامات			
الالتزامات المتداولة:			
مصروفات مستحقة والتزامات جارية أخرى	9	1.900.395	3.276.743
مستحقات للأطراف ذات العلاقة	10	25.509.767	31.111.825
مجموع الالتزامات		27.410.162	34.388.568
الالتزامات طويلة الأجل			
التزامات طويلة الأجل أخرى	11	583.817	522.389
مجموع الالتزامات		27.993.979	34.910.957
حقوق المساهمين			
رأس المال	12	25.000	25.000
أرباح مرحلة		6.990.963	4.700.264
		(5.695.343)	2.290.699
صافي الدخل للعام		1.320.620	7.015.963
إجمالي الالتزامات وحقوق المساهمين		29.314.599	41.926.920

المصدر: إعداد الباحثة بالاعتماد على بيانات الشركة س، 2018م

جدول (2) قائمة الدخل عن السنة المنتهية في 2007/12/13م

البيان	إيضاح	جنيه	جنيه
المبيعات: -			
صافي المبيعات = إجمالي المبيعات - (خصم مسموح به + مردودات المبيعات)			21.442.942
مبيعات الصادر			-
إجمالي المبيعات			21.442.942
تكلفة المبيعات: -			
بضاعة أول المدة		22.038.271	
(+) تكلفة المشتريات المحلية خلال السنة		533.552	
(+) تكلفة المشتريات المستوردة خلال السنة		7.648.149	
جملة المشتريات		30.219.972	
(-) بضاعة آخر المدة		10.770.195	
تكلفة المبيعات			19.449.777
إجمالي الأرباح			1.993.165
هامش الربح كنسبة مئوية من تكلفة المبيعات %			10.25%
(+) الإيرادات الأخرى	1		858.834
(-) المصروفات العمومية والإدارية	2		8.547.342
صافي الربح / الخسارة			(5.695.343)

المصدر: إعداد الباحثة بالاعتماد على بيانات الشركة س، 2018م

جدول (3) الإقرار الضريبي للنشاط التجاري لشركة س عن السنة المالية المنتهية في 2007/12/31م

البيان	إيضاح	جنيه	جنيه
صافي الربح / الخسارة			(5.695.343)
يضاف إلى صافي الربح ويخصم من صافي الخسارة المحاسبية البنود التالية:			
التبرعات والإعانات	3	23.713	
أي ضريبة على الدخل	4	22.526	
أي احتياطات أو مخصصات فيما عدا التي يسمح بها القانون	5	3.248.289	
الغرامات والتعويضات	6	2.074	
الديون المعدومة غير المستوفاة لشروط الخصم	7		
مكافأة مجلس الإدارة الظاهرة بالحسابات			
مبالغ لم تدرج ضمن قائمة الدخل وتعد من الإيرادات الخاضعة للضريبة		44.946	

	741.796	8	قيمة استهلاكات الأصول الثابتة المادية والمعنوية
			أي مصروف من رأس المال أو أي خسارة أو تخفيض أو استغراق لرأس المال
		9	تكلفة الاقتراض غير المستوفاة لشروط الخصم
			أي مصروفات أو الخسائر مما يجوز تغطيته بموجب أي تأمين أو عقد أو تعويض
	29.000	10	المصروفات الشخصية
			أتعاب المديرين المتفرغين غير المستوفاة لشروط الخصم
		11	الخسائر المرحلة غير المستوفاة لشروط الخصم
4.112.344	4.112.344		إجمالي البنود المضافة لصافي الربح أو المخصومة من الخسارة المحاسبية
(1.582.999)			إجمالي الربح/ الخسارة الضريبية
			بنود تخصم من إجمالي الربح الضريبي أو تضاف لإجمالي الخسارة الضريبية: -
	483.976		قيمة الاستهلاكات المحسوبة طبقاً للنسب الواردة في اللائحة ووفقاً للقيمة التاريخية وعلى طريقة القسط الثابت.
	4.403	12	ديون معدومة تتوافر فيها شروط الخصم وتم خصمها من المخصص
		13	مخصصات سبق خضوعها للضريبة
	238.111	14	المستخدم من المخصص لمواجهة تكاليف واجبة الخصم
			التبرعات والإعلانات المسموح بها
		15	مكافأة مجلس الإدارة وفقاً للقانون
			الخسائر المرحلة والمستوفاة لشروط الخصم
726.490	726.490		إجمالي بنود تخصم من إجمالي الربح الضريبي أو تضاف لإجمالي الخسارة الضريبية
(2.309.489)			صافي الربح الضريبي أو الخسارة الضريبية المعدلة

المصدر: بيانات الإقرار الضريبي لنشاط الشركة المقدمة لديوان الضرائب عن السنة المنتهية في 2007/12/31م

المحور السادس: تحليل البيانات والنتائج والتوصيات:

أولاً: تحليل البيانات المالية للشركة س للعام 2007م:

الحسابات المراجعة عن السنة المالية المنتهية في 2007/12/31وهي سنة الأساس لتطبيق نظام التقدير الذاتي هذا وقد تم قبول الإقرار الضريبي الذاتي المدعم بها.

تم مراجعة وفحص الميزانية للعام 2007م وقائمة الدخل وقائمة الأرباح والخسائر والإيضاحات المرفقة مع الميزانية. وتم أيضا فحص الإقرار الذاتي للشركة للعام 2007م وذلك بواسطة الفاحص الضريبي المختص وقد أسفرت نتائج الفحص والمراجعة عن الآتي

1. إن الشركة لديها نظام محاسبي آلي جيد يمكن الاعتماد على الا ان الإجراء المحاسبي المتبع عند تعديل القيمة الدفترية للمخزون لا يتميز بالإفصاح المحاسبي وتوجد أخطاء عبارة عن أخطاء محاسبية وفنية ولا يوجد تهرب ضريبي وقد تمثلت هذه الأخطاء في الآتي: -

أ. معالجة المخزون ومخصص هبوط أسعار المخزون في الحسابات المراجعة بصورة غير سليمة وعدم إتباع طريقة واضحة ومحددة، هذا وقد قامت الشركة بإظهار المخزونات الصافية بعد خصم المخصص المتراكم في قائمة الدخل حيث بلغت المخزونات في 2007/12/31 مبلغ 15.936.134 جنيه مخصصاً منها مخصص هبوط الأسعار (تقادم مخزونات) بمبلغ 5.435.996 جنيه كذلك تم إدراج الزيادة في رصيد المخصص في قائمة الدخل والبالغ قدره 3.248.289 جنيه.

هذا وبالرجوع إلى طرق معالجة الانخفاض في القيمة السوقية للمخزون السلعي عن تكلفة الشراء الأصلية لهذا المخزون تعتبر طريقة تقويم المخزون السلعي على أساس التكلفة أو سعر السوق أيهما تحولا هاما عن المبدأ المحاسبي المتعارف عليه (التكلفة التاريخية) حيث انه يجب تسجيل الخسائر الناتجة عن هبوط قيمة المخزون بسبب التلف أو الضياع أو تغير الأسعار القياسية أو التقادم في حساب الدخل وتخفيض قيمة المخزون السلعي لتعكس القيمة الواقعية بدلا عن التكلفة الأصلية للحصول عليه.

القاعدة المحاسبية العامة هنا تنص على الآتي:

(يجب التخلي عن مبدأ التكلفة التاريخية عندما يفقد الأصل منفعة المستقبلية (المقدرة على إنتاج الإيرادات) حيث تفوق تكلفته الأصلية تلك المنفعة).

إن الإجراء المحاسبي المتبع عند تعديل القيمة الدفترية للمخزون والذي يتميز بالإفصاح الشامل عن الخسائر الناتجة من هبوط القيمة السوقية للمخزون خلال الفترة هو أن يتم فتح حساب مستقل لتسجيل الفرق بين القيمة الدفترية والسوقية باعتباره مخصص لهبوط القيمة السوقية للمخزون فيتم جعل حساب المخصص دائما وفقا للقيود التالية:

من /حساب المخزون السلعي.

إلى /حساب تكلفة السلع المباعة (أو حساب الدخل).

(تسجيل المخزون السلعي بالتكلفة آخر الفترة المحاسبية)

- خسارة هبوط القيمة السوقية للمخزون.

- مخصص هبوط القيمة السوقية.

(تسجيل هبوط القيمة السوقية للمخزون ويعتبر حساب المخصص أحد الحسابات المقابلة وي طرح من تكلفة المخزون في الميزانية)

هذا ويمكن اعتبار الفرق بين الرصيد الدائن لحساب المخصص أول الفترة والرصيد في نهاية الفترة خسائر تخص الفترة الحالية وتؤثر على حساب الدخل.

ب. عدم الالتزام بخصم ضريبة على القيمة المضافة vat بعد الخصم discount في فواتير بيع الأسيرات وذلك عدم

الإفصاح عن المبيعات والخصم بصورة واضحة وفقاً لقانون الضريبة على القيمة المضافة لسنة 2001 ولائحته لسنة 2000 حيث تقبل الخصومات التجارية المتعارف عليها والخصم النقدي المعلق على شرط عند تحديد قيمة السلعة أو الخدمة الخاضعة للضريبة أو إجراء التسويات الخاصة بها، وذلك في حالة ما إذا كان البيع من مكلف إلى مشتر مستقل كل منهما عن الآخر بحيث يكون وعاء الضريبة هو القيمة الحقيقية للسلعة أو الخدمة.

ج. معالجة الضريبة على الأتعاب technical management بصورة غير صحيحة.

حيث أن الشركة تتحمل الضريبة المدفوعة على الأتعاب للإدارة التقنية (مدفوعات لجهات خارجية) وبالتالي يجب أن تكون المعالجة باعتبار أن الضريبة المدفوعة تعتبر ضريبة للجهة المدفوعة وبالتالي يفترض أن يضاف مبلغ الضريبة ويخضع الوعاء بما فيه الضريبة.

هذا ويرى الباحث أن الكفاءة المهنية للفاحص الضريبي تمكن من تحديد وعاء ضريبة أرباح الأعمال بصورة سليمة وذلك لوجود معالجات محاسبية تتعلق بالإفصاح المحاسبي الضريبي مثال المعالجة التصحيحية للمخزون ومخصص هبوط أسعار المخزون في الحسابات المراجعة في البند (1) إضافة لوجود معالجات فنية تتعلق بالإفصاح المحاسبي الضريبي عند تحويل الربح المحاسبي إلى ربح ضريبي وفقاً لقوانين الضرائب مثال المعالجة التصحيحية للبند (2) و(3).

مع اعتماد مفتشي ديوان الضرائب على المعلومات المحاسبية الواردة بالقوائم المالية المراجعة والمؤيدة بالمستندات بصورة أساسية في تقدير ضريبة أرباح الأعمال عند تطبيق نظام التقدير الذاتي

. وهذه النتيجة تثبت صحة الفرضية الأولى التي تنص على: تمكن الكفاءة المهنية للفاحص الضريبي من تحديد وعاء ضريبة أرباح الأعمال بصورة سليمة ودقيقة في ظل نظام التقدير الذاتي.

والفرضية الثانية التي تنص على: الحسابات المراجعة المؤيدة بمتطلبات الإفصاح المحاسبي الضريبي تمكن الفاحص الضريبي من تقدير ضريبة أرباح الأعمال بصورة سليمة.

والفرضية الثالثة التي تنص على: رفع الكفاءة المهنية للفاحص الضريبي يؤثر إيجابياً في جودة الإفصاح المحاسبي الضريبي.

ثانياً: النتائج:

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج منها:

- 1- تحديد وعاء ضريبة أرباح الأعمال في ظل نظام التقدير الذاتي يعتمد بشكل أساسي على الكفاءة المهنية للفاحص الضريبي والمقدرة على الفحص والتدقيق للمعلومات الواردة بالقوائم المالية.
- 2- عدم اعتماد كثير من البنود الواردة بالقوائم المالية لعدم الإفصاح المحاسبي الضريبي التام.
- 3- عدم وجود دفاتر مالية المنتظمة والمكتملة المؤيدة للقوائم المالية وعدم تقديم المستندات المؤيدة لها عدم الإفصاح المحاسبي الضريبي عن ذلك يضعف الثقة بها وإن كانت حائزة على كافة الشروط القانونية.
- 4- عدم التزام المراجعين بالمعايير والمبادئ المتعارف عليها عدم الإفصاح عن عدم التزام الإدارة بتطبيق معايير الإفصاح المحاسبي.
- 5- إتباع أساليب الفحص والتدقيق لضريبة أرباح الأعمال في ظل نظام التقدير الذاتي والتي تقوم علمياً وعملياً على تدقيق المعلومات الواردة بالقوائم المالية وعلى المستندات والدفاتر المؤيدة لها تغلق الباب أمام أي تقديرات إعجازية.

ثالثاً: التوصيات:

من خلال النتائج توصي الباحثة بالآتي:

- 1- رفع الكفاءة المهنية للفاحص الضريبي من خلال التدريب المستمر في فحص الأنشطة المختلفة ومعايير الإفصاح المحاسبي الضريبي.
- 2- الحاجة إلى وجود جهاز فني محايد للفصل النهائي بين المنازعات التي تحدث بين ديوان الضرائب والممولين والمراجعين وذلك في حالة عدم الالتزام بمعايير الإفصاح المحاسبي الضريبي ويكون من اختصاصه التحقق من مدى الالتزام بهذه المعايير.
- 3- العمل على تدريب وتأهيل مفتشي الضرائب في الجانب المهني وخلق الكوادر المتخصصة والمؤهلة تأهيلاً رفيع المستوى في مهنة المحاسبة والمراجعة للاستفادة منهم في مجال فحص القوائم المالية.
- 4- ضرورة إنشاء شبكة للمعلومات وذلك لتوفير المعلومات الجيدة والتي تمتاز بالملائمة والدقة وإمكانية الاتصال في الوقت المناسب والاقتصادية وذلك حتى تتمكن إدارة الضرائب من اتخاذ القرارات السليمة.
- 5- وضع معايير للأداء الضريبي موضع الدراسة والبحث وإسنادها لأسس علمية واضحة مع توحيد المعايير والمعالجات على مستوى المكاتب والأنشطة والعمل بها
- 6- ضرورة تعميم تطبيق تجربة نظام التقدير الذاتي على جميع الأشخاص.
- 7- تطوير أساليب الفحص بحيث تركز على الكيف بقدر تركيزها على الكم.

الخاتمة

تُعد الكفاءة المهنية للفاحص الضريبي من العوامل الجوهرية في تعزيز الثقة بين الإدارة الضريبية ودافعي الضرائب، وتمتلك هذه الكفاءة دوراً مباشراً في تحسين جودة الإفصاح المحاسبي الضريبي. بينت الدراسة، من خلال التحليلين العملي والنظري، أن وجود فاحص مؤهل مهنيًا وأكاديميًا يقود إلى تقدير دقيق لوعاء ضريبة أرباح الأعمال وتقليل الفجوات والتعديلات الضريبية الناتجة عن ضعف الإفصاح. وقد أوصت الدراسة بعدد من التوصيات الجوهرية منها، تطوير أساليب الفحص وضرورة التدريب المستمر للفاحصين، كما أوصت على تطبيق شبكة معلومات محاسبية دقيقة وموحدة. وقطعا ستسهم معالجة الخلل في كفاءة الفاحص بشكل مباشر في تحسين نظام التقدير الذاتي ورفع كفاءة التحصيل الضريبي وتحقيق العدالة الضريبية.

قائمة المراجع:

- أبوبكر، عبد الباقي محمد الطيب. (2001). إطار علمي لتحديد أثر التوسع في الإفصاح المحاسبي على ترشيد عملية التحاسب الضريبي بالسودان (رسالة دكتوراه غير منشورة). جامعة النيلين، كلية الدراسات العليا.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. (2000). لسان العرب (المجلد 11). بيروت: دار صادر.
- التجاني، سعيد حسب النبي. (2010). مشاكل تطبيق التقدير الذاتي وأثرها على الإيرادات الضريبية (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية الدراسات العليا.
- جمعة، أحمد حلمي. (1999). التدقيق الحديث للحسابات. عمان: دار الصفاء للنشر والتوزيع.
- جمعية المجمع العربي للمحاسبين القانونيين. (2007). إصدارات المعايير الدولية لممارسة أعمال التدقيق.
- حجير، حسن عمر صابون. (2010). أثر تطبيق نظام التقدير الذاتي في إصلاح نظام ضريبة أرباح الأعمال في السودان (بحث دبلوم عالي غير منشور). جامعة جوبا، مدرسة العلوم الإدارية.

- رلى، عبد الرزاق حسين. (2010). مدى التزام الفاحص الضريبي الفلسطيني بمعايير المراجعة الدولية وأثر ذلك في الحد من والكشف عن حالات التهرب الضريبي (رسالة ماجستير منشورة). جامعة النجاح الوطنية.
- زينب، بخيت بوش. (2012). أثر التوعية الضريبية على رفع كفاءة أداء ديوان الضرائب (رسالة ماجستير منشورة). جامعة النيلين.
- سجينى، طلال إبراهيم عرابي. (1996). أصول المحاسبة في الإسلام. القاهرة: مكتبة وهبة.
- التهامي، عبد اللطيف عبد الرحمن. (2009). دور التقدير الذاتي في الإصلاح الضريبي في السودان (بحث تكميلي غير منشور). جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية الدراسات العليا.
- الشحادة، عبد الرزاق قاسم، وآخرون. (2011). نظرية المحاسبة. عمان: زمزم ناشرون وموزعون.
- متولي، عصام الدين محمد. (1991). نظرية المحاسبة الضريبية. القاهرة: دار النهضة العربية.
- حسين، علاء سعيد. (2014). تقييم دور نظم المعلومات الإلكترونية في الحد من ظاهرة التهرب الضريبي من وجهة نظر مكاتب المحاسبة والدوائر الضريبية (رسالة ماجستير). الجامعة الإسلامية، غزة.
- النقيب، كمال عبد العزيز. (2004). مقدمة في نظرية المحاسبة. عمان: دار وائل للنشر والتوزيع.
- الفضل، مؤيد محمد علي. (2002). أهمية الإفصاح عن المعلومات الخاصة بالتدفقات النقدية في التقارير المالية الخارجية: دراسة اختبارية في العراق. مجلة العلوم والاقتصاد والإدارة، جامعة بغداد، كلية الإدارة والاقتصاد، 18(1)، 111.
- محمد، جار النبي مختار. (2017). أثر الفحص الضريبي للقوائم المالية في تحقيق أهداف نظام التقدير الذاتي بالسودان (رسالة دكتوراه غير منشورة). جامعة الزعيم الأزهري.
- فداء الدين، محمد، & قاسم، عبد الله. (1990). الأثر المتوقع لمعيار العرض والإفصاح على مستوى الإفصاح في القوائم المالية المنشورة في الشركات المساهمة السعودية. مجلة العلوم الإدارية، 1(1)، 66.
- الناعي، محمود. (1996). دور الإدارة الضريبية في مجالات الاستثمار. في المؤتمر الضريبي الثاني لمديري ضرائب أفريقيا (ص. 105).
- عزوز، مرابط عياش. (1999). الكفاءة المهنية. القاهرة: دار اقرأ.
- العكر، معتز برهان جميل. (2010). أثر مستوى الإفصاح المحاسبي في البيانات المالية المنشورة على تداعيات الأزمة المالية في القطاع المصرفي في الأردن (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة الشرق الأوسط، كلية الإدارة.
- محمد، موفق عبد الحسين. (2012). مدى التزام الشركات العامة بمتطلبات الإفصاح في التقارير المالية. مجلة دراسات محاسبية ومالية، المعهد العالي للدراسات المحاسبية والمالية، جامعة بغداد، 7(18)، 13-14.
- متباط، نعمة أحمد. (2006). دراسة تحليلية للعلاقة بين التكوين الأخلاقي والسلوكي للمحاسب وجودة التقارير المالية (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة الإسكندرية، كلية التجارة.
- هناء، بشير نور الدين. (2012). مدى وفاء البيانات المالية المراجعة بمتطلبات تحديد وقياس وعاء ضريبة أرباح الأعمال بالسودان (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة النيلين، كلية الدراسات العليا.

عنوان البحث

**فاعلية استراتيجية التعليم الهجين في تعليم اللغة العبرية كلغة ثانية لدى
طلبة المرحلة الثانوية**

ريم ذياب¹

¹ طالبة دكتوراه تعلم وتعليم، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

بريد الكتروني: Reem7.rd@gmail.com

HNSJ, 2025, 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/19>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/68/19>

تاريخ النشر: 2025/08/01م

تاريخ القبول: 2025/07/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/07/07م

المستخلص

هدفت الدراسة الحالية إلى فحص أثر استخدام التعليم الهجين في تحسين مهارات التعبير الكتابي باللغة العبرية كلغة أجنبية لدى الطلبة العرب في المرحلة الثانوية. اعتمدت الباحثة التصميم شبه التجريبي، وتكوّنت عينة الدراسة من (48) طالباً وطالبة، وزّعوا بالتساوي إلى مجموعتين: مجموعة تجريبية تلقت تعليماً باستخدام استراتيجية التعليم الهجين، ومجموعة ضابطة تلقت تعليماً اعتيادياً. تم قياس مهارات التعبير الكتابي من خلال اختبار قبلي وبعدي تناول أربعة محاور أساسية: المحتوى، التنظيم، الأسلوب، والدقة اللغوية، وأظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية لصالح المجموعة التجريبية في جميع المحاور، بحجم أثر 14.4%، مما يشير إلى فاعلية كبيرة للتعليم الهجين في تحسين التعبير الكتابي باللغة العبرية كلغة أجنبية. وتبرز النتائج أهمية التكنولوجيا التربوية في تدريس مهارات الكتابة، وضرورة تطوير استراتيجيات تعليمية مرنة تراعي الخصوصية اللغوية والثقافية للطلبة العرب.

الكلمات المفتاحية: التعليم الهجين، التعبير الكتابي، الطلبة العرب، المرحلة الثانوية.

RESEARCH TITLE**The effectiveness of the Hybrid learning strategy in teaching Hebrew as a second language to high school students****Abstract**

The current study aimed to examine the effect using of Hybrid learning on improving the written expression skills in Hebrew as a foreign language among Arab high school students. The researcher adopted a quasi-experimental design, and the study sample consisted of 48 students, equally divided into two groups: an experimental group that received instruction using a Hybrid learning strategy, and a control group that received traditional instruction. Written expression skills were measured through a pre-test and post-test covering four main dimensions: content, organization, style, and linguistic accuracy. The results showed statistically significant difference in favor of the experimental group across all dimensions, with an effect size of 14.4%, indicating a substantial impact of Hybrid learning on improving written expression in Hebrew as a foreign language. These findings highlight the importance of integrating educational technology in teaching writing skills and underscore the need to develop flexible instructional strategies that consider the linguistic and culture specificities of Arab students.

Key Words: Hybrid learning, written expression, Arab students, secondary level.

المقدمة

في ظل ما يشهده العالم من تحولات متسارعة وأزمات متعددة الأبعاد، سواء كانت صحية كجائحة كورونا، أو أمنية كالحروب، باتت هناك حاجة ماسة لإعادة النظر في أساليب التعليم الاعتيادية التي اثبتت محدوديتها في مواجهة هذه التحديات، فقد فرضت هذه الازمات واقعا جديداً أعاد تشكيل مفاهيم التعليم وطرق تقديمه، لتتجه المؤسسات التعليمية نحو تبني التعليم الإلكتروني كبديل استراتيجي يضمن استمرارية التعلم وتكيفه مع الظروف الطارئة (Iivari et al., 2020). وأصبح التحول الرقمي في التعليم ليس خياراً ترفيهياً كما كان ينظر إليه سابقاً، بل ضرورة حتمية لمواكبة المتغيرات المتلاحقة وخلق بيئات تعليمية مرنة تتيح للمتعلمين فرصاً أوسع للتعلم وتعزيز جاهزيتهم للتعامل مع تحديات عصر المعرفة الرقمي (Yun, 2023). وفي قلب هذا التحول المتسارع يبقى المتعلم هو المحور الرئيسي، فطالما كان في قلب العملية التعليمية، لكنه في كثير من الأحيان لعب دور متلقي سلبي حيث تُصب عليه المعارف دون أن يتاح له الاستقصاء أو البحث بنفسه، حقيقة جعلت التعليم يبدو كأنه عملية أحادية تنقذ روح التفاعل والمشاركة. هذا الواقع فرض ضرورة تبني استراتيجية تعليمية حديثة مهمتها نقل المتعلم من حالته كمتلقي إلى دور الباحث والفاعل، ومن هذه الحاجة برز التعليم الإلكتروني كأحد الحلول التي قلبت موازين العلاقة بين المعلم والمتعلم، وأتاحت للمتعلم فرصة أن يكون شريكاً في بناء معرفته وتجربته التعليمية (Godsk & Moller, 2024).

فالتعليم الإلكتروني كما يرى شنون (2023) نقل المتعلم إلى موقع الفاعل المسؤول عن تعلمه ومشاركته في العملية التعليمية، وفتح المجال أمامه أن يُعبر، يستكشف ويجرب بنفسه، مما عزز الشعور لديه بكونه شريك بعملية التعلم بدلاً من الاكتفاء بدور المتلق، فالتكنولوجيا الحديثة ساهمت بنقل المعرفة وتطوير كفاءات المتعلمين وأيضاً أنشأت بيئة تعليمية نشطة، ناجعة بتحفيز المتعلمين وجعلهم يتحملون مسؤولية تعليمهم. كما برز التعليم الإلكتروني كأداة حيوية ليس فقط لاستمرار العملية التعليمية في ظل التطورات التكنولوجية المتسارعة والأزمات، بل أيضاً لتعزيزها وتطويرها، حيث أدى انتشاره إلى توفير تجارب تعلم مرنة وشخصية وتعزيز التعاون بين المعلمين والمتعلمين (Olayinca, 2024).

ورغم هذه المزايا لم يتمكن التعليم الإلكتروني من تلبية احتياجات العملية التعليمية، إذ ظهر جلياً قصوره في الاهتمام بالجوانب الاتصالية بين المعلم والمتعلم، واعتماده في بعض الأحيان على جوانب شكلية تُضعف العلاقة التفاعلية التي يحققها التعليم الواجهي، إضافة إلى محدوديته في تقديم الأنشطة والبرامج التعليمية الداعمة لدور المدرسة ومناخها الاجتماعي والتربوي (الدeshان، 2020). كما فشلت العديد من أنظمة التعليم الإلكتروني في تحقيق التحفيز والفعالية المطلوبة للمتعلمين بسبب نقص المعرفة بتقنيات وطرق تطوير أنظمة المعلومات لعدة أسباب كتجاهل المراحل في تصميم المهام، ووجود مشاريع دون تخطيط مسبق، استخدام تكنولوجيا وتقنية تحفيزية غير مناسبة (بليزك، 2022).

بناءً على ذلك، كان الاتجاه نحو ضرورة دمج التعليم الواجهي والتعليم الإلكتروني لتشكيل ما يسمى التعليم الهجين، إذ يتم التركيز على إيجابيات كلٍ منهما (علي، 2021)، ففي التعليم الإلكتروني يتم مراعاة المحتوى

التعليمي ووضع دعائم بيداغوجية لتكون بمتناول جميع الطلبة واستثمار الجوانب الإيجابية في طريقة التعليم الرقمية واستخدام التكنولوجيا في التعليم (Tlili et al., 2024)، ومن ناحية أخرى الاستمرار في الفصول الدراسية الاعتيادية والتي تعد وسيلة رئيسية لنشر التعليم والمنهاج وبيئة دعم الاتصال ما بين المعلم والمتعلم (عزوق وأبن ملة، 2021).

ويؤكد محمد (2024) أن التعليم الهجين هو استراتيجية تعليمية حديثة تدمج مزايا التعليم الوجاهي والتعليم الإلكتروني معاً، ففي الفصول الدراسية الواقعية يكتسب الطالب المعارف والمهارات والقيم من خلال الأنشطة العملية، بينما توفر البيئة الإلكترونية فرصاً للتفاعل المرن مع المحتوى التعليمي بما يراعي الفروق الفردية بين المتعلمين من حيث القدرات والظروف.

من هنا يظهر مدى أهمية التعليم الهجين من حيث ملائمة ما بين التعليم بأساليبه وأدواته وما بين خصائص المتعلمين المختلفة واحتياجاتهم بالإضافة إلى تنمية مهارات المتعلم وتفاعله مع المادة التعليمية وخلق جو من التفاعل ما بين المتعلم والمعلم، هذا الاختلاف في الخصائص والاحتياجات هو من ضمن الصعوبات التي تواجه المجال التعليمي، ومن ضمن هذه الصعوبات تعلم واكتساب اللغة، هذه الصعوبات تتنوع وتتداخل فيما بينها بين المتعلمين وتأخذ أنواعاً متعددة لديهم ان كان ذلك في مهارات اللغة الأساسية كالقراءة والكتابة والتعبير بنوعيه الشفهي والكتابي، هذه الصعوبات قد تلاحق التلميذ طوال حياته اذا ما تم التعامل معها، وقد أشار (Li, 2025) إلى أن تعلم الكتابة يُعد صعب نسبياً، حيث أن الكتابة مهارة مهمة لتعلم اللغة وتتخطى كونها تساعد المتعلمين على فهم اللغة واستخدامها بشكل أفضل وحسب، بل تنمي أيضاً قدراتهم في التفكير والتعبير، كما أشار إلى أن تعلم الكتابة كان دائماً تحدياً خاصة لمتعلمي اللغة غير الأصليين حيث يواجهون مشاكل كعدم كفاية المفردات، والأخطاء النحوية، والتعبير غير الدقيق.

مشكلة الدراسة

يواجه متعلمي اللغة العبرية كلغة ثانية الذين يتعلمون بالطريقة الاعتيادية تحديات وصعوبات تتعلق باكتساب اللغة واتقان مهاراتها، وتكمن معظم الصعوبات في مهارة التعبير الكتابي والشفهي، حيث ان التعليم الاعتيادي يفتقر لعنصر المشاركة الفعالة ولعدم مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين.

وتشير نتائج دراسة استقصائية لمهارات القراءة لدى الطلبة العرب البالغين أجرتها منظمة OECD الى ضرورة تحسين اكتساب مهارات اللغة العبرية الفصحى، وهذه الفجوات في معرفة القراءة والكتابة بلغة الأم قد تشكل عائقاً أمام اكتساب اللغتين العبرية والانجليزية كلغات اجنبية (Tkachou & Kalisher, 2023)، فالطالب العربي حسب المنهاج التعليمي الإسرائيلي مطالب بالإضافة إلى تعلم اللغة العبرية الفصحى أيضاً تعلم اللغة الإنجليزية والعبرية مما يظهر الصعوبات التي يواجهها خلال مسيرته التعليمية. وحسب بحث أجرته "راما" - سلطة للقياس والتقويم في السنة الدراسية 2022-2023 للكشف عن مستوى الطلبة العرب في تعلم اللغة العبرية، أظهرت النتائج انخفاض بالمعدل العام لديهم، حيث ارتفعت نسبة الطلبة ذوي التحصيل المنخفض الى 36%، وانخفضت نسبة الطلبة ذوي التحصيل المرتفع الى 22%. وأن نسبة الطلبة الذين حققوا مستويات أداء منخفضة 36%

مقارنة ب- 31% بالاختبار الأخير الذي أجري قبل 5 سنوات، وفقاً لذلك انخفضت نسبة الطلبة الذين حققوا مستويات مرتفعة من 24% الى 22%. كما أظهرت النتائج انخفاض بنسبة 13% في نسبة الطلبة الذين أبلغوا عن الكفاءة الذاتية في اللغة العبرية، وانخفاض بنسبة 11% في نسبة الطلبة الذين أبلغوا عن التمتع والاهتمام باللغة العبرية (RAMA, 2024).

إلى جانب ذلك حسب تقرير مركز الأبحاث والمعلومات حول نتائج امتحانات الثانوية العامة باللغة العبرية، حيث يُطلب من الطلبة اكمال دراسات تتكون من 3 وحدات تعليمية كشرط للحصول على شهادة الثانوية العامة، وبالفعل أكمل 85% من الطلبة هذا المطلب عام 2022 بانخفاض 2% عن عام 2021، ووصول 28% من بينهم إلى إكمال 5 وحدات تعليمية، ولكن وفقاً للتقرير لن يجتازوا بالضرورة الامتحانات العبرية عند دخولهم الجامعات وهو حاجز آخر يُظهر ضعف إتقان اللغة العبرية (Noy & Benita, 2024).

كۆن الباحثة معلمة في المرحلة الثانوية وبخبرة تزيد على عشرين سنة، فقد استنتجت خلالهما تدني فرص نجاح التعليم الاعتيادي في تعليم اللغة العبرية خاصة مع التطورات المتسارعة في العالم، مما دفعها إلى البحث في توظيف التعليم الهجين كاستراتيجية تعليمية لموضوع اللغة العبرية، خاصة مهارة التعبير الكتابي.

وبناء على ما تقدم، فإنّ مشكلة الدراسة تتحدد في السؤال الرئيسي الآتي:

- ما فاعلية استراتيجية التعليم الهجين في تدريس مهارات التعبير الكتابي باللغة العبرية لدى الطلبة العرب في المدارس الثانوية؟

وتتنبثق عنه الفرضية الآتية:

لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية على مستوى ($\alpha \leq 0.05$) بين متوسطي علامات الطلبة في اختبارات مهارات التعبير الكتابي باللغة العبرية، يُعزى للمتغير طريقة التدريس (الاعتيادية، التعليم الهجين).

أهداف الدراسة - هدفت الدراسة إلى التعرف على مدى فاعلية استراتيجية التعليم الهجين في اكتساب طلبة المرحلة الثانوية مهارات التعبير الكتابي في اللغة العبرية.

أهمية الدراسة - تمثلت أهمية الدراسة في المجالات النظرية والتطبيقية والبحثية:

الأهمية النظرية - تتبع الأهمية النظرية لهذه الدراسة من المضامين المتنوعة والغنية التي تتناول تعليم اللغة العبرية كلغة ثانية لدى الطلبة العرب، والصعوبات المرتبطة بها، لا سيما في ظل ندرة الدراسات التي عالجت هذا الموضوع تحديداً في السياق العربي داخل الخط الأخضر - وفق ما توصلت إليه الباحثة. وبناءً عليه، من المتوقع أن تُشكل هذه الدراسة مرجعاً نظرياً يمكن الاستناد إليه في أبحاث مستقبلية، خاصة في مجالات تعليم اللغات وتوظيف التكنولوجيا في تطوير المهارات اللغوية. كما تساهم الدراسة في توسيع الفهم النظري لدى المعلمين والباحثين حول فاعلية التعليم الهجين، وإمكانية توظيفه بشكل هادف في تعليم اللغة العبرية.

الأهمية التطبيقية - تتجلى الأهمية التطبيقية فيما تقدمه من مقترحات عملية وتربوية يمكن أن تسهم في تطبيق استراتيجية التعليم الهجين داخل صفوف اللغة العبرية، مما يتيح لمعلمي اللغة تبني نماذج تدريس حديثة ومبتكرة.

كما تساهم في توجيه انتباه إدارات المدارس الثانوية العربية إلى أهمية اعتماد أنماط تعليمية أكثر تفاعلية ومرونة لتحسين جودة تعليم اللغة العبرية، خاصة لكونها لغة ثانية بالنسبة للطلبة. وتبرز أهمية الدراسة أيضاً في عرض أدوات واستراتيجيات تعليمية قابلة للتطبيق، يمكن أن يستفيد منها معلمو اللغة العبرية، ومطورو المناهج، في دمج التعليم الرقمي ضمن الخطة التعليمية بشكل فعال.

الأهمية البحثية تُعد هذه الدراسة ذات قيمة بحثية نظراً لما قد ينتج عنها من نتائج وتوصيات ومقترحات يمكن أن تشكل أساساً معرفياً لبناء أبحاث لاحقة في مجال تحسين جودة التعليم المدمج في تدريس اللغة العبرية كلغة ثانية. كما تمهد الدراسة الطريق لإجراء دراسات مقارنة أو تجريبية معمّقة حول أثر التعليم الهجين على مهارات لغوية أخرى، أو في مراحل دراسية مختلفة.

حدود الدراسة

اقتصرت هذه الدراسة على الحدود الآتية:

الحدود البشرية - طلاب صف الحادي عشر المرحلة الثانوية.

الحدود المكانية - مدرسة ثانوية - منطقة الشمال داخل الخط الأخضر.

الحدود الزمنية - أجريت الدراسة خلال الفصل الأول من السنة الدراسية 2025/2024.

الحدود الموضوعية - فاعلية دمج التعليم الهجين في تدريس التعبير الكتابي في اللغة العبرية.

الحدود المنهجية - المنهج التجريبي بتصميم شبه تجريبي، والاختبار كأداة لجمع البيانات.

تعريف مصطلحات الدراسة - تعتمد الدراسة التعريفات الآتية لمصطلحاتها:

التعليم الهجين - عرفه بيطار (2020، ص37) على أنه نموذج لتصميم المقرر الذي يخصص في جزء من الوقت في التعليم المعتاد بشكل وجاهي داخل الفصل الدراسي والجزء الآخر يتم خارجه.

إجرائياً: يقصد بالتعليم الهجين في هذه الدراسة أنه نمط تعليم يجمع تدريس التعبير الكتابي في اللغة العبرية عن بعد يشمل الأنشطة والمهام الالكترونية ومنصة الموديل (Moodle) ودروس أونلاين، والقسم الآخر من تدريس التعبير الكتابي في اللغة العبرية يتم بشكل وجاهي داخل الفصل الدراسي ليكون تكملة أو اجراء نقاشات واستفسارات حول ما تم تعلمه في الفصول الافتراضية.

التعبير الكتابي - اصطلاحياً "إقدار الطالب على الكتابة المترجمة لأفكاره بعبارات سليمة تخلو من الأغلاط بقدر يتلاءم مع قدراته اللغوية" (أبو زيد، 2020).

إجرائياً: العلامة التي يحصل عليها الطالب في اختبار مهارة التعبير الكتابي في اللغة العبرية، والذي أُعد خصيصاً لأغراض هذه الدراسة.

الإطار النظري

من أجل بناء أساس نظري متين لفاعلية التعليم الهجين في تدريس مهارات التعبير الكتابي، تُعد نظرية التعلم البنائية الأنسب لهذا الغرض، إذ تؤكد على أهمية دور المتعلم النشط في بناء معرفته وفهمه من خلال التفاعل مع البيئة التعليمية المحيطة به، وتتسجم هذه النظرية مع طبيعة التعليم الهجين الذي يوفر بيئة تعليمية تجمع التعلم الإلكتروني الافتراضي والتعلم الواجهي، الذي من شأنه إتاحة فرصاً أكبر للمتعلمين للتفاعل مع المواد التعليمية، خاصة أن مهارات الكتابة تتطلب ممارسة وتفاعلاً مستمرين من قبلهم (محفوظ، 2023). ومن هنا، تُعد النظرية البنائية إطاراً مناسباً لفهم دور التعليم الهجين في تطوير المهارات الكتابية لدى متعلمي اللغة العبرية، كما لا يمكن تجاهل أهمية دور المتعلم النشط في ظل الثورة التكنولوجية الراهنة، حيث أصبح التعامل الرقمي والدافعية للتعلم الذاتي من السمات البارزة للتعليم الهجين (محمد، 2024).

ومن ضمن طرق التدريس في التعليم الهجين استراتيجية الصف المعكوس، هذه الاستراتيجية تُعد من أهم طرق التدريس المبتكرة والتي تعتمد على استبدال الأدوار بين الفصل الدراسي والمنزل، حيث يتلقى الطالب المحتوى التعليمي في المنزل كالمواد التعليمية الرقمية والفيديوهات والمقاطع الصوتية، ويكون الاعتماد على الطالب في فهم بنود الدروس الأساسية، والأنشطة والفعاليات تكون داخل الفصل الدراسي (الصبحي والجندي، 2023).

وقد أشار محمد وعلي (2020) إلى فاعلية المنصات في التحصيل المعرفي الفوري الرقمي وفي بقاء أثر التعلم لدى المتعلمين، وحسب الفائز وعسيري (2024) فإن التعلم عن بعد يساهم في مساعدة المتعلم على التعلم بشكل مستقل وتحويل التعليم إلى التعلم عن طريق التوجيه الذاتي وتوفير أفضل الطرائق والوسائل والتقنيات المناسبة لإتاحة بيئة تعليمية تفاعلية، دمج التعليم الإلكتروني ومنصات التعليم عن بعد والموارد عبر الإنترنت مع التعليم الاعتيادي بما يسمى التعليم الهجين يمكن أن يعزز الأداء التعليمي للطلاب بما في ذلك التعبير الكتابي بما يوفره من مواد تعليمية متنوعة ومرونة التعلم.

التعبير الكتابي:

يُعد التعبير الكتابي من المهارات اللغوية المهمة حيث أنه أداة لتحقيق التواصل بين البشر وعملية ترميز الرسائل اللغوية المنطوقة في شكل خطي، ويُعرّف على أنه سلوك مقعد يشمل الكثير من المهارات المتداخلة: كالقواعد النحوية، المقدرة على التعبير، الكتابة اليدوية، علامات الترقيم والإبداع (بني عمر، 2023)، وينطوي التعبير الكتابي على مهارات فرعية: المهارات التنظيمية-تقسيم الموضوع لمقدمة، متن وخاتمة؛ المهارات الأسلوبية واللغوية من القدرة على اختيار الكلمات المناسبة وأدوات الربط؛ والمهارات الفكرية في تسلسل منطقي لتناول الأفكار. من هنا يرتبط التعبير الكتابي بعملية التفكير ارتباطاً وثيقاً حيث أن الكتابة تحتاج إلى التصنيف والربط والتحليل والتقويم (الحراشة وعليمات، 2023).

وفي هذا السياق، ذكر فيري (Ferry, 2024) أن هناك ضعف في مهارات التعبير الكتابي لدى الطلبة ومن أبرز مظاهره: ضعف الأفكار والاضطراب في ترتيبها، ضعف القدرة على الربط بينها بطريقة منطقية، وضعف التركيز على الفكرة الرئيسية للموضوع. ويرى الطويقري (2021) أن ضعف المتعلمين في مهارة الكتابة قد يعود إلى ثلاثة

أسباب: المتعلم، المعلم والمنهاج، وحيث ان طرائق التدريس تُعد عنصر أساسي من المنهج التعليمي، أما نوي وبنيتا (Noy & Benita, 2024) فيريان أن الضعف في مهارة الكتابة سببه طرق التدريس التقليدية مع قلة توظيف الوسائل الحديثة القائمة على التكنولوجيا، ويتفق لي (Li, 2025) مع هذه الدراسة حيث أشار في دراسته إلى مواجهة الطلبة مشكلة انخفاض الاهتمام بالتعلم وضعف تأثير تعليم التعبير الكتابي بالطريقة الاعتيادية، وبالمقابل يعمل أسلوب التدريس الإلكتروني على تحسين دافعية الطلبة للتعلم ومشاركتهم من خلال تحفيز اهتمامهم وزيادة متعة التعلم.

وبفحص مناهج تدريس اللغة العبرية وواقع تعليمها في جهاز التعليم لدى طلبة المجتمع العربي، يتضح ان مستوى إتقان اللغة العبرية آخذ في التراجع، وذلك بسبب قدم المناهج الحالية واعتماد تدريسها على معلمين لم يتلقوا تدريباً كافياً ومناسباً (Noy & Benita, 2024). وانطلاقاً من هذا الواقع، ومن منطلق أن التعليم الهجين يوفر مرونة أكبر في تعليم اللغات الأجنبية كما يتيح للطلبة الاستفادة من مزايا كل من التعليم الإلكتروني والتعليم الاعتيادي (Hermita, 2022)، وحيث أن هذه الدراسة تهتم فقط بمهارات التعبير الكتابي فقد تم تقصي دور هذه الاستراتيجية في تعلم مهارات الكتابة باللغة العبرية.

الدراسات السابقة

شهدت السنوات الأخيرة اهتماماً متزايداً من قبل الباحثين بدراسة فاعلية دمج التعليم الإلكتروني في العملية التعليمية، وأساليب التدريس، والاستراتيجيات التعليمية الحديثة، ومن ضمنها استراتيجية التعليم الهجين في تحسين تعلم الطلبة. ومن ضمن اهتمامات الباحثين مجال تعليم اللغات الأجنبية حيث سعوا لدراسة العلاقة ما بين تعليم اللغة الأجنبية والتكنولوجيا الرقمية، وحيث ان اهتمام الباحثة ينصب على التعبير الكتابي باللغة العبرية. فقد سعت الى مراجعة الدراسات التي تناولت دمج التعليم الإلكتروني في تدريس مهارات التعبير الكتابي باللغات الأجنبية، باعتبارها منطقاً يمكن البناء عليه في دراستها حول التعبير الكتابي باللغة العبرية، ومن بين هذه الدراسات: -

دراسة (Li, 2025) التي هدفت إلى استكشاف مدى فاعلية استخدام وسائط الترفيه الرقمي في تحسين مهارات التعبير الكتابي باللغة الإنجليزية لدى الطلبة في بيئة التعليم الإلكتروني، شملت الدراسة طلبة اللغة الإنجليزية في جامعة قوانغشو-الصين، وأعتمد الباحث في دراسته التصميم شبه تجريبي والاستعانة باختبارات كتابية وتحليل أداء الطلبة في الألعاب الإلكترونية، وتم جمع البيانات من خلال الاستبيانات، وأسفرت نتائج هذه الدراسة على وجود تحسن ملحوظ في مهارات الكتابة لدى الطلبة الذين استخدموا نظام التعليم الإلكتروني القائم على الألعاب التفاعلية، وتم رصد تحسن في جوانب مثل التعبير الكتابي، استخدام القواعد والتفكير الإبداعي.

وأجرت داينا واخرون (Daina et al., 2025) دراسة هدفت الى فهم تأثير التكنولوجيا وتحليل استراتيجيات التفاعل والدعم والتقويم في بيئات التعلم الهجين. اعتمدت الدراسة على منهجية نوعية، واستندت الى مراجعة الأدبيات كأداة بحث. وقد شملت عينة الدراسة مجموعة من الأبحاث والدراسات ذات الصلة. وأشارت نتائج الدراسة الى تحديد عدد من المحاور الرئيسية التي تسهم في فاعلية التعليم الهجين، أبرزها: دمج التكنولوجيا بشكل متكامل، تحفيز تفاعل الطلبة عبر أدوات وتقنيات محفزة، تبني استراتيجيات تقييم وتغذية راجعة فعالة لمتابعة الطلبة، مما انعكس إيجابياً على نتائج تعلم الطلبة عند تطبيق النماذج الهجينة بشكل ممنهج.

وفي السياق ذاته، أجري كل من جوينين ولازهار (Guenani & Lazhar, 2025) دراسة نوعية هدفت الى استكشاف تأثير التعليم الهجين على تطوير مهارات الكتابة العلمية، وبناء مجتمعات تعلم تعاونية في السياق الأكاديمي. اعتمدت الدراسة على تحليل الادبيات ذات الصلة، وتناولت كيفية دمج الأدوات الرقمية مع التفاعلات الواجهية لتعزيز الممارسات التعليمية، وقد أظهرت النتائج أن التعليم الهجين يعزز من تطوير مهارات الكتابة العلمية من خلال دمج الأدوات الرقمية والتفاعلات الواجهية، ويحسن من جودة الكتابة العلمية لدى الطلبة.

أما شوين وسي (Shuwen & Si, 2025) فقد هدفت دراستهما إلى تنظيم وتحليل الدراسات السابقة بشكل منهجي لتقييم مدى تأثير التعليم المدمج على تطوير مهارات الكتابة الإنجليزية ضمن بيئات تعليمية متعددة. وقد شملت عينة الدراسة 34 دراسة بحثية، وتم استخدام مراجعات أدبية منهجية كأداة تحليلية ضمن منهج نوعي تحليلي. كشفت نتائج الدراسة عن تحسن ملموس في مهارات الكتابة لدى الطلبة عند استخدام التعليم المدمج، مقارنة بأساليب التدريس الاعتيادية. كما ابرزت الدراسة تقبلاً إيجابياً لهذا النموذج من قبل المعلمين، وتأثيره في تعزيز دافعية المتعلمين نحو الكتابة، وخفض قلق الكتابة، وتهيئة مناخ نفسي إيجابي يسهم في دعم الطلبة.

وهدف دراسة رشوان (Rashwan, 2024) إلى فحص مدى تأثير برنامج تعليمي مدمج لتعليم الكتابة في تعزيز استخدام مهارات القرن-21 لدى طلبة اللغة الإنجليزية كلغة اجنبية، تشكلت عينة البحث من 60 طالباً، وأُتبع التصميم شبه التجريبي والاستعانة بتمرير اختبار قبلي وبعدي وقائمة ملاحظات للمجموعة التجريبية، أسفرت النتائج على ان التعليم المدمج ساهم في تعزيز مهارات القرن-21 لدى المجموعة التجريبية كمهارة التعاون، التفكير النقدي، التفكير الإبداعي وعملية التواصل.

أما دراسة غيث وآخرون (Gheith et al, 2024) فهدفت إلى فحص أثر استخدام النهج البنائي في بيئة تعليمية مدمجة (تعليم تقليدي وتعليم عبر الانترنت) في تطوير طلاقة الكتابة لدى متعلمي اللغة الإنجليزية كلغة اجنبية لدى الطلبة البالغين ليكون بمثابة دليل تصميم الأدوات التعليمية، تشكلت عينة الدراسة من 27 متعلماً مصرياً تراوحت أعمارهم بين 20-35، تم إتباع المنهج التجريبي ومنهج كمي ونوعي، وتكونت أدوات البحث من برنامج تعليمي تطبيقي، اختبار قبلي وبعدي، مقياس درجات Rubric لتقييم جودة الكتابة. وأسفرت النتائج على أن المنهج البنائي في سياق تعليم مدمج كان فعالاً للغاية وأدى الى تطوير طلاقة الكتابة لدى الطلبة وساعدهم على تحسين طلاقة الكتابة، دقة التعبير وتنظيم أفكارهم.

وهدف دراسة عاشور (2024) الى التعرف على أثر التعليم الالكتروني في تحسين مهارات التعليم الذاتي لدى طلبة المدارس الثانوية في مدارس بغداد، استخدمت الباحثة التصميم شبه التجريبي باستخدام استبانة متبناة لقياس مهارات التعليم الذاتي، عينة الدراسة تكونت من مدرسات وطالبات المرحلة المتوسطة في بغداد الكرخ الأول، وأشارت نتائج البحث الى وجود دلالة إحصائية للتدريس باستخدام التعليم الالكتروني على تحسين مستوى مهارات التعلم الذاتي لصالح المجموعة التجريبية.

وقاست دراسة البلوشية (2024) فاعلية استراتيجية الصف المقلوب في تنمية مهارات الكتابة الوظيفية لدى طلبة جامعة التقنية والعلوم التطبيقية واتجاهاتهم نحوها، وتكونت عينة الدراسة من 60 طالباً وطالبة، وتم اعتماد تصميم

شبه تجريبي، واختبار في مهارات الكتابة الوظيفية ومقياس الاتجاه نحو استراتيجية الصف المقلوب. وقد أسفرت نتائج البحث على وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات المجموعة التجريبية في التطبيقين القبلي والبعدي في درجات اختبار مهارات الكتابة الوظيفية ودرجات استجاباتهم لمقياس الاتجاه نحو استراتيجية الصف المقلوب لصالح التطبيق البعدي.

وهدفت دراسة لمحمد (2024) إلى موضوع التعليم الهجين من حيث ماهيته ومبررات استخداماته التعليمية وآليات تطبيقه في المنصات التعليمية الالكترونية والشبكات الاجتماعية. وقد اعتمدت الباحثة الوصف التحليلي شمل عدة دراسات عن التعليم العالي وقامت بتحليلها من حيث التغييرات الداعية لاستخدام التعليم الهجين خصائصه وأنماط تطبيقه، وأسفرت نتائج دراستها على أن التعليم الهجين اثبت أنه يخلق استراتيجيات تعليمية تكنولوجية حديثة ويحقق التواصل العلمي المعرفي بين أطراف العملية التربوية.

وفي دراسة أجراها الباحثان سبان وأوزون (Span & Uzun, 2024)، تم استقصاء أثر دمج الذكاء الاصطناعي في دروس اللغة الإنجليزية لدى طلاب الصف العاشر، خاصة فيما يتعلق بتنمية مهارات الكتابة والمفردات، إلى جانب فحص تصورات الطلاب تجاه استخدام Chat GPT كوسيلة تعليمية. استخدم الباحثان تصميمًا شبه تجريبي يجمع بين المنهج الكمي والنوعي، حيث تم تطبيق اختبار قبلي وبعدي، وإجراء مقارنات شبه منظمه مع 7 طلاب من المجموعة التجريبية. وقد أظهرت النتائج أن أسلوب التدريس المدعوم ب Chat GPT لم يتفوق بشكل واضح على الأسلوب التقليدي في تنمية مهارات الكتابة والمفردات، كما بيّنت المقارنات وجود نوع من خوف الطلبة نتيجة الاعتماد الزائد على الذكاء الاصطناعي مما أدى إلى ضعف الالتزام بمهام الكتابة وتراخ في الإنتاج اللغوي.

وتقصت دراسة أحمد وآخرين (2023) فاعلية تدريس التعبير الكتابي وتقويمه باستخدام حزمة من التطبيقات الرقمية الحديثة في تنمية مهارات التعبير الكتابي لدى طلبة الصف العاشر بسلطنة عمان، وعينة الدراسة تكونت من 124 طالباً وطالبة من 4 مدارس، انتهج الباحثون تصميم شبه تجريبي، وقد تم استخدام حزمة من التطبيقات الرقمية مع المجموعة التجريبية، وأشارت نتيجة البحث إلى ارتفاع متوسط درجات المجموعة التجريبية في مهارات التعبير الكتابي في المهارات الرئيسية، مقارنة بمتوسط درجات المجموعة الضابطة.

وهدفت دراسة ماضي (2023) إلى قياس أثر استخدام وحدة تعليمية إلكترونية مدمجة في رفع تحصيل طلبة الصفوف الثلاث الأولى في الكتابة، عينة الدراسة تكونت من 60 طالبة وطالب، استخدمت الباحثة في دراستها منهج شبه تجريبي للمجموعتين شملت أدوات إحصائية وقياسية، وقد أسفرت نتائج الدراسة على وجود فروق دالة إحصائية في تحصيل الطلبة الذين درسوا باستخدام وحدة تعليمية مدمجة وفاعلية استخدام الوحدة الإلكترونية المدمجة في تدريس الكتابة لدى الطلبة.

واستكشفت دراسة عازار وآخرين (Azar et al, 2023) كيفية استخدام الطلبة للأدوات الرقمية في الكتابة والتحديات التي يواجهونها وكيفية تطوير مهاراتهم في الكتابة في ظل العصر الرقمي الحالي. وتكونت عينة الدراسة من 206 طالب في المرحلة الثانوية صفوف أول وثاني ثانوي من مدارس الوسط اليهودي، و179 معلم

يُدرسون التعبير الكتابي باللغة العبرية والعربية والانجليزية، وانتهج الباحثون منهج كمي نوعي مدعوم بأداتين نوعيتين: مقابلات التركيز كوسيلة للتأليف وسؤال استبانة مفتوح، وكشفت نتيجة البحث على أن الأدوات الرقمية تغير طريقة تفكير الطلبة في الكتابة وتنفيذها وساعدهم على تحسين جودة الكتابة كما ظهرت تحديات يواجهها الطلبة في استخدام الأدوات الرقمية كقلة الخبرة في استخدام بعض الأدوات والتطبيقات والمشتتات الرقمية.

وهدف دراسة أبو قويدر (Abu Gweder, 2023) إلى الكشف عن العوامل الشخصية والأكاديمية التي تؤثر على الكتابة باللغة العبرية لدى الطلبة العرب والكشف عن أثر التنوع اللغوي على الكتابة، منهج البحث نوعي يعتمد على البحث الذاتي والذي يركز على فهم تجارب الباحث وتفسيرها، تم جمع بيانات وصفية تشمل تحليل نتائج كتابة الطلبة والوقوف على طبيعة الأخطاء الكتابية وأنماط الكتابة لديهم، وقد أسفرت نتائج البحث على أن أكثر الأخطاء لدى الطلبة كانت بسبب التشابه الصوتي للكلمات، وعملية الصرف، وتأثير اللغة العربية والأخطاء الإنسانية.

وأجرى العويسات والحوالدة (2022) دراسة هدفت استكشاف أثر استخدام التعليم المدمج في تنمية مهارة الكتابة لدى طلبة الصفوف الثلاث الأولى، وتكونت عينة الدراسة من 60 طالباً وطالبة، واستخدم الباحثان تصميم شبه التجريبي، وتكونت أدوات الدراسة من اختبار مهارات الكتابة قبلياً وبعدياً، وأشارت نتائج البحث إلى تحسن مستوى درجات طلبة المجموعة التجريبية عن الضابطة وفاعلية التعلم المدمج في تنمية مهارة الكتابة لديهم.

كما أجرى هوانج وهوانج (Hoang & Hoang, 2022) دراسة هدفت إلى استكشاف أثر الأنشطة الكتابية التعاونية المنتظمة عبر منصة Google Docs على تنمية مهارات الكتابة الأكاديمية لدى طلاب المرحلة الثانوية ممن يدرسون اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية. شملت عينة الدراسة 24 طالباً من المرحلة الثانوية ممن شاركوا في دورة اللغة الإنجليزية، وقد استخدم الباحثان منهجاً مختلطاً (كمي ونوعي) لجمع البيانات وتحليلها. تمثلت أدوات البحث في اختبار كتابي تحليلي قبلي وبعدي، بالإضافة إلى مقابلات شبه منظمة مع عدد من الطلبة المشاركين، أظهرت النتائج تحسناً ملحوظاً في مهارات الكتابة لدى الطلبة بعد استخدام الأنشطة التعاونية خاصة في جانب ملاءمة المحتوى لمتطلبات مهمة الكتابة وإثراء المفردات المستخدمة، في المقابل لم تسجل فروق ذات دلالة إحصائية في جوانب أخرى مثل تنظيم النص وتماسكه أو صحة القواعد النحوية، كما أشار بعض الطلبة في المقابلات إلى مواجهتهم تحديات تقنية وتنسيقية أثناء تنفيذ الكتابة التعاونية عبر المنصة الرقمية.

أما دراسة نور وعبد الله (Noor & Abdalla, 2022) فهدفت تقصي دور التعلم المدمج في تحسين مهارة الكتابة لدى الطلبة الجامعيين دارسي اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية، تشكلت عينة الدراسة من 30 طالباً تم اختيارهم عشوائياً، اتبع الباحثون منهج وصفي تحليلي والاستعانة باستبيان لجمع البيانات، أسفرت النتائج على أن استراتيجية التعلم المدمج هي طريقة فعالة في تدريس وتعلم مهارات الكتابة لدارسي اللغة الإنجليزية.

أما مراد (Murat, 2021) ففحص في دراسته أثر التعلم المدمج في تحسين مهارات الكتابة باللغة الإنجليزية لدى طلبة الصف الحادي عشر في المدارس الثانوية التركية، إلى جانب استكشاف تصورات الطلبة تجاه بيئة التعلم المدمج. أعتمد الباحث في منهجية الدراسة على تصميم يجمع بين المنهج الكمي والنوعي، حيث استخدم أدوات

بحث تمثلت في استبيان إضافة إلى اختبارين قبلي وبعدي لقياس تطور المهارات الكتابية مع عينة طلاب مكونة من 92 طالب من الصف الحادي عشر. وقد أظهرت النتائج أن التعلم المدمج كان له تأثير إيجابي كبير في تحسين مهارات الكتابة لدى الطلبة، كما عبّر الطلبة عن مواقف إيجابية تجاه بيئة التعلم المدمج. في المقابل أظهرت الدراسة وجود بعض التحديات المرتبطة بتجربة التعلم، مثل العبء الناتج عن كثافة الأنشطة الرقمية، وصعوبات الوصول إلى الانترنت لدى بعض الطلبة، مما يشير إلى الحاجة لمراعاة هذه العوامل عند تصميم بيئات التعلم المدمج.

تعقيب على الدراسات السابقة واختلاف الدراسة عنها: -

أشارت الدراسات إلى فاعلية التعليم الهجين/المدمج في تحسين مهارات الكتابة لدى متعلمي اللغات الأجنبية، إذ أثبتت دراسات (Rashwan, 2024; Li, 2025; Murat, 2021) تأثير الدمج بين الأنشطة الرقمية والتفاعلات الواجهية في تعزيز جوانب مثل التعبير الكتابي والدافعية، بينما أوضحت دراسة نوعية أخرى مثل (Azar et al., 2023 و أبو قويدر، 2023) التحديات المرتبطة بتعدد اللغات والتقنيات الرقمية، كما بيّنت أبحاث مثل (Span & Uzun, 2024; Hoang & Hoang, 2022) أن استخدام أدوات تفاعلية مثل google Docs أو الذكاء الاصطناعي من شأنه أن يدعم الكتابة ولكنه قد يثير مخاوف تتعلق بالالتزام وجودة الإنتاج الكتابي. ومع أن هذه الدراسات تسهم في بناء معرفة قيّمة حول العلاقة بين التعليم الرقمي ومهارات الكتابة، إلا أن معظمها ركز على فاعلية التعليم الإلكتروني/ المدمج/ الهجين في تدريس مهارات الكتابة باللغة الإنجليزية بسياقات تعليمية وثقافية مختلفة، دون تناول التعبير الكتابي باللغة العبرية لدى الطلبة العرب، الأمر الذي يبرر الحاجة لإجراء هذه الدراسة لتسليط الضوء على هذه الثغرة العلمية، وفحص فاعلية التعليم الهجين في تطوير التعبير الكتابي باللغة العبرية ضمن سياق لغوي وثقافي مغاير لما ذكر في الدراسات السابقة.

منهجية الدراسة

اعتمدت الباحثة المنهج التجريبي بتصميم شبه تجريبي لملاءمته لطبيعة الدراسة وأهدافها، حيث يسمح بقياس أثر استراتيجية التعليم الهجين على تطوير مهارات التعبير الكتابي باللغة العبرية لدى الطلبة العرب من خلال المقارنة بين المجموعتين:

مجموعة تجريبية: تتلقى التعليم باستخدام التعليم الهجين، التي تمزج بين التعليم الواجهي والتعليم الإلكتروني.

مجموعة ضابطة: تتلقى التعليم وفق الأسلوب الاعتيادي المعتمد في المدرسة (تعليم وجاهي فقط).

وقد أُستخدم اختبار قبلي وبعدي لتقييم التغييرات في أداء الطلبة بين المجموعتين، وتم الحرص على ضبط الظروف المحيطة بالتجربة قدر الإمكان لضمان عزو أي فروق ناتجة إلى الاستراتيجية التعليمية المستخدمة.

مجتمع الدراسة وعينتها:

يتكوّن مجتمع الدراسة من طلاب وطالبات المرحلة الثانوية في إحدى المدارس العربية الواقعة في منطقة الشمال داخل الخط الأخضر، ويبلغ عددهم نحو (2076) طالباً وطالبة، وفق معطيات قسم المعارف والثقافة في البلدية لسنة 2025.

أما العينة فقد تم اختيارها قصدياً لاعتبارات تتعلق بسهولة وضمان التفاعل، حيث تضم المجموعة التجريبية طلاباً من صف تدرّسه الباحثة فعلياً. بلغ حجم العينة الكلي (48) طالباً وطالبة موزعين بالتساوي على النحو التالي: المجموعة التجريبية - 24 طالباً وطالبة. المجموعة الضابطة - 24 طالباً وطالبة.

أدوات الدراسة:

استخدمت في هذه الدراسة أداتان رسميتان معتمدتان من وزارة التربية والتعليم: الاختبار القبلي: نُفذ في بداية الفصل الدراسي الأول (2025/2024) لقياس المستوى الأولي في التعبير الكتابي باللغة العبرية لدى الطلبة في المجموعتين قبل التدخل التعليمي.

الاختبار البعدي: نُفذ في نهاية الفصل نفسه، بعد تطبيق استراتيجية التعليم الهجين على المجموعة التجريبية.

صدق الاختبار - اختبار وزاري تم المصادقة عليه من قبل خبراء مختصين بوزارة المعارف، مرر للطلبة ضمن الامتحان النهائي (البجروت) شهر 6 سنة 2024 لقياس مستوى الطلبة في اللغة العبرية يشمل: فهم المقروء، وقواعد اللغة والتعبير الكتابي، ولأغراض البحث اختارت الباحثة اجراء اختبار يشمل فقط قسم التعبير الكتابي وتم تقسيم المقياس إلى أربعة مجالات لفحص مهارات التعبير الكتابي لدى الطلبة: مستوى المحتوى والأفكار، مستوى الهيكل والتنظيم، مستوى اللغة والأسلوب، مستوى الدقة اللغوية. ونظراً لاعتماد الامتحانات الوزارية فإنها تتمتع بدرجة عالية من الصدق والثبات والمطابقة للمعايير ولا تستدعي تحكماً إضافياً.

ثبات الاختبار: قيم الثبات وفق معامل الفا كرونباخ > 0.7 ، وهو معامل ثبات مرتفع يفي بأغراض البحث العلمي (Hussey et al., 2023).

تصميم الدراسة:

ضبط المتغيرات - حرصت الباحثة على ضبط مجموعة من المتغيرات لضمان مصداقية النتائج، ومنها: توحيد المادة التعليمية والمهام الكتابية للمجموعتين، تخصيص نفس عدد الحصص التعليمية خلال مدة التجربة، البيئة الصفية المتقاربة من حيث الإمكانيات وعدد الطلبة.

متغيرات الدراسة:

المتغير المستقل - طريقة التدريس (استراتيجية التعليم الهجين، الطريقة العادية). المتغير التابع - مستوى التعبير الكتابي: مستوى المحتوى والأفكار، مستوى الهيكل والتنظيم، مستوى اللغة والأسلوب، مستوى الدقة اللغوية.

المعالجات الإحصائية:

للإجابة عن سؤال الدراسة وفحص فرضياته استخدمت الباحثة برنامج SPSS، حيث تم تحليل البيانات باستخدام هذا البرنامج الإحصائي بعد ان قامت الباحثة بإدخال درجات الطلبة في الاختبارين القبلي والبعدي لكل مجموعة من اجل مقارنة أداء ومستوى كل مجموعة، ولذلك قامت الباحثة باستخدام تحليل التباين الأحادي المصاحب لفحص دلالة الفروق وفق متغير طريقة التدريس.

عرض النتائج وتفسيرها ومناقشتها:

النتائج المتعلقة بالسؤال الأول: ما فاعلية استراتيجية التعليم الهجين في تدريس اللغة العبرية لدى الطلبة العرب في المدارس الثانوية؟ واشتقت منه الفرضة الآتية: لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية على مستوى ($\alpha \leq 0.05$)، بين متوسطي علامات الطلبة في اختبارات مهارات التعبير الكتابي باللغة العبرية، يُعزى للمتغير طريقة التدريس (الاعتيادية، التعليم الهجين).

وللإجابة عن هذا السؤال، تم إجراء اختبارين قبلي وبعدي للمجموعتين قبل تطبيق استراتيجية التعليم الهجين وبعدها، الجدول رقم (1) يظهر المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتحصيل الطلبة في الاختبارين القبلي والبعدي في المجموعتين الضابطة والتجريبية.

جدول (1) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتحصيل الطلبة في الاختبارين القبلي والبعدي في المجموعتين الضابطة والتجريبية.

المجال		المجموعة الضابطة		المجموعة التجريبية	
		القبلي	البعدي	القبلي	البعدي
المحتوى والأفكار	المتوسط	73.79	77.04	77.79	84.17
	الانحراف	7.02	6.34	5.13	4.99
الهيكل والتنظيم	المتوسط	76	79.04	78.76	84.04
	الانحراف	7.61	6.93	4.67	7.29
اللغة والأسلوب	المتوسط	67.63	69.67	70.5	80.21
	الانحراف	6.89	6.56	6.56	5.07
الدقة اللغوية	المتوسط	66.67	69.5	68.71	77.75
	الانحراف	6.72	6.59	6.94	4.72
الدرجة الكلية للاختبار	المتوسط	71.02	73.83	73.91	81.54
	الانحراف	6.74	6.31	5.62	4.69

تشير نتائج جدول (1) إلى أن المجموعة التجريبية في الاختبار القبلي لديها متوسط حسابي أعلى قليلاً مقارنة مع المتوسط الحسابي للمجموعة الضابطة بفارق ظاهري 2.81، أما في الاختبار البعدي فحصلت المجموعة التجريبية على متوسط حسابي أعلى من المجموعة الضابطة بفارق ظاهري 7.63، مما يشير إلى أن الفارق الظاهري بين المجموعتين في الاختبار القبلي والاختبار البعدي يساوي 4.82 لصالح المجموعة التجريبية.

كما يشير الجدول إلى تحسن طفيف في المتوسط بالمجالات الأربعة لدى المجموعة الضابطة، ولدى المجموعة التجريبية نلاحظ تحسناً ملحوظاً، ولفحص دلالة الفروق، فقد قامت الباحثة بإجراء تحليل التباين الأحادي المصاحب (ANCOVA)، والجدول (2) يظهر النتائج

جدول 2. نتائج تحليل التباين الأحادي المصاحب (ANCOVA) لفحص دلالة الفروق بين متوسطات تحصيل الطلبة في الاختبار البعدي لمهارات التعبير الكتابي وفق استراتيجية التعليم الهجين

المجال	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة	حجم الأثر
المحتوى والأفكار	الاختبار القبلي	1375.5	1	1375.5	496.212	1.000	
	استراتيجية التعليم الهجين	137.6	1	137.6	49.644	1.000*	6.5%
	الخطأ	124.7	45	2.7			
	المجموع	2109.4	47				
الهيكل والتنظيم	الاختبار القبلي	1444.6	1	1444.6	73.273	1.000	
	استراتيجية التعليم الهجين	79.5	1	79.5	4.035	0.05*	3%
	الخطأ	887.2	45	19.7			
	المجموع	2631.9	47				
اللغة والأسلوب	الاختبار القبلي	1487.4	1	1487.4	729.104	.000	
	استراتيجية التعليم الهجين	753.8	1	753.8	369.515	1.000*	25.9%
	الخطأ	91.8	45	2.0			
	المجموع	2912.8	47				
الدقة اللغوية	الاختبار القبلي	1372.6	1	1372.6	448.249	.000	
	استراتيجية التعليم الهجين	513.6	1	513.6	167.719	1.000*	22.1%
	الخطأ	137.8	45	3.0			
	المجموع	2327.2	47				
الدرجة الكلية للاختبار	الاختبار القبلي	1338.4	1	1338.4	713.288	.000	
	استراتيجية التعليم الهجين	307.4	1	307.4	163.869	1.000*	14.1%
	الخطأ	84.4	45	1.8			
	المجموع	2135.9	47				

* دال على مستوى (0.05)

يشير جدول تحليل التباين الأحادي المصاحب (2) الى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أداء طلبة المجموعة الضابطة وطلبة المجموعة التجريبية في جميع المجالات الأربعة المقاسة لمهارة الكتابة، حيث ظهرت قيمة الدلالة الإحصائية في جميع المتغيرات أقل من القيمة الافتراضية 0.05 (مستوى الدلالة المعتمد في هذه الدراسة)، مما يدل على أن الفروق بين أداء المجموعتين تعزى إلى استراتيجية التعليم الهجين التي طبقت في المجموعة التجريبية.

واستناداً إلى نتائج الدراسة التي أظهرت تحسناً في أداء الطلبة في اختبار مهارات التعبير الكتابي، يمكن الاستنتاج أن استراتيجية التعليم الهجين أثبتت فاعليتها في تنمية هذه المهارات لدى الطلبة، ويُعزى هذا التحسن في أداء الطلبة ربما إلى عدة عوامل مرتبطة بطبيعة التعليم الهجين، من أبرزها مراعاة الفروق الفردية وأنماط الإدراك العقلي لدى المتعلمين (Wang, 2025). فكل طالب يمتلك طريقته وأسلوبه الخاص في الفهم والتحليل والتعبير، والتعليم الهجين وفّر له مساحة مرنة لاستكشاف قدراته الخاصة وصوته المعرفي (بوأحمد، 2024).

كما أسهمت إتاحة الفرصة للطلبة لتعلم المحتوى التعليمي في الزمان والمكان الذي يناسبهم، من خلال تبني استراتيجية الصف المقلوب، في تمكينهم من الاطلاع المسبق على المادة التعليمية وفهمها وفق وتيرة تعلمهم الذاتية. وقد انعكس ذلك إيجابياً على مستوى الجهوزية والاستعداد للمشاركة الفعالة خلال الحصة التعليمية، مما عزز من تنظيم أفكارهم وبناء تعبيرهم الكتابي بشكل منهجي، وتُعزز هذه النتائج فاعلية استراتيجية الصف المقلوب بوصفها أحد مكونات التعليم الهجين، وتظهر مدى تأثيرها في تحسين الجوانب المختلفة لمهارات التعبير الكتابي لدى الطلبة بفضل المرونة التعليمية التي تهيئها هذه الاستراتيجية. إضافةً إلى ذلك، سمحت البيئة الهجينة بتكثيف المحتوى مع قدرات الطلبة وأساليب تعلمهم، مما جعل العملية التعليمية أكثر ملاءمة وتحفيزاً، وأسهم بشكل مباشر في تحسين جودة مشاركتهم في الأنشطة والمهام الكتابية.

كما يشير الجدول الى نتائج تحليل حجم الأثر الناتج عن استراتيجية التعليم الهجين حيث تفاوتت عبر مجالات مهارات التعبير الكتابي، وباستناد على تصنيف Cohen (كامل، 2022) فقد كان الأثر كبيراً جداً في مجالي اللغة والأسلوب والدقة اللغوية، مما يعكس فاعلية قوية لهذه الاستراتيجية في تعزيز الجوانب اللغوية وآلية الكتابة، ويعزى ذلك الى طبيعة الأنشطة المستخدمة في البيئة الرقمية، التي وفرت للطلبة فرصاً للتدريب المتكرر، إلى جانب خاصية التصحيح الفوري، مما ساعد الطلبة على تحسين دقتهم اللغوية وتطوير استخدامهم السليم للغة.

أما في مجال المحتوى والأفكار، فحجم الأثر ظهر متوسطاً وهو ما يشير الى وجود تحسن ملحوظ في قدرة الطلبة على توليد الأفكار وتنظيمها. وتعزى هذه النتيجة المتوسطة إلى أنه لا يزال هذا المجال يعتمد بدرجة كبيرة على القدرات الشخصية والفروق الفردية لدى الطلبة، الأمر الذي يفسر محدودية التأثير مقارنة بالجوانب اللغوية.

في حين ظهر حجم الأثر صغير في مجال الهيكل والتنظيم، وهو ما يدل على أن هذا الجانب من التعبير الكتابي يتطلب مرافقة وتوجيهاً أكثر كثافة من المعلم، بما يساعد الطلبة على التحكم بهيكل النص وتنظيم عناصره بشكل مترابط ومنطقي.

وبما أن مهارات التعبير الكتابي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعمليات التفكير العليا، مثل التصنيف والربط والتحليل

والتقويم، فإن انخراط الطلبة في التعلم النشط ضمن بيئة التعليم الهجين قد شكّل فرصة لتعميق هذه العمليات وتدريبهم عليها عملياً. ومن المرجح أن المشاركة الفعالة في إنتاج المحتوى والتفاعل مع المهمات قد حفزتهم على تحليل الكتابة كعملية عقلية معقدة، والتدرب عليها بشكل واعي ومتكرر، مما ساهم في تطوير مهاراتهم التعبيرية بشكل ملحوظ. كما تجدر الإشارة إلى دور التطبيقات التعليمية، والألعاب التفاعلية، والأنشطة الرقمية المستخدمة خلال التعلم، والتي مثّلت منشطات عقلية فعّالة، ساهمت في توسيع آفاق التفكير لدى الطلبة، ودفعهم نحو الانتقال من المستويات الدنيا في تصنيف بلوم (مثل التذكر والفهم)، إلى المستويات العليا (كالتحليل، التقويم والإبداع).

كما تتسجم هذه النتيجة مع الأسس النظرية البنائية، التي تؤكد على دور المتعلم بوصفه محوراً فعالاً في العملية التعليمية، حيث لا يكون متلقياً سلبياً، بل مشاركاً في بناء المعرفة من خلال التفاعل والممارسة. وفي هذا السياق، أشار محفوظ (2023) إلى أن تطوير مهارات الكتابة يتطلب بيئة تعليمية تسمح بالممارسة الفعلية والتفاعل المستمر، وهو ما يوفره التعليم الهجين من خلال دمج الوسائط الرقمية مع التوجيه المباشر من قبل المعلم.

وتعتقد الباحثة أنه لربما كان ذلك الطالب، الذي أقتصر تعبيره الكتابي قبل التجربة على بضعة أسطر بسبب محدودية معرفته اللغوية والتعبيرية، من بين أول المستفيدين من بيئة التعليم الهجين، إذ أتيحت له، خلال التجربة، أدوات دعم متعددة مكنته من اجتياز حاجز التعبير والكتابة، والتقدم نحو إنتاج نصوص أكثر تنظيماً وثراءً. فقد وفرت له التجربة مجموعة متنوعة من الوسائط، منها: برامج التدقيق اللغوي والنحوي، وأدوات الذكاء الاصطناعي لتوليد رؤوس أقلام وتنظيم الأفكار، أفلام قصيرة توضح خطوات بناء الفقرة، وألعاب تعليمية تُثري المفردات والتراكيب. وتدعم الباحثة هذه الملاحظة بما أشار إليه فيري (Ferry, 2024) بأن أبرز مظاهر التعبير الكتابي لدى الطلبة يتمثل في اضطراب ترتيب الأفكار وضعف الربط المنطقي بينها. كما أكد عدد من الباحثين، أمثال الطويقري (2021)، ونويّ وبنيتا (Noy & Benita, 2024) ولي (Li, 2025)، على أن الطرائق التقليدية في تدريس التعبير الكتابي، وضعف استخدام الوسائط الحديثة، تسهم في خفض دافعية الطلبة وتحدّ من تطور مهاراتهم الكتابية.

وقد لاحظت الباحثة أن تطبيق الاستراتيجية أسهم في تحسين جودة أداء الطلبة في مهارات التعبير الكتابي عبر أبعادها الأربعة: المحتوى، التنظيم، الأسلوب، والدقة اللغوية، وعند تحليل هذه الأبعاد يتبين أن أعلى معدلات التحسن ظهرت في الجوانب اللغوية الشكلية، وتحديدًا في الأسلوب والدقة اللغوية، مقابل تحسن معتدل في المحتوى والتنظيم، ويُعزى ذلك - على الأرجح - للاستخدام الفعّال للأدوات الرقمية التي ساعدت الطلبة في ضبط الصياغة، تصحيح الأخطاء، وتوظيف تراكيب لغوية أكثر دقة. في المقابل فإن الجوانب الفكرية في الكتابة، كتوليد الأفكار وبناء العلاقات بين المفاهيم، تتطلب تدريباً أطول وتدريباً منهجياً أكثر عمقاً في مهارات التخطيط والتنظيم النصي.

وتدل هذه النتائج على أن التعليم الهجين يمثل أداة تربوية فعّالة في تدريس اللغة الثانية، خاصة في بيئة تعليمية يواجه بها المتعلم تحديات لغوية وثقافية مزدوجة، كما هو الحال لدى الطلبة العرب في تعلم اللغة العبرية، حيث أن تدريسها لا يمكن أن يفصل عن السياق اللغوي والثقافي الخاص، وهو ما أشار إليه أبو قطيش وصالحه

(2025) حيث اكدا أن إتقان اللغة العبرية لا يقتصر على الجوانب اللغوية فقط بل يتطلب فهماً عميقاً للسياقات الاجتماعية والثقافية للطالب، ومن هذا المنطلق، ترى الباحثة أن التعليم الهجين، بما يوفره من مرونة وتكيف مع خصوصيات المعلمين، أتاح بيئة تعليمية تراعي الفروق في الهوية والانتماء واللغة الأم، وتساعد على تقليص الحواجز النفسية التي قد تعيق التعبير الكتابي في النماذج الاعتيادية. ومن هنا تؤكد الباحثة أن التعليم الهجين لا يقتصر دوره على تحسين مهارات الطلبة اللغوية فحسب، بل يتجاوز ليكون أداة تمكينه تتعامل مع البعد النفسي والثقافي للتعلم.

ولقد أظهرت نتائج الدراسة الحالية فاعلية التعليم الهجين في تحسين مهارات التعبير الكتابي باللغة العبرية كلغة أجنبية، مما يتواءم مع نتائج الدراسات التي تناولت أثر التعليم المدمج أو الهجين في تطوير مهارات التعبير الكتابي بلغات أجنبية، فقد توصلت دراسة شوين وسي (Shuwen & Si, 2025) إلى تفوق الطلبة في مهارات الكتابة باللغة الإنجليزية عند استخدام التعليم المدمج، ونفس النتيجة أشاروا إليها دانيا وآخرون (Dania et al., 2025) الذين أبرزوا أهمية الدمج المتوازن ما بين التعليم الرقمي والوجهي، بالإضافة إلى استراتيجيات دعم وتقييم مرنة.

ودراسة لي (Li, 2025) حيث تناول موضوع مساهمة الوسائط الترفيهية في تحسين الكتابة والتفكير الإبداعي ودراسة مراد (Murat, 2021) الذي أشار إلى مساهمة التعليم المدمج في تطوير مهارات التعبير الكتابي باللغة الإنجليزية. كما بيّنت دراسة جوين ولزهار (Guenani & Lazhar, 2025) أن الدمج الفعّال بين الأدوات الرقمية والتفاعل الواجهي يسهم في تحسين جودة الكتابة العلمية، وتدعم دراسة رشوان (Rashwan, 2024) هذه النتيجة من خلال تأكيدها على دور التعليم المدمج في تعزيز مهارات التفكير الإبداعي والتعبير، وهي جوانب انعكست بوضوح في تفوق المجموعة التجريبية في الدراسة الحالية، ولا سيما في مجالي "المحتوى" و "الأسلوب".

كذلك أشارت دراسة هوانج وهوانج (Hoang & Hoang, 2022) إلى تحسن ملحوظ في ملاءمة المحتوى وجودة المفردات بعد تطبيق أنشطة تعاونية رقمية، وهي نتيجة تتماشى مع التحسن الذي أظهره طلبة المجموعة التجريبية في الدراسة الحالية في مجال "الدقة اللغوية". أما دراسة ماضي (2023) فقد أثبتت فاعلية وحدة تعليمية مدمجة في تحسين الكتابة لدى طلبة المرحلة الأساسية، بينما تميّزت الدراسة الحالية بتركيزها على المرحلة الثانوية، مما يشكل امتداداً بحثياً ذو أهمية.

ورغم أوجه الاتفاق العامة بين نتائج الدراسة الحالية والدراسات السابقة، فقد تميّزت هذه الدراسة عن غيرها في عدة جوانب نوعية، حيث أن غالبية الدراسات السابقة تناولت اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية، في حين ركزت الدراسة الحالية على اللغة العبرية كلغة ثانية لدى الطلبة العرب، وهو مجال بحثي محدود نسبياً، يتسم بخصوصية لغوية وثقافية تستدعي اهتماماً خاصاً من حيث الهوية والتعدد اللغوي، فهذه الدراسة قد أجريت في سياق تربوي محلي مُعقد يميّز بتعدد اللغات (العربية، العبرية، الإنجليزية) إذ يُفرض على الطلبة العرب تعلم لغتين أجنبيتين في بيئة تعليمية غير متجانسة ثقافياً. في المقابل تمت غالبية الدراسات الأخرى في بيئات أكثر تجانساً، كالبيئة الصينية أو التركية أو الخليجية، حيث اللغة الأجنبية هي الإنجليزية وحدها.

كما أن هناك اختلاف بين اللغة العبرية واللغة الإنجليزية يعود إلى الخصائص اللغوية المختلفة بين اللغتين، إذ

تتميز اللغة العبرية ببنية صرفية وتركيبية تختلف جذرياً عن العربية، مما يؤدي إلى نوعية خاصة من الأخطاء لدى الطلبة العرب، كما أظهرت دراسة أبو قويدر (Abu Gweder, 2023) هذه الخصائص تجعل التدخل التعليمي أكثر وضوحاً عند تقديم نموذج هجين موجه يراعي هذه التحديات، فالدراسة الحالية حرصت على توفير بيئة هجينة واقعية مدروسة تدمج بين العنصر التكنولوجي والإشراف التربوي الفعّال، في حين أن بعض الدراسات السابقة مثل دراسة سبان وأوزون (Span & Uzun, 2024) ودراسة هوانج وهوانج (Hoang & Hoang, 2022) أظهرت نتائج متباينة أو محدودة التأثير في بعض أبعاد الكتابة تعزى لأسباب تقنية فنية.

ومن الجدير ذكره أن الطبيعة الفريدة لمجتمع البحث لهذه الدراسة (طلبة عرب في داخل المجتمع الإسرائيلي) تلعب دوراً محورياً في فهم نتائج الدراسة، إذ أن قلة الموارد، والانكشاف المحدود للغة العبرية خارج المدرسة، ترفع من أهمية التدخلات التربوية ذات الجودة العالية. وبالتالي، يمكن القول إن التعليم الهجين في سياق هذه الدراسة كان فرصة استراتيجية لتعزيز التمكن الكتابي بلغة أجنبية ثانية في ظل قيود واقعية متعددة وليس فقط مجرد وسيلة دعم.

فتناولها للحوازر النفسية التي غالباً ما تُهمل في البحوث الكمية. هذه الخصوصية تُبرز الحاجة لنماذج تعليمية مرنة تأخذ بعين الاعتبار الهوية والانتماء واللغة الأم، وتدمج بين التعلم الذاتي والتفاعل الصفّي الموجّه، حيث بيّنت أن التعلم الهجين ساعد الطلبة في تخطي الخوف والقلق من الكتابة وهذا جانب نفسي مهم لم يتم التركيز عليه كثيراً في الدراسات السابقة.

التوصيات

في ضوء نتائج الدراسة، فإن الباحثة توصي بما يأتي:

1. **للمعلمين** - الاستفادة من الأدوات الرقمية، مثل برامج التدقيق اللغوي، الذكاء الاصطناعي، الدروس المصورة، الأفلام القصيرة، في تدريس التعبير الكتابي، لما لها دور فعّال في تحسين الجوانب اللغوية والشكلية للكتابة، أيضاً اعتماد استراتيجيات مرنة تراعي الفروق الفردية بين الطلبة في أنماط الإدراك والتعبير، وتفسح المجال للتعلم الذاتي ضمن بيئة داعمة وغير مقيدة.
2. **لمطوري المناهج** - تصميم مناهج تضمن أنشطة تعبيرية تتصل بهوية الطلبة وقضاياهم المجتمعية، وأيضاً دمج وحدات تعليمية متخصصة في التفكير الكتابي لتعزيز مهارات التخطيط والتنظيم النصي وتطوير المحتوى والدقة اللغوية. وعلى الجهاز التعليمي تجاوز أنماط التدريس الاعتيادية لصالح ممارسات أكثر مرونة وشمولية في تعليم اللغة الثانية.
3. **للباحثين** - إجراء دراسة نوعية لفهم التجربة الذاتية للطلبة العرب في تعلم التعبير الكتابي باللغة العبرية ضمن بيئة هجينة، وبحث أثر المتغيرات الفردية والمحيطية (كالدافعية، الدعم الاسري، كفاءة المعلم التقنية...) في فاعلية التعليم الهجين في تطوير الكتابة باللغة الثانية.

قائمة المراجع

- أبو قطيش، محمود (2025). تحديات وطرق توظيف الذكاء الاصطناعي في تعليم اللغة العربية - رؤى من معلمي المرحلة الثانوية في مدارس شرقي القدس، *مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية*، 6(5).
- أحمد، عبد الرحمن محمد، والبوسعيدية، فاطمة بنت يوسف، والراشدية، موزة بنت سعيد. (2023). فاعلية تدريس التعبير الكتابي وتقويمه باستخدام حزمة من التطبيقات الرقمية الحديثة في تنمية مهارات التعبير الكتابي لدى طلبة الصف العاشر الأساسي بسلطنة عمان، *مجلة الدراسات التربوية والنفسية*، مج17، ع 4، ص 448-431.
- البلوشية، نوال بنت سيف. (2024). فاعلية استراتيجية الصف المقلوب في تنمية مهارات الكتابة الوظيفية لدى طلبة جامعة التقنية والعلوم التطبيقية بشناص واتجاهاتهم نحوها، *مجلة الدراسات التربوية والنفسية*، مج18، ع4، ص 419-406.
- بليزك، مريم جنات. (2022). التعلم الهجين بين التعليم عن بعد والتعليم الحضوري: في ظل جائحة كورونا، *مجلة العدوي للسانيات العرفية وتعليم اللغات*، مج2، ع2، ص8-16.
- بني عمر، ختام أحمد. (2023). أثر استراتيجية (PEEL) في الكتابة على تحصيل طلبة الصف العاشر الأساسي في التعبير الكتابي، *مجلة مؤتم للدراسات الإنسانية والاجتماعية*، ع1(خاص)، ص632-613.
- بوأحمد، يحيى. (2024)، واقع استخدام البيئة التعليمية الهجينة من وجهة نظر أساتذة التكوين والتعليم المهنيين، *مجلة البحوث التربوية والتعليمية*، مج13، ص789-809.
- الحراشنة، نور عبد الغفور، وعليمات، إيمان حسين. (2023). أثر نموذج تعليمي قائم على قباعات التفكير الست في تحسين مهارات التعبير الكتابي لدى طالبات المرحلة الأساسية في الأردن، *مجلة إربد للبحوث والدراسات الإنسانية*، مج25، ع1، ص 228-189.
- الدهشان، جمال علي. (2020). مستقبل التعليم بعد جائحة كورونا: سيناريوهات استشرافية، *المجلة الدولية للبحوث في العلوم التربوية*، مج3، ع4، ص169-105.
- زيد، نسرین. (2020) التعبير الكتابي - مقرر اللغة العربية وطرائق تدريسها، جامعة حماة، كلية التربية.
- شنون، خالد. (2023). التعليم الإلكتروني - أبعاده وتحدياته في التربية المعاصرة - نحو مقاربة تعنى بالمتعلم وتركز على المعرفة، *مجلة البحوث التربوية والتعليمية*، مج13، ع1، ص 154-135.
- الصبحي، نور عبد العزيز، والجندي، علياء عبد الله. (2023). استخدام استراتيجية الفصل المقلوب في العملية التعليمية: دراسة بيلومترية ومراجعة منهجية، *المجلة العربية للنشر العلمي*، مج6، ع52، ص9-1.
- الطويقري، سامي عبود. (2021). تحديات الدخول الرقمي لتعليم اللغة العربية، مؤتمر مكة الدولي الثاني للغة العربية وآدابها: اللغة العربية والتعليم عن بعد، *اثرء المعرفة للمؤتمرات والأبحاث*، ص112-106.
- عاشور، سنا مقداد. (2024). أثر التعليم الإلكتروني في تحسين مهارات التعلم الذاتي لدى طلبة المدارس في ظل جائحة كورونا، *مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية*، مج31، ع5، ص 411-396.
- العويسات، يزن سليم عبد المعطي، والخوالدة، محمد إبراهيم علي. (2022). أثر استخدام التعلم المدمج في تنمية

مهارة الكتابة لدى طلبة الصفوف الثلاث الأولى في مديرية تربية الكرك بالأردن، *المجلة الدولية للدراسات التربوية والنفسية*، مج11، ع5، ص997-1012.

ماضي، أيمن أحمد محمود. (2023). أثر استخدام وحدة تعليمية إلكترونية مدمجة في تحسين قدرة طلبة الصفوف الثلاث الأولى على الكتابة في مدارس مديرية تربية وتعليم لواء دير علا، *جرش للبحوث والدراسات*، مج24، ع2، ص138-159.

محمد، أيمن السيد أحمد. (2024). التعليم الهجين: ماهيته ومبررات استخدامه وآليات تطبيقه في التعليم العالي، *المجلة العلمية للمكتبات والوثائق والمعلومات*، مج6، ع18، ص328-342.

محمد، هيثم عبد المجيد، وعلي، رشا ناجح. (2020). تأثير التدريس باستخدام منصة google classroom على التحصيل المعرفي الفوري والمرجأ وعلاقته بالتفكير الإيجابي لدى طلاب كلية التربية الرياضية جامعة المنيا، *المجلة العلمية للتربية البدنية وعلوم الرياضة، جامعة حلوان - كلية التربية الرياضية للبنين*، ع90 (2)، ص441-466.

الفائز، عبد العزيز بن عبد الله، وعسيري، أحمد بن يحيى. (2024). مساهمة منصات التعليم عن بعد في تحقيق اهداف العملية التعليمية، *مجلة كلية التربية*، مج40، ع2، ص38-68.

كامل، أحمد عبد البديع. (2022). حجم التأثير والفاعلية في البحوث التجريبية، *المجلة الدولية لبحوث الإعلام والاتصالات*، مج2، ع3، ص1-28.

المراجع الأجنبية

Abu Gweder, A. (2023). The challenges of writing among Arab-Bedouin student between literary Arabic and Hebrew as a second language, *journal of Namibian studies*, n.34, p.769-787.

Azar, H. Rachel, S. Dvorah, H. (2023). Writing in the Digital Age-The perceptions of adolescents and teacher in High school, *media education*, p.153-177.

Dania, G. Evelina, S. Isabel, H. Jochen, D. Djibril, D. Joel, D. Vitor, R. Rita, B. & Diogo, C. (2025). Hybrid Teaching and lerning in Higher Education: A systematic literature review, *Sustainability journal*, v. 17, n. 2.

Ferry, R. (2024). The importance of writing and its problem among student of syamsuddhuhu Islamic boarding school, Al Mihwar: *journal Pendidikan Bahasa Arab*, E-ISSN: 2986-8483, p.65-85.

GHeith, A. Nassar, R. Abd Al Galil, M. (2024). A constructivist Approach for Enhancing EFL learner`s writing fluency in a blended learning context, *مجلة بحوث في تدريس اللغات*، ع26، ص194-249.

Godsk, M. Moller, K. (2024). Engaging students in higher education with educational technology, *Education and Information Technologies*, v. (30), pp. 2941-2976.

Guenani, F. Lazhar, B. (2025). Collaborative and scientific writing in Hybrid Education: Tools, Strategies and challenges, *International journal of innovative Technologies in social science*, 1(45).

Haddad, S. Grine, N. (2021). Enhancing EFL student`s writing skills through computer - Mediated communication, *Aleph langues media & societies*, v(2), p 457-475.

Hoang, D. T. N. Hoang, T. (2022). Enhancing EFL student`s Academic writing skills in

- online learning via google Docs – Based collaboration: A Mixed – methods study. *Computer Assisted language learning*, 37(7), p. 1526.
- Hussey, I., Alsalti, T., Bosco, F., Elson, M., Arslan, R. (2023). An aberrant abundance of Cronbach's alpha values at .70, *PsyArXiv Preprints*, DOI:10.31234/osf.io/dm8xn.
- Iivari, N., Sharma, S., Olkkonen, L. (2020), Digital transformation of everyday life – How COVID-19 pandemic transformed the basic education of the young generation and why information management research should care, *International journal of information management*, v. (55), pp 1-7.
- Mukul, E. Buyukozkan, G. (2023). Digital transformation in education: A systematic review of education 4.0, *Technological Forecasting and Social Change*, V. (194), DOI: 10.1016/j.techfore.2023.122664.
- Murat, A. (2021). Teaching writing skills in EFL classes with Blending learning, *journal of Education Technology and online learning*, v. 4, issue 4.
- Noor, T. Abdalla, A. (2022). Investigating Sudanese university student's Attitudes Toward Blended Learning in Enhancing EFL writing: A case study university of Dongola college of Education, *Dongola university journal for scientific research*, 12(39), p. 14-29.
- مجلة جامعة دنقلا للبحوث العلمية، مج12، ع23، ص14-29.
- Noy, M. Benita, R. (2024). Teaching the Hebrew language and the level of proficiency among youth and young adults in Arab society, *Research and Information Center*, Knesset.
- Rashwan, N. (2024). Using a Blended learning program in teaching writing to enhance faculty of Education English majors' use of 21st century skills, *journal of Research in Education and psychology*, 39(1).
- Roohani, A. Rad, H. (2022). Effectiveness of Hybrid classroom in improving EFL learners' Argumentative writing skill, *TEFLIN journal: learning of English*, vol. 33, Issue 2.
- Shuwen, W. Si Na, k. (2025). A Review on the impact of Blended process oriented Approach on the English writing skills, *Word journal of English language*, 15(3), p. 251.
- Span, M. Uzun, L. (2024). The Effect of chat GPT – integrated English Teaching on High school EFL learner's writing skills and vocabulary Development, *international journal of Education in Mathematics science and Technology*, 12(6), p. 1657-1677.
- Tehawkho, M. Kalisher, I. (2023). Literacy in the Hebrew language in the Arab Society: standardization in Measurement and Assessment, Policy paper for the annual conference of the Aharon Institute, the Authority for Economic Development in the Minority Sector.
- Wang, Y. & Immanuel, T. (2025). Hybrid Learning and Academic Performance: The Role of Cognitive Load, Social Interaction and collaboration, Self-Determination, and Multimodal learning, *Journal of information systems Engineering and Management*, 10(39), p. 1023-1033.
- Yun, W. (2023). Digitalization challenges in education during COVID-19: A systematic review, *cogent Education*, V. (10), I (1).

مواقع الكترونية

RAMA - National Authority for Measurement and Evaluation in Education, (2024), *Hebrew as a Second Language for Arabic-Speaking Students*, Ministry of Education, <https://rama.edu.gov.il>, تاريخ الاسترجاع 7/12/2024.

RESEARCH TITLE

**The Role of Digital Transformation in the Development of the
Agricultural and Services Sectors: The Case of the Iraqi Economy**

Zainab Mousa Abdel Redha¹, Abdel Wahab Mohamed Jawad¹

¹ Faculty of Administration and Economics, University of Kufa, Najaf, Iraq.

HNSJ, 2025, 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/20>

Received at 07/07/2025

Accepted at 15/07/2025

Published at 01/08/2025

Abstract

This study explores the vital role of digital transformation in developing the agricultural and services sectors within the Iraqi economy, amidst persistent institutional, economic, and structural challenges that hinder sustainable development. It emphasizes that digital transformation is no longer a mere technological option but a strategic necessity that enhances government efficiency, improves service quality, stimulates innovation, and optimizes resource use. The research highlights the potential of advanced digital technologies, including artificial intelligence, to revolutionize agricultural resource management through accurate crop prediction and maximizing land productivity, while also advancing municipal, educational, and healthcare services. It analyzes the current state of digital transformation in Iraq, identifies major challenges—such as weak infrastructure, limited expertise, and lack of clear digital policies—and argues for the urgent need to adopt integrated national strategies. Ultimately, the study concludes that digital transformation serves as a foundational pathway toward sustainable development, institutional reform, and a more efficient, inclusive, and resilient Iraqi economy.

Key Words: Digital Transformation, Agricultural Sector, Services Sector, Iraqi Economy.

دور التحول الرقمي في تطوير قطاعي الزراعة والخدمات: دراسة حالة الاقتصاد العراقي

المستخلص

تناولت هذه الدراسة الدور الحيوي للتحول الرقمي في تطوير قطاعي الزراعة والخدمات في الاقتصاد العراقي، في ظل التحديات المؤسسية والاقتصادية التي تعيق تحقيق التنمية المستدامة. أوضحت الدراسة أن التحول الرقمي لم يعد خيارًا تكنولوجيًا فحسب، بل أصبح ضرورة استراتيجية تعزز من كفاءة الأداء الحكومي، وتسهم في تحسين جودة الخدمات، وتحفيز الابتكار، وترشيد استخدام الموارد. كما بينت كيف يمكن للتقنيات الرقمية، بما في ذلك الذكاء الاصطناعي، أن تحدث تحولاً نوعياً في إدارة الموارد الزراعية، من خلال التنبؤ الدقيق بالمحاصيل وتعظيم العائد من وحدة الأرض، فضلاً عن تعزيز الخدمات البلدية، التعليمية، والصحية. استعرضت الدراسة واقع التحول الرقمي في العراق، والتحديات التي تواجه تطبيقه، مثل ضعف البنية التحتية ونقص الكفاءات وغياب السياسات الواضحة. وخلصت إلى أن تبني سياسات رقمية متكاملة يُمثل مدخلاً أساسياً لتحقيق أهداف التنمية المستدامة، وتحقيق تحول مؤسسي شامل يُعزز العدالة الاجتماعية والاقتصادية، ويؤسس لاقتصاد عراقي أكثر كفاءة واستجابة وتقدماً.

الكلمات المفتاحية: التحول الرقمي، القطاع الزراعي، قطاع الخدمات، الاقتصاد العراقي.

1. Introduction

Recent decades have witnessed rapid technological advancements, including the so-called Fourth Industrial Revolution, also known as the Information Age or the Digital Revolution. These developments aim to fundamentally change the way organizations operate through the technical solutions they offer and the harnessing of modern technology, which contributes to improving the quality of services, developing organizational operations, and increasing efficiency while significantly reducing costs. Digital transformation has become an effective tool in our modern world. Digital transformation in Iraq is one of the most pressing issues to emerge on the economic scene, given the urgent need to develop the productive and service sectors. This is particularly important at a time when the economy suffers from structural imbalances, weak diversification, and excessive dependence on oil revenues. Hence, the importance of directing efforts toward digitizing key economic sectors, particularly agriculture and services, as they are vital to providing job opportunities, improving the standard of living, and achieving economic stability. However, the reality of digital transformation in Iraq still faces numerous challenges, most notably a weak technical infrastructure, a lack of specialized competencies, inadequate funding and investment in this field, and the absence of clear policies that support digitization across various sectors. In addition, the impact of political and economic conditions has negatively impacted the state's ability to adopt effective digital paths. Accordingly, this research examines the role of digital transformation in supporting the agricultural and service sectors of the Iraqi economy by analyzing the current state of affairs. It also aims to shed light on the most prominent challenges and obstacles and put forward a set of proposals aimed at enhancing the use of digital transformation in the service of sectoral development. This, in turn, contributes to improving performance and achieving the desired economic recovery.

2. Methodology

2.1. Research problem

The Iraqi economy suffers from weak performance in most economic sectors due to structural and technical factors. The most prominent of these are the limited use of technical tools and the weakness of the technological infrastructure. Considering the accelerating global trend towards digitization, there is a need to investigate the extent to which digital transformation can enhance the efficiency of the agricultural and service sectors. Accordingly, the research problem is represented by the following two questions:

- 1- To what extent has digital transformation contributed to the development of the agricultural and services sectors in Iraq?
- 2- What are the most prominent challenges and obstacles facing Iraq, and what are the possible ways to overcome them?

2.2. Research hypothesis

The research hypothesizes that digital transformation can effectively contribute to the development of the agricultural and service sectors in Iraq. This goal is achieved by improving productivity, enhancing service delivery efficiency, reducing waste, and expanding access to resources, all of which positively impact the performance of the national economy.

2.3. Research objectives

This research aims to:

1. Clarify the concept of digital transformation and its most prominent applications in the agriculture and services sectors.
2. Clarify the concept of sustainable development and its objectives.

3. Analyze the reality of these two sectors in Iraq and the extent to which they benefit from digital tools.
4. Demonstrate the reciprocal relationship between digital transformation and sustainable development.
5. Propose ways to enhance the use of digital transformation to advance the agriculture and services sectors within the framework of the Sustainable Development Goals in Iraq.

3. The concept of digital transformation

Digital transformation is a fundamental process that contributes to reshaping traditional business models across various sectors by leveraging the vast potential offered by digital applications and platforms. These efforts to digitize processes and services are often viewed as representing digital transformation. The importance of this transformation lies in its being a critical factor for organizations' survival in an environment characterized by increasing competition. Without adequate preparation and effective adaptation to technological developments, organizations may face the risk of decline or even market exit. Digital transformation is not limited to adopting technology alone; it also involves a deep understanding of its impact on an organization's strategic and organizational structure. It requires rethinking the way we work, establishing integrated digital infrastructures, and developing platforms and applications that can enhance efficiency and expand opportunities. The impact of this transformation extends beyond creating new jobs; it also affects organizations' infrastructure, reshaping their operational models and the nature of their interactions with customers and markets (Lundberg, 2021). Digital transformation is defined as "the integration of digital technology into all areas of business, fundamentally changing how business is conducted smoothly and achieving customer satisfaction. It is also a cultural change that requires organizations to continually challenge the status quo and experiment until desired goals are achieved" (Ben Qarash, & Mohamed Nour El Din, 2024). Others have defined it as "the process of improving organizational operations through significant changes using information and communications technology" (Vial, G., 2021). From the above, it can be concluded that digital transformation is introducing a culture of creativity and innovation into the work environment. It is a comprehensive process designed to enhance organizational performance by leveraging modern digital technology to improve operational efficiency, service delivery, and product manufacturing. Digital transformation involves redesigning business models and organizational structures by digitizing data and information and employing advanced information and communication technologies to achieve sustainability, improve service quality, streamline procedures, and increase competitiveness in line with the strategic vision of building effective, competitive societies. This is done so that services are delivered to citizens more quickly, at a lower cost, and with greater efficiency.

4. The importance of digital transformation

With technological advancements and the challenges of traditional work, digital transformation has become a necessity for developing the agricultural and services sectors in Iraq. The shift from paper-based procedures to digital ones accelerates processes, enhances communication, and enables the utilization of data to inform better decisions (Al-Bar, 2021). Considering the changing economic and social conditions, digital transformation enables these sectors to meet challenges and provide new services that better meet community needs, while reducing costs and effort (Abu Samra, 2019). Digital transformation also facilitates the secure receipt of electronic payments, increasing transparency, reducing corruption, and enhancing the management of financial resources. The advantages of digitization in these two sectors include the following (Ibrahim, 2025):

1. Providing modern services that open up new opportunities.
2. Increasing efficiency and reducing human errors.
3. Improving the quality of procedures and accelerating the flow of information.
4. Reducing operational costs.
5. Enhancing information security and increasing transparency in communication.

5. The concept of sustainable development

The Arabic translations of the term "Sustainable Development" vary, depending on the linguistic concepts. It has been given various names, such as steady development, sustainable development, continuous development, and sustainable development (Abdul Aziz Qasim, 2011). "Sustainable human development is based on the idea of ensuring job opportunities for future generations, meaning fair distribution or sharing of development opportunities between present and future generations. It is development that not only generates economic growth but also addresses distribution" (Ibrahim, 2025). Others define it as development whose primary goal is to reduce extreme poverty by providing sustainable and secure livelihoods that reduce resource depletion, environmental degradation, cultural disruption, and social instability (Barbier, 2007).

6. Sustainable Development Goals

Sustainable development-oriented education techniques help address global challenges and provide communities with the skills needed to achieve sustainable growth. The United Nations describes the Sustainable Development Goals as comprehensive and integrated goals under the name "Sustainable Development Agenda," which were officially adopted from September 25 to 27, 2015. All governments are required to set their own national goals in line with the global level of development, considering local circumstances, and identify ways to integrate these goals into national development plans and strategies (Khattab, Abdel Latif, 2022).



Figure 1. Sustainable Development Goals

The 17 Sustainable Development Goals are presented in a colorful visual format, each with a distinct color and symbolic meaning that reflects its scope. The format begins with Goal 1, represented in dark red and aiming to end poverty in all its forms everywhere. Goal 2, in orange, aims to completely eradicate hunger by improving food security and promoting

sustainable agriculture. Goal 3, shown in light red, focuses on ensuring healthy lives and promoting well-being for all. Quality education, represented by Goal 4, is also shown in light red, highlighting the importance of providing inclusive and equitable education and promoting lifelong learning opportunities. Goal 5, on gender equality, is depicted in pink and aims to empower women and girls, as well as eliminate all forms of discrimination. Goal 6, in sky blue, emphasizes the need to ensure access to clean water and sanitation for all. Goal 7, in yellow, highlights the importance of affordable and clean energy, as well as ensuring access to modern, sustainable energy sources. Goal 8, shown in dark red, emphasizes the importance of decent work and economic growth in achieving sustainable development. Goal 9, representing industry, innovation, and infrastructure, is depicted in dark orange and emphasizes the need to strengthen infrastructure and establish a sustainable industrial base. Goal 10, in light pink, aims to reduce inequalities within and among countries. Sustainable cities are shown in goal 11, in golden yellow, highlighting the need to make cities safe, inclusive, and resilient. Goal 12, on responsible consumption and production, is depicted in yellow-brown and emphasizes the efficient use of natural resources. Climate action is represented in green in Goal 13, indicating the need for urgent action to combat climate change. Goal 14 is followed by blue, focusing on protecting life below water and conserving marine ecosystems. Goal 15, representing life on land, is shown in dark green and aims to conserve terrestrial ecosystems and combat desertification. Goal 16, in dark blue, calls for promoting peace and justice and building strong and accountable institutions. Finally, Goal 17, in light blue, emphasizes the importance of global partnerships in achieving all the previous goals (United Nations, 2017).

7. The relationship between digital transformation and sustainable development

Digital transformation has become an inevitable choice for achieving sustainable development, given the rapid economic changes occurring globally. With the escalation of growth-related challenges, it has become imperative to develop more flexible economic models that rely on technology and innovation as key drivers of growth. Digital transformation enhances the efficiency of production and service sectors, increasing their competitiveness by streamlining processes, providing accurate data, and improving the quality of services. It also helps create an economic environment capable of adapting to changes, enhancing entrepreneurship and investment opportunities in the digital economy. This, in turn, opens the way for the creation of quality job opportunities, meeting a significant portion of the needs of the younger generations entering the labor market annually, thus enhancing the economic and social dimensions of sustainable development (Rashid, Jamal, Aziz, 2022). Information technology, electronic services, and communications also play a significant role in promoting sustainable development, as they contribute to enhancing the performance of government and private institutions and creating innovative management models, such as digital cities and technology incubators. They also support economic growth, contribute to the provision of new job opportunities, and help reduce poverty through the transition to an information society and the achievement of digital transformation goals. These modern technologies enable rapid access to information and prompt responses to citizens' inquiries, thereby enhancing the efficiency of government services and improving productivity to achieve sustainable development goals. In this context, most governments are working to develop advanced technological infrastructure to provide a range of electronic services across various fields and activities (Bouafia, 2005).

Table 1. The positive contribution of digital transformation in supporting the Sustainable Development Goals

Sustainable Development Goals (SDGs)	How economic transformation contributes to achieving it
Goal 1: Eradicate poverty	Access to digital financial services helps lift people out of poverty
Goal 2: Zero hunger	Providing technological solutions to farmers increases crop productivity and reduces energy and water consumption
Goal 3 : Good health and well-being	ICT services improve direct interaction between doctors and patients, and provide health information and telemedicine
Goal 4: Quality education	By equipping young people with digital skills, opportunities can be created that qualify them for the labor market
Goal 5: Gender equality	Promotes access to ICTs and digital skills building.
Goal 6: Clean water and sanitation	Digital technologies facilitate smart water and sanitation management, ensuring the availability and sustainability of these services for all.
Goal 7 : Affordable and clean energy	Advanced technologies will play a critical role in reducing global carbon emissions, electrifying transportation, and increasing energy efficiency.
Goal 8: Decent work grows the economy	Accelerating digital transformation and stimulating innovative entrepreneurship lead to new job generation and socio-economic development
SDG 9: Industry, innovation and improved infrastructure	ICTs contribute to promoting sustainable and inclusive industrialization, encouraging innovation, and establishing and maintaining resilient infrastructure
Goal 10: Reduce inequalities	Digital technologies help reduce inequality within countries, if disadvantaged segments are given access to technology and knowledge
SDG 11 : Sustainable cities and communities	Information and communication technologies are driving more efficient and sustainable management of water, transportation and energy systems in cities and communities
SDG 12: Sustainable consumption and production	Technology can boost sustainable consumption and production by adopting digital technologies in sectors such as agriculture, transport, energy, supply chain management and smart buildings.
SDG 13: Climate action	Smart applications help address and mitigate climate change by building prediction and early warning systems, and supporting climate resilience
Goal 14: Life Below Water	ICTs are widely used to monitor the changing marine environment and protect endangered wild animals
Goal 15: Life on Land	ICTs help identify and monitor wildlife populations, and protect endangered wild animals
Goal 16 : Peace, justice and strong institutions	E-government services contribute to improving the relationship between citizens and the state and increasing the efficiency of government service delivery
SDG 17 : Partnerships to achieve the Goals	Partnerships help build the physical infrastructure needed to deliver Internet services to remote areas as well as facilitate investment, innovation and inclusion.

8. Using digital transformation for optimal use in the production and service sectors

Digital transformation in the current era is an indispensable strategic path, and it is imperative for both governmental and private institutions to embrace it. The role of digital transformation in enhancing the efficiency and effectiveness of service delivery demonstrates that digital transformation is no longer just an option, but rather a necessity to keep pace with the technological and economic changes that characterize our contemporary environment. In Iraq, implementing digital transformation is a crucial means of enhancing the performance of various institutions, particularly in light of the country's political and economic challenges. Improving organizational performance is inseparable from efforts to improve the standard of living for members of society. This is achieved by providing high-quality services that address citizens' needs and contribute to reducing costs while increasing efficiency. Digital transformation enables the improvement of government services and productivity, whether by simplifying administrative procedures, developing digital infrastructure, or facilitating data-driven decision-making. This, in turn, leads to consolidating the foundations of community development and achieving the optimal use of resources, thereby contributing to the building of a more prosperous and advanced society. Hence, Iraq urgently needs to adopt integrated digital policies that enable it to overcome challenges and employ digital tools to support the productive and service sectors. This aims to enhance institutional performance and expand access to services, thereby contributing to comprehensive and sustainable development, despite current circumstances (Jassim, Al-Ghazali, 2024).

Many small and medium-sized enterprises (SMEs) around the world, particularly in developing countries, are beginning to recognize the importance of digital transformation in enhancing their performance and increasing their ability to adapt to changes. Some experiences demonstrate that these organizations' reliance on modern technology has enabled them to organize internal work more efficiently, streamline procedures, and save time and effort. When organizations adopt digital systems, they can track inventory, manage sales, and distribute tasks to employees more efficiently and accurately. The experiences of some organizations suggest that this transformation was not merely a technical step, but rather an effective means of increasing productivity and delivering better services. The use of digital tools, such as task management applications and cloud systems, has helped improve communication between departments, accelerate decision-making, and reduce recurring errors. Organizations in Iraq face numerous challenges, but despite this, there is a clear desire to adopt these modern methods. When an organization begins using simple digital solutions such as electronic invoicing or an appointment booking system, it notices a real difference in the quality of service and its audience. As it advances in this field, the competition intensifies, particularly in rapidly evolving markets. Furthermore, digital transformation doesn't stop improving internal operations; it opens the door to innovation and the introduction of new ideas. For example, a manufacturing organization can utilize data analytics tools to predict demand, or a service organization can develop an electronic platform to communicate with the public, thereby making services faster and easier. Therefore, implementing digital transformation in Iraqi organizations is not just a technical improvement; it is a path toward comprehensive development in the production and service sectors, enabling these organizations to overcome obstacles, provide high-quality services, and effectively contribute to building a more advanced and stable economy (Hasan, 2025).

9. Role of digital transformation in predicting crops to maximize yield per unit of land

Crop forecasting is a crucial application of digital transformation in supporting sustainable agriculture and enhancing yield per unit of land. Thanks to these technologies, farmers can select the optimal crop that best suits their soil characteristics and climatic conditions without

the need for costly or random field experiments. This type of forecasting relies on analyzing soil data, including nutrient levels (such as nitrogen, phosphorus, and potassium), moisture, and pH, as well as weather data, including temperature and rainfall. This data is fed into machine learning and deep learning models, such as decision trees, random forests, logistic regression, support vector machines, and deep neural networks, which have demonstrated very high accuracy, reaching approximately 99.96%, in predicting the most suitable crop. This approach enables the improved utilization of agricultural land by planting crops that are most compatible with their potential, resulting in increased production efficiency, reduced waste, and enhanced profitability. These models also provide farmers with accurate information that helps them make informed agricultural decisions, thereby enhancing the economic value of each dunum planted and reducing the risks associated with inappropriate crop selection. The use of digital transformation technologies in this context is not limited to increasing production alone. It represents a qualitative shift in how natural resources are managed and agricultural policies are directed towards greater efficiency and profitability, which aligns with the goals of sustainable development and maximizing the return per unit of agricultural land. Thus, artificial intelligence represents a strategic tool for addressing rural agricultural problems, promoting sustainability, and reducing poverty (Abdulkarim and Fahmy, 2025).

This transformation is a crucial pillar within the framework of comprehensive digital transformation, which extends beyond introducing modern technologies to encompass reshaping the entire agricultural system through a data-driven approach and system integration. Utilizing digital infrastructure, such as the Internet of Things, cloud platforms, and agricultural databases, can enhance the capacity of farmers and government institutions to plan evidence-based strategies, prioritize investments, and monitor production in real-time. In Iraq, which possesses tremendous agricultural potential but faces significant challenges related to water scarcity, declining soil fertility, and inadequate extension services, digital transformation in agriculture can serve as a crucial starting point for revitalizing this vital sector. By digitizing agricultural value chains and providing innovative applications tailored to local conditions, we can increase resource efficiency, reduce waste, and enhance local production in line with food security plans. Furthermore, the use of geographic information systems (GIS) and satellite imagery can enable stakeholders to continuously monitor environmental and agricultural changes and develop flexible policies that respond to climate fluctuations. The impact is not limited to production alone but also extends to empowering rural groups by creating a new digital business environment that stimulates local innovation, supports the establishment of small, transformational projects that enhance the added value of agricultural products, and opens up opportunities for direct marketing without intermediaries. With appropriate training, artificial intelligence can provide quality job opportunities for rural youth and help integrate them into the digital economy. Thus, AI-based digital transformation is not merely a technological trend, but a strategic development option that contributes to addressing structural imbalances in the Iraqi agricultural sector, establishing sustainable smart agriculture that achieves food security, narrows urban-rural development gaps, and directly contributes to achieving the Sustainable Development Goals (Mohammed, Shartouh, 2025).

10. Role of digital transformation in developing education

Digital transformation is a fundamental pillar in improving the quality of education and enhancing the efficiency of the educational process, especially in higher education institutions. The use of modern digital technologies has contributed to the development of teaching and learning methods by providing innovative, interactive environments that enable both teachers and students to access and analyze information accurately and efficiently.

Digital transformation has also presented new opportunities to develop academic curricula that meet the demands of the changing labor market, while enhancing distance learning through digital tools that provide learning experiences tailored to individual student differences. Digital transformation also helps reduce academic cheating through precise monitoring tools, improved communication channels between students and professors, and the provision of immediate assessments and performance analytics that contribute to providing appropriate support for each student. The digital learning environment contributes to increased interaction and active participation and provides continuous, personalized academic guidance through intelligent systems. These transformations have also reduced the routine burden on faculty by automating administrative tasks such as exam marking and question preparation, allowing them to focus on improving the quality of content and the educational process. Recent experiences demonstrate that digital transformation can quickly update curricula to keep pace with cognitive developments and provide personalized content that enhances students' understanding and retention of information. This is in addition to providing support outside the classroom through smart digital assistants that provide appropriate education at the right time and place (Khorshid, 2023).

Recent studies indicate that the adoption of digital transformation technologies by higher education institutions in Iraq has contributed to improving student academic performance. Research results have shown a positive and significant relationship between the use of modern digital tools and academic achievement, reflecting the significant benefits that can be achieved by integrating these technologies into the educational environment. Digital transformation has helped reshape traditional teaching methods by designing interactive learning experiences that consider the individual abilities and needs of each student. Some educational platforms are now capable of providing flexible and personalized content that suits each student's learning style and comprehension speed, enhancing the effectiveness of the educational process. This transformation has also enabled educational institutions to develop modern curricula, provide personalized academic support, and improve education management by automating repetitive administrative processes. Experience has shown that universities that have invested in their digital infrastructure have achieved better academic results and are distinguished by their ability to adapt to future changes. The impact of digital transformation extends to the efficiency of the educational institution itself, in terms of its ability to develop, innovate, and enhance its academic standing. Despite the many benefits, these technologies require effective governance to ensure their ethical use and prevent deviations such as bias or reduced employment opportunities. Therefore, building an integrated regulatory framework that ensures fairness and safety in the use of digital transformation in education is a necessary step for continued progress. Studies confirm that digital transformation has the potential to transform Iraqi higher education, not only by raising the level of achievement, but also by enhancing student readiness for the future and improving the overall outcomes of the educational system (Altememy, 2023).

11. The impact of digital transformation on the health sector

The healthcare sector has undergone significant transformations in recent years due to the integration of digital transformation technologies, which have demonstrated their ability to enhance the quality of healthcare services, improve diagnostic accuracy, and increase the efficiency of medical decision-making. The results of several field studies, which surveyed professionals including ophthalmologists and dental surgeons, demonstrate that these technologies have had a tangible positive impact on various aspects of clinical practice, as follows (Ibrahim et al., 2022):

- 1- Improving the accuracy and speed of medical diagnosis: Digital technologies such as optical coherence tomography (OCT), fundus photography, and intraoral scanning have contributed to reducing the time to disease detection and providing accurate indicators of conditions difficult to detect with traditional examinations. These tools have also enhanced physicians' ability to make treatment decisions based on more reliable data.
- 2- Enhancing patient confidence and increasing diagnostic clarity: Digital transformation technologies have contributed to clarifying complex medical information for patients and making the diagnostic process more transparent, enhancing the level of understanding between physicians and patients, and helping to make better treatment decisions.
- 3- Improving the quality of medical care and the doctor-patient relationship: The use of modern digital tools has reduced the time doctors spend on diagnostic procedures, allowing them more time for human interaction with patients. This has been reflected in increased patient satisfaction and increased confidence in the healthcare services provided, especially when digital examinations are combined with traditional clinical examinations.
- 4- Enhancing telemedicine services and care in remote areas: The digital transformation experience during the COVID-19 pandemic demonstrated its significant role in supporting telemedicine by facilitating access to patients in remote areas and providing accurate and continuous follow-up of cases, which has helped in early detection and reducing the complications of chronic diseases.
- 5- Digital transformation as a supportive tool, not a substitute for doctors: Despite some challenges such as the cost of equipment and difficulties in obtaining insurance coverage, doctors agreed that digital transformation does not replace human expertise. Clinical analysis and physician intervention remain essential in confirming and interpreting the diagnosis to the patient, which strengthens patient confidence and enhances their safety.

In this context, adopting digital transformation in the Iraqi health sector is a strategic necessity, not an option, especially considering the increasing pressures on the health system and the need to improve operational efficiency and service quality. Digital transformation can contribute to the establishment of unified health information systems, electronically linking health institutions to facilitate data exchange, reduce medical errors, and accelerate access to care, particularly in rural and remote areas with weak health infrastructure. Integrating advanced digital technologies, such as electronic health records, telemedicine, and health monitoring applications, is also a fundamental step in developing the healthcare system and enhancing its response to crises and emergencies. This is crucial for achieving health equity and expanding coverage, as well as for the ability to analyze large medical datasets to inform evidence-based health decisions. Considering the existing challenges, the need for effective public-private partnerships and the support of international civil society organizations to provide an incubator for digital transformation in the health sector is highlighted. Investing in human resource training and raising awareness of the use of technology in diagnosis and treatment are two essential pillars for ensuring the success of this transformation. Accordingly, accelerating the pace of digital transformation in the Iraqi health sector, while paying attention to regulatory and legislative aspects, can significantly contribute to improving the quality of medical services, reducing costs, and achieving the efficiency of the health system, which will positively impact the health and safety of Iraqi citizens (Al-Mendalawi, 2023).

12. Role of digital transformation in improving service efficiency

Digital transformation contributes to improving the efficiency of government services by reducing traditional procedures and accelerating transaction processing, which directly impacts the reduction of corruption and lowering operational costs. Digital tools build an

efficient information environment where processes are managed accurately and transparently, enhancing government institutions' ability to provide smoother and more efficient services. The use of digital technology in government services also contributes to better meeting citizens' needs, particularly through smartphone applications and online platforms, which facilitate access to services at any time and from anywhere. Big data and smart analytics empower government agencies to make more informed and responsive decisions by analyzing information from multiple sources and responding to changes in real-time. This, in turn, enhances the management of vital sectors, including security, health, and education. Streamlining data exchange between government institutions also increases transparency and enhances citizens' trust in their institutions by making information related to public activities and investment opportunities available. Digitization reduces reliance on human resources in administrative tasks, which contributes to reducing errors and irregularities resulting from human intervention, eliminating bureaucracy, and rationalizing expenditures. The digital environment also provides ample scope for offering innovative services that cater to individual needs and pave the way for geographic expansion to cover larger segments of the population. With the government's reliance on advanced electronic systems, services become more flexible and efficient, characterized by continuity and rapid response to changes. These efforts have a significant impact on achieving the Sustainable Development Goals, as digital transformation supports improved institutional performance and governance. It contributes to building a government service model based on innovation and effectiveness, enhancing citizens' quality of life and meeting their aspirations in a technologically accelerated world (Hashim, 2024).

13. Role of artificial intelligence in developing local municipal services for sustainable development goals

Considering digital transformation, artificial intelligence (AI) represents a vital tool for enhancing the performance of public institutions, particularly municipalities, which are responsible for delivering essential services to citizens. Modern applications have demonstrated significant potential to improve efficiency, reduce costs, and enhance the quality of municipal services. In the field of waste management, some global municipalities are using AI technologies through smart bins equipped with sensors that monitor the level of filling and send real-time data to central systems. This enables efficient collection schedules, reducing the number of trips, conserving fuel, and lowering emissions. Predictive algorithms also enable the identification of peak waste production time and proactive planning. In the field of public safety, AI has helped enhance municipalities' ability to manage crises and respond quickly to emergencies. Surveillance data analysis systems and cameras are used to detect risk patterns such as crimes or natural disasters and send alerts to the relevant authorities. Machine learning algorithms are also utilized in police stations to monitor crime indicators and predict potential crime locations, thereby enhancing community security. In traffic and transportation management, AI systems enable traffic flow optimization through smart traffic lights that automatically adjust according to vehicle density, reducing congestion and travel times. These systems are also used to predict congestion, adjust bus schedules, and enhance public transportation services according to the population's needs. Applications also include improving the internal administrative performance of municipalities. Artificial intelligence algorithms are used to automate routine processes, such as issuing permits, analyzing population data, managing complaints, and increasing employee efficiency, thereby saving time and resources. The successful implementation of these technologies requires robust digital infrastructure, human resource training, and the establishment of appropriate regulatory and legislative frameworks. However, in the long term, artificial intelligence can transform municipal operations and contribute to building more efficient and responsive local

institutions, which represents one of the pillars of institutional digital transformation in Iraq (Mohammed et al., 2025).

14. Smart waste management techniques

Given the environmental challenges facing Iraq, particularly in waste management and urban accumulation, digital transformation emerges as a powerful tool that can make a significant difference in improving this reality. It has become possible to employ modern innovative technologies to develop an integrated waste management system that contributes to environmental protection and improves the quality of life. One of the most prominent of these technologies is smart containers, which are waste containers equipped with sensors that send real-time data on the container's fullness. This type of data enables municipalities and specialized companies to schedule waste collection operations more accurately and efficiently, thereby reducing unnecessary trips and, consequently, decreasing fuel consumption and carbon emissions from truck traffic. Data analysis and artificial intelligence can also be used to determine the most efficient routes for waste collection trucks, thereby saving time and distance, increasing performance efficiency, and reducing congestion and noise. Within waste sorting stations, AI-powered robots can be utilized to sort recyclable materials accurately and efficiently, thereby enhancing the quality of recycling and increasing the quantity of recycled materials. The matter does not stop at collection and sorting. Waste can also be converted into energy through modern technologies such as safe incineration or biodegradation, providing alternative energy sources, supporting the move towards sustainability, and reducing reliance on traditional sources. Finally, interactive mobile phone applications directly engage citizens by enabling them to report environmental violations and encouraging them to sort waste or donate recyclable materials in exchange for digital incentives or rewards, thereby enhancing environmental awareness and collective responsibility (Hussein, 2025).

Conclusions

The results demonstrate that the concept of digital transformation is no longer an optional choice, but rather an urgent necessity for modernizing both the structure of the state and society simultaneously. We have become aware of how digital transformation can reshape the productive and service sectors, starting with improving institutional efficiency and enhancing the quality of services, developing the agricultural sector through accurate crop forecasting and maximizing the return per unit of land, and enhancing municipal performance and environmental services through artificial intelligence and innovative waste management. It has become clear that, if properly adopted and implemented, digital transformation can serve as the cornerstone of building a more resilient and responsive Iraqi economy, as well as a more just and sustainable society. Digital transformation does not stop at automation, but rather encompasses restructuring the administrative mindset, activating a data-driven culture, and empowering individuals and institutions with practical tools that contribute to informed decision-making, thereby enhancing the quality of life. In this regard, the call to develop integrated national policies for digital transformation in Iraq is no longer just a suggestion, but rather an urgent necessity for development that the government, the private sector, academic institutions, and civil society must share. With its human and natural resources, Iraq is well-positioned to become a regional model for comprehensive digital transformation, provided there is political will, a strategic vision, and data-driven planning. Digital transformation is not merely a technical project, but rather a civilizational one that reshapes the priorities of the state and society, consolidates the concepts of efficiency and transparency, and paves the way for comprehensive development and a prosperous future.

References

- Abdul Aziz Qasim, The Warrior of Development and Sustainable Development in the Face of Reality's Challenges from an Islamic Perspective, Dar Al-Jami'a Al-Jadida, Alexandria, 2011.
- Adnan Mustafa Al-Bar, Digital Transformation Technologies. Article available at the following link on January 1, 2021: <http://www.kau.edu.sa/GetFile.aspx?id=287966&fn=Article-of-this>
- Al-Mendalawi, M. D. (2023). An Insight into the Incorporation of Artificial Intelligence in Paediatrics Practice in Iraq. Sultan Qaboos University Medical Journal, 23(4), 564..
- Central Statistical Organization, Sustainable Development Goals: Substantial Reforms, Ministry of Planning, Iraq, year not mentioned.
- Barbier, E. B. (2007). Frontiers and sustainable economic development. Environmental and Resource Economics, 37(1), 271-295..
- Emad Mohammed, Saadi Shartouh, The impact of AI applications in alleviating poverty in Iraqi rural communities, paper presented to the conference, Eighth International Scientific Conference of the Union of Arab Statisticians, Kurdistan Region, 2025, p. 26-30.
- Haady Abdilnabi Altememy, The impact of AI capabilities of higher education institutions in Iraq on the academic performance of students (The role of AI-based technology applications as a mediator), Eurasian Journal of Educational Research, Ani Publishing, Vol. 104, No. 104, Turkey, 2023.
- Hasan, H. H. (2025). The Digital Transformation Impact on Business Models in SMEs in Iraq. American Journal of Economics and Business Innovation, 4(2), 70-73..
- Lundberg, M. (2021). Identifying the different viewpoints and key elements of digital transformation..
- Mahmoud Hussein, The importance of city empowerment in Iraq: A case study of municipalities, International Journal of Sustainable Development and Planning, International Society for Information Technology and Engineering, UK, Vol. 20, No. 3, 2025.
- Muhammad Hussein Abdul Majeed Hashim, Digital Transformation and Its Impact on the Performance of Government Service Institutions, Journal of the Faculty of Sharia and Law, Al-Azhar University, Egypt, Volume 29, Issue 4, 2024.
- Ben Qarash, & Mohamed Nour El Din. (2024). Digital Transformation as a Governance Mechanism for Achieving Sustainable Development Goals in Algeria. Journal of Business and Trade Economics, 9(2), 500-517.
- Munir Al-Hamza, Saihi Al-Khamisa, Manjia Bourhala, Digital Transformation and Its Role in Achieving Sustainable Development Goals, Sustainable Development, Journal of Environmental Studies and Sustainable Development, Al-Shahid Sheikh Al-Arabi Al-Tabsi, Algeria, Volume 2, Issue 2, 2022.
- Murtada Rashid, Hassan Jamal, Nagham Aziz, Analyzing the Role of the Digital Economy in Achieving Sustainable Development in the Gulf Cooperation Council Countries and Iraq, research published at the conference (Proceedings of the International Scientific Conference of the College of Administration and Economics), University of Kufa, 2022.

- Rachid Bouafia, Electronic Banking and the Algerian Banking System, Master's Thesis, Faculty of Economics, Business, and Management Sciences, University of Blida, Algeria, 2005.
- Rusu, Cultural barriers in digital transformation in a public organization: A case study of a Sri-Lankan organization In Information Systems, 17th European, Mediterranean, and Middle Eastern Conference, Dubai, United Arab Emirates, November, Springer International Publishing, 2020.
- Saeed Abdel Hamid Ibrahim, Human Development in the Era of Artificial Intelligence Technologies, Dar Al-Ilm Wal-Iman, First Edition, Egypt, 2025.
- Samir Abdel Qader Khattab, Mahran Saad Al-Mihi Abdel Latif, Recycling University Education: An Approach to Achieving Sustainable Development Goals, Al-Azhar University, Education Journal, Volume 3, Issue 1 196, 2022.
- Sarab Jabbar Khorshid, Artificial Intelligence Strategy in Education, Iraqi University Journal, College of Education, Iraqi University, Volume 20, Baghdad, 2023.
- Thabit Sultan Mohammed, Karim Mohammed Aljebory, Ahmed Thabit Sultan, Towards Achieving the UN Sustainable Development Goals: The Role of AI in Municipality Services, Paper presented at the Eighth International Scientific Conference of the Union of Arab Statisticians, Kurdistan Region, 2025.
- United Nations, Sustainable Development Goals Report 2017, New York, 2017.
- Vial, G. (2021). Understanding digital transformation: A review and a research agenda. Managing digital transformation, 13-66..
- Younis Marai Abu Samra, The Importance of Transformation in the Banking Sector, 24th Annual Conference on Crisis Research, Ain Shams University, Egypt, 2019.
- Saleh Ibrahim, Y., Khalid Al-Azzawi, W., Hamad Mohamad, A. A., Nouri Hassan, A., & Meraf, Z. (2022). [Retracted] Perception of the Impact of Artificial Intelligence in the Decision-Making Processes of Public Healthcare Professionals. Journal of Environmental and Public Health, 2022(1), 8028275.
- Zahraa Kamel Jassim, Fadhel Radhi Al-Ghazali, Digital Transformation and Its Impact on High Performance of Public Sector Organizations in Iraq, Al-Ghari Journal of Economic and Administrative Sciences, College of Administration and Economics, University of Kufa, Najaf, Volume 20, Special Issue, 2024.
- Zaidoun Ahmed Abdulkarim, Alaa Hassan Fahmy, Soil Quality Based Crop Prediction Using Machine and Deep Learning Models, Paper presented at the Eighth International Scientific Conference of the Union of Arab Statisticians, Kurdistan Region, 2025.

عنوان البحث

الحماية القانونية للتراث الثقافي غير المادي أثناء النزاعات المسلحة: منظور تحليلي

أنسام عبد الواحد ناصر¹، حيدر جمعة منجي النصر اوي²، حسام هاتف مسلم³، محمد جبار جدوع العبدلي⁴

¹ مدرس مساعد، جامعة الكوفة، كلية الرياضيات وعلوم الحاسوب، العراق. بريد الكتروني: ansama.banizuhra@uokufa.edu.iq

² مدرس مساعد، جامعة الكوفة، قسم الشؤون القانونية، العراق. بريد الكتروني: Hayderj.alnasrawi@uokufa.edu.iq

³ مدرس مساعد، جامعة الكوفة، قسم الشؤون القانونية، العراق. بريد الكتروني: Hussamh.shareef@uokufa.edu.iq

⁴ أستاذ مشارك، جامعة الكوفة، أمانة مجلس الجامعة، العراق. بريد الكتروني: mohammedj.jaddoa@uokufa.edu.iq

HNSJ, 2025, 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/21>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/68/21>

تاريخ النشر: 2025/08/01م

تاريخ القبول: 2025/07/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/07/07م

المستخلص

تتناول هذه الدراسة الحماية القانونية للتراث الثقافي غير المادي أثناء النزاعات المسلحة، من خلال تحليل الإطار المفاهيمي والقانوني المرتبط به وتقييم فعالية الاتفاقيات الدولية ذات الصلة. تبدأ الدراسة بتعريف التراث الثقافي غير المادي وفق اتفاقية اليونسكو لعام 2003 وأهم عناصره مثل اللغة، التقاليد الشفوية، والممارسات الاجتماعية، ثم تستعرض دور اتفاقية لاهاي لعام 1954 والبروتوكولات الإضافية لعام 1977 في حماية التراث، مع التركيز على أوجه القصور في حماية المكونات غير المادية مقارنة بالممتلكات المادية. كما يتم تحليل السوابق القضائية للمحاكم الدولية، خاصة محكمة يوغوسلافيا السابقة، لتوضيح مدى انطباق النصوص القانونية على هذا النوع من التراث. وتبرز الدراسة التحديات العملية مثل صعوبة التوثيق وخطر الاندثار غير المرئي نتيجة النزوح أو الاستهداف المتعمد. وتختتم الدراسة باقتراح آليات لتعزيز الحماية، منها تحديث الأطر القانونية الدولية، التوثيق الرقمي، وتفعيل التعاون الثقافي والمؤسسي على المستوى العالمي، إضافة إلى تعزيز دور العدالة الدولية في ملاحقة الانتهاكات الموجهة ضد التراث الثقافي غير المادي.

الكلمات المفتاحية: التراث الثقافي غير المادي، النزاعات المسلحة، الحماية القانونية، اليونسكو، القانون الدولي الإنساني.

RESEARCH TITLE

Legal Protection of Intangible Cultural Heritage during Armed Conflicts: An Analytical Perspective

Ansam Abdul Wahed Nasser¹, Haider Juma Mongi Nasrawi², Hussam Hatif Muslim³, Mohammed Jabbar Jadua Al-Abdali⁴

¹ Assistant Lecturer, University of Kufa, College of Mathematics and Computer Science, Iraq. Email: ansama.banizuhra@uokufa.edu.iq

² Assistant Lecturer, University of Kufa, Department of Legal Affairs, Iraq. Email: Hayderj.alnasrawi@uokufa.edu.iq

³ Assistant Lecturer, University of Kufa, Department of Legal Affairs, Iraq. Email: Hussamh.shareef@uokufa.edu.iq

⁴ Associate Professor, University of Kufa, Secretariat of the University Council, Iraq. Email: mohammedj.jaddoa@uokufa.edu.iq

HNSJ, 2025, 6(7); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/21>

Arabic Scientific Research Identifier: <https://arsri.org/10000/68/21>

Received at 07/07/2025

Accepted at 15/07/2025

Published at 01/08/2025

Abstract

This study addresses the legal protection of intangible cultural heritage during armed conflicts by analyzing its conceptual and legal framework and assessing the effectiveness of relevant international agreements. It begins by defining intangible cultural heritage according to the 2003 UNESCO Convention and its main elements, such as language, oral traditions, and social practices, then reviews the role of the 1954 Hague Convention and the 1977 Additional Protocols in heritage protection, with a focus on the shortcomings in safeguarding intangible components compared to tangible property. The study also examines judicial precedents of international courts, particularly the International Criminal Tribunal for the former Yugoslavia, to clarify the applicability of legal provisions to this type of heritage. It highlights practical challenges such as documentation difficulties and the risk of invisible loss resulting from displacement or deliberate targeting. The study concludes by proposing mechanisms to enhance protection, including updating international legal frameworks, promoting digital documentation, strengthening cultural and institutional cooperation globally, and reinforcing the role of international justice in prosecuting violations against intangible cultural heritage.

Key Words: Intangible Cultural Heritage, Armed Conflicts, Legal Protection, UNESCO, International Humanitarian Law.

مقدمة

الثقافة هي جوهر هوية الشعوب وتشكل التراث الثقافي غير المادي جزءاً أساسياً من هذا الإرث يضم هذا النوع من التراث العادات والتقاليد، التقاليد الشفوية، الممارسات الاجتماعية، الفنون التعبيرية، والمعارف المتوارثة التي تنعكس في حياة الأفراد والمجتمعات على مر العصور، في سياق النزاعات المسلحة يصبح هذا التراث عرضة لخطر التدمير أو الإهمال مما يهدد بفقدان جزء كبير من الهوية الثقافية للشعوب المتأثرة وبالرغم من وجود مجموعة من القوانين والمعاهدات الدولية التي تهدف إلى حماية التراث الثقافي المادي وغير المادي إلا أن الحماية الفعلية لهذا التراث خلال النزاعات المسلحة لا تزال محدودة وغير فعّالة في كثير من الأحيان.

منذ بداية القرن العشرين تطورت القوانين الدولية المتعلقة بحماية التراث الثقافي بشكل ملحوظ ومع ذلك ركزت هذه القوانين في الغالب على حماية الممتلكات الثقافية المادية مثل الآثار والمباني التاريخية، ومع مرور الوقت بدأ الاهتمام يتزايد بالجانب غير المادي للتراث الثقافي خاصة مع إدراك أهمية دوره في تعزيز الهوية الثقافية واستدامة المجتمعات، يظل التراث غير المادي أقل حماية من نظيره المادي، حيث أن القوانين الدولية القائمة غالباً ما تقتصر إلى الوضوح والآليات التنفيذية التي تضمن حماية فعّالة لهذا النوع من التراث (Johannot-Gradis, 2015).

ونرى ان الموضوع ذو أهمية من خلال النظر إلى تأثير النزاعات المسلحة على التراث الثقافي غير المادي، في العديد من الحالات اذ تؤدي الحروب والصراعات إلى اندثار الممارسات الثقافية التقليدية نتيجة لتجريد السكان، تدمير البنية الاجتماعية، أو حتى التهديد المباشر للممارسين أنفسهم، علاوة على ذلك، فإن التدمير المتعمد للتراث الثقافي سواء كان مادياً أو غير مادي غالباً ما يُستخدم كوسيلة لإضعاف هوية الجماعات المستهدفة، وعليه فإن حماية التراث الثقافي غير المادي لا تقتصر على الحفاظ على الهوية الثقافية فحسب، بل تمتد لتشمل دعم السلام والاستقرار في المجتمعات المتأثرة بالنزاعات. (Chainoglou, 2017)

الكلمات المفتاحية: التراث الثقافي غير المادي، النزاعات المسلحة، الحماية القانونية، اليونسكو، القانون الدولي، الهوية الثقافية، القانون الدولي الإنساني.

1- مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في ان التراث الثقافي غير المادي لا يحظى بالحماية القانونية الكافية أثناء النزاعات المسلحة، بالرغم من وجود اتفاقيات دولية تهدف إلى حماية التراث الثقافي عمومًا، والتي تركز غالباً على الممتلكات الثقافية المادية، مما يخلق فجوة قانونية ويجعل التراث غير المادي عرضة للاندثار أو الطمس المتعمد أو غير المقصود.

2- فرضية البحث:

على الرغم من وجود أطر قانونية دولية لحماية التراث الثقافي، فإن هذه الأطر غير كافية لحماية التراث الثقافي غير المادي خلال النزاعات المسلحة، مما يتطلب تطوير قواعد قانونية وآليات تنفيذية تراعي خصوصية هذا النوع من التراث.

3- أهداف البحث:

جاءت أهداف الدراسة واضحة في المقدمة، وهي:

- تحليل القوانين والمعاهدات الدولية المتعلقة بحماية التراث الثقافي غير المادي خلال النزاعات المسلحة.

- تقييم فاعلية هذه القوانين في تحقيق الحماية المطلوبة، مع التركيز على الحالات العملية من النزاعات المعاصرة.
- اقتراح آليات وحلول قانونية وعملية لتعزيز الحماية القانونية للتراث الثقافي غير المادي، خاصة في ظل التحديات التي تواجهها المجتمعات المتأثرة بالنزاعات.

4- منهجية البحث:

تعتمد الدراسة على المنهج التحليلي من خلال مراجعة الأدبيات القانونية والدراسات السابقة، إضافة إلى دراسة حالات عملية لنزاعات مسلحة معاصرة لفهم تأثيرها على التراث الثقافي غير المادي، وتقييم مدى فعالية القوانين الدولية في توفير الحماية له.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي والقانوني للتراث الثقافي غير المادي

المطلب الأول: مفهوم التراث الثقافي غير المادي وأهميته

التراث الثقافي غير المادي يمثل أحد المكونات الأساسية للهوية الثقافية للأمم والمجتمعات ويعكس التقاليد والعادات والقيم التي تنتقل من جيل إلى جيل، وفقاً لاتفاقية اليونسكو لعام 2003 بشأن صون التراث الثقافي غير المادي يُعرّف هذا النوع من التراث على أنه "الممارسات، التمثيلات، التعبيرات، المعارف، المهارات، وما يرتبط بها من آلات وأشياء ومصنوعات وأماكن ثقافية، التي تعتبرها المجتمعات والمجموعات، وأحياناً الأفراد، جزءاً من تراثهم الثقافي." إذ يعتبر هذا التعريف هو الأفضل من حيث الاحاطة الكاملة بالموضوع اضافة الى انه يعتبر تعريف شامل ومرن بذات الوقت ، لانه يصور التراث الثقافي غير المادي من خلال الطبيعة الحية له وديناميكتها عند مقارنتها بالتراث المادي الذي يعنى بالاثار والمواقع التاريخية .

حيث يعد هذا التعريف الاساس في فهم التراث الثقافي وخط الشروع للعالم للانتقال من التركيز على حماية الاثار والمعالم ومادياتها الى التوجه الى الجانب الاخر المتمثل بحماية المعارف والقيم الثقافية المتجسدة في المجتمعات على اختلاف انواعها واعراقها ، وكما بين (C. Johannot-Gradis, 2015, p. 1257) ان هذا الانتقال يمثل بداية التطور في القانون الدولي من جانب التراث الثقافي ليمتد شموله الى شريحة كبيرة من القواعد التي تهدف إلى حماية التراث الثقافي في مختلف الظروف بما في ذلك النزاعات المسلحة.

يتألف التراث الثقافي غير المادي من عناصر عدة وامور رئيسية تتمثل باللغة، التقاليد الشفوية، الممارسات الاجتماعية، الفنون الأدائية، المعارف التقليدية، الحرف اليدوية ، الى اخره وكل واحدة من هذه العناصر لها دور مهم في تأليف الهوية الثقافية للمجتمعات ولو حاولنا الاطلاع والتعمق في فهمها لامكننا تعزيز الجهود الرامية إلى حماية هذا النوع من التراث.

تُعد اللغة الوسيلة الأساسية لنقل التراث الثقافي غير المادي من جيل إلى آخر فهي تحمل في طياتها معارف المجتمعات، وأساطيرها، وحكاياتها الشعبية ، التقاليد الشفوية، مثل الحكايات الشعبية والأمثال، تمثل جزءاً لا يتجزأ من التراث الثقافي غير المادي، وكما تعد حماية اللغة والتقاليد الشفوية يُعد أمراً جوهرياً، حيث يمكن أن يؤدي فقدان اللغة إلى تدمير كامل للهوية الثقافية للمجتمع. (K. Chainoglou, 2017, p. 115)

تشمل هذه الفئة العادات والتقاليد التي تُمارَس في المناسبات الخاصة أو الأحداث اليومية، مثل الاحتفالات والطقوس الدينية والاجتماعية هذه الممارسات تُعبّر عن الفلسفة الحياتية والقيم التي تتبناها المجتمعات، وفقاً لرأي احد الفقهاء فإن

الممارسات الاجتماعية تعكس التفاعل اليومي بين الأفراد مما يجعلها عرضة للخطر أثناء النزاعات المسلحة حيث يمكن أن تتعرض للتدمير أو التهميش. (J. Blake, 2017, p. 38)

وتشمل الفنون الأدائية الموسيقي، والرقص، والمسرح التقليدي التي تعبر عن الاحساس الابداعي وتنقل جمالية المجتمع وسيلة لبيان الاحداث التاريخية ونقلها عبر الاجيال ، وكما ان تلك الفنون المؤداة او الادائية تتعرض الى العديد من التهديد أثناء النزاعات منها فقدان الأداء الحي وتدمير البنية التحتية الثقافية (W.A. Qureshi, 2017, p. 154)

تعد المعارف التقليدية والحرف اليدوية الجزء الاساس من التراث الثقافي غير المادي لانه يرتبط بالمهام والانشطة اليومية مثل الزراعة، والطب التقليدي، والصناعات اليدوية فتلك المهام تمثل جزءاً من الهوية الثقافية وأنها في الغالب تتعرض للاندثار بسبب التطور أو النزاعات المسلحة. (J. Blake, 2023, p. 64)

تتمثل الاهمية المرجوة من التراث الثقافي غير المادي في التعزيز من الهوية الثقافية وتحقيق التنمية الشاملة الدائمة وتعزيز تعميق التفاهم بين الثقافات، لذا فإن التراث الثقافي غير المادي له الدور الاول في اسهامه بزيادة الروابط الاجتماعية لانه يُعتبر رمزاً للانتماء والهوية الجماعية. (M. Lostal, 2017, p. 16)

ان التراث الثقافي غير المادي يُعزز من شعور الأفراد بالانتماء إلى مجتمعاتهم حيث يعكس القيم والعادات التي تُميزهم عن غيرهم، في السياق ذاته ن حماية التراث الثقافي غير المادي تُعتبر وسيلة للحفاظ على التنوع الثقافي في العالم مما يُسهم في تعزيز التعددية الثقافية. (Y. Alhuniet & O. Almakhoumi, 2025, p. 3)

التراث الثقافي غير المادي يلعب دوراً مهماً في تحقيق التنمية المستدامة حيث يُسهم في تعزيز الاقتصاد المحلي من خلال السياحة الثقافية، والحرف اليدوية، والفنون التقليدية ،كما أن الحفاظ على المعارف التقليدية يُسهم في تعزيز الأمن الغذائي والصحة العامة، والتنمية البيئية.

التراث الثقافي غير المادي يُعتبر وسيلة لتعزيز الحوار والتفاهم بين الثقافات المختلفة من خلال الاحتفاء بالتقاليد والفنون المشتركة و يُمكن تعزيز الروابط بين المجتمعات المختلفة مما يُسهم في بناء السلام والتعايش السلمي، وكما يمكن الإشارة الى ان التراث الثقافي غير المادي يُمكن أن يُشكل جسوراً بين الثقافات خاصةً في فترات النزاعات. (J. Brosché et al, 2017, p. 10)

رغم أهمية التراث الثقافي غير المادي إلا أن الموضوع يواجه تحديات عديدة تتطلب اهتماماً خاصاً من المجتمع الدولي من بين هذه التحديات، قضايا التوثيق والاندثار غير المرئي والتهديدات المرتبطة بالنزاعات المسلحة، الا ان أن صعوبة توثيق التراث الثقافي غير المادي تُشكل تحدياً كبيراً حيث يتطلب هذا النوع من التراث وسائل خاصة لحمايته. (D. Viejo-Rose & M.L.S. Sørensen, 2015, p. 21)

المطلب الثاني: القواعد العامة لحماية التراث الثقافي في القانون الدولي

تعد حماية التراث الثقافي في القانون الدولي أحد المواضيع البارزة التي أثارت اهتمام المجتمع الدولي منذ منتصف القرن العشرين وذلك نظراً لدوره الحيوي في حفظ هوية الشعوب وتعزيز التنوع الثقافي ومن خلال القواعد القانونية والمبادئ المعتمدة تم وضع إطار قانوني يهدف إلى حماية الممتلكات الثقافية لا سيما خلال النزاعات المسلحة والتي تشكل تهديداً كبيراً لهذا التراث في هذا السياق تبرز اتفاقية لاهي لعام 1954 كأحد المعالم الأساسية في هذا المجال إلى جانب دور منظمة اليونسكو في تعزيز هذه الجهود.

تعتبر اتفاقية لاهي لعام 1954 لحماية الممتلكات الثقافية في حالة النزاع المسلح أول وثيقة قانونية دولية مخصصة لحماية التراث الثقافي أثناء النزاعات المسلحة جاءت هذه الاتفاقية كرد فعل مباشر على الدمار الهائل الذي لحق

بالممتلكات الثقافية خلال الحرب العالمية الثانية حيث أصبحت الحاجة ملحة إلى وضع إطار قانوني دولي يعترف بأهمية حماية الممتلكات الثقافية باعتبارها جزءًا من التراث الإنساني المشترك.

تحدد الاتفاقية الممتلكات الثقافية بأنها تشمل المباني التاريخية والمجموعات الفنية والمواقع الأثرية إلى جانب المكتبات والأرشيفات التي تحمل قيمة ثقافية وعلمية وعلى الرغم من أن الاتفاقية تركز بشكل أساسي على الممتلكات الثقافية المادية إلا أنها تعكس اعترافًا ضمنيًا بأهمية الجوانب غير المادية المرتبطة بها مثل المعرفة والعادات والتقاليد التي تشكل جزءًا من الهوية الثقافية للمجتمعات. (Johannot-Gradis, p 1259. 2015)

تتضمن اتفاقية لاهاي لعام 1954 مجموعة من الأحكام التي تهدف إلى ضمان حماية الممتلكات الثقافية خلال النزاعات المسلحة

أولاً : تفرض الاتفاقية التزامًا على الدول الأطراف باتخاذ تدابير وقائية في وقت السلم لضمان حماية الممتلكات الثقافية مثل توثيق هذه الممتلكات وتحديد مواقعها ووضع علامات تعريفية عليها

ثانيًا: تنص على التزام الأطراف المتنازعة بتجنب استهداف الممتلكات الثقافية أثناء العمليات العسكرية ما لم تكن هناك ضرورة عسكرية قاهرة كما تفرض الاتفاقية حظرًا على استخدام الممتلكات الثقافية لأغراض عسكرية قد تعرضها للخطر.

في إطار تطوير أحكام الاتفاقية تم اعتماد بروتوكولين إضافيين لتعزيز الحماية البروتوكول الأول لعام 1954 يركز على منع تصدير الممتلكات الثقافية من المناطق المحتلة وإعادتها إلى أصحابها الشرعيين بعد انتهاء النزاع أما البروتوكول الثاني لعام 1999 فيهدف إلى توسيع نطاق الحماية ليشمل الممتلكات الثقافية ذات الأهمية الكبرى كما يشدد على ضرورة مساءلة الأفراد المتورطين في انتهاكات الاتفاقية. (Chainoglou, 2017, p. 112)

لعبت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) دورًا محوريًا في تعزيز الجهود الدولية لحماية التراث الثقافي، فمن خلال دورها كمنظمة دولية متخصصة ساهمت اليونسكو في صياغة واعتماد العديد من الاتفاقيات الدولية المتعلقة بالتراث الثقافي بما في ذلك اتفاقية لاهاي لعام 1954 كما أنشأت برامج ومبادرات تهدف إلى توثيق الممتلكات الثقافية وتعزيز الوعي بأهميتها. (Blake, 2017, p. 47)

في ظل النزاعات المسلحة الحديثة كان لليونسكو دور ريادي في تنسيق الجهود الدولية لحماية التراث الثقافي على سبيل المثال قامت المنظمة بإطلاق مبادرات للتوثيق الرقمي للمواقع التراثية المهددة وتوفير الدعم الفني للدول المتضررة كما قامت بتطوير شراكات مع المؤسسات الدولية والمحلية لتعزيز استجابة المجتمع الدولي للتهديدات التي تواجه التراث الثقافي لا سيما تلك التي تستهدف التراث غير المادي. (Qureshi, 2017, p. 158)

ترى منظمة اليونسكو أن حماية التراث الثقافي ليست مجرد مسألة قانونية بل ترتبط أيضًا بالتنمية المستدامة وتعزيز التماسك الاجتماعي من هذا المنطلق أطلقت المنظمة مبادرات تهدف إلى تعزيز الروابط بين حماية التراث الثقافي وتحقيق أهداف التنمية المستدامة مع التركيز على إشراك المجتمعات المحلية في جهود الحماية. (Blake, 2023, p 71)

وبالرغم من أهمية اتفاقية لاهاي لعام 1954 ودور اليونسكو إلا أن التركيز كان محدودًا على الممتلكات الثقافية المادية دون إيلاء الاهتمام الكافي للتراث الثقافي غير المادي فالتقاليد والعادات والمعارف المرتبطة بالمجتمعات غالبًا ما تكون عرضة للاندثار أثناء النزاعات المسلحة لكن الإطار القانوني الدولي الحالي لا يوفر حماية كافية لهذه العناصر (Lostal, 2017, p. 19).

تشكل النزاعات المسلحة الحديثة تحديًا كبيرًا لتنفيذ أحكام اتفاقية لاهاي والقواعد الدولية الأخرى. فالصراعات غير المتكافئة وظهور الجماعات المسلحة غير الحكومية قد يزيدان من صعوبة ضمان حماية الممتلكات الثقافية بالإضافة إلى ذلك فإن استخدام التكنولوجيا الحديثة في الحروب قد يؤدي إلى استهداف غير مقصود للمواقع التراثية (Alhuniet & Almahzoumi, 2025, p. 5).

يعتبر التعاون الدولي أمرًا حاسمًا لتعزيز حماية التراث الثقافي ومع ذلك فإن الاختلافات السياسية والثقافية بين الدول قد تعيق تنفيذ الجهود المشتركة كما أن نقص التمويل والموارد يشكل عقبة أخرى أمام تعزيز الحماية خاصة في الدول النامية التي تعاني من نزاعات مسلحة. (Brosché et al., 2017, p. 12).

يتطلب تعزيز حماية التراث الثقافي بما في ذلك التراث غير المادي تطوير الإطار القانوني الدولي ليشمل أحكامًا صريحة تركز على حماية هذا النوع من التراث يمكن أن يتم ذلك من خلال اعتماد بروتوكولات إضافية لاتفاقية لاهاي أو صياغة اتفاقيات جديدة تعترف بأهمية التراث غير المادي. (Viejo-Rose & Sørensen, 2015, p. 24).

يمثل التوثيق الرقمي أداة فعالة لحماية الممتلكات الثقافية يمكن لليونسكو والمؤسسات الدولية الأخرى أن تلعب دورًا أكبر في دعم المشاريع التي تهدف إلى توثيق المواقع التراثية والتقاليد الثقافية باستخدام التكنولوجيا الحديثة مما يساهم في الحفاظ على هذه العناصر حتى في حالة تعرضها للدمار. (Stone, 2015, p. 186).

يمكن تعزيز حماية التراث الثقافي من خلال زيادة الوعي بأهميته على المستوى المحلي والدولي يتطلب ذلك تنفيذ حملات تثقيفية تشجع على احترام التراث الثقافي وتبرز دوره في تعزيز التفاهم والتعايش بين الشعوب.

المبحث الثاني: الحماية القانونية للتراث غير المادي في زمن النزاعات المسلحة

المطلب الأول: تحليل نصوص البروتوكولين الإضافيين لعام 1977

تتسم النزاعات المسلحة بتأثيراتها الواسعة والكارثية على مختلف جوانب الحياة بما في ذلك التراث الثقافي بشقيه المادي وغير المادي ولتخفيف هذه الآثار جاءت البروتوكولات الإضافية لعام 1977 الملحق باتفاقيات جنيف لعام 1949 لتوفير إطار قانوني يعزز حماية المدنيين والأعيان غير العسكرية أثناء النزاعات المسلحة وفيما يتعلق بالمجال الثقافي تفتح هذه البروتوكولات الباب أمام تساؤلات متعددة حول مدى شموليتها لحماية التراث الثقافي غير المادي وهو جانب غالبًا ما يتم تجاهله مقارنة بالتركيز التقليدي على التراث المادي.

وفقًا للبروتوكول الإضافي الأول لعام 1977 يتمثل أحد المبادئ الأساسية في القانون الدولي الإنساني في التمييز بين الأهداف العسكرية والأعيان المدنية ينص هذا المبدأ على ضرورة تجنب استهداف الأعيان المدنية أو استخدامها في عمليات عسكرية لضمان تقليل الأضرار الجانبية للمدنيين والبنية التحتية المدنية، ولكن في ظل هذا التركيز على الأعيان المادية يبرز تساؤل حول كيفية تطبيق هذا المبدأ على التراث غير المادي الذي لا يتخذ شكلًا ماديًا ملموسًا ولكنه يمثل جوهر الهوية الثقافية للمجتمعات. (Johannot-Gradis, 2015, p. 1260).

إن التراث غير المادي كما عرفته اتفاقية اليونسكو لعام 2003 يشمل العناصر الثقافية التي تنتقل من جيل إلى آخر مثل التقاليد الشفوية، الفنون الأدائية، الممارسات الاجتماعية، والمعارف المرتبطة بالطبيعة، وفي سياق النزاعات المسلحة، يتعرض هذا التراث لخطر الإبادة أو الطمس سواء بشكل متعمد أو كأثر جانبي للعمليات العسكرية وهنا تكمن المعضلة: كيف يمكن حماية شيء غير ملموس ضمن إطار قانوني صُمم أصلاً لحماية الأعيان المادية؟

رغم أن النصوص القانونية للبروتوكولين الإضافيين لعام 1977 لا تقدم تعريفًا مباشرًا أو حماية صريحة للتراث الثقافي غير المادي إلا أن هناك إمكانيات لتأويل بعض البنود لتشمل هذا الجانب على سبيل المثال ينص البروتوكول الأول في المادة 52 على حماية "الأعيان المدنية" ويمكن تفسير هذا المصطلح بشكل موسع ليشمل البنى الاجتماعية والثقافية التي تشكل جزءًا من التراث غير المادي، لكن هذا التفسير يظل إشكاليًا في ظل غياب توجيه واضح أو سوابق قانونية تدعمه. (Chainoglou, 2017, p. 119)

علاوة على ذلك يمكن النظر إلى المادة 53 من البروتوكول الأول التي تحظر أي عمل عدائي موجه ضد "الأماكن ذات الأهمية الثقافية أو الروحية" كمدخل لتوسيع الحماية القانونية لتشمل التراث غير المادي المرتبط بهذه الأماكن على سبيل المثال إذا كانت تقاليد معينة مثل الاحتفالات الدينية أو الطقوس الاجتماعية مرتبطة بموقع معين فإن تدمير هذا الموقع قد يؤدي إلى فقدان هذه التقاليد ، ومع ذلك يظل السؤال قائمًا حول كيفية إثبات هذا الارتباط الوثيق في سياق قانوني معقد. (Blake, 2017, p. 52)

بالمقارنة مع الأعيان المادية التي يمكن توثيقها بسهولة من خلال الصور أو الخرائط أو السجلات التاريخية يشكل التراث غير المادي تحديًا فريدًا بسبب طبيعته الديناميكية وغير الملموسة هذه الطبيعة تجعل من الصعب توثيق هذا التراث بشكل كافٍ مما يعيق الجهود القانونية لحمايته أثناء النزاعات المسلحة، كذلك قد يتم تبرير استهداف التراث غير المادي أو تجاهله باعتباره غير ضروري من الناحية العسكرية وهو ما يعكس نقص الوعي بأهميته الثقافية والإنسانية (Qureshi, 2017, p. 161).

تشير الدراسات إلى أن النزاعات المسلحة قد تؤدي إلى فقدان التراث غير المادي بطرق مختلفة فمن ناحية قد يُجبر السكان على النزوح مما يعطل عملية نقل التقاليد والمعارف من جيل إلى آخر ومن ناحية أخرى قد تسعى الأطراف المتنازعة إلى طمس هوية ثقافية معينة كجزء من استراتيجية للإبادة الثقافية، مما يؤدي إلى ان التراث غير المادي قد يصبح هدفًا غير مرئي ولكنه مؤثر يستدعي استراتيجيات جديدة ومبتكرة لحمايته. (Lostal, 2017, p. 22)

وعند النظر إلى التحليل السابق يمكن القول إن البروتوكولين الإضافيين لعام 1977 يوفران أساسًا قانونيًا يمكن بتفسيره بشكل موسع ليشمل حماية التراث الثقافي غير المادي ومع ذلك يظل هذا الأساس غير كافٍ بسبب غياب التوضيحات الصريحة والتوجيهات العملية إن الحاجة إلى تطوير إطار قانوني أكثر تحديدًا ومرونة لحماية التراث غير المادي أصبحت ملحة في ظل التحديات المتزايدة التي تفرضها النزاعات المسلحة الحديثة.

و يمكن أن تلعب المنظمات الدولية مثل اليونسكو والمحكمة الدولية دورًا حيويًا في سد هذه الفجوة القانونية ومن خلال تعزيز التوثيق الرقمي للتراث غير المادي وتطوير مبادئ قانونية جديدة تستند إلى الأطر الحالية يمكن تحقيق حماية أكثر شمولًا لهذا الجانب الحيوي من الهوية الثقافية للإنسانية. (Brosché et al., 2017, p. 15)

إن الدراسة المعمقة للنصوص القانونية الدولية تُظهر أن مفهوم التراث الثقافي غير المادي لم يحظَ بالاهتمام الكافي في السياق القانوني للنزاعات المسلحة ولعل هذا يعود إلى الطبيعة غير الملموسة لهذا التراث التي تجعل من الصعب تحديده وتوثيقه مقارنة بالتراث المادي ومع ذلك فإن أهمية هذا التراث لا تقل عن أهمية نظيره المادي إذ يمثل جزءًا لا يتجزأ من الهوية الثقافية والإنسانية.

تتطلب حماية التراث غير المادي أثناء النزاعات المسلحة نهجًا متعدد الأبعاد فمن ناحية يجب تطوير الأطر القانونية القائمة لتشمل تعريفات أكثر وضوحًا وشمولية للتراث غير المادي ومن ناحية أخرى يجب تعزيز التعاون الدولي لتوثيق

هذا التراث ونشر الوعي بأهميته كما يمكن استخدام التكنولوجيا الرقمية كوسيلة لتسجيل ونقل العناصر غير المادية مما يضمن الحفاظ عليها حتى في ظل الظروف الصعبة. (Viejo-Rose & Sørensen, 2015, p. 26).

المطلب الثاني: تقييم فاعلية الاتفاقيات الدولية الأخرى ذات الصلة

تلعب الاتفاقيات الدولية دورًا حيويًا في حماية التراث الثقافي غير المادي خاصة أثناء النزاعات المسلحة حيث يكون هذا النوع من التراث عرضة للخطر بسبب الاضطرابات والصراعات التي تؤدي إلى تدمير القيم الثقافية غير المادية والذاكرة الجماعية للشعوب ومن بين هذه الاتفاقيات تبرز اتفاقية اليونسكو لعام 2003، واتفاقيات جنيف، وتوصيات لجنة القانون الدولي، بالإضافة إلى الاجتهادات القضائية الدولية الصادرة عن هيئات مثل محكمة يوغوسلافيا السابقة ومحكمة العدل الدولية، في هذا القسم سيتم تحليل فاعلية هذه الأدوات الدولية ومدى قدرتها على حماية التراث الثقافي غير المادي من المخاطر الناجمة عن النزاعات المسلحة.

تعتبر اتفاقية اليونسكو لعام 2003 بشأن صون التراث الثقافي غير المادي أحد الأدوات القانونية الرئيسية التي تهدف إلى حماية التراث الثقافي غير المادي من خلال تشجيع الدول على تحديد وتوثيق وحماية هذا النوع من التراث، وفقًا لهذه الاتفاقية يُعرّف التراث الثقافي غير المادي على أنه "الممارسات والتصورات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات، بالإضافة إلى الأدوات والأشياء والمصنوعات الثقافية والأماكن التي تعتبر جزءًا من التراث الثقافي للشعوب"، تشمل هذه العناصر اللغة، والتقاليد الشفوية، والممارسات الاجتماعية، والمعارف التقليدية، والفنون الأدائية، وغيرها. (Blake, 2023, p. 66)

من الناحية النظرية توفر الاتفاقية إطارًا شاملاً لتوثيق التراث غير المادي وحمايته من الانقراض ومع ذلك يبرز التحدي الرئيسي في سياق النزاعات المسلحة حيث لا توفر الاتفاقية آليات مباشرة للتعامل مع المخاطر التي تنشأ بسبب الحروب على الرغم من وجود التزامات عامة على الدول الأعضاء بحماية التراث الثقافي غير المادي إلا أن الاتفاقية تقتصر إلى نصوص واضحة ومحددة تتناول السيناريوهات الخاصة بالنزاعات المسلحة وبالتالي فإن فاعليتها في هذه الظروف تعتمد إلى حد كبير على مدى التزام الدول بتنفيذ بنوده. (Johannot-Gradis, 2015, p. 1261)

تشكل اتفاقيات جنيف لعام 1949 والبروتوكولات الإضافية لعام 1977 الأساس القانوني لحماية المدنيين والممتلكات الثقافية أثناء النزاعات المسلحة رغم أن هذه الاتفاقيات تركز بشكل رئيسي على الممتلكات الثقافية المادية إلا أنها تتضمن مبادئ يمكن أن تُطبق على التراث غير المادي أيضًا على سبيل المثال ينص البروتوكول الإضافي الأول على ضرورة التمييز بين الأهداف المدنية والعسكرية وهو مبدأ يمكن أن يشمل التراث الثقافي غير المادي باعتباره جزءًا من الهوية الثقافية للشعوب. (Chainoglou, 2017, p. 118)

تشير توصيات لجنة القانون الدولي إلى أن حماية التراث الثقافي أثناء النزاعات المسلحة يجب أن تأخذ في الاعتبار العناصر غير المادية التي تسهم في بناء الهوية الثقافية ومع ذلك فإن هذه التوصيات غالبًا ما تكون ذات طبيعة إرشادية وليست ملزمة قانونًا مما يحد من فعاليتها في ظل غياب آليات تنفيذ صارمة على الرغم من أن تلك التوصيات تؤكد على أهمية توثيق التراث الثقافي غير المادي كوسيلة للحفاظ عليه، فإن تطبيقها يعتمد على استعداد الدول والمؤسسات الدولية لتوفير الموارد اللازمة للتوثيق والحماية. (Blake, 2017, p. 55)

من جانبه يُعتبر الاجتهاد القضائي الدولي أداة مهمة لفهم كيفية تطبيق القانون الدولي لحماية التراث الثقافي غير المادي أثناء النزاعات المسلحة، إذ أن من أبرز القضايا التي تسلط الضوء على هذه المسألة الأحكام الصادرة عن محكمة

يوغوسلافيا السابقة في إحدى القضايا المتعلقة بتدمير الممتلكات الثقافية في البوسنة والهرسك فقد أكدت المحكمة على أن الهجمات على الممتلكات الثقافية تشكل انتهاكاً للقانون الدولي الإنساني رغم أن القضية ركزت على الممتلكات الثقافية المادية إلا أن التحليل القانوني يمكن أن يمتد ليشمل التراث الثقافي غير المادي نظراً لأنه يتشارك مع الممتلكات المادية في كونه جزءاً من الهوية الثقافية للشعوب. (Qureshi, 2017, p 164).

أما محكمة العدل الدولية فقد تناولت في بعض القضايا مسائل تتعلق بحماية التراث الثقافي في سياقات النزاع على سبيل المثال، في قضية مالي وتدمير الأضرحة في تمبكتو أشارت المحكمة إلى أن تدمير الممتلكات الثقافية يمثل جريمة حرب ورغم أن التراث غير المادي لم يكن محور التركيز المباشر إلا أن هذه القضايا تسلط الضوء على الحاجة إلى توسيع نطاق الحماية القانونية ليشمل العناصر غير المادية من التراث الثقافي. (Lostal, 2017, p. 25).

على الرغم من وجود هذه الأدوات القانونية الدولية إلا أن هناك تحديات كبيرة تعيق تطبيقها على حماية التراث الثقافي غير المادي أثناء النزاعات المسلحة أحد التحديات الرئيسية هو صعوبة توثيق التراث غير المادي على عكس الممتلكات المادية التي يمكن تحديد موقعها وحمايتها فعلياً فإن التراث غير المادي يعتمد على المعارف والممارسات التي تنتقل شفهيًا أو من خلال التقالي مما يجعلها عرضة للانقراض في حالة تعرض المجتمعات التي تحمل هذه التقاليد للتهجير أو الإبادة. (Viejo-Rose & Sørensen, 2015, p. 27).

إضافة إلى ذلك تفقر العديد من الدول إلى الموارد اللازمة لتوثيق التراث غير المادي خاصة في مناطق النزاع كما أن التعاون الدولي في هذا المجال محدود بسبب الاختلافات الثقافية والسياسية بين الدول وكذلك فإن النزاعات المسلحة غالباً ما تؤدي إلى تدمير البنية التحتية الثقافية مما يعقد الجهود المبذولة لحماية التراث غير المادي (Stone, 2015, p. 189).

ولتعزيز فاعلية الاتفاقيات الدولية في حماية التراث الثقافي غير المادي يجب اتخاذ خطوات إضافية لتطوير الأطر القانونية والمؤسسية على سبيل المثال يمكن توسيع نطاق اتفاقية لاهاي لعام 1954 لتشمل التراث غير المادي بشكل صريح كما يمكن تعزيز التعاون بين الدول والمؤسسات الدولية لتوثيق التراث غير المادي بطرق مبتكرة مثل استخدام التكنولوجيا الرقمية لتخزين المعارف والتقاليد (Alhuniyeti & Almahzoumi, 2025, p. 9).

كذلك يمكن للمحاكم الدولية أن تلعب دوراً أكبر في تعزيز الحماية القانونية للتراث غير المادي من خلال توسيع نطاق الاجتهادات القضائية لتشمل هذا النوع من التراث كما أن تعزيز الوعي الدولي بأهمية التراث الثقافي غير المادي يمكن أن يسهم في زيادة الالتزام بتنفيذ الاتفاقيات الدولية ذات الصلة.

على الرغم من التقدم الذي تحقق في مجال حماية التراث الثقافي غير المادي من خلال الاتفاقيات الدولية والاجتهادات القضائية إلا أن هناك حاجة ملحة لتعزيز هذه الجهود في ضوء التحديات الحالية إن حماية التراث الثقافي غير المادي أثناء النزاعات المسلحة ليست مجرد مسألة قانونية بل هي أيضاً جزء أساسي من الجهود المبذولة للحفاظ على الهوية الثقافية والذاكرة الجماعية للشعوب وبالتالي يجب على المجتمع الدولي أن يواصل العمل على تطوير أطر قانونية ومؤسسية أكثر شمولاً وفعالية لضمان حماية هذا النوع من التراث في مواجهة التهديدات المتزايدة.

المبحث الثالث: التحديات العملية والآليات المقترحة لتعزيز الحماية

المطلب الأول: التحديات العملية في حماية التراث غير المادي أثناء النزاعات

تُعد حماية التراث الثقافي غير المادي خلال النزاعات المسلحة واحدة من أكثر التحديات تعقيداً التي تواجه المجتمع الدولي إذ يتعرض هذا النوع من التراث الذي يشمل اللغة، التقاليد الشفوية، الممارسات الاجتماعية، الطقوس، الحرف التقليدية، وغيرها، لتهديدات جدية سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة على الرغم من الجهود الدولية المبذولة لتوثيق هذا التراث وحمايته إلا أن طبيعة النزاعات المسلحة والمخاطر المرتبطة بها تجعل من هذه الجهود أمراً بالغ الصعوبة، يناقش هذا القسم التحديات العملية لحماية التراث غير المادي أثناء النزاعات المسلحة مع التركيز على صعوبة التوثيق من جهة وخطر الاندثار غير المرئي سواء كان مقصوداً أو عرضياً من جهة أخرى.

تعد عملية توثيق التراث الثقافي غير المادي واحدة من أعقد المهام التي تواجه المجتمعات المتضررة من النزاعات المسلحة إذ يتسم هذا التراث بطبيعته الديناميكية وغير الملموسة مما يجعل من الصعب تحديده بدقة وتوثيقه بالشكل الذي يضمن حمايته ، ويعتبر القانون الدولي الإنساني رغم توسعه غير قادر على معالجة الفجوة المتعلقة بحماية التراث غير المادي أثناء النزاعات المسلحة لان تركيزه الأساسي ينصب على التراث المادي مثل المواقع الأثرية والآثار. (Johannot-Gradis, 2015,p. 1263)

تشير الأدبيات إلى أن التوثيق يتطلب موارد بشرية وتقنية كبيرة قد لا تتوفر في ظل النزاعات المسلحة فعلى سبيل المثال في النزاعات التي تشهدها مناطق مثل سوريا أو العراق تم تدمير العديد من المعالم التاريخية ولكن الأضرار التي لحقت بالتراث غير المادي مثل الحكايات الشعبية أو الطقوس الدينية لم تحظَ بالاهتمام الكافي ، هذا النقص في التوثيق لا يقتصر فقط على الجهود المحلية، بل يشمل أيضاً ضعف الدعم الدولي الموجه لهذا المجال (Chainoglou, 2017,p. 122).

من جانب آخر يواجه التراث غير المادي تحديات إضافية تتمثل في طبيعته الشفوية والزائلة فالكثير من عناصر هذا التراث يتم تناقلها شفهيًا عبر الأجيال مما يعني أن فقدان الأفراد الذين يحملون هذه المعرفة يؤدي إلى اختفاء هذا التراث بشكل نهائي ، لأن حماية التراث غير المادي تتطلب نهجاً متعدد الأبعاد يشمل ليس فقط التوثيق بل أيضاً التعليم ونقل المعرفة بين الأجيال. (Blake, 2017,p. 58)

إلى جانب صعوبة التوثيق يواجه التراث الثقافي غير المادي خطر الاندثار غير المرئي وهو تحدٍ آخر يبرز بشكل واضح أثناء النزاعات المسلحة يمكن أن يكون هذا الاندثار عرضياً نتيجة للدمار العام الناجم عن الحرب أو مقصوداً كجزء من سياسات تهدف إلى محو هوية ثقافية معينة ، لكون أن النزاعات المسلحة غالباً ما تُستخدم كوسيلة للقضاء على تراث ثقافي معين بهدف فرض سيطرة سياسية أو أيديولوجية. (Qureshi, 2017,p. 166)

على سبيل المثال خلال النزاعات في البوسنة والهرسك تعرض التراث الثقافي غير المادي للمسلمين البوسنيين للتدمير المنهجي بما في ذلك الأغاني الشعبية والرقصات التقليدية ، أن مثل هذه التهديدات تتجاوز الجانب المادي للتراث لتشمل الجوانب الرمزية التي تمثل الهوية الثقافية للشعوب. (Blake, 2023,p. 78)

من الناحية العملية يمكن للانذار العرضي أن يحدث نتيجة لتشيت المجتمعات المحلية والنزوح القسري حيث تفقد هذه المجتمعات الروابط التي تربطها بتراثها الثقافي على سبيل المثال النزاعات في مناطق مثل دارفور أو جنوب السودان أدت إلى تفرق المجتمعات المحلية وفقدان العديد من عناصر التراث الثقافي غير المادي التي كانت تعتمد على التجمعات المجتمعية لإحيائها. (Lostal, 2017,p. 29).

تُعتبر الأطر القانونية الحالية رغم التطورات التي شهدتها غير كافية لحماية التراث الثقافي غير المادي أثناء النزاعات المسلحة فمع أن اتفاقية لاهاي لعام 1954 وبروتوكولي جنيف الإضافيين لعام 1977 يوفران بعض الحماية للتراث الثقافي إلا أن تركيزهما الأساسي ينصب على الممتلكات الثقافية المادية، مع الإشارة إلى أن التراث غير المادي يحتاج إلى معايير خاصة للحماية تأخذ بعين الاعتبار طبيعته غير الملموسة. (Alhuniet & Almahzoumi, 2025, 11)

ومع ذلك فإن غياب آليات تنفيذ فعالة يجعل من الصعب ضمان الامتثال لهذه الاتفاقيات فعلى سبيل المثال لم يتمكن المجتمع الدولي من محاسبة الأطراف المسؤولة عن تدمير التراث الثقافي في العراق وسوريا رغم الأدلة الواضحة على الانتهاكات. (Brosché et al., 2017, p. 16)

يشير ستون إلى أن حماية التراث الثقافي سواء كان مادياً أو غير مادي تتطلب تعزيز التعاون الدولي وتطوير آليات قانونية أكثر قوة. (Stone, 2015, p. 191)

إلى جانب التحديات التقنية والقانونية تؤثر النزاعات المسلحة بشكل كبير على المجتمعات المحلية التي تعتبر الحاضنة الأساسية للتراث الثقافي غير المادي فالضغوط النفسية والاجتماعية الناجمة عن الحرب تؤدي إلى تراجع الاهتمام بالحفاظ على التراث، لأن النزاعات المسلحة تؤدي إلى تحول أولويات المجتمعات من الحفاظ على التراث إلى البقاء على قيد الحياة. (Viejo-Rose & Sørensen, 2015, p. 30)

على سبيل المثال في النزاعات التي تشهدها مناطق النزوح واللجوء يتعرض التراث الثقافي غير المادي لخطر الاختفاء بسبب فقدان البيئة الاجتماعية التي تدعمه، و الحفاظ على هذا التراث يتطلب جهوداً إضافية لضمان استمراريته في ظل الظروف القاسية. (Blake, 2017, p. 61)

على الرغم من التحديات الكبيرة التي تواجه حماية التراث الثقافي غير المادي أثناء النزاعات المسلحة إلا أن التكنولوجيا الحديثة توفر بعض الأدوات التي يمكن أن تسهم في التخفيف من هذه المشكلات على سبيل المثال يمكن استخدام تقنيات التوثيق الرقمي لتسجيل عناصر التراث الثقافي غير المادي وحمايتها من الاندثار، إذ أن استخدام التكنولوجيا يمكن أن يسهم في توثيق التراث بطرق مبتكرة تضمن استمراريته للأجيال القادمة. (Alhuniet & Almahzoumi, 2025, p. 13)

لمواجهة هذه التحديات يجب على المجتمع الدولي أن يتبنى نهجاً شاملاً لحماية التراث الثقافي غير المادي أثناء النزاعات المسلحة، يؤدي تطوير إطار قانوني دولي محدد لحماية التراث غير المادي يمكن أن يسهم بشكل كبير في تعزيز الجهود الحالية علاوة على ذلك يجب تعزيز التعاون بين الدول والمنظمات الدولية لضمان توفير الموارد اللازمة لتوثيق هذا التراث وحمايته. (Blake, 2023, p. 83)

المطلب الثاني: سبل تعزيز الحماية الدولية

تُعتبر حماية التراث الثقافي غير المادي أثناء النزاعات المسلحة إحدى القضايا الملحة في القانون الدولي حيث يعكس هذا التراث الهوية الثقافية للشعوب ويشكل إرثاً إنسانياً مشتركاً ومع تصاعد وتيرة النزاعات المسلحة تتزايد الحاجة إلى تطوير آليات قانونية وإجرائية تتناسب مع طبيعة هذا التراث الذي غالباً ما يكون مهدداً بالاندثار، تتناول هذه الفقرة السبل المقترحة لتعزيز الحماية الدولية للتراث الثقافي غير المادي مع التركيز على تطوير قواعد اتفاقية لاهاي، وتعزيز التوثيق الرقمي، وتفعيل التعاون الثقافي الدولي، ودور المحاكم الدولية والآليات الوقائية.

تُعتبر اتفاقية لاهاي لعام 1954 واحدة من أهم الأدوات القانونية الدولية لحماية الممتلكات الثقافية أثناء النزاعات المسلحة ومع ذلك فإن هذه الاتفاقية تُركز بشكل رئيسي على حماية الممتلكات الثقافية المادية (Johannot-Gradis, 2015, p. 1260).

لم تتضمن الاتفاقية أو بروتوكولاتها نصوصاً واضحة تتعلق بالتراث الثقافي غير المادي مثل التقاليد الشفوية أو الممارسات الاجتماعية مما يشكل فجوة قانونية تستدعي المعالجة.

كما وإن الحاجة إلى تضمين التراث الثقافي غير المادي في إطار اتفاقية لاهاي ينبع من الدور الحيوي الذي يلعبه هذا التراث في الحفاظ على الهوية الثقافية أثناء النزاعات المسلحة يمكن تحقيق ذلك من خلال تعديل الاتفاقية لإدراج تعريف شامل للتراث غير المادي إلى جانب وضع آليات خاصة لحمايته من التدمير أو التلاشي على سبيل المثال يمكن إدراج نصوص تلزم أطراف النزاع بعدم استهداف العناصر غير المادية للثقافة ضمن استراتيجياتهم العسكرية (Chainoglou, 2017, p. 120).

ويمكن تفعيل آليات مراقبة دولية لضمان الالتزام بهذه النصوص، أشار من خلال توسيع نطاق اتفاقية لاهاي ليشمل التراث غير المادي يتطلب تعاوناً بين الهيئات الدولية المعنية بالتراث الثقافي مثل اليونسكو وبين الدول الأطراف في الاتفاقية ومن الأمثلة العملية لهذا التعاون إنشاء لجان دولية لتقييم تأثير النزاعات المسلحة على التراث غير المادي وتقديم توصيات مباشرة للدول المعنية. (Blake, 2017, p. 56)

يُعتبر التوثيق الرقمي أحد الأدوات الفعالة لحماية التراث الثقافي غير المادي حيث يتيح حفظ هذا التراث في أشكال يمكن الوصول إليها بسهولة حتى في ظل ظروف النزاعات المسلحة، ذكر، لأن التوثيق الرقمي يمكن أن يلعب دوراً محورياً في الحفاظ على التراث الثقافي غير المادي عبر إنشاء قواعد بيانات تضم ممارسات وتقاليد وأغاني ورقصات وغيرها من عناصر الثقافة. (Qureshi, 2017, p. 162)

أحد الأمثلة العملية على ذلك هو مشروع "الذاكرة الرقمية" الذي أطلقته اليونسكو والذي يهدف إلى توثيق التراث الثقافي غير المادي في المناطق التي تواجه النزاعات المسلحة يتيح هذا المشروع للمنظمات الدولية والدول المعنية استخدام الموارد الرقمية لتوثيق التراث بطريقة تضمن استمراريته وجوده حتى في حالة تعرضه للخطر.

ويعد التوثيق الرقمي وسيلة لا غنى عنها لحماية التراث الثقافي غير المادي إذ يساهم في خلق سجل يمكن استخدامه كدليل قانوني في المحاكم الدولية لتحديد المسؤولية عن تدمير أو إهمال هذا التراث ولكن على الرغم من ذلك فإن التحديات التقنية مثل نقص التمويل وعدم وجود خبراء متخصصين في الرقمنة تُعتبر عوائق رئيسية أمام تحقيق هذا الهدف (Lostal, 2017, p. 31).

يُعتبر التعاون الثقافي الدولي إحدى الأدوات الأساسية لتعزيز حماية التراث الثقافي غير المادي أثناء النزاعات المسلحة، من خلال الإشارة إلى أن التعاون بين الدول والمنظمات الدولية يمكن أن يساهم في بناء قدرات الدول على توثيق وحماية تراثها الثقافي غير المادي. (Alhuniet & Almahzoumi, 2025, p. 14)

يمكن تعزيز التعاون الثقافي الدولي من خلال إنشاء برامج مشتركة لتبادل الخبرات والمعارف بين الدول خاصة تلك التي تعاني من نزاعات مسلحة والدول المستقرة كما يمكن لليونسكو بالتعاون مع المؤسسات الثقافية المحلية أن تُنظم ورش عمل دولية لتدريب العاملين في مجال التراث على أساليب الحماية والتوثيق الحديثة.

من الأمثلة العملية على التعاون الدولي المبادرات الثقافية المشتركة بين الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي حيث يتم تمويل مشاريع تهدف إلى حماية التراث الثقافي غير المادي في المناطق المتأثرة بالنزاعات فقد تعد هذه المبادرات نموذجاً فعّالاً يمكن تطبيقه على نطاق أوسع لضمان حماية التراث في المناطق التي تواجه تحديات ثقافية (Brosché et al., 2017, p. 18).

تُعتبر المحاكم الدولية مثل محكمة العدل الدولية والمحكمة الجنائية الدولية أدوات قانونية فعّالة لتطبيق الحماية القانونية للتراث الثقافي غير المادي أثناء النزاعات المسلحة لأنها تلعب دوراً مهماً في محاسبة الأطراف المسؤولة عن تدمير أو إهمال التراث الثقافي غير المادي (Viejo-Rose & Sørensen, 2015, p. 33).

يمكن لهذه المحاكم أن تعتمد على الأدلة الرقمية والشهادات الموثقة لتحديد المسؤولية القانونية للأطراف المتورطة على سبيل المثال إذا تم تدمير عنصر من التراث الثقافي غير المادي مثل الأغاني التقليدية أو الممارسات الاجتماعية نتيجة لقصف عسكري يمكن استخدام سجلات التوثيق الرقمي كدليل لتقديم الدعوى أمام المحاكم الدولية.

أن الآليات الوقائية تُعتبر جانباً آخر مهماً من جوانب الحماية الدولية تشمل هذه الآليات وضع خطط استباقية لحماية التراث الثقافي غير المادي في المناطق التي يُحتمل أن تكون معرضة للنزاعات المسلحة يمكن تحقيق ذلك من خلال إنشاء فرق دولية مختصة تعمل على تقييم المخاطر ووضع استراتيجيات وقائية للحماية مثل إنشاء مناطق حماية خاصة حول المواقع الثقافية أو توفير التمويل اللازم لتوثيق التراث غير المادي (Stone, 2015, p. 193).

إن تعزيز الحماية الدولية للتراث الثقافي غير المادي أثناء النزاعات المسلحة يتطلب جهوداً مشتركة من المجتمع الدولي، تشمل تطوير الأطر القانونية القائمة، وتفعيل أدوات التوثيق الرقمي، وتعزيز التعاون الثقافي الدولي، وتفعيل دور المحاكم الدولية والآليات الوقائية، ومع التحديات التي تواجه هذه الجهود، يبقى الأمل في أن تسهم هذه المبادرات في ضمان استمرارية التراث الثقافي غير المادي كجزء من الهوية الإنسانية المشتركة.

الخاتمة

يمثل التراث الثقافي غير المادي أحد أعمدة الهوية الحضارية والإنسانية للشعوب، حيث يجسد القيم والتقاليد والمعارف التي تنتقل من جيل إلى آخر، وتمنح المجتمعات خصوصيتها واستمراريتها. وقد أظهر هذا البحث أن هذا النوع من التراث يظل عرضة للإهمال أو الاندثار أثناء النزاعات المسلحة، نظراً لغياب الحماية القانونية الصريحة والفعّالة التي تراعي طبيعته غير الملموسة.

فبينما وضعت الاتفاقيات الدولية مثل اتفاقية لاهاي لعام 1954 والبروتوكولين الإضافيين لعام 1977 قواعد مهمة لحماية الممتلكات الثقافية، إلا أن تركيزها كان منصباً على الجانب المادي من التراث، ما خلق فجوة قانونية واضحة تجاه الجانب غير المادي. كما أن اتفاقية اليونسكو لعام 2003، رغم أهميتها، لا تتضمن آليات فعّالة للتعامل مع حالات النزاع المسلح، ولا توفر أدوات تنفيذ ملزمة أو خطط استباقية للحماية.

وقد بينت الدراسة أن التحديات التي تواجه حماية التراث غير المادي تشمل صعوبة التوثيق، الاندثار غير المرئي، والاستهداف المتعمد كأداة للإبادة الثقافية، فضلاً عن نقص التنسيق الدولي والموارد المتاحة. وتُعد هذه العوامل مجتمعة تهديداً خطيراً للهوية الثقافية للمجتمعات المتأثرة بالنزاعات.

ومن هذا المنطلق، تؤكد الدراسة على الحاجة الملحة لإعادة النظر في الإطار القانوني الدولي، وتطوير آليات حماية أكثر

شمولاً وتخصصاً، تأخذ في الاعتبار الخصوصيات الثقافية لكل مجتمع، وتضمن توثيق هذا التراث ونقله وحمايته في أحلك الظروف.

إن حماية التراث الثقافي غير المادي في أوقات السلم والحرب لا يعد من قبيل الترف الثقافي، بل هو ضرورة إنسانية تُسهم في تعزيز السلام، وترسيخ التفاهم، وبناء مستقبل مشترك قائم على احترام التنوع وحماية الذاكرة الجماعية للبشرية.

النتائج

- أغلب الاتفاقيات مثل لاهاي 1954 والبروتوكولات 1977 الملحقة تنصب على حماية المباني والآثار، بينما تبقى الممارسات الشفهية والمعارف التقليدية خارج نطاقها الرئيسي، رغم دورها المحوري في صون الهوية الجماعية.
- أغلب الأطر القانونية الدولية الحالية تنفرد إلى بنود تُلزم الدول باتخاذ خطوات عملية لحماية التراث غير المادي في أثناء النزاع، مما يُضعف قدرتها على التطبيق الفعلي.
- إن التراث غير المادي يقوم على اللغة والروايات والطقوس، لذا يصعب إدراجه ضمن تعريفات قانونية جامدة أو حصره في سجلات مادية، فيزداد عُرضة للإزالة المتعمدة أو الضياع التدريجي.
- من الأخطار التي تواجه التراث غير المادي التهجير القسري وتفتيت المجتمعات الذي يقطع حلقة النقل الشفهي بين الأجيال، فيهدد بفقدان المعارف والممارسات التي لا تقوم إلا على تواصل الأفراد.
- ضعف جهود اليونسكو والهيئات القضائية التي تُعيقها قلة التمويل، التعقيدات السياسية، ونقص الكوادر المتخصصة، ما يجعلها غير قادرة على سد الفجوات الحالية.
- على الرغم من بعض الأحكام المتفرقة، لا تزال المحاكم العالمية بلا سابقة قضائية واضحة أو إطار موحد يعالج الانتهاكات الموجهة إلى التراث الثقافي غير المادي.

التوصيات

1. إعادة صياغة المنظومة القانونية الدولية: من الضروري تحديث اتفاقية لاهاي لعام 1954 أو إقرار بروتوكول ملحق يُقدم تعريفاً دقيقاً للتراث الثقافي غير المادي ويعترف صراحة بضرورة حمايته أثناء النزاعات المسلحة.
2. تعزيز الأرشفة الرقمية: تمويل مبادرات رقمية—على غرار مشروع "الذاكرة الرقمية" التابع لليونسكو— لتوثيق الممارسات، والطقوس، والفنون الشفهية، بما يكفل بقاءها رغم تداعيات الحرب والخراب.
3. تمكين العدالة الدولية: المطالبة بتوسيع نطاق اختصاص المحاكم الدولية لمحاكمة المتورطين في إتلاف التراث الثقافي غير المادي، مع إدماج الأدلة الرقمية كوسيلة إثبات في الدعاوى القضائية.
4. إنشاء منظومة استباقية للحماية: تشكيل فرق دولية مهمتها رصد المخاطر المستقبلية ورسم خرائط طوارئ مخصصة لصون التراث الثقافي غير المادي قبل وقوع النزاعات.
5. تعزيز التعاون الثقافي الدولي: توسيع التعاون بين الدول عبر برامج تبادل ثقافي وتدريب العاملين في مجال التراث، خاصة في الدول المتأثرة بالنزاع.
6. تعزيز الاعتراف بالقيمة الحيوية للتراث غير المادي: إطلاق مبادرات توعية وتثقيف على المستويين المحلي والعالمي تُبرز دور هذا التراث في دعم الهوية الثقافية، وتحقيق التماسك الاجتماعي، وحفظ التنوع الثقافي.

المصادر

- Alhunieti, Y., & Almakhzoumi, O. (2025). Protection of Cultural Properties During Armed Conflicts. In *Intelligence-Driven Circular Economy: Regeneration Towards Sustainability and Social Responsibility-Volume 2* (pp. 167-178). Cham: Springer Nature Switzerland.
- Blake, J. (2017). Protection of intangible cultural heritage in the event of armed conflict: an imperative for cultural heritage, humanitarian and human rights law. *europa ethnica-Zeitschrift für Minderheitenfragen*, 74(3+4), 73-81.
- Blake, J. (2023). Responding to the Destruction of Intangible Cultural Heritage in Situations of Armed Conflict: What International Law to Apply? In *Heritage Destruction, Human Rights and International Law* (pp. 142-164). Brill Nijhoff.
- Brosché, J., Legnér, M., Kreutz, J., & Ijla, A. (2017). Heritage under attack: motives for targeting cultural property during armed conflict. *International Journal of Heritage Studies*, 23(3), 248-260.
- Chainoglou, K. (2017). The Protection of Intangible Cultural Heritage in Armed Conflict: Dissolving the Boundaries Between the Existing Legal Regimes? *Santander Art and Culture Law Review*, 3(2), 109-134.
- Johannot-Gradis, C. (2015). Protecting the past for the future: How does law protect tangible and intangible cultural heritage in armed conflict? *International Review of the Red Cross*, 97(900), 1253-1275.
- Lostal, M. (2017). International cultural heritage law in armed conflict. *Cambridge University Press*.
- Stone, P. G. (2015). The challenge of protecting heritage in times of armed conflict. *Museum International*, 67(1-4), 40-54.
- Viejo-Rose, D., & Sørensen, M. L. S. (2015). Cultural heritage and armed conflict: New questions for an old relationship. In *The Palgrave handbook of contemporary heritage research* (pp. 281-296). London: Palgrave Macmillan UK.

عنوان البحث

**تأثير متطلبات ادارة الجودة الشاملة في الحد من الاغتراب النفسي: دراسة
استطلاعية في الجامعة التقنية الوسطى**

م. نادية عبدالله محمد الجاف¹

¹ الجامعة التقنية الوسطى، الكلية التقنية الهندسية، بغداد، العراق.

بريد الكتروني: nadia.quality@yahoo.com

HNSJ, 2025, 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/22>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/68/22>

تاريخ النشر: 2025/08/01م

تاريخ القبول: 2025/07/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/07/07م

المستخلص

يهدف البحث الى معرفة تأثير متطلبات إدارة الجودة الشاملة في الحد من الاغتراب النفسي في رئاسة الجامعة التقنية الوسطى، اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، واعتمدت الاستبانة كأداة لجمع البيانات والمعلومات الخاصة بالبحث، ووزعت على عينة عشوائية بلغت (150) موظف ضمن المستويات الادارية كافة في رئاسة الجامعة، و استخدم البرنامج الاحصائي (SPSS.V.23) لتحليل البيانات ولإستخراج النتائج، توصل البحث إلى العديد من الاستنتاجات من أهمها معاناة الموظفين في رئاسة الجامعة التقنية الوسطى من مستوى ضعيف من الاغتراب النفسي مقابل ارتفاع تطبيق متطلبات ادارة الجودة الشاملة، كما أظهرت النتائج وجود علاقة ارتباط وتأثير ما بين متطلبات ادارة الجودة الشاملة والاغتراب النفسي للموظفين، وكانت العوامل التي تضم متطلب فرق العمل هي الاكثر تأثيراً في الاغتراب النفسي، وخلص البحث إلى مجموعة من التوصيات منها: ضرورة التزام قيادة الجامعة واقتناعها بتبني نهج ادارة الجودة الشاملة وادراج متطلباته ضمن الاستراتيجيات التي تتبناها الجامعة، للارتقاء بجودة العملية التعليمية ومخرجاتها والتحسين المستمر لأداء الجامعة كمنظومة تعليمية شاملة وتحقيق أهدافها و لتلافي مشكلات العمل والحد منها ومن اهمها الاغتراب النفسي.

الكلمات المفتاحية: إدارة الجودة الشاملة، متطلبات ادارة الجودة الشاملة، الاغتراب النفسي.

RESEARCH TITLE

The Impact of Total Quality Management Requirements in Limiting Psychological Alienation-An Exploratory Study in the Middle Technical University

Abstract

The research aims to know of impact the total quality management requirements in limiting psychological alienation in the presidency of the Middle Technical University. The research adopted the descriptive analytical method, The questionnaire was adopted as a tool for collecting data and information for the research, it was distributed to a random sample of (150) employees within all administrative levels in the university presidency, and the statistical program (SPSS. V.23) was used for data analysis and extraction of results, the research reached many conclusions, the most important of which was the suffering of employees in the presidency of the Middle Technical University from a weak level of psychological alienation against the high application of total quality management requirements, and the results showed a correlation and impact between the total quality management requirements and psychological alienation of employees, and the factors that include the requirement of team work are the most influential in psychological alienation, the research concluded with a set of recommendations, the most important: The need for the commitment of the university leadership and its conviction to adopt the total quality management approach and include its requirements within the strategies adopted by the university, to improve the quality of the educational process and its outputs and the continuous improvement of the university's performance as a comprehensive educational system and achieve its goals and to avoid and reduce work problems, the most important of which is psychological alienation.

Key Words: Total quality management, Total quality management requirements, psychological alienation.

المقدمة:

أدركت المنظمات الناجحة أياً كانت أهدافها ومهامها، أن العامل الرئيس في كفاءتها وفعاليتها وبقائها على الأمد البعيد مرهون بما تمتلكه من موارد بشرية كفؤة والمؤهلة تأهيلاً عالياً، وهذا ما قادها للاستثمار الامثل للطاقات والقدرات الكامنة لهذا المورد وجعله يقدم أفضل ما لديه لصالح منظمتها، من خلال قيامها بتحديث اساليبها الادارية الكفيلة بحمايته نفسياً وذهنياً وبدنياً واطلاق قدراته ومهاراته التجديدية التي تحتاجها المنظمة في تقوية قدراتها التنافسية، وتُعد إدارة الجودة الشاملة من أهم الاساليب الادارية التي برهنت على كفاءتها في الارتقاء بأداء المنظمات التي تبنت نهجها، كما انها تُعد المدخل الأكثر اهتماماً بالمورد البشري والمحافظة عليه، عبر تأمين المناخ الوظيفي التشاركي المحفز للعمل لارساء قواعد الجودة في الاداء الوظيفي، وضمان الاستقرار النفسي والصحة النفسية المتحررة من الامراض النفسية ومن اكثرها وضوحاً الاغتراب النفسي الذي يُصنف ضمن اشد الظواهر التي تُثير قلق المنظمات وتُهدد استقرارها، لعواقبها السلبية على اداء الموظفين ونتاجيتهم و تقدمهم وابداعهم ومستوى التزامهم تجاه منظمتهم.

لذا فقد جاء هذا البحث ليلقي الضوء على تأثير تطبيق متطلبات ادارة الجودة الشاملة في الحد من الاغتراب النفسي في رئاسة الجامعة التقنية الوسطى، وفي ضوء ما تقدم تم بناء هيكلية البحث على أربعة مباحث، شمل المبحث الأول منهجية البحث و شمل المبحث الثاني للبحث الجانب النظري، اما المبحث الثالث فقد اشتمل على الجانب التطبيقي و المبحث الرابع فقد شمل الاستنتاجات والتوصيات.

المبحث الأول/ منهجية البحث**أولاً: منهجية البحث****1- مشكلة البحث**

تناولت العديد من الدراسات متغيري ادارة الجودة الشاملة و الاغتراب النفسي كلاً على حدة، الا إننا لم نجد دراسة تناولت العلاقة بين المتغيرين معاً، وفقاً لإطلاع الباحث، وهذا ما يؤكد وجود فجوة معرفية تستدعي البحث ومن هنا ارتأينا ضرورة اجراء هذا البحث للتعرف على طبيعة العلاقة بين متطلبات ادارة الجودة الشاملة و الاغتراب النفسي في ظل غياب الوضوح المعرفي للعلاقة بينهما، وعموماً يمكن صياغة مشكلة البحث عبر التساؤلات الآتية:

أ- ما مستوى اهتمام رئاسة الجامعة التقنية الوسطى بتطبيق متطلبات إدارة الجودة الشاملة؟

ب- ما مستوى اهتمام رئاسة الجامعة التقنية الوسطى بتشخيص الاغتراب النفسي للعاملين فيها؟

ت- ما علاقة الارتباط و وعلاقة التأثير بين متطلبات إدارة الجودة الشاملة والاغتراب النفسي في رئاسة الجامعة التقنية الوسطى؟

ث- اي من متطلبات إدارة الجودة الشاملة الأهم تأثيراً في الاغتراب النفسي في رئاسة الجامعة التقنية الوسطى؟

2- أهداف البحث

يطمح البحث الى تحقيق الأهداف الآتية:

أ- تحديد نطاق التطبيق لمتطلبات إدارة الجودة الشاملة في رئاسة الجامعة التقنية الوسطى.

ب- تشخيص درجة الاغتراب النفسي عند العاملين في رئاسة الجامعة التقنية الوسطى، ان وجد.

ت- تحديد طبيعة علاقات (الارتباط و التأثير) بين متطلبات ادارة الجودة الشاملة وابعاد الاغتراب النفسي في رئاسة الجامعة التقنية الوسطى.

ث- تحديد اي من متطلبات إدارة الجودة الشاملة الاعلى تأثيراً في الاغتراب النفسي.

ج- وضع التوصيات لصناع القرار في الجامعة، التي قد تسهم في مراجعة سياساتها واجراءاتها وممارساتها لتقادي مشكلة الاغتراب ونتائجها وتداعياتها الضارة ومخاطرها في المستقبل.

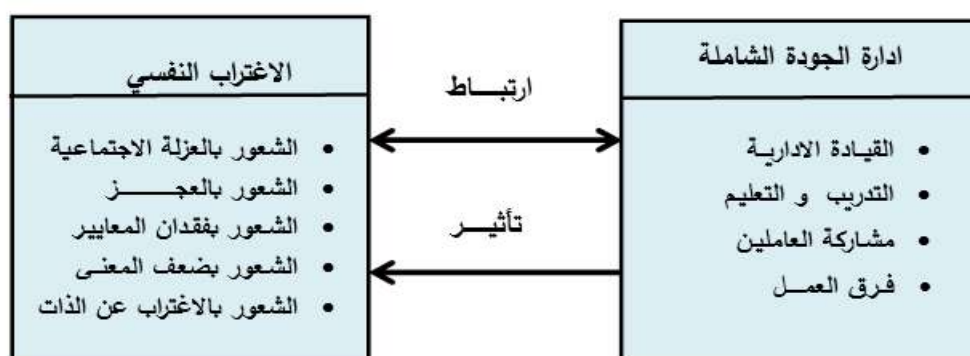
3- أهمية البحث

أ- **الأهمية العلمية:** تتمثل في الاسهام بإثراء موضوع ادارة الجودة الشاملة وتأثيرها في الاغتراب النفسي في البيئة العربية بصفة عامة والبيئة العراقية بصفة خاصة، فمن خلال البحث والاطلاع في قواعد البيانات والمكتبات، اتضح عدم تناول العلاقة بين هذين المتغيرين، وقد يكون البحث الاول من نوعه في البيئة العراقية والعربية، لذا فان هذا البحث يُعد مساهمة في اثراء المعرفة العلمية لموضوعاته.

ب- **الأهمية العملية:** تتمحور حول تطبيق البحث في جامعة عراقية فتية تسعى لتحقيق مواقع عليا في التصنيفات العالمية وترقى بنفسها ضمن الساحة الدولية، كونها تمتلك إمكانات بشرية وخبرات علمية ومهنية تؤهلها لأن يكون لها دور فاعل وقيادي في عمليات الإصلاح والتطوير، مما يتطلب الحاجة الماسة للارتقاء بكفاءة مواردها البشرية، كما يكتسب البحث اهميته في مساعدة صنّاع القرار والمسؤولين في اختيار افضل القرارات لتحسين ادائها وفقاً للنتائج التي افضى اليها البحث والحد من الاغتراب النفسي لدى موظفيها، انطلاقاً من اهمية العنصر البشري ودوره الكبير في انجاز الأهداف وبلوغ الغايات وضمان البقاء والتقدم للجامعة.

4- المخطط الفرضي للبحث

يوضح المخطط الفرضي فكرة البحث المحورية الى جانب بيان علاقات الارتباط و التأثير بين المتغير المستقل (متطلبات ادارة الجودة الشاملة) والمتغير التابع (الاغتراب النفسي)، و كما مبين في الشكل (1):



شكل (1) المخطط الفرضي للبحث

المصدر: من اعداد الباحث

5- فرضيات البحث

الفرضية الرئيسية الأولى: توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين متطلبات إدارة الجودة الشاملة والاغتراب النفسي.

وقد انبثقت عن هذه الفرضية عدة فرضيات فرعية وهي:

أ- توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين مطلب القيادة الادارية و الاغتراب النفسي.

ب- توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين مطلب التدريب و التعليم و الاغتراب النفسي.

ت- توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين مطلب مشاركة العاملين و الاغتراب النفسي.

ث- توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين مطلب فرق العمل و الاغتراب النفسي.

الفرضية الرئيسية الثانية: توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية بين متطلبات إدارة الجودة الشاملة والاغتراب النفسي.

وقد انبثقت عن هذه الفرضية عدة فرضيات فرعية وهي:

أ- توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية بين مطلب القيادة الادارية و الاغتراب النفسي.

ب- توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية بين مطلب التدريب والتعليم و الاغتراب النفسي.

ت- توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية بين متطلب مشاركة العاملين و الاغتراب النفسى.

ث- توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية بين متطلب فرق العمل و الاغتراب النفسى.

6- حدود البحث

أ- الحد البشري: تمثل بعينة من الموظفين (تدريسي، فني، اداري) في رئاسة الجامعة التقنية الوسطى.

ب- الحد الزماني: تمثل بالمدة من (2024/12/1) ولغاية (2025/6/1).

ت- الحد المكاني: تمثل برئاسة الجامعة التقنية الوسطى.

7- منهج البحث

تبني الباحث (المنهج الوصفي التحليلي) في تحليل مشكلة البحث و لتحقيق أهدافه العلمية و العملية و التوصل الى النتائج المرجوة.

8- مجتمع وعينة البحث:

يُجسد مجتمع البحث جميع موظفي رئاسة الجامعة التقنية الوسطى (تدريسي، فني، اداري) لسنة 2024، وأختير منها عينة عشوائية بلغت (150) موظفاً، وجرى توزيع العينة بنسب متعادلة مع المجتمع البحثي، ويعرض الجدول (1) الخصائص الأساسية للعينة بناءً على متغيرات النوع البشري و العمر و سنوات الخدمة و الشهادة.

جدول (1) يوضح الخصائص الأساسية لعينة البحث

المتغيرات	المستوى	التكرار	النسبة المئوية
النوع البشري	ذكر	81	54%
	أنثى	69	46%
المجموع		150	100%
العمر	20-30 سنة	33	22%
	31-40 سنة	69	46%
	أكبر من 40 سنة	48	32%
المجموع		150	100%
سنوات الخدمة	أقل من 5 سنوات	15	10%
	5-10 سنة	36	24%
	11-15 سنة	45	30%
	أكثر من 15 سنة	54	36%
المجموع		150	100%
الشهادة	دكتوراه	21	14%
	ماجستير	30	20%
	بكالوريوس	60	40%
	دبلوم فني	30	20%
	اعدادية	9	6%
المجموع		150	100%

المصدر: من إعداد الباحث استناداً الى استمارة الاستبانة

9- اساليب تحليل و معالجة البيانات

تم الاستعانة بعدد من الأساليب الاحصائية باستخدام برنامج (SPSS. V.23) لاستخلاص النتائج في الجانب التطبيقي، المتمثلة في: (الوسط الحسابي، الانحراف المعياري، الاهمية النسبية، معامل الاختلاف، معامل ارتباط بيرسون و معامل الانحدار البسيط).

10- ادوات جمع البيانات

أ- الجانب النظري: تضمن مراجعة الدوريات والكتب والأبحاث والدراسات (العربية و الاجنبية)، فضلاً عن ما متوفر على شبكة الـ (Internet) من المصادر التي ناقشت موضوعات البحث.

ب- الجانب التطبيقي: اعتمدت الاستبانة كأداة رئيسة لجمع البيانات المرتبطة بالجانب العملي، وتم إعدادها بعد مراجعة و دراسة عدد من المصادر السابقة حول موضوعات البحث، وتتكون من جزأين هما:

الجزء الاول- متطلبات ادارة الجودة الشاملة ويضم (20) فقرة مقسمة على أربعة ابعاد وهي (القيادة الادارية، التدريب والتعليم، مشاركة العاملين، فرق العمل) وتم إعدادها بالاعتماد على عدة دراسات وهي دراسة (خضرة، 2016) و دراسة (الربيعي، 2018) و دراسة (جاسم، 2018).

الجزء الثاني: الاغتراب النفسي ويضم (25) فقرة مقسمة على خمسة ابعاد وهي الشعور بـ (العزلة الاجتماعية، العجز، فقدان المعايير، ضعف المعنى، الاغتراب عن الذات)، وتم إعدادها بالاعتماد على عدة دراسات وهي دراسة (عباس، 2016) و دراسة (نسيسة، 2019) و دراسة (عبد اللطيف و فرقاني، 2021).

و صُممت الاستبانة بحيث يُحدد المستجيب إجابته وفقاً لمقياس (ليكرت) الخماسي والمبين في جدول (2).

جدول (2) يوضح درجات مقياس (ليكرت) الخماسي

الاستجابة	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة
الدرجة	5	4	3	2	1

المصدر: (الصيرفي، 2002، 136)

إجراء اختبار الصدق و الثبات للاستبانة المستخدمة في جمع البيانات

أ- الصدق الظاهري

عُرِضت الاستبانة على خبراء متخصصين في ادارة الاعمال وعلم النفس لغرض تحكيمها، والذين أبدوا آراءهم ومقترحاتهم حول محاور وفقرات الاستبانة، وتم اجراء التعديلات اللازمة من خلال حذف بعض العبارات وتعديل صياغة العبارات الاخرى وجعلها ملائمة لأهداف البحث.

ب- معامل الثبات

استُخدم مقياس (ألفا كرونباخ) لحساب ثبات الاستبانة واتساقها، ويشير الجدول (3) بأن القيمة الكلية لمعامل الثبات (0.831)، وإن هنالك ثقة مقدارها (0.911) بصلاحية الاستبانة للمقياس وتحليل النتائج.

جدول (3) يوضح نتائج قياس ثبات وصدق أداة البحث

المقياس	عدد الفقرات	معامل ألفا كرونباخ	صدق الاداة
متطلبات ادارة الجودة الشاملة	20	0.753	0.867
الاغتراب النفسي	25	0.788	0.887
جميع فقرات الأداة ككل	45	0.831	0.911

المصدر: من اعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات برنامج (SPSS. V.23)

المبحث الثاني/ الجانب النظري

أولاً: متطلبات ادارة الجودة الشاملة

1- مفهوم ادارة الجودة الشاملة

تعددت آراء الكتاب و الباحثين في تعريف ادارة الجودة الشاملة وفي مجال التعليم الجامعي، عرفها (Dhlamini, 48, 2009) بأنها "المواصفات والخصائص المتوقعة في المنتج التعليمي وفي العمليات والأنشطة التي تؤدي إلى توفر أدوات وأساليب متكاملة تساعد المنظمات التعليمية"، وعرفها كل من (الطويل و أغا، 2010، 93) بأنها "مدخل فكري وثقافي وإداري وتنظيمي ينبغي تطبيقه في الجامعات عامة لتحقيق التكامل والتنسيق بين جهود منتسبي الجامعة في كلياتها وأقسامها المختلفة"، في حين عرفها (Stevenson, 2012, 390) بأنها "نظام يتم من خلاله تفاعل المدخلات وهي الأفراد لتحقيق مستوى عالٍ من الجودة إذ يقوم العاملون بالإشتراك بصورة فاعلة في العملية التعليمية والتركيز على التحسين المستمر لجودة المخرجات لارضاء المستفيدين وأما المدخلات فتكون من المناهج الدراسية والمستلزمات المادية والأفراد سواء كانوا طلبة ام موظفين ام أعضاء هيئة تدريس ام ادارة وأما المخرجات فتتمثل بالخريجين والمستفيدين من نظام التعليم أي مختلف مؤسسات المجتمع التي تقوم بتوظيف هؤلاء الخريجين"، ويرى (بو زيان، 2015، 44-45) بأنها "عملية إستراتيجية إدارية تركز على مجموعة من القيم وتستمد طاقة حركتها من المعلومات التي تتمكن في إطارها توظيف مواهب العاملين واستثمار قدراتهم الفكرية في مختلف مستويات التنظيم على نحو إبداعي لتحقيق التحسين المستمر للمنظمة"، اما (سليم، 2018، 33) فيعرفها بأنها "فلسفة إدارية لقيادات الجامعة تركز على إشباع حاجات الطلاب والمستفيدين وتحقيق أهداف الجامعة وتضمن الكفاءة المرتفعة في الحقل العلمي والبحثي من أجل تحقيق التفوق والتميز وتعتبر أيضاً إستراتيجية متكاملة للتطوير المستمر وتحسين المركز التنافسي للجامعة وإرضاء الطلاب وخدمة الأساتذة والمجتمع".

يستخلص الباحث مما تم عرضه، بأن ادارة الجودة الشاملة هي اسلوب اداري متكامل يسعى لتجويد المنتج التعليمي والعملية التعليمية، من خلال المشاركة الفاعلة للإدارة والعاملين معاً والتحسين والتطوير المستمرين للعمليات الادارية وانشطة المنظمة وبما يحقق متطلبات ورغبات الخريجين و المؤسسات المستفيدة من التعليم الجامعي.

2- أهمية ادارة الجودة الشاملة

تبرز أهمية التطبيق لادارة الجودة الشاملة في تحقيق ما يأتي: (الترتوري وجويحان، 2006، 38) (الخطيب، 2008، 80) (Stevenson, 2015, 377) (القيسي، 2015، 209) (سليم، 2018، 35)

أ- تنمية ثقافة التعاون والتكاتف داخل المنظمة والعمل كفرق وجماعات لأعمال مشتركة، وتقوية العلاقات والروابط الوظيفية وزيادة الثقة بين العاملين.

- ب- تحسين الاتصالات بين مستويات المنظمة أجمع، لضمان الاسهام الفاعل لأفرادها في التوصل لحلول وبدائل للمشاكلات والصعوبات المؤثرة في اداءهم ونتاجيتهم.
- ت- تُمهد للحصول على سلسلة المواصفات العالمية (ISO 9000) و الاعتماد الأكاديمي.
- ث- دراسة احتياجات و رغبات الزبائن الداخليين و الخارجيين و الايفاء بها.
- ج- تنمية الشعور لدى العاملين بالانتماء للمنظمة وتحسين الروح المعنوية لهم وتحفيزهم نحو الابداع.
- ح- ترشيد التكاليف و تحسين معدلات الإنتاجية ورفع كفاءة المنظمة الإدارية وفاعليتها، وبالتالي نمو حصتها من السوق.
- خ- تحقق للمنظمة مزايا تنافسية تجعلها اكثر جاذبية من قبل الزبائن، في ظل المنافسة والتحديات القائمة.
- د- تغيير طريقة تفكير العاملين وتعزيز الوعي لديهم بمفهوم الجودة وتأثيرها في نجاح واستدامة المنظمة.
- ذ- القيام بمراجعة مستمرة لأداء المنظمة، واتباع منهج للتغيير يشمل جميع القرارات و الاجراءات.

3- متطلبات إدارة الجودة الشاملة

هناك متطلبات أساس لتطبيق نهج إدارة الجودة الشاملة ويجب على المنظمات تحديدها قبل البدء في التطبيق، إذ إن أي خلل في توفير هذه المتطلبات سيؤثر سلباً على نجاحها، ولاغراض بحثنا هذا سيتم الاعتماد المتطلبات الاربعة التالية، لانها حظيت باتفاق اغلب الباحثين، ولأهميتها في تحديد مستوى الاغتراب النفسي في الجامعة المبحوثة: (Foster, 2001, 53) (Krajewski et.al, 2002, 251) (السامرائي، 2012، 80-81) (البياتي، 2018، 47-48) (صالح، 2013، 16) (صباح، 2020، 45)

المتطلب الاول: القيادة الادارية

تؤدي القيادة الادارية دوراً محورياً داعماً لتطبيق ادارة الجودة الشاملة، فالقيادة الفاعلة هي التي تتولى تحفيز العاملين وتشجيعهم حتى تكون لديهم القدرة على تنفيذ الأهداف بفاعلية، بتعزيز التعاون والتكامل فيما بينهم وانشاء فرق العمل والحرص على تحقيق رضا العاملين وتطوير علاقات جيدة معهم، فضلاً عن الاهتمام المتوازن بالموارد البشري والانتاج وتوظيف التكنولوجيا الحديثة وتحسين هيكل المنظمة، ووضع القيم الايجابية والاقتراضات التي تُعزز العمل الجماعي وتعظم النتائج التي تعود بالفائدة على الفرد والمنظمة.

المتطلب الثاني: التدريب و التعليم

يُشكل هذا المتطلب امراً ضرورياً لإدارة الجودة الشاملة، ويتمثل في وضع واختيار الطرائق المناسبة للتطوير المستمر لقدرات العاملين وتزويدهم بالمعرفة المتكاملة عن الجودة نظرياً وتطبيقياً، وضمان تزويدهم بالمعارف والمهارات والخبرات التي تزيد كفاءتهم في الأداء، وبالتالي ضمان التنفيذ الفاعل للخطط والبرامج الحالية والمستقبلية التي تؤدي الى رفع كفاءة وفاعلية المنظمة، فإدارة الجودة الشاملة تنظر الى القيمة الحقيقية والعائدات الايجابية التي سيقققها كل من التدريب و التعليم على المدى الطويل،

ومن اهمها: تقليل الأخطاء، تحسين الجودة والإنتاجية، تقليل معدل الدوران، انخفاض تكلفة العاملين، تحسين الصحة والسلامة، زيادة مرونة العاملين، تقليل الحوادث وتعزيز العلاقة بين العاملين.

المتطلب الثالث: مشاركة العاملين

تُعد مشاركة جميع العاملين من أهم ركائز تنفيذ إدارة الجودة الشاملة لأنها تحقق أمرين، الأول هو وضع وتنفيذ أفضل الخطط والثاني هو تحسين كفاءة وفعالية اتخاذ القرارات، أن المشاركة الواسعة للعاملين في وضع وتطوير الحلول لصعوبات ومشكلات العمل و اتخاذ القرار الانسب، سيزيد من ولائهم للمنظمة ويُعزز معنوياتهم ويُحسن أدائهم، لذا يجب على المنظمة تهيئة مساحة مناسبة لحرية المبادرة والعمل حتى يتمكن كل عامل من تقديم أفكاره وآراءه ومقترحاته باستمرار ضمن فرق العمل أو حلقات الجودة، والسعي إلى الأخذ بها وفي المجالات كافة، مثل التصميم الوظيفي، أنظمة تقييم الاداء، إعادة توزيع الادوار، الرواتب، الحوافز والترقية.

المتطلب الرابع: فرق العمل

يُجسد المتطلب هذا أحد أهم التوجهات الإدارية المعاصرة التي تتبناها منظمات الأعمال بهدف الارتقاء بتنظيماتها وتحسين أدائها وقدراتها التنافسية، فالعمل كفرق وجماعات من الدعائم التي تقوم عليها إدارة الجودة الشاملة والتي أعطت للعمل الجماعي دعماً واسعاً، فالعمل بروح الفريق يُعزز التواصل والتعاون والانسجام بين أعضائه لأنهم متحدون بفريق واحد يدفعهم نحو النجاح والتفوق، مما يحد من الخلافات والصراعات والتنافس الفردي بينهم، كما يُسهم العمل الجماعي بتهيئة بيئة محفزة تُعزز الالتزام المشترك بإنجاز المهام وتدعم المبادرات الفاعلة والأفكار الجديدة، مما يقود إلى تنمية المهارات بشكل مستدام وتعزيز المواهب الذاتية والقدرات الإبداعية وإبرازها لدى العاملين وينمي الروابط الاجتماعية لديهم ويمنع إحساسهم بالوحدة والانفصال عن الآخرين ويجعلهم فخورين وواقعيين بأنجازاتهم.

ثانياً: الاغتراب النفسي

1- مفهوم الاغتراب النفسي

تناول الفلاسفة والمفكرين موضوع الاغتراب منذ القدم كظاهرة قديمة يقدم الانسان على سطح الأرض، وكانت بداية اهتمامهم تقتصر على الجانب النفسي للانسان، ومع التطور المتسارع لمختلف مجالات الحياة التي نعيش، تعدى الاهتمام بهذه الظاهرة الجانب النفسي ليشمل الجانب الاجتماعي والوظيفي وجوانب أخرى من حياة الانسان (عابد، 2018، 13)، فالاغتراب النفسي من أبرز المشكلات ظهوراً ووضوحاً التي من أهم تجلياتها شعور الفرد بالاغتراب عن ذاته ومحيطه الاجتماعي، الأمر الذي أدى إلى زيادة اضطراباته النفسية (Daugherty & Linton, 2003, 323)، وتنامى اهتمام الباحثين المتخصصين بالعلوم التربوية وعلوم النفس والاجتماع بدراسة الاغتراب النفسي، لتأثيرها الواضح في حياة الفرد وصحته النفسية والعقلية والإدراكية، وللأغتراب النفسي عدة أشكال أهمها الاغتراب الوظيفي إذ يشعر فيه الفرد بأنه مملوكاً لوظيفته وأنه لا يشعر بالسعادة مع ما يمارسه من عمل وظيفي كما يشعر بالتهميش والظلم وعدم التقدير، فضلاً عن الشعور بضعف مستوى أدائه وعدم ملائمة عمله مع إمكانياته وتخصصه الوظيفي (عبد الرشيد والسعيد، 2019، 110)، ويعرف كل من (Paik & Michael, 2002, 299) الاغتراب النفسي بأنه "إحساس الفرد بالانفصال مع ذاته أو مع محيطه الخارجي أو كليهما ويكون مصحوباً بأعراض كالخوف من مواجهة الآخرين والتوتر والانسحاب والعزلة"، أما (المحمداوي، 2007، 25) فيعرفه بأنه "معاناة نفسية يواجهها الفرد ويشعر معها بعدم التفاعل مع الواقع المعاش وبعد الهوية بينه وبين الآخرين على الصعيدين الاسري والاجتماعي، ما يجعله يميل إلى الانزواء وانتقاص من الذات لغياب شعوره بتقدير الأعمال المنجزة، وبالتالي فإنه يعتبر حياته نوع من الهراء المعاش"، أما (نعيسة، 2012، 120) فقد عرفتة بأنه "معاناة الفرد من عدة مظاهر كالشعور بضعف الانتماء، والاخلال بالمعايير والضوابط، وبالعجز، وانعدام الشعور

بالقيمة والهدف، وافتقاد المعنى والتمحور حول الذات"، ويرى كل من (Leonid&Pavel,2016,795) بأنه "عزلة الفرد عن أنشطته المحددة مثل العمل أو التدريب والتواصل والسلوك، دون فقدان الإحساس العام بالحياة". في حين يعرفه (عبدالله، 2020، 177) بأنه "الشعور بالانطواء والانعزال الذاتي واهتزاز ثقة الفرد ومعارضته للمعايير والقيم الاجتماعية السائدة وتعرضه للانكسار النفسي والوهن الداخلي والتدهور بفعل التحولات الثقافية والاجتماعية داخل المجتمع".

ووفقاً لما تقدم يذهب الباحث الى أن هناك اتفاقاً واضحاً بين آراء الباحثين على أن الاغتراب النفسي يُمثل مشكلة انسانية يشعر من خلالها الفرد بالانفصال عن ذاته وعن المحيط الخارجي وعدم الارتباط ببيئة العمل والمسؤوليات الوظيفية، وينتابه شعور بالعجز مصحوباً بقلق مما هو قادم وبالتالي فقدان الرغبة في تحقيق اهدافه وتطلعاته وإداء المهام والأعمال الموكلة اليه بطريقة ايجابية.

2- عوامل ومسببات الاغتراب النفسي:

تتعدد العوامل والمسببات المؤدية للاغتراب النفسي لدى الأفراد، إذ أنها تعود الى ثلاثة عوامل رئيسية هي: (المحمداوي، 2007، 33) (عباس، 2016، 40-41) (نسيمة، 2019، 78-80) (زاهوي، 2020، 24-25)

أ- **العوامل النفسية:** تظهر نتيجة الصراع ما بين الدوافع الشخصية والرغبات المعارضة وبين الاحتياجات التي لا يمكن تلبيتها في آن واحد، الإحباط والشعور بالخيبة والفشل مقترناً بالعجز الكامل في تحقيق الرغبات والحاجات الأساسية للفرد، الحرمان وانعدام الفرصة لتحقيق الدوافع والحاجات النفسية والعاطفية والاجتماعية واشباعها والخبرات الصادمة التي تثير داخل الفرد انفعالات وعقد ودوافع مكبوتة كالحروب و الأزمات الاقتصادية.

ب- **العوامل الاجتماعية والثقافية:** هي انعكاس لضغوط البيئة المجتمعية وصعوبة مواجهتها، بيئة فكرية قائمة على الهدم والتعقيد، التحولات الحضارية والتقنية المتنامية وصعوبة التأقلم الاجتماعي والنفسي معها، سيطرة السلطة وهيمنة الأفكار القائمة على القوة، عدم الموازنة بين مؤهلات الفرد ومتطلبات الوظيفة التي يشغلها، التضخم الاقتصادي الذي يُعيق تأمين متطلبات العصر.

ت- **العوامل الاقتصادية:** تتمثل في تحديات غير ظاهرة للمهام الوظيفية والتي يُمكن أن تتشكل وتتطور الى عقبات حادة في العمل والتي تُحدث حالة من الملل والضجر، ومن اهمها المبالغة في التنظيم للعمل والبيئة التنظيمية من حيث فرض العديد من القوانين واللوائح والأنظمة والإجراءات والاشراف والرقابة الشديدة والصارمة التي تؤدي الى ظهور إعاقات المرهقة والمتعبة للموظف.

3- **ابعاد الاغتراب النفسي:** اجمع الباحثين وجود خمسة ابعاد للاغتراب النفسي تتمثل بالآتي: (المحمداوي، 2007، 40-42) (نسيمة، 2019، 64-68) (زاهوي، 2020، 20-23) (ابراهيم، 2022، 148)

أ- **الشعور بالعزلة الاجتماعية:** يشير الى عزلة الفرد وشعوره بالانفصال والخواء النفسي و افتقاد الامن و العلاقات الايجابية مع الآخرين و شعوره بالغرابة عنهم، فيضعف بذلك انتمائه للجماعة التي يعمل معها، وكذلك تنخفض كفاءته وفاعليته في تحقيق النجاح طبقاً لاهداف الشخصية او التنظيمية.

ب- **الشعور بالعجز:** يشير الى فقدان الفرد قدرته عن التأثير في الاحداث و المواقف التي يواجهها، إذ لا يستطيع السيطرة و التحكم في عمله و أفعاله و رغباته ويكون غير قادر على تحديد اهدافه و اتخاذ قراراته المتعلقة بحياته والعجز عن تحقيق ذاته، فيشعر الفرد بالاستسلام والملل تجاه واقعه.

ت- **الشعور بفقدان المعايير:** يشير الى غياب الاهداف وانهيار القيم والاسس الاخلاقية التي تنظم وتوجه تصرف الفرد، إذ أن احساسه بالفشل في ادراكه وفهمه للقيم والمعايير والاعراف الاجتماعية التي يؤمن بها و عدم قدرته على الاندماج معها اثناء عمله يؤدي الى تراجع ثقته بمحيطة الاجتماعي ومنظّمته.

ث- **الشعور بضعف المعنى:** يشير الى شعور الفرد بأنه يفقد الى موجه ومرشد لسلوكه و شعوره بالفراغ الكبير لعدم توافر أهداف واضحة تعطي معنى لحياته وتستوعب اهتماماته وطموحاته، كذلك شعوره بأن وجوده لا معنى له وحياته أصبحت رتيبة، لتراجع احساسه بالارتباط بمسؤولياته الاجتماعية والوظيفية التي يضطلع بها والاهداف الي يطمح لتحقيقها.

ج- **الشعور بالاغتراب عن الذات:** يُعبر عن حالة من الانفصال الذاتي وعدم توافق الفرد مع مشاعره وافكاره كنتيجة لتأثيرات الضغوط الاجتماعية المتمثلة في القيم والمعايير والنظم التي تحكمه داخل بيئة المنظمة والمجتمع، فيفقد ذاته الحقيقية وقدرته على ايجاد المهام التي تلائم قدراته، فيشعر بالضيق وعدم الرضا عن ذاته والرفض لكل ما هو محيط به.

المبحث الثالث/ الجانب التطبيقي

أولاً: وصف وتشخيص متغيرات البحث

1- وصف متغير متطلبات إدارة الجودة الشاملة:

جدول (4) يعرض نتائج تحليل وتفسير فقرات متطلبات إدارة الجودة الشاملة

ت	الفقرات	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الاختلاف %	الاهمية النسبية %	الترتيب
المتطلب الاول: القيادة الادارية						
1	توفر القيادة الادارية للجامعة دعمها المادي والمعنوي لتطبيق متطلبات الجودة الشاملة .	4.26	0.82	19.25	85.2	5
2	تتبع القيادة الادارية للجامعة المنهجية العلمية في صناعة قراراتها وحل مشكلاتها.	4.32	0.75	17.36	86.4	3
3	توضح القيادة الادارية لموظفيها أهمية تطبيق متطلبات إدارة الجودة الشاملة في أحداث تحسينات جذرية في الأداء.	4.27	1.09	25.53	85.4	4
4	تشجع القيادة الادارية العاملين المتميزين على تقديم أداء أفضل من خلال منحهم المكافآت والحوافز .	4.33	0.47	10.85	86.6	2
5	تهتم القيادة الادارية بوضع الخطط الكفؤة والتي تؤمن جودة الاداء الوظيفي للعاملين .	4.50	0.50	11.11	90.0	1
	المعدل العام لمتطلب القيادة الادارية	4.34	0.73	16.82	786.	الاول
المتطلب الثاني: التدريب والتعليم						
1	تنظم الجامعة دورات وورش عمل متخصصة بادارة الجودة لتحسين خدماتها التعليمية.	4.37	0.55	12.59	87.4	2

2	تحدد الجامعة وبدقة احتياجاتها التدريبية والتعليمية للتكيف مع المستجدات والتحولات التي تشهدها الجامعة.	84.3	0.52	11.90	87.6	1
3	تسعى الجامعة من خلال برامجها التدريبية الى توثيق العلاقة بين العاملين في جميع المستويات.	4.33	600.	13.86	86.6	4
4	تهدف الدورات التدريبية الى رفع مستويات الاداء للعاملين وتطوير التراكم المعرفي لديهم.	44.3	10.6	14.09	86.8	3
5	تدعم الجامعة التدريب و التعليم من اجل تحقيق رضا العاملين وجعلهم جزء من عملية البناء المستمر .	4.23	790.	18.68	84.6	5
	المعدل العام لبعث التدريب والتعليم	4.33	10.6	2214.	86.6	الثاني
البعد الثالث: مشاركة العاملين						
1	تؤكد الجامعة على تنظيم وإدارة العاملين فيها لانجاز المهام الوظيفية والإفادة من الكفاءات الجوهرية.	4.15	0.69	16.63	83	3
2	يتم دمج العاملين في أنشطة الجودة المؤدية لنجاح الجامعة، كما يؤخذ بأفكارهم واقتراحاتهم في هذا المجال.	4.15	0.75	18.07	83	4
3	تعتمد الجامعة اسلوب عقد الاجتماعات الدورية كونها صيغة للتفاعل مع العاملين.	4.23	0.68	16.08	84.6	1
4	تتوفر الوسائل اللازمة للعاملين من (أفكار، تكنولوجيا و اتصالات) من أجل مساعدتهم في حل مشكلات الجودة.	4.12	0.78	18.93	82.4	5
5	يساهم العاملين في الجامعة في وضع الخطط و اتخاذ القرارات.	4.17	0.71	17.02	83.4	2
	المعدل العام لمتطلب مشاركة العاملين	4.16	0.72	17.35	83.3	الرابع
المتطلب الرابع: فرق العمل						
1	يتفاعل أفراد فريق العمل في الجامعة من أجل نجاح عمل الفريق.	4.18	0.81	19.38	83.6	5
2	تعمل فرق العمل المتخصصة وفق رؤية ورسالة محددة.	4.21	0.78	18.53	84.2	3
3	يشارك كل فرد في الفريق بإعطاء الأفكار لحل مشكلة مطروحة واتخاذ القرار المناسب .	4.29	0.70	16.32	85.8	1
4	يقدم أفراد فريق العمل البيانات والحقائق التقنية والتي تسهم في صنع قرارات فاعلة.	4.19	0.80	19.09	83.8	4
5	يكافئ قائد الفريق أفرادة كافة على جهودهم ومبادراتهم الفاعلة.	4.23	0.73	17.26	84.6	2
	المعدل العام لمتطلب فرق العمل	4.22	760.	18.12	84.4	الثالث
	المعدل العام لمتطلبات ادارة الجودة الشاملة	4.26	0.71	16.63	85.2	

المصدر: من اعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات برنامج (SPSS. V.20)

يُفسر الجدول (4) أن جميع قيم الأوساط الحسابية للمتغير المستقل (متطلبات إدارة الجودة الشاملة) كانت عالية مقارنة بالوسط الفرضي، إذ بلغ الوسط الحسابي العام لهذا المتغير (4.26) وهو أعلى من الوسط الفرضي البالغ (3) وبالاختلاف المعياري (0.71) ومعامل الاختلاف (16.63%) وبلغت الأهمية النسبية (85.2%)، وهذا ينسجم مع توجهات الجامعة واهتمامها بإدارة الجودة الشاملة وسعيها لتطبيق كافة المتطلبات المستخدمة بالبحث الحالي، وبينت النتائج أن مطلب القيادة الإدارية جاء بالمرتبة الأولى وهذا يدل على أهمية هذا المتطلب ودوره الفاعل في دعم نهج إدارة الجودة الشاملة فالقيادة هي المسؤول المباشر عن توجيه المهام والموارد المختلفة (مادية أو بشرية) والتشجيع على أداء الأعمال بشكل صحيح لتحقيق الأهداف الجوهرية والعامّة التي تسعى الجامعة إلى تحقيقها في الأجل القريب أو البعيد، وجاء بالمرتبة الثانية مطلب التدريب والتعليم، ثم مطلب فرق العمل بالمرتبة الثالثة، و المرتبة الرابعة والاختيرة كانت لمطلب مشاركة العاملين.

2- وصف وتشخيص المتغير التابع الاغتراب النفسي:

جدول (5) يعرض نتائج تحليل وتفسير أبعاد الاغتراب النفسي

ت	الفقرات	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الاختلاف %	الأهمية النسبية %	الترتيب
البعد الاول: الشعور بالعزلة الاجتماعية						
1	أشعر بضعف القدرة على التواصل مع الموظفين.	1.77	80.6	38.42	35.4	4
2	أشعر بالأرتياح عندما ابتعد عن الأعمال الجماعية وافضل الأعمال الفردية.	1.81	0.66	36.46	36.2	3
3	أشعر بعدم الثقة في التعامل مع الموظفين في موقع العمل.	1.84	0.60	32.61	36.8	2
4	أعاني من عدم الرغبة في المبادرة بالحديث مع الموظفين.	1.92	30.6	32.81	38.4	1
5	أتجنب تكوين صداقات عمل جديدة مع الموظفين.	1.67	50.5	32.93	33.4	5
	المعدل العام لبعد العزلة الاجتماعية	1.80	0.62	65.43	36.0	الثاني
البعد الثاني : الشعور بالعجز						
1	أشعر بعدم القدرة على اتخاذ القرارات المتعلقة بوظيفتي.	01.9	0.80	42.10	38	1
2	أجد صعوبة في أداء مهامي الوظيفية وأعتمد في انجازها على زملائي في العمل.	1.68	0.57	33.93	33.6	3
3	أعاني من عدم القدرة على المناقشة وابداء الرأي وإقناع الموظفين بأمر العمل.	1.75	0.65	37.14	35	2
4	أتجنب تحمل المسؤولية تجاه مهامي الوظيفية.	01.6	0.52	32.5	32	4
5	أعاني من ضعف القدرة على التخطيط.	1.59	0.53	33.33	31.8	5
	المعدل العام لبعد الشعور بالعجز	1.70	0.61	80.53	34.1	الثالث
البعد الثالث: الشعور بفقدان المعايير						
1	أجد صعوبة الالتزام بالأنظمة والتعليمات الخاصة بالوظيفة.	1.58	0.63	39.87	31.6	2

2	أسعى لتحقيق بعض اهدافي ومصالحي الخاصة بوسائل غير مشروعة.	1.47	0.51	34.69	29.4	4
3	أعتقد أن التحلي بالاخلاق والقيم السامية بمجتمعنا غير ضرورية.	1.53	0.56	36.60	30.6	3
4	أرى ان التسلسل الإداري يضعف إجراءات العمل.	1.59	0.59	37.11	31.8	1
5	الجأ الى التحايل لتجاوز العقبات التي تعترضني في محيط عملي.	1.46	0.53	36.30	29.2	5
المعدل العام لبعد الشعور بفقدان المعايير		1.53	0.56	36.91	30.52	الرابع
البعد الرابع : الشعور بضعف المعنى						
1	أرى أن إقامة علاقات اجتماعية مع الموظفين غير ضرورية.	1.51	0.55	36.42	30.20	2
2	أعتقد أن الأهداف التي تعتمدها الجامعة لتنفيذها ليست مهمة.	1.53	0.56	36.60	30.60	1
3	اشعر بالملل والروتين اثناء قيامي بالمهام الوظيفية المكلف بادائها.	1.49	0.55	36.91	29.8	3
4	أعتقد أن الحياة الوظيفية لا قيمة لها.	1.43	0.52	36.36	28.60	5
5	اشعر بان المهام الوظيفية الموكلة لي مضیعة للوقت ولا تلبي طموحاتي ولاتمكنني من تحقيق ذاتي.	1.45	0.50	34.48	29	4
المعدل العام لبعد الشعور بضعف المعنى		1.48	0.54	36.15	29.6	الخامس
البعد الخامس : الشعور بالاغتراب عن الذات						
1	أشعر بان المهام الوظيفية التي انجزها هامشية ولا اهمية لها.	1.90	0.80	42.10	38	2
2	اشعر بان مهاراتي وقدراتي غير مستغلة بصورة كاملة وصحيحة.	1.99	0.93	46.73	39.8	1
3	اشعر برغبة قوية في ترك العمل في الجامعة.	1.79	0.62	34.64	35.8	5
4	أنقادی الانخراط في الفعاليات الاجتماعية في الجامعة.	1.81	0.56	30.94	36.2	4
5	أشعر بأنني فقدت الاهتمام بكل شيء في الوظيفة.	1.83	0.69	37.70	36.6	3
المعدل العام لبعد الشعور بالاغتراب عن الذات		1.86	0.72	238.4	37.3	الاول
المعدل العام لأبعاد الاغتراب النفسي		1.67	10.6	4.36	33.5	

المصدر: من اعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات برنامج (SPSS. V.20)

يُفسر الجدول (5) أن جميع قيم الأوساط الحسابية للمتغير التابع (الاغتراب النفسي) كانت منخفضة مقارنة بالوسط الفرضي، إذ بلغ الوسط الحسابي العام لهذا المتغير (1.67) وهو أقل من الوسط الفرضي البالغ (3) والانحراف المعياري (0.61) ومعامل الاختلاف بلغ (36.4%) وبلغت الاهمية النسبية (33.5%)، وهذا يدل على ضعف مستوى الاغتراب النفسي لدى موظفي رئاسة الجامعة التقنية الوسطى، والذي يؤكد المبادرات المتميزة التي توظفها قيادات الجامعة واداراتها في معالجة وسد الثغرات التي يتضمنها هذا المتغير، وممارسة العلاقات الانسانية السوية بين ادارات الجامعة وموظفيها من اجل تحقيق النتائج الإيجابية. وبينت النتائج أن بُعد الشعور بالاغتراب عن الذات جاء بالمرتبة الاولى، مشيراً الى أن بعض الموظفين يشعرون بالانفصال عن الواقع وأن الاشياء من حولهم ليست حقيقية، مما يجلب لهم ردود فعل سلبية وغير متوقعة، وهذا يتطلب من الجامعة إيجاد معالجات حقيقية للواقع القائم ورفع معنويات الموظفين لتحقيق

افضل النتائج في سياق العمل، وجاء بالمرتبة الثانية بُعد العزلة الاجتماعية، ثم بُعد العجز بالمرتبة الثالثة، وبعدها فقدان المعايير في المرتبة الرابعة، وأخيراً بُعد ضعف المعنى بالمرتبة الخامسة.

ثانياً : اختبار فرضيات البحث

1- اختبار فرضيات الارتباط

تم استخدام معامل ارتباط بيرسون لاختبار علاقة الارتباط بين متغير (متطلبات إدارة الجودة الشاملة) ومتغير (الاغتراب النفسي) استناداً الى الفرضية الرئيسية الأولى والفرضيات الفرعية المشتقة عنها، وكما موضح في الجدول (6)، إذ ظهرت النتائج على النحو الآتي:

جدول (6) نتائج معاملات الارتباط بين متطلبات إدارة الجودة الشاملة و الاغتراب النفسي

القيمة المعتمدة	القيمة المستخرجة	معاملات الارتباط	الاغتراب النفسي متطلبات إدارة الجودة الشاملة
0.05	54.0 0	-0.172	1- القيادة الادارية
0.05	.025 0	-0.367	2- التدريب والتعليم
0.05	0.039	-0.043	3- مشاركة العاملين
0.05	.006 0	-0.792	4- فرق العمل
0.05	0.000	- 0.512	متطلبات إدارة الجودة الشاملة

المصدر: من اعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات برنامج (SPSS. V.23)

أشرت قيم معاملات الارتباط في الجدول (6) على وجود علاقة ارتباط عكسية وذات دلالة معنوية بين متطلبات إدارة الجودة الشاملة والاغتراب النفسي إجمالاً، إذ بلغت قيمة معامل الارتباط الكلي بينهما (-0.512) وبذلك يتم قبول الفرضية الرئيسية الاولى والتي تنص على (توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين متطلبات إدارة الجودة الشاملة والاغتراب النفسي) لأن القيمة المستخرجة بلغت (0.000) وهي أقل من القيمة المعتمدة والبالغة (0.05).

اما بخصوص اختبار الفرضيات الفرعية المنبثقة عن الفرضية الرئيسية الاولى، فكانت النتائج على النحو الآتي:

- أ- اختبار الفرضية الفرعية الاولى: بلغت قيمة معامل الارتباط بين متطلب القيادة الادارية والاغتراب النفسي (-0.172) مما يُشير إلى وجود علاقة ارتباط عكسية وذات دلالة معنوية بينهما، وبهذه النتيجة قبل الفرضية الفرعية الاولى التي تنص على (توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين متطلب القيادة الادارية و الاغتراب النفسي) لأن القيمة المستخرجة بلغت (0.045) وهي أقل من القيمة المعتمدة والبالغة (0.05).
- ب- اختبار الفرضية الفرعية الثانية: بلغ معامل الارتباط بين متطلب التدريب والتعليم والاغتراب النفسي (-0.367) مما يبذل على وجود علاقة ارتباط عكسية وذات دلالة معنوية بينهما، وبهذه النتيجة تُقبل الفرضية الفرعية الثانية التي تنص على (توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين متطلب التدريب والتعليم و الاغتراب النفسي) لأن القيمة المستخرجة بلغت (0.025) وهي أقل من القيمة المعتمدة والبالغة (0.05).
- ت- اختبار الفرضية الفرعية الثالثة: بلغ معامل الارتباط بين متطلب مشاركة العاملين والاغتراب النفسي (-0.043) مما يدل على وجود علاقة ارتباط عكسية وذات دلالة معنوية بينهما، وبهذه النتيجة تُقبل الفرضية الفرعية الثالثة التي تنص على (توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين متطلب مشاركة العاملين و الاغتراب النفسي) لأن القيمة المستخرجة بلغت (0.039) وهي أقل من القيمة المعتمدة والبالغة (0.05).

ث- اختبار الفرضية الفرعية الرابعة: بلغت قيمة معامل الارتباط بين متطلب فرق العمل والاغتراب النفسي (-0.792) مما يشير إلى وجود علاقة ارتباط عكسية وذات دلالة معنوية بينهما، وبهذه النتيجة تُقبل الفرضية الفرعية الرابعة التي تنص على (توجد علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين متطلب فرق العمل و الاغتراب النفسي) لأن القيمة المستخرجة بلغت (0.006) وهي أقل من القيمة المعتمدة والبالغة (0.05).

وفي ضوء ما تقدم من النتائج المرتبطة بتحليل الارتباط بين متطلبات إدارة الجودة الشاملة والاغتراب النفسي، يتضح بأن جميع العلاقات (إجمالاً وفرداً) كانت عكسية وذات دلالة معنوية، وكان لمتطلب (فرق العمل) أقوى قيمة للارتباط وبلغت (-0.792)، أي كلما كان متطلب فرق العمل أكثر فاعلية كلما ضعفت قدرة الاغتراب النفسي كمعدل بكافة أبعاده والعكس صحيح.

2- اختبار فرضيات التأثير

استُخدم معامل الانحدار الخطي البسيط لاختبار علاقة التأثير بين المتغير المستقل (متطلبات إدارة الجودة الشاملة) والمتغير التابع (الاغتراب النفسي) على وفق الفرضية الرئيسية الثانية والفرضيات الفرعية المشتقة عنها، وباستخدام المعادلة الآتية: $Y = \alpha + \beta X$

إذ أن (a) هو مقدار ثابت، و (B) هو لعرض قيم معامل الميل الحدي، وإن الاغتراب النفسي (Y) هو دالة للقيمة الحقيقية لمتطلبات إدارة الجودة الشاملة (X)، واستُخدم معامل التحديد والقيمة المستخرجة والقيمة المعتمدة لتفسير متطلبات إدارة الجودة الشاملة للتغيرات التي تحدث في الاغتراب النفسي، وكما موضح في الجدول (7):

جدول (7) نتائج معاملات التأثير لمتطلبات إدارة الجودة الشاملة في الاغتراب النفسي

الاضطراب النفسي متطلبات ادارة الجودة الشاملة	قيمة الانحدار المطلق	معامل التوضيح R ²	القيمة المستخرجة P-value	القيمة المعتمدة	معادلة الانحدار (التأثير) $Y=a + bx$
1- القيادة الادارية	a) = - 0.464 b) = - 0.52	0.03	0.012	0.05	الاضطراب النفسي = - 0.464 - 0.52 * القيادة الادارية
2- التدريب والتعليم	a) = 9.10 b) = - 1.72	0.14	0.045	0.05	الاضطراب النفسي = 9.10 - 1.72 * التدريب والتعليم
3- مشاركة العاملين	a) = 4.386 b) = - 0.67	0.32	0.038	0.05	الاضطراب النفسي = 4.386 - 0.67 * مشاركة العاملين
4- فرق العمل	a) = 58.2 b) = - 13.6	0.62	0.002	0.05	الاضطراب النفسي = 58.2 - 13.6 * فرق العمل
متطلبات ادارة الجودة الشاملة	a) = - 0.0113 b) = - 0.3988	0.30	0.04	0.05	الاضطراب النفسي = - 0.0113 - 0.3988 * متطلبات الجودة الشاملة

a: الحد الثابت ، b: معامل الانحدار

المصدر: من اعداد الباحث بالاعتماد على مخرجات برنامج (SPSS. V.23)

توضح النتائج في الجدول (7) وجود علاقة تأثير عكسية ذات دلالة معنوية لمتطلبات إدارة الجودة الشاملة في الاغتراب النفسي إجمالاً، لأن القيمة المستخرجة بلغت (0.04) وهي أقل من القيمة المعتمدة البالغة (0.05)، أما معامل التوضيح (R^2) فقد بلغت قيمته (0.30) والذي يعني أن مآقاره (30%) من التغيرات الظاهرة في متغير الاغتراب النفسي تُفسر بفعل متطلبات إدارة الجودة الشاملة، وان النسبة الباقية تعود الى عوامل أخرى لم يتم إدراجها في انموذج الانحدار، وبهذه النتيجة يتم قبول الفرضية الرئيسة الثانية والتي مفادها (توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية بين متطلبات إدارة الجودة الشاملة و الاغتراب النفسي).

اما بخصوص تفسير الفرضيات الفرعية فكانت على النحو الآتي:

أ- اختبار الفرضية الفرعية الاولى: اشترت النتائج وجود علاقة تأثير عكسية ذات دلالة معنوية لمتطلب القيادة الادارية في الاغتراب النفسي، لأن القيمة المستخرجة بلغت (0.012) وهي أقل من القيمة المعتمدة (0.05)، أما معامل التوضيح (R^2) فقد بلغ (0.03) والذي يعني أن ما مقداره (3%) من التغيرات الظاهرة في متغير الاغتراب النفسي هي تغيرات مُفسرة بفعل متطلب القيادة الادارية، وان النسبة الباقية تعود الى عوامل أخرى لم يتم إدراجها في انموذج الانحدار، وبهذه النتيجة يتم قبول الفرضية الفرعية الأولى والتي مفادها (توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية بين متطلب القيادة الادارية و الاغتراب النفسي).

ب- اختبار الفرضية الفرعية الثانية: بينت النتائج وجود علاقة تأثير عكسية ذات دلالة معنوية لمتطلب التدريب والتعليم في الاغتراب النفسي، لأن القيمة المستخرجة سجلت (0.045) وهي أقل من القيمة المعتمدة (0.05)، اما معامل التوضيح (R^2) فقد بلغ (0.14) والذي يعني أن (14%) من التغيرات الحاصلة في متغير الاغتراب النفسي هي تغيرات مُفسرة بفعل متطلب التدريب والتعليم، وان النسبة الباقية تعود الى عوامل أخرى لم يتم إدراجها في انموذج الانحدار، وبذلك يتم قبول الفرضية الفرعية الثانية والتي مفادها (توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية بين متطلب التدريب والتعليم و الاغتراب النفسي).

ت- اختبار الفرضية الفرعية الثالثة: اشترت نتائج التحليل وجود علاقة تأثير عكسية ذات دلالة معنوية لمتطلب مشاركة العاملين في الاغتراب النفسي، لأن القيمة المستخرجة بلغت (0.038) وهي أقل من القيمة المعتمدة البالغة (0.05)، أما معامل التوضيح (R^2) فقد بلغ (0.32) والذي يعني أن ما مقداره (32%) من التغيرات في الاغتراب النفسي هي تغيرات مُفسرة بفعل متطلب مشاركة العاملين، والنسبة المبقية تعود لعوامل أخرى لم تُدرج في أنموذج الانحدار، وبذلك يتم قبول الفرضية الفرعية الثالثة والتي مفادها (توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية بين متطلب مشاركة العاملين و الاغتراب النفسي).

ث- اختبار الفرضية الفرعية الرابعة: اظهرت النتائج وجود علاقة تأثير عكسية ذات دلالة معنوية لمتطلب فرق العمل في الاغتراب النفسي، لأن القيمة المستخرجة سجلت مقدار (0.002) وهي أقل من القيمة المعتمدة (0.05)، أما معامل التوضيح (R^2) فقد بلغ (0.62) والذي يعني أن ما مقداره (62%) من التغيرات الظاهرة في الاغتراب النفسي هي تغيرات مُفسرة بفعل متطلب فرق العمل، والنسبة المتبقية تعود لعوامل أخرى لم يتم إدراجها في انموذج الانحدار، وبذلك يتم قبول الفرضية الفرعية الرابعة والتي مفادها (توجد علاقة تأثير ذات دلالة معنوية بين متطلب فرق العمل و الاغتراب النفسي).

في سياق ما تقدم من النتائج المرتبطة بتحليل تأثير متغير (متطلبات إدارة الجودة الشاملة) في متغير (الاغتراب النفسي)، يتضح بأن جميع علاقات التأثير (إجمالاً وفرداً) كانت عكسية وذات دلالة معنوية وهي تتفاوت من حيث المعنوية وقوة التأثير، وكان لمتطلب (فرق العمل) أقوى قيمة للتأثير في الاغتراب النفسي إذ بلغت نسبة معامل التأثير (62%).

المبحث الرابع/ الاستنتاجات و التوصيات

أولاً: الاستنتاجات

- 1- تأتي أهمية تطبيق متطلبات إدارة الجودة الشاملة لضمان بيئة تنظيمية ملائمة للموظفين للارتقاء بأداءهم ومهاراتهم الفردية منها والجماعية، مما يُتجسد بوضوح في تجويد الصحة النفسية للموظفين ومن ثم تخفيف الضغوط وتعزيز الهدوء النفسي، مما يقلل من مشكلات العمل وأهمها الاغتراب النفسي.
- 2- يُعبر الاغتراب النفسي عن الوضع النفسي التي تتميز بمشاعر العزلة لدى الموظف وعدم الانتماء والاحساس بالقلق وفقدان الثقة والمعاناة من الضغوط والصراعات النفسية، والتي تُحدث ضرراً وضعفاً بأداء الموظف والاداء المنظمي، فالاغتراب ظاهرة موجودة ولها أسبابها وإن اختلفت هذه الأسباب من منظمة إلى أخرى.
- 3- أثبتت النتائج إهتمام رئاسة الجامعة التقنية الوسطى بتبني متطلبات إدارة الجودة الشاملة بدرجة عالية، يرجع ذلك إلى قناعة قيادات الجامعة بأن اعتمادها تُعد ضرورة لها وليس خياراً لضمان بقائها واستمراريتها وفعاليتها، وقد جاء ترتيب المتطلبات على التوالي: متطلب القيادة الادارية، متطلب التدريب والتعليم، متطلب فرق العمل واخيرا متطلب مشاركة العاملين.
- 4- أثبتت النتائج ان مستوى الاغتراب النفسي الذي يشعر به منتسبي رئاسة الجامعة التقنية الوسطى كانت بدرجة منخفضة، و يُشير ذلك إلى إهتمام قيادات الجامعة وامكاناتها في تحديد نطاق الاغتراب النفسي لموظفيها من خلال ايجاد البيئة الداعمة لموظفيها والتي تُتيح لهم الافصح عن ارائهم و اقتراحاتهم، فضلا عن دعمها الكامل لتطوير ذاتهم ومهاراتهم واعتبارهم المفتاح الرئيس لتحقيق التفوق والابداع مما أثر بشكل ايجابي في التوازن النفسي والصحة النفسية لهم، وقد جاء ترتيب الابعاد وفقاً لمتوسطاتها الحسابية، على التوالي: الشعور بالاغتراب عن الذات، والشعور بالعزلة الاجتماعية، الشعور بالعجز، الشعور بفقدان المعايير واخيراً بُعد الشعور بضعف المعنى.
- 5- بينت النتائج بوجود علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية وعكسية بين متطلبات إدارة الجودة الشاملة (القيادة الادارية، التدريب والتعليم، مشاركة العاملين، فرق العمل) والاغتراب النفسي في رئاسة الجامعة التقنية الوسطى على المستوى الإجمالي وعلى مستوى المتطلبات الفرعية وإن هذه العلاقة ناجمة عن تبني متطلبات إدارة الجودة الشاملة بمستوى مرتفع ساهم في انخفاض مستوى الاغتراب النفسي فيها، وإن متطلب (فرق العمل) الاعلى ارتباطاً بالاغتراب النفسي.
- 6- بينت النتائج على وجود تأثير ذات دلالة معنوية لمتطلبات إدارة الجودة الشاملة (القيادة الادارية، التدريب والتعليم، مشاركة العاملين، فرق العمل) في الاغتراب النفسي في رئاسة الجامعة التقنية الوسطى على المستوى الإجمالي وعلى مستوى المتطلبات الفرعية، وهذا يعني انه كلما اعتمدت الجامعة هذه المتطلبات، كلما ساعدت في تقليل مستوى الاغتراب النفسي، وقد كان متطلب (فرق العمل) أكثر المتطلبات تأثيراً في الاغتراب النفسي.

ثانياً: التوصيات

في سياق الاستنتاجات التي توصل اليها في البحث، تم وضع جملة من التوصيات الضرورية للجامعات العراقية عامة والجامعة التقنية الوسطى خاصة، وهي كما يأتي:

- 1- ضرورة التزام القيادة الادارية واقتناعها باعتماد نهج ادارة الجودة الشاملة وقرار متطلباته ضمن خططها الاستراتيجية التي تتبناها، للارتقاء بجودة العملية التعليمية ومخرجاتها، والتحسين المستمر لأداء الجامعات كمنظومة تعليمية شاملة وتحقيق أهدافها، ولتلافي مشكلات العمل والحد منها ومن أهمها الاغتراب النفسي.

- 2- ضرورة اعتماد الجامعات خطة عمل شاملة لنشر ثقافة الجودة في كافة المفاصل الادارية لتهيئة الموظفين لعملية التغيير للثقافة الجديدة، تمهيداً لعملية التطبيق والالتزام بها ويكون ذلك من خلال تنفيذ الدورات و الندوات و المؤتمرات بشأن مفهوم ادارة الجودة الشاملة وأهميتها في نمو وتقدم الجامعات ونجاحها.
- 3- ضرورة تخطيط وتنفيذ برامج تدريبية متخصصة في نهج ادارة الجودة الشاملة، مستندة على قواعد علمية وتقنية واضحة لتطوير مهارات الموظفين وتأهيلهم للعمل على الطرائق المتغيرة تبعاً لمتطلبات إدارة الجودة الشاملة، لاجراء تحسينات مستمرة للاداء بوصفه جوهر هذا النهج.
- 4- ضرورة الدعم الكامل لاسلوب العمل الجماعي والعمل كفريق عمل قائم على التناسق الفكري والتكامل العالي بين الموظفين، لإرساء روح التعاون والانتماء لبيئة العمل وتعزيز الروابط الانسانية القوية والثقة بالنفس والتقليل من الاضطرابات السلوكية ومظاهر العزلة والانطواء الاجتماعي، ولتطوير مهاراتهم الفكرية والمعرفية ليتحقق لهم الأداء الفاعل.
- 5- ينبغي على قيادة الجامعات ان تحرص على ارساء بيئة مهنية تشجع اندماج موظفيها ومشاركتهم في رسم السياسات واختيار القرارات السليمة، وتسمح بتبادل الافكار والمقترحات وفي حل المشكلات الوظيفية، واعطاءهم الاستقلالية في اداء اعمالهم مما يحقق الانتاجية العالية للموظفين ويُسعرهم بكيوننتهم وذاتهم واهميتهم وقدرتهم في التأثير على العمل.
- 6- يتعين على ادارات الجامعات تتبع حالات الاغتراب النفسي بصورة مستمرة، كما ينبغي تشخيص المصادر والاسباب التي قد تؤدي الى ظهور تلك الحالات لتلافي حدوثها، فضلاً عن اقتراح التدابير والمعالجات الفاعلة في حال ظهورها، نظراً لعواقبها الوخيمة على صعيد الجامعة.
- 7- توجيه مسؤولي الارشاد والتوجيه النفسي والتربوي باعداد برامج ارشادية متخصصة، تعزز قدرات الموظفين وتدعم مهاراتهم في مواجهة الازمات والضغط التي يتعرضون اليها داخل وخارج بيئة العمل، وتقدم لهم تقنيات فاعلة في حل مشكلاتهم النفسية، فضلاً عن تقديم الخدمات والاستشارات النفسية لأجل تدعيم ذاتهم وصحتهم النفسية بمنأى عن الاحساس بالاغتراب النفسي.

المصادر:

أولاً: المصادر العربية

- 1- إبراهيم، جيهان محمد، (2022)، "الاغتراب النفسي وعلاقته بأزمة الهوية الثقافية لدى أعضاء هيئة التدريس في الجامعات السعودية/ كليات عنيزة نموذجاً"، مجلة بحوث عربية في مجالات التربية النوعية، العدد (26)، ص (141-164).
- 2- البياتي، محمد ثائر علي، (2018)، "تأثير متطلبات إدارة الجودة الشاملة في التوجه الاستراتيجي/ دراسة إستطلاعية في الشركة العامة للمنتوجات الغذائية- مصنع المأمون"، رسالة ماجستير تقني في تقنيات إدارة الجودة الشاملة، الجامعة التقنية الوسطى، الكلية التقنية الإدارية/ بغداد.
- 3- الترتوري، محمد عوض و جويحان، أغادير عرفات، (2006)، "إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي والمكتبات ومراكز المعلومات"، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن.
- 4- الخطيب، سمير كامل، (2008)، "إدارة الجودة الشاملة والآيزو: مدخل معاصر"، الطبعة الأولى، مطبعة جعفر العصامي، بغداد.

- 5- الربيعي، مروه مصطفى داود، (2018)، "تأثير نموذج (Senge) للتعلم التنظيمي في تبني مبادئ إدارة الجودة الشاملة/ دراسة استطلاعية في الجامعة التقنية الوسطى"، رسالة ماجستير تقني في تقنيات إدارة العمليات، الجامعة التقنية الوسطى، الكلية التقنية الادارية/بغداد.
- 6- السامرائي، برهان الدين حسين، (2012)، "دور القيادة في تطبيق أسس ومبادئ إدارة الجودة الشاملة- دراسة تطبيقية على مصنع سيراميك رأس الخيمة"، رسالة ماجستير في إدارة الاعمال، الأكاديمية العربية البريطانية للتعليم العالي.
- 7- الصيرفي، محمد عبد الفتاح، (2002)، "البحث العلمي-الدليل التطبيقي للباحثين"، دار وائل للطباعة والنشر، ط1، عمان، الاردن.
- 8- الطويل، أكرم احمد رضا و آغا، احمد عوني احمد عمر، (2010)، "متطلبات إدارة الجودة الشاملة في التعليم العالي وأثرها في تحقيق التنمية المستدامة-دراسة تحليلية لآراء القيادات الإدارية في جامعة الموصل"، مؤتمر جودة التعليم العالي لتحقيق التنمية المستدامة في صنعاء، اليمن.
- 9- القيسي، بلال جاسم، (2015)، "خلق القيمة المستدامة للزبون عبر تكامل العلاقة بين إدارة الجودة الشاملة وتسويق العلاقة/ دراسة استطلاعية على عدد من المصارف العراقية الخاصة"، مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية، المجلد (21)، العدد (85)، ص (202-239).
- 10- المحمداوي، حسن أبراهيم حسن، (2007)، "العلاقة بين الاغتراب والتوافق النفسي للجالية العراقية في السويد"، اطروحة دكتوراه في علم النفس، الاكاديمية العربية المفتوحة بالدنمارك، كلية الاداب والتربية.
- 11- بوزيان، راضية، (2014)، "إدارة الجودة الشاملة ومؤسسات التعليم العالي"، مركز الكتاب الأكاديمي، ط1، عمان.
- 12- جاسم، حيدر جابر، (2018)، "تأثير مبادئ إدارة الجودة الشاملة في تحقيق التنمية المستدامة/ دراسة استطلاعية تحليلية في جامعة كربلاء"، رسالة ماجستير تقني في تقنيات إدارة الجودة الشاملة، الجامعة التقنية الوسطى، الكلية التقنية الادارية/ بغداد.
- 13- خضرة، جبار، (2016)، "دور فرق العمل في تحسين جودة الخدمة الصحية العمومية/ دراسة حالة المؤسسة الاستشفائية الجامعية العمومية ابن باديس-قسنطينة"، رسالة ماجستير أكاديمي في علوم التسيير، إدارة أعمال، جامعة أم البواقي، كلية العلوم الاقتصادية و العلوم التجارية وعلوم التسيير.
- 14- سليم، عديب، (2018)، "دور إدارة الجودة الشاملة في تطوير مؤسسات التعليم العالي/ دراسة حالة كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم"، رسالة ماجستير في علوم التسيير، الاستراتيجية، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير.
- 15- عابد، موسى لطفي خالد، (2018)، "الاغتراب النفسي لدى معلمي المدارس الحكومية بمحافظة غزة وعلاقته بالمناخ التنظيمي"، رسالة ماجستير في في الادارة التربوية، كلية التربية، الجامعة الاسلامية-غزة.
- 16- عبد اللطيف، احسان و فرقاني، نهال، (2021)، "الاغتراب النفسي وعلاقته بالرضا الوظيفي لدى الأخصائي النفسي العيادي في المراكز الاستشفائية"، رسالة ماجستير في علم النفس العيادي، جامعة يحي فارس، المدينة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.
- 17- عباس، دانيال علي، (2016)، "الاغتراب النفسي وعلاقته بالتحصيل الدراسي/ دراسة مقارنة بين طلبة المرحلة الثانوية النزلاء في مراكز الإيواء والطلبة المقيمين في محافظة دمشق"، رسالة ماجستير في علم النفس التربوي، جامعة دمشق، كلية التربية.

- 18- عبدالله، عبدالله، (2020)، "الاغتراب النفسي وعلاقته بالصحة النفسية لدى طلاب الجامعة-دراسة ميدانية على عينة من طلاب الجامعة في الجزائر العاصمة-جوان 2009"، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، المجلد (8)، العدد (1)، ص (170-197).
- 19- عبد الرشيد، ناصر سيد جمعة و السعيد، منذر بن خالد مرهون، (2019)، "الاغتراب النفسي في علاقته بدافعية الانجاز لدى المعلمين الوافدين بمدارس محافظة ظفار"، مجلة البحوث التربوية والنفسية، المجلد (16)، العدد (63)، ص (103-145).
- 20- زاهوي، خولة، (2020)، "الاغتراب النفسي لدى الممرضات المناوبات ليلا في المؤسسة الإستشفائية/ دراسة ميدانية في مستشفى كويشي بمعيش سيدي عيسى- المسيمة، رسالة ماجستير في علم النفس"، جامعة محمد بوضياف، المسيمة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.
- 21- صالح، محمد جاسم محمد، (2013)، "تأثير تطبيق متطلبات إدارة الجودة الشاملة في الأداء المؤسسي للشركة العامة لموانيء العراق"، رسالة ماجستير في إدارة الأعمال، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد.
- 22- صباح، أنس سالم أحمد، (2020)، "التخطيط الاستراتيجي وأثره على فاعلية تطبيق متطلبات الجودة الشاملة/ دراسة تطبيقية على جامعة فلسطين"، رسالة ماجستير في القيادة والإدارة، كلية الإدارة والتمويل، جامعة الأقصى.
- 23- نسيم، محرز، (2019)، "الاغتراب النفسي وعلاقته بالإكتئاب لدى المرأة العاملة المتزوجة/ دراسة ميدانية بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة"، أطروحة دكتوراه في علم النفس العيادي، جامعة محمد بوضياف المسيلة- كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية.
- 24- نعيمة، رغداء، (2012)، "الاغتراب النفسي وعلاقته بالأمن النفسي- دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة دمشق القاطنين بالمدينة الجامعية"، مجلة جامعة دمشق للعلوم التربوية والنفسية، المجلد (28)، العدد (3)، ص (113-158).

ثانياً: المصادر الأجنبية

- 1- Daugherty, T. K., & Linton, J. M., (2000), "Assessment of social alienation: Psychometric properties of the SACS-R", Social Behavior and Personality an international journal, Vol. (28), No. (4), pp. (323-328).
- 2- Dhlamini, Joseph Thabang, (2009), "The Role of Integrated Quality Management System to Measure and Improve Teaching and Learning in South African Further Education and Training Sector", PhD Thesis, Education Management, University of South Africa, South Africa.
- 3- Foster, Thomas, JR., (2001), "Managing Quality: An Integrative Approach", printice-Hall, Inc., New Jersey.
- 4- Krajewski, Lee. & Ritzman, Larry & Malhora, Manoj K., (2002) "Operations Management Processes and Value Chains", th Ed., Person Education, Co, Inc., New Jersey.
- 5- Leonid M. Popova and Pavel N. Ustina, (2016), "Psychological Alienation Problem in Moral and Ethical Psychology of Personality", International Electronic Journal of Mathematics Education (IEJME), Vol. (11), No. (4), pp. (787-797).
- 6- Paik, Chie Mastsuzawa & Michael, William B., 2002, "Further Psychometric Evaluation of the Japanese Version of An Academic Self-Concept Scale", The Journal of Psychology, Vol. (136), No. (3), p.p (298-306).
- 7- Stevenson, William, (2012), "Operation Management: Theory and Practice", global, MC graw, hill Irwin.
- 8- Stevenson, William J., (2015), "Operations Management", 12th Ed., McGraw - Hill, New York.

عنوان البحث

**إدارة الأزمات في المؤسسات التعليمية بالسودان: دراسة حالة كلية دلتا العلوم
والتكنولوجيا في الفترة من 2023-2025**

د. مروة عطا المنان احمد الريح¹، أ. محمد علي عبد المطلب محمد²

¹ عضو هيئة تدريس، أستاذ مساعد، كلية دلتا العلوم والتكنولوجيا، السودان. بريد الكتروني: Marwa134@gmail.com

² ماجستير، ادارة اعمال، كلية دلتا العلوم والتكنولوجيا، السودان. بريد الكتروني: Mohamed1087401@gmail.com

HNSJ, 2025, 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/23>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/68/23>

تاريخ النشر: 2025/08/01م

تاريخ القبول: 2025/07/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/07/07م

المستخلص

تتناول هذه الدراسة إدارة الأزمات في المؤسسات التعليمية بالسودان من خلال دراسة حالة كلية دلتا للعلوم والتكنولوجيا خلال الفترة (2023-2025)، وذلك في ظل الحرب الدائرة التي أثرت سلباً على العملية التعليمية. هدفت الدراسة إلى تحليل واقع إدارة الأزمات وتحديد التحديات التي تواجه الجامعات والكليات، ودراسة استراتيجيات التعامل مع الأزمات ومدى فعاليتها، بالإضافة إلى تقييم دور التعليم عن بُعد والدعم المالي والإداري في ضمان استمرارية العملية التعليمية. اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي والتحليلي واستخدمت الاستبيان لجمع البيانات من أعضاء هيئة التدريس والطلاب (61 مشاركاً)، وتم تحليلها باستخدام الأساليب الإحصائية. أظهرت النتائج أن إدارة الأزمات ساهمت في استمرار العملية التعليمية أثناء الحرب، حيث تمكنت إدارة الكلية من اتخاذ قرارات سريعة وفعالة وتوفير بيئة تعليمية آمنة والحفاظ على الأنشطة الأكاديمية الأساسية دون انقطاع، كما بينت النتائج وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين التخطيط المسبق وتقليل الآثار السلبية للأزمات، وبين استخدام التكنولوجيا في التعليم عن بُعد ورضا الطلاب وأعضاء هيئة التدريس. وأوصت الدراسة بضرورة تفعيل إدارة الأزمات في المؤسسات التعليمية خلال فترات النزاعات، وتبني التعليم الإلكتروني كخيار استراتيجي، والاستفادة من الخبرات السابقة والتكنولوجيا الحديثة، مع التخطيط الجيد لمواجهة الأزمات المستقبلية.

الكلمات المفتاحية: إدارة الأزمات، التحديات، الحروب والنزاعات، التعليم عن بُعد، استمرارية العملية التعليمية.

RESEARCH TITLE

Crisis Management in Educational Institutions in Sudan: A Case Study of Delta College of Science and Technology (2023–2025)**Dr. MARWA ATT ALMNAN AHMAD ALRYH¹, MOHAMED ALI ABDELMUTALAB MOHAMEDAHMED²**¹ Faculty Member, Assistant Professor, Delta College of Science and Technology, Sudan. Email: Marwa134@gmail.com² Master's Degree, Business Administration, Delta College of Science and Technology, Sudan. Email: Mohamed1087401@gmail.comHNSJ, 2025, 6(7); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/23>Arabic Scientific Research Identifier: <https://arsri.org/10000/68/23>**Received at 07/07/2025****Accepted at 15/07/2025****Published at 01/08/2025****Abstract**

This study examines crisis management in educational institutions in Sudan through a case study of Delta College of Science and Technology during the period 2023–2025, in light of the ongoing war that has significantly impacted the educational process. The study aims to analyze the current state of crisis management, identify the challenges faced by universities and colleges, evaluate the effectiveness of adopted crisis management strategies, and assess the role of distance learning and financial and administrative support in ensuring the continuity of education. A descriptive and analytical methodology was employed, using a questionnaire distributed to 61 participants from the faculty and students, and the data were analyzed using statistical methods. The findings indicate that crisis management played a key role in sustaining education during the war, enabling the college administration to make quick and effective decisions, maintain a safe educational environment, and continue academic activities without interruption. The results also highlight a statistically significant relationship between proactive planning and reducing the negative effects of crises, as well as between the use of technology in distance learning and the satisfaction of students and faculty members. The study recommends strengthening crisis management mechanisms in educational institutions during conflicts, adopting e-learning as a strategic solution, leveraging prior experiences and modern technologies, and ensuring proper planning to address future challenges.

Key Words: Crisis Management, Challenges, Wars and Conflicts, Distance Learning, Continuity of the Educational Process.

أولاً: الإطار المنهجي:**تمهيد:**

تعد إدارة الأزمات واحدة من أهم وأخطر الإشكاليات التي تواجه العملية التعليمية علي وجه العموم، فالعملية التعليمية شأن أي عمل يواجه أزمات أو يصطدم بعقبات إدارية أو سياسية حتي ولو حاول ان يعمل في ظل الأطر القانونية القائمة، ومن الضروري عدم الاكتفاء بالانتظار أولاً حتي تحدث مثل هذه الازمات المحتملة، وأيضاً في حالة حدوث أزمات ان تكون لدينا خطط واستعدادات مسبقة للتعامل معها والاستفادة من سلبياتها وإيجابياتها في المدي القصير والطويل للأزمة.

مشكلة البحث

العملية التعليمية في السودان تواجه أزمات مستمرة؛ بسبب التنزاع المستمر علي السلطة، فقد واجهت العملية التعليمية تحديات مستمرة حتي الان بكثرة الحروب والاقتتال الامر الذي ينذر بكارثة مستقبلية للعملية التعليمية،

ومن منطلق الازمات والكوارث الناتجة عن العمل البشري نجد المشكلة في وجود فاقد تربوي كبير؛ نتيجة الحرب التي اندلعت في مطلع العام 2023م وحتى الان فالتقارير البحثية تنذر بالخطر الكبير الذي تواجهه العملية التعليمية في السودان عامة حيث وصفت منظمة اليونسيف ان أزمة التعليم في السودان (أسوء أزمات التعليم في العالم) لانه لم يتاثر الطلاب فقط بل المعلمون والدكاترة والأساتذة بل وطالت يد الخراب بعض المدارس و المعاهد والكلديات والجامعات وتحول البعض الاخر الي مراكز لجوء. تمثلت مشكلة الدراسة في ان العملية التعليمية في السودان عامة وعلي وجه الخصوص الكلديات والجامعات تحتاج اجراء دراسة لمعرفة واقع إدارة الازمات في الكلديات والجامعات علي وجه الخصوص بكلية دلتا العلوم والتكنولوجيا، وعليه فإن مشكلة البحث تتركز في السؤال الرئيس التالي: ما هي المتطلبات التي تمكن المؤسسات التعليمية من إدارة الازمات في كلية دلتا العلوم والتكنولوجيا بشكل فعال لضمان استمرارية العملية التعليمية؟ وما هي أنواع الازمات التي تواجه المؤسسات التعليمية؟، ماهي التحديات التي تواجه كلية دلتا العلوم والتكنولوجيا اثناء الحرب؟ وما هي الاستراتيجيات التي تبنتها الجامعات والكلديات لإدارة الأزمات ؟

حدود البحث:

تم تحديد حدود مشكلة البحث على النحو التالي:

أ. **الحد المكاني:** كلية دلتا العلوم والتكنولوجيا.

ب. **الحد الزمني:** يغطي البحث الازمات التي تعرضت لها المؤسسة التعليمية خلا فترة الحرب الحالية في السودان خلال فترة الحرب في الأعوام من 2023 - 2025 م.

ج. **الحد الموضوعي:** يتناول البحث موضوع إدارة الازمات في المؤسسات التعليمية، مع التركيز علي تحليل الخطط والإجراءات التي اتبعتها الجامعات والكلديات لمواجهة التحديات الناتجة عن الحرب، ودراسة تأثير هذه الإجراءات علي استمرارية العملية التعليمية وجودتها.

أهمية البحث

تتبع أهمية البحث من الآتي:

أ. يسهم البحث في إثراء المعرفة العلمية حول إدارة الأزمات في المؤسسات التعليمية، ويقدم إطاراً نظرياً وتطبيقياً يمكن أن تستفيد منه الجامعات والكلديات في السودان وخارجها.

ب. يساعد في تحسين استراتيجيات إدارة الأزمات بالمؤسسات التعليمية، وتوفير توصيات لصناع القرار لتعزيز التعليم خلال الأزمات.

ج. يعالج البحث قضية حساسة تمس المجتمع السوداني، ويسهم في استقرار العملية التعليمية التي تعتبر ركيزة أساسية للتنمية.

أهداف البحث

- أ. التعرف على التحديات التي تواجه الجامعات والكليات في السودان خلال الحرب الحالية.
- ب. تحليل استراتيجيات إدارة الأزمات التي تبنتها المؤسسات التعليمية ومدى فعاليتها.
- ت. تقييم تأثير استخدام التعليم عن بُعد في استمرارية العملية التعليمية أثناء الأزمة.
- ث. دراسة تأثير الدعم المالي والإداري على قدرة الجامعات والكليات على مواجهة الأزمات.
- ج. قياس تأثير الأزمات على جودة التعليم وأداء الطلاب وأعضاء هيئة التدريس.
- ح. تقديم توصيات لتحسين إدارة الأزمات وضمان استمرارية التعليم في المستقبل.

فرضيات البحث

تتمثل فرضيات البحث في الآتي:

- أ. توجد علاقة ذات دلالة احصائية بين فاعلية إدارة الأزمات في الجامعات والكليات واستمرارية العملية التعليمية خلال فترة الحرب .
- ب. توجد علاقة ذات دلالة احصائية بين التخطيط المسبق لإدارة الأزمات وقدرة الجامعات والكليات علي تقليل الآثار السلبية للأزمات.
- ج. توجد علاقة ذات دلالة احصائية بين استخدام التكنولوجيا في التعليم عن بعد ومستوي رضا الطلاب وأعضاء هيئة التدريس خلال فترة الحرب.

منهج البحث

استخدم المنهج الوصفي - الكتب والدراسات السابقة والمجلات التي طرحت في الملتقيات العلمية. والمنهج التحليلي، و الاستبيان لجمع البيانات.

ثانياً: الدراسات السابقة:

قراءات حول النزاعات المسلحة وتأثيرها على الأمن والاستقرار في السودان 1954-2025م. د. محمد خالد محمد عبد الله

تناولت الدراسة ظاهرة النزاعات المسلحة في السودان والعديد من الأسباب العديدة التي أدت إلي ظهور هذه الظاهرة مثل ضعف التنمية وعدم التوازن في توزيع الثروة والسلطة وغيرها من العوامل الداخلية، وما نتج عن ذلك تدهور اقتصادي وتدهور في البني التحتية وحروب مناطقية أدت إلي النزوح واللجوء في بعض الحالات وعدم استقرار سياسي وأمني وكان أخطرها حركة الدعم السريع وما أحدثه من فوضى عارمة في الحرب الدائرة ألان منذ العام 2023م. استخدمت في الورقة المنهج التاريخي والتحليلي ومنهج دراسة الحالة، وتوصلت الدراسة إلي مجموعة من النتائج من ضمنها تمثل النزاعات المسلحة مشكلة رئيسية للاستقرار السياسي والأمني في السودان وأدى نشاط الحركات المسلحة في السودان إلى تفشي ظاهرة تسليح المواطنين بصورة غير شرعية وكذلك برز طابع الانتماءات الأولية (القبلية والجهوية) والتصادم الاجتماعي في مقابل الانتماء القومي مما أدى ذلك إلى تهتك النسيج الاجتماعي في السودان وأوصت الدراسة توزيع السلطات

والثروات بعدالة ما بين الولايات والمركز لسد باب المنادى بالتهميش، إزالة كافة أنواع الغبن الاجتماعي والاقتصادي والثقافي داخل المجتمع السوداني، تحسين العلاقات مع دول الجوار وخلق استثمارات مشتركة لكسر حاجز الخصومات التي أضرت بالسودان والقارة الأفريقية.

1. درجة ممارسة مدرء المدارس الأساسية للأزمات التربوية وأثرها على دافعية الإنجاز للمعلمين في العاصمة عمان 2022 رشا عبد الخالق

هدفت الدراسة للكشف عن درجة ممارسة مدرء المدارس الأساسية للأزمات التربوية وأثرها على دافعية الإنجاز للمعلمين في العاصمة عمان، وتكونت عينة الدراسة من (350) من معلمين المدارس الأساسية في العاصمة الأردنية عمان، واستخدمت الدراسة استبانة إدارة الأزمات التربوية، واستبانة دافعية الإنجاز، واتبعت الدراسة المنهج الوصفي، وتوصلت الدراسة إلى أن نسبة إدارة الأزمات التربوية لدى مدرء المدارس الأساسية في العاصمة الأردنية التي بلغت (70%) وهو مستوى كبير، وأن نسبة مستوى دافعية الإنجاز للمعلمين بلغت (67.5%) وهو مستوى متوسط، وجود علاقة طردية ذات دلالة إحصائية بين إدارة الأزمات التربوية لدى مدرء المدارس الأساسية ومستوى دافعية الإنجاز لدى معلمين المدارس الأساسية في العاصمة الأردنية لجميع المجالات، ويوجد أثر لإدارة الأزمات التربوية لدى مدرء المدارس على دافعية الإنجاز لدى معلمين المدارس الأساسية في العاصمة الأردنية، كما أن المتغير المستقل يفسر (55.4%) من المتغير التابع.

«درجة استخدام مديري المدارس لاستراتيجية إدارة الأزمات من وجهة نظر المعلمين في مديرية جنوب نابلس» 2022 نصر ناصر أبو كرش

هدفت هذه الدراسة إلى تعرّف درجة استخدام مديري المدارس استراتيجية إدارة الأزمات من وجهة نظر المعلمين في مديرية جنوب نابلس، ولتحقيق هدف الدراسة جرى تطوير استبانة مكونة من (37) فقرة موزعة على خمسة مجالات وجرى التأكد من صدقها وثباتها، ومن ثم توزيعها على عينة الدراسة المكونة من (333) معلماً ومعلمة، فقد بلغ المتوسط الحسابي للأداة ككل (3.70)، ولم تظهر النتائج فروقاً ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) في درجة استخدام مديري المدارس لاستراتيجية إدارة الأزمات من وجهة نظر المعلمين في مديرية جنوب نابلس تعزى لمتغيرات الجنس، والمؤهل العلمي، وسنوات الخبرة، والمرحلة التعليمية. وفي ضوء نتائج الدراسة توصل الباحثان إلى مجموعة من التوصيات أهمها: إعداد فرق عمل خاص بالمدرسة متخصصة بإدارة الأزمات المدرسية، مع توزيع المهام، وتحديد الأدوار، وعقد دورات تدريبية لكافة العاملين في إدارة الأزمات، وضع قاعدة معرفية لإدارة الأزمات المدرسية للإفادة من التجارب السابقة لحل الأزمات المدرسية التي قد تقع مستقبلاً.

ثالثاً: الإطار النظري

مفهوم الأزمة:

لقد برعت اللغة الصينية في استيعاب مصطلح الأزمة، إذ يُنطق "WETGL"، وهي عبارة عن كلمتين؛ الأولى تدل على الخطر، أما الأخرى فتدل على الفرصة التي يمكن استثمارها، مما يعكس إمكانية تحويل الأزمات وما تحمله من مخاطر إلى فرص لإطلاق قرارات إبداعية وإعادة صياغة الظروف. (Fink, 1986)

تعريف الأزمة:

الأزمة هي اللحظة الحرجة ونقطة التحول التي تتعلق بالمصير الإداري للمنظمة وتهدد بقاءها، وغالبًا ما تنتهي الأزمة بعنصر المفاجأة، مما يتطلب مهارة عالية لإدارتها والتصدي لها. (Mitroff, 2004) كما تُعرّف بأنها أحداث سريعة تؤدي إلى زيادة عدم الاستقرار في النظام القائم إلى درجة غير عادية، مما يزيد من احتمالية استخدام العنف. وقد عرّف تشارلز هيرمان الأزمة بأنها موقف يتضمن درجة عالية من التهديد لأهداف وقيم ومصالح ووحدة اتخاذ القرار (Hermann, 1963). بينما يرى هولستي أن الأزمة تمثل إحدى مراحل الصراع، إذ تبرز على شكل أحداث مفاجئة من قبل أحد الأطراف تؤدي إلى رفع التوتر والتهديد لدرجة تُجبر صانعي القرار على اختيار أحد البديلين: الحرب أو الاستسلام (Holsti, 1972).

من الضروري دراسة الأسباب والعوامل التي أدت للأزمة من أجل اتخاذ إجراءات وقائية تمنع تكرارها أو حدوث أزمات مشابهة. (Coombs, 2014)

أنواع الأزمات:

يمكن تصنيف الأزمات إلى عدة أشكال، منها: الأزمات الشخصية أو الجماعية ذات الطابع المعنوي والاجتماعي، والأزمات الاقتصادية، والدولية، والإدارية. (Pearson & Clair, 1998)

نشأة وظهور إدارة الأزمات:

إن أي محاولة لتطوير فن إدارة الأزمات قد تبدو محفوفة بالمخاطر ما لم توضع القواعد والإجراءات المناسبة للتعامل مع المواقف والتغيرات والمخاطر المتنوعة. (Fink, 1986) ويمكن القول إن مفهوم إدارة الأزمة (Crisis Management) قديم في مضمونه وحديث في تسميته، إذ يمتد تاريخه إلى العلاقات الإنسانية بين الأفراد والعلاقات الدولية، مما جعله ظاهرة معروفة خاصة في عصر توازن القوى الأوروبي. (Coombs, 2014)

تشير الأدبيات إلى أن مصطلح إدارة الأزمة لم يكن مستخدماً صراحة في السابق، بل استخدمت تسميات أخرى تعكس مهارات القيادة والحنكة الدبلوماسية أو عبقرية الإدارة. (Mitroff, 2004) ولم يحظَ المفهوم بالاهتمام في القاموس السياسي إلا بعد ظهور أسلحة الدمار الشامل، وبخاصة عقب أزمة الصواريخ الكوبية عام 1962، حين قال وزير الدفاع الأمريكي الأسبق روبرت مكنمارا: "لم يعد هناك بعد الآن مجال للحديث عن الاستراتيجية، وإنما عن إدارة الأزمات (Fink, 1986).

يتضح أن الظاهرة كانت موجودة قبل محاولات التأصيل النظري التي بدأت في أوائل الستينات، وعلى الرغم من مرور عقود على هذه الجهود، لا يزال تعريف إدارة الأزمة يفتقر إلى إجماع واضح، بسبب تعدد زوايا النظر وغموض المصطلح. (Pearson & Clair, 1998) ويرى بعض الباحثين أن مفهوم إدارة الأزمة يحمل تناقضاً داخلياً، إذ يبدو وكأنه "إدارة لشيء لا يمكن إدارته. (Mitroff, 2004)

مفهوم إدارة الأزمات:

تعرف إدارة الأزمات بأنها فن السيطرة من خلال رفع كفاءة نظام صنع القرارات، سواء على المستوى الجماعي أو الفردي، بهدف التغلب على البيروقراطية الثقيلة ومواجهة الأحداث المفاجئة والمتغيرات غير المتوقعة. (Coombs, 2014) ويعتمد المفهوم على أسس علمية وخبرة عملية ومهارات قيادية، إضافة إلى التخطيط والتنظيم الجيدين من أجل المعالجة الفعالة للأزمات.

تشمل أسس إدارة الأزمات:

- اتباع أسلوب عملي مدروس لمواجهة الأزمة والتحكم في مسارها لتجاوزها بسرعة.
 - التخطيط والتنظيم والتوجيه والمراقبة لإطفاء الأزمة بأقل الخسائر. (Pearson & Clair, 1998)
- كما تُعرّف إدارة الأزمة بأنها تقنية لمواجهة الحالات الطارئة والتخطيط للتعامل مع الأحداث التي لا يمكن تجنبها، عبر الاستعداد المسبق للحد من الأضرار والنتائج المترتبة على الأزمات. (Mitroff, 2004)

المفهوم العام للأزمة التعليمية:

بلغ عدد المنقطعين عن الدراسة في مراحل التعليم الابتدائي والثانوي في الدول المتأثرة بالأزمات حوالي 127 مليون طفل وشاب قبل ظهور جائحة كورونا، في عام 2019. (UNESCO, 2020) وتؤدي الأزمات والحالات الطارئة إلى جعل الأنظمة التعليمية في حالة عدم استقرار، مما يحدّ من إمكانية الحصول على تعليم جيد. وأكثر الفئات تضرراً من هذه الأوضاع المضطربة هم الأطفال في الصفوف الدراسية الأولى (من 4 إلى 8 سنوات)، والأطفال ذوو الإعاقة، والشباب من الفئات المهمشة، إضافة إلى من يعيشون في المناطق الريفية والفقيرة واللاجئين والمشردين قسراً (World Bank, 2021).

تظهر هذه التحديات بوضوح أثناء الأزمات الطبيعية أو طويلة الأمد مثل النزاعات المسلحة أو تفشي الأوبئة. فقد تضرر نحو 1.6 مليار طالب في 195 دولة حول العالم خلال جائحة كورونا، حيث أثرت عمليات الإغلاق على أكثر من 94% من الطلاب، وأدت إلى تفاقم الفوارق التعليمية والفجوات القائمة مسبقاً. (UNICEF, 2021) كما أن انقطاع فرص التعليم يؤدي إلى الإحباط والشعور بعدم العدالة، ومع البطالة المتزايدة، تتعرض المجتمعات لمخاطر أكبر من الصراع المسلح. كل ذلك استدعى إعادة تصور المنظومة التربوية، وتنسيق الجهود بين الأنظمة التعليمية والمنظمات العالمية والإقليمية لاعتماد حلول مبتكرة تضمن استمرارية التعليم الجيد أثناء الأزمات. (INEE, 2020)

وقد أظهرت التجارب الدولية أن التعليم في أثناء الأزمات يمكن أن يحقق نتائج إيجابية إذا تم التخطيط له بشكل جيد وتطبيق ممارسات تعليمية مرنة. (UNESCO, 2020)

أنواع الأزمات التعليمية:

يصنف كامل (2003) الأزمات المدرسية إلى أربعة أنماط:

- أزمات سلوكية.
 - أزمات نفسية واجتماعية.
 - أزمات إدارية ونوعية تخص إدارة المدرسة.
 - أزمات تتعلق بالمعلمين أو المناهج أو البنية المدرسية.
- كما يوضح الموسى (2006) أن الأزمات التعليمية قد تُقسم وفقاً للمدى الزمني إلى أزمات مفاجئة (مثل الحرائق أو التسمم الجماعي أو الهجمات الإرهابية)، وأزمات تدريجية أو زاحفة (مثل تدهور المباني المدرسية). أما من حيث الشدة، فهناك أزمات سطحية يسهل احتواؤها وأخرى عميقة ذات تأثيرات طويلة الأمد.

تخطيط التعليم أثناء الأزمات:

تختلف التغييرات التي ينبغي التخطيط لها أثناء الأزمات باختلاف طبيعة كل أزمة، إلا أن هناك عناصر أساسية يجب أن تكون متاحة، بحيث يحصل جميع الأفراد على فرص متساوية للوصول إلى مقومات التعليم الأساسية من معرفة ومهارات وكفايات وقيم واتجاهات. (INEE, 2020) ويسعى تخطيط التعليم في أوقات الأزمات إلى تحقيق أهداف متعددة، تبدأ بحل المشكلات القائمة والتخفيف من آثار الأوضاع الطارئة، وصولاً إلى دعم التنمية المستدامة في المستقبل (UNESCO, 2020).

التحديات التي تواجه العملية التعليمية خلال الحرب:

أدى الصراع المسلح بين القوات المسلحة السودانية وقوات الدعم السريع، الذي اندلع في منتصف أبريل 2023، إلى توقف العديد من المدارس عن الدراسة وتحويلها إلى ملاجئ للنازحين. (OCHA, 2023) وقد دفع هذا الوضع نظام التعليم الهش بالفعل إلى حافة الانهيار، حيث أشارت تقارير مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية إلى استخدام 89 مدرسة كملاجئ للنازحين في 7 ولايات. كما أدى قرار إلغاء امتحانات نهاية العام في المناطق المتضررة إلى تفاقم القلق بشأن مستقبل الطلاب. (UNICEF, 2023)

التحديات الرئيسية للتعليم في السودان:

1. قلة التمويل والموارد: وهو ما ينعكس سلباً على جودة التعليم. (World Bank, 2021)
2. نقص البنية التحتية: في المدارس والجامعات، مما يعيق توفير بيئة تعليمية مناسبة. (UNESCO, 2020)
3. ضعف التكنولوجيا: خصوصاً في المناطق الريفية، وهو ما يعوق تطبيق التعليم عن بُعد. (UNICEF, 2023)

تأثير الحرب على البنية التحتية للمؤسسات التعليمية:

ألحقت الحرب دماراً واسعاً بمؤسسات التعليم العالي في السودان، حيث تعرضت مكتبات الجامعات وقاعات الدراسة للقصف، وفقد الطلاب حياتهم أو أصيبوا بجروح. (Al-Sharq Al-Awsat, 2023) وأكدت وزارة التعليم العالي تكوين لجنة طوارئ لحصر الأضرار وإعادة ترتيب استئناف الدراسة في المناطق المستقرة. كما أغلقت أكثر من 100 جامعة حكومية وخاصة، وتعرضت جامعات عديدة للتدمير أو النهب. (OCHA, 2023) وصرح مسؤولون أن الحرب دمرت 40% من المؤسسات التعليمية في ولاية الخرطوم وحدها، وقدرت بعض التقارير أن نسبة الضرر على مستوى السودان تتجاوز 75%. كما أثرت الحرب نفسياً على الطلاب وأسرههم بسبب العنف والنزوح. (UNICEF, 2023)

ووفق تقديرات غير رسمية، يبلغ عدد الطلاب السودانيين في الجامعات والمعاهد العليا نحو 714 ألف طالب، موزعين على 136 جامعة حكومية وخاصة. ونتيجة للنزاع المسلح منذ أبريل 2023، تشير تقارير الأمم المتحدة إلى مقتل أكثر من 13,100 شخص وإصابة نحو 26,051، فضلاً عن نزوح 1.8 مليون شخص داخلياً وخارجياً. (OCHA, 2023)

الأثر النفسي والاجتماعي على الطلاب وأعضاء هيئة التدريس

في الحروب هناك ما نشاهده وما لا نشاهده فما نشاهده هو الصور المؤلمة للمصابين والقتلى والدمار، وقد يكون الزمان كفيل بتجاوزها ونسيانها، وما لا نشاهده ولا يحويه الزمن هو الأثر النفسي الذي تتركه هذه الحروب بداخل كل من عاصرها وعاش الرعب والقلق وفقد عزيز أو قريب أو منزل يستظل بظله ليجد نفسه في العراء فالسلاح الأشد فتكاً في هذه الحروب هو التدمير النفسي الذي يدمر التوازن النفسي للمدنيين وعلى وجه الخصوص الأطفال.

الآثار النفسية والسلوكية:

تظهر الآثار النفسية والسلوكية نتيجة للتأثر النفسي الشديد (الصدمة)، حيث يتعرض الأفراد لضغط نفسي يفوق قدرتهم على التحمل والعودة إلى حالة التوازن الطبيعي، ما يترك آثاراً مترسبة طويلة الأمد (American Psychiatric Association, 2013). وتؤدي بعض الصدمات إلى مواجهة الإنسان مخاوف أساسية مثل الخوف من الموت أو الفقد أو الإيذاء أو العجز، وتتعاكس هذه الآثار في السلوك الفردي، حيث يمكن قياسها من خلال كمية ونوعية التغيرات في السلوك. (Pynoos et al., 2014)

تأثيرات الصدمة على الأطفال:

من أبرز تأثيرات الصدمة على الأطفال ظهور اضطرابات نفسية وسلوكية متنوعة، منها القلق الشديد، والخوف من المجهول، وفقدان الشعور بالأمان، إضافة إلى الانطواء والهواجس المستمرة. (UNICEF, 2021) يشعر الطفل المصدوم أنه مهدد دوماً بالخطر وأن أسرته عاجزة عن حمايته، حتى وإن كانت هي مصدر أمانه الرئيسي.

أعراض الاضطرابات النفسية:

يشير ابن عزيمة والمحتسب (2014) إلى خمسة أنواع رئيسية من الأعراض النفسية الناتجة عن الصدمات:

1. أعراض جسدية: (Somatic symptoms) مثل الألم المستمر، الشعور بالتعب، ومشاكل النوم.
2. أعراض انفعالية: (Feeling emotional symptoms) أبرزها الشعور بالحزن والخوف.
3. أعراض معرفية: (Thinking cognitive symptoms) مثل التفكير في الانتحار، الخوف من الإيذاء، وعدم القدرة على التركيز أو تذكر المعلومات.
4. أعراض سلوكية: (Behaving behavioral symptoms) تتعلق بتصرفات المريض كالسلوك العدواني أو محاولة الانتحار.
5. أعراض خيالية: (Imagining-perceptual symptoms) تشمل الهلوسة، مثل سماع أصوات أو رؤية أشياء غير موجودة. (American Psychiatric Association, 2013)

الوضع النفسي والاجتماعي في السودان:

يؤدي استمرار النزاع إلى تفاقم الشعور باليأس لدى الشباب، الذين يشكلون غالبية السكان، خصوصاً مع غياب التعليم وتدهور الفرص الاقتصادية، مما يزيد مخاطر الانزلاق نحو التطرف أو الهجرة غير الشرعية. (OCHA, 2023) يشكل "الجيل الضائع" خطراً طويلاً الأمد على استقرار السودان، حيث يعني غياب التعليم نقص الكوادر المؤهلة لإعادة الإعمار في المستقبل. كما أن الحرب أدت إلى فقدان عدد كبير من أعضاء هيئة التدريس بسبب الهجرة أو الوفاة، بينما اضطر بعضهم للعمل في مهن أخرى بسبب توقف الرواتب وانهايار الاقتصاد. (Al-Sharq Al-Awsat, 2023)

لذلك، تزداد الحاجة إلى تدخل عاجل من المجتمع الدولي والمنظمات الإنسانية لتوفير التعليم في مخيمات النزوح، مع دعم نفسي واجتماعي للأطفال والشباب. ويبقى وقف الحرب واستعادة الاستقرار الخطوة الأساسية لتجنب فقدان جيل كامل ودفع السودان نحو مستقبل أفضل. (UNICEF, 2021)

إجراءات الدراسة الميدانية

أجريت الدراسة على كلية دلتا للعلوم والتكنولوجيا في أم درمان هي مؤسسة تعليمية تمنح درجة البكالوريوس في عدة برامج أكاديمية (17 برنامج من بكالوريوس ودبلوم ودبلوم عالي وماجستير)،. تأسست الكلية عام 2003، وتتميز بنظام تعليمي حديث وعصري. ولديها مقر رئيسي في ولاية الخرطوم (ام درمان) لكن اثناء الحرب لم تتوقف الدراسة عن بعد (الالكتروني) و انتقلت ادارة الكلية للدراسة في الولاية الشمالية مدينو مروي لإستكمال العملية التعليمية.

الهدف من الدراسة الميدانية

تهدف الدراسة الميدانية إلى استطلاع آراء وجهات نظر اعضاء هيئة التدريس والطلاب بكلية دلتا، والافراد ذوي الصلة لادارة الازمات في المؤسسات التعليمية في السودان وخاصة كلية دلتا في الفترة من 2023 -2025م.

مجتمع الدراسة

يتكون مجتمع الدراسة من العناصر التي يرى الباحث امكانية تعميم النتائج المرتبطة بمشكلة الدراسة عليها والمتمثل، بمنسوبي كلية دلتا.

عينة الدراسة

تتكون عينة الدراسة من منسوبي الكلية دلتا (اعضاء هيئة تدريس -طلاب)، تم الإعتماد على العينة الميسرة (غير إحتتمالية) لأنها تتيح للباحث جمع البيانات من أعضاء المجتمع الموجودين في ظروف مريحة للباحث لجمع البيانات تم تحديد حجم العينة على أساس أن حجم العينة 10% إذا كان المجتمع كبيراً وتتكون العينة من اعضاء هيئة التدريس والطلاب بكلية دلتا، تم اختيار عينة ميسرة للباحث من (61) مفردة من ذوي الاختصاص.

تحليل البيانات

الاستبانات الموزعة والمستلمة لعينة الدراسة

الأداة المستخدمة لجمع البيانات في هذه الدراسة هي الاستبانة، فقد تم توزيع (61) استمارة استبانة على مجتمع الدراسة لعينة طبقية قسدية من العاملين اعضاء هيئة التدريس والطلاب بكلية دلتا

جدول رقم (1)الاستبانات الموزعة والمستلمة

النسبة المئوية	الاستبانات المستلمة	الاستبانات الموزعة	عينة الدراسة
100%	41	41	عضو هيئة تدريس
100%	20	20	طلاب
100%	61	61	المجموع

المصدر: اعداد الباحث، بالاعتماد على بيانات الاستبانة، 2025م

يوضح الجدول رقم (1) عدد الاستبانات الموزعة والمستلمة التي أجري عليها التحليل وبلغت نسبة الاستجابة 100% وهذا يدل على أن أغلبية الاستبانات التي وزعت تم استلامها، هذه النسبة كافية لإجراء الاختبارات الإحصائية

والحصول على نتائج تعمم علي مجتمع الدراسة المعني.

التحليل الوصفي لبيانات الدراسة الميدانية

أولاً التحليل الوصفي للبيانات الشخصية

شملت عينة الدراسة الآتي:

1. الافراد من مختلف الفئات المستهدفة (عضو هيئة تدريس، طلاب).
2. الافراد من مختلف الفئات العمرية (اقل من 25 سنة، 25 سنة و اقل من 40 سنة، 40 سنة فأكثر).

1/ توزيع المبحوثين حسب الفئات المستهدفة

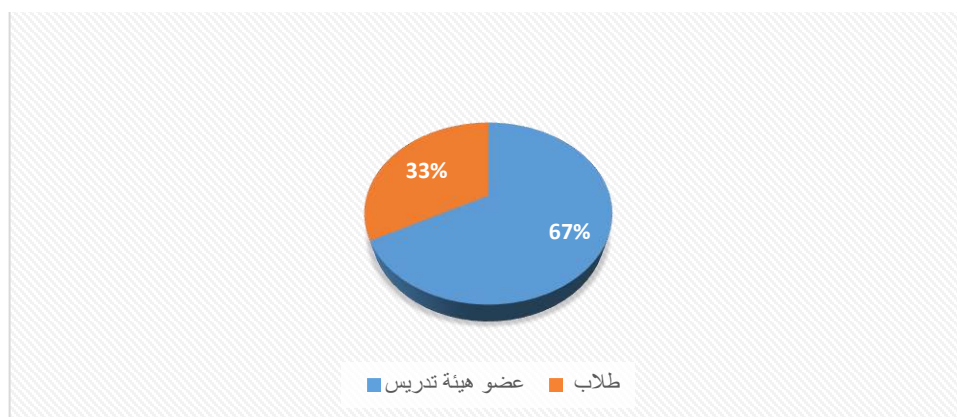
سئل المستقصى منهم عن الفئة المستهدفة، وقد حددت لهم خيارين. الجدول (2) والشكل رقم (1) يوضحان إجابات المستقصى منهم عن هذا المتغير.

جدول رقم (2) التوزيع التكراري للمبحوثين حسب الفئة المستهدف

الفئة المستهدفة	التكرار	النسبة المئوية
عضو هيئة تدريس	41	67.2
طلاب	20	22.8
المجموع	61	%100

المصدر: اعداد الباحث، بالاعتماد على بيانات الاستبانة، 2025م

الشكل رقم (2) رسم بياني لافراد للمبحوثين حسب الفئة المستهدفة



المصدر: اعداد الباحث، بالاعتماد على بيانات الاستبانة، 2025م

يتضح من الجدول رقم (2) والشكل رقم (1) ان اغلب أفراد العينة من اعضاء هيئة التدريس بتكرار بلغ (31) فرداً، اخيراً تلتها الأفراد من الطلاب بتكرار بلغ (20) فرداً.

2/ توزيع المبحوثين حسب العمر

سئل المستقصى منهم عن العمر، وقد حددت لهم (3) خيارات. الجدول (3) والشكل رقم (2) يوضحان إجابات المستقصى منهم عن هذا المتغير:

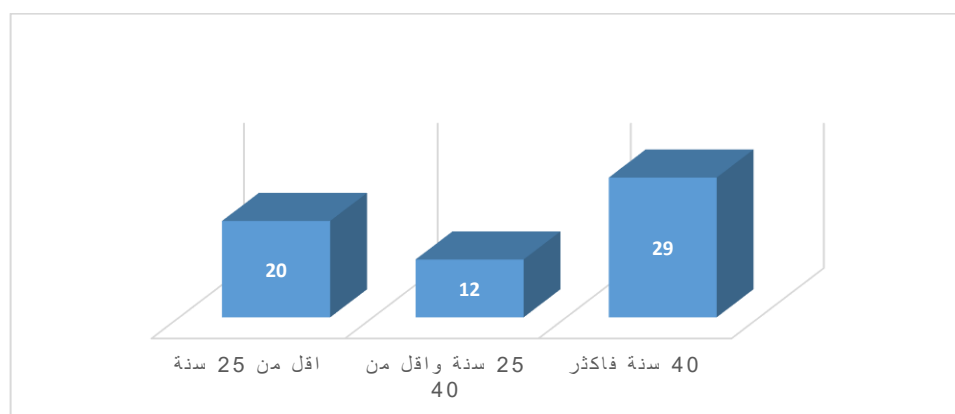
جدول رقم (3)

التوزيع التكراري للمبحوثين حسب متغير العمر

العمر	التكرار	النسبة المئوية
أقل من 25 سنة	20	22.8
25 سنة وأقل من 40	12	17.0
40 سنة فأكثر	29	15.0
المجموع	61	%100.00

المصدر: اعداد الباحث، بالاعتماد على بيانات الاستبانة، 2025م

الشكل رقم (2) رسم بياني لأفراد عينة الدراسة وفق متغير العمر



المصدر: اعداد الباحث، بالاعتماد على بيانات الاستبانة، 2025م

يتضح من الجدول رقم (3) والشكل رقم (2) ان اغلب أفراد العينة من الفئة العمرية (30 سنة فأكثر) بتكرار بلغ (29) فرداً، تلتها الفئة العمرية (أقل من 25 سنة) بتكرار بلغ (20) فرداً، أخيراً تلتها الفئة العمرية (25 سنة وأقل من 40 سنة) بتكرار بلغ (12) فرداً.

يرى الباحث ان غالبية افراد العينة تقع اعمارهم في المدى الطويل اي مزاولتهم لانشطتهم لفترات مناسبة وهذا يمكنهم من ابداء ارائهم بصورة علمية ومهنية جيدة.

استخدام اختبار كاي تربيع

1. اختبار الفرضية الاولى التي تنص على (العلاقة بين فعالية إدارة الأزمات واستمرارية العملية التعليمية)

لاختبار وجود فروق ذات دلالة احصائية بين أعداد الموافقين بشدة والموافقين والمحايدون وغير الموافقين وغير الموافقين بشدة لنتائج اعلاه تم استخدام اختبار مربع كاي لدلالة الفروق بين الاراء تجاه كل عبارات الفرضية الاولى ويوضح الجدول رقم (4) نتائج اختبار مربع كاي لدلالة الفروق لاراء الفرضية الاولى:

جدول رقم (4) نتائج اختبار مربع كاي لدلالة الفروق لاراء الفرضية الاولى

الرقم	العبارات	قيمة مربع كاي المحسوبة	درجة الحرية	قيمة مربع كاي الجدولية*	مستوى المعنوية
1.	تمكنت الكلية من الحفاظ على سير العملية التعليمية دون انقطاع خلال فترة الحرب	31.902	2	5.991	.000
2.	استطاعت إدارة الكلية اتخاذ قرارات سريعة وفعالة لضمان استمرارية التعليم	27.180	2	5.991	.000
3.	نجحت الكلية في توفير بيئة تعليمية آمنة للطلاب وأعضاء هيئة التدريس	68.508	3	7.815	.000
4.	استطاعت إدارة الأزمات في الكلية التعامل مع التحديات بكفاءة عالية	20.885	2	5.991	.000
5.	استطاعت الكلية الحفاظ على الأنشطة الأكاديمية الأساسية دون تأثر كبير	29.689	3	7.815	.000
6.	تمكنت إدارة الأزمات من توفير الموارد اللازمة لاستمرار العملية التعليمية	63.344	4	9.488	.000

(*) قيمة مربع كاي الجدولية محسوبة عند مستوى معنوية 5%

المصدر: اعداد الباحث، بالاعتماد على بيانات الاستبانة، 2016م

يمكن تفسير نتائج الجدول رقم (4) كالآتي:

- بلغت قيمة مربع كاي المحسوبة لدلالة الفروق بين افراد عينة الدراسة للعبارة الأولى (31.902) وهذه القيمة اكبر من قيمة مربع كاي الجدولية عند درجة حرية (2) ومستوى دلالة (5%) والبالغة (5.991) وعليه فأن ذلك يشير إلى وجود فروق ذات دلالة احصائية بين اجابات أفراد العينة.
- بلغت قيمة مربع كاي المحسوبة لدلالة الفروق بين افراد عينة الدراسة للعبارة الثانية (27.180) وهذه القيمة اكبر من قيمة مربع كاي الجدولية عند درجة حرية (2) ومستوى دلالة (5%) والبالغة (5.991) وعليه فأن ذلك يشير إلى وجود فروق ذات دلالة احصائية بين اجابات أفراد العينة.
- بلغت قيمة مربع كاي المحسوبة لدلالة الفروق بين افراد عينة الدراسة للعبارة الثالثة (68.508) وهذه القيمة اكبر من قيمة مربع كاي الجدولية عند درجة حرية (3) ومستوى دلالة (5%) والبالغة (7.815) وعليه فأن ذلك يشير إلى وجود فروق ذات دلالة احصائية بين اجابات أفراد العينة.
- بلغت قيمة مربع كاي المحسوبة لدلالة الفروق بين افراد عينة الدراسة للعبارة الرابعة (20.885) وهذه القيمة اكبر من قيمة مربع كاي الجدولية عند درجة حرية (2) ومستوى دلالة (5%) والبالغة (5.991) وعليه فأن ذلك يشير إلى وجود فروق ذات دلالة احصائية بين اجابات أفراد العينة.

• بلغت قيمة مربع كاي المحسوبة لدلالة الفروق بين افراد عينة الدراسة للعبارة الخامسة (29.689) وهذه القيمة اكبر من قيمة مربع كاي الجدولية عند درجة حرية (3) ومستوى دلالة (5%) والبالغة (7.815) وعليه فإن ذلك يشير إلى وجود فروق ذات دلالة احصائية بين اجابات أفراد العينة.

• بلغت قيمة مربع كاي المحسوبة لدلالة الفروق بين افراد عينة الدراسة للعبارة السادسة (29.689) وهذه القيمة اكبر من قيمة مربع كاي الجدولية عند درجة حرية (3) ومستوى دلالة (5%) والبالغة (9.488) وعليه فإن ذلك يشير إلى وجود فروق ذات دلالة احصائية بين اجابات أفراد العينة.

يستنتج الباحث بأن فرضية الدراسة التي نصت على ان (العلاقة بين فعالية إدارة الأزمات واستمرارية العملية التعليمية)، تم التحقق من صحة عبارات الفرضية الاولى.

2. اختبار الفرضية الثانية التي تنص على (العلاقة بين التخطيط المسبق لإدارة الأزمات وتقليل الآثار السلبية)

لاختبار وجود فروق ذات دلالة احصائية بين أعداد الموافقين بشدة والموافقين والمحايدين وغير الموافقين وغير الموافقين بشدة لنتائج اعلاه تم استخدام اختبار مربع كاي لدلالة الفروق بين الاراء تجاه كل عبارات الفرضية الثانية ويوضح الجدول رقم (5) نتائج اختبار مربع كاي لدلالة الفروق لاراء الفرضية الثانية:

جدول رقم (5) نتائج اختبار مربع كاي لدلالة الفروق لاراء الفرضية الثانية

الرقم	العبارات	قيمة مربع كاي المحسوبة	درجة الحرية	قيمة مربع كاي الجدولية*	مستوى المعنوية
1.	وضعت الكلية خططاً واضحة ومفصلة للتعامل مع الأزمات قبل حدوثها	17.230	3	7.815	.001
2.	تم تحديد السيناريوهات المختلفة للأزمات المحتملة ووضع حلول مناسبة لكل منها	38.590	4	9.488	.000
3.	ساهم التخطيط المسبق في تقليل الوقت المطلوب للاستجابة للأزمة	34.410	3	7.815	.000
4.	أدى التخطيط المسبق إلى تقليل التأثير السلبي للأزمة على الطلاب	28.115	3	7.815	.000
5.	ساهمت الخطط المعدة مسبقاً في الحفاظ على معنويات أعضاء هيئة التدريس	37.607	4	9.488	.000
6.	نجح التخطيط المسبق في الحفاظ على سمعة الكلية خلال فترة الأزمة	45.951	3	7.815	.000

(*) قيمة مربع كاي الجدولية محسوبة عند مستوى معنوية 5%

المصدر: اعداد الباحث، بالاعتماد على بيانات الاستبانة، 2016م

يمكن تفسير نتائج الجدول رقم (5) كالآتي:

- بلغت قيمة مربع كاي المحسوبة لدلالة الفروق بين افراد عينة الدراسة للعبارة الأولى (17.230) وهذه القيمة اكبر من قيمة مربع كاي الجدولية عند درجة حرية (3) ومستوى دلالة (5%) والبالغة (7.815) وعليه فأن ذلك يشير إلى وجود فروق ذات دلالة احصائية بين اجابات أفراد العينة.
 - بلغت قيمة مربع كاي المحسوبة لدلالة الفروق بين افراد عينة الدراسة للعبارة الثانية (38.590) وهذه القيمة اكبر من قيمة مربع كاي الجدولية عند درجة حرية (3) ومستوى دلالة (5%) والبالغة (9.488) وعليه فأن ذلك يشير إلى وجود فروق ذات دلالة احصائية بين اجابات أفراد العينة.
 - بلغت قيمة مربع كاي المحسوبة لدلالة الفروق بين افراد عينة الدراسة للعبارة الثالثة (34.410) وهذه القيمة اكبر من قيمة مربع كاي الجدولية عند درجة حرية (3) ومستوى دلالة (5%) والبالغة (7.815) وعليه فأن ذلك يشير إلى وجود فروق ذات دلالة احصائية بين اجابات أفراد العينة.
 - بلغت قيمة مربع كاي المحسوبة لدلالة الفروق بين افراد عينة الدراسة للعبارة الرابعة (28.115) وهذه القيمة اكبر من قيمة مربع كاي الجدولية عند درجة حرية (3) ومستوى دلالة (5%) والبالغة (7.815) وعليه فأن ذلك يشير إلى وجود فروق ذات دلالة احصائية بين اجابات أفراد العينة.
 - بلغت قيمة مربع كاي المحسوبة لدلالة الفروق بين افراد عينة الدراسة للعبارة الخامسة (37.607) وهذه القيمة اكبر من قيمة مربع كاي الجدولية عند درجة حرية (3) ومستوى دلالة (5%) والبالغة (9.488) وعليه فأن ذلك يشير إلى وجود فروق ذات دلالة احصائية بين اجابات أفراد العينة.
 - بلغت قيمة مربع كاي المحسوبة لدلالة الفروق بين افراد عينة الدراسة للعبارة السادسة (5.9513) وهذه القيمة اكبر من قيمة مربع كاي الجدولية عند درجة حرية (3) ومستوى دلالة (5%) والبالغة (7.815) وعليه فأن ذلك يشير إلى وجود فروق ذات دلالة احصائية بين اجابات أفراد العينة.
- يستنتج الباحث بأن فرضية الدراسة التي نصت على ان (العلاقة بين التخطيط المسبق لإدارة الأزمات وتقليل الآثار السلبية)، تم التحقق من صحة عبارات الفرضية الثانية.

3. اختبار الفرضية الثالثة التي تنص على (العلاقة بين استخدام التكنولوجيا في التعليم عن بعد ومستوى رضا الطلاب وأعضاء هيئة التدريس)

لاختبار وجود فروق ذات دلالة احصائية بين أعداد الموافقين بشدة والموافقين والمحايدين وغير الموافقين وغير الموافقين بشدة لنتائج اعلاه تم استخدام اختبار مربع كاي لدلالة الفروق بين الاراء تجاه كل عبارات الفرضية الثالثة ويوضح الجدول رقم (6) نتائج اختبار مربع كاي لدلالة الفروق لاراء الفرضية الثالثة:

جدول رقم (6) نتائج اختبار مربع كاي لدلالة الفروق لآراء الفرضية الثالثة

الرقم	العبارات	قيمة مربع كاي المحسوبة	درجة الحرية	قيمة مربع كاي الجدولية *	مستوى المعنوية
1.	ساهمت التكنولوجيا المستخدمة في تسهيل عملية التعلم للطلاب	41.754	3	7.815	.000
2.	أبدى أعضاء هيئة التدريس رضاهم عن فعالية أدوات التعليم الإلكتروني	28.770	3	7.815	.000
3.	تمكن الطلاب من التفاعل بشكل مرضٍ مع المحتوى التعليمي الإلكتروني	14.475	3	7.815	.002
4.	شعر أعضاء هيئة التدريس بأن التكنولوجيا عززت من قدرتهم على التدريس	23.656	3	7.815	.000
5.	أبدى أعضاء هيئة التدريس رضاهم عن أدوات التقييم الإلكترونية	18.541	3	7.815	.000
6.	أعرب الطلاب عن رضاهم عن تنوع الوسائل التعليمية الإلكترونية المستخدمة	17.492	3	7.815	.001

(*) قيمة مربع كاي الجدولية محسوبة عند مستوى معنوية 5%

المصدر: اعداد الباحث، بالاعتماد على بيانات الاستبانة، 2016م

يمكن تفسير نتائج الجدول رقم (6) كالآتي:

- بلغت قيمة مربع كاي المحسوبة لدلالة الفروق بين افراد عينة الدراسة للعبارة الأولى (1.7543) وهذه القيمة اكبر من قيمة مربع كاي الجدولية عند درجة حرية (3) ومستوى دلالة (5%) والبالغة (7.815) وعليه فأن ذلك يشير إلى وجود فروق ذات دلالة احصائية بين اجابات أفراد العينة.
- بلغت قيمة مربع كاي المحسوبة لدلالة الفروق بين افراد عينة الدراسة للعبارة الثانية (28.770) وهذه القيمة اكبر من قيمة مربع كاي الجدولية عند درجة حرية (3) ومستوى دلالة (5%) والبالغة (7.815) وعليه فأن ذلك يشير إلى وجود فروق ذات دلالة احصائية بين اجابات أفراد العينة.
- بلغت قيمة مربع كاي المحسوبة لدلالة الفروق بين افراد عينة الدراسة للعبارة الثالثة (14.475) وهذه القيمة اكبر من قيمة مربع كاي الجدولية عند درجة حرية (3) ومستوى دلالة (5%) والبالغة (7.815) وعليه فأن ذلك يشير إلى وجود فروق ذات دلالة احصائية بين اجابات أفراد العينة.
- بلغت قيمة مربع كاي المحسوبة لدلالة الفروق بين افراد عينة الدراسة للعبارة الرابعة (23.656) وهذه القيمة اكبر من قيمة مربع كاي الجدولية عند درجة حرية (3) ومستوى دلالة (5%) والبالغة (7.815) وعليه فأن ذلك يشير إلى وجود فروق ذات دلالة احصائية بين اجابات أفراد العينة.

- بلغت قيمة مربع كاي المحسوبة لدلالة الفروق بين افراد عينة الدراسة للعبارة الخامسة (18.541) وهذه القيمة اكبر من قيمة مربع كاي الجدولية عند درجة حرية (3) ومستوى دلالة (5%) والبالغة (7.815) وعليه فإن ذلك يشير إلى وجود فروق ذات دلالة احصائية بين اجابات أفراد العينة.
 - بلغت قيمة مربع كاي المحسوبة لدلالة الفروق بين افراد عينة الدراسة للعبارة السادسة (17.492) وهذه القيمة اكبر من قيمة مربع كاي الجدولية عند درجة حرية (3) ومستوى دلالة (5%) والبالغة (7.815) وعليه فإن ذلك يشير إلى وجود فروق ذات دلالة احصائية بين اجابات أفراد العينة.
- يستنتج الباحث بأن فرضية الدراسة التي نصت على ان (العلاقة بين استخدام التكنولوجيا في التعليم عن بعد ومستوى رضا الطلاب وأعضاء هيئة التدريس)، تم التحقق من صحة عبارات الفرضية الثالثة.

الخاتمة:

أولاً: النتائج:

1. إدارة الازمات ساهمت في استمرارية العملية التعليمية خلال فترة الحرب
2. تمكنت الكلية من الحفاظ على سير العملية التعليمية دون انقطاع خلال فترة الحرب
3. استطاعت إدارة الكلية اتخاذ قرارات سريعة وفعالة لضمان استمرارية التعليم
4. نجحت الكلية في توفير بيئة تعليمية آمنة للطلاب وأعضاء هيئة التدريس
5. استطاعت إدارة الأزمات في الكلية التعامل مع التحديات بكفاءة عالية
6. استطاعت الكلية الحفاظ على الأنشطة الأكاديمية الأساسية دون تأثر كبير
7. وضعت الكلية خططاً واضحة ومفصلة للتعامل مع الأزمات قبل حدوثها
8. ساهمت الخطط المعدة مسبقاً في الحفاظ على معنويات أعضاء هيئة التدريس
9. ساهمت التكنولوجيا المستخدمة في تسهيل عملية التعلم للطلاب
10. تمكن الطلاب من التفاعل بشكل مرضٍ مع المحتوى التعليمي الإلكتروني

ثانياً: التوصيات:

1. ضرورة تفعيل ادارة الازمات في المؤسسات التعليمية في زمن الحرب.
2. ضرورة تطبيق نظام التعليم عن بعد (التعليم الالكتروني) في ظل وجود الازمات لضمان استمرار وجود العملية التعليمية بالجامعات
3. الاستفادة من تجارب ذوي الخبرة في مجال التعليم الالكتروني
4. ضرورة الاستفادة من التكنولوجيا الحديثة في مجال التعليم.
5. ضرورة التخطيط الجيد للتعامل مع الازمات والتحديات التي تواجه الجامعات و الكليات في السودان

ثالثاً: المراجع والمصادر:

1. بن عزيزة، والمحتسب (2014). الصدمة النفسية والاضطرابات السلوكية. دار الفكر.
2. الكامل، عبد الوهاب محمد (2003) سيكولوجية إدارة الأزمات المدرسية. عمان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
3. الموسى، ناهد بنت عبد الله. (2006). إدارة الأزمات في مدارس التعليم العام بمدينة الرياض. رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الملك سعود.
4. (حرب الجنرالين) تدمير مؤسسات التعليم في السودان، صحيفة الشرق الأوسط، 25 يوليو 2023م.
5. أبو الغنم، غدير، الخدام، حمزة ونعيمات، محمد (2016): الآثار النفسية للحرب على المجتمع الليبي، المنظمة الليبية للسياسات والاستراتيجيات.
6. أحمد مختار الجمال، المفاوضات وإدارة الأزمات، مجلة السياسة الدولية القاهرة، مؤسسة الأهرام، العدد 107، كانون الثاني 1992، ص 238.
7. الأزمات المدرسية وأساليب التعامل معها كما يدركها مديرو مدارس المرحلة الثانوية بدولة الكويت، سميرة محمد عبد الوهاب ومحمد رشدي المدرسي، إدارة البحوث التربوية، الكويت 2012م، ص 40.
8. أسامة عبد الرحمن إدارة الأزمات في المؤسسات التعليمية، ص 6، 2002.
9. أمينة مصطفى صادق، إدارة الأزمات والكوارث، ط1، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2002م، ص 37.
10. اوما سيكاران، طرق البحث في الإدارة - مدخل لبناء المهارات البحثية، تعريب إسماعيل علي بسيوني، (الرياض: دار المريخ للطباعة والنشر، 2006)، ص 396.
11. الحرب في السودان وتأثيرها على تكوين " جيل ضائع " يعاني من نقص التعليم والاستقرار، ملفات عربييه 23 نوفمبر 2024م (قناة اخبارية على النت).
12. الحملوي، محمد رشاد. إدارة الأزمات، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 1997، ص 24.
13. د. مصطفى فؤاد عبيد، مهارات البحث العلمي، (غزة: أكاديمية الدراسات العالمية، 2003م)، ص 31.
14. د. نبيلة علي أحمد الشويح، اثر الحرب النفسية والسلوكية على الأطفال في مرحلة التعليم الأساسي في اليمن " منطقة بني الحارث في أمانة العاصمة نموذجاً " مجلة الأندلس للعلوم الانسانية والاجتماعية العدد (47) المجلد (8) يوليو - سبتمبر 2021م.
15. دكتور محمد عبد الله كوكو، التحديات التي تواجه التعليم في السودان وكيف تصل إلي جودة التعليم بعد الحرب، 1 أكتوبر 2004، موقع الحاكم نيوز الإلكتروني.
16. الشبكة المشتركة لوكالات التعلم في حالات الطوارئ 2020م.
17. عباس رشدي العماري إدارة الأزمة الدولية المعاصرة، مجلة السياسة الدولية، العدد 90. عام 1987، ص 231.

18. عصام عبد اللطيف، استراتيجية التعامل مع الأزمات والكوارث، بنو البنك الدولية للنشر والتدريب طبع 2016م، ص 94-96
19. غسان قاسم داود اللامي، خالد عبد الله ابراهيم العيسوي: مكتبة بيور الالكترونية (علاء الجيوري) 2020م ص 43
20. فريق التحرير، فهم تحديات التعليم في السودان: 5 مجالات عاجلة، 7 نوفمبر 2023، أندريا منصة ثقافية رقمية
21. فليب ويليامز، إدارة الأزمة، ترجمة مركز البحوث والمعلومات بغداد، مركز البحوث والمعلومات، 1986، ص 83.
22. كامل عبد الوهاب محمد (2003) سيكلوجية إدارة الأزمات المدرسية عمان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
23. محمد الفاتح محمد البشر المطيري، إدارة الكوارث والأزمات، ط1 القاهرة: الشركة المصرية المتحدة للتسويق والتوريدات، 2011م، ص 106.
24. محمد سرور، إدارة الأزمات المشكلات الاقتصادية والمالية والإدارية، دار البداية ط1 2010م، ص 43 - 47
25. محمود محمد ابراهيم، إدارة الكوارث والأزمات، الخرطوم: دار النشر، 2009م ص 7.
26. مقالة خاصة: عام على الحرب في السودان.. مخاوف من ضياع المستقبل جيل من الطلاب بسبب تعطل العملية التعليمية، الخرطوم 16 أبريل (شينخوا) ARABIC.EWS.CN
27. موسى. ناهد بنت عبد الله بن عبد الوهاب (2006) إدارة الأزمات في مدارس التعليم العام بمدينة الرياض (رسالة دكتوراة غير منشورة)، جامعة الملك سعود.

المراجع الأجنبية:

- Al-Sharq Al-Awsat. (2023, July 25). *War devastates educational institutions in Sudan*.
- American Psychiatric Association. (2013). *Diagnostic and statistical manual of mental disorders* (5th ed.). APA Publishing.
- Coombs, W. T. (2014). *Ongoing crisis communication: Planning, managing, and responding* (4th ed.). SAGE Publications.
- Fink, S. (1986). *Crisis management: Planning for the inevitable*. American Management Association.
- Hermann, C. F. (1963). Some consequences of crisis which limit the viability of organizations. *Administrative Science Quarterly*, 8(1), 61-82.
- Holsti, O. R. (1972). *International politics: A framework for analysis*. Prentice-Hall.
- INEE (Inter-Agency Network for Education in Emergencies). (2020). *Minimum standards for education: Preparedness, response, recovery*. <https://inee.org/>
- Kamel, A. (2003). *Psychology of school crisis management*. Dar Al-Fikr.
- Mitroff, I. I. (2004). *Crisis leadership: Planning for the unthinkable*. Wiley.

- OCHA. (2023). *Sudan humanitarian situation report*. United Nations Office for the Coordination of Humanitarian Affairs.
- Pearson, C. M., & Clair, J. A. (1998). Reframing crisis management. *Academy of Management Review*, 23(1), 59-76.
- Pynoos, R. S., Steinberg, A. M., & Piacentini, J. C. (2014). A developmental psychopathology model of childhood traumatic stress and intersection with anxiety disorders. *Biological Psychiatry*, 46(11), 1542-1554.
- UNESCO. (2020). *Education: From disruption to recovery*. <https://www.unesco.org/>
- UNICEF. (2021). *Child mental health and psychosocial well-being during crises*. <https://www.unicef.org/>
- UNICEF. (2023). *Sudan education crisis amid conflict*. <https://www.unicef.org/>
- World Bank. (2021). *The state of global learning poverty*. <https://www.worldbank.org/>

عنوان البحث

**تقييم نموذج سلسلة التجهيز الذكية: دراسة حالة في الشركة العامة لصناعات
النسيج والجلود**

أ.د. زهرة عبد محمد¹

¹ جامعة مستنصرية، كلية الإدارة والاقتصاد، قسم إدارة الأعمال، بغداد - العراق.

بريد الكتروني: zahra_abd@uomustansiriyah.edu.iq

HNSJ, 2025, 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/24>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/68/24>

تاريخ النشر: 2025/08/01م

تاريخ القبول: 2025/07/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/07/07م

المستخلص

شهدت سلاسل التجهيز تطوراً عبر مرورها بعدة أجيال تمثلت بسلاسل التجهيز التقليدية، سلاسل التجهيز الرشيق، سلاسل التجهيز المتسارعة، سلاسل التجهيز الخضراء، سلاسل التجهيز المستدامة، و سلاسل التجهيز الذكية. وفي السنوات الأخيرة، برزت سلاسل التجهيز الذكية للشركات كمسألة تتعلق بالميزة التنافسية في البيئة العالمية المتغيرة باستمرار. تمثلت مشكلة البحث في وجود ضعف كبير و عدم اهتمام ادارة الشركة العامة لصناعات النسيج والجلود في تطبيق سلاسل التجهيز الذكية. لذلك هدف البحث الى تشخيص الفجوة بين الواقع الفعلي في الشركة العامة لصناعات النسيج والجلود و بين نموذج سلسلة التجهيز الذكية (SSCM) Smart Supply Chain Model . وتكمن أهمية البحث في أن تقييم نموذج سلسلة التجهيز الذكية باستخدام قوائم الفحص سيقدم رؤية واضحة لقياس الأداء الحالي لسلاسل التجهيز الذكية في الشركة العامة لصناعات النسيج والجلود. ولتحقيق هدف البحث تم تصميم ثلاث قوائم فحص تضمنت (38) سؤالاً. واعتمد البحث على منهج دراسة الحالة باعتباره المنهج الذي يجمع بين أكثر من أسلوب بحثي في آن واحد. وقد تم اختيار الشركة العامة لصناعات النسيج والجلود مجتمعاً للبحث. توصل البحث إلى أنه هناك فجوة كبيرة في التطبيق بين الواقع الفعلي لسلاسل التجهيز في الشركة العامة لصناعات النسيج والجلود و نموذج سلسلة التجهيز الذكية، إذ بلغ حجم الفجوة نسبة (68%) بسبب التطبيق الضعيف لأبعاد نموذج سلسلة التجهيز الذكية وبنسبة تطبيق بلغت (32%). يوصي البحث ادارة الشركة العامة لصناعات النسيج والجلود بالشروع بتطبيق نموذج سلسلة التجهيز الذكية.

الكلمات المفتاحية: تقنيات الصناعة 4.0، سلاسل التجهيز الذكية، نموذج سلسلة التجهيز الذكية.

RESEARCH TITLE

Evaluation of the Smart Supply Chain Model: A Case Study in the General Company for Textile and Leather Industries

Abstract

Supply chains have evolved through several generations, including traditional supply chains, lean supply chains, agility supply chains, green supply chains, sustainable supply chains, and smart supply chains. In recent years, smart supply chains have emerged as a key competitive advantage for companies in an ever-changing global environment. The research problem was represented by the significant weakness and lack of interest of the management of the State Company of Textile and Leather Industries in implementing smart supply chains. Therefore, the research aimed to diagnose the gap between the actual reality in the State Company of Textile and Leather Industries and the Smart Supply Chain Model (SSCM). The importance of the research lies in the fact that evaluating the smart supply chain model using checklists will provide a clear vision for measuring the current performance of smart supply chains in the State Company of Textile and Leather Industries. To achieve the research objective, three checklists were designed that included (38) questions. The research relied on the case study approach as it is the approach that combines more than one research method at the same time. The State Company of Textile and Leather Industries was selected as the research community. The research found that there is a large gap in implementation between the actual reality of the supply chains in the State Company of Textile and Leather Industries and the smart supply chain model, as the size of the gap reached (68%) due to the weak implementation of the dimensions of the smart supply chain model, with an implementation rate of (32%). The study recommends that the management of the State Company of Textile and Leather Industries begin implementing a smart supply chain model.

Key Words: Industry 4.0 technologies, Smart Supply Chains, Smart Supply Chain Model.

المقدمة

تتبنى المنظمات التصنيعية تقنيات الصناعة 4.0 الناشئة لإنشاء مصانع ذكية مدفوعة بالذكاء الصناعي. هذا الاتجاه، بدوره، يحفز ظهور سلاسل التجهيز الذكية التي يمكن أن تتزامن وتدعم التطور السريع للممارسات الصناعية المتقدمة. وعلى وجه التحديد، يبرز الذكاء الاصطناعي (AI) والتعلم الآلي (ML) كتقنيات رائدة حيوية يمكن أن تساعد الشركات على تعزيز هوامش الربح، وخفض كلف سلاسل التجهيز، وتقديم خدمة الزبائن ممتازة، وجعل سلاسل التجهيز الخاصة بها ذكية. و تطبق سلاسل التجهيز الذكية على نطاق واسع في الأوساط الأكاديمية و الصناعة لوصف التغييرات الاجتماعية والتقنية المستمرة التي تدفعها الصناعة 4.0 إلى شبكات التجهيز. ومن المتوقع أن تؤدي تقنيات الصناعة 4.0 المستخدمة في سلاسل التجهيز إلى مجموعة متنوعة من التحسينات في مجالات متعددة، بما في ذلك التعاون ومشاركة البيانات، الشفافية، التكامل والشراكات، المرونة، الاستجابة، الكفاءة، والابداع في العمليات والمنتجات.

إن العمليات التجارية الحرجة (مثل قرارات الشراء، واختيار المجهزين، والتخطيط وتنسيق عمليات الإنتاج والتوزيع، وتلقي تعليقات الزبائن والرد على طلباتهم بشكل فعال، والتسليم وخدمة ما بعد البيع) أصبح من الممكن دعمها ومراقبتها وتتبعها في الوقت الفعلي من خلال التكيف مع سلاسل التجهيز الرقمية. كما أصبح التحكم في البيانات الضخمة المتزايدة بسرعة والمتغيرات المعقدة على نطاق عالمي واستخدامها لصالح سلاسل التجهيز المستدامة والذكية.

في بيئة اليوم التنافسية، تواجه الشركات ضغوطاً سوقية شديدة واستجابةً لهذه الضغوط، تسعى الشركات إلى تحقيق الكفاءة والفعالية. ولا يكفي إنتاج السلع والخدمات مع تقليل الكلف، بل يجب على الشركات تقديم حلول ذكية تلبي احتياجات الزبائن. ويطلب الزبائن بالتسليم السريع لمنتجات وخدمات أكثر تخصصاً، الأمر الذي يجبر المجهزين والمصنعين والموزعين على تبسيط سلاسل التجهيز

تضمن البحث اربع مباحث، فقد تضمن المبحث الأول منهجية البحث، فيما ركز المبحث الثاني على المرتكزات المعرفية سلاسل التجهيز الذكية، وركز المبحث الثالث على الجانب العملي للبحث والذي ركز على تشخيص الفجوة بين الواقع الفعلي في الشركة العامة للصناعات النسيج والجلود و بين نموذج سلسلة التجهيز الذكية، فيما ركز المبحث الرابع على الاستنتاجات والتوصيات.

المبحث الأول: منهجية البحث

أولاً: مشكلة البحث

في القرن الماضي شهدت سلاسل التجهيز تغيرات هائلة من سلاسل التجهيز التقليدية، سلاسل التجهيز الرشيق، سلاسل التجهيز المتسارعة، سلاسل التجهيز الخضراء، سلاسل التجهيز المستدامة والى سلاسل التجهيز الذكية. فالشركات الصناعية العراقية ما زالت تعاني من ضعف كبير في تطبيق تقنيات الصناعة 4.0 في سلاسل التجهيز. ومن هذا المنطلق فان مشكلة البحث تكمن في وجود ضعف كبير و عدم اهتمام ادارة الشركة العامة للصناعات النسيج والجلود في تطبيق تقنيات الصناعة 4.0 في سلاسل التجهيز الخاصة بها لتكن سلاسل تجهيز ذكية، لذلك جاء هذا البحث ليقوم مدى تطبيق نموذج سلسلة التجهيز الذكية في الشركة العامة للصناعات النسيج والجلود. ويمكن صياغة تساؤلات المشكلة بالآتي:-

- 1- هل لدى إدارة شركة العامة للصناعات النسيج والجلود معرفة واضحة عن سلاسل التجهيز الذكية؟
- 2- هل لدى إدارة الشركة العامة للصناعات النسيج والجلود عينة البحث معرفة بتقنيات الصناعة 4.0 المطبقة في سلاسل التجهيز؟
- 3- هل لدى إدارة شركة العامة للصناعات النسيج والجلود معرفة عن ماذا يتضمن نموذج سلسلة التجهيز الذكية؟
- 4- هل توجد فجوة بين الواقع الفعلي لسلاسل التجهيز في الشركة العامة للصناعات النسيج والجلود وبين نموذج سلسلة التجهيز الذكية ؟

ثانياً: أهداف البحث

يهدف البحث الى:-

- 1- التعرف على نموذج سلسلة التجهيز الذكية.
- 2- تصميم قوائم فحص لنموذج سلسلة التجهيز الذكية يمكن تطبيقها في جميع الشركات الصناعية.
- 3- تشخيص الفجوة بين الواقع الفعلي للشركة العامة للصناعات النسيج والجلود و بين نموذج سلسلة التجهيز الذكية.
- 4- تحليل اسباب الفجوة في كل بعد من ابعاد نموذج سلسلة التجهيز الذكية في الشركة العامة للصناعات النسيج والجلود.

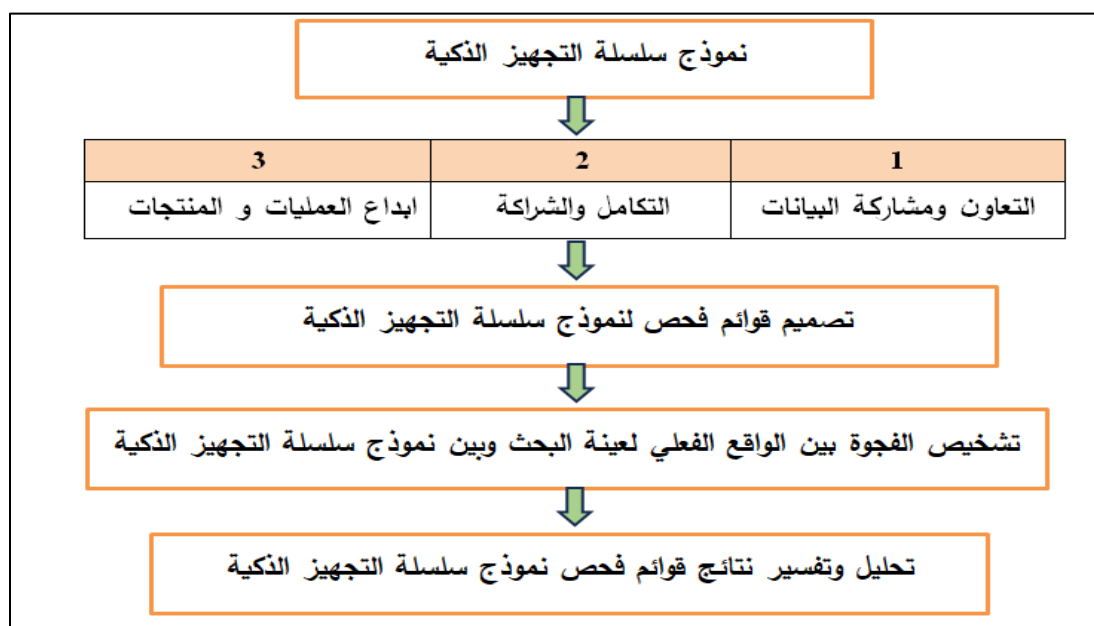
ثالثاً: أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في:-

- 1- التعرف على المرتكزات المعرفية لسلاسل التجهيز الذكية سيما أنه لا تزال سلاسل التجهيز الذكية قيد التطوير، لذلك يعد البحث الحالي مساهمة متواضعة لرصد المكتبة العلمية ببحث حول سلاسل التجهيز الذكية.
- 2- يعد نموذج سلسلة التجهيز الذكية (SSCM) نموذجاً مطوراً لتطبيق سلسلة التجهيز الذكية.
- 3- سيساعد نموذج سلسلة التجهيز الذكية (SSCM) المدراء والمسؤولين والقائمين على الشركات الصناعية في تطبيق سلاسل التجهيز الذكية.
- 4- إن تقييم نموذج سلسلة التجهيز الذكية باستخدام قوائم الفحص سيقدم رؤية واضحة لقياس الأداء الحالي لسلاسل التجهيز الذكية في الشركة العامة للصناعات النسيج والجلود.
- 5- تقديم بعض التوصيات التي تسهم في تطبيق سلاسل التجهيز الذكية في الشركة العامة للصناعات النسيج والجلود.

رابعاً: المخطط الاجرائي للبحث

في ضوء مشكلة البحث واهدافه وأهميته تم تصميم المخطط الاجرائي للبحث، وكما موضح في الشكل (1).



شكل رقم (1): المخطط الاجرائي للبحث

المصدر: اعداد الباحثة

خامساً: منهج البحث.

اعتمد البحث على منهج دراسة الحالة باعتباره المنهج الذي يجمع بين أكثر من أسلوب بحثي في آن واحد. وقد تم الاعتماد على المقابلات الشخصية للمسؤولين في الإدارة العليا والمسؤولين في مختلف الأقسام الفنية، والإدارية، كما اعتمدت الباحثة على المشاهدات الميدانية للتحقق من صحة المعلومات الواردة في إجابات قائمة فحص، وكذلك مراجعة السجلات والوثائق الخاصة بالشركة بوصفها مصدراً مهماً في الاطلاع على البيانات والمعلومات المتعلقة بالبحث.

سادساً: أساليب جمع المعلومات والبيانات والمعلومات

اعتمد البحث الأساليب الآتية لجمع المعلومات والبيانات من خلال:-

- 1- الجانب النظري: جرى تغطية الجانب النظري من خلال الكتب الأجنبية، الرسائل الجامعية العراقية، والدوريات والأجنبية.
- 2- الجانب العملي: اعتمد البحث المصادر المختلفة لجمع البيانات لاستكمال الجانب العملي وعلى النحو الآتي:-
أ- قائمة الفحص: لغرض تحليل البيانات استخدمت قائمة الفحص (Check List) كأداة رئيسة لجمع البيانات المتعلقة بالجانب العملي لتشخيص الفجوة بين الواقع الفعلي و نموذج سلسلة التجهيز الذكية. وبهدف الوصول لأكبر دقة ممكنة استخدام المقياس الخماسي لتحديد مدى مطابقة التطبيق الفعلي لنموذج سلسلة التجهيز الذكية. والجدول (1) يبين فقرات المقياس وأوزانها.

جدول (1): المقياس الخماسي لتحديد مدى مطابقة تطبيق نموذج سلسلة التجهيز الذكية

فقرات المقياس الخماسي	مطبق كلياً	مطبق جزئياً	مطبق نوعاً ما	مطبق بشكل ضعيف	غير مطبق
وزن فقرة المقياس	4	3	2	1	0

المصدر: حسن، تقى علي، (2019)، تقييم متطلبات عمليات إدارة المشروعات على وفق دليل (PMBOK:2017) / دراسة حالة في شركة الفاروق للمقاولات العامة، رسالة ماجستير في علوم إدارة الأعمال، كلية الإدارة والاقتصاد، الجامعة المستنصرية، العراق، ص 9.

وقد تصميم قوائم الفحص على ضوء نموذج سلسلة التجهيز الذكية والتي تضمنت (38) سؤالاً، وكما موضحة في الجدول (2). وقد تم تصميم قوائم الفحص لكي تخدم جميع الشركات الصناعية.

جدول (2): تصميم قوائم الفحص لنموذج سلسلة التجهيز الذكية

ت	نموذج سلسلة التجهيز الذكية	عدد فقرات الاسئلة
1-	التعاون ومشاركة البيانات	11
2-	التكامل والشراكة	11
3-	ابداع العمليات و المنتجات	16
	المجموع	38

المصدر: اعداد الباحثة

ب المعاشية الميدانية: أجريت عدد من الزيارات المستمرة إلى الشركة العامة لصناعات النسيج والجلود عينة البحث للتعرف على واقع وطبيعة العمل والملاحظة المباشرة لسير الأعمال وأساليب العمل المتبعة ومدى استخدام التكنولوجيا الحديثة في عمليات سلاسل التجهيز .

ج- المقابلات الشخصية: تم إجراء العديد من المقابلات الشخصية مع مدير قسم البحث والتطوير، مدير قسم الانتاج، مدير قسم التجارية (المشتريات)، مدير قسم التسويق، ومدير قسم نظم المعلومات، وعدد من الموظفين من المهندسين والفنيين العاملين في مختلف الأقسام والشعب والوحدات الفنية والادارية في الشركة لجمع البيانات.

د- الوثائق والسجلات الخاصة بالشركة: جرى الاطلاع على التقارير والسجلات والنشرات الخاصة بالشركة العامة لصناعات النسيج والجلود.

سابعاً: الأدوات والأساليب الإحصائية المستخدمة في البحث

لقد تم استخدام الأدوات الإحصائية في احتساب حجم الفجوة وكما يأتي (حسن، 2019:9):-

1- الوسط الحسابي المرجح: يعد الوسط الحسابي من أهم مقاييس النزعة المركزية وسيستخدم لغرض معرفة معدل التطبيق لنموذج سلسلة التجهيز الذكية، وحسب الصيغة الآتية:

$$\text{الوسط الحسابي المرجح} = \frac{\text{مج (الأوزان} \times \text{تكراراتها)}}{\text{مجموع التكرارات}}$$

2- النسبة المئوية للتطبيق: تعبر النسبة المئوية للتطبيق عن مدى المطابقة لكل بعد من ابعاد نموذج سلسلة التجهيز الذكية، ويحسب وفق الصيغة الآتية:

$$\text{النسبة المئوية للتطبيق} = \frac{\text{الوسط الحسابي المرجح}}{4}$$

ويمثل الرقم (4) أعلى درجة في المقياس والتي تمثل حالة التطبيق الكلي.

3- حجم الفجوة: يتم حساب حجم الفجوة بالصيغة الآتية:

$$\text{حجم الفجوة} = 1 - \text{النسبة المئوية للتطبيق}$$

ثامناً: مجتمع البحث

تعد الشركة العامة لصناعات النسيج والجلود من الشركات الصناعية الكبرى الرائدة في العراق التابعة لوزارة الصناعة والمعادن، والمختصة بالصناعات النسيجية والجلدية. تأسست الشركة العامة للصناعات الجلدية عام 1976م بعد دمج شركة باتا التي تأسست عام 1932م مع شركة الجلود العامة التي أسست عام 1945م واللذان تم تأسيسهم عام 1964م ضمن تشكيلات وزارة الصناعة والمعادن، وحاليا تسمى الشركة العامة لصناعات النسيج والجلود بناءً لقرار مجلس الوزراء المرقم 360 لعام 2015م والمتضمن دمج العديد من الشركات العامة لوزارة الصناعة والمعادن، حيث تم دمج كل من الشركة العامة للصناعات القطنية، الشركة العامة للسجاد اليدوي، الشركة العامة للصناعات النسيجية، الشركة العامة للصناعات الجلدية، الشركة العامة للصناعة الالبسة الجاهزة/الموصل، الشركة العامة للصناعات الصوفية، شركة واسط العامة للصناعات النسيجية، مصنع منسوجات ذي قار). وتقدم الشركة أنواعاً عديدة من المنتجات وقد اختيرت الشركة مجتمعاً للبحث لمساهمتها الفاعلة في الصناعة الوطنية، وكونها من الشركات التي حافظت على استمرار عملياتها الإنتاجية.

المبحث الثاني: المراكز المعرفية لسلاسل التجهيز الذكية

أولاً: مفهوم سلاسل التجهيز الذكية.

تلعب سلسلة التجهيز دوراً مهماً في عمليات التصنيع والخدمة (Zhang,2023:1075). فقد عرف مجلس سلسلة التجهيز (Council of Supply Chain,2005) بأن سلسلة التجهيز هي مجموعة منهجية من الأنشطة الخاضعة للمراقبة، بدءاً من شراء المواد الخام وانتهاءً بتسليم المنتجات النهائية (Gupta et al.,2019:549). أو أنها سلسلة مترابطة من العمليات داخل الشركة وعبر الشركات المختلفة التي تنتج منتج أو خدمة بما يرضي الزبائن (Krajewski & Malhotra,2022:531). كما تعرف سلسلة التجهيز بأنها إدارة العلاقة بين المصنع والمصب مع المجهزين والزبائن من أجل خلق قيمة معززة في السوق النهائية بكلفة أقل لسلسلة التجهيز ككل (Chaopaisarn & Woschank,2019:3716). وبالتالي فإن سلسلة التجهيز تشمل المجهزين والمصنعين ومقدمو الخدمة والموزعون وباعة الجملة والمفرد الذين يسلمون المنتج أو الخدمة إلى الزبون النهائي (Heizer et al.,2020:476).

إن العولمة وتطور تكنولوجيا المعلومات قدمت عوامل مساعدة لسلسلة التجهيز كي تصبح وسائل استراتيجية للشركات لرضاء الزبائن و البقاء في المنافسة (Russell&Taylor,2011:421). توجد في أنظمة سلسلة التجهيز التقليدية العديد من المشكلات مثل الإفراط في التخزين وتأخير التسليم ونفاذ المخزون. وتعود هذه المشاكل إلى عدة عوامل مثل التعقيد وعدم اليقين الموجود في سلسلة التجهيز. ومن أجل التغلب على هذه العيوب في أنظمة سلسلة التجهيز، يتطلب أن تكون أكثر ذكاءً (Abdel-Basset et al.,2018:614).

تكتسب الصناعة 4.0 اهتماماً متزايداً في جميع أنحاء العالم، إذ تعد بتعزيز الكفاءة، خفض الكلف، تحسين الإنتاجية، الاستدامة، ولزيادة القدرة التنافسية في السوق العالمية (Sharma et al.,2025:501). لقد أحرزت الثورة الصناعية تقدماً كبيراً منذ تنبؤ (Herbert Simons) منذ أكثر من 50 عاماً بأن "الآلات ستكون قادرة على إنجاز أي مهمة يمكن للإنسان القيام بها". إن الثورة الصناعية 4.0 تستند إلى فرضية توافر الاستقلالية الكاملة للأنظمة الصناعية الآلية الحالية. ومن أفضل الحلول التكنولوجية مثل الحوسبة السحابية، Blockchain، إنترنت الأشياء (IoT)، والذكاء الاصطناعي بالاستفادة من قواعد البيانات التي تم إنشاؤها من أنظمة متخصصة (Rana&Daultani,2023:1641). ومع تزايد تعقيد سلسلة التجهيز، تستثمر الشركات الآن بشكل أكبر في إنشاء هيكل سلسلة تجهيز تربط بين القدرة المادية والبنية التحتية الرقمية (El-Kassar&Singh,2018:2). في السابق، كان ينظر إلى سلسلة التجهيز الخاصة بالشركة على أنها النشاط التشغيلي المطلوب لإنجاز مهمة معينة. أما الآن، في عصر البيانات الضخمة وتدفق المعلومات متعدد القنوات، تُعزز الشركات سلسلة التجهيز الخاصة بها كمورد تنافسي. وتتخذ الشركات قرارات استراتيجية جريئة في استثماراتها التكنولوجية (Gupta et al.,2019:549). وكون بيئة الأعمال تتسم بالتعقيد وعدم اليقين، فإن التحديات المتزايدة دفعت سلسلة التجهيز إلى أن تصبح أكثر ذكاءً. (Chaopaisarn&Woschank,2019:3717).

وتستخدم سلسلة التجهيز الذكية (SSC) التقنيات المتقدمة، سيما تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والتكنولوجيات الحديثة، وذلك لربط العمليات عند مختلف الشركاء في سلسلة التجهيز لتشكيل نظام متصل ذكي (Zhang et al,2023: 1076). لذلك يجب على الشركات أن تعمل على توعية موظفيها حول فوائد التكنولوجيا وتنفيذ الممارسات مع موظفين ذوي خبرة يكون لتلك الشراكات مستقبل أكثر أماناً عند دمجها مع إنترنت الأشياء (IoT) حيث يمكن توليد كميات كبيرة من البيانات التي يمكن استخدامها لتحسين العمليات من خلال التنبؤ بالطلب، وتقليل المشاكل الشائعة، وتحديد الحلول المثلى. ويمكن تحليل البيانات التي تم جمعها بواسطة أجهزة استشعار إنترنت الأشياء باستخدام الذكاء الاصطناعي (AI) لاتخاذ قرارات أفضل. ولتحقيق إدارة سلسلة التجهيز الذكية، تحسين سلسلة التجهيز، والحصول على ميزة تنافسية يجب على الشركات أن تتبنى أحدث التقنيات مثل الذكاء الاصطناعي (AI)، والتعلم الآلي (ML)، والتحليلات التنبؤية، والبيانات الضخمة (Lee et al.,2023:3).

وفي الوقت الحاضر تستخدم سلسلة التجهيز الذكية على نطاق واسع في الأوساط الأكاديمية والصناعية لوصف التغييرات الاجتماعية والتقنية المستمرة التي تدفعها الصناعة 4.0 إلى شبكات التجهيز. ومن المتوقع أن تؤدي تقنيات الصناعة 4.0

المستخدمة في سلسلة التجهيز إلى مجموعة متنوعة من التحسينات في مجالات متعددة، بما في ذلك التشغيل البيئي والتعاون والشفافية والتكامل والمرونة والاستجابة والكفاءة و سلسلة التجهيز الأكثر رشاقة وتقييم الأداء وفي النهاية التعامل مع تباين الطلب ثم الحد من تأثير التذبذب. ومن المتوقع حدوث تحسينات كبيرة في كل من المجالين الاقتصادية والاجتماعية (Rana & Daultani, 2023:1642).

يجب على الشركات في المستقبل أن تصبح قابلة للتكيف استراتيجياً بقدر ما تتمتع بالكفاءة التشغيلية بعبارة أخرى، يجب عليها وضع استراتيجية للتوازن بين الاستمرارية والتغيير. وفي بيئة الأعمال الحالية المتشابكة، لا تستطيع الشركات القيام بذلك بمفردها، لذلك يجب عليها التعاون مع الشركاء والزبائن الرئيسيين ضمن سلسلة التجهيز الخاصة بها. ومع ذلك، فمن المؤكد أنه حتى البنى التحتية الأكثر تقدماً لسلسلة التجهيز ستقتل إذا لم تقم بإعادة هيكلة العمليات التجارية الحالية للاستفادة الكاملة من القدرات والفرص الجديدة (Valkokari et al., 2011:386). وعلى الرغم من الصعوبات والتعقيدات، فإن تطبيقات سلسلة التجهيز الذكية تتطور بسرعة كبيرة، وتقدم هذه التطبيقات لسلسلة التجهيز الذكية فوائد عديدة لم تكن متاحة. فعلى سبيل المثال، يمكن جمع كميات كبيرة من المعلومات واستخدامها لاتخاذ قرارات أعمال أفضل. كما طورت عمليات أعمال أفضل لدعم كفاءة أعلى واستجابة أسرع. فضلاً عن ذلك، تجاوز التعقيد الديناميكي إمكانية التدخل البشري لتحديد وحل العديد من المشاكل، كما أن تحقيق تحسينات في الأداء كان يصعب تحقيقها بالوسائل التقليدية. لقد أصبحت الشركات تدرك بوضوح الحاجة الملحة لتطوير حلول جديدة قائمة على التكنولوجيا والابتكارات القائمة على نماذج الأعمال (Wu et al., 2016: 399-400). تظهر الدراسات أن هناك ممارسة متنامية في عمليات سلسلة التجهيز الذكية (SSC) تتمثل في إضافة خدمات، وخاصة الخدمات الرقمية، مدعومة بالتقنيات الرقمية. تؤدي المنتجات الذكية، مثل أنظمة المنتجات- الخدمات إلى ظهور نماذج أعمال جديدة يقدم فيها المصنعون خدمات إضافية بالإضافة إلى المنتج، أو حتى يقدمون المنتج كخدمة (Prieto & Martin-Pena, 2022:55).

ويشير (Zhang et al., 2023:1078) على الرغم من استخدام مفهوم سلسلة التجهيز الذكية على نطاق واسع في الأدبيات، فإن تعريفات ومفاهيم سلاسل التجهيز الذكية ما زالت غير مكتملة. والجدول (3) يبين تعريف بعض الباحثين لسلاسل التجهيز الذكية.

جدول (3): تعريف بعض الباحثين لسلسلة التجهيز الذكية

ت	اسم الباحث	التعريف
1	Ivanoviska & Kaleshovska, 2013:314	تعد بعداً جديداً مستمداً من مفهوم سلسلة التجهيز وتم تطويره نتيجة لتطور تقنيات المعلومات، فضلاً عن إعادة هندسة العمليات للمنظمات نحو تعاون الشركاء الذي تم تمكينه بواسطة الإنترنت
2	Wu et al., 2016:396	نظام الأعمال الحديث والمتربط يمتد من التطبيقات المحلية المنفصلة والخاصة بشركة واحدة إلى التنفيذ المنهجي والواسع لسلسلة التجهيز الذكية من خلال تقنيات إنترنت الأشياء، والآلات الذكية، والبنية التحتية الذكية، والقدرات مثل الترابط، وجمع البيانات بشكل كامل، والتواصل الفوري، واتخاذ القرارات الذكية في جميع مراحل سلسلة التجهيز، والعمليات الفعالة والمستجيبة، لخدمة الزبائن بشكل أفضل.
3	Gupta et al., 2019:549	إدخال تقنيات الإنترنت والتطبيقات الذكية إلى سلسلة التجهيز، الأمر الذي يجعلها أكثر مرونة وأكثر قدرة على توافر فرص غير مسبوقه لخفض الكلف وجودة المنتج وعملية التسليم
4	Zhang et al., 2023:1078	عملية ديناميكية متطورة تمتد عمودياً وافقياً من حيث التكامل، جنباً إلى جنب مع تطوير التكنولوجيا والابداع
	Sharma et al., 2025:513	هي تحول جذري في الأعمال نحو إدارة الطلب الديناميكي وتقييم الأداء القائم على البيانات.

المصدر: اعداد الباحثة بالاعتماد على المصادر اعلاه

وترى الباحثة بان سلسلة التجهيز الذكية نظام متكامل لتقنيات الصناعة 4.0، إذ يمكن جمع كمية ضخمة من البيانات واستخدامها لاتخاذ قرارات ذكية مختلفة في جميع مراحل سلسلة التجهيز، كما يمكنها ربط الشركاء (المجهزين، الموزعين، الزبائن، الخ)، وتنظيم نفسها والتكيف مع التغيرات البيئية بهدف تقليل الكلف، تحسين الكفاءة، زيادة المرونة والشفافية، وتحقيق افضل اهداف العمل.

ثانياً خصائص سلسلة التجهيز الذكية

هناك عدد من الخصائص لسلسلة التجهيز الذكية وهي (Chaopaisarn& Woschank, 2019:3717) (Wu et al., 2016: 400-401) -:

- 1- مجهزة بالتقنيات: يتم إنشاء المعلومات في سلسلة التجهيز للجيل القادم بشكل كبير آلياً، على سبيل المثال، بواسطة أجهزة الاستشعار، وعلامات تحديد الهوية بموجات الراديو (RFID)، وأجهزة القياس، وغيرها.
- 2- مترابطة: ترابط سلسلة التجهيز بأكملها، بما في ذلك الكيانات التجارية والأصول، وأنظمة تكنولوجيا المعلومات، والمنتجات، والتقنيات الذكية الأخرى كلها متصلة في سلسلة تجهيز ذكية.
- 3- ذكية: تتخذ سلسلة التجهيز الذكية قرارات مثالية على نطاق واسع لتحسين الأداء.
- 4- التشغيل الآلي: يجب على سلسلة التجهيز الذكية أن تعمل على أتمتة الكثير من تدفقات عملياتها باستخدام الآلات لتحل محل الموارد الأخرى منخفضة الكفاءة بما في ذلك العمالة.
- 5- متكاملة: يتضمن تكامل عمليات سلسلة التجهيز التعاون عبر مراحل سلسلة التجهيز، واتخاذ القرارات المشتركة، والأنظمة المشتركة، وتبادل المعلومات.
- 6- مبدعة: الابداع هو تطوير قيم جديدة من خلال الحلول التي تلبي المتطلبات الجديدة، والاحتياجات غير المفصلة، أو حتى الاحتياجات الحالية بطرائق أفضل.

ثالثاً: مقارنة بين سلاسل التجهيز التقليدية وسلاسل التجهيز الذكية

تستطيع سلاسل التجهيز الذكية إزالة العديد من أوجه القصور المتأصلة في سلاسل التجهيز التقليدية، واكتشاف مشاكل النظام وحلها. يجب تحويل سلاسل التجهيز التقليدية إلى سلاسل تجهيز ذكية لتحسين الأداء. ومع انخفاض كلفة تطبيق التقنيات الذكية، يزداد عدد سلاسل التجهيز التي ستشارك في هذا التحول (Demir& Paksoy,2023:13). والجدول (4) يبين مقارنة بين سلاسل التجهيز التقليدية وسلاسل التجهيز الذكي

جدول (4): مقارنة بين سلاسل التجهيز التقليدية وسلاسل التجهيز الذكية

ت	العامل	سلاسل التجهيز التقليدية	سلاسل التجهيز الذكية
1-	الشفافية	الشفافية محدودة	الأدوات الذكية تضمن الشفافية الكاملة
2-	جمع البيانات	قد تفقد البيانات أو تشوه أثناء انتقالها عبر السلسلة	يمكن جمع البيانات في الوقت الفعلي باستخدام أجهزة الاستشعار وأجهزة إنترنت الأشياء
3-	الاستجابة	الاستجابة للسوق بطيئة	تعد الاستجابة السريعة لطلبات الزبائن أو أي تغييرات إحدى نقاط القوة الرئيسية
4-	إمكانية التتبع	التتبع محدود ومكلف	يمكن للأنظمة الذكية تتبع جميع العمليات في سلسلة التجهيز
5-	القدرة على التكيف	سلاسل التجهيز التقليدية عرضة للتغيرات غير المتوقعة	تكون سلاسل التجهيز قادرة على الاستجابة للتغيرات المفاجئة في السوق
6-	التغذية العكسية	نظام التغذية العكسية بطيء ومعرض للتأخير	يمكن تلقي التغذية العكسية في الوقت الفعلي في جميع مراحل السلسلة وتقييمها بسرعة

Source: Demir. S and Paksoy. T., (2023), Fundamental Concepts of Smart and Sustainable Operations and Supply Chain Management, chapter 1, in Book "Smart and Sustainable Operations and Supply Chain Management in Industry 4.0", Edited by Paksoy, T and Deveci, M ,Taylor & Francis Group, LLC, New York, p:13

ثالثاً: نموذج سلسلة التجهيز الذكية

في نموذج سلسلة التجهيز الذكية Smart Supply Chain Model – SSCM تتعاون فيه الشركات مع شركات أخرى تشترك في رؤى مماثلة في نموذج سلسلة التجهيز الذكية (SSCM) من خلال الشبكات الذكية، ويتمكن الأعضاء في نموذج سلسلة التجهيز الذكية (SSCM) من دمج المعلومات والمواد من خلال CPS التعاوني واتخاذ قرارات متماسكة. يتطلب هذا النظام التكيف وإعادة تشكيل المصنع الذكي SMART أو التصنيع للسماح للآلات والمنتجات بالتفاعل مع بعضها البعض دون سيطرة بشرية، فضلاً عن ذلك يمكن اعتبار نموذج سلسلة التجهيز الذكية بمثابة تفاعل بين التعاون في سلسلة التجهيز الذكية ومشاركة البيانات والتكامل والشراكات مما يؤدي في النهاية إلى إمكانية الابداع في العمليات والمنتجات وفيما يأتي توضيح أبعاد نموذج سلسلة التجهيز الذكية (Chaopaisarn&Woschank, 2019:3720-3721):

1- التعاون ومشاركة البيانات في سلسلة التجهيز الذكية

إن من أهم فوائد اعتماد التكنولوجيا ومشاركة البيانات في تعاون سلاسل التجهيز هو الحد من الهدر مع زيادة مرونة سلسلة التجهيز. أن الاتصال الشامل يتيح لأعضاء سلسلة التجهيز استجابة أسرع لتغيرات السوق من خلال شبكة سحابية قابلة للتكوين لسلسلة التجهيز. فإن بيئة التطوير والتصنيع التعاونية مهمة جداً للشركات الصغيرة والمتوسطة ذات الموارد المحدودة. ففي ظل البيئات التعاونية، ستنجح شفافية البيانات للشركات الوصول إلى فرص سوقية واسعة النطاق مع تنوع المخاطر. ان للمعلومات أهمية وقيمة في ادارة سلاسل التجهيز في مجال مشاركة البيانات. ومن المتوقع أن يخفض تأثير نموذج سلسلة التجهيز الذكية (SSCM) بنسبة 30% من كلفة التشغيل، 75% من خسائر المبيعات، و75% من انخفاض المخزونات. ومع ذلك، لكي يعمل هذا النظام بكفاءة، يلزم تعديل الهيكل الحالي وإعادة هيكلة.

2- التكامل والشراكة في سلسلة التجهيز الذكية

تتمثل التحديات التي تواجه خبراء سلسلة التجهيز اليوم في تحديد كيفية دمج التكنولوجيا مع تطبيقات إدارة سلسلة التجهيز الحالية وإدارة علاقات الزبائن مع النظام بأكمله. ستسمح وظائف سلسلة التجهيز المتكاملة رقمياً، مثل التحليلات التنبؤية في تخطيط الطلب، والتخطيط الدائري المغلق، وأتمته العمل المعرفي، وتحسين الأرباح المسبق، وتخطيط السيناريوهات لأعضاء سلسلة التجهيز باكتساب ميزة تنافسية من خلال عملية التخطيط. كما ستوافر الوظائف المتكاملة رقمياً مثل أتمته التخزين، والمركبات الذكية ذاتية القيادة، واجهات الإنسان والآلة، خوارزميات تخطيط اللوجستيات الذكية، مراقبة الطلبات عبر الإنترنت بشكل موثوق، إعادة التخطيط في الوقت الفعلي، مراقبة مخزون البائعين في الوقت الفعلي، وإدارة الطلبات. ولضمان تبادل المعلومات يجب تطبيق معيار موحد لنقل المعلومات في جميع أنحاء سلسلة التجهيز.

يجب معالجة ثلاث سمات رئيسية للتكامل من أجل فهم العلاقات بين كل أعضاء سلسلة التجهيز وهي:-

- أ- **التكامل الأفقي:** يعني التعاون بين الشركات ذات الصلة يحفز القيمة من خلال التكامل الأفقي بين الشركات. وهذا بدوره يمكن الشركات من بناء أنظمة بيئية فعالة من خلال تدفق المعلومات والتمويل والمواد.
- ب- **التكامل الرأسي:** يعني نظام منظم ذاتياً (إنتاج ذكي، تصنيع ذكي، ولوجستيات ذكية) يسمح بإعادة التشكيل من خلال الأنظمة الفرعية المادية والمعلوماتية الخاصة بالشركة.

ج- **التكامل الهندسي الشامل:** يعني نموذج مستمر ومتسق يتضمن سلسلة من الأنشطة، مثل التعبير عن متطلبات الزبائن، تصميم وتطوير المنتجات، تخطيط الإنتاج، هندسة الإنتاج، الإنتاج، الخدمة، الصيانة، وإعادة التدوير لإنشاء عملية خلق قيمة مركزة على المنتج.

وللحفاظ على ميزة تنافسية عالمية، يتعين على الشركات التركيز على كفاءاتها الأساسية مع الاستعانة بمصادر خارجية لأنشطة أخرى من قبل شركاء في الشبكة. إن القدرة على الاستفادة من كفاءات الشركاء لتلبية احتياجات السوق يمكن أن تؤدي إلى مزايا مستدامة. لذلك، فإن جهود التكامل والشراكة على طول منظومة سلسلة التجهيز قد تعزز علاقة ثقة، مما قد يؤدي إلى مستوى أعلى من تبادل المعلومات بين الأطراف.

3- ابداع العمليات والمنتجات في سلسلة التجهيز الذكية

من خلال التعاون والتكامل في سلسلة التجهيز ضمن نموذج سلسلة التجهيز الذكية (SSCM)، يتيح الاستخدام الأمثل لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات هندسة المنتجات والإنتاج رقمياً. تمكن المحاكاة والتقنيات المعيارية الشركات من لامركزية عمليات الإنتاج وتعديلها، مما يحفز ابداعاً أسرع للعمليات والمنتجات، فإن تقليل الفترة الزمنية لتصميم المنتج والنماذج الأولية من خلال تحسين وضوح سلسلة التجهيز يحقق فائدة زمنية تتمثل في زيادة توافر البيانات على مستوى سلسلة التجهيز، وخاصة فيما يتعلق بضغط وقت دورات الابداع. فضلاً عن ذلك فائدة الوقت تتيح استخدام النمذجة الأولية التعاونية لأعضاء سلسلة التجهيز توافر الكلف في عملية البحث والتطوير والاستجابة بدقة لمتطلبات الزبائن المحددة.

المبحث الثالث: تشخيص الفجوة بين الواقع الفعلي للشركة العامة لصناعات النسيج والجلود وبين نموذج سلسلة التجهيز الذكية

لكي يتم تقييم نموذج سلسلة التجهيز الذكية في الشركة العامة لصناعات النسيج والجلود قامت الباحثة بأجراء العديد من الزيارات الميدانية والمقابلات والمناقشات مع المدراء والمسؤولين في مختلف الأقسام والشعب الإنتاجية والإدارية بهدف الإجابة على قائمة الفحص من قبل الباحثة.

أولاً: التعاون ومشاركة البيانات في سلاسل التجهيز الذكية في عينة البحث

يعد التعاون ومشاركة البيانات في سلاسل التجهيز الذكية (Smart Supply Chains) عنصراً حيوياً لتحقيق الكفاءة، المرونة، الشفافية في عمليات سلسلة التجهيز الحديثة. وتطبيق التكنولوجيا المتقدمة مثل الذكاء الاصطناعي (AI)، وإنترنت الأشياء (IoT)، الحوسبة السحابية، وتحليلات البيانات الضخمة لتسهيل هذا التعاون.

التعاون في سلاسل التجهيز الذكية: يعد عملية يعمل فيها اثنان أو أكثر معاً من الشركاء المستقلين في سلسلة التجهيز من أجل تخطيط وتنفيذ عمليات سلسلة التجهيز بشكل متزامن، مما يؤدي إلى تحقيق نتائج أفضل مما لو عمل كل شريك بمفرده.

مشاركة البيانات في سلاسل التجهيز الذكية: تعد العمود الفقري للتعاون، وتعني تبادل البيانات و المعلومات الحيوية والدقيقة في الوقت الفعلي بين جميع أطراف المشتركة في السلسلة، مثل مستويات المخزون، جداول الإنتاج، بيانات المبيعات، وحالة الشحنات.

والجدول (5) يبين قائمة فحص التعاون ومشاركة البيانات في سلاسل التجهيز الذكية للشركة العامة لصناعات النسيج والجلود.

جدول (5): قائمة فحص التعاون ومشاركة البيانات في سلاسل التجهيز الذكية

ت	أولاً: التعاون ومشاركة البيانات	مطبق كلياً	مطبق جزئياً	مطبق الى حد ما	مطبق بشكل ضعيف	غير مطبق
1-	تشارك ادارة الشركة البيانات عبر منصات سحابية آمنة، مما يسمح لكل الشركاء (المجهزين، الموزعين، الزبائن، إلخ) بالوصول إلى البيانات و المعلومات في الوقت الفعلي.			√		
2-	تعمل ادارة الشركة على دمج نظم تخطيط موارد المؤسسة (ERP) بين الشركاء لتوافر رؤية واضحة و شاملة ومحدثة للعمليات.				√	
3-	تستخدم ادارة الشركة أجهزة الاستشعار وأجهزة تتبع GPS لجمع بيانات مباشرة عن درجة الحرارة، المخزون، الانتاج، الطلب، المبيعات، حالة الشحنات، و الموقع، وغيرها.					√
4-	تعمل ادارة الشركة على مشاركة البيانات والمعلومات التي تم جمعها بواسطة اجهزة الاستشعار مع جميع الشركاء ذات العلاقة لضمان الشفافية وتقليل المخاطر.					√
5-	تعتمد ادارة الشركة على أدوات تحليل البيانات الضخمة لتحليل البيانات المشتركة بهدف تحسين التنبؤ بالطلب، وإدارة المخزون، وتقليل الهدر.			√		
6-	تطبق ادارة الشركة الذكاء الاصطناعي (AI) والذي يمكنه عند استخدام البيانات المشتركة لتقديم تنبؤات دقيقة حول المخاطر المحتملة، الطلب، والأسعار					√
7-	تطبق ادارة الشركة الذكاء الاصطناعي (AI) لغرض مشاركة التنبؤات بين الشركاء لتعزيز التخطيط الاستباقي وتحسن اتخاذ القرار					√
8-	تطبق ادارة الشركة تقنية Blockchain لتنفيذ عقود ذكية تُفَعَّل أوتوماتيكياً عند استيفاء شروط معينة (يتم تحويل الدفع عند تسليم البضاعة، ويجري تسجيل جميع الخطوات بشكل آمن وشفاف).			√		
9-	تعمل ادارة الشركة على الحماية والامان في مشاركة البيانات من خلال تشفير البيانات أثناء نقلها وتخزينها.			√		
10-	تستخدم ادارة الشركة Blockchain لغرض ضمان عدم تغيير البيانات دون علم الشركاء المعنيين		√			
11-	تسعى ادارة الشركة الى دمج الأنظمة المختلفة والمستخدمه من قبل مختلف الشركاء في السلسلة باستخدام واجهات برمجية (APIs) وبروتوكولات تفاعلية نمطية.			√		
الأوزان		4	3	2	1	0
التكرار		0	1	5	1	4
النتيجة		0	3	10	1	0
الوسط الحسابي المرجح (معدل التطبيق)		1.27				
النسبة المئوية		32%				
حجم الفجوة		68%				

يبين الجدول (5) بأن معدل التطبيق للتعاون ومشاركة البيانات في سلاسل التجهيز للشركة العامة لصناعات النسيج والجلود بلغ (1.27) وبنسبة مئوية للتطبيق (32%) مما يشير الى وجود فجوة بنسبة (68%). ويستدل من هذه النتائج الاتي:-

1- لا تستخدم ادارة الشركة أجهزة الاستشعار وأجهزة تتبع GPS لجمع بيانات مباشرة عن حالة الشحنات، درجة الحرارة، الموقع، وغيرها، فضلاً عن عدم مشاركة البيانات التي تم جمعها بواسطة اجهزة الاستشعار مع جميع الجهات ذات العلاقة لضمان الشفافية وتقليل المخاطر.

2- لا تطبق ادارة الشركة الذكاء الاصطناعي (AI) عند استخدام البيانات المشتركة لتقديم تنبؤات دقيقة حول الطلب، والأسعار، والمخاطر المحتملة. كما انها لا تطبق الذكاء الاصطناعي (AI) من اجل مشاركة التنبؤات بين الشركاء لتعزيز التخطيط الاستباقي

3- تعاني الشركة من ضعف كبير وعدم اهتمام في دمج نظم تخطيط موارد المؤسسة (ERP) بين الشركاء لتوافر رؤية شاملة ومحدثة للعمليات.

4- هناك ضعف في انشاء منصات سحابية آمنة، والتي من شأنها ان تسمح لكل الأطراف المعنية (المجهزين، الموزعين، الزبائن، إلخ) بالوصول إلى المعلومات في الوقت الفعلي، فضلاً عن وجود ضعف في استخدام أدوات تحليل البيانات الضخمة لتحليل البيانات المشتركة لتحسين التنبؤ بالطلب، وإدارة المخزون، وتقليل الهدر. كما انه هناك ضعف في تطبيق تقنية Blockchain لتنفيذ عقود ذكية تُفعل أوتوماتيكياً عند استيفاء شروط معينة، كذلك هناك ضعف في وضع اجراءات تخص الحماية والامان في مشاركة البيانات أثناء نقلها وتخزينها.

ثانياً: التكامل والشراكة في سلاسل التجهيز الذكية

يعد التكامل والشراكة عنصرين حاسمين في سلاسل التجهيز الذكية (Smart Supply Chains) لضمان أكثر كفاءة، ومرونة، قدرة على التنبؤ، واستجابة سريعة للتحديات وتغيرات السوق.

تكامل سلسلة التجهيز الذكية: يعني ربط جميع مراحل السلسلة من الموردين و المنتجين، و الزبائن بطريقة رقمية ومنظمة، بحيث يكون تبادل البيانات والمعلومات في الوقت الفعلي بين جميع الشركاء في سلسلة التجهيز .

الشراكات في سلاسل التجهيز الذكية: تعني بناء علاقات استراتيجية مبنية على الثقة والمشاركة في البيانات والمعلومات والتخطيط المشترك. وتشمل شراكات مع الموردين، الموزعين، الزبائن، وشراكات مع شركات تقنية.

والجدول (6) يبين قائمة فحص التكامل والشراكة في سلاسل التجهيز الذكية للشركة العامة لصناعات النسيج والجلود.

جدول (6): قائمة فحص التكامل والشراكة في سلاسل التجهيز الذكية

ت	التكامل والشراكة	مطبق كلياً	مطبق جزئياً	مطبق الى حد ما	مطبق بشكل ضعيف	غير مطبق
1-	تحقق ادارة الشركة التكامل الرقمي (Digital Integration) باستخدام نظم مثل تخطيط موارد المؤسسة (ERP) وإنترنت الأشياء (IoT) لتبادل المعلومات بسهولة..				√	
2-	تحقق ادارة الشركة التكامل الرأسي بالتعاون بين الأقسام المختلفة داخل الشركة (المشتريات، الانتاج، التسويق، والمبيعات) لتحسين الكفاءة، و القضاء على العزلة بين الاقسام الداخلية.			√		
3-	تحقق ادارة الشركة التكامل الأفقي من خلال الاتصال مع الشركاء الخارجيين (المجهزين، والزبائن).			√		
4-	تعتمد ادارة الشركة على شراكات مع المجهزين بهدف ضمان توافر المواد الخام وجودتها.		√			
5-	تعتمد ادارة الشركة على شراكات مع الموزعين لغرض تحسين		√			

					توزيع المنتجات.	
√					تعتمد إدارة الشركة على شراكات مع الزبائن من أجل فهم احتياجاتهم وتقديم خدمات مخصصة.	6-
√					تعتمد إدارة الشركة على شراكات مع شركات تقنية بهدف دمج الحلول الذكية (الذكاء الاصطناعي أو Blockchain)	7-
√					تطبق إدارة الشركة إنترنت الأشياء (IoT) لغرض مراقبة العمليات في الوقت الفعلي.	8-
√					تعتمد إدارة الشركة على برمجيات إدارة سلسلة التجهيز (SCM Software) للتنسيق بين الشركاء (المجهزين، الموزعين، الزبائن، الخ).	9-
			√		تضع إدارة الشركة آليات مشتركة للتخطيط والتنفيذ	10-
		√			تطور إدارة الشركة مؤشرات الاداء الرئيسة (KPIs) المشتركة بين الشركاء (مثل معدل دوران المخزون، دقة التسليم في الوقت المحدد)	11-
0	1	2	3	4	الاوزان	
4	1	3	3	0	التكرار	
0	1	6	9	0	النتيجة	
1.45					الوسط الحسابي المرجح (معدل التطبيق)	
36%					النسبة المئوية	
64%					حجم الفجوة	

يبين الجدول (6) بأن معدل التطبيق للتكامل والشراكة في سلاسل التجهيز للشركة العامة لصناعات النسيج والجلود بلغ (1.45) وبنسبة مئوية للتطبيق (36%) مما يشير الى وجود فجوة بنسبة (64%). و تعزى اسباب الفجوة إلى الآتي:-

- 1- لا تعمل إدارة الشركة على اقامة شراكات مع الزبائن من أجل فهم احتياجاتهم وتقديم خدمات مخصصة، وكذلك لا توجد شراكات مع شركات تقنية بهدف دمج الحلول الذكية مثل الذكاء الاصطناعي أو Blockchain
- 2- عدم استخدام التقنيات الحديثة مثل إنترنت الأشياء (IoT) لغرض مراقبة العمليات في الوقت الفعلي، وكذلك عدم تطبيق برمجيات إدارة سلسلة التجهيز (SCM Software) للتنسيق بين الشركاء (المجهزين، الموزعين، الزبائن، الخ).
- 3- يوجد ضعف كبير وعدم اهتمام من قبل إدارة الشركة بتطبيق التكامل الرقمي (Digital Integration) بعدم استخدام أنظمة مثل تخطيط موارد المؤسسة (ERP) وإنترنت الأشياء (IoT) لغرض تبادل المعلومات بسهولة.
- 4- يوجد اهتمام قليل من قبل إدارة الشركة في تحقيق التكامل الرأسي الذي يركز على التعاون بين الأقسام المختلفة داخل الشركة (المشتريات، الإنتاج، التسويق، والمبيعات)، وكذلك اهتمام قليل في تحقيق التكامل الأفقي بالاتصال مع الشركاء الخارجيين (المجهزين، والزبائن)، فضلاً عن عدم الاهتمام بتطور إدارة الشركة مؤشرات أداء مشتركة بين الشركاء.

ثالثاً: ابداع العمليات والمنتجات في سلاسل التجهيز الذكية

إن ابداع العمليات والمنتجات في سلاسل التجهيز الذكية (Smart Supply Chains) ركيزتان اساسيتان لتحقيق النمو المستدام في المنظمات و تعزيز القدرة التنافسية. و يعتمد ابداع العمليات والمنتجات في سلاسل التجهيز الذكية على دمج التكنولوجيات المتقدمة، أتمته العمليات، وتحليل البيانات لتحسين الكفاءة وزيادة القدرة التنافسية.

ابداع العمليات: تطوير وتطبيق أنظمة أو أساليب جديدة أو محسنة داخل المنظمة بهدف تعزيز الكفاءة والفعالية وإيجاد قيمة مضافة. و يتضمن وتبني تقنيات أو حلول رقمية جديدة، إعادة تصميم طريقة تنفيذ العمل، تحسين تسلسل الأنشطة، واستخدام الموارد بشكل أفضل. الهدف الرئيسي من ابداع العمليات هو خفض الكلف، تحسين العمليات، زيادة الإنتاجية وتحقيق نتائج أفضل.

ابداع المنتجات: تطوير منتجات أو خدمات جديدة أو إدخال تحسينات جوهرية على المنتجات الحالية من أجل تلبية

احتياجات الزبائن بشكل أفضل أو الدخول الى أسواق جديدة. يتضمن ذلك تقديم حلول مبتكرة تختلف عن المنافسين، إضافة ميزات جديدة، و تحسين الجودة.

والجدول (7) يبين قائمة فحص ابداع العمليات والمنتجات في سلاسل التجهيز الذكية للشركة العامة لصناعات النسيج والجلود.

جدول (7): قائمة فحص ابداع العمليات والمنتجات في سلاسل التجهيز الذكية

ت	ابداع العمليات والمنتجات	مطبق كلياً	مطبق جزئياً	مطبق الى حد ما	مطبق بشكل ضعيف	غير مطبق
1-	تستخدم ادارة الشركة الذكاء الاصطناعي (AI) وتعلم الآلة (ML) لتحليل البيانات الضخمة لتحسين عملية التنبؤ بالطلب.					√
2-	تستخدم ادارة الشركة الذكاء الاصطناعي (AI) وتعلم الآلة (ML) للمساعدة في اتخاذ قرارات سريعة ودقيقة (مثل قرارات إدارة المخزون وقرارات تخطيط الإنتاج).					√
3-	تركب أجهزة استشعار ذكية على المصانع المركبات، المعدات، المكائن لتتبع الحالة الفعلية للعمليات.					√
4-	تركب أجهزة استشعار ذكية لمراقبة حالة المنتجات (درجة الحرارة، الرطوبة، والموقع....) أثناء النقل					√
5-	تستخدم Blockchain لتتبع مصدر المواد الخام، ولضمان جودتها.					√
6-	تستخدم روبوتات في المخازن وفي عملية التغليف.					√
7-	تستخدم الآتمة والروبوتات لتحسين سرعة ومعالجة الطلبات لتقليل الأخطاء البشرية					√
8-	تستخدم ادارة الشركة الحوسبة السحابية لتخزين البيانات وإدارتها بشكل مركزي وأمن.			√		
9-	تستخدم ادارة الشركة الحوسبة السحابية لتسهيل التعاون بين الشركاء (المجهزين، الموزعين، الزبائن وغيرها) في الوقت الفعلي.			√		
10-	تستخدم ادارة الشركة التنبؤ القائم على البيانات التاريخية والبيانات الزمنية لتحديد أنماط للتنبؤ.			√		
11-	تستخدم ادارة الشركة التنبؤ القائم على البيانات للتنبؤ بعطلات المكائن و المعدات أو عند نقص المخزون قبل حدوثه.				√	
12-	تستخدم ادارة الشركة تقنية الطباعة ثلاثية الأبعاد (3D Printing) لإنتاج منتجات ايصائية بناءً على طلب الزبون					√
13-	تستخدم ادارة الشركة التصميم القائم على البيانات لتحديد بيانات الزبائن بهدف تطوير منتجات تلبي احتياجاتهم بدقة.			√		
14-	تهتم ادارة الشركة بالاستدامة في تصميم المنتجات من خلال استخدام مواد صديقة للبيئة.			√		
15-	تراعي ادارة الشركة متطلبات عمليات الإنتاج والعمليات اللوجستيات عند تصميم المنتج الجديد.	√				
16-	تخطط ادارة الشركة لاختصار دورة حياة المنتج بالاعتماد على التعاون الذكي بين اقسام الشركة.			√		
الاوزان		4	3	2	1	0
التكرار		1	0	6	1	8
النتيجة		4	0	12	1	0
الوسط الحسابي المرجح (معدل التطبيق)		1.1				
النسبة المئوية		%28				
حجم الفجوة		%72				

يبين الجدول (7) بأن معدل التطبيق لأبداع العمليات والمنتجات في سلاسل التجهيز للشركة العامة لصناعات النسيج والجلود بلغ (1.1) ونسبة مئوية للتطبيق (28%) مما يشير الى وجود فجوة بنسبة (72%). ويستدل من هذه النتائج الاتي:-

- 1- عدم تطبيق تقنية الذكاء الاصطناعي (AI) وتعلم الآلة (ML) لتحليل البيانات الضخمة لتحسين عملية التنبؤ بالطلب، ولتقديم المساعدة في اتخاذ قرارات سريعة ودقيقة (مثل إدارة المخزون وتخطيط الإنتاج).
 - 2- عدم قيام ادارة الشركة بتركيب أجهزة استشعار ذكية على المكائن و المعدات والمركبات والمصانع لتتبع الحالة الفعلية للعمليات، وكذلك عدم تركيب أجهزة استشعار ذكية لمراقبة حالة المنتجات (درجة الحرارة، الرطوبة، والموقع) أثناء النقل
 - 3- عدم تطبيق تقنية Blockchain لتتبع مصدر المواد الخام وضمان جودتها ومصداقيتها.
 - 4- عدم استخدام الآتمة والروبوتات لتحسين سرعة ومعالجة الطلبات لتقليل الأخطاء البشرية، وكذلك عدم استخدام روبوتات في المخازن وفي عملية التغليف.
 - 5- عدم تطبيق تقنية الطباعة ثلاثية الأبعاد (3D Printing) لإنتاج منتجات ايصائية بناءً على طلب الزبون
 - 6- يوجد ضعف كبير وعدم اهتمام من قبل ادارة الشركة حول استخدام التنبؤ القائم على البيانات للتنبؤ بعطلات المكائن و المعدات أو عند نقص المخزون قبل حدوثها.
 - 7- يوجد اهتمام قليل من قبل ادارة الشركة بتطبيق الحوسبة السحابية لتخزين البيانات وإدارتها بشكل مركزي وآمن، ولتسهيل التعاون بين الشركاء في الوقت الفعلي.
 - 8- يوجد اهتمام قليل من قبل ادارة الشركة باعتماد التنبؤ القائم على البيانات التاريخية والبيانات الزمنية لتحديد أنماط لتنبؤ و لتحديد بيانات الزبائن لتطوير منتجات تلبي احتياجاتهم بدقة.
 - 9- يوجد اهتمام قليل من قبل ادارة الشركة بموضوع الاستدامة في تصميم المنتجات من استخدام مواد صديقة للبيئة، لا يوجد قسم او شعبة خاصة بالاستدامة على الرغم من اهمية بالنسبة لصناعة النسيج والجلود.
- اما معدل التطبيق العام لنموذج سلسلة التجهيز الذكية ونسبة التطبيق وحجم الفجوة مبينة في الجدول (8) الذي يستعرض نتائج قوائم الفحص المتعلقة بتشخيص الفجوة بين الواقع الفعلي للشركة العامة لصناعة النسيج والجلود وبين نموذج سلسلة التجهيز الذكية.

جدول (8) نتائج تقييم نموذج سلسلة التجهيز الذكية في الشركة العامة لصناعات النسيج والجلود

ت	ابعاد نموذج سلسلة التجهيز الذكية	الوسط الحسابي المرجح (معدل التطبيق)	النسبة المئوية للتطبيق	حجم الفجوة
1-	التعاون ومشاركة البيانات	1.27	32%	68%
2-	التكامل والشاركة	1.45	36%	64%
3-	ابداع العمليات والمنتجات	1.1	28%	72%
	النسبة المئوية الكلية لمعدل تطبيق نموذج سلسلة التجهيز	1.27	32%	68%

يتضح من الجدول (8) اعلاه بان نسبة التطبيق الاجمالية لنموذج سلسلة التجهيز الذكية بلغت (32%) وحجم الفجوة (68%) بسبب التطبيق بشكل ضعيف لنموذج سلسلة التجهيز الذكية. كما يبين الجدول بان بعد التكامل والشاركة حصل على اعلى نسبة تطبيق ويليه بعد التعاون ومشاركة البيانات، ويليه بعد ابداع العمليات والمنتجات.

المبحث الرابع: الاستنتاجات والتوصيات

أولاً: الاستنتاجات

- 1- تبين من خلال الزيارات الميدانية والمقابلات والمشاهدات بان الشركة العامة لصناعات النسيج والجلود ليس لديها معرفة عن التطورات الحاصلة في سلاسل التجهيز .
- 2- هناك قصور وعدم معرفة بتقنيات الصناعة 4.0 التي يمكن تطبيقها في سلاسل التجهيز مثل الذكاء الاصطناعي وانترنت الاشياء وغيرها من التقنيات لكي تكون سلاسل التجهيز ذكية، اذ ما زالت تعتمد على سلاسل التجهيز التقليدية.
- 3- توجد مبادرة من قبل وزارة الصناعة والمعادن بدء تطبيقها في شهر حزيران لعام 2025 بأنشاء منصة الكترونية للإنجاز المعاملات الادارية مثل شراء المواد الاولية وفق آلية معتمدة او الدفع الالكتروني، الا انها ما زالت تحتاج الى تطوير لمواكبة التطورات العالمية.
- 4- بينت نتائج قوائم الفحص بان هناك فجوة كبيرة بين الواقع الفعلي لسلاسل التجهيز في الشركة العامة لصناعات النسيج والجلود و نموذج سلسلة التجهيز الذكية، إذ بلغت حجم الفجوة (68%) بسبب التطبيق الضعيف لأبعاد نموذج سلسلة التجهيز الذكية ونسبة تطبيق (32%).
- 5- هناك ضعف كبير وعدم اهتمام من قبل ادارة الشركة لبعد التعاون ومشاركة البيانات في سلاسل التجهيز وذلك بسبب عدم التعاون ما بين الاطراف المعنية من المجهزين، الموزعين، والزبائن فضلاً عن عدم مشاركة البيانات بالشكل الصحيح وبالذقة المطلوبة.
- 6- ضعف اهتمام ادارة الشركة لبعد التكامل والشراكة في سلاسل التجهيز بسبب عدم الاهتمام في تحقيق التكامل الرقمي، الرأسي، والافقي وعدم تبني شراكات مع الاطراف المعنية، فضلاً عن عدم تبني التقنيات الحديثة مثل الذكاء الاصطناعي وانترنت الاشياء و Blockchain .
- 7- هناك ضعف كبير في امكانية تطبيق ابداع العمليات والمنتجات في سلاسل التجهيز، فقد حصل هذا البعد على اقل معدل تطبيق نتيجة اعتماد الشركة على الاساليب والطرائق التقليدية في تنفيذ تطوير العمليات والمنتجات.

ثانياً: التوصيات

- 1- يوصي البحث بوضع خطة لأقامه ورش و دورات تدريبية تتعلق بسلاسل التجهيز و تقنيات الصناعة 4.0 التي يتم تطبيقها في سلاسل التجهيز لكي تكون سلاسل التجهيز ذكية.
- 2- يوصي البحث ادارة الشركة العامة لصناعات النسيج والجلود بالشروع بتطبيق نموذج سلسلة التجهيز الذكية.
- 3- زيادة الاهتمام بالتعاون سواء على مستوى الاقسام داخل الشركة أو على مستوى التعامل مع الاطراف المعنية (المجهزين، الموزعين، الزبائن، الخ)
- 4- زيادة الاهتمام بمشاركة البيانات من خلال انشاء منصات سحابية، وكذلك العمل على دمج نظم تخطيط موارد المؤسسة (ERP) بين الشركاء
- 5- وضع خطة لتحقيق التكامل على مستوى الشركة ككل وعلى مستوى الاقسام داخل الشركة، وعلى مستوى الشركاء الخارجين من المجهزين والزبائن.
- 6- يوصي البحث بوضع خطة لتحقيق شراكات فاعلة مع المجهزين، الموزعين، الزبائن، والشركات المعنية بالتقنيات الحديثة مثل الذكاء الاصطناعي او Blockchain

- 7- يوصي البحث ادارة الشركة بإعادة النظر في الاساليب والطرائق المتبعة في تطوير وتحسين العمليات على طول امتداد سلسلة التجهيز
- 8- ضرورة إيلاء الاهتمام بتطوير المنتجات من خلال البحث عن التقنيات الحديثة والمبتكرة، فضلاً عن الاخذ بنظر الاعتبار الاستدامة عند تصميم منتجاتها، كون ابداع المنتجات تعد حجر الاساس لأي شركة تسعى للبقاء والنمو والازدهار في ظل سوق متغير ومتنافس
- 9- يوصي البحث بضرورة مواكبة التطورات الحاصلة في التقنيات الحديثة مثل الذكاء الاصطناعي (AI) وانترنت الاشياء (IoT)، Blockchain، الحوسبة السحابية.
- قائمة المراجع:**

- 1- حسن، نقي علي، (2019)، تقييم متطلبات عمليات إدارة المشروعات على وفق دليل (PMBOK:2017) / دراسة حالة في شركة الفاروق للمقاولات العامة، رسالة ماجستير في علوم إدارة الأعمال، كلية الإدارة والاقتصاد، الجامعة المستنصرية، العراق
- 2- Abdel-Basset, M., Manogaran, G., and Mohamed, M. (2018). Internet of Things (IoT) and its impact on supply chain: A framework for building smart, secure and efficient systems. Future generation computer systems, September, Vol. 86, pp:614-628
- 3- Chaopaisarn, P., and Woschank, M (2019,). Requirement analysis for SMART supply chain management for SMEs, International Conference on Industrial Engineering and Operations Management , Bangkok, Thailand, March 5-7, pp:3715-3725
- 4- Demir. S and Paksoy. T., (2023), Fundamental Concepts of Smart and Sustainable Operations and Supply Chain Management, chapter 1, in Book “Smart and Sustainable Operations and Supply Chain Management in Industry 4.0”, Edited by Paksoy, T and Deveci, M ,Taylor & Francis Group, LLC, New York
- 5- El-Kassar, A. & Singh, S.K. (2018). Green innovation and organizational performance: The influence of big data and the moderating role of management commitment and HR practices, Technological Forecasting and Social Change, PP:1-16
- 5- Gupta, S., Drave, V. A., Bag, S., and Luo, Z., (2019), Leveraging Smart Supply Chain and Information System Agility for Supply Chain Flexibility, Information Systems Frontiers, June, Vol.21, No.3, pp:547-564
- 6- Heizer, J., Render, B. and Munson, C., (2020), Operations Management Sustainability and Supply Chain Management, 13th edition, Pearson education, Inc. U.S.A
- 7- Ivanovska, L. P and Kaleshovska, N, (2013), Implementation of e-supply chain management, TEM Journal, Vol. 2, No. 4, PP:314-322.
- 8- Krajewski, L and Malhotra, M. K. (2022), Operations Management: Processes and Supply Chains, 13th edition, Global edition, Pearson, education, Inc, Boston, U.S.A
- 9- Lee, K. L., Wong, S.Y., Alzoubi, H.M., Al Kurdi, B., Alshurideh, M.T., and El Khatib, M, (2023), Adopting smart supply chain and smart technologies to improve operational performance in manufacturing industry , International Journal of Engineering Business Management, Vol.15, pp: 1–14
- 10- Prieto, N.P and Martin-Pena, M.L., (2022), The Smart Supply Chain: A Conceptual Cyclic Framework, Journal of Industrial Engineering and Management , Vol.16. No.1, pp:54-77
- 11- Rana,J and Daultani,Y., (2023), Mapping the Role and Impact of Artificial Intelligence and Machine Learning Applications in Supply Chain Digital Transformation: A Bibliometric Analysis, Operations Management Research, Vol. 16, p:1641–1666

- 12- Russell, R. and Taylor, B. W., (2011), Operations management: creating value along the supply chain, 7th edition, John Wiley and Sons, Inc., U.S.A
- 13- Sharma, M., Antony, R., Sharma, A and Daim, T., (2025), Can smart supply chain bring agility and resilience for enhanced sustainable business performance, The International Journal of Logistics Management, Vol. 36, No. 2, pp: 501-555
- 14- Valkokari, K., Kansola, M., and Valjakka, T. (2011), Towards collaborative smart supply chains—capabilities for business development, International Journal of Enterprise Network Management, Vol.4, No. 4, pp:380-399.
- 15- Wu, L., Yue, X., Jin, A., and Yen, D.C. (2016), Smart supply chain management: a review and implications for future research, The International Journal of Logistics Management, Vol. 27 No. 2, pp: 395-417.
- 16- Zhang, G., Yang, Y., and Yang, G., (2023) Smart supply chain management in Industry 4.0: the review, research agenda and strategies in North America, Annals of Operations Research, 322, pp: 1075-1117.

RESEARCH TITLE

The Use of Ironic Statements in Kane's *Blasted*: A Pragma-Stylistic Approach

Lect. Dr. Hasan Imad Kadhim¹, Lect. Dr. Teeba Abdulrazzaq Al-Sudani²

¹ University of Babylon, College of Education for Human Sciences, Department of English. Iraq.

Email: alkhafajihasan@uobabylon.edu.iq

² University of Babylon, College of Education for Human Sciences, Department of English. Iraq.

Email: Teeba.razaq@uobabylon.edu.iq

HNSJ, 2025, 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/25>

Received at 07/07/2025

Accepted at 15/07/2025

Published at 01/08/2025

Abstract

This study analyzes the use of ironic statements in Sarah Kane's *Blasted* (1995) using a pragma-stylistic approach that combines Grice's Cooperative Principle with detailed stylistic examination. Despite the substantial body of work critiquing the play's violence, trauma, and gender issues, this paper provides the first critical analysis of irony as a structural and linguistic device within the play. The analysis utilizes a three-level framework—micro (lexicogrammatical and syntagmatic levels), meso (discursive interaction), and macro (structural and genre-level irony)—to explore the cumulative impact of irony. Both quantitative and qualitative evidence demonstrate how irony subverts interpersonal relationships and underscores the play's critique of sociopolitical violence. This research enriches the field of stylistics and theatre criticism by positioning irony as a performative dramaturgical tool, contributing to a deeper understanding of how language operates within extreme theatre.

Key Words: Irony, Pragmatics, Stylistics, Sarah Kane, *Blasted*, Sociopolitical Violence.

استخدام العبارات الساخرة في مسرحية *المنفجرة* لسارة كين: نهج براغما-أسلوبي

المستخلص

تقوم هذه الدراسة بتحليل استخدام العبارات الساخرة في مسرحية *المنفجرة* (1995) لسارة كين باستخدام نهج براغما-أسلوبي يجمع بين مبدأ التعاون لغرايس وفحص أسلوبي دقيق. على الرغم من وجود العديد من الدراسات النقدية التي تناولت عنف المسرحية، وصدماتها النفسية، وقضايا الجندر، فإن هذه الورقة تقدم أول تحليل نقدي للسخرية كأداة هيكلية ولغوية في المسرحية. تستخدم الدراسة إطاراً تحليلياً ثلاثي المستويات—الميكرو (المستويات اللغوية النحوية والتركيبية)، الميسو (التفاعل الخطابي)، والماكرو (السخرية الهيكلية والمستوى الجنري)—لاستكشاف تأثير السخرية التراكمي. تُظهر الأدلة الكمية والنوعية كيف تفرغ السخرية العلاقات بين الشخصيات وتؤكد انتقاد المسرحية للعنف الاجتماعي والسياسي. تسهم هذه الدراسة في إثراء مجال الأسلوبية ونقد المسرح من خلال اعتبار السخرية أداة درامية مؤدية، مما يعزز الفهم العميق لكيفية عمل اللغة في المسرح المتطرف.

الكلمات المفتاحية: السخرية، البراغماتية، الأسلوبية، سارة كين، *المنفجرة*، العنف الاجتماعي والسياسي.

1. Introduction

Sarah Kane's *Blasted* (1995) sits at the centre of new British drama, its reputation built on its stark staging of violence, sex, and human vulnerability (Sierz, 2017; Chambers, 2019). *Blasted*, as a signature piece of "in-yer-face" theatre, assaults the viewer with intrusive imagery and unflinching emotional material, the topic of considerable research interest across research fields such as trauma studies (Aston, 2016), gender theory (Saunders, 2018), and political theatre (Knight, 2020). In light of such a vast volume of interest, linguistic studies of the play specifically addressing the pragmatic and stylistic employment of irony are nonetheless comparatively rare.

Irony, a subtle pragmatic effect for creating meanings contrapositive to literal meaning (Grice, 1975; Attardo, 2000), has been treated very little systematically in Kane's play. Recent criticisms are indeed directed at thematic readings or psychoanalytic interpretations but not irony as a multi-levelled rhetorical and structural device. This paper tries to compensate for this deficiency by employing a pragma-stylistic approach a blending of Gricean conversational maxims and literary stylistics to examine how ironic discourse functions on various levels in *Blasted*.

Drawing on a three-tiered analytical framework (micro linguistic signals, meso dialogue exchange, and macro structural irony), the paper examines how irony emerges throughout the play. It argues that action building and character dynamics depend not only on irony but also that it is central to reading and making sense of the sociopolitical violence and trauma in the text. This approach also aligns with the recent scholarly calls for more nuanced linguistic critique of extreme theatre (Jones, 2021; Mitchell, 2023), calling for greater understanding of how language embeds itself in dramatic impact.

2. Literature Review

2.1 Sarah Kane's *Blasted* in Theatre Scholarship

Blasted has elicited polarized responses since its initial performance, both admired for breaking convention and reviled for its unlicensed representation of violence (Saunders, 2018). Sierz (2017) situates Kane's work firmly in the "in-yer-face" theatre, where in-your-face body language and thematic material are used to shock audiences into a critique of social complacency. Aston (2016) locates specific significance in Kane's dramaturgical figure of innovation, particularly the staging of trauma and violence not as spectacle but as forms of empathetic address. Psychoanalytic analysis (Urban, 2017) exposes the fractured subjectivities of the characters in *Blasted* disassembled by psychoanalytic procedure, noting how language is imbued with the fracturing of trauma.

Despite such thematic vitality, comparatively few texts have accounted for *Blasted*'s language processes, and fewer texts have covered irony as a valuable topic. It is ironic because irony can provoke and subvert, something typical of Kane's works.

2.2 Irony: Theoretical Perspectives

Irony has been extensively investigated in linguistics, literature, and philosophy. Grice's (1975) Cooperative Principle, the Maxim of Quality (truthfulness), provides a first account: irony results from intentional flouting of conversational maxims in that

the speaker says the opposite of what they literally mean, and the hearer infers an intended meaning. Attardo (2000) and Gibbs (2000) extend this to create a distinction between verbal irony and situational and dramatic ironies, and define irony as one of a complex nature in communication.

In stylistics, Leech and Short (2007) hold that irony exists at different levels of text, from tone and word level up to larger texture of narrative. Simpson (2004) points out intellectual attractiveness of irony in engaging the reader intellectually with incongruity. Whereas such models have been applied to prose and poetry, their application to the extreme drama of *Blasted* is unexplored and therefore here lies scope for new insight.

2.3 Pragma-Stylistics and Dramatic Irony

Pragma-stylistics, being a blend of pragmatics and stylistics, is interested in the way language use creates meaning in contexts (Culpeper, 2001). It is precisely very well-suited to dramatic script where speech acts are part of complex interpersonal and social relationships. Pragma-stylistic analysis has already been used to study irony in drama (e.g., Culpeper & Kytö, 2010), but virtually never in extreme or postmodern theatre. Kane's *Blasted* provides rich terrain for such examination with the interlayering of verbal, situational, and structural irony.

3. Theoretical Framework

In this paper, Grice's (1975) Cooperative Principle is employed alongside stylistic devices to examine the use of irony in *Blasted* on three levels:

3.1 Micro Level: Linguistic Features

This is achieved by lexical choice, syntactic structure, and pragmatic markers (e.g., intonation markers, hedges). Grice's maxims, especially Quality and Relation, flouts are signals of ironic intention. For example, Ian calling himself "a gentleman" when he is violent is a direct Quality maxim flout.

3.2 Meso Level: Discourse Interaction

This entails analysis of the structure of conversation: turn-taking, interruptions, control of subject-matter, and pragmatic dominance. Irony will most likely arise in power conflicts of speech when one of the participants' violation of the conversational rules alerts to sarcasm, mockery, or denial.

3.3 Macro Level: Structural Irony

At the most basic level, irony is created through plot, genre, and audience expectation. Kane operates on expectations by shifting the play from domestic realism to war horror, creating dramatic irony which forces the audience to reinterpret scenes earlier in a new way.

4. Methodology

Methodology involved qualitative and quantitative pragma-stylistic analysis of the whole text of *Blasted* (Kane, 1995). The process involved:

- Outcomes: Data Collection: The subjective corpus was the printed script, extensively annotated for ironic statements.

- **Identification of Irony:** Examples were marked according to overt verbal irony (e.g., sarcasm) and situational/structural irony (e.g., plot twist). Violations of Grice's maxim were used as a diagnostic.
- **Discourse Analysis:** Important scenes were selected and analysed for interactional markers like interruptions, turn size, and pragmatic dominance, using conversation analysis techniques (Sacks et al., 1974).
- **Quantitative Coding:** Number of ironies per act and per page were tallied to map the trajectory of ironic severity.

5. Analysis and Findings

5.1 Verbal Irony: Speech of Ridicule and Denial

The early scenes foreground verbal irony through Ian's paradoxical self-presentation. His repeated claim, "I'm a gentleman" (Kane, 1995, p. 7), starkly contrasts with his violent behaviour. This blatant Quality maxim violation invites the audience to question Ian's self-awareness and morality. Cate's ironic responses, often couched as polite deflections, serve as covert resistance e.g., "You're very considerate" (p. 10)—flouting the Maxim of Relation by undercutting Ian's authority.

Example of Verbal Irony in Act 1	Gricean Maxim Flouted	Pragmatic Function
"I'm a gentleman" (Ian)	Quality	Sarcasm, self-deception
"You're very considerate" (Cate)	Relation	Mockery, undermining dominance

5.2 Situational and Dramatic Irony: Subverting Expectations

The Soldier's arrival in Act 2 refigures the play from a domestic/personal drama into a war drama. The genre shift is macro-level irony that breaks the reader's interpretation scheme. The Soldier's logical explanation of wickedness uttered in plain matter may confront the horrific content in a compelling way, violating the Maxim of Manner and embodying absurd normalizing of violence.

5.3 Quantitative Patterns: Intensification of Irony

The table below shows the distribution of ironic utterances across acts.

Act	Total Ironies	Avg. Ironies per Page	Dominant Maxim Flouted
1	20	1.2	Quality (75%)
2	65	3.8	Mixed (Quality, Manner)
3	50	3.1	Structural, multiple maxims

This data illustrates an escalation in ironic expression, correlating with the narrative's increasing psychological and social disintegration.

6. Discussion

The analysis illustrates the multilateral role of irony in *Blasted*. Micro-level ironic utterances destabilize character identities and expose contradictions. The ironic presentation of Ian unmasks denial, and Cate's irony undertakes silent resistance. Transgression of conversational norms at the meso level uncovers power struggle and communication breakage, symptomatic of the social collapse theme of the play.

Structurally, Kane's ironic application is unexpected and distancing to the audience in accordance with her theory of "theatre of extremes" (Sierz, 2017). The sudden genre change produces dramatic irony that invites re-reading of earlier scenes, illustrating how narrative and language are blended to prevent complacency and make people think about violence and trauma.

These results are an enrichment of linguistic pragmatics and theatre studies in that they reveal how irony is dramaturgical rather than a figure of speech.

7. Conclusion

The paper offers the first pragma-stylistic analysis of ironic speech acts in Sarah Kane's *Blasted*. Applying the integration of Gricean pragmatics with systematic stylistics and discourse analysis, the study demonstrates irony's central role in staging character relationships, dramatic action, and thematic complexity. The increasing prevalence of irony in the play maps Kane's intentional deployment of language to simulate psychological disintegration and sociopolitical critique.

Future research can use this model to examine other plays in "in-her-face" theatre or analyse audience reception of ironic strategy, developing inter-disciplinary knowledge of drama, pragmatics, and performance.

References

- Aston, E. (2016). *Feminist views on the English stage: Women playwrights, 1990–2000*. Cambridge University Press.
- Attardo, S. (2000). Irony as relevant inappropriateness. *Journal of Pragmatics*, 32(6), 793–826. [https://doi.org/10.1016/S0378-2166\(99\)00041-5](https://doi.org/10.1016/S0378-2166(99)00041-5)
- Chambers, S. (2019). Violence and trauma in modern British theatre. *Modern Drama*, 62(2), 158–176. <https://doi.org/10.1353/mdr.2019.0012>
- Culpeper, J. (2001). *Language and characterisation: People in plays and other texts*. Longman.
- Culpeper, J., & Kytö, M. (2010). *Historical pragmatics*. Edinburgh University Press.
- Gibbs, R. W. (2000). Irony in talk among friends. *Metaphor and Symbol*, 15(1–2), 5–27. https://doi.org/10.1207/S15327868MS1501_2
- Grice, H. P. (1975). Logic and conversation. In P. Cole & J. L. Morgan (Eds.), *Syntax and semantics* (Vol. 3, pp. 41–58). Academic Press.
- Jones, L. (2021). Pragma-stylistic approaches to extreme theatre: New directions. *Language and Literature*, 30(3), 234–250. <https://doi.org/10.1177/09639470211001055>
- Kane, S. (1995). *Blasted*. Methuen Drama.

- Knight, A. (2020). Political violence and theatre: From Kane to today. *Theatre Journal*, 72(1), 43–62. <https://doi.org/10.1353/tj.2020.0004>
- Leech, G., & Short, M. (2007). *Style in fiction: A linguistic introduction to English fictional prose* (2nd ed.). Pearson.
- Mitchell, R. (2023). The pragmatics of shock: Language and affect in contemporary drama. *Pragmatics*, 33(1), 15–37. <https://doi.org/10.1075/prag.22003.mit>
- Saunders, G. (2018). *'Love me or kill me': Sarah Kane and the theatre of extremes* (2nd ed.). Manchester University Press.
- Sierz, A. (2017). *In-yer-face theatre: British drama today* (3rd ed.). Faber & Faber.
- Simpson, P. (2004). *Stylistics: A resource book for students*. Routledge.
- Sacks, H., Schegloff, E., & Jefferson, G. (1974). A simplest systematics for the organization of turn-taking for conversation. *Language*, 50(4), 696–735. <https://doi.org/10.1353/lan.1974.0010>
- Urban, K. (2017). An ethics of catastrophe: The theatre of Sarah Kane. *PAJ: A Journal of Performance and Art*, 39(1), 36–46. https://doi.org/10.1162/PAJJ_a_00302

عنوان البحث

أثر حجم العينة في تقدير الثبات بطرق الاختبار وإعادة الاختبار وألفا كرونباخ

د. عبدالاله محمد القرني¹

¹ أستاذ القياس والتقويم والإحصاء المشارك، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، المملكة العربية السعودية.
HNSJ, 2025, 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/26>
المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/68/26>

تاريخ النشر: 2025/08/01م

تاريخ القبول: 2025/07/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/07/07م

المستخلص

هدفت هذه الدراسة إلى تحليل أثر حجم العينة على تقديرات الثبات باستخدام طرق الاختبار وإعادة الاختبار ومعامل ألفا كرونباخ. تم تطبيق مقياس الانتماء الوطني على عينة مكونة من 500 مشارك، وأجري التحليل باستخدام عينات فرعية بأحجام مختلفة تتراوح من 20 إلى 500. أظهرت النتائج أن العينات الصغيرة (أقل من 50) لم تعطي تقديرات مستقرة للثبات، بينما كانت التقديرات أكثر قوة واستقراراً عندما تم استخدام 100 فرد أو أكثر. كما أظهرت فترات الثقة باستخدام Fisher دقة أعلى من التقديرات النقطية. توصي الدراسة باستخدام عينات لا تقل عن 100 مشارك لضمان الحصول على تقديرات ثبات دقيقة، بالإضافة إلى أهمية استخدام تقدير الثبات كفترة زمنية بدلاً من استخدامه كقيمة مفردة.

الكلمات المفتاحية: الثبات، حجم العينة، إعادة التطبيق، معامل كرونباخ ألفا.

RESEARCH TITLE

The Effect of Sample Size on the Estimation of Reliability Using Test-Retest Methods and Cronbach's Alpha

Abdulelah Mohammed Alqarni¹

¹ Associate Professor of Measurement, Evaluation, and Statistics, King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia.

HNSJ, 2025, 6(7); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/26>

Arabic Scientific Research Identifier: <https://arsri.org/10000/68/26>

Received at 07/07/2025

Accepted at 15/07/2025

Published at 01/08/2025

Abstract

This study aimed to analyze the effect of sample size on reliability estimates using test-retest methods and Cronbach's alpha. The "National Belonging" scale was applied to a sample of 500 participants, and the analysis was conducted using subsamples of varying sizes ranging from 20 to 500. The results revealed that small samples (less than 50) yielded unstable reliability estimates, while robust and stable estimates emerged when using 100 or more individuals. Fisher's confidence intervals also demonstrated higher accuracy than point estimates. The study recommends using samples of at least 100 participants to ensure accurate reliability estimates and emphasizes the importance of using reliability estimates as an interval rather than as a single value.

Key Words: Reliability, Sample Size, Test-Retest, Cronbach's Alpha.

مقدمة

يُعد تقدير الصدق و الثبات في أي بحث أمر بالغ الأهمية، ولتحقيق هدف أي البحث فإننا نواجه عادةً مسألتين: الأولى: كيف نتأكد من أننا نقيس بالفعل ما نريد قياسه؟ والثانية: هل نحن متأكدون من أننا سنحصل على نفس النتيجة إذا كررنا القياس؟ يتعلق السؤال الأول بقضايا الصدق، بينما يتعلق السؤال الثاني بالثبات. ويُشار إلى هذين المفهومين بالخصائص السيكومترية.

يشير مصطلح الثبات في البحوث النفسية إلى اتساق دراسة بحثية أو اختبار قياس (McLeod, 2007). إذا أمكن تكرار نتائج البحث باستمرار، فإنها تُعتبر ثابتة، وموثوقة. في أغلب الأحيان، قد لا يكون الحصول على نفس النتائج ممكنًا نظرًا لاختلاف المشاركين والمواقف. ومع ذلك، إذا وُجد ارتباط إيجابي قوي بين نتائج الاختبار نفسه، فهذا يُشير إلى الثبات والموثوقية (Balkin, 2017).

تتعدد تعريفات الثبات في أدبيات القياس النفسي. ووفقًا لويلكينسون وروبرتسون (2006)، فإن الثبات فيما يتعلق بالبحث يعني إمكانية التكرار أو الاتساق. كما يُمكن تعريف الثبات بأنه الدرجة التي تُنتج بها أداة التقييم نتائج مستقرة ومتسقة (Meyer, 2010). من جانبه، Mellenbergh (2011) أشار إلى أن الثبات هو اتساق الاختبار، أو مدى اتساق نتائجه حيث يُعد مقياسًا لدقة وموثوقية الاختبار. الثبات هو مدى إعطاء التجربة أو الاختبار أو أي إجراء قياس نفس النتيجة عند تكرار التجربة أو القياس.

وفقًا للمجلس الوطني للقياس في التعليم (NCME; 1999)، يُعرّف الثبات في الإحصاء والقياس النفسي بأنه الاتساق العام للمقياس. ويُقال إن المقياس يتمتع بثبات وموثوقية عالية إذا أسفر عن نتائج متشابهة في ظل ظروف متشابهة. وهي سمة لمجموعة من درجات الاختبار تتعلق بمقدار الخطأ العشوائي الناتج عن عملية القياس والذي قد يكون متضمنًا في الدرجات. الدرجات عالية الثبات والموثوقية دقيقة وقابلة للتكرار ومتسقة من اختبار لآخر. أي أنه إذا تكررت عملية الاختبار مع مجموعة من المُختَبَرين، فسيتم الحصول على نفس النتائج تقريبًا.

ووفقًا للمعايير التي وضعتها الجمعية الأمريكية لبحوث التربية (AERA) والجمعية الأمريكية لعلم النفس (APA) والمجلس الوطني للقياس في التعليم (NCME)، 2014، يُشير الثبات إلى اتساق القياسات عند تكرار عملية الاختبار لفرد أو مجموعة من الأفراد.

الثبات هو الحصول على نفس النتائج تقريباً عند تكرار القياس سواءً باستخدام الاستبيان أو الاختبار أو أيًا من أدوات التقييم (Bolarinwa, 2015). باختصار، الثبات يُعبر عن استقرار أو اتساق الدرجات بمرور الوقت أو عبر المقدرين أو المقيمين (Miller, 2015). وتجدر الإشارة إلى أن نقص الثبات قد ينشأ عن الاختلافات بين المقيمين أو غموض في أدوات القياس أو عدم استقرار السمة التي يتم قياسها (Last, 2015). يرى نانلي (Bardhosh et al, 2016) أن القياسات ثابتة إلى الحد الذي تكون فيه قابلة للتكرار وأن أي تأثير عشوائي يميل إلى جعل القياسات مختلفة من مناسبة إلى أخرى أو من ظرف إلى ظرف هو مصدر خطأ في القياس. ووفقًا لكلاين (2000) فإن الثبات له معنيان متميزان: يشير أحدهما إلى الاستقرار بمرور الوقت، والثاني إلى الاتساق الداخلي. فالثبات هو مؤشر على الاتساق، أي مؤشر على مدى استقرار درجة الاختبار أو البيانات عبر التطبيقات أو الوقت. يجب أن ينتج عن المقياس نتائج مماثلة أو متطابقة باستمرار إذا كان يقيس نفس الشيء. (Sawilowsky, 2000). يمكن أن يكون المقياس ثابتاً دون أن يكون صادقاً، ولكن لا يمكن أن يكون المقياس صادقاً دون أن يكون ثابتاً (Erford, 2013).

يلعب معامل الارتباط دورًا هامًا في تحديد درجة الثبات، فُيُعد معامل الارتباط $+1.0$ علاقة إيجابية تامة، و -1.0 علاقة سلبية تامة، بينما يشير معامل الارتباط 0.0 إلى عدم وجود علاقة ارتباطية بين المتغيرات. كلما اقترب معامل الارتباط من $+1.0$ ، زاد ثبات الاختبار وارتفعت موثوقية النتائج. إذا كان المقياس ثابتًا تمامًا فه 1 يعني أنه لا يوجد خطأ في القياس، أي أن كل ما نلاحظه هو درجة حقيقية وصحيحة. لذلك، بالنسبة للمقياس الثابت تمامًا، تكون الموثوقية $= 1$. أما إذا كان المقياس غير ثابت تمامًا، فلا توجد درجة صحيحة، أي أن المقياس خاطئ تمامًا. في هذه الحالة، يكون الثبات والموثوقية $= 0$. تخبرنا قيمة تقدير الثبات بنسبة التباين في المقياس المنسوبة إلى الدرجة الحقيقية الصحيحة. يعني الثبات بقيمة 0.5 أن حوالي نصف تباين الدرجة المرصودة يُعزى إلى الصدق والنصف الآخر يُعزى إلى الخطأ. ووفقًا للجمعية الأمريكية لبحوث التربية (AERA)، والجمعية الأمريكية لعلم النفس (APA)، والمجلس الوطني للقياس في التعليم (NCME) (2014)، فإن ثبات 0.8 تعني أن التباين يبلغ حوالي 80% من القدرة الحقيقية و 20% من الخطأ. جميع إجراءات القياس تتطوي على أخطاء. ومع ذلك، فإن مقدار/درجة الخطأ هو ما يُشير إلى مدى ثبات القياس. عندما يكون مقدار الخطأ منخفضًا، يكون ثبات وموثوقية القياس عالية. وعلى العكس، عندما يكون مقدار الخطأ كبيرًا، يكون ثبات وموثوقية القياس منخفضة (Meyer, 2010; Elford, 2013).

من المهم ملاحظة أن الثبات يُشير إلى النتيجة وليس إلى الاختبار نفسه، ويجب أن تكون العينات التي يُشتق منها معامل الثبات مُمثلةً للمجتمع الذي صُمم الاختبار من أجله، وأن تكون كبيرة بما يكفي لتكون ثابتة إحصائيًا (Leann, & Ken, 2012). ووفقًا لكلاين (2000)، فإن قيمة الثبات 0.70 هو الحد الأدنى لاختبار جيد، ويرجع ذلك ببساطة إلى أن الخطأ المعياري للقياس الذي يُمثل الانحراف المعياري المُقدّر للدرجات يزداد مع انخفاض الثبات.

بشكل عام، هناك أربعة أنواع رئيسية من الثبات: ثبات إعادة الاختبار، وثبات الصور المتكافئة، والاتساق الداخلي للثبات، وثبات المقيمين (Kaplan & Saccuzzo, 2005). في هذه الدراسة، سنتناول ثبات الاستقرار من خلال الاختبار وإعادة الاختبار، وثبات الاتساق الداخلي (ألفا كرونباخ).

ثبات اختبار وإعادة الاختبار (الاستقرار):

ثبات إعادة الاختبار ويُسمى أيضًا الاستقرار يُجيب على السؤال: "هل ستستقر الدرجات بمرور الوقت؟". يُشير ثبات إعادة الاختبار إلى الاستقرار الزمني لاختبار ما من جلسة قياس إلى أخرى، ويتمثل الإجراء في تطبيق الاختبار على مجموعة من المشاركين، ثم تطبيقه على نفس المشاركين لاحقًا. ويُحدد الارتباط بين الدرجات في الاختبارات المتطابقة التي أُجريت في أوقات مختلفة ثبات إعادة الاختبار عمليًا. ويرتكز استخدام إجراء إعادة الاختبار على افتراضين (Wells, 2003) هما:

- الافتراض الأول المطلوب هو أن الخاصية المقاسة لا تتغير على مدار الفترة الزمنية، ويُسمى ذلك "تأثير الاختبار" (Engel & Schutt, 2013)
- الافتراض الثاني هو أن الفترة الزمنية طويلة بما يكفي، لكنها قصيرة في الوقت نفسه، بحيث لا تؤثر ذاكرة المستجيبين عن إجراء الاختبار، في المرة الأولى، على درجاتهم في المرة الثانية والاختبارات اللاحقة، ويُسمى ذلك "تأثير الذاكرة".

يُعرف تقدير ثبات إعادة الاختبار أيضًا بمعامل الاستقرار (Cohen et al, 1996). يُوفر ارتباط إعادة الاختبار مؤشرًا على الاستقرار بمرور الوقت (Deniz & 2013, Pedisic et al; 2014, Wong Ong & Kuek, 2012).

(Alsaffar). بمعنى آخر، تكون الدرجات متسقة من المرة الأولى إلى الثانية. عند استخدام هذا النوع من الثبات، يجب توخي الحذر عند استخدام الاستبيانات أو المقاييس التي تقيس متغيرات يُحتمل تغييرها خلال فترة زمنية قصيرة، مثل الطاقة والسعادة والقلق بسبب تأثير النضج (Drost, 2011). بالنسبة لاختبارات التحصيل المعيارية المتطورة جيداً، والتي تُجرى على فترات زمنية متقاربة نسبياً، تتراوح تقديرات ثبات إعادة الاختبار بين 0.70 و 0.90 (Popham, 2000).

أسلوب ثبات الاختبار وإعادة الاختبار فيها العديد من القيود رغم جاذبيتها (Rosenthal & Rosnow, 1991). فعلى سبيل المثال، عندما تكون الفترة الفاصلة بين الاختبار الأول والثاني قصيرة جداً، فقد يتذكر المستجيبون ما كان في الاختبار الأول وقد تتأثر إجاباتهم في الاختبار الثاني بالذاكرة. وبدلاً من ذلك، عندما تكون الفترة الفاصلة بين الاختبارين طويلة جداً، فقد يحدث النضج. لاحظ Kaplan and Saccuzzo (2005) أن تقديرات ثبات الاختبار وإعادة الاختبار تقيم ثبات درجات الأداة عندما تُعطى الأداة في نقاط زمنية متعددة ومتتالية. وفي هذا الصدد كشفت دراسة Joppe (2000) عن مشكلة في طريقة الاختبار وإعادة الاختبار والتي يمكن أن تجعل الأداة، إلى حد ما، غير ثابتة، بسبب أن هذه الطريقة قد تجعل المستجيب حساساً للموضوع، وبالتالي يؤثر ذلك على الاستجابات المقدمة. وبالمثل، لاحظ Crocker and Algina (1986) أنه عندما يجيب المستجيب على مجموعة من المفردات في الاختبار، فإن الدرجة التي يتم الحصول عليها تمثل عينة محدودة فقط من السلوك.

(2012, Wong, Ong, & Kuek)

الاتساق الداخلي

يُجيب ثبات الاتساق الداخلي على السؤال التالي: "ما مدى جودة قياس كل بند للمحتوى أو البنية قيد الدراسة؟". تكمن جاذبية مؤشر الاتساق الداخلي للثبات في أنه يُقدّر بعد إجراء اختبار واحد فقط، وبالتالي، يتجنب المشاكل المرتبطة بالاختبار على مدى فترات زمنية متعددة. (Wong, Ong, & Kuek, 2012). يشير تقدير ثبات الاتساق الداخلي إلى الارتباطات المتبادلة بين البنود على الأداة نفسها (Kaplan & Saccuzzo, 2005). يُعدّ معامل ألفا لكرونباخ من أكثر الطرق استخداماً لتقدير الاتساق الداخلي للثبات (Dimitrov, 2002). ويُعدّ معامل ألفا الإجراء الأكثر استخداماً لتقدير الثبات في البحوث التطبيقية. وكما ذكر Sijtsma (2009)، فإن شعبيته كبيرة لدرجة أن كرونباخ (1951) تم الاستشهاد به كمرجع أكثر من المقالة التي تناولت اكتشاف الحزون المزدوج للحمض النووي DNA الذي يُعد من أعظم الاكتشافات العلمية الحديثة. ومع ذلك، فإن حدودها معروفة جيداً (Yang & Green, 2011)، ومن أهمها افتراضات الأخطاء غير المرتبطة، وتكافؤ تاو، والتوزيع الطبيعي.

تحديد حجم العينة في الثبات

شكل تحديد حجم العينة مشكلة رئيسية للباحثين وأخصائي القياس النفسي في دراسات الثبات. وتنوعت المناهج الحالية لتحديد حجم العينة في الدراسات النفسية، ولم تكن واضحة ومباشرة. وقد أدى ذلك إلى احتواء الأدبيات النفسية على مجموعة واسعة من المقالات التي تقترح أحجاماً مختلفة للعينات (Donner & Eliasziw; 1987, Eliasziw et al; 2000, Bonett; 2002, Cocchetti; 1999, Charter; 1999, Mendoza, Stafford, & Stauffer, 1994). وتُصنف هذه الدراسات إلى فئتين رئيسيتين: دراسات تستند إلى تجارب المؤلفين، ودراسات تستند إلى النظرية الإحصائية.

في الدراسات التي تستند إلى أحكام مستمدة من تجارب المؤلفين (DeVellis; 1992, Rea, & Parker; 1993, Ferguson & Cox)، تتباين توصيات حجم العينة تبايناً كبيراً. دعا مؤلفون آخرون واقتروا أن تتجاوز العينات 300

(Ware, et al, 1997)، بينما افترض البعض أن عينات أصغر بكثير لا تتجاوز 30 فرداً (Rea, & Parker, 1992, Bonett & Wright, 2014) قد تكون كافية. تشمل الفئة الثانية من توصيات حجم العينة الدراسات القائمة على النظرية الإحصائية (1987, Feldt et al, 1987; Donner & Eliasziw, 1994, Eliasziw, et al; 2002). تختلف هذه الدراسات في مناهج اختبار الثبات (Mendoza et al, 2000, Charter, 1999) وتوصيات Bonett تتراوح فيها قيم n من 25 (Cocchetti, 1999) إلى 400 لاختبار الثبات (Charter, 1999)

أشار Kline (2000) إلى أنه يجب على الباحثين استخدام 100 مشارك على الأقل لكل عنصر على مقياسنا إذا كان تقدير الثبات ذا معنى. توجد الكثير من الاختلافات في الرأي حول تحديد حجم العينة في الأدبيات. يقترح بعض المؤلفين أن العينات الصغيرة التي تصل إلى ثلاثين (30) (Bonett, & Wright, 2014) يمكن أن تقيس الثبات، طالما أن عناصر المقياس بينها ارتباط قوي. وفي نفس السياق، أكد Nunnally & Bernstein (1994) أن الحد الأدنى لمعايير معاملات الثبات لألغا كرونباخ هو 0.80 إلى 0.30 لارتباطات العبارة بالمجموع، و 0.30 لارتباطات العبارة بالعبارة، و 0.80 لمعاملات الارتباط داخل الفئة. اقترح Kline (1986) حجم عينة أدنى يبلغ 300، ويتفق معه في ذلك كلاً من Nunnally & Bernstein (1994). وصف Segall (1994) حجم العينة البالغ 300 بأنه "صغير". وذكر Charter (1999) أن الحد الأدنى لحجم العينة البالغ 400 مطلوب لتقدير دقيق بما فيه الكفاية لمعامل ألغا للمجتمع. ورأى Charter (2003) أن معاملات ألغا قد تكون غير مستقرة مع أحجام العينات الصغيرة. واقترح Walker and Zhang (2004) حجم عينة أدنى يتراوح بين 125 و 150 لحساب الثبات، بحيث يكون عدد الأفراد في العينة مساوياً على الأقل لعدد عناصر الاختبار. ومع ذلك، فقد ثار جدل حول الحد الأدنى لحجم العينة لمعامل ألغا للعينة نظراً لصعوبة جمع البيانات في البحوث النفسية. ورغم أن تحديد حجم العينة اللازم لدراسات الثبات أمر ذاتي إلى حد ما، إلا أنه يُوصى بحد أدنى يبلغ 400 فرد.

في دراسات الثبات، يستخدم مؤلفون وباحثون مختلفون أحجام عينات مختلفة. علاوة على ذلك، لا يوجد تجانس في أحجام العينات المستخدمة. يلعب حجم العينة دوراً مهماً في تقدير مستوى ثبات المقياس المستخدم للقياس.

إلى جانب معظم المؤشرات الإحصائية الأخرى، تحتوي الارتباطات على أخطاء معيارية، مما يُشير إلى مدى ثبات وموثوقية النتائج. ومع ذلك، يمكن القول أنه كلما زاد عدد المشاركين، قلّ الخطأ المعياري للإحصاءات (Erford, 2013). وهذا يعني أنه من الضروري أن تُستمد تقديرات الثبات من عينة كبيرة بما يكفي لتقليل هذا الخطأ الإحصائي (AERA, APA, NCME, 2014). في اختبار الثبات، غالباً ما يكون تحديد حجم العينة المناسب أمراً بالغ الأهمية (2013, Meyer, Erford; 2010). إذا كان حجم العينة المستخدم صغيراً جداً، فإنه لا يمكن الحصول على الكثير من المعلومات من الاختبار، مما يحد من قدرة الفرد على استخلاص استنتاجات ذات معنى. من ناحية أخرى، إذا كان حجم العينة كبيراً جداً، فقد تتجاوز المعلومات التي تم الحصول عليها من خلال الاختبار ما هو مطلوب (APA, AERA, NCME, 2014). وبالتالي، تكبد الباحثين تكاليف غير ضرورية. لكن في أغلب الأحيان، لا يتوفر لدى مطوري الاختبار موارد كثيرة أو وفرة للحصول على عدد العينات المطلوبة، بل يتعين عليهم إنشاء خطة اختبار تعتمد على الميزانية أو قيود الموارد الموضوعة للمشروع البحثي.

مشكلة البحث:

هناك اختلاف ملحوظ في الآراء في الأدبيات حول حجم العينة المناسب لتحديد ثبات أدوات البحث، فعلى سبيل المثال، أشار Kline (2000) إلى أن النصيحة الأساسية هي استخدام 100 مشارك على الأقل لكل بند على المقياس لضمان

دقة تقدير الثبات. ومن ناحية أخرى أكد كلاً من Bonnet and Wright (2014) أن العينات يجب ألا تتجاوز 30 عينة لتحديد الثبات، طالما أن بنود المقياس تتمتع بترابط قوي. علاوةً على ذلك، يستخدم العديد من الباحثين أحجام عينات مختلفة لتحديد تقديرات الثبات عند إجراء الدراسات البحثية، فيستخدم البعض 20 أو 30 أو 40 أو 50 أو 100 عينة حسب الحالة. ولكن -حسب علم الباحث- هناك نُذرة في الأبحاث العلمية التي أُجريت لتبرير استخدام هذه الأحجام، كما يستخدم بعض الباحثين أساليب مختلفة لتقدير معاملات الثبات في أنواعه المختلفة. فعلى سبيل المثال، يستخدم البعض اختبار إعادة الاختبار لأداة الاستبيان بدلاً من معامل ألفا كرونباخ الشائع. (Vacha-Haase & Thompson, 2010).

وعلى الرغم من أن موضوع الثبات قد حظي باهتمام كبير في الأدبيات، إلا أن الدراسات المتعلقة بمتطلبات حجم العينة لا تزال نادرة، لذلك، فإنه من الضروري فحص أثر أحجام عينات مختلفة على تقديرات معامل الثبات لطرق الثبات الأكثر استخداماً: طريقة إعادة الاختبار وطريقة معامل ألفا كرونباخ.

أسئلة البحث

تسعى الدراسة الحالية للإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. هل هناك فرق في تقدير ثبات إعادة الاختبار لأداة استخدام أحجام عينات مختلفة (20، 30، 40، 50، 100، 150، 200، 300، 400، 500)؟
2. هل هناك فرق في تقدير ثبات ألفا كرونباخ لأداة استخدام أحجام عينات مختلفة (20، 30، 40، 50، 100، 150، 200، 300، 400، 500)؟

أهمية الدراسة

ستساعد نتائج الدراسة المهمتين بالقياس النفسي والمعلمين والباحثين على معرفة الحد الأدنى لحجم العينة عند إجراء دراسات الثبات، وهذا سيساعد في التغلب على مشكلة اختيار حجم العينة المناسب لضمان قيم ثبات مقبولة. ستكون هذه الدراسة إلى جانب مثيلاتها بمثابة نافذة على المنهجية وحجم العينة اللازمين لإجراء دراسة ثبات. وفي السياق نفسه، ستساعد النتائج الباحثين والأخصائيين في القياس النفسي على تقدير نسبة التباين في قياساتهم، والتي تُعزى إلى النتيجة الحقيقية. أي أنها ستساعدهم على تحديد مقدار أو درجة الخطأ التي تُشير إلى مدى ثبات المقياس. فعندما يكون مقدار الخطأ منخفضاً، يكون ثبات المقياس عالي، وعلى العكس، عندما يكون مقدار الخطأ كبيراً، يكون ثبات المقياس منخفض. ستكون هذه الدراسة مفيدة أيضاً للباحثين وغيرهم من أصحاب المصلحة الذين قد يواجهون صعوبات في اختيار الطرق المناسبة لتقدير تقديرات الثبات. وستساعد هذه الدراسة جميع الباحثين وغيرهم من أصحاب المصلحة على الإبلاغ بدقة عن تقديرات الثبات في أي إصدارات ومستندات وأدلة علمية على سبيل المثال كتيبات الاختبارات، وأوراق المؤتمرات، والمقالات.

المنهجية

اعتمدت الدراسة على أسلوب البحث المسحي، وأُختيرت عينة تطوعية من المشاركين والمشاركات المستجيبين بلغت 500 مشاركاً ومشاركة. كانت أداة جمع البيانات هي مقياس الانتماء الوطني، وهو مقياس للانتماء الوطني طوره (القرني، 2019). وقد قام الباحث باختبار خصائصه السيكمترية. يتكون من قسمين. حيث تم استخدام القسم الأول لاستخلاص

المعلومات والبيانات الأساسية والديمغرافية، والتي تشمل جنسهم وفئاتهم العمرية. يتكون القسم من قائمة عبارات مكونة من ثلاثة وعشرين (23) عبارة مصممة لقياس مستوى الانتماء الوطني في ثلاثة أبعاد رئيسية وذلك باستخدام مقياس ليكرت ذو الأربع نقاط. تقع العبارات تحت خيارات الاستجابة = SA: موافق بشدة، = A: موافق، = D: غير موافق، = SD: غير موافق بشدة. حيث تم تسجيل SD نقطة واحدة، = D نقطتين، = 3 A نقاط و = 4 SA نقاط. تم التحقق من صحة الأداة من قبل (القرني، 2019)، كما تم التحقق من صحتها من قبل خبراء في القياس والتقييم، حيث كان ثبات وصدق الأداة جزءاً من المسائل التي أثّرت في الدراسة.

قُدِّرَ معامل الثبات باستخدام معامل ارتباط بيرسون (r) للأداة التي أُعيد اختبارها، ومعامل كرونباخ ألفا α للأداة التي طُبِّقت مرة واحدة. استُخدمت فترة ثقة فيشر 95% لتحديد أيٍّ من أحجام العينات يُعطي نتيجة مستقرة، وحُدِّد عرض الفترات في ضوء أحجام العينات المختلفة.

النتائج:

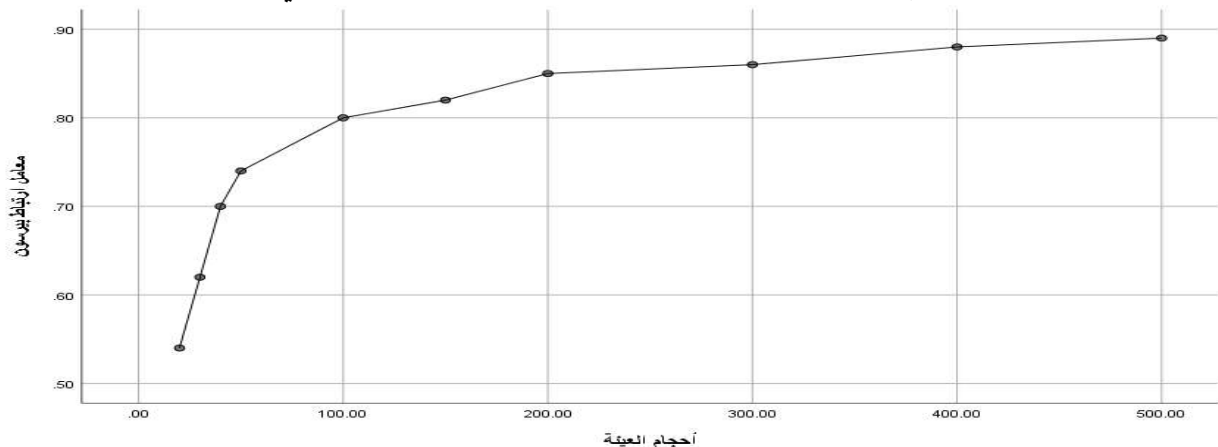
جدول (1) فترة الثقة 95% لتقديرات الثبات بطريقة إعادة الاختبار باستخدام تحويل فيشر:

العرض	الحد الأعلى لـ r	الحد الأدنى لـ r	الحد الأعلى لـ Z	الحد الأدنى لـ Z	الخطأ المعياري (σ_z)	قيمة فيشر (Zr)	معامل بيرسون (r)	حجم العينة
0.66	0.783	0.124	1.079	0.125	0.243	0.602	0.54	20
0.46	0.8	0.337	1.101	0.351	0.192	0.726	0.62	30
0.33	0.831	0.498	1.188	0.546	0.164	0.867	0.7	40
0.26	0.844	0.581	1.235	0.663	0.146	0.949	0.74	50
0.15	0.861	0.716	1.299	0.899	0.102	1.099	0.8	100
0.12	0.869	0.752	1.324	1.002	0.082	1.163	0.82	150
0.09	0.889	0.798	1.394	1.116	0.071	1.255	0.85	200
0.07	0.896	0.822	1.418	1.19	0.058	1.304	0.86	300
0.05	0.902	0.856	1.479	1.283	0.05	1.381	0.88	400
0.03	0.906	0.872	1.506	1.336	0.044	1.421	0.89	500

النتائج في الجدول أعلاه جدول رقم (1) توضح فترة الثقة 95% لتحليل ثبات أداة باستخدام طريقة إعادة الاختبار، وذلك عبر أحجام عينات مختلفة تبدأ من 20 وتصل إلى 500. يتضح من النتائج أن ازدياد حجم العينة يؤدي إلى تضيق فترة الثقة، مما يُشير إلى استقرار أكبر في تقديرات الثبات. وقد اعتُبر حجم العينة الذي يعطي أقل عرض للفواصل هو الأكثر اتساقاً واعتماداً في التقدير. هذا يدعم أهمية استخدام عينات كبيرة نسبياً عند دراسة خصائص الثبات في الأدوات النفسية والتربوية.

تشير النتائج في جدول (1) إلى وجود علاقة طردية واضحة بين حجم العينة وقيمة معامل الثبات باستخدام معامل بيرسون. أظهرت النتائج أنه مع تزايد حجم العينة من 20 إلى 500، ارتفعت قيمة معامل بيرسون تدريجياً من 0.54 إلى

0.89. هذا النمط يدل على أن تقديرات الثبات تصبح أكثر دقة واتساقاً مع ازدياد عدد المفحوصين، مما يعزز من موثوقية الأداة المستخدمة في القياس. كما أن عرض فترة الثقة يتناقص تدريجياً، مما يشير إلى تزايد الثقة في دقة التقدير. وعليه، فإن اختيار حجم عينة مناسب وكبير يعد عنصراً أساسياً في دراسات الثبات والموثوقية

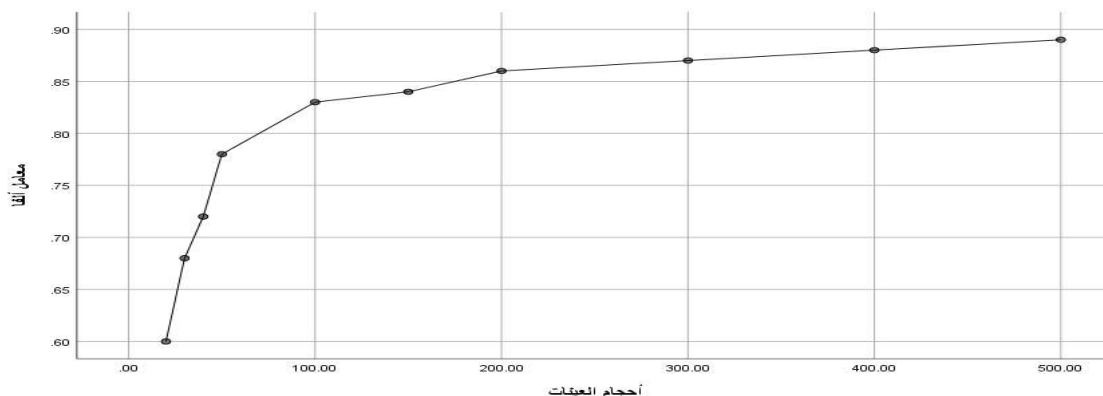


الشكل ١: يوضح فترة ثقة فيشر ٩٥٪ لتقديرات ثبات الاختبار وإعادة الاختبار.

جدول رقم (2) فترة الثقة 95٪ لتقديرات الثبات باستخدام ألفا كرونباخ

العرض	الحد الأعلى لـ α	الحد الأدنى لـ α	الحد الأعلى لـ Z	الحد الأدنى لـ Z	الخطأ المعياري (σ_z)	قيمة فيشر $(Z\alpha)$	ألفا كرونباخ (α)	حجم العينة
0.6	0.828	0.23	1.175	0.475	0.243	0.7	0.6	20
0.4	0.841	0.44	1.224	0.472	0.192	0.848	0.68	30
0.31	0.873	0.566	1.366	0.722	0.164	1.045	0.72	40
0.21	0.885	0.675	1.385	0.813	0.146	1.099	0.78	50
0.12	0.88	0.757	1.387	0.99	0.102	1.188	0.83	100
0.1	0.882	0.786	1.382	1.061	0.082	1.221	0.84	150
0.08	0.89	0.812	1.419	1.149	0.071	1.284	0.86	200
0.06	0.891	0.829	1.421	1.194	0.058	1.307	0.87	300
0.05	0.892	0.844	1.433	1.235	0.05	1.334	0.88	400
0.04	0.893	0.856	1.445	1.275	0.043	1.36	0.89	500

يتضح من الجدول أعلاه أن معامل الثبات ألفا كرونباخ يزداد تدريجياً مع تزايد حجم العينة، مما يعكس تحسن دقة التقدير وموثوقية الأداة. كما أن عرض فترة الثقة يتناقص بشكل ملحوظ، مما يشير إلى ازدياد الاتساق والثبات في التقدير الإحصائي. وتُعد هذه النتائج مؤشراً مهماً على أن استخدام عينات أكبر في البحوث التربوية والنفسية من شأنه أن يسهم في الحصول على تقديرات أكثر دقة وثباتاً لمعامل الثبات، مما يعزز من صلاحية الأداة المستخدمة.



الشكل 2: يوضح فترة ثقة فيشر ٩٥٪ لتقديرات ثبات الاختبار وإعادة الاختبار

مناقشة النتائج

كشفت الدراسة أن أحجام العينات (20 و 30) باستخدام إحصاءات إعادة الاختبار لم تكن ثابتة. ورغم ثبات حجم العينة (40 و 50)، إلا أن الحد الأدنى كان خارج نطاق الثبات المقبولة وهو 0.70 لاختبار إعادة الاختبار (Kline, 2000). وازداد ثبات الأداة قوةً عندما كان حجم العينة 100 على الأقل. وتتوافق هذه النتيجة مع دراسة Leann و Ken (2012) التي أكدت على أن العينات التي يُشتق منها معامل الثبات يجب أن تكون كبيرة بما يكفي لتكون ثابتة إحصائياً. كما تتفق هذه النتيجة مع دراسة Kline (2000) التي أشارت إلى أن النصيحة القياسية والأساسية هي استخدام 100 مشارك على الأقل على المقياس لضمان دقة تقدير الثبات. وفي المقابل لا تتفق النتيجة الحالية مع رأي Bonnet & Wright (2014) اللذين أكدا أن العينات يجب أن تكون صغيرة مثل ثلاثين (30) لتحديد الثبات طالما أن عناصر المقياس لها ارتباط قوي، ورأي ريا وباركر (1992) اللذين افترضوا أن العينات الأصغر التي لا تزيد عن 30 موضوعاً قد تكون كافية لتقدير الثبات بطريقة الاختبار وإعادة الاختبار.

وكشفت الدراسة أيضاً أن أحجام العينات 20 و 30 باستخدام إحصائيات ألفا كرونباخ لم تكن ثابتة. كما أن حجم العينة 40 و 50، على الرغم من ثباته فقد كان الحد الأدنى خارج معاملات الثبات المقبولة 0.80 فأكثر لألفا كرونباخ Nunnally & Bernstein (1994). أصبح ثبات الأداة أقوى عندما كان حجم العينة 100 على الأقل، وهذه النتيجة تتوافق مع AERA و APA و NCME (2014) و Erford (2013) الذين أشاروا إلى أنه كلما زاد عدد الأشخاص، قل الخطأ المعياري للإحصاء مما يعني أنه من الضروري أن يتم اشتقاق تقديرات ثبات من عينة كبيرة بما يكفي لتقليل هذا الخطأ الإحصائي. كما تتوافق هذه النتيجة نسبياً مع دراسة Kline (1986) و Nunnally & Bernstein (1994) التي اقترحت حجم عينة أدنى يبلغ 300. أطلق سيجال (1994) على حجم عينة يبلغ 300 اسم "صغير". كما أشار Charter (1999) أن حجم عينة أدنى يبلغ 400 مطلوب لتقدير دقيق بدرجة كافية لـ معامل ألفا لمجتمع الدراسة. أشار Charter (2003) أيضاً إلى أن معاملات ألفا قد تكون غير مستقرة مع انخفاض أحجام العينات. اقترح Walker and Zhang (2004) حجم عينة أدنى يتراوح بين 125 و 150 لحساب الثبات، بحيث لا يقل عدد الأفراد في العينة عن عدد عناصر الاختبار. كما اقترح Charter (1999) حجم عينة يبلغ 400 لاختبار الثبات. في حين اختلفت هذه النتيجة مع نتائج دراسات Feldt et al (1987)، Donner & Eliasziw (1987)، Eliasziw et al (1994)، Bonett (2002)، و Charter (1999)، و et al Mendoza (2000)، و Cocchetti (1999) الذين أوصوا بأحجام عينات تبدأ من 25 بحيث $n = 25$.

قد يكون الاختلاف في نتائج هذه الدراسة ناتجاً عن استخدام القيم المرصودة ميدانياً، فمعظم النتائج الواردة في الأدبيات العلمية كانت إما من التجربة الشخصية أو من النظرية الإحصائية. للأسف فإن الكثير من الأدلة التجريبية يأتي من بيانات محاكاة، لذا، تُعدّ توصياتهم غير مكتملة، لأن بيانات المحاكاة تتطوي على قيود مهمة مقارنةً بالبيانات الملاحظة الواقعية. فهي تستند إلى نماذج إحصائية أو حاسوبية مختارة مسبقاً، لا يمكنها سوى المقاربة للبيانات الملاحظة، ولها معاملات قابلة للتحكم بشكل مُصطنع، وغالباً ما تُؤلّد لتعكس عينات مُوزّعة عشوائياً. وهذا يُحدّد من الاستدلالات التي يُمكن استخلاصها من تحليل البيانات المحاكاة، ويستلزم جمع البيانات الملاحظة لضمان مصداقيتها.

ومن النتائج الأخرى التي توصلت إليها الدراسة الحالية أن تقديرات ثبات كلٍّ من اختبار إعادة الاختبار وتقديرات ثبات كرونباخ بدأت تتقارب من حجم عينة يبلغ 100 (انظر الشكلين 1 و2). وهذا يعني، بالتالي، أنه لدراسة ثبات مقبول، يجب استخدام مائة فرد على الأقل.

كما كشفت نتائج الدراسة أن تقدير الفاصل الزمني أعطى تقديراً للثبات أفضل من تقدير النقطة لجميع العينات، فعلى سبيل المثال، بالنسبة لاختبار إعادة الاختبار، أعطت عينة من 40 فرداً مؤشر ثبات قدره 0.70 كتقدير نقطي، لكن تقدير الفاصل الزمني أعطى تقديراً للثبات قدره 0.498، كان الحد الأدنى خارج نطاق مؤشر الثبات المقبول (≤ 0.70). يتوافق هذا مع نتائج دراسات (AERA و APA و NCME و 2014)، والتي دعت إلى استخدام تقديرات الثبات كتقديرات فترة مقارنةً بتقدير النقطة المستخدم سابقاً.

الخلاصة

بناءً على نتائج هذه الدراسة، خلصت إلى الاستنتاجات التالية. أظهرت النتائج وجود عدد من الاختلافات في تحديد حجم العينة في دراسات الثبات. ولم يكن استخدام أحجام عينات تتراوح بين عشرين وثلاثين (30) عينة مبرراً. ويُعزى ذلك إلى أن دراسات أخرى اقترحت حدّاً أدنى من عشرين وثلاثين عينة استخدمت بيانات محاكاة، مقارنةً بالبيانات المرصودة المستخدمة في هذه الدراسة.

كلما زاد عدد العينات، قلّ الخطأ المعياري للإحصاء. ولتقليل هذا الخطأ الإحصائي، يجب استخلاص تقديرات الثبات من عينة كبيرة بما يكفي. وقد أظهرت نتائج الدراسة أن استخدام أحجام عينات تتراوح بين عشرين وثلاثين (20) عينة لدراسات الثبات غير مبرر. كما أظهرت أنه للحصول على ثبات مقبول، يجب ألا يقل حجم العينة عن مئة (100).

التوصيات

يُعدّ ثبات أي أداة القياس أمراً مهماً في الأبحاث، ويلعب تحديد حجم العينة دوراً بالغ الأهمية في تقدير الثبات. فكلما زاد حجم العينة، زاد الثبات وانخفض الخطأ الكامن في الأداة. وبناءً على ذلك، وُضعت التوصيات التالية:

1. ينبغي دائماً استخدام القيم الملاحظة أو المُختبرة ميدانياً في تقدير ثبات أي أداة قياس.
2. للحصول على تقدير ثبات عالٍ، ينبغي استخدام مئة (100) فرد على الأقل.
3. لا ينبغي استخدام الثبات كتقدير نقطة، بل الأفضل استخدامه كتقدير فترة.

REFERENCES

1. Alqarni, A. (2020). Developing a measure of national affiliation on a sample of Saudi society in the light of some demographic variables. *Journal of Educational and Psychological Sciences*, Umm Al-Qura University.
2. American Educational Research Association (AERA). (2006). Standards for reporting on empirical social science research in AERA publications. *Educational Researcher*, 35(6), 33–40.
3. American Educational Research Association, American Psychological Association, & National Council on Measurement in Education. (2014). *Standards for educational and psychological testing*. Washington, DC: American Educational Research Association.
4. Balkin, R. S. (2017). Evaluating evidence regarding relationships with criteria. *Measurement and Evaluation in Counseling and Development*, 50, 264–269.
5. Bardhoshi, G., Erford, B. T., Duncan, K., Dummett, B., Falco, M., Deferio, K., & Kraft, J. (2016). Choosing assessment instruments for posttraumatic stress disorder screening and outcome research. *Journal of Counseling & Development*, 94, 184–194.
6. Bolarinwa, O. A. (2015). Principles and methods of validity and reliability testing of questionnaires used in social and health science research. *Niger Postgraduate Medical Journal*, 22, 195–201.
7. Bonett, D. (2002). Sample size requirements for testing and estimating coefficient alpha. *Journal of Educational Behavioural Statistics*, 27, 335–340.
8. Bonett, D. G., & Wright, T. A. (2014). Cronbach's alpha reliability: Interval estimation, hypothesis testing, and sample size. *Journal of Organizational Behaviour*, 36(1).
9. Charter, R. A. (1999). Sample size requirements for precise estimates of reliability, generalizability, and validity coefficients. *Journal of Clinical and Experimental Neuropsychology*, 21, 559–566.
10. Charter, R. A. (2003). Study samples are too small to produce sufficiently precise reliability coefficients. *The Journal of General Psychology*, 130, 117–129.
11. Cocchetti, D. (1999). Sample size requirements for increasing the precision of reliability estimates: Problems and proposed solutions. *Journal of Clinical Experimental Neuropsychology*, 21, 567–570.
12. Cohen, D., Nisbett, R. E., Bowdle, B. F., & Schwarz, N. (1996). Insult, aggression, and the southern culture of honour: An "experimental ethnography." *Journal of Personality and Social Psychology*, 70, 945–960.
13. Crocker, L., & Algina, J. (1986). *Introduction to Classical and Modern Test Theory*. Harcourt Brace Jovanovich College Publishers: Philadelphia.
14. Deniz, M. S., & Alsaffar, A. A. (2013). Assessing the validity and reliability of a questionnaire on dietary fibre-related knowledge in a Turkish student population. *Journal of Health Population and Nutrition*, 31, 497–503.
15. Devellis, R. F. (1991). *Scale Development: Theory and Applications*, Applied Social Research Methods Series, 26. Sage: Newbury Park.
16. Dimitrov, D. M. (2002). Error variance of Rasch measurement with logistic ability distributions. Paper presented at the meeting of the American Educational Research Association, New Orleans, Louisiana.

17. Donner, A., & Eliasziw, M. (1987). Sample size requirements for reliability studies. *Journal of Statistical Medicine*, 6, 441–448.
18. Drost, E. A. (2011). Validity and reliability in social science research. *Educational Research Perspective*, 38, 105–123.
19. Eliasziw, M., Young, S., Woodbury, M., & Fryday-Field, K. (1994). Statistical methodology for the concurrent assessment of interrater and interrater reliability: Using goniometric measurements as an example. *Journal of Physical Therapy*, 74, 777–788.
20. Engel, R. J., & Schutt, R. K. (2013). *Measurement. The Practice of Research in Social Work* (3rd ed.). Sage Publications, Inc.
21. Erford, B. T. (2013). *Assessment for Counsellors* (2nd ed.). Belmont, CA: Cengage Wadsworth.
22. Erford, B. T., Johnson, E., & Bardhoshi, G. (2016). Meta-analysis of the English version of the Beck Depression Inventory–Second edition. *Measurement and Evaluation in Counseling and Development*, 49, 3–33.
23. Feldt, L., Woodruff, D., & Sailh, F. (1987). Statistical inference for coefficient alpha. *Journal of Applied Psychological Measure*, 11, 93–103.
24. Ferguson, E., & Cox, T. (1993). *Exploratory Factor Analysis: A User's Guide*. International Journal of Selection and Assessment, 1, 84–94.
25. Joint Committee on Standards for Educational and Psychological Testing of the American Educational Research Association (AERA), the American Psychological Association (APA), and the National Council on Measurement in Education (NCME). (1999). *Standards for educational and psychological testing*. Washington, DC: AERA.
26. Joppe, M. (2000). The Research Process. Retrieved February 25, 1998, from <http://www.ryerson.ca/~mjoppe/rp.htm>
27. Kaplan, R. M., & Saccuzzo, D. P. (2005). *Psychological Testing: Principles, Applications, and Issues* (6th ed.). Belmont, CA: Thomson Wadsworth.
28. Kline, P. (1986). *A Handbook of Test Construction: Introduction to Psychometric Design*. New York: Methune & Company.
29. Kline, R. B. (2000). *Beyond Significance Testing: Reforming Data Analysis Methods in Behavioural Research*. Washington, DC: American Psychological Association.
30. Last, J. M. (2015). *A Dictionary of Epidemiology* (4th ed.). New York: Oxford University Press.
31. Leann, J. T., & Ken, J. (2012). Sample size planning for composite reliability coefficients: Accuracy in parameter arrow estimation via narrow confidence intervals. *The British Journal of Mathematics and Statistical Psychology*, 65, 371–401.
32. McLeod, S. A. (2007). What is Reliability? Retrieved on June 27, 2017, from www.simplypsychology.org/reliability.html.
33. Mellenbergh, G. J. (2011). *A Conceptual Introduction to Psychometrics*. The Hague, Netherlands: Eleven International.
34. Mendoza, J., Stafford, K., & Stauffer, J. (2000). Large-sample confidence intervals for validity and reliability coefficients. *Journal of Psychological Methods*, 5, 356–369.
35. Meyer, P. (2010). *Reliability: Understanding Statistics Measurement*. New York, NY:

Oxford University Press.

36. Miller, M. J. (2015). *Graduate Research Methods*. Available from: <="" a=""> [Last accessed on 2015 Oct 10].
37. National Council on Measurement and Evaluation in Education (1999).
38. Nunnally, J. C., & Bernstein, I. H. (1994). *Psychometric Theory* (3rd ed.). McGraw-Hill: New York.
39. Pedisic, Z., Bennie, J. A., Timperio, A. F., Crawford, D. A., Dunstan, D. W., & Bauman, A. E. (2014). Workplace sitting breaks questionnaire (SITBRQ): An assessment of concurrent validity and test-retest reliability. *BMC Public Health*, 14, 1249.
40. Popham, W. J. (2000). *Modern Educational Measurement: Practical Guidelines for Educational Leaders* (3rd ed.). Needham, MA: Allyn and Bacon.
41. Rea, L., & Parker, R. (1992). *Designing and Conducting Survey Research: A Comprehensive Guide*. Jossey-Bass, San Francisco.
42. Rosenthal, R., & Rosnow, R. L. (1991). *Essentials of Behavioral Research: Methods and Data Analysis* (2nd ed.). McGraw-Hill Publishing Company.
43. Sawilowsky, S. S. (2000). Psychometrics versus data metrics: Comments on Vacha-Haase's "reliability generalization" method and some EPM editorial policies. *Journal of Educational and Psychological Measurement*, 60, 157–173.
44. Segall, D. O. (1994). The reliability of linearly equated tests. *Psychometrika*, 59, 361–375.
45. Sijtsma, K. (2009). On the use, the misuse, and the very limited usefulness of Cronbach's alpha. *Psychometrika*, 74, 107–120.
46. Vacha-Haase, T., & Thompson, B. (2010). Score reliability: A retrospective look back at 12 years of reliability generalization studies. *Measurement and Evaluation in Counseling and Development*, 44, 159–168.
47. Wells, C. S. (2003). Reliability and Validity; Available from: <="" a="">. [Last accessed on 2015 Dec 09].
48. Wilkinson, G. S., & Robertson, G. J. (2006). *Manual for the Wide-Range Achievement Test (WRAT-4)*. Los Angeles, CA: Western Psychological Services.
49. Wong, K. L., Ong, S. F., & Kuek, T. Y. (2012). Constructing a survey questionnaire to collect data on service quality of business academics. *European Journal of Social Science*, 29, 209–221.

عنوان البحث

نفقة الحواشي في قانون الأحوال الشخصية العراقي وأثرها على تحقيق السلم المجتمعي

أ.م.د. إيمان موسى فرحان¹، أ.د. مزاحم مهدي النجار¹

¹ كلية العلوم الإسلامية، جامعة تكريت، العراق. بريد الكتروني: iman.aldori@tu.edu.iq

HNSJ، 2025، 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/27>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/68/27>

تاريخ النشر: 2025/08/01م

تاريخ القبول: 2025/07/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/07/07م

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى دراسة حكم نفقة الحواشي في الشريعة الإسلامية وفي قانون الأحوال الشخصية العراقي، وتأثير ذلك على تحقيق السلم المجتمعي. يتناول البحث تعريف النفقة في الإسلام، وواجب النفقة على الأقارب، وتطرق إلى حكم نفقة الحواشي في الشريعة الإسلامية مع بيان الاختلافات بين الفقهاء في هذا المجال، حيث تبني البعض فرض النفقة بناءً على الإرث بينما اعتبرها آخرون مرتبطة بالرحم المحرم. كما يوضح البحث أن قانون الأحوال الشخصية العراقي أخذ بمذهب الحنابلة في وجوب النفقة على الأقارب الذين يرثهم الشخص الموسر. أظهر البحث أهمية تحقيق السلم المجتمعي من خلال نفقة الحواشي، حيث أن الإنفاق على الأقارب المحتاجين يعزز من الروابط الأسرية، ويؤدي إلى تعزيز التكافل الاجتماعي. وفي النهاية، يوصي الباحث بإعادة النظر في المادة 62 من قانون الأحوال الشخصية العراقي لتكون أكثر توافقاً مع مصلحة المجتمع، من خلال اعتماد رأي الحنفية الذي يرى ضرورة وجوب النفقة على جميع ذوي الأرحام.

الكلمات المفتاحية: نفقة الحواشي، الشريعة الإسلامية، قانون الأحوال الشخصية العراقي، السلم المجتمعي، التكافل الاجتماعي.

RESEARCH TITLE

Alimony for Relatives in Iraqi Personal Status Law and Its Impact on Achieving Societal Peace

Asst. Prof Dr. Iman Mosa Farhan¹, Prof Dr. Mozahim Mahdi Ibrahim¹

¹ College of Islamic Sciences, Tikrit University, Iraq. E-Mail: iman.aldori@tu.edu.iq

HNSJ, 2025, 6(7); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/27>

Arabic Scientific Research Identifier: <https://arsri.org/10000/68/27>

Received at 07/07/2025

Accepted at 15/07/2025

Published at 01/08/2025

Abstract

This research aims to study the ruling on alimony for relatives in Islamic law and in the Iraqi Personal Status Law, and its impact on achieving societal peace. The research discusses the definition of alimony in Islam, the obligation of alimony for relatives, and addresses the ruling on alimony for relatives in Islamic law, highlighting the differences of opinion among scholars in this regard. Some scholars adopted the view that alimony is based on inheritance, while others considered it related to the forbidden kinship. The research also clarifies that the Iraqi Personal Status Law follows the Hanbali school of thought regarding the obligation of alimony for relatives who inherit from a wealthy person. The study highlights the importance of achieving societal peace through alimony for relatives, as spending on needy relatives strengthens family bonds and promotes social solidarity. In conclusion, the researcher recommends revising Article 62 of the Iraqi Personal Status Law to align more closely with the interests of society by adopting the Hanafi view, which asserts the obligation of alimony for all relatives.

Key Words: Alimony for relatives, Islamic law, Iraqi Personal Status Law, societal peace, social solidarity.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا وحبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى اله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين
وبعد

إن الدين الإسلامي قد جاء بنظام شامل للحياة وتشريعات تحقق العدالة بين أفرادها فلا يحمل هم معاشه سواء كان موسراً أم فقير الحال، لأنه يعلم أنه جزء من منظومة مجتمعية تتشارك مسؤولياتها، ويقع على عاتقها التكافل والتراحم لتحقيق مقاصد هذه الشريعة السمحة، ومن الأمور التي عالجها مسألة النفقة ومنها نفقة الأقارب التي عكست مظاهر شمول التشريع وتحقيق التآلف بين أفرادها، كما جاءت التشريعات الوضعية بقوانين لتنظيم أمور الناس، ومن بين هذه القوانين قانون الأحوال الشخصية.

لقد عالج قانون الأحوال الشخصية العراقي مسألة النفقة في عدة مواد ومن بينها نفقة الأقارب، ولكنها تحتاج إلى إضافة وتعديل بعض موادها كما سابين خلال البحث.

مشكلة الدراسة:

تتلخص مشكلة الدراسة بما هو المقصود بنفقة الحواشي ؟ وما حكم هذه النفقة ؟ وكيف تناول قانون الأحوال الشخصية العراقي تنظيمها ؟ وما مدى أهمية مراعاة القانون العراقي لدورها في تحقيق السلم المجتمعي ؟

حدود الدراسة:

تتناول الدراسة لنفقة الحواشي في قانون الأحوال الشخصية العراقي فقط.

أهمية الدراسة:

- 1- تأتي أهمية الدراسة لتعلقها بالمال، وتهرب الكثير من الناس من مسؤولياتهم تجاه أقاربهم.
 - 2- دور القانون في تبني رأي التشريع الإسلامي الذي يحقق المصلحة الأكبر وبالتالي يحقق السلم المجتمعي.
- وقد انتظمت خطة البحث في تمهيد وأربعة مطالب:

التمهيد: ويشمل مفاهيم العنوان

المطلب الأول: أهمية النفقة والسلم المجتمعي في الشريعة الإسلامية

المطلب الثاني: نفقة الحواشي في الشريعة الإسلامية

المطلب الثالث: نفقة الحواشي في القانون العراقي

المطلب الرابع: آثار نفقة الحواشي على السلم المجتمعي

الخاتمة

تمهيد: مفاهيم العنوان

أولاً: تعريف النفقة لغة واصطلاحاً وقانوناً

النفقة لغة: (نفق) النون والفاء والقاف أصلان صحيحان، يدل أحدهما على انقطاع شيء وذهابه، والآخر على إخفاء شيء وإغماضه⁽¹⁾، وهي مشتقة من النفوق الذي هو الهلاك، يقال: نفقت الدابة إذا ماتت وهلك، ومنه النفقة لأن فيها هلاك المال⁽²⁾.

يقال: نفق ماله ودرهمه وطعامه نفقا ونفاقاً ونفق، أي: نقص وقل، وقيل فني وذهب. وأنفق الرجل إذا افتقر؛ ومنه قوله تعالى: **إِذَا لَأْمَسَكُمْ خَشْيَةُ الْإِنْفَاقِ**⁽³⁾؛ أي خشية الفناء والنفاذ. وأنفق المال: صرفه⁽⁴⁾.

النفقة اصطلاحاً: هي ما يلزم المرء صرفه لمن عليه مؤنته من زوجته أو قنّه أو دابته⁽⁵⁾ من نحو مأكول وملبوس وسكنى⁽⁶⁾، وقيل: هي مال يجب بملك أو زوجية أو قرابة⁽⁷⁾، أو هي ما يجب من المال لتأمين ضروريات البقاء⁽⁸⁾.

وعرّفها الفقهاء بتعريفات متقاربة:

فقد عرّفها الحنفية بأنها: "الإدراج على شيء بما فيه بقاءه"⁽⁹⁾.

وعرّفها المالكية بأنها: "ما به قوام معتاد حال الأدمي دون سرف"⁽¹⁰⁾.

فخرج ما به قوام معتاد غير الأدمي كالتين للبهائم، وخرج ما ليس بمعتاد في قوت الأدمي كالحلوى والفواكه، فليست بنفقة شرعية. وخرج ما كان سرفاً، وهو الزائد على العادة بين الناس في نفقة المستلذة⁽¹¹⁾.

وعرّفها الشافعية: بأنها مأخوذة من الإنفاق وهو الإخراج، ولا يستعمل إلا في الخير⁽¹²⁾.

وعرفها الحنابلة بأنها: "كفاية من يمونه خبزاً وإداماً وكسوة وسكناً وتوابعها"⁽¹³⁾.

وقد حصر الفقهاء النفقات في ثلاثة أصناف: نفقة الزوجات، ونفقة الأقارب، ونفقة المماليك من رقيق وبهائم⁽¹⁴⁾، قالوا: وأقواها نفقة النكاح؛ لأنها معاوضة في مقابلة التمكين من الاستمتاع، ولأنها محبوسة لحق الزوج فيمنعها من التصرف والكسب ولا تسقط بمضي الزمان، فهي أقوى من غيرها⁽¹⁵⁾.

¹: مقاييس اللغة، 454/5.

²: يُنظر: أنيس الفقهاء في تعريف الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، ص 59، ودستور العلماء، 288/3.

³: سورة الإسراء: من الآية 100.

⁴: يُنظر: لسان العرب، 357/10-358.

⁵: يُنظر: التوقيف على مهمات التعاريف، ص 328.

⁶: يُنظر: دستور العلماء، 288/3.

⁷: يُنظر: معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ص 58.

⁸: معجم لغة الفقهاء، 485/1.

⁹: حاشية ابن عابدين، 572/3، والقاموس الفقهي، 358/1.

¹⁰: حاشية الصاوي على الشرح الصغير، 729/2.

¹¹: حاشية الصاوي على الشرح الصغير، 729/2.

¹²: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، 151/5.

¹³: شرح منتهى الإرادات، 225/3.

¹⁴: يُنظر: بدائع الصنائع، 15/4، و مغني المحتاج، 151/5، وحاشية الصاوي على الشرح الصغير، 729/2.

¹⁵: يُنظر: مغني المحتاج، 151/5، وشرح منتهى الإرادات، 225/3.

النفقة قانوناً: لم يعرّف القانون الوضعي النفقة وحسناً فعل.

ثانياً: مفهوم الحواشي في اللغة والاصطلاح والقانون

الحواشي لغة: حاشية كل شيء: جانبه وطره⁽¹⁶⁾، ومن الإبل صغارها التي لا كبار فيها والأهل والخاصة يقال هؤلاء حاشيته⁽¹⁷⁾، وفي حديث الزكاة: "أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ حَوَاشِي أَمْوَالِهِمْ"⁽¹⁸⁾، والحاشية: صغار الإبل التي تكون كالحشو ثم استعير لرذال الناس كالخدم ونحوهم. يقال: جاء فلان مع حاشيته أي مع من في كنفه وداره⁽¹⁹⁾.

وحاشية النسب كأنه مأخوذ من التعريف اللغوي وهو الذي يكون على جانبه كالعم وابن⁽²⁰⁾.

الحواشي اصطلاحاً: الحواشي في النسب: غير الأصول والفروع من الأقارب⁽²¹⁾.

الحواشي قانوناً: لم يعرّف قانون الأحوال الشخصية الحواشي، وإنما عرّفها القانون المدني العراقي رقم (40) لسنة 1951 في المادة 39 فقرة أ (.....) قرابة الحواشي هي الرابطة بين أشخاص يجمعهم أصل مشترك دون أن يكون أحدهم فرع للآخر⁽²²⁾.

ثالثاً: مفهوم السلم المجتمعي

السلم لغة:

المسالمة، والسلام والسلامة: البراءة. وتسلم منه: تبرأ⁽²³⁾، واستسلم: أي انقاد والسلم: بالكسر: الإسلام والمذهب، قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً⁽²⁴⁾، والسلم: الصلح يفتح ويكسر ويؤنث والتسالم: التصالح، والمسالمة: المصالحة⁽²⁵⁾.

السلم اصطلاحاً:

السلام والسلامة التعري من الآفات الظاهرة والباطنة⁽²⁶⁾، ومنه قيل للجنة: دار السلام لأنها دار السلامة من الآفات⁽²⁷⁾.

وغني عن القول أن الإسلام جاء دعوة للسلم والسلام على مستوى العالم أجمع، وقد تكرر الحديث عن السلم والسلام في القرآن الكريم في أكثر من خمسين موضعاً، فهو يعد المبدأ الأساسي في العلاقات بين البشر، بل إن السلام هو اسم من أسماء الله تعالى وصفاته⁽²⁸⁾.

¹⁶: لسان العرب، 180/14.

¹⁷: المعجم الوسيط، 177/1.

¹⁸: صحيح البخاري، باب قصة البيعة، 3700، 15/5.

¹⁹: التوقيف على مهمات التعاريف، ص 134.

²⁰: يُنظر: المصباح المنير، 138/1.

²¹: معجم لغة الفقهاء، ص 172.

²²: القانون المدني العراقي رقم (40) لسنة 1951، ص 8.

²³: مقاييس اللغة، 90/3، ولسان العرب، 289/12.

²⁴: سورة البقرة: الآية 208.

²⁵: أنيس الفقهاء، 30/1، والتوقيف على مهمات التعاريف، 197/1.

²⁶: المفردات في غريب القرآن، 421.

²⁷: لسان العرب، 291/12.

²⁸: السلم الاجتماعي، مقوماته وحمايته، ص 31.

المجتمعي لغة:

من الاجتماع: (جمع) الجيم والميم والعين أصل واحد، يدل على تضام الشيء. يقال جمعت الشيء جمعا⁽²⁹⁾. والجميع ضد المتفرق، وجماع الناس: أخلاطهم من قبائل شتى، ومن كل شيء: مجتمع أصله، وكل ما تجمع وانضم بعضه إلى بعض⁽³⁰⁾.

اصطلاحاً:

تقارب الأجسام بعضها من بعض⁽³¹⁾، وقيل: جود أشياء كثيرة يعمها معنى واحد⁽³²⁾. ويعد مفهوم السلم المجتمعي من المصطلحات المعاصرة التي لم يعرفها الأقدمون، ولكن عرّفه المعاصرون بتعريفات منها:

أنه: "توافر الاستقرار والأمن والعدل الكافل لحقوق الأفراد في مجتمع ما، أو بين مجتمعات أو دول"⁽³³⁾. وقيل بأنه: "الهدوء والاستقرار الذي يسود المجتمع بمختلف فئاته وشرائحه، مما يولد حالة من الإنسجام والوئام والتوافق نابعة من شعور الإنسان بأمنه الاجتماعي"⁽³⁴⁾.

رابعاً: الألفاظ ذات الصلة:

الأمن: لغة:

الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق. والمعنيان متدانيان. قال الخليل: الأمانة من الأمن. والأمان إعطاء الأمانة. والأمانة ضد الخيانة⁽³⁵⁾، وأصل الأمن: طمأنينة النفس وزوال الخوف ومنه قوله تعالى: الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ⁽³⁶⁾⁽³⁷⁾.

والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصادر، ويجعل الأمان تارة اسماً للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن، وتارة اسماً لما يؤمن عليه الإنسان، نحو قوله تعالى: وَتَخَوَّنُوا أَمَانَتَكُمْ⁽³⁸⁾.

ويلتقي الأمن بالسلم في اطمئنان النفس وزوال الخوف فهو أساس الوصول اليه.

الاستقرار لغة:

مصدر قرّ، وقرّر الشيء جعله في مكانه حتى استقر، واستقر: ثبت⁽³⁹⁾.

²⁹: مقاييس اللغة، 1/479.

³⁰: القاموس المحيط، 710.

³¹: التعريفات، 10/1.

³²: التوقيف على مهمات التعاريف، 39.

³³: الحوار وبناء السلم الاجتماعي، ص12.

³⁴: السلم الاجتماعي وأزمة الدولة الربيعية - حالة الجزائر، ص12.

³⁵: مقاييس اللغة، 1/133.

³⁶: سورة قريش: الآية 4.

³⁷: لسان العرب، 13/21، والمفردات في غريب القرآن، 90.

³⁸: سورة الأنفال: من الآية 27.

³⁹: لسان العرب، 5/85، والقاموس الفقهي، 1/188.

يقال: استقر في مكانه: أي ثبت ولم يتزعزع⁽⁴⁰⁾، ومنه قوله تعالى: وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَاهُ⁽⁴¹⁾.

ويشترك الاستقرار مع السلم في تمسك أفراد المجتمع بثوابتهم الدينية والثقافية وما يسهم في توحيدهم واستقرار حياتهم المدنية.

التعايش لغة:

العين والياء والشين أصل صحيح يدل على حياة وبقاء، قال الخليل: العيش: الحياة. والمعيشة: الذي يعيش بها الإنسان: من مطعم ومشرب وما تكون به الحياة. والمعيشة: اسم لما يعاش به. وهو في عيشة ومعيشة صالحة، وكل شيء يعاش به أو فيه فهو معاش⁽⁴²⁾. قال تعالى: وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا⁽⁴³⁾.

وتعايش يتعايش تعايشاً، فهو متعايش، يقال: تعايش الجيران على المودة والعطاء وتعايشت الدول فيما بينها تعايشاً سلمياً إذا اتفقت على التعايش بلا اعتداء⁽⁴⁴⁾.

ويشترك التعايش مع السلم في تحقيق حياة آمنة خالية من النزاع والاختلاف والاعتداء.

التآلف لغة:

الهمزة واللام والفاء أصل واحد، يدل على انضمام الشيء إلى الشيء، والأشياء الكثيرة أيضاً⁽⁴⁵⁾، والإلف: اجتماع مع التثام، يقال: أَلَفْتُ بينهم، ومنه: الألفة ويقال للمألوف: إلفٌ وأليفٌ⁽⁴⁶⁾، قال تعالى: إِذْ كُنْتُمْ أَغْدَاءً فَآلَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاصْبِرْ لَهُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا⁽⁴⁷⁾، وتآلف القوم اجتمعوا على وئام وإخاء⁽⁴⁸⁾.

ويشترك التآلف مع السلم في ترابط أفراد المجتمع وتماسكهم.

المطلب الأول: أهمية النفقة والسلم المجتمعي في الشريعة الإسلامية

أولاً: أهمية النفقة في الشريعة الإسلامية

إن من كمال الشريعة الإسلامية أنها نظمت جميع ما يحتاجه الفرد من ركائز تقوم بها حياته، وجاءت أحكامها موافقة لفطرته وحرصت على صون كرامته، فالحاجة ذل وهوان ينأى الشارع الحكيم أن يعرض المسلم لها، والنفقة كانت ولا تزال من أهم الحاجات الأساسية التي يركز عليها استقرار المجتمعات، فتوفير النفقة وبذلها إلى من يستحقها يعد من أهم وسائل تحقيق الأمن الاجتماعي والتعايش السلمي ذلك أن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها، والإنفاق على الأقارب يؤلف القلوب ويزيد من عرى المودة والتآخي بينهم، وترك القيام بها قد يؤدي ذوي الحاجة منهم إلى سلوك الطرق المحرمة للحصول على المال وإلى مفاسد كثيرة كما هو معلوم مشاهد.

⁴⁰ ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، 3/1795.

⁴¹ سورة الأعراف: من الآية: 143.

⁴² مقاييس اللغة، 4/194.

⁴³ سورة النبأ: آية 11.

⁴⁴ ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، 2/1583.

⁴⁵ مقاييس اللغة، 1/131.

⁴⁶ المفردات في غريب القرآن، ص 89.

⁴⁷ سورة آل عمران: من الآية 103.

⁴⁸ معجم اللغة العربية المعاصرة، 1/110.

وقد تصافرت نصوص الشرع من الكتاب والسنة في الحث على النفقة سواء كانت نفقة واجبة أم مندوبة، ومنها قوله تعالى **وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ** (49).

وقوله تعالى: **لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا** (50).

ومن السنة النبوية ما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَتُوبُ» (51)، وعن أنس بن مالك ﷺ: أن رسول الله ﷺ سأل البراء بن عازب ﷺ فقال: «يَا بَرَاءُ، كَيْفَ نَفَقَتَكَ عَلَى أَهْلِكَ؟» قَالَ: وَكَانَ مُوسِعًا عَلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَحْسِبُهَا؟ قَالَ: «فَإِنْ نَفَقَتَكَ عَلَى أَهْلِكَ وَوَلَدِكَ وَخَادِمِكَ صَدَقَةً، فَلَا تَتَّبِعْ ذَلِكَ مَنًّا وَلَا أَدَى» (52).

ومن أهم مزايا الشريعة الإسلامية أنها حددت مسؤولية كل شخص تجاه نفسه وغيره فيما يجب له وما يجب عليه متى ما تحققت أهليته، سواء كان ذكراً أم أنثى ومهما كان موقعه في لبنة الأسرة لتستقيم حياته وحياة الآخرين في مظهر لا نجد له مثيلاً في تجسيد مضامين التكافل الاجتماعي والتضامن والتراحم.

ثانياً: أهمية تحقيق السلم المجتمعي

إن قضية السلم المجتمعي أو التعايش السلمي هي من القضايا المهمة التي أولتها الشريعة الإسلامية الأهمية الكبرى فجاء القرآن الكريم بكثير من الآيات البيّنات التي أكدت على أهمية الأمن والسلم والصلح، كقوله تعالى: **وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ** إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (53)، وقوله تعالى: **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا** (54)، كما أن وثيقة المدينة التي كتبها النبي ﷺ لتنظيم حياة المسلمين مع اليهود في المدينة وصلاح الحديبية مع مشركي قريش والوثائق التي كتبها الخلفاء الراشدون كأبي بكر وعمر ﷺ مع نصارى نجران ما هي إلا دلائل على أهمية السلم المجتمعي في استقرار وتماسك المجتمع الإسلامي (55).

كما أن تحقيق السلم المجتمعي يعد مقصداً شرعياً ارتبط بضروريات الشرع الخمس التي جاء الإسلام لتحقيقها والحفاظ عليها، وهذه الضروريات لا يمكن أن تتحقق في مجتمع تسوده الفوضى والاضطرابات الأمنية.

⁴⁹: سورة البقرة: من الآية 233.

⁵⁰: سورة الطلاق: الآية 7.

⁵¹: أخرجه أحمد في مسنده، مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421 هـ - 2001 م، 6459، 36/11، و أبو داود في سننه، سنن أبو داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: 275هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، 1692، 132/2، والنسائي في سننه الكبرى، السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ)، المحقق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1، 1421 هـ - 2001 م، 9132، 268/8، وأخرجه الحاكم في المستدرک وقال عنه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، المستدرک على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1411 - 1990، 575/1، والحديث عند مسلم بلفظ: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُخْسِنَ، عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوَّتَهُ»، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، 996، 692/2.

⁵²: أخرجه الحاكم في المستدرک، 3118، 310/2، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

⁵³: سورة الأنفال: الآية 61.

⁵⁴: سورة إبراهيم: الآية 35.

⁵⁵: يُنظر: السلم الاجتماعي دراسة تأصيلية، ص7 وما بعدها.

والسلم المجتمعي هو ثمرة تحقق هذه الضروريات، فمقصد حفظ الدين لا يتحقق الا بالعمل به وإظهار احكامه والحكم به والدعوة اليه والجهاد في سبيله، ورد كل ما يخالفه من أقوال وأفعال وكل ذلك لا يتصور في مجتمع تمزقه الأهواء وتتصارعه الفتن، وإنما لابد له من مجتمع يشيع فيه الأمن والسلم، ولنا في سيرة نبينا محمد ﷺ خير شاهد فقد كانت فترة صلح الحديبية عام سبعة للهجرة من أكثر الفترات انتشاراً للإسلام، ومع أن الصلح جاء مصاحباً لشروط قاسية على نفوس الصحابة ﷺ، إلا أن الله تعالى وصفه بقوله: **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا** (56)، إذ وقر جو السلم الظروف المناسبة لنشر هذا الدين (57).

ومقصد حفظ النفس يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتحقيق السلم المجتمعي كذلك، فقد عنيت الشريعة الإسلامية بها عناية فائقة فشرعت ما يحفظها ويصونها وحرمت قتل النفس والاعتداء عليها ورتبت عقوبات شديدة على هذا الأمر، قال تعالى: **وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** (58).

وهذه الأنفس التي اهتمت الشريعة بحفظها هي ما كان منها معصوماً بالإسلام أو الجزية أو الأمان (59)، ولذا قال تعالى: **وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ** (60).

فمن الوسائل التي وضعتها الشريعة لحفظ الأنفس تحريم الاعتداء عليها وسد الذرائع المفضية الى القتل، والقصاص، وضمان النفس، وضرورة إقامة البيئة في قتل النفس (61)، وقتل الجماعة بالواحد وغيرها من الوسائل التي تبين حرمة النفس وعظم جرم من اعتدى عليها، وما ذلك إلا لأن المجتمعات إنما تقوم بأفرادها وأن ذهاب الأنفس يذهب الدين لأن عدم وجود عقوبات رادعة يفشي الضغائن وحب الانتقام بين الناس الأمر الذي يؤدي الى تفريق جماعة المسلمين وزعزعة الأمن والاستقرار في المجتمع فيطمع فيهم أعداءهم ويتسلطوا عليهم.

ومقصد حفظ العقل لا يقل عن سابقه من اهتمام أولته به الشريعة، فالعقل مناط التكليف وقد حرمت الشريعة الإسلامية كل ما من شأنه إفساد العقل وإدخال الخلل اليه من مفسدات حسية كالخمر واشباهها، أو مفسدات معنوية وهي ما يطرأ على العقول من تصورات فاسدة في الدين (62)، قال تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** (63)، فجاءت الحدود للزجر عن ارتكاب ما يفسد العقل وبالتالي يفسد المجتمع بأسره، لأن الإنسان إذا فقد عقله صار أداة بيد غيره فتقصد عليه مصالحه ويفسد عليه قوام أمره.

ومقصد حفظ النسل له ارتباط وثيق بالسلم المجتمعي كذلك، إذ أنه من ركائز إقامة المجتمعات وعمارة الأرض، وقد اعتنى الإسلام بهذا المقصد ودعا الى حماية النسل وتكثيره من خلال تشريع الزواج والحث عليه وإباحة التعدد، قال تعالى: **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ** (64)، ومنع الوسائل التي تؤدي الى ضياعه أو اختلاطه كالزنى وترك النكاح للعبادة والاجهاض وغيرها من الأمور، فرتب عليها عقوبات شديدة لحماية

⁵⁶: سورة الفتح: الآية 1.

⁵⁷: يُنظر: مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، 1/205-207، والحوار وبناء السلم الاجتماعي عليه، ص15.

⁵⁸: سورة النساء: من الآية 29.

⁵⁹: يُنظر: روضة الطالبين، 9/148.

⁶⁰: سورة الإسراء: من الآية 33.

⁶¹: يُنظر: مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، 211-2012.

⁶²: يُنظر: مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، 236-244.

⁶³: سورة المائدة: الآية 90.

⁶⁴: سورة النساء: الآية 3.

للمجتمع وتحقيقاً لاستقراره، قال تعالى: **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةً جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ** (65).

ومقصد حفظ المال له أهمية كبرى في تحقيق السلم المجتمعي، ففكرة الأمم اليوم تقاس بقوتها الاقتصادية والمالية، ولذلك اهتمت الشريعة الإسلامية بالحفاظ على المال وتحريم ضياعه وتبذيره، قال تعالى: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** (66)، ومن أبرز صور ارتباط مقصد حفظ المال بتحقيق السلم المجتمعي هو تشريع الزكاة والصدقة لأن ذلك يسهم في التكافل الاجتماعي فينعكس ذلك على تماسك المجتمع ووحدته (67).

المطلب الثاني: نفقة الحواشي في الشريعة الإسلامية

اختلف الفقهاء في حكم نفقة الحواشي على قولين:

القول الاول: وجوب النفقة اذا كان بينهم توارث بفرض أو تعصيب سواء أكان رحماً محرماً كالأخ والاخت والعم والعمة أو غير محرم كابن العم أي ان اساس النفقة هو الارث.

وهو مروي عن عمر بن الخطاب وابن عباس وزيد رضي الله عنه وعبدالله بن عتبة بن مسعود وقتيبة والحسن البصري وعطاء والنخعي وقتادة والشعبي ومجاهد وشريح وزيد بن اسلم والضحاك بن مزاحم والثوري واليه ذهب الظاهرية والحنابلة وبه أخذ قانون الاحوال الشخصية العراقي (68).

القول الثاني: لا تجب النفقة الا اذا كان ذو رحم محرم، فأساس النفقة هو المحرمية وليس الارث وهو مروي عن حماد واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله (69).

أدلة القول الاول:

1- قال تعالى **وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ ۚ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ** (70).

وجه الدلالة: قال اللوسي: (وعلى الوارث مثل ذلك) عطف على قوله تعالى (وعلى المولود له)..ويؤيده ان (ال) كالعوض عن المضاف اليه الضمير، ورجوع الضمير الى اخر مذكور وهو الاكثر في الاستعمال (71).

⁶⁵: سورة النور: الآية 2.

⁶⁶: سورة النساء: الآية 29.

⁶⁷: ينظر: السلم الاجتماعي دراسة تأصيلية، ص 26.

⁶⁸: المغني 171/8، المحلى 106/10، روح المعاني، 1415 هـ، 476/2، وتفسير الرازي = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بغفر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606 هـ)، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه عماد زكي البارودي، قدم له هاني الحاج، المكتبة التوفيقية، 117/6، وقانون الاحوال الشخصية العراقي 40، الوجيز في شرح قانون الاحوال الشخصية، أحمد الكبيسي، المكتبة القانونية، 248/1، اثر القراءة في اختلاف الفقهاء، د مزاحم مهدي، مجلة كلية العلوم الإسلامية، العدد 22 لسنة 2010/286.

⁶⁹: الهداية في شرح بداية المبتدي، علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني، أبو الحسن برهان الدين (المتوفى: 593 هـ)، المحقق: طلال يوسف، دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان، 47/2، وتفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671 هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2، 1384 هـ - 1964 م، 146/3، وتفسير الرازي 111/6، واثر القراءة في اختلاف الفقهاء، 386.

⁷⁰: سورة البقرة: من الآية 233.

⁷¹: روح المعاني 746/3.

ولأن بين المتوارثين قرابة تقتضي كون الوارث أحق بمال المورث من سائر الناس، فينبغي أن يختص بوجوب صلته بالنفقة دونهم، فإن لم يكن وارثاً لعدم القرابة، لم تجب عليه النفقة لذلك⁽⁷²⁾.

أدلة القول الثاني:

1- استدلو بقراءة ابن مسعود رضي الله عنه (وعلى الوارث ذي الرحم)⁽⁷³⁾.

وجه الدلالة: التصريح بلفظ (ذي الرحم) في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه، وهو نص في محل النزاع.

2- لعدم ورود دليل يخص ذلك بل جاءت أحاديث صلة الرحم وهي عامة والرحم المحتاج إلى نفقة أحق الأرحام بالصلة⁽⁷⁴⁾ وقد قال تعالى: **لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا**⁽⁷⁵⁾.

المطلب الثالث: نفقة الحواشي في القانون العراقي

تطرق قانون الاحوال الشخصية العراقي الى نفقة الحواشي في المادتين (62، 63)⁽⁷⁶⁾ وهي:

المادة 62:

تجب نفقة كل فقير عاجز عن الكسب على من يرثه من أقاربه الموسرين بقدر إرثه منه.

المادة 63:

يقضي بنفقة الاقارب من تاريخ الادعاء⁽⁷⁷⁾.

والملاحظ على قانون الاحوال الشخصية العراقي أمران وهما:

أولاً: أنه وضع ثلاثة شروط لوجوب النفقة وهي:

1: أن يكون فقيراً عاجزاً عن العمل.

2: أن يكون المنفق عليه غنياً موسراً.

3: أن يكون التوارث بينهما قائماً.

ثانياً:

1: أنه أخذ بمذهب الحنابلة والظاهرية الذين يرون أن أساس النفقة هو الميراث.

⁷²: الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة بن مصطفى الزحيلي، أستاذ ورئيس قسم الفقه الإسلامي وأصوله بجامعة دمشق - كلية الشريعة، دار الفكر - سورية - دمشق، 7352/10.

⁷³: روح المعاني 746/2، والهداية 47/2، والمبسوط، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: 483هـ)، دار المعرفة، ط3 1398هـ. 1978م، 223/5.

⁷⁴: يُنظر: الدراري المضية شرح الدرر البهية، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، دار الكتب العلمية، ط1، 1407هـ - 1987م، 243/2.

⁷⁵: سورة الطلاق: الآية 7.

⁷⁶: قانون الأحوال الشخصية وتعديلاته رقم 188 لسنة 1959، ص40.

⁷⁷: قانون الاحوال الشخصية، ص 40.

2: اعتمد على شروط الحنابلة في وجوب النفقة.

3: بالنسبة للنفقة فإن القانون العراقي أخذ بقول اتفاق الفقهاء الذين منعوا النفقة إلا إذا كان محتاجاً إليها إذ قالوا:

" أن نفقة كل انسان من ماله الا الزوجة فنفقتها على زوجها وان كانت موسرة".

والملاحظ على شراح قانون الاحوال الشخصية العراقي انهم لم يشرحوا هذه المادة بما يوضحها غير الدكتور أحمد الكبيسي، ومن أجل توضيح الأمر سأذكر بعض الامثلة:

شخص فقير وعنده أب وعم موسران، النفقة هنا عند الحنابلة والحنفية على الأب.

شخص فقير وعنده أخ فقير وعم موسر، النفقة عند الحنابلة لا تجب على العم وذلك لان العم محجوب بالأخ فلا يرث فلا تجب عليه النفقة، والنفقة عند الحنفية تجب على العم لان الاخ فقير فلا تجب عليه والعم من المحارم.

شخص فقير ولديه أب فقير وعم وخال، فالنفقة عند الحنابلة لا تجب على الوالد لفقره ولا تجب على العم والخال لعدم استحقاقهم الميراث مع وجود الأب، أما عند الحنفية فالنفقة لا تجب على الأب لأنه فقير ولكنها تجب على العم لأنه اقرب من الخال.

المطلب الرابع: أثر نفقة الحواشي على تحقيق السلم المجتمعي

إن نفقة الحواشي لها أهمية كبيرة في ترسيخ مفهوم السلم المجتمعي، إذ أنها مؤثرة في ترسيخ قيم المحبة ولم الشمل والشعور بالتآلف والتعاطف بين الأقارب، وهذه الأمور تعمل على تماسك المجتمع وتحقيق السلم الاجتماعي.

فالأقارب المحتاجون ينظرون الى أقاربهم الموسرين ويأملون منهم مواساتهم وإعانتهم في أمور معاشهم، فيكون الإنفاق عليهم من المقاصد الشرعية الحاجية التي يؤدي اهدارها الى التضيق والإعسار والشعور بالخيبة من أقاربهم، الأمر الذي قد يؤدي بهم الى سلوك طرق محرمة لسد حاجتهم، وكذلك يؤدي الى التناثر والتباعد والتحاسد بين الأقارب، وهذا على الضد مما جاءت به الشريعة الإسلامية من الحث على مراعاة المحتاجين الأقارب والحث على الإنفاق والصدقة على ذوي الحاجة منهم خاصة إن كان فيهم الضعيف والكبير في السن والمرأة وغيرهم ممن لا يستطيع التكسب لضعف أو مرض وسد حاجاتهم الضرورية.

هذا وقد تكلمنا في المطلبين السابقين عن رأي الشريعة الإسلامية والقانون العراقي حول نفقة الحواشي ومن تجب عليه هذه النفقة، وذكرنا أن رأي الحنفية أنها تجب على كل ذي رحم، بينما ذهب الحنابلة الى أنها لا تجب إلا على المستحقين للميراث، وبيننا أن القانون العراقي قد أخذ برأي الحنابلة.

ومن خلال الأمثلة التي طرحتها في سياق توضيح المادة القانونية نجد أن الأخذ برأي الحنفية هو أولى من أجل تحقيق السلم المجتمعي ذلك أنه يؤدي الى تحقيق هذا الغرض بينما رأي الحنابلة يؤدي الى التباغض والاحساس بالغبن وعدم التآلف والتكافل بين الأقارب من خلال اعطاء هذه النفقة لمن هو وارث أصلاً بخلاف رأي الحنفية الذي اعتنى بذوي الرحم ممن قرابتهم ضعيفة ولا يرثون غالباً كالعمة والخال والخاله.

ولذا نرى أن على المشرع العراقي إعادة النظر في هذه المادة والأخذ برأي الحنفية لأنه الأنفع للمجتمع ويؤدي بالنهاية إلى تحقيق السلم المجتمعي المنشود.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الميامين ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين

وبعد هذه الجولة الماتعة بين ثنايا أقوال الفقهاء وآراء القانونيين في نفقة الحواشي ومن يستحقها وأثر ذلك على تحقيق السلم المجتمعي خلصت الى مجموعة من النتائج وهي:

- 1- عظمة الشريعة الإسلامية ومراعاتها لمصالح العباد في العاجل والآجل.
- 2- اهتمام الشريعة الإسلامية بمسألة النفقة عموماً ونفقة الحواشي ضمناً، وقد اختلفت آراء الفقهاء فيمن يستحقها على قولين أحدهما للحنابلة والآخر للحنفية.
- 3- اهتمام القوانين الوضعية ومنها قانون الأحوال الشخصية العراقي بمسألة نفقة الحواشي وتشريع مادة قانونية خاصة بها مستمدة من الشريعة الإسلامية.
- 4- أخذ قانون الأحوال الشخصية العراقي برأي الحنابلة القاضي بإيجاب نفقة الحواشي على من يرثه من أقاربه الموسرين.
- 5- إن الشريعة الإسلامية لها دور كبير في ترسيخ قيم السلم المجتمعي وتؤكد لها من باب حفظ الضروريات التي جاءت الشريعة بحفظها ورعايتها.
- 6- إن لنفقة الحواشي أثراً مهماً في تحقيق السلم المجتمعي من خلال زيادة الترابط والتآلف بين الأقارب وتعزيز مبدأ التكافل الاجتماعي والتواصي فيما بينهم.
- 7- إن الأخذ بقول الحنفية القاضي بإيجاب نفقة الحواشي على كل ذي رحم محرم أولى في تحقيق السلم المجتمعي من الأخذ بقول الحنابلة.
- 8- على المشرع العراقي إعادة النظر في المادة الخاصة بنفقة الحواشي والأخذ برأي الحنفية لأنه الأنفع في تحقيق السلم المجتمعي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر

- القرآن الكريم
- السنة النبوية
- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م
- أنيس الفقهاء في تعريف الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، قاسم بن عبد الله بن أمير علي القنوي الرومي الحنفي (المتوفى: 978هـ)، المحقق: يحيى حسن مراد، دار الكتب العلمية، 2004م-1424هـ.
- دستور العلماء، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمدي نكري (المتوفى: 12هـ)، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، ط1، 1421هـ - 2000م.

- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، دار صادر - بيروت، ط1414، 3هـ.
- التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)، عالم الكتب - القاهرة، ط1، 1410هـ-1990م.
- معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، المحقق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب - القاهرة / مصر، ط1، 1424هـ - 2004 م.
- معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1408 هـ - 1988 م.
- حاشية ابن عابدين، ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (المتوفى: 1252هـ)، دار الفكر-بيروت، ط2، 1412هـ - 1992م.
- حاشية الصاوي على الشرح الصغير، أبو العباس أحمد بن محمد الخلوئي، الشهير بالصاوي المالكي (المتوفى: 1241هـ)، دار المعارف، د.ط، د.ت.
- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: 977هـ)، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ - 1994م.
- دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي (المتوفى: 1051هـ)، عالم الكتب، ط1، 1414هـ - 1993م.
- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: 587هـ)، دار الكتب العلمية، ط2، 1406هـ - 1986م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة،و دار مكتبة الحياة - بيروت[1377 - 1380 هـ].
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط1، 1422هـ.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ)، المكتبة العلمية - بيروت.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط1، 1412 هـ.
- السلم الاجتماعي، مقوماته وحمايته، حسن الصفار، دار الساقى - بيروت، ط1، 2002م.

- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط8، 1426 هـ - 2005 م.
- قانون الأحوال الشخصية العراقي وتعديلاته رقم 188 لسنة 1959، المكتبة القانونية - بغداد، 1432هـ - 2011م.
- القانون المدني العراقي رقم (40) لسنة 1951، المكتبة القانونية - بغداد.
- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1، 1403 هـ - 1983م.
- الحوار وبناء السلم الاجتماعي، خالد بن محمد البديوي، الرياض، ط1، 1432هـ - 2011م.
- السلم الاجتماعي وأزمة الدولة الربعية - حالة الجزائر، رسالة ماجستير من إعداد: نعيمة أم الخير، كلية الحقوق والعلوم السياسية - جامعة قاصدي مرباح، 2016.
- القاموس الفقهي، سعدي أبو حبيب، دار الفكر. دمشق - سورية، ط2، 1408 هـ = 1988 م.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، احمد مختار طبانة، عالم الكتب - بيروت، ط1، 1429هـ - 2009م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421 هـ - 2001 م.
- سنن أبو داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: 275هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ)، المحقق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1، 1421 هـ - 2001 م.
- المستدرک علی الصحیحین، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1411 - 1990.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- السلم الاجتماعي دراسة تأصيلية، محمد سليمان المومني، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الشرعية والقانونية، مجلد 26، العدد 1، 2018.
- مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، محمد اليوبي، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط1، 1418هـ - 1998م.
- الحوار وبناء السلم الاجتماعي عليه، خالد بن محمد البديوي، الرياض، ط1، 1432هـ - 2011م.

- روضة الطالبين وعمدة المفتين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان، ط3، 1412هـ / 1991م.
- المغني، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: 620هـ)، مكتبة القاهرة، د.ط، 1388هـ - 1968م.
- المحلى، ابن حزم أبو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الاندلسي (ت456هـ)، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الجيل.
- روح المعاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1415هـ.
- تفسير الرازي =التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه عماد زكي البارودي، قدم له هاني الحاج، المكتبة التوفيقية.
- الوجيز في شرح قانون الاحوال الشخصية، أحمد الكبيسي، المكتبة القانونية.
- اثر القراءة في اختلاف الفقهاء، د مزاحم مهدي، مجلة كلية العلوم الاسلامية، العدد 22 لسنة 2010.
- الهداية في شرح بداية المبتدي، علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني، أبو الحسن برهان الدين (المتوفى: 593هـ)، المحقق: طلال يوسف، دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
- تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964م.
- الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة بن مصطفى الزحيلي، أستاذ ورئيس قسم الفقه الإسلامي وأصوله بجامعة دمشق - كلية الشريعة، دار الفكر - سورية - دمشق.
- المبسوط، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: 483هـ)، دار المعرفة، ط3 1398هـ - 1978م.
- الدراري المضية شرح الدرر البهية، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، دار الكتب العلمية، ط1، 1407هـ - 1987م.

RESEARCH TITLE

Assessment of Macular Thickness Changes in Diabetic Retinopathy after Cataract Surgery

Najla Abdusalm Almagrouk¹, Algharib Albaghdadi Alshraa¹, Maisoon Daloub¹

¹ Tripoli University, Libya.

HNSJ, 2025, 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/28>

Received at 07/07/2025

Accepted at 15/07/2025

Published at 01/08/2025

Abstract

This study aimed to evaluate macular thickness changes following cataract surgery in diabetic patients using optical coherence tomography (OCT) and to assess the influence of diabetic retinopathy (DR) severity and prior laser photocoagulation on postoperative outcomes. A retrospective cohort analysis was conducted on 104 eyes of diabetic patients who underwent uneventful phacoemulsification at Tripoli Eye Hospital between 2018 and 2019. Central subfield macular thickness (CSMT) was measured preoperatively and at multiple postoperative intervals. Macular edema (ME), defined as a >30% increase in CSMT from baseline, occurred in 18.3% of eyes, with most cases appearing within one month and resolving spontaneously in 68% by six months. Eyes without prior laser treatment exhibited significantly higher CSMT at 1 and 2 months postoperatively. While DR severity was not significantly associated with ME overall, a significant correlation emerged after excluding patients with prior laser therapy. Visual acuity improved across all groups, though recovery was delayed in eyes with ME. Multivariate regression revealed significant associations between increased macular thickness and elevated HbA1c and serum cholesterol levels. The most common postoperative complication was ME, followed by DR progression and transient intraocular pressure elevation. OCT proved effective for detecting subclinical edema and guiding postoperative monitoring. These findings highlight the need for individualized follow-up protocols considering preoperative DR status, systemic metabolic control, and prior retinal treatment.

Key Words: Macular edema, Diabetic retinopathy, Cataract surgery, Optical coherence tomography, Laser photocoagulation.

تقييم التغيرات في سُمك البقعة الصفراء في اعتلال الشبكية السكري بعد جراحة الساد

المستخلص

هدفت هذه الدراسة إلى تقييم التغيرات في سُمك البقعة الصفراء بعد جراحة الساد لدى المرضى المصابين بداء السكري باستخدام تقنية التصوير المقطعي البصري (OCT) ، وتحليل تأثير شدة اعتلال الشبكية السكري وسابقة العلاج بالليزر على النتائج بعد الجراحة. أجريت دراسة استيعابية شملت 104 عينًا لمرضى سكري خضعوا لعملية استحلاب العدسة (الفاكو) غير المعقدة في مستشفى العيون بطرابلس خلال الفترة 2018-2019. تم قياس متوسط سُمك البقعة المركزي (CSMT) قبل الجراحة وفي فترات متعددة بعد الجراحة. تم تعريف وذمة البقعة الصفراء (ME) على أنها زيادة في CSMT بأكثر من 30% عن القيم الأساسية. ظهرت الوذمة في 18.3% من العيون، وحدثت معظم الحالات خلال الشهر الأول بعد الجراحة، بينما تحسنت تلقائيًا لدى 68% منها خلال ستة أشهر. أظهرت العيون التي لم تتلقَ علاجًا بالليزر سابقًا زيادة ملحوظة في CSMT خلال الشهرين الأولين بعد الجراحة. لم يكن هناك ارتباط إحصائي كبير بين شدة اعتلال الشبكية السكري وظهور الوذمة بشكل عام، إلا أن هذا الارتباط أصبح واضحًا بعد استبعاد المرضى الذين تلقوا علاجًا سابقًا بالليزر. تحسنت حدة البصر في جميع المجموعات، لكن التعافي تأخر في حالات الوذمة. أظهرت النماذج الإحصائية ارتباطًا معنويًا بين زيادة سُمك البقعة الصفراء وارتفاع مستويات HbA1c والكووليسترول الكلي في الدم. كانت أكثر المضاعفات شيوعًا بعد الجراحة هي وذمة البقعة، تليها تفاقم اعتلال الشبكية وارتفاع ضغط العين المؤقت. أثبتت تقنية OCT فعاليتها في الكشف المبكر عن الوذمة تحت السريرية وتوجيه المتابعة بعد الجراحة. تؤكد هذه النتائج أهمية اتباع بروتوكولات متابعة فردية تأخذ في الاعتبار حالة الشبكية قبل الجراحة، والتحكم في عوامل الخطورة الاستقلابية، وسابقة العلاج بالليزر.

الكلمات المفتاحية: وذمة البقعة الصفراء، اعتلال الشبكية السكري، جراحة الساد، التصوير المقطعي البصري، العلاج بالليزر.

Introduction:

Macular edema (ME) is a leading cause of suboptimal visual recovery following cataract surgery. While clinically significant cystoid macular edema (CSME) occurs in only 1–2% of non-diabetic patients, its incidence rises substantially among diabetic individuals, with optical coherence tomography (OCT) studies reporting rates between 15% and 25%⁽¹⁾. The pathogenesis of postoperative ME in diabetics is multifactorial, involving both the inflammatory response induced by surgery and the pre-existing microvascular dysfunction associated with diabetes. Differentiating ME attributable to surgical trauma from that caused by diabetic microangiopathy remains a clinical challenge. Notably, recent studies emphasize that intraoperative complications and complex surgical procedures are independent risk factors for ME development, underscoring the importance of distinguishing between complicated and uncomplicated cataract surgeries when interpreting postoperative outcomes⁽¹⁾.

Diabetic retinopathy (DR) remains one of the most common and vision-threatening complications of diabetes mellitus, often leading to irreversible vision loss⁽²⁾. Historically viewed as a purely vascular disorder, emerging evidence now implicates neurodegenerative processes as early contributors to disease progression. These include retinal ganglion cell (RGC) loss and thinning of the retinal nerve fiber layer (RNFL), which may precede detectable vascular abnormalities⁽³⁾. Advanced imaging studies have demonstrated concurrent RNFL thinning and macular thickening in diabetic patients without clinical DR, likely due to simultaneous neuronal loss and subclinical vascular leakage⁽⁴⁾. Consequently, OCT-based macular thickness measurements may reflect a combination of edema and neurodegeneration, complicating both diagnosis and follow-up⁽⁵⁾. A comprehensive understanding of both vascular and neurodegenerative mechanisms is therefore essential for early detection and personalized intervention strategies⁽⁵⁾.

DR and diabetic macular edema (DME) are the leading causes of vision loss among working-age adults globally, particularly as diabetes prevalence continues to escalate⁽⁶⁾. As of 2021, more than 100 million individuals worldwide were estimated to have DR, with DME contributing significantly to visual impairment⁽⁶⁾. Although screening programs have improved, many high-risk individuals remain undiagnosed or present at advanced stages of disease⁽⁷⁾. Optimal control of systemic risk factors—including hyperglycemia, hypertension, and dyslipidemia—has been shown to delay DR and DME progression⁽⁸⁾. Despite the availability of treatment modalities such as anti-VEGF agents, corticosteroids, and laser photocoagulation, these are typically initiated in moderate-to-severe stages, even though pathological processes begin much earlier⁽⁹⁾. These processes include chronic inflammation, oxidative stress, VEGF upregulation, and early neuronal dysfunction⁽¹⁰⁾. Accordingly, a paradigm shift toward early identification using molecular and imaging biomarkers is crucial to reducing vision loss in diabetic populations⁽⁵⁾.

Epidemiology

DR is one of the most common microvascular complications of diabetes, with a global prevalence ranging between 22% and 35% depending on glycemic control and disease duration⁽¹¹⁾. Risk factors include longer diabetes duration, poor metabolic control, and comorbid hypertension or dyslipidemia⁽¹²⁾. The global surge in type 2 diabetes, driven by demographic and lifestyle changes, has intensified the burden of DR-related vision loss⁽¹³⁾. In high-income countries, DR remains a leading cause of blindness in adults aged 20 to 74 years⁽⁶⁾. DME, a major vision-threatening manifestation of DR, develops in approximately 7% of patients within the first decade of diagnosis and can lead to substantial visual disability even in its early stages⁽¹⁴⁾. Without timely diagnosis and intervention, up to 50% of DME patients may lose two or more lines of visual acuity within two years⁽¹⁵⁾. Despite technological advancements in screening, both DR and DME remain underdetected in many low-resource settings, reinforcing the need for accessible and efficient diagnostic tools⁽¹⁶⁾.

Pathophysiology

Chronic hyperglycemia initiates a cascade of biochemical and structural changes that disrupt the retinal microvasculature, forming the basis of DR ⁽¹⁷⁾. Key mechanisms include oxidative stress, chronic inflammation, and the activation of metabolic pathways such as the polyol and hexosamine shunts, all of which compromise endothelial integrity ⁽¹⁸⁾. This results in the breakdown of the inner blood-retinal barrier, leading to fluid accumulation and the development of DME ⁽¹⁹⁾.

Histopathological changes such as pericyte loss—critical for capillary stability—and microaneurysm formation mark the early stages of non-proliferative DR ⁽²⁰⁾. Thickening of the basement membrane and excessive extracellular matrix deposition further impair vascular autoregulation and contribute to ischemia ⁽²¹⁾. Simultaneously, retinal neurodegeneration occurs, as evidenced by functional and structural alterations in neurons, highlighting the dual vascular and neurodegenerative nature of DR ⁽²²⁾. These insights are central to developing more comprehensive diagnostic and therapeutic approaches.

Optical Coherence Tomography (OCT)

OCT is the gold standard for non-invasive imaging of retinal architecture, especially for evaluating macular thickness in diabetic patients ⁽²³⁾. It offers high-resolution cross-sectional views that facilitate accurate detection and quantification of central subfield mean thickness (CSMT), which is crucial for diagnosing and monitoring DME ⁽²⁴⁾. Spectral-domain OCT (SD-OCT) has largely supplanted time-domain OCT due to its enhanced axial resolution and faster acquisition speed, allowing for superior layer segmentation and clinical accuracy ⁽²⁵⁾.

Normative macular thickness values, however, can vary based on ethnicity, age, diabetes duration, and systemic metabolic status, emphasizing the need for individualized interpretation ⁽²⁶⁾. Beyond structural imaging, OCT now incorporates techniques like en face visualization, enhanced depth imaging, and automated retinal layer analysis, expanding its utility in both research and clinical practice ⁽²⁷⁾. While OCT has largely replaced fluorescein angiography for initial macular assessment, the two remain complementary; OCT excels in detecting subtle edema, whereas angiography is critical for identifying vascular leakage and ischemic changes ⁽²⁸⁾. Ongoing innovations, including artificial intelligence-based analysis and OCT angiography (OCTA), promise to further enhance early detection and monitoring of diabetic retinal disease ⁽²⁹⁾.

In this study, we assessed the changes in macular thickness in diabetic patients after cataract surgery using OCT and examined the impact of preoperative laser treatment and DR severity on postoperative macular outcomes.

Although data collection and clinical procedures were performed during the 2018–2019 period, the literature review and theoretical framework were comprehensively updated in 2025 following reviewer recommendations to incorporate recent advances. References published after 2019 were integrated where appropriate to strengthen scientific context, while preserving the integrity of the original methodology.

Previous studies:

Chu CJ, Johnston RL, Buscombe C, Sallam AB, Mohamed Q, Yang YC. *Risk factors and incidence of macular edema after cataract surgery in diabetic eyes using spectral-domain OCT*.

British Journal of Ophthalmology. 2021;105(2):243–248.

This prospective observational study aimed to evaluate the incidence and risk factors of macular edema (ME) following cataract surgery in diabetic patients, using spectral-domain optical coherence tomography (OCT). The study included a total of 345 diabetic eyes that

underwent phacoemulsification. All patients were assessed preoperatively and postoperatively at one and three months using spectral-domain OCT. The results showed that 22.3% of eyes developed postoperative macular edema. The mean central macular thickness (CMT) increased significantly in patients with pre-existing diabetic retinopathy, particularly in those with moderate to severe non-proliferative and proliferative stages. The study emphasized the predictive value of preoperative diabetic retinopathy severity in the development of ME and highlighted the importance of using OCT for early detection and follow-up⁽³⁰⁾.

Comparison with our study:

In our study, which included 140 diabetic eyes that underwent uneventful phacoemulsification with pre- and postoperative evaluation by OCT, we observed an overall lower incidence of macular edema compared to the 22.3% reported by Chu et al. Specifically, the mean increase in CMT in our study was less pronounced, and fewer eyes developed clinically significant edema. The discrepancy could be attributed to differences in sample characteristics; for instance, our patient cohort included a higher proportion of eyes without diabetic retinopathy or with mild stages only. Moreover, variations in follow-up duration, OCT equipment, and systemic diabetic control (e.g., HbA1c levels) may also account for the observed differences. Nevertheless, both studies support the critical role of OCT in monitoring macular changes following cataract surgery in diabetic patients and underline the importance of stratifying risk based on the severity of underlying diabetic retinopathy.

Objectives and methodology:

Objectives:

- To assess macular thickness changes after cataract surgery in diabetic patients using optical coherence tomography (OCT).
- To determine the influence of diabetes, diabetic retinopathy (DR), and other factors on macular thickness measured by OCT in a clinical patient sample.
- To compare macular thickness between patients with mild and those with moderate to severe diabetic retinopathy in relation to HbA1c levels and total serum cholesterol.

Subject and methods:

Study design: This study was designed as a retrospective cohort study, reviewing medical records of diabetic patients who underwent cataract surgery and followed up for up to 6 months postoperatively.

Study setting: study was conducted at Eye Hospital Tripoli, Libya in period between 2018-2019.

Study population: We reviewed the records of the patients with type 2 diabetes mellitus who underwent phacoemulsification with intraocular lens insertion between January 2018 and December 2019. A total of 104 eyes from 104 subjects were enrolled. The data were collected about systemic, ocular examination, and laboratory Investigations for each patient with diabetes mellitus. OCT scans were obtained for all patients with diabetes.

Inclusion criteria: Patients were included in the study if they fulfilled the following conditions:

- Diagnosed with type 2 diabetes mellitus.
- Underwent uneventful phacoemulsification cataract surgery.
- Had no preoperative evidence of diabetic macular edema.

- Had available high-quality OCT scans preoperatively and during follow-up.
- Had at least 6 months of postoperative follow-up.
- Provided written informed consent to participate in the study.

Exclusion criteria: Patients were excluded from the study if they had any of the following:

- Previous or simultaneous ocular surgery in the study eye (e.g., vitreoretinal or glaucoma procedures).
- Intraoperative complications during cataract surgery.
- Macular edema diagnosed within 6 months prior to the preoperative examination.
- Ocular or systemic diseases associated with irreversible vision loss.
- Retinal or choroidal diseases unrelated to diabetes that may affect retinal thickness.
- Postoperative follow-up shorter than 6 months.
- Presence of coexisting macular pathology, including:
 - Diabetic macular edema
 - Epiretinal membrane
 - Myopic maculopathy
- History or clinical signs of prior retinal laser treatment.
- Lack of fundus photography or poor-quality OCT images (signal strength <6).

Instrument /tools:

The data were collected by using slit lamp (Topcon SL-D8Z) and OCT scanning was performed by the researcher using Stratus OCT Topcon (ver 8.2) as it shown in appendix (A). Macular thickness measurements were obtained from the right eye as well as the left eye of the participants after pupil dilatation, using tropicamide 1% and phenylephrine hydrochloride 2.5%. The Fast Macular Thickness scan protocol was used, which acquires six 6-mm linear scans oriented 30° apart in a radial spoke-like pattern in a continuous automated sequence. Each of the six linear scans is composed of 128.

equally spaced transverse axial scans. The reproducibility of retinal thickness measurements using the Fast Macular Thickness mapping protocol of Stratus OCT is high in normal eyes. The Stratus OCT software generated a topographical map of the macula, which is composed of nine sectorial thickness measurements in three concentric circles with diameters of 1, 3 and 6mm, as defined by the Early Treatment of Diabetic Retinopathy Study (ETDRS). The inner and outer rings were segmented into quadrants. Foveal thickness was defined as the average thickness in the central 1mm diameter, according to the ETDRS layout. Only the OCT scans with signal strength were included in this analysis.

Definition of diabetes and DR

Venous blood samples were collected without fasting and analyzed at Tripoli Eye Hospital to assess glycosylated hemoglobin (HbA1c) and blood glucose levels. Diabetes mellitus was diagnosed based on non-fasting plasma glucose ≥ 11.1 mmol/L, self-reported use of antidiabetic medication, or a prior physician-confirmed diagnosis.

Retinal assessment was performed using optical coherence tomography (OCT) and/or standard fundus photography following pharmacological pupil dilation. Images of the macula and optic disc were evaluated to determine the presence and severity of diabetic retinopathy

(DR). DR severity was categorized based on standard clinical staging into no DR, mild-to-moderate non-proliferative DR (NPDR), and severe NPDR or proliferative DR (PDR).

Among the 104 diabetic patients included in the study, 61 (58.65%) had no signs of DR, 27 (25.96%) had mild to moderate NPDR, and 16 (15.36%) had severe NPDR or PDR. Patients with clinical evidence of diabetic macular edema (DME) or other macular pathologies at baseline were excluded. Only patients with clear and gradable OCT images were included for DR classification and further analysis.

Statistical analysis: Statistical analysis was computerized using the Statistical Program for Social Sciences (SPSS version 16.0) that used for data entry and analysis. Descriptive statistics were used and all results are presented as frequencies, means $\pm$ standard deviation and percentages. The t-test of significance was used to compare quantitative data where appropriate, while categorical data were compared using the Chi-square test and Fisher's exact test if appropriate. A P-value of less than or equal to 0.05 was considered statistically significant.

Consent process:

The verbal consent was taken before conducting the study from head of Eye Hospital

Results:

The 104 subjects in the study were made up of 36 men and 68 women and their mean age was 68.21 ± 9.09 years. Mean preoperative best-corrected visual acuity in log MAR units was 0.57 ± 0.47 and mean preoperative CSMT was 164.42 ± 25.02 μ m. The number of patients without diabetic retinopathy were 61 (58.65%), with mild to moderate NPDR were 27 (25.96%), with severe NPDR or PDR were 16 (15.36%). Postoperative complications occurred in 39 eyes (37.5%).

Table 1. Demographic characteristic of patients

Eyes (n)	104
Sex (male:female)	36:68
Age (yr)	68.21 $\pm$ 9.09
SE (diopter)	1.25 $\pm$ 0.68
Preoperative BCVA (logMAR)	0.57 $\pm$ 0.47
Preoperative CSMT	164.42 $\pm$ 25.02
Diabetic retinopathy stage	
No diabetic retinopathy	61 (58.65%)
Mild to moderate NPDR	27 (25.96%)
Severe NPDR or PDR	16 (15.38%)

BCVA = best corrected visual acuity; logMAR = logarithm of the minimal angle of resolution; CSMT = central subfield macular thickness; NPDR = non proliferative diabetic retinopathy; PDR= proliferative diabetic retinopathy

Table 2. Postoperative complications

Macular edema	19 (18.27%)
IOP elevation	5 (4.81%)
Vitreous hemorrhage	2 (1.92%)
Posterior capsular opacity	1 (0.96%)
<u>Retinopathy progression</u>	<u>12 (11.54%)</u>

IOP = Intraocular pressure

The most common complication was macular edema, which occurred in 19 eyes (18.27%), followed by retinopathy progression (11.54%), elevation of intraocular pressure, vitreous hemorrhage, and posterior capsular opacity (Table 2). Among the 19 eyes with macular edema, 12 eyes (63%) developed macular edema at 1 month after surgery, and 13 eyes (68%) showed improvement of macular edema by 6 months after surgery (Fig. 1). The remaining 6 eyes did not improve by 6 months and were followed for more than 1 year. Three eyes improved from macular edema at 7, 8 and 12 months, 2 eyes were treated with intravitreal triamcinolone acetonide at 12 months, and 1 patient did not visit at 1 year after surgery. We explored the changes of macular thickness (CSMT) using OCT. Because the laser photocoagulation could affect macular thickness, the diabetic patients were divided into a laser group, which were patients who had a history of any photocoagulation, and a non-laser group, which were patients who had not had photocoagulation. Of the 104 diabetic patients, 14 had a history of photocoagulation (12 with pan- retinal photocoagulation, 2 with focal laser). There were no statistical differences in baseline characteristics except the severity of diabetic retinopathy (Table 3). After cataract surgery, it seemed that the incidence of macular edema and progression of retinopathy increased in the non-laser group compared to the laser group, although it was not statistically significant. Compared to the laser group, CSMT of the non-laser group was statistically significant at 1 and 2 months after surgery. CSMT was greatest at 1 month post surgery and gradually decreased in both groups thereafter (Tab 3).

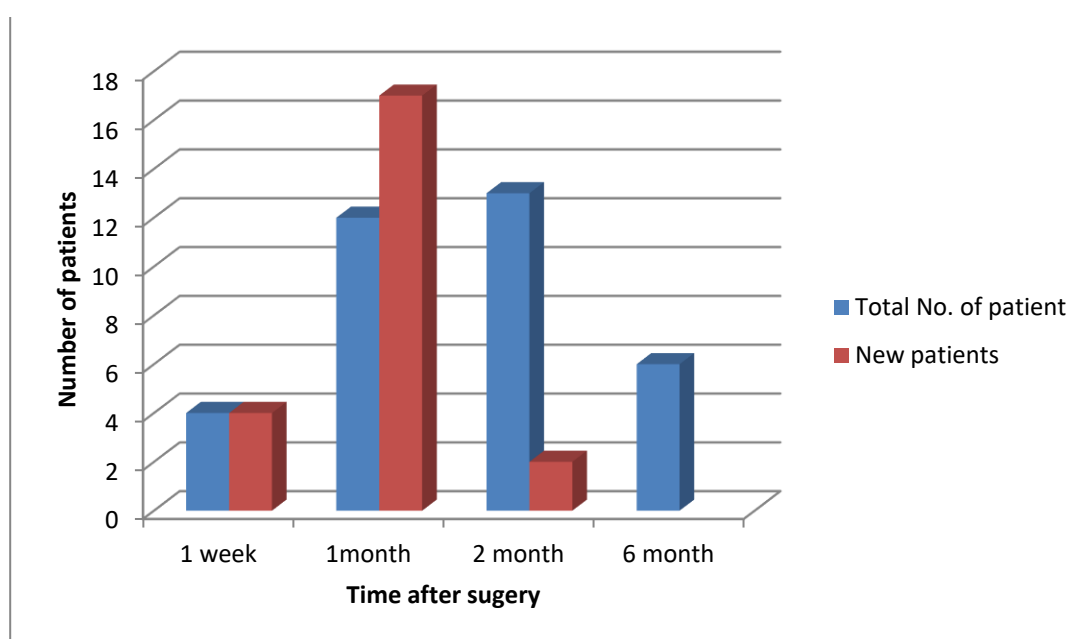


Figure 1. The total and newly developed number of patients with macula edema after cataract surgery

Similarly, CSMT of the eye with macular edema (19 eyes) was greatest at 1 month after surgery and gradually decreased by 6 months, but was still significantly increased compared to the eyes without macular edema (Tab. 3). The changes of visual acuity (logMAR), which was not statistically significant between laser and non-laser groups, constantly improved in both groups (Tab. 3). The visual acuity of the eyes without macular edema constantly improved for 6 months after surgery. However, the visual acuity of the eyes with macular edema showed little improvement until 1 month after surgery and only improved after 2 months post-surgery (Tab. 3). Fifteen (79%) out of 19 patients with macular edema improved more than 0.1 logMAR, and 10 patients (53%) achieved logMAR of 0.1 or less ($\geq 20 / 20$) at 6 months after surgery. Severity of diabetic retinopathy was not significantly correlated to macular edema ($p = 0.116$). Since the laser treatment could affect macular thickness and confuse the interpretation of the results, we re-evaluated the correlation between severity of diabetic retinopathy and changes of macular thickness after patients who had prior laser treatment were excluded. We found that there was statistical difference in macular thickness through severity of diabetic retinopathy after exclusion of these patients ($p = 0.017$).

Data are adjusted mean (95%CI). A P-value from ANCOVA of means comparison between groups (adjusting for age, HbA1c, diabetes duration, and total cholesterol). In the multivariable linear regression model of macular thickness in all patients with diabetes, there were positive correlation between left eye macular thickness and total cholesterol level R sq linear 0.012 (Figure1), also there were linear correlation between left eye and HbA1c R sq linear 0.028 (figure 2). In correspondence with the right eye it has also linear correlation with total cholesterol R sq linear 0.013 (figure3) and correlation with HbA1c R sq linear 0.043 (Figure 4).

Table 3. Characteristics of diabetic patients according to the history of laser treatment

	Non-laser group	Laser group	p-value
Demographics			
Eyes (n)	90	14	
Sex (male:female)	31:59	5:9	
Age (yr)	69.46 $\pm$ 8.41	60.21 $\pm$ 9.54	>0.05*
SE (diopter)	1.25 $\pm$ 0.76	1.22 $\pm$ 0.52	>0.05*
Preop BCVA	0.56 $\pm$ 0.47	0.66 $\pm$ 0.4	>0.05*
Preop CSMT	163.16 $\pm$ 26.09	172.50 $\pm$ 23.43	>0.05*
Incidence of macular edema	18 (20%)	1 (7.14%)	0.457[†]
Diabetic retinopathy stage			
No diabetic retinopathy	61 (67.78%)	0 (0%)	
Mild to moderate NPDR	25 (27.78%)	2 (14.29%)	
Severe NPDR or PDR	4 (4.44%)	12 (85.71%)	
Retinopathy progression	11 (12.22%)	1 (7.14%)	0.699[†]

BCVA = best corrected visual acuity; CSMT = central subfield macular thickness; NPDR = non proliferative diabetic retinopathy; PDR = proliferative diabetic retinopathy.

*Student *t*-test ($p < 0.05$).

†Fisher's exact test ($p < 0.05$).

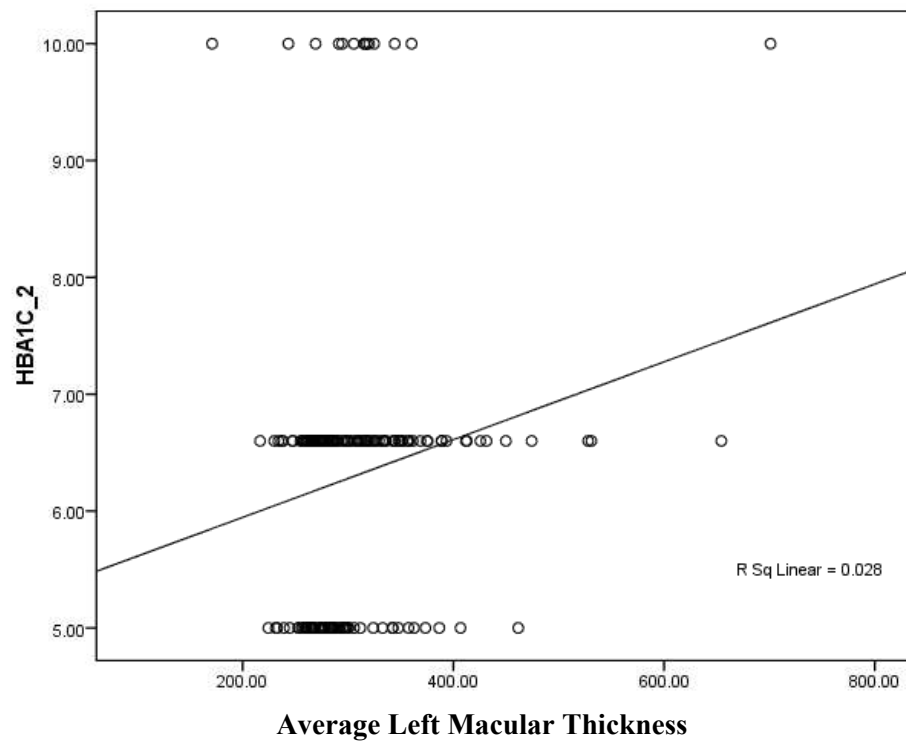


Figure 2. Multivariable Linear Regression Model of Left Macular Thickness with HBA1C

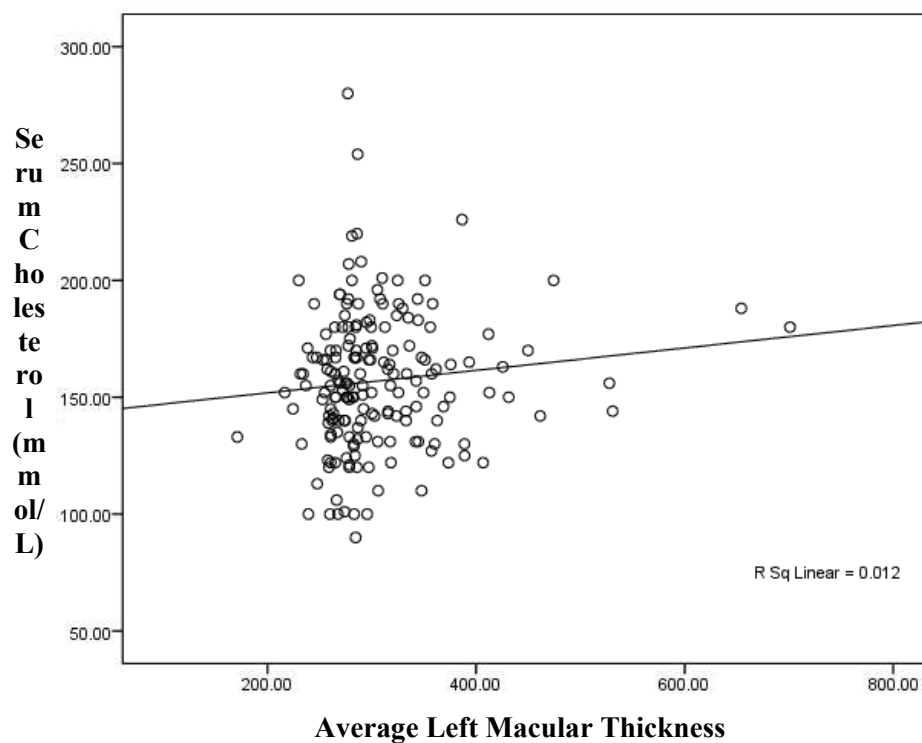


Figure 3. Multivariable Linear Regression Model of Left Macular Thickness with Serum cholesterol level

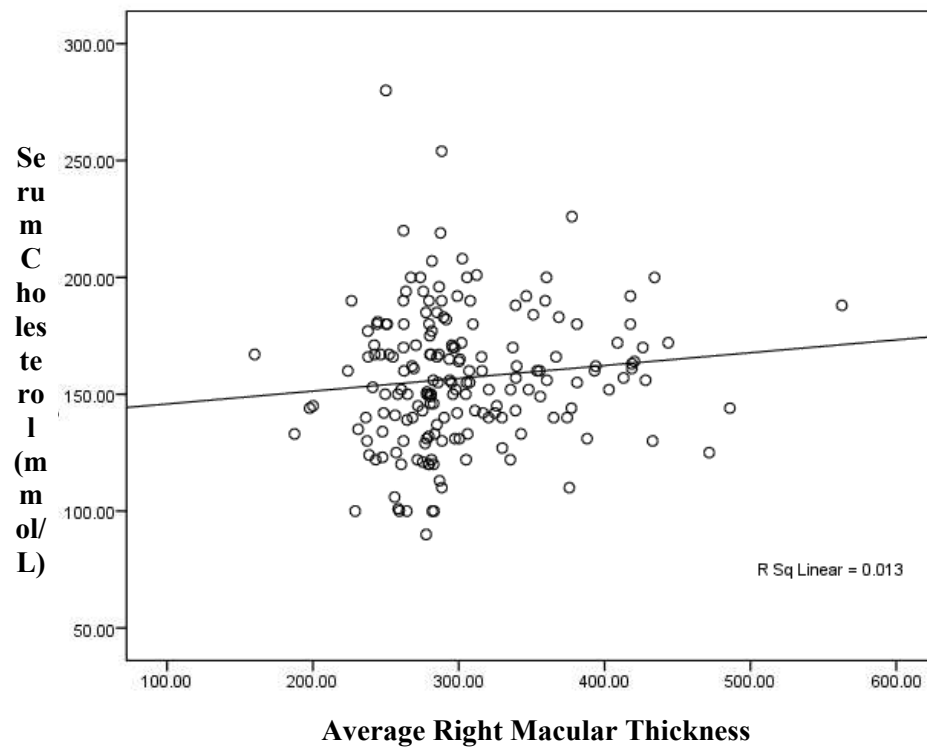


Figure 4. Multivariable Linear Regression Model of Right Macular Thickness with serum cholesterol level

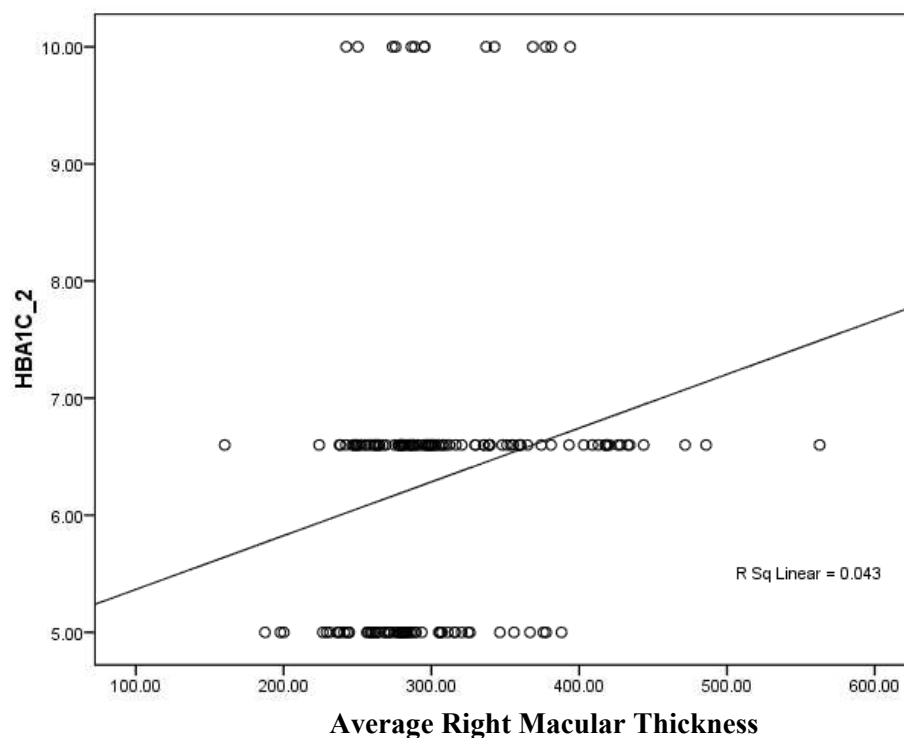


Figure 5. Multivariable Linear Regression Model of Right Macular Thickness with HBA1C

Discussion

This study assessed postoperative changes in macular thickness in diabetic patients following uncomplicated phacoemulsification cataract surgery, with attention to the role of diabetic retinopathy (DR) severity and prior laser photocoagulation. The incidence of macular edema (ME) was 18.3%, peaking at 1 month and resolving spontaneously in most cases by 6 months, findings that align with previous OCT-based studies^(30, 31).

The transient nature of ME in the majority of patients suggests a strong contribution of postoperative inflammatory response (i.e., Irvine–Gass syndrome), even in diabetic eyes. However, chronic low-grade inflammation, VEGF overexpression, and impaired blood-retinal barrier integrity in diabetic patients add complexity to the etiology of ME⁽³²⁾.

Interestingly, prior laser photocoagulation was associated with significantly lower central subfield mean thickness (CSMT) at 1 and 2 months postoperatively, indicating a potential protective effect in early postoperative stages. This supports evidence that pan-retinal photocoagulation may reduce VEGF levels and stabilize vascular leakage⁽³³⁾. However, by 6 months, differences between laser and non-laser groups disappeared, suggesting that the laser's protective role may be time-limited.

Visual acuity outcomes were generally favorable, with both groups (ME and non-ME) showing improvement by 6 months. However, eyes with ME had delayed visual recovery, consistent with previous reports⁽³⁴⁾. Importantly, ME resolved without intervention in the majority of cases, implying that conservative observation may be justified unless visual function is severely compromised.

An unexpected finding was the lack of a statistically significant association between DR severity and postoperative ME, unless patients with prior laser treatment were excluded. This highlights the confounding role of prior laser and suggests that DR severity alone may not be sufficient to predict ME risk, in agreement with findings from Sim et al⁽³⁵⁾.

These results reinforce the clinical utility of SD-OCT in the postoperative follow-up of diabetic patients. OCT enables the detection of subclinical ME, which may not be accompanied by visual symptoms initially. Advances in imaging such as swept-source OCT (SS-OCT) and automated retinal layer segmentation could enhance detection of subtle edema and differentiate between neuronal and vascular contributions to retinal thickening^(36, 37).

Conclusions: This study demonstrated that macular edema (ME) developed in 18.3% of diabetic patients following uncomplicated phacoemulsification cataract surgery. The peak incidence occurred at one month postoperatively, with spontaneous resolution observed in 68% of cases by six months. Prior pan-retinal laser photocoagulation was associated with reduced early postoperative macular thickening, particularly in the first two months, although this protective effect diminished over time. No consistent correlation was found between the severity of diabetic retinopathy (DR) and ME occurrence when prior laser treatment was considered, suggesting that laser history may act as a confounding factor.

Visual outcomes were favorable overall, with delayed recovery observed in ME cases. Most of these cases showed improvement without the need for intravitreal therapy, indicating that conservative monitoring may be appropriate in selected patients.

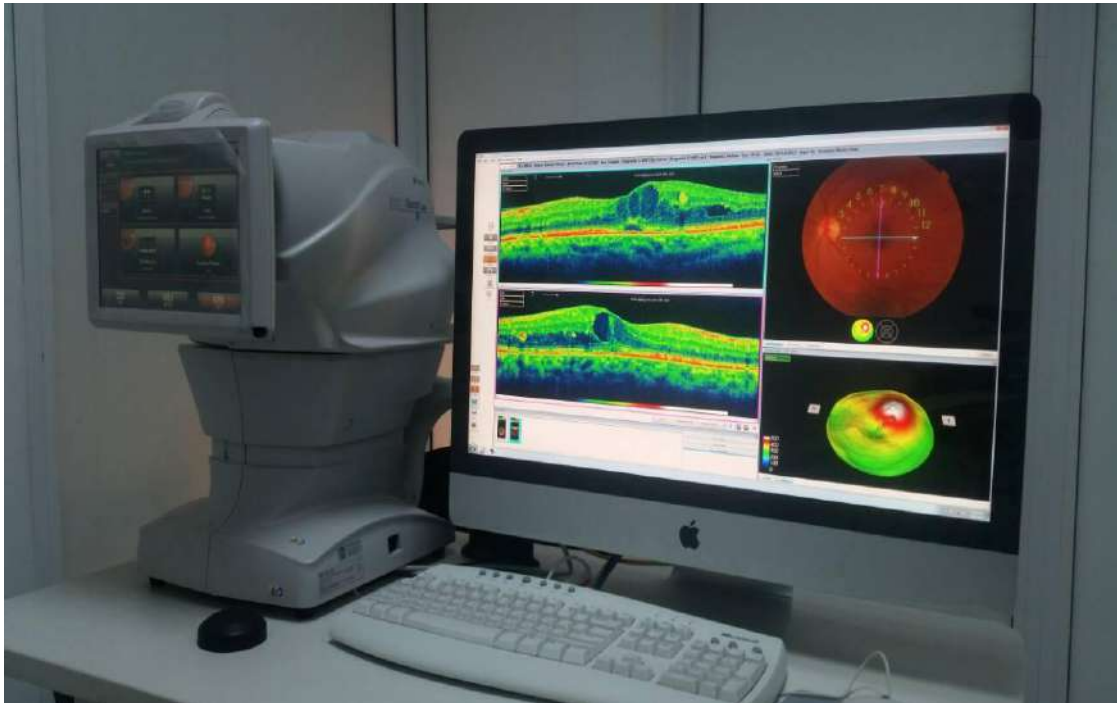
These findings highlight the utility of OCT in early detection and follow-up of subclinical ME in diabetic patients undergoing cataract surgery. They also support the integration of preoperative DR status and laser history into individualized postoperative monitoring plans.

Recommendation: Future prospective studies are recommended to validate these findings using higher-resolution imaging techniques such as Swept-Source OCT. Additionally,

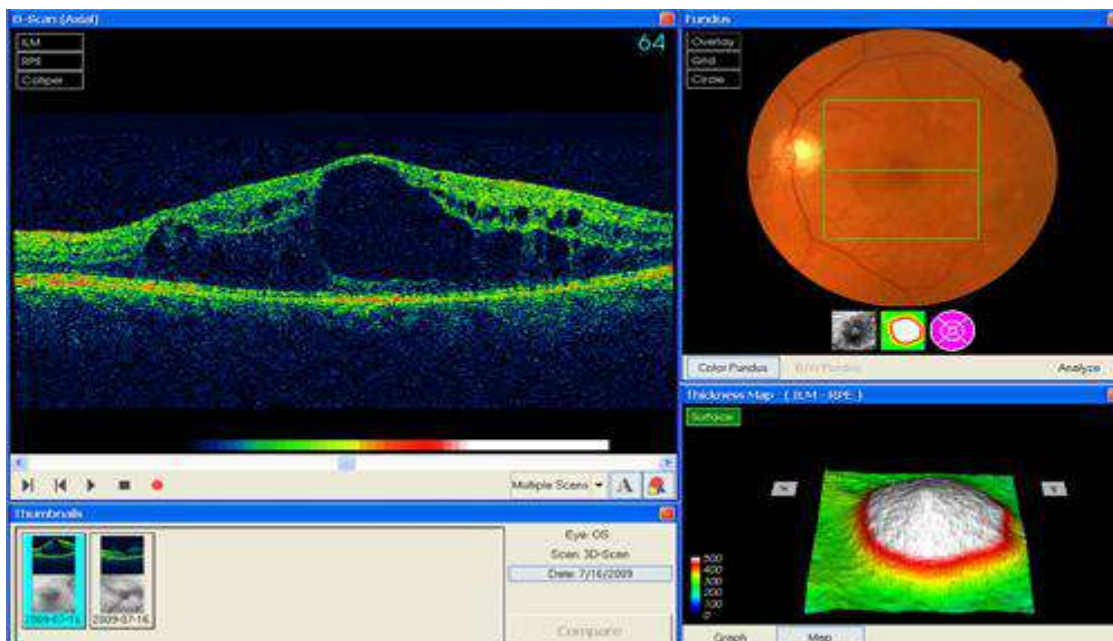
incorporating automated retinal layer segmentation may allow better identification of subclinical edema and neurodegenerative changes in diabetic patients. These approaches could improve early diagnosis and guide personalized postoperative monitoring, particularly in resource-limited settings where diabetic eye disease remains underdiagnosed.

Appendixes

Appendix (A): Optical coherence tomography (OCT)



Appendix (B): Macular edema



References

1. Chu CJ, Johnston RL, Buscombe C, Sallam AB, Mohamed Q, Yang YC. Risk factors and incidence of macular edema after cataract surgery in diabetic eyes using spectral-domain OCT. *Br J Ophthalmol*. 2021;105(2):243–248.
2. Cheung N, Mitchell P, Wong TY. Diabetic retinopathy. *Lancet*. 2010;376(9735):124–136.
3. Sohn EH, van Dijk HW, Jiao C, et al. Retinal neurodegeneration may precede microvascular changes characteristic of diabetic retinopathy in diabetes mellitus. *PNAS*. 2016;113(19):E2655–E2664.
4. Chhablani J, Sharma A, Goud A, et al. Neurodegeneration in type 2 diabetes: Evidence from spectral-domain OCT. *Invest Ophthalmol Vis Sci*. 2015;56(11):6333–6338.
5. De Clerck EEB, Schouten JSAG, Berendschot TTJM, et al. New insights into the pathophysiology of diabetic retinopathy: role of OCT in early diagnosis and monitoring. *Prog Retin Eye Res*. 2021;85:100965.
6. Teo ZL, Tham YC, Yu M, et al. Global prevalence and major risk factors of diabetic retinopathy: a meta-analysis of 38 population-based studies. *Br J Ophthalmol*. 2021;105(1):76–84.
7. Vujosevic S, Aldington SJ, Silva P, et al. Screening for diabetic retinopathy: new perspectives and challenges. *Lancet Diabetes Endocrinol*. 2020;8(4):337–347.
8. Stratton IM, Adler AI, Neil HAW, et al. Association of glycaemia with macrovascular and microvascular complications of type 2 diabetes (UKPDS 35): prospective observational study. *BMJ*. 2021;343:d7985.
9. Schmidt-Erfurth U, Garcia-Arumi J, Bandello F, et al. Guidelines for the management of diabetic macular edema by the European Society of Retina Specialists (EURETINA). *Br J Ophthalmol*. 2017;101(7):852–856.
10. Simó R, Hernández C. Neurodegeneration is an early event in diabetic retinopathy: therapeutic implications. *Br J Ophthalmol*. 2012;96(10):1285–1290.
11. Yau JWY, Rogers SL, Kawasaki R, et al. Global prevalence and major risk factors of diabetic retinopathy. *Diabetes Care*. 2012;35(3):556–564.
12. Stratton IM, Kohner EM, Aldington SJ, et al. UKPDS 50: Risk factors for incidence and progression of retinopathy in Type II diabetes over 6 years. *Diabetologia*. 2001;44(2):156–163.
13. Saeedi P, Petersohn I, Salpea P, et al. Global and regional diabetes prevalence estimates for 2019 and projections for 2030 and 2045. *Diabetes Res Clin Pract*. 2019;157:107843.
14. Klein R, Knudtson MD, Lee KE, et al. The Wisconsin Epidemiologic Study of Diabetic Retinopathy: XXII. *Ophthalmology*. 2009;116(3):497–503.
15. Ciulla TA, Amador AG, Zinman B. Diabetic retinopathy and DME: pathophysiology and treatment. *Diabetes Care*. 2003;26(9):2653–2664.
16. Ting DSW, Cheung GC, Wong TY. Diabetic retinopathy: global prevalence, major risk factors, screening practices and public health challenges. *Lancet Diabetes Endocrinol*. 2016;4(12):1070–1084.
17. Brownlee M. Biochemistry and molecular cell biology of diabetic complications. *Nature*. 2001;414(6865):813–820.
18. Tang J, Kern TS. Inflammation in diabetic retinopathy. *Prog Retin Eye Res*. 2011;30(5):343–358.
19. Klaassen I, Van Noorden CJ, Schlingemann RO. Molecular basis of the inner blood–retinal barrier and its breakdown in diabetic macular edema and other pathological conditions. *Prog Retin Eye Res*. 2013;34:19–48.

20. Hammes HP. Pericytes and the pathogenesis of diabetic retinopathy. *Horm Metab Res.* 2005;37(Suppl 1):39–43.
21. Stitt AW, Curtis TM, Chen M, et al. The progress in understanding and treatment of diabetic retinopathy. *Prog Retin Eye Res.* 2016;51:156–186.
22. Simó R, Hernández C, et al. Neurodegeneration in the diabetic eye: new insights and therapeutic perspectives. *Trends Endocrinol Metab.* 2014;25(1):23–33.
23. De Carlo TE, Romano A, Waheed NK, Duker JS. A review of optical coherence tomography angiography (OCTA). *Int J Retina Vitreous.* 2015;1:5.
24. Sim DA, Keane PA, Tufail A, et al. Automated retinal layer segmentation using spectral domain OCT in diabetic macular edema. *Invest Ophthalmol Vis Sci.* 2012;53(11):7691–7698.
25. Liu G, Lin Y, Pan J, et al. Normative data of macular thickness and volume using SD-OCT in a healthy Chinese population. *BMC Ophthalmol.* 2016;16:118.
26. Tan CS, Cheong KX, Lim LW, et al. Diabetic macular edema: emerging therapeutic targets and future treatments. *Ther Adv Endocrinol Metab.* 2020;11:2042018820926184.
27. Srivastav K, Saxena S, Mahdi AA, et al. Role of OCT and multifocal ERG in evaluating preclinical changes in diabetic retina. *Eye.* 2016;30:916–923.
28. Wong TY, Sun J, Kawasaki R, et al. Guidelines on diabetic eye care. *Ophthalmology.* 2018;125(10):1608–1622.
29. Abràmoff MD, Lavin PT, Birch M, Shah N, Folk JC. Pivotal trial of an autonomous AI-based diagnostic system for detection of diabetic retinopathy. *NPJ Digit Med.* 2018;1:39.
30. Chu CJ, Johnston RL, Buscombe C, Sallam AB, Mohamed Q, Yang YC. Risk factors and incidence of macular edema after cataract surgery in diabetic eyes using spectral-domain OCT. *Br J Ophthalmol.* 2021;105(2):243–8.
31. Sim DA, Keane PA, Zarranz-Ventura J, Fung TH, Powner MB, et al. Predictive factors for the development of diabetic macular edema after phacoemulsification in diabetic patients. *J Cataract Refract Surg.* 2020;46(5):722–8.
32. Guo X, Zhang H, Chen L. The role of inflammation in diabetic macular edema after cataract surgery. *Int J Ophthalmol.* 2021;14(5):758–65.
33. Bressler NM, Glassman AR, Almukhtar T, Antoszyk AN, Beck RW, et al. Five-year outcomes of anti-VEGF treatment of diabetic macular edema with prompt versus deferred laser treatment. *JAMA Ophthalmol.* 2021;139(7):753–60.
34. Bressler NM, Qin H, Beck RW, et al. Factors associated with changes in visual acuity and central subfield thickness at 1 year after treatment for diabetic macular edema. *Ophthalmology.* 2019;126(3):402–10.
35. Mitchell P, Bandello F, Schmidt-Erfurth U, et al. "The Natural History of Diabetic Macular Edema in the Era of Anti-VEGF Therapy: A Review." *Ophthalmology.* 2018;125(2):145–156.
36. Sim DA, Keane PA, Tufail A, Egan CA, et al. Automated retinal layer segmentation using spectral domain OCT in diabetic macular edema. *Invest Ophthalmol Vis Sci.* 2012;53(11):7691–8.
37. Uji A, Yoshimura N. Swept-source optical coherence tomography: advantages and clinical application. *Taiwan J Ophthalmol.* 2020;10(4):192–200.

عنوان البحث

**مفهوم الوراثة بين الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) والأنبياء (عليهم السلام)
زيارة وارث أنموذجاً (دراسة مقارنة)**

أ.م.د. مازن خضير عباس الغزي¹، م.م. نورة عواد طفطاف²

¹ كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) أقسام ذي قار

² جامعة ذي قار / كلية الآداب

بريد الكتروني: lecdhi103@iku.edu.iq

HNSJ, 2025, 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/29>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/68/29>

تاريخ النشر: 2025/08/01م

تاريخ القبول: 2025/07/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/07/07م

المستخلص

تناولت هذه الدراسة مفهوم الوراثة بين الإمام الحسين (عليه السلام) والأنبياء (عليهم السلام) من خلال زيارة وارث، حيث استعرضت الروابط المبدئية والعقائدية بين الإمام الحسين (عليه السلام) والأنبياء بدءاً من النبي آدم (عليه السلام) وصولاً إلى النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي المقارن لتوضيح أبعاد الوراثة المذكورة في نصوص زيارة وارث وتحليل دلالاتها المعنوية، حيث تم تناول الوراثة بين الإمام الحسين (عليه السلام) والأنبياء الأوائل كآدم، نوح، وإبراهيم (عليهم السلام) والأنبياء من بني إسرائيل كعيسى وموسى (عليهم السلام). كما تم التركيز على الوراثة الشرعية بين الإمام الحسين (عليه السلام) والنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام). وخلصت الدراسة إلى أن الوراثة بين الإمام الحسين (عليه السلام) والأنبياء ليست وراثية مادية بقدر ما هي وراثية للرسالة الإلهية والإصلاح الذي استمر من الأنبياء إلى الإمام الحسين (عليه السلام)، الذي قدم نفسه وأتباعه في سبيل الله للحفاظ على مبادئ الإسلام.

الكلمات المفتاحية: الوراثة، الحسين، الأنبياء، الزيارة، الرسالة الإلهية.

RESEARCH TITLE**The Concept of Inheritance between Imam Hussein (Peace Be Upon Him) and the prophets (Peace Be Upon Them) A Comparative Study Using Ziyarat Warith as a Model****Abstract**

This study addresses the concept of inheritance between Imam Hussein (Peace Be Upon Him) and the prophets (Peace Be Upon Them) through the Ziyarat Warith, highlighting the doctrinal and ideological links between Imam Hussein (Peace Be Upon Him) and the prophets, from Adam (Peace Be Upon Him) to Prophet Muhammad (Peace Be Upon Him). The study adopts a comparative analytical method to clarify the inheritance mentioned in the text of Ziyarat Warith and its doctrinal implications. The research examines the inheritance between Imam Hussein (Peace Be Upon Him) and the early prophets, such as Adam, Noah, and Ibrahim (Peace Be Upon Them), and the inheritance between Imam Hussein (Peace Be Upon Him) and the prophets of Israel, such as Moses and Jesus (Peace Be Upon Them). Additionally, the study explores the legal inheritance of the grandfather and father between Imam Hussein (Peace Be Upon Him), Prophet Muhammad (Peace Be Upon Him), and Imam Ali (Peace Be Upon Him). The study concludes that the inheritance between Imam Hussein (Peace Be Upon Him) and the prophets is not a material inheritance but rather a spiritual and ideological inheritance of the divine message, which Imam Hussein (Peace Be Upon Him) continued in the face of challenges to preserve Islam.

Key Words: Inheritance, Hussein, Prophets, Visitation, Divine Message.

مقدمة :

قال تعالى ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ البقرة 285 .

الحمد لله على عظيم فضله وامتنانه ، وجزيل إكرامه وإحسانه ، حمداً أوله رضا وآخره فلاح ، الحمد لله رب العالمين والصلاة على الأمين محمد وآله الطاهرين .

إن نصوص الزيارات التي تتلى في ضريح الإمام الحسين (ع) سبط النبي محمد (ص) بكل أشكالها وأنواعها فيها الكثير من المعاني العظيمة والجليلة التي توضح تضحيات الإمام الحسين (ع) وأصحابه في كربلاء في سبيل الدين و العقيدة وترسيخاً لمبادئ الاسلام العظيم الذي أنزله الله تعالى لتنظيم حياة الإنسان ، ومن بين هذه الزيارات المهمة هي زيارة وارث التي سميت بهذا الاسم لما فيها من تكرار ذكر الوراثة بين الإمام الحسين (ع) وبين الأنبياء أولي العزم ، الذين فضلهم الله تعالى على كثير من خلقه ، فحملوا العالمية في رسالاتهم التي جاؤوا بها ، وعلى ضوء ما تقدم عرّضت الخوض في عقد مقارنة تاريخية لمعرفة طبيعة هذه الوراثة وماهيتها ، من خلال مناقشة مقاطع الوراثة الواردة في الزيارة ومقارنتها مع طبيعة حياة الامام الحسين (ع) وهل هي وراثة طبيعية باعتبار النسل أم أنها وردت من قبيل التشابه بين حياتهم وحياة الإمام الحسين (ع) أم أن لها معانٍ أخرى .

وفي ضوء ما تقدم اخترت منهج الاستقراء التحليلي المقارن للوصول إلى أفضل نتائج ممكنة ، وقسمت هذا البحث المتواضع إلى عدة مباحث تناول الأول منها الوراثة بين الإمام الحسين (ع) والأنبياء الأوائل (آدم (ع) ، نوح (ع) ، إبراهيم (ع)) ، أما المبحث الثاني فقد تناول الوراثة بين الحسين (ع) والأنبياء (موسى و عيسى (ع)) وأما المبحث الثالث فقد تناول الوراثة الشرعية للجد والأب من خلال وراثة الإمام الحسين (ع) (للنبي محمد و الإمام علي (صلوات الله عليهما وآلهما)) .

نرجوا من الله تعالى أن نوفق في تقديم ما ينفع المسيرة العلمية الخاصة بأهل البيت (ع) عموماً وقضية الإمام الحسين (عليه السلام) بشكل خاص إنه سميع مجيب .

المبحث الأول

الوراثة بين الإمام الحسين (ع) والأنبياء الأوائل

(آدم (ع) ، نوح (ع) ، إبراهيم (ع))

المطلب الأول :

ورد في نص الزيارة : (السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله)

آدم (ع) : هو الجوهر البشري والإنساني الأول ، الذي خلقه الله تعالى ليكون أباً للبشرية جمعاء وعنواناً للإنسان الذي أراده الله تعالى أن يكون خليفة له على سطح الأرض قال تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة: 30) ، ومنحه قدرات عجيبة لاستصلاح الأرض والانتفاع بما فيها من خيرات ، ويكون مرشداً وهادياً إلى الله تعالى ، لمن بعده من البشرية التي تخلفه قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ (البقرة: 31) ، وقد وردت نصوص قرآنية كثيرة تتحدث عن خلق أبونا آدم والأحوال التي مر بها والأحداث التي عاشها في بداية الدنيا وكلها تقصص لنا عن طبيعة الإنسان البشري وطموحاته وأفكاره وأهدافه ومقوماته ، وما يحب وما لا يحب ، فكانت هذه الآيات هي النظريات التأسيسية لعلم الاجتماع الانساني .

عاش نبي الله آدم (ع) في الأرض 1000 عام تقريباً (جابر ، 1442، ص29) ، حيث أسكنه الله الجنة بادئ الأمر قال تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ (البقرة : 35) ، ولم تمضي إلا ساعات قليلة (الراجحي ج7، ص29) ، حتى أنزله الله تعالى إلى الأرض لينطلق في رحلة الحياة الدنيوية المحدودة ، هو وزوجته حواء بعد أن عصى الله تعالى أمراً كان قد أمره به (الطباطبائي ، ج14، ص222) ، قال تعالى : ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ (طه، 123) ، وبدء حياته باحثاً عن الماء والطعام و المنزل وغيرها من متطلبات الحياة الدنيوية ، وبعد مرور الأيام والأشهر والسنين أنجب من زوجته أولاداً ، فازدادت حياته بهجةً وجمالاً من جهة ، وكبرت مسؤوليته من جهة أخرى ، إذ أن عليه أن يجمع قوته وقوت عياله ، ويربي أطفاله و يهتم بهم ، كل تلك الظروف لم تكن لتنتيه عن عبادة ربه وطاعته وتربية أولاده على طاعة الله تعالى علماً أن أولاده بلغ عددهم أربعين ولداً ، عشرون ذكراً وعشرون أنثى (البكري، ج1، ص109) ، قال تعالى : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ (هود، 61) .

وبعد أن كبرت أغصان شجرت آدم و أخذوا دورهم في الحياة بدئت هواجس متعددة تدور بينهم ومنها هاجس الأفضلية ، فأخذوا يتنافسون بينهم فيمن يكون الأفضل ، وطبعاً هذه ثغرة جيدة جداً للشيطان لكي ينفذ من خلالها لزرع العداوة والبغضاء بينهم قال تعالى : ﴿ فَوسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَذُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴾ (طه : 120) ، وبالفعل أدى هذا التنافس إلى نهاية مؤلمة تمثلت بخروج آدم وزوجته من الجنة ، وبقتل الأخ لأخيه فيما بعد ، فقد قتل قابيل أخاه هابيل ، طمعاً في الحصول على الأفضلية التي راودته نفسه عليها (الصحاري ، 2006م ، ص13) ، قال تعالى : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ ﴾ (المائدة : 30) ، وهذا أمر جلل إذ يصدر من أولاد النبي آدم (ع) ، لأنه يترتب عليه أمور تربوية مهمة لا تتناسب مع مقامهم فضلاً عن كونه سيكون سنة لمن يأتي بعدهم ، لأن المتوقع أن النبي آدم عليه السلام رباهم على طاعة الله تعالى ومعرفته ، فلماذا بلغ بهم الخلاف حد القتل ، والنصوص القرآنية تتحدث عن سبب القتل أنه كان قرباناً قدموه لله تعالى فقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر (الحويزي ، ج ١ ، ص ٦١٠) ، ويبدو أن شرط القبول كان متعلق بإيمان كل واحد منهم بالله تعالى ، أيهما أقوى إيماناً وحبا لله يتقبل قربانه ، ولكن هذا الشرط لم يستوعبه قابيل ، فبدلاً من العودة إلى الله تعالى ومضاعفة الجهود في تركية النفس ، عمد إلى أخيه فقتله حسداً وغيره ومعصية لله تعالى ، قال تعالى : ﴿ لئن بَسَطْتُ إِلَيَّ يَدَكَ لِنَقُتْلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدَيَّ إِلَيْكَ لِأَقُتْلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (28) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (29) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (30) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ (المائدة : 27 - 31) .

من خلال هذا الموجز المبسط لقصة نبي الله آدم (ع) وأهم ما ورد من أحداث فيها ، والتي وضحها القرآن الكريم من خلال آياته المباركات ، قد يُطرح سؤال مهم وهو : ما هو الربط بين نبي الله آدم (ع) والإمام الحسين (ع) حتى صار وراثاً له كما ذكر في زيارة وارث " السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله " ، علماً أن هناك بون كبير بين القستين واختلافات وتناقضات في الأحداث الاجتماعية ، فالآيات القرآنية تتحدث عن معصية نبي الله آدم (ع) من أجل الخلود و دوام الملك (الطباطبائي ، ج ١ ، ص ١٤٥) ، بينما تنقل الروايات التاريخية عن الإمام الحسين (ع) عندما عرضت له الدنيا قوله : " الموت أولى من ركوب العار ، والعار أولى من دخول النار " (المجلسي ، 1993م ، ج ٤٤ ، ص ١٩٢) ، حتى قال الشاعر عن لسان حاله :

إلهي تركت الخلق طراً في هواك ... وأيتمت العيال لكي أراكا

فلو قطعني في الحب إرباً ... لما مال الفؤاد إلى سواك (الحسن ، ص ١١٦)

وهذا اختلاف كبير بين الغائتين ، ومثال آخر هو قتل الأخ لأخيه في قصة ابني آدم (ع) ، والتي نرى نقيضها تماماً في قصة أولاد الحسين (ع) الذين كانوا يتسابقون على الموت (الأصفهاني ، 1949م ، ص 115 - 116) ، كل منهم يفضل الموت شهيداً من أجل الدين والعقيدة والعائلة ، فكانوا مثلاً رائعاً للأخوة الصادقة وصاروا مضرباً للأمثال في الأخوة ، وهذا يبين الفرق في مستوى التربية والإيثار .

والآن نعود للسؤال السابق وهو : ما هو الربط بين الاثنين ليصبح أحدهما وارثاً للآخر ؟ إذ أن وراثة التركة معدومة بسبب البعد الزمني بينهما والتشابه بين الحياتين معدوم أيضاً ، وهنا يمكن أن نجيب بفرضيتين وهما كما يأتي :

الفرضية الأولى : أن الوراثة هنا تعني الخلافة الشرعية الإلهية :

ونعني بذلك أن الإمام الحسين (ع) صار وارثاً لآدم (ع) الذي هو خليفة الله تعالى في الأرض بصريح القرآن الكريم إذ يقول تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة : آية 30) وهذا في زمن آدم عليه السلام أما في زمن الإمام الحسين (ع) فمن هو الخليفة على الأرض ؟ ولعل الوراثة أشارت لهذا المعنى على اعتبار أن الإمام الحسين (ع) هو أجلى مظهر نقي وظاهر يمكن أن يمثل خليفة الله تعالى على الأرض إذ أن ما عداه تشوبهم عوارض كثيرة قد يغلب عليها السلب أكثر من الإيجاب .

الفرضية الثانية : أن الوراثة تعني استمرار الرسالة الإلهية :

وهنا يمكن أن نشير إلى أن الإمام الحسين (ع) ورث من آدم التجسيد الحي المعنوي للرسالة الإلهية ، رسالة السماء ، فكان مظهراً جلياً للتوحيد لله تعالى ، وهذا المعنى قد يتفق عليه جمهور المسلمين أن الحسين بن علي (ع) في زمانه كان أفضل الناس عبادة و ورعاً وتقوى و طاعة لله تعالى ، وليس ذلك فحسب بل كان مرجع الناس إليه في الحلال والحرام .

المطلب الثاني :

ورد في نص الزيارة : " السلام عليك يا وارث نوح نبي الله " .

من هو نوح ؟ : هو " عبد الغفار أو عبد الملك أو عبد الأعلى ولقب بـ (نوح) لأنه كان كثير النياحة على نفسه أو على قومه " (الشيرازي ، ص 32) ، وقيل هو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ بن يرد بن مهلايل بن قين بن أنوش بن شيث بن آدم (ابن كثير ، 1988م ، ج 1 ، ص 74) .

طال الحديث عن قصة نبي الله نوح (ع) في المطويات التاريخية وكان منها ما يقبله العقل ومنها ما لا يقبله (الحجاج ، 2021م ، ص 114) ، ولذلك سنقتصر في هذه السطور على ما أذاعه القرآن الكريم فقط ، لكونه حقيقة ثابتة لا يشوبها الباطل ، فالإشارات القرآنية الواردة عن قصة نوح (ع) ارتكزت على مدة مكثه في قومه يدعوهم إلى الله تعالى ، والتي حددها القرآن الكريم بـ (950) عام ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (العنكبوت : آية 14) ، ولم يؤمن معه إلا عدد قليل منهم قيل كانوا (7 أنفار أو 70 نفراً) (الشيرازي ، ص 33) .

إن مدة تسعمائة وخمسون سنة قضاها نوح (ع) في الدعوة إلى الله تعالى وسط مجتمع ليس ببعيد عن بداية تكوين البشرية والحقائق الإلهية ، ذلك ليس أمراً سهلاً بل يعسر ذلك على الناس العاديين ، فكم تعب (ع) في تلك السنين من

أجل إنقاذ البشرية من التيار المادي الذي أخذ يبتعد عن خالقه بسبب المغريات المادية وعدم الخوف من الله تعالى ، إن هذه المدة اختصرها القرآن الكريم بثلاثة إشكالات أثارها الكفار على نوح (ع) لتكون موضوعة الجدل القائم بينهم والدافع لإنكارهم نبوته وعدم الإيمان بما جاءهم به من بينات ، مع دفاع النبي نوح (ع) عن عقيدته ورسالته وحماية من آمن به ، وهذه الإشكالات هي :

- 1- بشرية النبي نوح (ع) ؟ قال تعالى : ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا ﴾ (هود : آية 27) .
- 2- أن أتباع النبي نوح (ع) هم الفقراء والضعفاء من أبناء المجتمع ، قال تعالى : ﴿ وَمَا تَرَاكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّي الرَّأْيِ ﴾ (هود : آية 27) .
- 3- أنه لا فضل لنوح (ع) أن صار رسولاً لله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ (هود : آية 27) .

إلا أن نوح (ع) كان يبذل إشكالاتهم بقوة المنطق والعقل السليم ، ولكن يا حسرة على العباد ، فكان كلما حذرهم من غضب الله تعالى يقولون له : فأين ما تعدنا به ، فقد عقدوا ناصية إيمانهم برؤية العذاب وهم يعلمون أن العذاب إذا نزل ولات حين مناص ولا ينفع الندم (الطباطبائي ، ج 10 ، ص 271 - 296) ، قال تعالى : ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (هود : آية 32) .

بعدما أصر قوم نوح (ع) على الكفر والجحود ولم يفكروا ولو قليلاً بمصيرهم المجهول قال تعالى : ﴿ قَالُوا لَنْ نَمُوتَ نَحْنُ يَا نُوحُ لَكُنْ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴾ (الشعراء : آية 116) ، بدأ نوح (ع) مرحلة جديدة من الدعوة والتحذير لقومه من خلال بناء سفينة كبيرة جداً لتكون نجاة له وللمن معه من المؤمنين بأمر الله تعالى ، وبقي يبني فيها مدة طويلة ، يجمع الخشب وينجرها والناس تراقب ذلك ولكن بدل أن يكون ذلك عامل جذب وتفكير لهم ، كانوا يستهزؤون به ويزدادون بعدا عنه وعن ربهم ، وصاروا يتهمونهم بالجنون (حطبية ، ج 49 ، ص 5) ، حتى جاءهم العذاب وفار التور بالماء الذي لم يتمكن أحد من النجاة منه سوى من ركب السفينة (العياشي ، ج 2 ، ص 147) ، تلك السفينة الكبيرة والغريبة كانت كفيلة بأن تنقذ حياة المؤمنين ، وهي تدل في حقيقتها على مقدار الجهد الذي ينبغي على الإنسان أن يبذله ليصل لمراتب النجاة من العذاب ، وهي مرتبة تحتاج إلى وقت طويل وجهد كبير وتسليم لأمر الله تعالى والتوكل عليه ، لذلك كان النبي نوح (ع) يقابل استهزاءهم به أن يذكرهم بأنه والمؤمنين سوف يستهزؤون منهم في يوم من الأيام ، وذلك عندما يحل الطوفان (ال مبارك ، 1996م ، ج 4 ، ص 368-369) ، قال تعالى : ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ، فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾ (هود : آية 37 - 38) .

ويبدو أن فكرة عدم التصديق بنزول العذاب والتشكيك بمراد الله تعالى كانت تتغلغل حتى لبیت النبي نوح (ع) ، حتى تمكنت من زوجته و ابنه كنعان ، اللذين رفضا أن يركبا في السفينة التي صنعها بيديه فهلكا مع الكافرين (الشيرازي ، ج 6 ، ص 503) ، قال تعالى : ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (هود : آية 46) ، تلك السفينة التي مثلت مشروع الحياة فيما بعد الطوفان ، فلم تكن تحمل النبي نوح (ع) وأتباعه فقط بل كانت تحمل من الحيوانات الشيء الكثير سواء من الطيور أو الدواب ، فقد أمره الله تعالى أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين ، قال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ (المؤمنون : آية 27) ، فكم كان العدد هائلاً ، وكم كانت الحياة عامرة على هذه السفينة ، فهي سفينة في شكلها وصورتها ولكنها حياة كاملة في حقيقتها (الحجاج ، 2021م ، ص 52) .

دارت السفينة لمدة ستة أشهر " من بداية شهر رجب حتى نهاية شهر ذي الحجة وعلى رواية من عاشر شهر رجب

حتى عاشر محرم" (الشيرازي ، ص45) ، في مياه الأمطار التي وصفها القرآن بأن أواجهها كالجبال ثم جاء الإذن من الله تعالى بانتهاء العذاب و انحسار المياه من الأرض والسماء ، ونزلت السفينة على الأرض وعاد ركابها إلى الحياة الطبيعية على الأرض لبناء مجتمع جديد يسوده الإيمان بالله تعالى وأنبياءه المرسلين ، ولكن هل يستمر هذا المجتمع أم أن التحولات في العقيدة والدين مستمرة ؟ هذا ما سنلاحظه في قصص الأنبياء اللاحقين لنوح (ع) ، قال تعالى : ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (هود : آية 48) .

عندما نقارن بين حياة نبي الله نوح (ع) وحياة الإمام الحسين (ع) نلاحظ البون شاسع جداً فهناك نبي عاش 1000 سنة تقريباً يدعو قومه لله تعالى ولم يؤمنوا والسبب في ذلك هو العناد ، ورغم إنه صمد كل تلك الفترة ثم بعد ذلك دعا الله ليهلكهم وممن هلك معهم زوجته وابنه ، اللذين كانا يشككان بما يقوله نبيهم ، حتى قال الله تعالى (إنه عمل غير صالح) ، وفي الناحية الأخرى نجد أن الإمام الحسين (ع) عاش في مجتمع مسلم موحد لله تعالى ، ولكنه بعيد عن تعاليم الإسلام الأصيلة وقد سيطر عليه الطمع بالمغانم الدنيوية ، ولكن كان الحسين (ع) رغم الانحراف الكبير الذي أصاب المجتمع إلا أنه محافظ تماماً على دينه ودين آبائه وأبناءه ، وكان القريبين منه في غاية الإيمان ، وقد وقفوا معه موقفاً جباراً يوم الطف ، واستشهدوا معه في سبيل الله تعالى ، وهنا لا نجد أن ميراثاً ملحوظاً بينهما لا من الناحية التاريخية ولا من الناحية التربوية ، لذا فإن المتوقع أن الوراثة بينهما هي وراثة رسالة إلهية عالمية ، طابعها الصمود بوجه المنحرفين مهما كانت التحديات كبيرة .

المطلب الثالث :

ورد في نص الزيارة " السلام عليك يا وارث ابراهيم خليل الله " .

إبراهيم : هو ثاني أنبياء أولي العزم واسمه ابراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن أرغوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن أرفخشذ بن سام بن نوح (ع) (الطبري ، 1967م ، ج 1 ، ص233) ، بين ابراهيم (ع) ونوح (ع) عشرة آباء ، في هذه الفترة الزمنية التي تعاقب عليها الآباء العشرة عاد أبناء نوح وسلالته ومن بقي معه من الطوفان إلى الشرك والكفر بعبادة الله تعالى بتقادم الزمن ، حيث رجعوا إلى عبادة الأصنام دون عبادة الله تعالى ، فأرسله الله تعالى ليهديهم إلى سواء السبيل ، وفي قصة النبي إبراهيم (ع) مراحل متعددة ذكرها القرآن الكريم وهي تشير إلى حالة من التطور في الأحداث التي عاشها ابراهيم (ع) كما تشير الآيات القرآنية إلى فلسفة النبي إبراهيم (ع) العالية في اختيار المعبود الذي يستحق العبادة ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (76) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئن لم يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (77) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (78) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام : الآيات 76 - 79) ، فتبدء أحداث قصته قبل بعثته نبياً منذ صباه وطفولته وتستمر إلى شيخوخته وكهولته ، وكيف واجه أعتى طاغية في عصره ، وبينت انواع الابتلاءات التي تعرض لها (ع) .

وهنا يمكن أن نستخلص من قصة إبراهيم ما يناسب البحث لتجنب التفاصيل الزائدة والابتعاد عن التكرار الذي تعج به المصادر ، ويمكن أن نلخص ذلك في نقاط أهمها :

1- فلسفة العبادة عند ابراهيم (ع) والمتمثلة بالبحث عن الإله الذي يستحق العبادة وقد بينت الآيات السالفة الذكر

ذلك بوضوح (الصدوق ، 1377هـ ، ج 2 ، ص 176) .

- 2- الوقوف بوجه الطاغية على الرغم من قلة أنصاره ، قال تعالى : ﴿ وَحَاجَّةُ قَوْمِهِ قَالَ أَتَحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (الأنعام : الآية 80) .
- 3- الصبر على طاعة الله وتحمل التبعات المترتبة على ذلك أيّاً كانت ، فقد كان المتوقع أن يقتلوه أو يصلبوه أو يحرقوه (الراجحي ، ج 95 ، ص 2) وكل هذه الخيارات كانت حاضرة في ذهن إبراهيم (ع) ولكنه كان مسلماً لكل ذلك ، فالأمر الأهم عنده هو تبليغ رسالة ربه إلى الناس ، قال تعالى : ﴿ قَالَ أَتَقْتَبِدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (66) أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (67) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (68) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (69) ﴾ (الأنبياء : الآيات 65 - 69) .
- 4- الابتلاء بذبح ابنه اسماعيل (ع) ، وذلك على ضوء رؤيا رآها في المنام ، فأخبر ابنه بما رأى ، فقال له إني رأيت في المنام أنني أدبحك ، ولأن اسماعيل يدرك أن أباه نبياً من أنبياء الله تعالى ، قبل بما رآه أباه وقال له يا أبت إني مستعد لما تؤمر به وأنا على طاعتك (الطباطبائي ، ج ١٧ ، ص ١٥٢) ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الصافات : آية 102) .
- 5- عالمية الرسالة التي دعا إليها والتي عبر عنها القرآن الكريم بشكل واضح وسماها ملة إبراهيم (ع) (المقدم ، ج 60 ، ص 10) إذ قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قديمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (161) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163) ﴾ (الأنعام : الآية 161 - 163) .

ولو أخذنا هذه النقاط بشيء من الدراسة والتحليل سيتضح لنا المراد :

- 1- فلسفة العبادة عند إبراهيم (ع) : أشارت النصوص القرآنية إلى أن إبراهيم (ع) ومنذ نعومة أظفاره حاول اقناع الناس بترك عبادة الأصنام والعودة إلى الله تعالى من خلال توظيف الاستدلال المنطقي والبراهين العقلية التي لا يختلف اثنان على صحتها وصدقها ، إلا أن المجتمع كان يعاني من جمود فكري واتباع أعمى لطاغية زمانه ، فقد أوردت الآيات القرآنية أن النبي إبراهيم (ع) حاول مجارات أبناء مجتمعه لكي ينضم إليهم إلى تفاهة عقيدتهم ، فقال لهم أنني سأختار عبادة الكواكب فلما أفل الكوكب قال لا أحب الأفلين ، ثم عدا إلى عبادة القمر ولما غاب عنه تركه أيضاً ، ثم اختار أن يعبد الشمس لما تتمتع به من حجم كبير وضوء منتشر (الطبري ، 1967م ، ج ٧ ، ص ٣٢٣) ، إلا أنها أفلت أيضاً عند ذلك اختار أن يعبد إلهاً لا يأفل ولا يغيب ، فالإنسان حري به أن يعبد إلهاً لا يغيب عنه بل يكون حاضراً في كل وقت و مكان ، لأنه قد يحتاجه في كل لحظة فيعبد ويستعين به على الدنيا ، وهذا المنطق العقلي السليم ، وكان ذلك أمام مرأى ومسمع من الناس إلا أنهم كانوا صما بكما عن ذلك فلم يفكروا في هذه الرسائل التي وجهها لهم إبراهيم (ع) ، وبعد ذلك عرضهم إبراهيم (ع) إلى هزة عقلية كبيرة عسى أن يفيقوا من سباتهم والجمود العقلي الذي يسيطر عليهم وذلك عندما كسر أصنامهم وترك كبيرهم قال تعالى : ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (57) فَجَعَلَهُمْ جُذَاءً إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ (الأنبياء : الآيات 57 - 58) ، الأمر الذي أزعجهم وأخذوا يبحثون عن من فعل ذلك ، فقال لهم أنه كبير الأصنام من فعلها ، فرجعوا إلى أنفسهم فوجدوا أن ذلك مستحيل فالحجارة لا تقوى على شيء (الفيض الكاشاني ، 1982م ، ج ٣ ، ص ٣٤٣) ، وكان همه (ع) أن يرشدوا إذا ما رجعوا إلى أنفسهم ، إلا أنهم ازدادوا كفراً وعدواناً وأخذوا إبراهيم (ع) وألقوا به في نارٍ أوقدوها له ليحرقوه ويتخلصوا منه (الطباطبائي ، ج ١٦ ، ص ١٢٠) ، وهنا كان التدخل الإلهي لتنبيههم على أن عقيدتهم خاطئة وأن

عليهم أن يعودوا لربهم ، فأنجاه الله تعالى من النار وخرج لهم من وسط النار دون أن تحرقه ، وهم ينظرون له يمشي على رجله لم يصبه أذى ، قال تعالى : ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ (68) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (69) ﴿ (الأنبياء : الآيات 68 - 69) ، ومع كل هذه الآيات والبراهين إلا أنهم لم يؤمنوا ، بل عمدوا إلى إخراجهم من المدينة لئلا يؤثر بغيره من الناس ويهديه إلى الصراط المستقيم ، والذي يتضح من هذه القصة أن المجتمع الذي عاش فيه إبراهيم كان إما مجتمعاً اجتمعت كلمة أبناءه على الكفر والعناد والاحاد وبالتالي لا يتحملوا وجود شخص موحد بينهم ، أو أن بعض المجتمع كان يفكر ويحاول أن يؤمن إلا أنهم كانوا يخشون بطش السلطان ، وفي كلا الأمرين فإنهم خسروا جميعاً ، وأن دعوة إبراهيم (ع) كتب لها الله تعالى الانتشار والثبات والتوسع والعالمية على مر الزمان وتوسع المكان طولاً وعرضاً ، لأن الدعوة والثبات الذي أبداه إبراهيم (ع) كانا صادقين ، حتى أن الله تعالى اختاره خليلاً له وحبیباً ، وفي هذه النقطة المهمة فقد تشابهت نتيجة صمود إبراهيم (ع) أمام الكفار والمعاندين مع نتيجة صمود الحسين (ع) في وقوفه ضد العصاة المعاندين ممن يحسبون على الإسلام ، فقد كتب الله لمبادئ الحسين (ع) الانتشار على مر السنين و لأعدائه الخزي والعار والأفول شيئاً فشيئاً .

2- الوقوف بوجه الطاغية (النمرود) (الدينوري، 1960م ، ص6) : وقد أوردت الآيات القرآنية عن موقف إبراهيم (ع) مع النمرود مواقف عدة منها أنه حاول محاجته بالعقل والمنطق لكنه لم يفلح لما يمتلكه إبراهيم (ع) من ثقة عالية بربه و عقيدته القوية ، فقال النمرود لإبراهيم (ع) ماذا يفعل ربك ، فأجابه إبراهيم (ع) أن ربي يحيي ويميت ، فقال النمرود أنا أحيي وأميت ، فجاء بسجينين وأمر بقتل أحدهما وترك الآخر ، وقال أمت هذا وأحييت هذا ، وهذه محاولة بائسة لخلط الأوراق على عقول الناس السذج ، فالإحياء والاماتة الذي يتحدث عنه إبراهيم (ع) هو للفرد الواحد ، ولكن هذه الحيلة انطلت على الناس ، فعاجله إبراهيم (ع) بمسألة أخرى لا يستطيع أن ينجو منها ، فقال له إن ربي يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ، فحار النمرود في ذلك ولم يبد جواباً (الشيرازي ، 2013م ، ج ٢ ، ص ٢٦٧) ، وقال عنه القرآن ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة : الآية 258) ، ولكن مع هذا الفشل الذريع أمام قوة عقيدة إبراهيم (ع) ولكن الناس اختارت الوقوف مع الطاغية ، وهذا ديدنهم في أغلب الأزمنة والأمكنة ، ولعل هذا الموقف يذكرنا بموقف آخر من واقعة الطف عندما بلغ العناد ذروته في قلوب أعداء الحسين (ع) حيث وقف شمر بن ذي الجوشن وخاطب الحسين قائلاً : " ... نعم أنت الحسين بن علي وجدك رسول الله وأمك فاطمة الزهراء وأخوك الحسن ، فقال : وملك فإذا علمت ذلك فلم تقتلني ؟ ، قال : أريد بذلك الجائزة من يزيد ، فقال له : يا وملك ايها أحب اليك الجائزة من يزيد أم شفاعة جدي رسول الله ؟ ، فقال الشمر : جائزة يزيد أحب إلى الشمر من شفاعة جدك " (عبد الوهاب ، 1434هـ ، ص35) .

3- الصبر على طاعة الله تعالى وتحمل التبعات المترتبة على ذلك : وفي هذا المجال فلم ير إبراهيم بدأً من المواجهة مع الحكومة والمجتمع الذين آثروا الكفر على الإيمان مهما كانت النتائج صعبة ، فعندما أمر النمرود بإلقاء إبراهيم (ع) في السجن والتحضير لإشعال نار كبيرة وإلقاءه بها ، قال تعالى : ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (العنكبوت : آية 24) ، تذكر المصادر أنهم أخذوا يجمعون الحطب مدة أربعين يوماً حتى صار الحطب كالجبل ، ثم أوقدوه بالنار و رموا إبراهيم به بواسطة المنجنيق لقوة حرارة النار اللاهبة ، عسى أن يكون عبرة لمن اعتبر ، كل ذلك وإبراهيم لا زال مصر على

موقفه وعبادة ربه ، حتى ورد في الأثر أن الملك جبرائيل نزل عليه وهو في طريقه إلى النار فقال له ألك حاجة ، فأجابه إبراهيم (ع) بعقيدة راسخة وتسليم مطلق لما كتب الله له : علمه بحالي يغني عن سؤالي (الريشهري ، ج 4 ، ص 3658) ، فكتب الله له النجاة وقال يا نار كوني برداً وسلاماً ، وهذا الأمر يوضح التفاني في ذات الله تعالى من إبراهيم (ع) ولكن الله تعالى أنجاه ، لماذا ؟ ، بينما كان الحسين (ع) بنفس المرتبة من التفاني والإيمان ولكن الله تعالى اصطفاه شهيداً ، لماذا ؟ ويبدو أن السبب هنا هو اختلاف الغاية والهدف من الرسالة بين الاثنين فكل له ظروفه وأحواله والله أعلم بما يصلح البشر منهم .

4- الابتلاء بذبح ابنه اسماعيل (ع) : ولعل هذه القضية من أغرب ما ورد في قصص الأنبياء (ع) فلم يرد في قصص الأنبياء جميعهم أن أحداً منهم ابتلاه الله تعالى بذبح ولده ، لما يمتلكه الولد من الحب والقرب الكبير في قلب والده ، فضلاً عن كون هذا الولد نبياً ومن الصالحين ، فضلاً عما قدمه إبراهيم من تضحيات كبيرة في سبيل الله تعالى وعقيدة التوحيد ، إلا أن إبراهيم (ع) كان خالص العقيدة بالله تعالى ومستعد للتضحية بالغالي والنفيس في سبيله ، فلما رأى في المنام أنه يذبح ابنه ، صارع ولده بذلك ليرى ما هو صانع ، فجاءه جواب ابنه الذي تربى على حسن الطاعة لوأديه ، فقال له افعل ما تؤمر فستجدني إن شاء الله من الصابرين ، فسلم إبراهيم أمره إلى الله تعالى وتله للجبين ليذبحه إلا أن الله تعالى أعنته وفداه بكبش رحمة ورأفة بإبراهيم الذي كان مطيعاً بشكل تام لله تعالى : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنِ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمَ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (105) ﴾ (الصفات : الآيات 102 - 105) ، وهذا انقاز آخر لإبراهيم وقلبه المطمئن بالله تعالى ، إلا أن الحسين (ع) لم ينجوا ولده عندما قدمه فداءً للدين ، بل مزقته السيف إرباً ، أمام ناظري أبيه ، وكأن الله تعالى فدى إبراهيم وابنه اسماعيل (ع) بالحسين وابنه علي الأكبر ، وقد نوهنا سابقاً للسبب الراجح في بيان الحاليين .

5- عالمية الرسالة التي دعا إليها إبراهيم (ع) : ونتيجة للتضحيات التي بذلها إبراهيم (ع) في سبيل الدعوة إلى الله تعالى بالموعظة الحسنة والعقل والمنطق السليم والهجرة إلى الله تعالى لتثبيت عقيدة التوحيد في قلوب الناس ، فإن الله تعالى كتب لهذه العقيدة الاتساع والانتشار والامتداد زماناً ومكاناً ، حتى صارت عقيدة أغلب أبناء البشر في الأرض باختلاف أديانهم ومشاربهم قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (البقرة : آية 135) وقال أيضاً : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (النساء : آية 125) ، فكل منهم يؤمن بالتوحيد ، تلك العقيدة التي شابها بعض الأخطاء والتدليس ولكنها تحتاج إلى من يديم عالميتها وفق المنهج الصحيح وذلك يحتاج إلى تضحيات كبيرة أيضاً ، وهذه التضحيات بقيت مُدخرة حتى جاء الحسين بن علي (ع) وقدمها في كربلاء الأمر الذي جعلها مناراً لكل أبناء المعمورة شرقاً وغرباً (الغزي ، 2022 ، ص 170) ، وبهذا يكون الحسين (ع) إرثاً وليس وارثاً ، ذلك الإرث الذي أغنى العالم بالإسلام الحقيقي الحر .

المبحث الثاني

الوراثة بين الإمام الحسين (ع) وأنبياء بني اسرائيل

(النبي موسى ، النبي عيسى) أنموذجاً

المطلب الأول :

ورد في نص الزيارة : " السلام عليك يا وارث موسى كليم الله "

موسى (ابن عساكر ، 1995م ، ج ٦١ ، ص ١٥) : أو (موشي) هو موسى بن عمران من أبرز أنبياء بني اسرائيل ، فهو صاحب رسالة وكتاب ودعوة عالمية ، فهو من أولي العزم الذين خصهم الله تعالى ببعض الخصائص التي لم تتكرر لغيرهم وذلك لأهمية دعوتهم ، فهو كليم الله تعالى وقد صرح بذلك القرآن الكريم في آياته المباركات ، وقد كانت حياته مليئة بكثير من الأحداث الغريبة التي لم تحصل مع غيره من الأنبياء ، فقد تمثلت حياته بعدة مراحل وهي :

1- مرحلة الولادة والنشأة ، قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا زَادُوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (القصص : آية 7) .

2- مرحلة الشباب والحياة في قصر فرعون مصر ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (ابراهيم ، آية 5) .

3- مرحلة الهجرة إلى مدين ، قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (22) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (23) ﴾ (القصص : آية 22-23) .

4- مرحلة النبوة والدعوة إلى الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (29) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (30) ﴾ (القصص : آية 29-30) .

5- الانتصار على الفراعنة وتربية المجتمع ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أُطْعَمُ إِلَىٰ إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (38) وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (39) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانَظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (40) ﴾ (القصص : آية 37-39) .

ففي مرحلة الولادة أورد القرآن الكريم قصة موسى (ع) وكيف أن أمه ألفت به في البحر للحفاظ على حياته على أثر أوامر فرعون في قتل المواليد لتلك السنة والعجيب أنه نجى من البحر ومن القتل وتربى في بيت فرعون مصر الذي أمر بقتل المواليد (الطباطبائي ، ج ١٦ ، ص ١٠) ، سبحان الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا زَادُوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَرَجًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (8) وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (9) وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِعًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (10) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (11) وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلٍ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (12) فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (13) ﴾ (القصص : الآيات 7 - 13) .

وأما مرحلة الشباب فبالرغم من أنه نشأ في بيت فرعون ملك مصر إلا أنه لم يتربى تربيتهم ولم يأخذ عاداتهم ، بل كان شاباً يافعا يحب الخير للناس (الرازي، 2000م، ج 24، ص 199) قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (القصص : آية 14) وكانت مؤهلات النبوة بادية عليه إلا أنه كان يحتاج إلى تأهيل أكثر على يد نبي أو شخص إلهي ، فأخذ الله تعالى بيديه وساقه إلى مدين ليعيش فترة من الزمن مع النبي شعيب ليأخذ منه مستوى عالٍ من التربية و المعرفة الإلهية وليكون على أتم الجهوزية لتلقي وحي السماء وتعاليمها قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (القصص : آية 22) ، وبعدها أكرمه الله تعالى بأن ألقى عليه الرسالة والنبوة وكلفه بهداية أهل مصر بالتوجيه المباشر دون واسطة أو ملك ، فقد كلمه الله تعالى تكليماً في الواد المقدس وكلفه بدعوة أهل مصر (الطباطبائي، ج ١٦، ص ٢٤ - 26) ، فَعُرِفَ موسى من بين الأنبياء ب (كليم الله) .

حمل موسى أعباء الرسالة وطلب من الله تعالى أن يرسل معه أخيه هارون ليعينه على أمره فهو أطلق لساناً منه ، فكان كلاهما نبياً ، وانطلقوا إلى فرعون مصر الذي كان قد تربى في بيته في السابق ليدعوه إلى عبادة الله تعالى ، ولكن فرعون مصر لم يكن ليؤمن لأنه يرى نفسه هو إله مصر الذي يجب أن يعبدوه ، فطلب من موسى البينة ، وكانت دلائل موسى العصا واليد البيضاء ، إلا أن فرعون ظن ذلك سحراً (الطباطبائي، ج 16، ص 36) ، قال تعالى : ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ (35) فَلَمَّا جَاءَهُمُ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ (36) ﴾ (القصص : الآيات 35 - 36) فالزمهما بالتحدي لسحرة مصر لإثبات صدق دعوتهما ، وبعد أن انتصر موسى على السحرة أبى فرعون أن يعلن إسلامه وخضوعه ولعل ذلك كان مكابرةً منه وعناداً ، وليس عن عدم الاعتقاد ، فمحتمل أن يكون قد علم أن هذا فعلاً نبياً لكن الدنيا والملك والحاشية هو ما منعه عن اعلان إيمانه ، قال تعالى : ﴿ وَجَاوَرْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ النَّجْرَ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90) الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (91) ﴾ (يونس : آية 90) وبعد مساجلات كثيرة وجدال بين فرعون و ملئه وبين موسى وهارون (ع) ، دخل الكثير من أهل مصر إلى دين نبي الله موسى (ع) ، الأمر الذي أزعج الحكومة آنذاك فعمد فرعون إلى اضطهاد الناس فأمر بقتل الرجال واستحياء النساء والأطفال أملاً منه أن يعودوا إلى الكفر إلا أن ذلك لم يجد نفعاً (الأنطلسي، 2000م، ج ١، ص ٣٥٢) ، فأمر موسى المؤمنين معه بالهجرة من مصر قبل أن يقضي عليهم فرعون جميعهم ، فخرجوا جميعاً وعلى رأسهم موسى (ع) ولحقهم فرعون حتى انتهوا إلى البحر ، فطلب موسى المعونة من الله تعالى فأمره أن يضرب البحر بعصاه ، ففعل موسى وانفلق البحر فلقطين فعبّر موسى ومن معه البحر بأمان ، وتبعهم بذلك فرعون وجنوده فأمر الله تعالى البحر فعادت المياه إلى طبيعتها بعد أن تمكن المؤمنين من الخلاص ، فغرق فرعون وجنوده وصاروا لعبرة للآخرين (الشيرازي، ج ٦، ص ٤٣) ، ونجا بنو اسرائيل من الكفر والشرك ونعموا بالإيمان بالله تعالى ، ولكن ما أسرع أن شاع بينهم العودة لعبادة الأصنام إذ أن عقيدة التوحيد لا زالت حديثة ولم تترسخ بشكل جيد في قلوب الجميع ، فإن الفترة التي عاشها أهل مصر تحت نير الكفر كانت طويلة ولا يمكن تطهير القلوب منها بشكل يسير ، ولذلك عمد بعضهم إلى صناعة عجل من الذهب وعبدوه من دون الله تعالى ، هذا بوجود هارون النبي بينهم ، إذ أن موسى كان قد ذهب للقاء ربه (الشيرازي، ج 10، ص 54) ، فكيف كان حالهم عندما فارقه الأنبياء والمرسلين ، مؤكداً أنهم سرعان ما يدينون بالعقائد الباطلة ، قال تعالى : ﴿ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (86) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (87) ﴾ (طه : الآيات 86 - 87) .

وفي ضوء ما تقدم فإن وجه الشبه بين موسى كليم الله تعالى و الإمام الحسين (ع) هو الثبات في الدعوة إلى الله تعالى ، إذ أن لا شبه ولا تقارب بين حياة كليهما ، فموسى ربيب الفراعنة والحسين ربيب رسول الله (ص) ، وموسى النبي (ع) في شبابه اضطر إلى الهجرة على أثر قتله لرجل بالخطأ فعاش عقداً من الزمن بعيداً عن دياره ، أما الإمام الحسين (ع) فقد كان يساعد أباه في كل خطوة من خطوات الإصلاح للمجتمع ، وقد قال عنه رسول الله (ص) منذ صغره أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة* ، فكان على الدوام قدوة للمؤمنين ، أما موسى (ع) فإنه على الرغم من نشأته في كنف الملك إلا أنه كان بحاجة إلى معجزة لأهل زمانه لإثبات صدق دعواه ، أما الإمام الحسين (ع) فكان معلوماً للجميع أنه ابن رسول الله (ص) وهو صادق فيما يقول دون الحاجة إلى دليل ، حتى في ثورته ضد الحكومة الظالمة ، حكومة بني أمية فإنهم لم يشكوا في صدق دعواه بل أرادوا منه الخضوع لسلطان يزيد لعنه الله ، ولم يكن الحسين (ع) لينزل على طاعتهم ، بل قالها بكل صراحة " مثلي لا يبايع مثله " (المجلسي 1993م ، ج ٤٤ ، ص ٣٢٥) .

إذن نخلص إلى نتيجة مهمة وهي أن الإمام الحسين (ع) لم يرث من النبي موسى (ع) شيئاً لا من الناحية الاجتماعية ولا من ناحية الصفات أو الأحداث ولا مالا ، بل هو ورث دعوة الإصلاح والرسالة الإلهية التي من شأنها أن ترفع مقام الإنسان إلى الكمال والسمو .

المطلب الثاني :

ورد في نص الزيارة : " السلام عليك يا وارث عيسى روح الله " .

هو نبي الله عيسى ابن مريم العذراء ، معجزة من معاجز الله تعالى لخلقه ، فقد ولد من غير أب وبعث منذ ولادته نبياً لبني اسرائيل ليهديهم إلى سواء السبيل (المدرسي 2008م ، ج 5 ، ص 330) ، وجاء بشريعة النصارى ، ولقب بألقاب عديدة كان أشهرها هو (المسيح) (الخلف ، 1977م ، ص 165) وهو ما عرف به أتباعه من بعده .

أمه مريم بنت عمران ، من آل عمران من بني اسرائيل ويعتقد أن نسبها ينتهي إلى نبي الله داود (ع) ، عاشت حياتها في بيت نبي الله زكريا (ع) حيث تربت هناك ، وكان زكريا والدا لنبي الله يحيى (ع) ، وزكريا أول من آمن بنبوته عيسى (ع) (مجموعة من المؤلفين ، ص 30) ، ففي بادئ الأمر عندما جاءت مريم بعيسى تحمله بين يديها اتهمها الناس بالبغي والعياذ بالله ، قال تعالى : عن لسان حال اليهود ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴾ (مريم : آية 82) ، إلا زكريا فقد كان يعلم بعلو إيمانها وصدقها مع الله تعالى ، فكان كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً ، كما عبر القرآن الكريم في آياته المباركات ، قال تعالى : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (آل عمران : آية 37) .

عاش عيسى في كنف أمه العذراء حتى كبر واشتد عوده وتولى زمام نفسه ، ثم بدأ بدعوة بني اسرائيل إلى الله تعالى على شريعة جديدة هي الشريعة النصرانية ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر ، وكان (ع) قد عرف عنه العلم والمعرفة وخصوصاً في مجال الطب حيث كان يبرئ الأكمه والأبرص وهي أمراض مستعصية العلاج حتى يومنا هذا (غلوش ، 2002م ، ص 169 - 171) قال تعالى ﴿ وَأُبْرِئِ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران : آية 49) ، فضلا عن معاجزه التي ظهرت للعيان فقد كان يخلق من الطين كهيئة الطير ، فينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله تعالى ﴿ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (آل عمران : آية 49) .

فضلاً عن ما تقدم فقد جاء عيسى بكتاب سماوي وهو كتاب الإنجيل الذي ذكره القرآن مرات عديدة في آياته ، وكان يدعو الناس إلى ما في هذا الكتاب ، ولكن بعد أن رفعه الله تعالى تم تحريف هذا الكتاب ونقل بعده نسخ مختلفة الواحدة عن الأخرى (وداعة ، مقال إلكتروني) ، فلم تعد قيمته ككتاب سماوي فاعلة ، بل أصبح هناك الكثير من علامات الاستفهام والشكوك التي تدور عليه ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (المائدة : آية 68) .

وعلى كل حال فإن مقارنة النبي عيسى (ع) مع الإمام الحسين (ع) قد تكون متعذرة في أغلب جوانب حياة كل منهما ، وبالتالي تنتفي الوراثة المادية والاجتماعية ، فهو من نسل أنبياء بني إسرائيل والإمام الحسين (ع) من نسل اسماعيل (ع) ، و عيسى ليس له أب ليرثه والإمام الحسين (ع) ابن علي بن أبي طالب (ع) أمير المؤمنين وإمام المتقين بعد رسول الله (ص) ، وعيسى له من المعجزات الكثير لإثبات عقيدته وشريعته ، أما الإمام الحسين (ع) فقد حاج الناس بالمنطق العقلي والفقه والعقدي فقط ، وعيسى رفعه الله تعالى إليه بحسب الرؤية الإسلامية ولم يموت ، أما الإمام الحسين (ع) فقد استشهد في سبيل الله تعالى وللحفاظ على الدين الإسلامي ، وغير ذلك من نقاط الاختلاف بين الشخصيتين ، ومن ذلك نستدل على أن الوراثة المقصودة في الزيارة هي وراثة الرسالة والعقيدة و الإصلاح ، وهو القاسم المشترك بين الأنبياء جميعاً (ع) وبين الإمام الحسين (ع) .

المبحث الثالث

الوراثة الشرعية للجد والأب

المطلب الأول :

ورد في نصوص الزيارة : " السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله " .

محمد حبيب الله : هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب (رسول الله) وينتهي نسبه إلى معد بن عدنان ، أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب (ابن سعد ، 1990م ، ج 1 ، ص 76) ، صفوة الخلق ورسول الله إلى الناس أجمعين ، وهو شخصية عظيمة قل نظيرها في هذا العالم ، فهو رسول الإسلام وخاتم الأنبياء وتعد شريعته خاتمة الشرائع يقول عنه المستشرق مايكل هارت في كتابه أعظم مائة شخص في التاريخ : " لقد اخترت محمداً (ص) في أول هذه القائمة ، ولا بد أن يندهش كثيرون لهذا الاختيار ، ومعهم حق في ذلك ، ولكن محمداً عليه السلام هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحاً مطلقاً على المستوى الديني والدنيوي ، وهو قد دعا إلى الإسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات وأصبح قائداً سياسياً وعسكرياً ودينياً ، وبعد 13 قرناً من وفاته ، فإن أثر محمد عليه السلام ما يزال قوياً متجدداً " (مايكل هارت ، ص 13) .

ولعل هذا الكلام من مايكل هارت موجز جيد عن حياة النبي محمد (ص) ولذلك سوف لن أعرج أكثر من ذلك للإيجاز وعدم الاسهاب في المتن ، وهنا حري بنا أن نستعرض العلاقة بين موضوع البحث وهو الحسين (ع) وبين محمد النبي (ص) والذي ورد في الزيارة " السلام على وارث محمد حبيب الله " ، والذي يبحث في هذه القضية يجد أن الحسين (ع) هو سبط محمد (ص) وحفيده من ابنته الوحيدة فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين (ع) (الحسيني ، ص 157) ، وبالتالي فإن هناك وراثة شرعية كاملة لكل ما للنبي محمد (ص) من ماديات ومعنويات (أموالاً ومكانة) ، ولذلك بقي عليه السلام حتى آخر أيام حياته والناس ينادونه ي (ابن رسول الله) (الحر العاملي ، ج 3 ، ص 280) لما له من قرب المكان وعظيم المنزلة من رسول الله (ص) ، فضلاً عن أن أبيه هو علي بن أبي طالب (ع) وهو ابن عم النبي (ص) فالوراثة المادية هنا جاءت من طريقين من الأب والأم للنبي (ص) ، ولكن السؤال هنا : هل أن الوراثة المقصودة في الزيارة هي وراثة التركة

أم شيء آخر ؟ .

ولو استقرأنا نص الزيارة تبين بوضوح أن المقصود من الوراثة ليس وراثة التركة والمال بل أن أمراً آخر ورثه الحسين عليه السلام من جده أشار إليه النبي (ص) عندما خص الحسين (ع) بقوله : " حسين مني وأنا من حسين " (الراجعي ، ج 9 ، ص 6) ، وقد ترجم الحسين (ع) هذه المقولة عندما قصد كربلاء بقوله : " ما خرجت بطراً ولا أشراً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي " (المجلسي ، 1993م ، ج 44 ، ص 329) .

المطلب الثاني :

ورد في نص الزيارة : " السلام عليك يا وارث أمير المؤمنين ولي الله (ع) " .

أمير المؤمنين : هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، ابن عم النبي (ص) وزوج ابنته و والد الحسين (ع) (الْحُسَيْنِي ، ص 50) ، ومن البديهي أن الوراثة بينهما متحققة بكل تفاصيلها المادية والمعنوية ، ولكن ما يظهر من نص الزيارة أن الوراثة المقصودة هي وراثة القيادة والدين والثبات على المبدأ وهذا واضح لمن قرأ سيرة أهل البيت (ع) والأحداث التاريخية التي جرت عليهم ، ولذلك عزفنا عن الخوض في طبيعة هذه الوراثة لأنها على المستوى المادي متحققة بشكل تام ، وعلى المستوى المعنوي فهي متحققة أيضاً فبعد غياب دور الإمام علي والإمام الحسن (ع) كان الإمام الحسين (ع) هو القائد المصلح والمهتم بشؤون المجتمع الممثل الأول للخط الإسلامي الأصيل على نهج محمد (ص) ومن قبله من الأنبياء والمرسلين على نهج واحد لا اختلاف فيه ، قال تعالى : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ (البقرة : آية 285) .

الخاتمة والنتائج :

وبعد أن انتهينا من هذه السياحة الجميلة العطرة في السيرة الموجزة لعدد من الأنبياء الصالحين الذين ورد ذكرهم في نصوص زيارة وارث المباركة للإمام الحسين (ع) والمقارنة بين حياة الأنبياء وحياة الإمام الحسين (ع) وهل الوراثة الموجودة حقيقة مادية أم معنوية ؟ ، ويمكن أن نقول أن الوراثة التي نستنتجها مما تقدم تتركز في عدة احتمالات وهي كما يلي :

الاحتمال الأول : الوراثة تعني الاشتراك في الرسالة .

الاحتمال الثاني : الوراثة تعني الاشتراك في التجسيد .

وتفصيل ذلك :

أولاً - الاشتراك في الرسالة : يعني الامتداد واستكمال ما بدئه السابقون من الأنبياء فهو يشكل حلقة من سلسلة ممتدة لا نعلم نهايتها ، وهو في هذا الحال وارث بمعنى أن ما سرى على غيره يسري عليه وهو مكمل له ، فالوراثة هنا وصف كلي ينطبق على أجزاء المتعددة والمتكررة بالتساوي ، فلا فرق بين أحدها ، والامام الحسين (ع) هو حلقة في هذه السلسلة الذهبية المباركة .

الثاني - الاشتراك في التجسيد : يعني أنه جسد صور الأنبياء المذكورين في الزيارة بكل كمالاتها دون نقصان لشيء منها ، فعندما يرد في الزيارة مفهوم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويشهد له بأنه أدى كل هذه المفاهيم والفرائض ، فإن هذه المفاهيم كانت قد دأب الأنبياء السابقون على أدائها ، وكذلك كونه نور في الاصلاب الشامخة ، فالأنبياء كلهم نور من الله أرسلهم لهداية البشرية ، وبما أنه سار على ما ساروا عليه فهو نور أيضاً ، وكونه من القادة الهداة ، فالأنبياء هم الهداة للبشرية ، والامام هنا يشكل امتداداً لهم كما أشرنا إلى ذلك في الاشتراك الرسالي .

ومما تقدم نستنتج أن الوراثة هنا بمعنى التجسيد لما كان عليه الأنبياء من الاصطفاء والهداية وأداء الفرائض وقيادة المجتمع ، وليست الوراثة هنا بمعناها المتعارف في الفقه من انتقال الاموال من الآباء إلى الابناء ، مع عدم التنافي بين المعنيين ، فإن إيراد مفهوم الوراثة المتعارف عليها في سطور الزيارة لا داعي له أصلاً ، بل أن ذكره يكون عبثاً ،

لأن الوراثة بالمعنى الفقهي ثابتة لكل أبناء آدم بالتساوي وبلا فرق .

وفي الختام يمكنني القول أن هذا المعنى في الزيارة قد يحتاج إلى بحوث أكثر إذا تسنت الفرصة للباحثين ، وأما أنا فقد أدليت بدلوي عسى أن أكون قد وفقت لتقديم شيء ينفع القراء والمسيرة العلمية ونشر علوم أهل البيت (ع) ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أنبياءه الصالحين وعباده المكرمين وأهل بيت نبيه المعصومين (سلام الله عليهم أجمعين) .

مصادر والمراجع :

- القرآن الكريم .
- (1) الأخبار الطوال : أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٢ هـ) ، تحقيق . عبد المنعم عام ، مراجعة : الدكتور جمال الدين الشيال ، الناشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مصر ، ط 1 ، ١٩٦٠ م .
- (2) أسرار فاجعة كربلاء : محمد رجب عبد الوهاب ، نشر المؤلف ، 1434 هـ .
- (3) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت - لبنان ، ط 1 ، 1434 هـ - 2013 م .
- (4) أنساب العرب (تاريخ العوتبي) : سلمة بن مسلم بن إبراهيم الصحاري ت 511 هـ ، ت. د. محمد احسان النص ، ط 4 ، 1427 هـ - 2006 م .
- (5) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار : العلامة محمد باقر المجلسي ، مؤسسة الوفاء ، ط 2 ، 1403 هـ - 1993 م .
- (6) تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس : حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري (ت ٩٦٦ هـ) ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، (د.ت) .
- (7) تاريخ الأمم والملوك : أبو جعفر ، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ) ، ت. محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، ط 2 ، مصر ، 1387 هـ - 1967 م .
- (8) تاريخ مدينة دمشق : أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (٤٩٩ هـ - ٥٧١ هـ) ، ت. محب الدين أبو سعيد العمروي ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، 1415 هـ - 1995 م .
- (9) تفسير أحمد حطية : أحمد حطية ، (د.م.ط) .
- (10) البحر المحيط (في التفسير) : محمد بن يوسف ، الشهير بأبي حيان الأندلسي ت ٧45 هـ ، ت. صدقي محمد جميل العطار وآخرون ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، 1420 هـ - 2000 م .
- (11) تفسير الصافي : محمد بن مرتضى بن الفيض الكاشاني ، دار المرتضى ، طهران ، 1982 م .
- (12) تفسير العياشي : محمد بن مسعود العياشي ، ت. قسم الدراسات الإسلامية ، مؤسسة البعثة ، قم - إيران ، ط 1 ، 1421 هـ - 2000 م .
- (13) تفسير القرآن الكريم : محمد إسماعيل المقدم ، (د.م.ط) .
- (14) تفسير الكبير : فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين الرازي ت 606 هـ ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط 3 ، 1420 - 2000 م .
- (15) تفسير الميزان : السيد محمد حسين الطباطبائي ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم - إيران .
- (16) تفسير نور الثقلين : عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي ت 1112 هـ ، ت. هاشم الرسولي المحلاتي ، مطبعة الحكمة ، قم .
- (17) توفيق الرحمن في دروس القرآن : فيصل بن عبد العزيز بن فيصل آل مبارك ت 1366 هـ ، ت. عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل أحمد ، دار العليان ، الرياض - السعودية ، ط 1 ، 1416 هـ - 1996 م .

- 18) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، ت. د. بشار عواد معروف و عصام فارس الحرستاني ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ، بيروت - لبنان ، 1415 هـ - 1994 م .
- 19) الخالدون المئة : مايكل هارت ، المكتب المصري الحديث ، أنيس منصور ، (د.م.ط) .
- 20) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية : د. سعود بن عبد العزيز الخلف ، أضواء السلف ، ط1 ، الرياض - السعودية ، 1418 هـ - 1997 م .
- 21) دعوة الرسل عليهم السلام : أحمد أحمد غلوش ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ، بيروت - لبنان ، 1423 هـ - 2002 م .
- 22) شبهات المشككين : مجموعة من المؤلفين ، موقع وزارة الأوقاف المصرية ، (د.م.ط) .
- 23) شرح تفسير ابن كثير : عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي ، دروس صوتية قام بتفريغها على المكتبة الشاملة موقع الشبكة الإسلامية ، (د.م.ط) .
- 24) شرح سنن ابن ماجه : عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي ، دروس صوتية قام بتفريغها على المكتبة الشاملة موقع الشبكة الإسلامية ، (د.م.ط) .
- 25) صورة الحيوان في القرآن الكريم : م.م نورة عواد طفطاف الحجاج ، رسالة ماجستير ، جامعة ذي قار - كلية الآداب ، 2021 م .
- 26) الطبقات الكبرى : محمد بن سعد بن منيع الزهري ت 230 هـ ، ت. محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت - لبنان ، 1410 هـ - 1990 م .
- 27) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب : أحمد بن علي الداودي الحسني ، ت. د نزار رضا ، دار الحياة ، بيروت - لبنان .
- 28) عيون أخبار الرضا (ع) : محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق ت 381 هـ ، ت. مهدي الحسيني الأجوذي ، دار العلم ، قم - إيران ، 1377 هـ .
- 29) فلسفة الإيثار في فكر أئمة أهل البيت (ع) ، أ.م.د مازن خضير عباس الغزي ، دار الأضواء ، ط1 ، بيروت - لبنان ، 2023 م .
- 30) قصة الحياة : عبد الإله بن عبد الله بن علي جابر ، 1442 هـ ، (د.م.ط) .
- 31) قصص الأنبياء : أبي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي ، ت. د. مصطفى عبد الواحد ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، ط3 ، 1408 هـ - 1988 م .
- 32) قصص القرآن : ناصر مكارم الشيرازي ، .
- 33) ليلة عاشوراء في الحديث والأدب : الشيخ عبد الله الحسن ، (د.م.ط) .
- 34) مقالات الطالبين : أبي الفرج الأصفهاني ، ت. أحمد صقر ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1368 هـ - 1949 م .
- 35) من أدلة تحريف الإنجيل : خالد وداعة ، مقال إلكتروني ، شبكة الألوكة ، الرابط (<https://www.alukah.net/sharia/0/32339/>)
- 36) من هدى القرآن : محمد تقي المدرسي ، ط2 ، الناشر . زكي أحمد حسن ، 1429 هـ - 2008 م .
- 37) موسوعة كلمات الإمام الحسين (ع) : لجنة الحديث في معهد الإمام باقر العلوم (ع) ، دار المعروف ، ومطبعة دانش ، قم - إيران ، 1415 هـ - 1995 م .
- 38) ميزان الحكمة : محمد الريشهري ، مكتب الاعلام الاسلامي ، قم ، (د.ت) .
- 39) وسائل الشيعة (آل البيت) : محمد بن الحسن الحر العاملي ت 1104 هـ ، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، قم - إيران .

عنوان البحث

البناء والترميم الحكومي في السماوة أواخر العهد العثماني في العراق

م. رقيب حسون عبودي سعودي¹

¹ كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة المثنى- العراق.

البريد الالكتروني: raqibhassoon@mu.edu.iq

HNSJ، 2025، 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/30>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/68/30>

تاريخ النشر: 2025/08/01م

تاريخ القبول: 2025/07/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/07/07م

المستخلص

يستعرض هذا البحث أعمال البناء والترميم الحكومية في مدينة السماوة خلال الفترة الأخيرة من العهد العثماني، مع التركيز على تأثيرات السياسات العثمانية على المناطق العراقية. كانت السماوة جزءاً من ولاية بغداد، وشهدت تدهوراً في الأوضاع العامة، حيث تم تجاهل الإصلاحات الحقيقية التي تشمل القطاعات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لصالح تعزيز سلطة الحكم العثماني. استخدم البحث الوثائق العثمانية كمرجع أساسي في تسليط الضوء على بعض محاولات الترميم والتعمير التي تمت في السماوة، مثل بناء الجسر الخشبي، ترميم السجون والمخازن العسكرية، بالإضافة إلى تجديد المنشآت العامة. تم استخدام مواد محلية في البناء مثل الطين، الخشب، والقصب، مما يعكس التحديات الاقتصادية وغياب التخطيط الحكومي الجاد. على الرغم من ذلك، كانت هذه الجهود تقتصر على تلبية احتياجات السلطة العثمانية وتعزيز وجودها، بدلاً من تحسين ظروف حياة السكان المحليين.

الكلمات المفتاحية: الترميم الحكومي، العهد العثماني، السماوة، البناء التقليدي، الوثائق العثمانية.

RESEARCH TITLE

Government Construction and Restoration in Samawah during the Late Ottoman Era in Iraq

Lect. Raqib Hassoon Abboodi Saoudi

¹ College of Education for Humanities - Muthanna University - Iraq .
Email: raqibhassoon@mu.edu.iq

HNSJ, 2025, 6(7); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/30>
Arabic Scientific Research Identifier: <https://arsri.org/10000/68/30>

Received at 07/07/2025

Accepted at 15/07/2025

Published at 01/08/2025

Abstract

This research examines the government construction and restoration works in the city of Samawah during the final period of the Ottoman era, focusing on the impacts of Ottoman policies on Iraqi regions. Samawah was part of the Baghdad province and experienced a deterioration in public conditions, with genuine reforms in the economic, social, and cultural sectors being overlooked in favor of consolidating Ottoman rule. The research relies on Ottoman documents as a primary reference to highlight some of the restoration and reconstruction attempts made in Samawah, such as the construction of the wooden bridge, the restoration of prisons and military warehouses, as well as the renewal of public facilities. Local materials like mud, wood, and reed were used in construction, reflecting the economic challenges and the lack of serious government planning. Despite this, these efforts were mainly aimed at meeting the needs of Ottoman authority and reinforcing its presence, rather than improving the living conditions of the local population.

Key Words: Government restoration, Ottoman era, Samawah, traditional construction, Ottoman documents.

المقدمة:

سيطرت الدولة العثمانية على بلاد الرافدين لمدة أربعة قرون، بدءاً من عام 1534م وحتى عام 1918م بعد الانسحاب العثماني عقب الحرب العالمية الأولى، ولقد تميز حكم الولاة العثمانيين في العراق بالتخلف في مختلف مجالات الحياة على مدار سنوات حكمهم عدا ثلثة منهم مثل "مدحت باشا" (1869 - 1872م)، ولقد تميزت سنوات حكم الولاة العثمانيين ولا سيما المتأخرين منهم بعدم الاستقرار والاستمرار مدة طويلة، حتى أن بعضهم لم تتجاوز ولايته أشهر قليلة.

تميز الحكم العثماني في العراق بالإهمال الكبير وعدم علاج المشكلات التي عانى منها العراقيين، مثل الفيضانات وانتشار الأوبئة والأمراض، ولاسيما مرض الطاعون، كما اتبعوا سياسة القوة والاضطهاد مع الانتفاضات المحلية.

ولقد شهدت مدة حكم "مدحت باشا" للعراق عدة إصلاحات مهمة، اذ اهتم بإنشاء المدارس الحديثة والمطابع والمستشفيات، وإنشاء خطوط السكك الحديدية، واهتم بالزراعة واستصلاح الكثير من الأراضي الزراعية، وأنشأ نظام التسجيل العقاري (الطابو) بهدف تشجيع زراعة الأرض واستصلاحها، ومن أهم نتائج ذلك هو استقرار الكثير من العشائر البدوية التي كانت متنقلة بعد توزيع الأراضي الزراعية عليها، وقام ببناء عدد من المدن الحديثة، فضلاً عن اجراء إصلاحات مالية كثيرة، وحارب الرشوة والفساد الإداري والمالي.

عين السلطان العثماني (عبد الحميد الثاني) في 30 آب 1876، وبدأت مرحلة سياسية جديدة، اذ تميزت سنوات حكمه بالاستبداد المطلق، ومن أبرز مظاهره تعليق العمل بالدستور العثماني سنة 1878 بعد سنتين من إعلانه، فضلاً عن تعرض وسائل التعبير والنشر للرقابة الشديدة.

ولم يتغير الوضع في العراق، بعد الانقلاب الذي قاده جمعية (الإتحاد والترقي) العثمانية في 23 تموز 1908 والذي أطاح بالسلطان "عبد الحميد الثاني"، واستمر على ما كان عليه من سوء الإدارة، عدا بعض الإصلاحات التي قام بها الوالي "ناظم باشا" (1911-1912).

عبر دراسة طبيعة السياسة العثمانية تجاه العراق، يتبين ان نظرة العثمانيون للعراق انها تحاول ابقاء المدن العراقية عبارة عن سلة مثمرة لغرض جني ثمار الضرائب بمسمياتها المختلفة والمتعددة وارسالها الى الخزينة المركزية للدولة، وكان الوالي يتقانى في جمع الاموال بشتى الطرق حتى ينال رضا السلطان املا في تجديد بقاءه في منصبه لأطول مدة ممكنة، وصاحب ذلك عدم الاكتراث بحجم الخدمات العمرانية والخدمية في البلاد.

يسلط هذا البحث الضوء على حالة الأعمار الحكومي في السماوة، ولقد استخدمت المواد المتوفرة محليا في اجراء عمليات البناء والترميم للأبنية القديمة والمتهالكة بالاعتماد على العمالة المحلية، واستند الباحث في هذا الشأن الى الوثائق المتيسرة في الارشيف العثماني.

السماوة في العهد العثماني الأخير:

شمل الاهمال الحكومي العثماني أغلب مناطق الولايات العراقية (بغداد والموصل والبصرة)⁽¹⁾، وشمل ذلك منطقة السماوة المصنفة ضمن ولاية بغداد، والتي تراوحت صفتها الادارية بين سنجق (لواء) وبين قضاء، تارة تابعة الى

لواء الحلة وتارة أخرى الى لواء الديوانية⁽²⁾، وسط تخطيط اداري واضح، اذ عين (33) قائمقام على قضاء السماوة في عام واحد فقط⁽³⁾.

يمر نهر الفرات في مركز قضاء السماوة ويقسمه الى جهتين الشمالية منها سميت منطقة (القشلة)⁽⁴⁾ وتضم (ثكنة) معسكر الجيش والسجن ومخزن الذخيرة فضلا عن بيوت الضباط والتجار وقسم من أهل القصبه ويحيط المنطقة سور من جهة الشمال، وتضم الجهة الجنوبية بيوت الاهالي في مركز القضاء، والتي قسمت بعمود السوق الى جهتين شرقية وغربية تمت احاطتهما بسور من جهة الجنوب⁽⁵⁾.

ولقد بقي قضاء السماوة خلال المدة الزمنية (1869-1917)⁽⁶⁾ من الناحية العمرانية محافظا على ذات البناء والطرز المعمارية التي كانت متبعة في الولايات العراقية، كل حسب مواردها ومصادرها الاقتصادية ومواد البناء المستخدمة، واعتمد على جهود الاهالي في اغلب تفاصيله، اذ كان نظام الحكم العثماني لا يولي اهمية للبناء والتطوير والتحديث في القضاء⁽⁷⁾.

المواد المحلية المستخدمة في البناء:

تعد مادة اللبن ونعني به الطين سواء المجفف بالشمس او المفخور بالنار، هي المادة الرئيسية المستخدمة في المناطق العراقية الحضرية، ولا سيما في وسط وجنوب العراق، وذلك بسبب توفر مواده الاولية، وسهولة استخدامه، وقلة كلفة صناعته. وكان يستخدم في بناء الجدران والقباب والسقوف المعقودة والاقواس، ويتم استعمال الطين او مادة الجص فضلا عن النورة حتى تساعد في ترابط وشد اجزاء البناء وجعله وحدة مترابطة قوية ومتينة.

ومن المواد المحلية الاخرى المستخدمة في البناء هو الخشب، وكان يستعمل بكثرة في بناء المساكن والاماكن، إذ عرف استخدام جذع النخلة في تسقيف المساكن، وهناك نوع من الاخشاب، تدعى الواح او جذوع اشجار الحور (القوغ)، وتتميز بصلابتها واستقامتها. وتتعدد طرق استخدام الخشب، اذ تصنع منه الابواب والشبابيك، وتغلف به السقوف وبعض الواجهات الداخلية، فضلا عن صنع الاعمدة ذات التيجان الخشبية، وباشكال زخرفية جميلة، ولقد استخدم الخشب في صناعة الشرفات البارزة والتي تعرف بـ (الشناشيل)، ويستخدم القصب المحلي وخصوص النخيل المتوفر بكثرة في العراق في الاعمال البنائية وباشكال متعددة سواء في التسقيف او في فرش الارضيات⁽⁸⁾، والصورة الآتية تمثل نماذج من المواد المحلية المستخدمة في العراق لغرض بناء المساكن والمنشآت ابان العهد العثماني^(*).



بينت وثائق الحكومة العثمانية الارشيفية ان محاولات البناء والاعمار في قضاء السماوة تضمنت جوانب محددة ترى فيها الحكومة الاهمية القصوى ولها الاولوية في التنفيذ.

حالات الاعمار الحكومية:

جسر السماوة:

اراد القائد العسكري العثماني ايجاد وسيلة لعبور الجند وافراد الامن الآخرين الى الضفة الاخرى من النهر، ونظرا لعدم وجود جسر آنذاك كتب من السماوة مذكرة الى قياداته عام 1862 يطلب فيها الموافقة على انشاء جسر على نهر الفرات في مركز القضاء، بسبب حاجته الماسة اليه لغرض المساعدة على تنقل الجند وافراد الامن الآخرين من جهة القشلة الى جهة المنطقة الاستيطانية الرئيسية في المدينة (الغربي والشرقي)، حتى يتمكنوا من بسط الامن والنظام في القصبه⁽⁹⁾، وكان الاهالي في السماوة بجهتيها الشرقية والغربية في نزاع مستمر بينهما، ويتقاتلون لأتفه الاسباب، وقد أدى ضعف الادارة الحكومية وتخوف المسؤولين من المتنفذين على هذه المحلات الى تفاقم النزاعات، فضلا عن ذلك ان المتنفذ ينتفع شخصا من النزاع، لحصوله على نصف الدية المخصصة للمقتول من جماعته⁽¹⁰⁾.

وتعد هذه المذكرة أول اشارة وردت في الوثائق العثمانية لاقتراح انشاء جسر على نهر الفرات في قصبه السماوة وقد طلب فيها تخصيص الاموال اللازمة لإنشاء هذا الجسر بسبب الحاجة الماسة اليه، ويبدو ان الحكومة العثمانية قد استجابت لهذا الطلب وتم تشييد الجسر في عقد الستينات من القرن التاسع عشر، ونظرا الى الواقع الاداري والاقتصادي الذي كان سائدا في الولايات العراقية آنذاك فان من المرجح انه كان عبارة عن مجموعة من القوارب المرصوفة والمربوطة بالحبال والتي تم تثبيت سطحها بالأخشاب حتى تصبح طريقا سالكا للمارين عليه.

ومن ضمن الاشارات الاخرى حول اعمال البناء الحكومية ، فقد أرسلت نظارة (وزارة) المالية العثمانية مذكرة الى مجلس شورى الدولة⁽¹¹⁾ عام 1888 لغرض الحصول على الموافقات اللازمة للبدء بمشروع اجراء اصلاح والترميم والاعمار في قصبه السماوة التابعة الى ولاية بغداد ويشمل ذلك اصلاح وتعمير كل من الجسر الخشبي فضلا عن السجن والمعسكر ومخزن العتاد والذخيرة، وجاء في الطلب ان هذه المنشآت لها ضرورة واهمية كبيرة

ويجب الإسراع في التنفيذ وإجراء اللازم لاسيما الجسر وذلك قبل حلول موسم الفيضان:

نظارة الأمور المالية

قلم المكاتب إلى حضور عالي موفور الجنب حضره الصدر الأعظم

عدد 43

هذا ما تقدم به عبدكم الفقير:

بناء على ما ورد حول حاجة الجسر الخشبي إلى إعمار وعدم جواز التأخير في إقامة الرصيف وتحصيل رسوم المرور بقضاء سماوة التابع لسنجق الحلة لصالح الخزينة الجليلة، فقد أرسلت بوصلة المناقصة ودفتر الكشف ضمن إشعار المضبطة الواردة من مجلس إدارة ولاية بغداد للموافقة على إجراء إعمار بمبلغ عشرة آلاف وخمسمائة وثمان وأربعين قرشا، وبالتنزيل قصورا فقد أصبح المبلغ ألفين وستمائة وعشرين قرشا بفارق ألفين ومائة وستين قرشا، حيث تبين حاجة الجسر ومخزن الذخيرة والمعسكر والسجن إلى إعمار دون تأخير، وعليه فقد وردت إفادة من محاسبة المالية العمومية وقرار مجلس المالية لاستئذان صاحب الحضور السامي حضره الصدر الأعظم لتسوية المبلغ المذكور اللازم للإنشاءات والإعمار والمقدر بعشرة آلاف وخمسمائة وثمان وأربعين قرشا ضمن موازنة الخزينة الجليلة نظرا لعدم إدراج نفقات الإعمار ضمن موازنة الولايات وذلك عند الاحتكام للقانون وإبراز المضبطة ودفتر الكشف للشروع في تعميمهم بإجراء الكشف والمناقصة. والأمر والفرمان في هذا الشأن متروكان لحضرة ولي الأمر.

تحريرا في 15 رجب لعام 1305 و 15 حزيران لعام 1888م⁽¹²⁾

ناظر الأمور المالية محمود

*نظارة الأمور المالية/ قلم المحاسبة العمومية

592

هذا ما تقدم به عبدكم الفقير:

تبين من الكشفات الأربعة ضرورة صرف مبلغ ستة آلاف ومئة واثنين وثمانين قرشا بموجب الكشفات الأربعة الخاصة بالأبنية الميرية التي تحتاج إلى إعمار وهي عبارة عن جسر السماوة ومخزن الذخيرة والسجن التابعين لسنجق الحلة، حيث تبين أن تكلفته تقدر بستة آلاف وثمانمائة قرشا سوف تُدرج في موازنة عام ثلاثمائة وأربعة مع العلم أن هذا المبلغ قد يتجاوز خمسة آلاف قرشا في حالة صدور تحذيرات من التأخير على أن يُشرع في الإنشاء والإعمار بموجب إجراء الكشف المحلي والمناقصة طبقا لأحكام قانون إنشاء وتعمير الأبنية الأميرية، وقد أرسلت بوصلة المناقصة ودفتر الكشف ضمن الإشعار الوارد من ولاية بغداد الجليلة لإرسال حواله بالمبلغ المذكور للسماح للمنطقة بإقامته قبل طغيان الشط، حيث تبين من سياق الإشعار أهمية التعجل بالسماح للولاية بإقامة الجسر المذكور، واحتساب المبلغ المذكور والمقدر بستة آلاف ومئة واثنين وثمانين إلى الموازنة المالية لعام 305 بإفادة من محاسبة المالية العمومية وقرار مجلس المالية باستئذان صاحب الفخامة جناب الصدر الأعظم لتسوية المبلغ المذكور.

تحريراً في 27 جمادى الآخرة لعام 133 و 5 شباط لعام 1305 (1888م)⁽¹³⁾

ناظر المالية

وبعد مناقشة الموضوع في مجلس الشورى والاطلاع على مناقصة المشروع ودراسة الكشوفات المحلية، قرر رفع التوصية الى الصدر الاعظم⁽¹⁴⁾ بالموافقة على صرف الاموال اللازمة، وكما يأتي:

شورى الدولة / دائرة الداخلية

رقم 125

قلم المكاتب - إلى حضور عالي موفور الجنب حضره الصدر الأعظم

قرئت تذكرة نظارة المالية الجلية رقم 43 والمؤرخة بتاريخ 5 شباط لعام 305، في دائرة الداخلية

أُرسلت بوصلة المناقصة ودفتر كشف وإشعار بالمضبطة من مجلس ولاية بغداد حول إجراء إصلاحات بمبلغ عشرة آلاف وخمسمائة وثمان وأربعين قرشاً أي بالتنزيل قصوراً مبلغ ألفين وستمئة وعشرين قرشاً عن المبلغ المقدّر بثلاثة عشر ألف ومئة وستين قرشاً المقررة بناء على مصاريف المناقصة نظراً حاجة الرصيف إلى الإصلاح وعدم جواز تأخيرها، عند الحديث عن تدمير الجسر الخشبي أثناء تحصيل رسوم المرور في قضاء سماوة التابع لسنجق الحلة، حيث تبين بالكشف والمناقصة أن الجسر والسجن والمعسكر ومخزن الذخيرة بحاجة إلى إعمار وهذه الأماكن من الأماكن التي يحذر التأخير فيها؛ لذا فإنه بالاحتكام للقانون توجب الالتزام بالمضبطة ودفتر الكشف للمشروع مباشرة في تنفيذ الأمر، لكن مع بيان أن مصروفات الولايات غير مدرجة ضمن موازنة الولايات فقد ورد استئذان بإدراج المبلغ المذكور بقيمة عشرة آلاف وخمسمائة وثمان وأربعين قرشاً لزوم الإنشاءات والإعمار ضمن موازنة الخزينة الجلية.

وقد تبين من صورة الإشعار الخاص بالكشف والمناقصة للجسر المذكور في دائرة النظام أنه لا يجوز تأخير هذه الإصلاحات ولا بد من التعجل بالشروع في الأمر عقب إجراء الكشف والمناقصة لذا فقد صدرت تذكرة إعطاء الإذن للنظارة المشار إليها لاحتساب المبلغ المذكور وسالف البيان والمقدّر بعشرة آلاف وخمسمائة وثمان وأربعين بالاحتكام للمادة الثالثة عشر من قانون إنشاء وإعمار الأوقاف والأبنية الميرية. والأمر والفرمان في هذا الشأن متروكان لحضرة ولي الأمر.

تحريراً في 8 شعبان لعام 1305 و 7 نيسان لعام 1304 (1888م)⁽¹⁵⁾

مبلغ المناقصة المقدّر	مبلغ الصرف الكلي الذي تمت الموافقة عليه	المبلغ الذي لم تتم الموافقة عليه	مبلغ الصرف المخصص لإصلاح الجسر
13160 ثلاثة عشر ألف ومئة وستون قرش	10548 عشرة آلاف وخمسمائة وثمان وأربعون قرش	2612 ألفان وستمائة واثنان عشر قرش	6182 ستة آلاف ومئة واثنان وثمانون قرش

يتبين من الجدول اعلاه ان التقديرات الاولى التي خلصت اليها لجان الكشوفات المحلية للمواقع المراد اجراء الاصلاح والترميم لها قد بلغت ثلاثة عشر ألف ومئة وستون قرش، وعند وصول اوراق الكشوفات والمناقصة الى نظارة المالية ودراستها، قررت تخفيض المبالغ الى عشرة آلاف وخمسمائة وثمان وأربعون قرش، منها مبلغ ستة

آلاف ومئة واثنان وثمانون قرش لغرض اصلاح وتعمير الجسر الخشبي المقام على نهر الفرات.

ولقد ناقش مجلس شورى الدولة في العام نفسه ؛ الطلب المقدم من نظارة المالية ومرفقاته من الكشف المحلي والمناقصة الخاصة باجراء الاصلاح والترميم لجسر السماوة وبيان الحاجة الى قطع اضافية رابطة وساندة للجسر، وذكر الطلب مقدار الاموال المحصلة الى خزينة الدولة من رسم العبور والمرور من جسر السماوة في العام السابق فضلا عن قيمة الاموال المقدرة حسب الكشف والمناقصة الخاصة لانجاز أعمال اصلاح الجسر، وقد تضمن طلب نظارة المالية ما يأتي:

رسم العبور والمرور من جسر السماوة والذي تم تحصيله وايراده الى الخزينة المركزية للدولة عام 1892	الاموال المطلوبة في الكشف ومناقصة اصلاح وترميم جسر السماوة
10600 عشرة آلاف وستمائة قرش	7467 سبعة آلاف وأربعمائة وسبعة وستون قرش

وجاء في طلب مرسل من نظارة المالية الى مجلس شورى الدولة ؛ ان مقدار الاموال المحصلة الى خزينة الدولة من رسم العبور والمرور من جسر السماوة بلغت في عام 1892 عشرة آلاف وستمائة قرش، وان الكلفة المقدرة لاصلاح الجسر وازافة بعض القطع الساندة لا تتجاوز سبعة آلاف وأربعمائة وسبعة وستون قرش، ويلاحظ ان رسم العبور والمرور في جسر السماوة يغطي كلفة الاصلاح، وكان قرار المجلس التوصية بادراج المبلغ المقدر لاجراء اصلاح جسر السماوة ضمن موازنة الدولة لعام 1893 لاسيما عدم وجود مصروفات اخرى في قضاء السماوة لاجراض البناء والتعمير في هذا العام سواء السجن او مخزن الذخيرة وغيرها.

شورى الدولة/ دائرة الداخلية

رقم 163

قرئت تذكرة نظارة المالية المؤرخة بتاريخ 720 شعبان لعام 310 والمحوطة إلى شورى الدولة في دائرة الداخلية.

بمقتضى إنشاء وتجديد عدد ثلاثة قطع من الجسر وتحويلها على نهر الفرات بقصبة السماوة، وقد اقتضى الأمر تركيب دويتين احتياطيا، وورد إشعار بالمضبطة من مجلس إدارة ولاية بغداد مرفق به بوصة المناقصة ودفتر كشف إرسال حوالة بمبلغ سبعة آلاف وأربعمائة وسبعة وستين قرشا يجب صرفه بموجب الكشف للسماح لأمانة الأعمال والتعمير بإنشاء عدد ثلاثة قطع من الجسر وتعميرهم عند الحاجة إلى ذلك، وقد أحيل رسم العبور والمرور بجسر قضاء سماوة والمقدر بمبلغ عشرة آلاف وستمائة قرش محسوبا إلى عام ثلاثمائة وثمانية باسم الخزينة، وقد طلب الاستئذان للسماح بتسوية المبلغ المذكور والمقدر بسبعة آلاف قرشا وكسور ضمن ترتيبات الإنشاءات والإعمار بموازنة عام ثلاثمائة وثمانية نظرا لبيان عدم إدراج مصارف إنشاءات وتعميرات الأبنية الميرية ضمن موازنة الولايات طبقا لأحكام قانون الأبنية، على أن تبأشر أعمال التعمير بإجراء المناقصة والكشف المحليين حتى وإن تجاوز مقدار النفقات بلغ خمسة آلاف قرشا في حالة تبين ضرورة ترميم بعض الأبنية الميرية مثل السجن والمعسكر ومخزن الذخيرة ومتفرعاتهم مع الحذر من حدوث تأخير في ذلك، وواقعا فقد حوت تذكرة الاستئذان بإيفاء المقتضيات اللازمة لتجديد الدوابت المذكورة وتسهيل العبور إلى النظارة المشار إليها. والأمر والفرمان في هذا الشأن متروكان لحضرة ولي الأمر.

21 رمضان لعام 310 و 27 مارس لعام 309 (1893م) (16)

ورد اشعار من ولاية بغداد الى نظارة المالية العثمانية واحالة اوراق الكشف المحلي والمناقصة الخاصة بإصلاح واعمار بعض المناطق المتضررة في جسر السماوة فضلا عن شراء بعض اللوازم لغرض ادامته، ورصد الاموال المقدرة لذلك والبالغة ثمانية آلاف واربعمئة وخمسة وثلاثون قرش في الموازنة العامة للدولة عام 1894. نظارة الأمور المالية/ المحاسبة العمومية

رقم 1765

هذا ما تقدم به عبدكم الفقير:

ورد إشعار من ولاية بغداد بإحالة بوصلة المناقصة وإرسال كشف المعاملة وبيان صرف المبلغ الوارد فيهما والمقدر بثمانية آلاف وأربعمئة وخمسة وثلاثين قرشا ؛ لإعمار بعض المناطق بجسر السماوة وشراء بعض اللوازم له، اذ تبين من المحررات أن احتياجات الجسر المذكور سوف تحال إلى السنة الحالية محسوبة بمبلغ عشرة آلاف ومئة وتسعة وعشرين ونصف قرشا، وقد وردت إفادة من المحاسبة المالية العمومية وقرار مجلس المالية لاستئذان صاحب الحضور السامي والفخامة؛ لتسوية المبلغ المذكور والمخصص للإعمار والإنشاءات وإدراجه ضمن الموازنة المالية لعام ألف وثلاثمئة وعشر كما هو وارد في المضبطة التي تحوي بوصلة المناقصة ودفتر الكشف المنظمين بكشف المناطق التي تحتاج إلى تعمير وإنشاءات من الأبنية الأميرية والتعامل طبقا لأحكام قانون الأبنية.

تحريرا في 8 رمضان لعام 1312 و 21 شباط لعام 310 (1894م) (17)

ناظر المالية

المبلغ الكلي المخصص لقضاء السماوة ضمن موازنة الدولة لعام 1894	المبلغ المخصص من موازنة قضاء السماوة لاعمار جسر السماوة عام 1894
10129,5 عشرة آلاف ومئة وتسعة وعشرون ونصف قرش	8435 ثمانية آلاف واربعمئة وخمسة وثلاثون قرش

يتبين من الكشف المحلي واوراق المناقصة المتعلقة بتعمير جسر السماوة، ضرورة اجراء الاصلاح عليه وتعمير الاجزاء المتضررة منه وشراء بعض اللوازم الاخرى، وقدرت حاجته الى صرف مبلغ قدره ثمانية آلاف واربعمئة وخمسة وثلاثين قرش، وادرج المبلغ ضمن موازنة قضاء السماوة لعام 1895 والبالغة عشرة آلاف ومئة وتسعة وعشرين ونصف قرش، وقد صادق مجلس شورى الدولة بعد وصول اوراق الكشوفات والمناقصة الخاصة بجسر السماوة من نظارة المالية العثمانية، والاطلاع عليها ودراستها، على التوصية للمعنيين باعداد الموازنة بصرف هذه الاموال.

شورى الدولة/ دائرة الداخلية

رقم 141

قرئت تذكرة نظارة المالية رقم ألف وسبعمئة وخمس وستين والمؤرخة بتاريخ 8 رمضان لعام 314 والمحولة إلى شورى الدولة في دائرة الداخلية

بناءً على الإشعار الوارد من ولاية بغداد والذي يحوي بوصلة المناقصة وكشف الحوالة المرسلين وكذلك أيضاً تبين وجود نفقات قيمتها ثمانية آلاف وخمسة وثلاثين قرشاً في هذه المناقصة التي تمت لإجراء بعض متعلبات تعمير جسر سماوة وبعض المناطق هناك، حيث تبين من القيد إحالة المبلغ المخصص للجسر المذكور والمقدر بمبلغ عشرة آلاف ومئة وتسعة وعشرين قرشاً إلى السنة الحالية، وقد نص قانون الأبنية على إرسال المضبطة وبوصلة المناقصة ودفتر الكشف التي تمت محلياً في بداية الأمر بالمناطق الميرية التي تحتاج إلى إعمار وإنشاءات، ومن ثم وردت التذكرة المحولة إلى النظارة المشار إليها للاستئذان بإيفاء ما يتوجب وفقاً للمصلحة مع الاستئذان لتسوية المبلغ المذكور للإنشاءات والإعمارات ضمن الموازنة المالية لعام ألف وثلاثمائة وعشر نظراً لعدم تخصيص المبلغ المذكور ضمن موازنة الولايات والأمر والفرمان متروكان لحضرة ولي الأمر.

تحريراً في 9 شوال لعام 1312 و 12 مارس لعام 1311 (1895م) (18)

ويعد قلم مكاتيب الصدارة (19) أحد منظومات دائرة الصدر الأعظم، ويقوم باستلام المخاطبات والطلبات الواردة إلى الصدر الأعظم وتدوينها في سجلات خاصة قبل عرضها عليه، فضلاً عن نسخ الأوامر والاجابات الصادرة من الصدر الأعظم وتوجيهها إلى كافة الجهات ذات العلاقة، وتم العثور في الأوراق الارشيفية على ما يؤيد وصول اشعار من مجلس شورى الدولة موجه الى الصدر الأعظم، وقد ذكر فيه ورود إخطار من ولاية بغداد للسماح لأمانة التعمير في نظارة المالية بصرف مبلغ أربعة آلاف وتسعمائة وسبعة وتسعين قرشاً في موازنة عام 1899، طبقاً لما ورد في الكشف الاستثنائي لجسر السماوة على نهر الفرات بقصبة السماوة التابعة لقضاء السماوة بسنجد الديوانية، ووجود حاجة فعلية لاصلاح الجسر نظراً لأهميته في القصبة. قلم مكاتيب الصدارة

رقم	تاريخ ورود	تاريخ التسويد 21 ربيع الأول لعام 1317	21	
1083	18	17 تموز لعام 1315		
		إلى نظارة المالية الجلييلة	تاريخ التبييض 22 ربيع الأول لعام 18/317 تموز لعام 1315	
صورة مضبطة دائرة المالية بشورى الدولة رقم 1089 للإيفاء بمقتضيات المهمة من نظارة المالية بموجب المضبطة				
قرئت تذكرة نظارة المالية المحولة إلى شورى الدولة برقم 284 والمؤرخة بتاريخ 7 ذي الحجة لعام 1316. ورد إخطار من ولاية بغداد للسماح لأمانة التعمير بصرف مبلغ أربعة آلاف وتسعمائة وسبعة وتسعين قرشاً طبقاً لما ورد في الكشف الاستثنائي لجسر دويه لى على نهر الفرات بقصبة سماوة التابعة لقضاء السماوة بسنجد الديوانية، وطبقاً لما هو رائج بين القبائل فيما يتعلق بالمحركات وموافقتها بدفتر الكشف كما تبين من القيد السابق المتضمن تخصيص اثني عشر ألف وستمائة وخمسين قرشاً للجسر المذكور، بناءً على ما عُلم من نظارة البحرية بالمحاسبة؛ فإنه في حالة الحاجة إلى تصفية الإنشاءات والإعمار حيث سوف يُدرج المبلغ المذكور والمقدر بأربعة آلاف وتسعمائة قرش ضمن الموازنة العمومية لسنة ثلاثمائة وأربعة عشر، لكن إن تبين أن تسوية المبلغ المذكور سوف تُسدّد بنهاية السنة فسوف يرتب المبلغ المذكور ضمن الموازنة العمومية لعام ثلاثمائة وخمسة عشر في حالة الموافقة على ذلك، على أن يُقدم دفتر الكشف والتذكرة إلى النظارة المشار إليها لطلب الموافقة في حالة ظهور طلب زيادة مصروفات الإعمار المذكورة عن المبلغ المحدد طبقاً لما ورد من مآل الجواب الوارد بالمخابرة، والأمر والفرمان في هذا الشأن متروكان لحضرة ولي الأمر.				
تحريراً في 17 ربيع الأول لعام 1317 و 13 تموز لعام 1315 (1899م) (20)				

*سجن السماوة

بعث مجلس ولاية بغداد الذي كان برئاسة الوالي حسن رفیق⁽²¹⁾ عام 1893 مذكرة الى نظارة المالية العثمانية حول تعرض بناية السجن في قصبة السماوة التابعة الى ولاية بغداد الى الخراب والتهدم بسبب قدم البناء وانه من الابنية الآيلة للسقوط، وحسب المذكرة الاولى لطلب ترميم السجن، وبعد اجراء الكشف الموقعي للبناء تبين الحاجة إلى مبلغ ثلاثة عشر ألف ومئة وخمسة وعشرين قرشا لغرض اعلان مناقصة الاصلاح والترميم والبناء للسجن.

إلى نظارة المالية الجلية

نظرا لتهدم جزء من سجن قضاء السماوة الملحق بسنجدى الديوانية وتهالك الجزء الآخر؛ فإنه بإجراء الكشف تبين الحاجة إلى مبلغ ثلاثة عشر ألف ومئة وخمسة وعشرين قرشا عند إجراء المناقصة بالموقع المذكور، وقد ورد هذا المعروض طلبا للمساعدة الجلية من جناب الناظر بشأن إرسال الحوالة اللازمة لصرف المبلغ المذكور بناء على تقديم أوراق المناقصة والكشف المنظمين في هذا الشأن والسماح جوابا للمتصرفية المحلية بمباشرة إنشاء وإعمار السجن المذكور بالمبلغ المزبور مراعاة لعدم زيادة خطر هذا السجن وفقا لما تبين في التحريات الواردة من المتصرفية المذكورة في حالة ظهور نقصان في المبلغ.

تحريرا في 7 شعبان لعام 311 و 1 شباط لعام 309 (1893م)⁽²²⁾

جدول رقم 1

كشف الكميات اللازمة لترميم سجن السماوة عام 1893⁽²³⁾

ت	اسم المادة ونوعها	التفاصيل	الاسعار
1	الطابوق المطلي المطلوب للجدران الأربعة للسجن وكذلك إعمار غرفة الضباط والزنزانة مع نقله	65 حمل طابوق / عدد الطابوق=300000 طابوقة	13000 قرش
2	النورة المطلوبة للجدران مع النقل والحمل	حمل النورة مع النقل عدد 8 / بمبلغ 400 قرش للحمل الواحد	3200 قرش
3	المعدات المطلوبة للجدران مع النقل والحمل	نقل وحمل المعدات عدد 10 / وكل واحد منها بمبلغ 185 قرش	1850 قرش
4	اللوازم المطلوبة لجناح الضباط	عدد 80 / كل واحدة بمبلغ 25 قرش	2000 قرش
5	مادة الحصيرة لغرض التسقيف	العدد 100 / سعر الحصيرة الواحدة 5 قروش	500 قرش
6	اعمدة خشب للسقف	العدد 100 / سعر القطعة الواحدة 5 قروش	500 قرش
7	مواد لعمل باب السجن	-----	375 قرش
8	مصاريف اخرى لازمة	-----	250 قرش
9	اجور العمال	-----	250 قرش
10	مجموع المبالغ المقدرة حسب المذكرة الاولى	-----	24175 قرش
11	المبلغ المحذوف من قبل لجنة الكشف الموقعي	-----	11050 قرش
12	المبلغ المقدر من لجنة الكشف على الموقع	-----	13125 قرش

جدول رقم 2

جدول الكميات والاسعار للمواد الواردة في مناقصة تعمير سجن السماوة عام 1893⁽²⁴⁾

ت	المواد واللوازم	الاسعار
1	كل حمل طابوق شاملة للنقل	65 قرش
2	مادة النورة/ 1600 كيس	400 قرش
3	مواد اضافية للعمل	185 قرش
4	كل مستوى واحد (سطر) من الخشب	25 قرش
5	مادة تسقيف السجن بحصيرة القصب	5 قرش
6	مادة اعمدة الخشب	5 قرش
7	عمل باب السجن	375 قرش
8	مصاريف اخرى متفرقة	250 قرش
9	اجور العمال	250 قرش

ولقد بينت الوثائق العثمانية قيام بلدية السماوة بعمل كشف بالمواد المطلوبة لغرض الترميمات والاصلاحات اللازمة والضرورية عام 1895، وكما هو مبين أدناه:⁽²⁵⁾

الأبعاد طولا: 30 متر عرضا: 15 متر سمكا: 075 متر						
الأبعاد طولا: 28 متر عرضا: 16 متر سمكا: 08 متر						
قرميد(طابوق)	قرميد	جص	مادة بنائية	أخشاب للأطواق	أخشاب للجسر	أخشاب اخرى
1000	1000	1000	1600	11	1	1
قرش/1000						
40/عدد	37	200	80	17	25	30
التراب الأحمر مجارف حصر القصب قصب أيضا اواني نقل المواد						
1/قرش	1	1	1	1		
10/عدد	10	3	3	5		

نوقشت هذه المضبطة التي توضح كلفة المواد اللازمة ومقدارها الخالص اليوم كما هو محرر أعلاه لإنشاء باب السجن الذي سوف يخضع للتعمير وكذلك بعض الإنشاءات الاخرى الجديدة بالقصر الحكومي في قضاء السماوة. في 11 نيسان لسنة 311(1895م)

وقام رئيس بلدية السماوة بناء على الكشف الذي أجرته كوادر البلدية بارسال طلب الى قائمقام السماوة للغرض أعلاه:⁽²⁶⁾

*إلى صاحب الحضور العالي قائم مقام سماوة

الطابوق الطابوق	مادة الجص	مادة بنائية	أخشاب الأطواق أخشاب أخرى	أخشاب الجسر
1000 1000	1000	1600	1 1	1
مفصلات حديدية				

صناعة بغداد	التراب الأحمر	مجارف	حصر القصب قصب أيضا	(اواني حمل المواد)
1	1	1	1	1

بشأن أمر الحوالة إلى دائرة البلدية، والتي تتضمن بيان مضبطة الأسعار لكل واحد قياس من المواد اللازمة المتنوعة لإنشاء باب السجن الذي سيعاد تعميره وتأسيسه في منطقة السماوة ذاتها، وكذلك أسماء كل منها كما هو مبين أعلاه على التوجه اليوم، مع تحديد وأسعارها الحقيقية وقيمتها بالقروش لكل قطعة. في 7 نيسان لسنة 1895م)

ولقد طلب والي بغداد حسن رفيق من نظارة الداخلية العثمانية عام 1896 مناشدة الجهات المسؤولة لغرض صرف الاموال المخصصة والتي تبلغ قيمتها ثلاثة عشر ألف وثلاثمائة وكسور قرشا، وذلك لغرض اصلاح وتعمير الابنية الحكومية القديمة في قسبة السماوة التابعة الى سنجق الديوانية لاسيما السجن فضلا عن الجسر الخشبي وغيرها، وحسب أوراق الكشوفات والمناقصة المرسلة⁽²⁷⁾.

وجد تقرير مؤرخ في عام 1913م يبين عزم السلطات المحلية في قضاء السماوة التابع الى سنجق الديوانية على اجراء الترميم اللازم لبعض المنشآت الحكومية:

سنتيمتر	متر	
00	27	مقدار الطول والعرض والارتفاع لأبعاد جدار القصر الحكومي الذي سيتم
00	3	تعميره مجددا. ارتفاع
15	00	عرض
00	1	مقدار الطول والعرض والارتفاع لأبعاد جدار السجن الذي يحتاج إلى
00	1	ترميم. ارتفاع
25	00	عرض
00	6	أبعاد الجدار الذي سيقام على الجدار الذي سيتم ترميمه. طول
00	3	ارتفاع
50	00	عرض

تم تقديم هذا التقرير بالتنظيم حيث يوضح مساحة جدران القصر الحكومي وسجن سماوة التي ستخضع للترميم والتجديد وتقديرها طولا وعرضا وارتفاعا كما هو موضح أعلاه.

صورة الأوراق المرسلة مع تحريرات متصرفية الديوانية برقم 1 وتاريخ 2 مارس لسنة 329.

في 26 مارس لسنة 329 (1913م) (28)

*المدارس في السماوة

لم يكن التعليم والخدمات التعليمية ضمن أولويات واهتمامات الدولة العثمانية، واقتصر هذا النشاط على جهود البعض من السلاطين والولاة والميسورين في تأسيس بعض المدارس، وكان يشتمل على التعلم في الكتاتيب، فضلا عن المدارس الدينية الاسلامية، وتلك المدارس التابعة للطوائف الدينية، والمدارس التبشيرية في الولايات العثمانية⁽²⁹⁾.

ولقد بدأت الدول العثمانية بادخال الاصلاحات الى مؤسساتها المختلفة ومنها التعليمية وذلك في عهد السلطان عبد المجيد (1839-1861م)، اذ صدر مرسومان اصلاحيان هما خط شريف كلخانة في عام 1839، وخط همايون في عام 1856، ولم تستفد الولايات العراقية من هذه الاصلاحات وظلت محرومة من التجدد واقتباس الحضارة، وصدر قانون اصلاح النظام التعليمي الذي شكل بموجبه ديوان المعارف العمومية، والذي سمي بعد ذلك نظارة (وزارة) المعارف، وفي عام 1869 صدر نظام المعارف العمومية لتنظيم قطاع التعليم في الدولة العثمانية، وتقرر ان يكون هناك ادارة للمعارف في كل ولاية، ونص القانون على ان يكون التعليم الزاميا للدراسة الابتدائية، و تم تصنيف مدارس الدولة الى انواع منها الابتدائية، والرشدية (المتوسطة)، والاعدادية، والسلطانية (الثانوية)، والعالية⁽³⁰⁾.

بقي التعليم في قضاء السماوة يسير وفق الطرق التقليدية القديمة، يعتمد على الملا او الشيخ الذي يدير حلقة تعليمية تركز على تلاوة وحفظ اجزاء القرآن الكريم وتعلم القراءة والكتابة، وظل القضاء وتوابعه بعيدا عن اهتمام السلطات العثمانية، على الرغم من تأسيس عدد من المؤسسات التعليمية الحديثة منذ منتصف القرن التاسع في ولايات الدولة العثمانية، ومنها الولايات العراقية لاسيما بعد تعيين مدحت باشا واليا على العراق، وفي بدايات القرن العشرين شكل المسؤولون في نظارة المعارف في اسطنبول لجنة برئاسة ناظم باشا أحد كبار رجال الدولة البارزين آنذاك وسميت اللجنة " الهيئة الاصلاحية للخطة العراقية " في تشرين الثاني 1907 وكان منهاج عمل الهيئة يتضمن دراسة الاحوال الاقتصادية والثقافية في ولايات العراق، وقد تهيأت الظروف لناظم باشا رئيس الهيئة واوصت تلك اللجنة من ضمن توصياتها عام 1908 تأسيس عدة مدارس في الاقضية ومنها السماوة⁽³¹⁾، على ان يكون التعليم والتدريس باللغة التركية حال باقي مناطق الولايات العراقية، ويبدو ان العثمانيين قد ادركوا مضار ومساوئ الجهل والامية وتأثيرهما على سلوك الناس فضلا عن حاجتهم الى تأهيل بعض الناس المحليين لغرض توظيفهم في الدوائر الرسمية وكذلك اقبال ما يريده الحاكم العثماني من العراقيين وبالتالي تحسين طبيعة العلاقة بين الاهالي والسلطات الحاكمة⁽³²⁾.

بينت الوثائق العثمانية وجود مدرسة رشدية للذكور في السماوة عام 1911، ويبدو ان الحكومة المحلية في السماوة ارادت تأهيل بعض ابناء القضاء لغرض زجهم في الوظائف الحكومية، اذ ضمت تلاميذ مرحلة دراسية واحدة هي

مرحلة الصف الأول وذلك للعام الدراسي 1910-1911 وقد استعانت بالموظفين العموميين الموجودين في القضاء للقيام بالتدريس في المدرسة الرشدية تعويضاً عن النقص الحاصل في عدد المعلمين، فضلاً عن قيام هؤلاء الموظفين بالتدريس، يبدو أنه قد وكلت لهم مهام تدريب وتأهيل الطلاب للوظائف الحكومية⁽³³⁾.

ولقد افتتحت أول مدرسة ابتدائية رسمية للذكور في قضاء السماوة، وذكرت الوثائق العثمانية أن عدد تلاميذ المدرسة الابتدائية للبنين في السماوة للعام الدراسي 1910-1911 بلغ (105) تلميذاً، وكان الكادر الوظيفي في المدرسة الابتدائية في قضاء السماوة يتكون من كل من المعلم الأول (المدير) قاسم حلمي، والمعلم الثاني جاسم حلمي، ولقد شغلت مدارس قضاء السماوة بنايات حكومية قديمة وهي لا تكاد تكفي للأعداد المتزايدة من الطلبة فضلاً لما تسببه تلك الابنية من مشاق وصعوبات لاسيما في فصل الشتاء، إذ أن البناء متكون من مواد محلية الصنع كانت تستخدم في اغلب الابنية لكنها تأكلت بمرور الزمن واصبحت متهترئة ومتهالكة⁽³⁴⁾.

وتم التأكيد على الوضع السيئ للبنية المدرسية التي يشغلها الطلبة لغرض الدراسة، وضرورة إيجاد مكان ملائم للمدرسة وأنه لا يمكن اتخاذ الدور والمحلات التجارية مكاناً للتعليم، وهنا يبدو كيف وصل حال الواقع التعليمي مع عدم وجود بناية ملائمة ولا وجود لأي تخصيص مالي لإنشاء مدرسة جديدة⁽³⁵⁾.

ولقد أرسل والي بغداد جمال باشا⁽³⁶⁾ برفقة إلى وزارة المالية حول طلب تخصيص الاموال اللازمة لغرض ترميم المبنى الحكومي المتهالك في قضاء السماوة، فضلاً عن حاجة القضاء لبناء مدرسة جديدة لعدم وجود بناية مدرسية ملائمة ومناسبة للغرض التعليمي، إذ جاء فيها:⁽³⁷⁾

تلغراف نامة / في 29 كانون الثاني 1327 (مالية) 11 شباط 1912.

عن طريق ديار بكر.

من بغداد الى وزارة المالية.

لتخصيص المبلغ اللازم لترميم المبنى الحكومي وإنشاء مدرسة ابتدائية في قضاء السماوة وذلك لعدم صلاحية المبنى الحكومي في الوقت الحالي بسبب التهدم والحاجة الماسة لبناء مدرسة ابتدائية في القضاء.

الوالي جمال

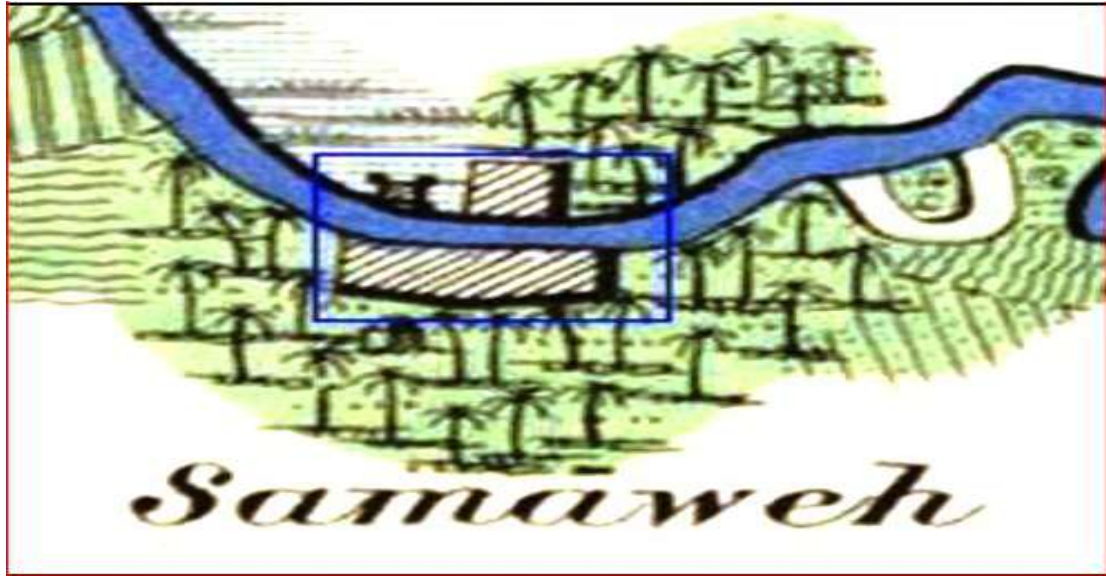
***أسوار السماوة:**

وجدت الاسوار للمحافظة على القرى والقصبات والمدن والدول من غارات الاعداء فضلاً عن حفظ الامن عبر السيطرة على الدخول والخروج منها واليها عبر بوابات خاصة، وكانت اغلب المدن والقصبات العراقية محاطة بالاسوار الخارجية، وقد تشابهت طرز بنائها لاسيما ضمن ذات المنطقة الجغرافية حسب موقعها والمواد الطبيعية المتوفرة فيها، ولقد ذكر الرحالة "أدوارد ايفز" الذي قام بزيارة المنطقة؛ السماوة ووصفها بأنها مدينة محاطة بالاسوار وبيوتها من الطين، إذ تعد هذه المادة الرئيسية في البناء والتشييد في ارض العراق المتكونة من الترسبات الطينية الناتجة من نهري دجلة والفرات لاسيما في اجزائها الوسطى والجنوبية، ولقد اطلق على حضارة العراق القديمة بالحضارة الطينية بسبب ان اغلب ما وصل الينا من آثار مصنوعة من مادة الطين، ولذلك فإن معظم الآثار العراقية الطينية القديمة تعرضت للتآكل والاندثار بسبب العوامل الجوية وهشاشة الطين فضلاً عن سهولة تعرضها للتخريب والتشويه من قبل الاعداء.

ويبدو ان اسوار السماوة لم تختلف مواد بنائها عن باقي المنشآت المقامة آنذاك، فقد كانت عناصرها الرئيسية من مادة الطين، وبطبيعة الحال فانها تحتاج للصيانة باستمرار، ويؤكد ذلك الرحالة صموئيل ايفرز في زيارته لبلاد الرافدين عام 1779، وبحسب المرويات التاريخية فان مرحلة تولي عبد العزيز القصاب منصب قائمقام السماوة تعد من ابرز ما شهدته الاسوار من ترميم واصلاح، وبحسب هذا ايجابيا على نشاط وهمة هذا المسؤول الحكومي الذي ترك بصمة في تاريخ السماوة تناقلت مآثرها اجيال المدينة اللاحقة جيلا بعد جيل.

شكل رقم (3)

توزيع الاسوار حول قصبة السماوة في العهد العثماني⁽³⁸⁾



يبين الشكل اعلاه توزيع الاسوار المحيطة بقصبة السماوة، اذ يظهر السور الشمالي الذي يحيط بمنطقة القشلة، وفي الجانب الاخر يظهر السور الذي يحيط بالمنطقة الرئيسية من القصبة في جزئها الجنوبي، والتي تضم محليتي الشرقي والغربي.

*الخاتمة:

بين البحث وجود اهمال حكومي من الولاة العثمانيين المعيّنين في العراق للواقع الانساني في معظم مجالاته، وهذه الحالة أصبحت عامة في الولايات العراقية، سوى مدة ولاية مدحت باشا على بغداد والتي شهدت قيام بعض الاصلاحات العمرانية والتعليمية والاقتصادية.

وجدت حالات اعمار محدودة قامت بها الحكومة العثمانية في السماوة، وكانت اغلب محاولات واعمال الاعمار الحكومي في السماوة مرتبطة بمصلحة الدولة أولاً، ولم تراعي السلطات القائمة حاجة الانسان العراقي من الخدمات العامة، والذي عانى من البؤس والحرمان والوضع الاقتصادي المتردي.

واتبعت سلطات الحكم سياقات النظام الحكومي في الاعلان عن المشاريع، اجراء المناقصات والكشف من اللجان المختصة قبل القيام بالتنفيذ، وقد استغرقت هذه العملية مدة طويلة.

ولقد استخدمت المواد المتوفرة محليا في اعمال الترميم والبناء، اذ كان المجتمع العراقي يستخدم هذه المواد الطبيعية في تشييد وبناء المساكن والاسواق وبقية المرافق الاخرى.

الهوامش:

(1) تشكلت الدولة العثمانية في بداية عهدها من وحدات ادارية وعسكرية عرفت بالإيالات، وهي اكبر وحدة ادارية، وكان يشرف عليها (باشا) يسمى (بكلربكي) أي (بيك البكوات)، وهو برتبة (مير ميران) أي (امير الامراء)، وقسمت "الأيالة" الى وحدات ادارية اصغر تسمى كل منها "سنجق" اي "لواء" ويقوم بشؤون اللواء (بيك) يسمى (سنجق بكي) أي (بك اللواء)، وهو بمرتبة (ميرلوا) أي (امير اللواء)، وبلغ عدد الايالات في القرن السابع عشر (32) ايالة، والسنجق تتكون من عدد من الوحدات الادارية أطلق عليها الاقضية، وكان يشرف على ادارة "القضاء" موظف يسمى "قائمقام"، والقضاء يشمل عددا من وحدات ادارية صغيرة تدعى "النواحي"، اذ يقوم مدير الناحية بمتابعة شؤونها، اما في القرن التاسع عشر، فقد اصبحت الدولة العثمانية تقسم الى وحدات ادارية سميت بالولايات، وتنقسم الولاية الى سناجق (الوية) والالوية الى اقضية والاقضية الى نواح والتي تضم عددا من القرى، وكان "والي" على رأس الادارة في الولاية، وفي كل لواء (متصرف)، وفي كل قضاء (قائمقام)، وفي كل ناحية (مدير ناحية)، ينظر: ايناس سعدي عبد الله، تاريخ العراق الحديث 1258-1918، ط1، دار ومكتبة عدنان، بغداد، 2014، ص ص 177-178.

(2) تقع مدينة السماوة ضمن منطقة السهل الرسوبي على حافته الغربية المتمثلة بالهضبة الغربية الصحراوية، وتعد دار استراحة للكثير من الرحالة والمسافرين اذ تتوسط السماوة الطريق بين بغداد والبصرة، ينظر: رجوان فيصل الميالي، أسوار السماوة في العصرين العثماني والبريطاني، مجلة أوروک للعلوم الانسانية، المجلد السادس عشر، ج1، العدد الاول، جامعة المثنى، 2023، ص 207؛ عقيل يوسف شدهان، دور علماء الدين في الحياة العامة في مدينة السماوة 1958-1979، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، المجلد الثالث والعشرون، العدد (4) الجزء (1)، جامعة القادسية، 2023، ص 147.

(3) ان سكان السماوة ينتمون الى عشائر عربية تغلب عليها صفة البداوة، ونظرا لسياسة الحكم العثماني تجاه سكان العراق لاسيما قضية الضرائب المجحفة الواجب تحصيلها من المواطنين، فقد شابت العلاقة بين الأهالي والسلطات الحاكمة نوع من الفتن وعدم الثقة فضلا عن الاهمال الحكومي الواضح، ينظر: عبد العزيز القصاب، مذكرات عبد العزيز القصاب، اعداد وتحقيق خالد عبد العزيز القصاب، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2007، ص 70.

(4) القشلة: هي كلمة تركية الاصل مشتقة من كلمة "قشلاغ" بمعنى (المشتى)، وتطلق على المكان الذي يبقى فيه الجنود وقت الشتاء، ثم استخدمت لإقامة الجند، أي هي الثكنة العسكرية أو المعسكر، وصارت تطلق على منام الجنود أو المأوى، وتسمى الحصن أو القلعة، فضلا عن انها تضم مكاتب وإدارات الحكومة، وأحيانا تشمل منزل الحاكم العثماني المعين وكبار الموظفين، وعادة ما يستخدم فيها الطراز المعماري المحلي بعد اجراء تغييرات تضمن الجانب الدفاعي بوصفها ثكنة عسكرية يستوجب حمايتها من كل الاخطار أو هجمات الاعداء، ينظر: ارمين سرکيس خسروف و فرح احمد ذياب، اثر القشلة على التخطيط الحضري لمدن العراق، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة كارابوك، تركيا، 2021، ص ص 398-399.

(5) رجوان فيصل الميالي، المصدر السابق، ص 209.

(6) اعتبرت المدة الزمنية (1869-1917) تمثل العهد العثماني الاخير في ولاية بغداد، والذي قاربت مدته نصف قرن، ابتدأت بتعيين مدحت باشا واليا على بغداد عام 1869 وانتهت بدخول البريطانيين الى بغداد عام 1917، ينظر: جميل موسى النجار، الادارة العثمانية في ولاية بغداد من عهد الوالي مدحت باشا الى نهاية الحكم العثماني 1869-1917، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991، ص 10.

(7) أورد الرحالة الاجانب اسم السماوة عند كتابة أسفارهم ورحلاتهم، اذ ذكر الرحالة (اوتر) عام 1748 عند وصوله للسماوة عن طريق نهر الفرات بانه وجدها بلدة كبيرة تقع على الجانب الغربي من نهر الفرات وان الاراضي فيها مرتفعة ومتراطة ومسكونة، وقال الرحالة (نيبور) الذي زار المدينة عام 1765، ان بيوت السماوة جميعها مشيدة من الطين المجفف بالشمس، وقال (تايلير) عام 1789، أنها بلدة لابأس فيها يحيطها سور لا يختلف عن التحصينات العادية في انحاء الشرق وان عدد بيوت هذه المدينة حسبما ذكر لنا احد شيوخها ثلاثة مئة بيتا، ينظر: عقيل يوسف شدهان، المصدر السابق، ص 150-151.

(8) حيدر عبد الرزاق كمونة و أورانس عبد الواحد علوان، توظيف موارد البيئة المحلية في إنشاء الوحدات المكونة للنسيج الحضري ضمن اطار الحفاظ على التراث العمراني، مجلة المخطط والتنمية، العدد (لثاني والعشرون) -السنة الخامسة عشر 2010، جامعة بغداد، ص 12.

OSMANLI ARSIVI (9) ، . (1862). MKT.MVL.140.94.1. (BOA).

(10) عبد العزيز القصاب، المصدر السابق، ص 149.

(11) مجلس الشورى: هو من اعلى المجالس في الدولة العثمانية ، وكان مهامه البت في امور المقاولات الخاصة بالمشاريع الحكومية، ومحاكمة الموظفين، وامور التقاعد، وتدقيق النظم وتمحيصها ثم التصديق عليها وتشكيل الجمعيات، والدعاوى المتنازع عليها بين الحكومة والمجتمع وغيرها من الامور والصلاحيات التي تجمعت في هذه الادارة، وكان مجلس شورى الدولة يتكون من اللجان الآتية: التنظيمات، المالية، السياسية، المعارف، الاشغال العامة، الهيئة العمومية، محكمة التمييز، محكمة الاستئناف، المحكمة الابتدائية، ولقد عمل المجلس حتى نهاية الدولة العثمانية، ينظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية، مراجعة عبد الرزاق محمد ، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000، ص 141.

OSMANLI ARSIVI، (BOA)، ؛ SD. 319. 3.1.(1888).

OSMANLI ARSIVI، (BOA)، I.DH.1176.(1888)

(14) الصدر الاعظم: ونعني به رئيس الوزراء في الدولة العثمانية، ويعد وكيل السلطان العثماني، ولقب بالوزير الاعظم، والصدر العالي، وصاحب الدولة، ويتمتع بصلاحيات عديدة، ولديه ختم السلطان، ينظر: سهيل صابان، المصدر نفسه، ص 143.

OSMANLI ARSIVI، (BOA)، I.SD.91/5425.(1888).

(16) OSMANLI ARSIVI, I.ML.5.54.1.(1893).

(17) OSMANLI ARSIVI, SD.360.8.1.(1894).

(18) OSMANLI ARSIVI, I.ML.14.32.1.(1895).

(19) قلم مكاتيب الصدارة: وهو المسؤول عن ادارة التحرير في الصدارة العظمى للدولة العثمانية، اذ يشرف على كتابة الفرمانات والاوامر التي تكتب لمختلف الجهات، فضلا عن تلخيص كافة المعروضات والبرقيات الواردة من الولايات أو الدوائر الحكومية الاخرى وعرضها على الصدر الاعظم مع أصولها يوميا، ينظر: سهيل صابان، المصدر نفسه، ص214.

(20) OSMANLI ARSIVI, BEO.1348.101036.1.(1899)

(21) حسن رفيق باشا: وهو من أصول تركية في ولاية اسطنبول، وأصبح واليا على بغداد في 1891/8/25 واستمر في المنصب حتى 1896/6/26 ، ومن اعماله في بغداد تأسيس مطبعة دار السلام وقيامه بترميم عدد من المساجد وبناء جامع حسن باشا، ينظر: محمود بن سلطان بك الشاوي، ذيل مطالع السعود، تحقيق عبد الجبار العمر، مجلة آفاق عربية، السنة السادسة، العدد6-7، 1981، ص ص82-83.

(22) OSMANLI ARSIVI, DH.MKT.239.1.3.(1893).

(23) OSMANLI ARSIVI, DH.MKT.239.1.1 (1893).

(24) OSMANLI ARSIVI, DH.MKT.239.1.2 (1893).

(25) OSMANLI ARSIVI, SD.2170.18.3 (1895).

(26) OSMANLI ARSIVI, SD.2170.18.4.(1895).

(27) OSMANLI ARSIVI, SD.2170.18.5.(1895).

(28) OSMANLI ARSIVI, EEM.1016.27.11.(1913).

(29) لمى عبد العزيز مصطفى عبد الكريم، الخدمات العامة في العراق 1869-1918، اطروحة دكتوراه - جامعة الموصل، 2003، ص33.

(30) جميل موسى النجار، التعليم في العراق في العهد العثماني الاخير 1869-1918، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2002، ص43.

(31) عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني 1638-1917، ط1، شركة الطبع والنشر الاهلية، 1959، ص151.

(32) OSMANLI ARSIVI, MF.IBT.379/69.(1912).

(33) OSMANLI ARSIVI, MF.IBT.326.74.(1911).

(34) OSMANLI ARSIVI, MF. ALY. 21/52.(1911).

(35) OSMANLI ARSIVI, MF. IBT. 362/45.(1912).

(36) جمال باشا: ولد أحمد جمال باشا عام 1872، ونشأ وسط أسرة مسلمة هاجرت من بلغاريا الى تركيا، بعد أن تم دراسته الأولية التحق بالمدرسة العسكرية وتخرج منها عام 1890، وتقلد عدة مناصب في الدولة العثمانية، إذ عين متصرفاً وواليًا، ومنها تعيينه والياً على ولاية بغداد عام 1911، وترقى في المناصب حتى عين وزيراً للبحرية العثمانية، ويعد أحد القادة في جمعية الاتحاد والترقي، والتي قامت بالانقلاب على السلطان العثماني عبد الحميد الثاني عام 1908، وعين حاكماً على مدينة اسطنبول عام 1913، ولقد تولى قيادة الجيش العثماني الرابع في بلاد الشام عام 1914، وأصدر أوامره بإعدام الكثير من الوطنيين العرب، ومن هنا جاء لقبه (السفاح)، وقتل عام 1922 على يد جماعة من الأرمن، ينظر: ايمان اهزي و نور الهدى بيدي، سياسة الوالي جمال باشا في بلاد الشام ونتائجها 1914-1918، رسالة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة يحيى فارس- المدينة / الجزائر '، 2021، ص ص 17-18.

(37) OSMANLI ARSIVI, ML. EEM. 890.31.1.(1912).

(38) رجوان فيصل الميالي، المصدر السابق، ص 216.

(*) <https://web.facebook.com.sw.mr>.

المصادر:

أولاً- وثائق الارشيف العثماني

1- OSMANLI ARSIVI, (BOA). A.}MKT.MVL.140.94.1.(1862).

2- OSMANLI ARSIVI, (BOA), ; SD. 319. 3.1.(1888).

3- OSMANLI ARSIVI, (BOA), I.DH.1176.(1888).

4- OSMANLI ARSIVI, (BOA), I.SD.91/5425.(1888).

5- OSMANLI ARSIVI, I.ML.5.54.1.(1893).

6- OSMANLI ARSIVI, SD.360.8.1.(1894).

7- OSMANLI ARSIVI, I.ML.14.32.1.(1895).

8- OSMANLI ARSIVI, BEO.1348.101036.1.(1899).

9- OSMANLI ARSIVI, DH.MKT.239.1.3.(1893).

10- OSMANLI ARSIVI, DH.MKT.239.1.1 (1893).

11- OSMANLI ARSIVI, DH.MKT.239.1.2 (1893).

- 12- OSMANLI ARSIVI, SD.2170.18.3 (1895).
- 13- OSMANLI ARSIVI, SD.2170.18.4.(1895).
- 14- OSMANLI ARSIVI, SD.2170.18.5.(1895).
- 15- OSMANLI ARSIVI, EEM.1016.27.11.(1913).
- 16- OSMANLI ARSIVI, MF.IBT.379/69.(1912).
- 17- OSMANLI ARSIVI, MF.IBT.326.74.(1911).
- 18- OSMANLI ARSIVI, MF. ALY. 21/52.(1911).
- 19- OSMANLI ARSIVI, MF. IBT. 362/45.(1912).
- 20- OSMANLI ARSIVI, ML. EEM. 890.31.1.(1912).

ثانياً- الكتب العربية

- 1- ايناس سعدي عبد الله، تاريخ العراق الحديث 1258-1918، ط1، دار ومكتبة عدنان، بغداد، 2014.
- 2- جميل موسى النجار، الادارة العثمانية في ولاية بغداد من عهد الوالي مدحت باشا الى نهاية الحكم العثماني 1869-1917، ط1، مكتبة مديولي، القاهرة، 1991.
- 3- _____، التعليم في العراق في العهد العثماني الاخير 1869-1918، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2002.
- 4- سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية، مراجعة عبد الرزاق محمد ، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000.
- 5- عبد العزيز القصاب، مذكرات عبد العزيز القصاب، اعداد وتحقيق خالد عبد العزيز القصاب، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2007.
- 6- عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني 1638-1917، ط1، شركة الطبع والنشر الاهلية، 1959.

ثالثاً- المجلات والدوريات

- 1- ارمين سركييس خسروف و فرح احمد ذياب، اثر القشلة على التخطيط الحضري لمدن العراق، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة كارابوك، تركيا، 2021.
- 2- حيدر عبد الرزاق كمونة و أورانس عبد الواحد علوان، توظيف موارد البيئة المحلية في إنشاء الوحدات المكونة للنسيج الحضري ضمن اطار الحفاظ على التراث العمراني، مجلة المخطط والتنمية، العدد (لثاني والعشرون) - السنة الخامسة عشر، جامعة بغداد، 2010.

- 3- رجوان فيصل الميالي، أسوار السماوة في العصرين العثماني والبريطاني، مجلة أوروك للعلوم الانسانية، المجلد السادس عشر، ج1، العدد الاول، جامعة المثنى، السماوة، 2023.
- 4- عقيل يوسف شدهان، دور علماء الدين في الحياة العامة في مدينة السماوة 1958-1979، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، المجلد الثالث والعشرون، العدد (4) الجزء(1)، جامعة القادسية، 2023.
- 5- محمود بن سلطان بك الشاوي، ذيل مطالع السعود، تحقيق عبد الجبار العمر، مجلة آفاق عربية، السنة السادسة، العدد6-7، شباط-آذار 1981.

رابعاً- الرسائل والاطاريح الجامعية

- 1- ايمان اهزي و نور الهدى بيدي، سياسة الوالي جمال باشا في بلاد الشام ونتائجها 1914-1918، رسالة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة يحيى فارس- المدية / الجزائر، 2021.
- 2- لمى عبد العزيز مصطفى عبد الكريم، الخدمات العامة في العراق 1869-1918، اطروحة دكتوراه - جامعة الموصل، 2003.

خامساً- المواقع الالكترونية

(*) [https://web facebook.com.sw.mr](https://web.facebook.com.sw.mr).

RESEARCH TITLE

Effect of Physical Processing of Barley Grains on Growth Efficiency and Performance in Afshari Breed Fattening Lambs

Hassan Fallah Hassan*¹, Amir Davar Forouzandeh¹

¹. International Faculty, Isfahan (Khorasgan) Branch, Islamic Azad University, Iran

*Corresponding Author: hasanfalahhasanfalah448@gmail.com

HNSJ, 2025, 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/31>

Received at 07/07/2025

Accepted at 15/07/2025

Published at 01/08/2025

Abstract

This study aimed to evaluate the effect of five different barley grain processing methods (whole grain, mash, flaked or rolled, water soaked, and milled) on the growth performance, nutrient digestibility, and blood biochemical parameters in Afshari breed fattening lambs. Forty male lambs, aged 90 days with an average body weight of 32 ± 1 kg, were assigned to five dietary treatments with eight lambs per treatment. The experimental results indicated that the processing methods had no significant impact on body weight, total body weight gain, daily weight gain, feed intake, or feed conversion ratio ($P > 0.05$). Likewise, nutrient digestibility (dry matter, organic matter, crude protein, ash, and ether extract) was unaffected by the barley grain processing methods ($P > 0.05$). Regarding blood biochemical parameters, serum glucose concentrations did not differ significantly between treatments ($P > 0.05$), but barley processing methods did affect serum cholesterol and triglyceride levels. Lambs fed a mash-based diet showed the highest cholesterol and triglyceride levels, although no significant differences were found among the other treatments. In conclusion, the physical processing of barley grains did not improve lambs' performance or nutrient digestibility, suggesting that further research and alternative processing methods are required to enhance growth performance in fattening lambs.

Key Words: Barley Grain, Digestibility, Flaking, Milling, Performance, Processing.

أثر المعالجة الفيزيائية لحبوب الشعير على كفاءة النمو والأداء في حملان سلالة أفشاري للتسمين

المستخلص

هدفت هذه الدراسة إلى تقييم تأثير خمس طرق معالجة مختلفة لحبوب الشعير (الحبوب الكاملة، المهروس، المفطح أو المدرج، المنقوع في الماء، والمطحون) على الأداء النمو، وهضم العناصر الغذائية، وبعض المعايير الكيميائية الحيوية في دم حملان سلالة أفشاري للتسمين. تم استخدام 40 خروفاً من الذكور، بعمر 90 يوماً ووزن جسم متوسط قدره 1 ± 32 كجم، تم تقسيمها إلى خمسة معالجات غذائية مع 8 حملان في كل مجموعة. أظهرت نتائج التجربة أن طرق المعالجة لم تؤثر بشكل كبير على الوزن الجسماني، إجمالي زيادة الوزن، الزيادة اليومية في الوزن، تناول العلف، أو نسبة تحويل العلف إلى وزن ($P > 0.05$). كما أن هضم المواد الغذائية (المادة الجافة، المواد العضوية، البروتين الخام، الرماد، والمستخلص الإيثر) لم يتأثر بطرق معالجة حبوب الشعير ($P > 0.05$) فيما يخص المعايير الكيميائية الحيوية في الدم، لم تختلف تركيزات الجلوكوز في الدم بشكل كبير بين المعالجات ($P > 0.05$)، لكن طرق معالجة الشعير أثرت على مستويات الكوليسترول والدهون الثلاثية في الدم. أظهرت الحملان التي تناولت النظام الغذائي المعتمد على المهروس أعلى مستويات من الكوليسترول والدهون الثلاثية، ولكن لم تكن هناك اختلافات معنوية بين المعالجات الأخرى. في الختام، لم تحسن المعالجة الفيزيائية لحبوب الشعير أداء الحملان أو هضم العناصر الغذائية، مما يشير إلى ضرورة إجراء مزيد من البحث وتجربة طرق معالجة بديلة لتحسين أداء النمو في حملان التسمين.

الكلمات المفتاحية: حبوب الشعير، الهضم، المفلحة، الطحن، الأداء، المعالجة.

1. Introduction

Despite scientific and economic progress, the provision of food, especially animal protein, remains one of the major challenges in the world today. In Iran, sheep farming is an important way to fulfil the growing need for red meat, especially as the population grows and food demand increases. Fattening projects play an important role not only in protein production, but also in preserving pastures and reducing unemployment. Carbohydrates, mainly starch, are the main energy component of ruminant diets and make up about 75 per cent of plant dry matter. Cereals such as barley and maize are a major source of starch in animal nutrition, and the extent to which they are utilised depends on the type of animal and the processing method. Improving the utilisation of starchy grains, particularly barley, is important to increase the efficiency of meat production and maximise the use of available feed resources. Barley is a perennial plant in the Nigellaceae family and ranks fourth globally in terms of area under cultivation. It varies between arable and wild varieties, and is mainly cultivated for cereal and fodder production, especially in semi-arid regions due to its ability to tolerate drought. Barley is characterised by its ease of cultivation and its ability to grow in cold environments and short growing periods, making it suitable as a food source for animals. After wheat, it is the second most important agricultural crop in Iran and can be used as a substitute for maize in feed. Barley is rich in protein (typically 11-12%), some amino acids, important vitamins such as B vitamins, and fatty acids important for ruminant nutrition. Its energy content is correlated with grain density and inversely with fibre, and it contains beta-glucans which may increase in dry conditions.

2. The Use of Barley Grains in Ruminant Nutrition

Barley is considered one of the oldest domesticated crops and is used in feeding goats, sheep, and cattle, whether for milk or meat production [1]. Barley grains are among the common cereals in ruminant diets, characterized by their thick fibrous hull and high content of beta-glucan and starch. Barley surpasses corn in its protein content and certain essential amino acids such as methionine and lysine. It also contains high levels of vitamin A and potassium, with calcium content up to five times that of oats [2]. Barley is cultivated as an economical and readily available energy source in regions such as the western United States and Canada [3]. In Iran, barley is widely used as a main ingredient in most concentrated ruminant feed formulations. It is considered a good energy source due to its starch being 80–90% digestible in the rumen, compared to 50–70% for corn [4]. The hull makes up approximately 10–14% of the barley grain's weight. It contains about 13.3 MJ/kg of metabolizable energy (on a dry matter basis) and crude protein ranging from 6–16%, with an average of 12%. Ground barley is used at a rate of 50% in fattening systems for cows and ewes [5]. Barley is an important source of energy and protein in ruminant diets and is considered a more affordable alternative to corn. The presence of barley in feed increases both the quantity and quality of milk and meat. In some countries, barley is the main ingredient in feed formulations for beef cattle, with a nutritional value approximately 90% of corn for cattle and 85–100% for sheep and goats [6].

2.1 Use of Barley Grains in Feeding Cattle and Sheep

Barley grains are easily digestible and absorbable, making them suitable for feeding cattle and sheep, as they help produce high-quality meat, butter, and cheese. Due to their hard outer

husk, it is recommended to feed barley in ground or powdered form [7]. Barley is the primary energy source in ruminant diets in many parts of the world. Despite its relatively low protein content, its widespread use makes it an important protein source in animal feed. However, the high ruminal degradability of its protein reduces its nutritional value and may lead to reproductive issues in pregnant or high-producing cows [8]. In Europe, Iran, and most parts of the world, barley is the main cereal used in animal feed, making up about 50% of feed grains in the United States. It contains a high percentage of starch (60–70% of the grain's weight) and is thus mainly used as an energy source in cattle diets. It also contains more protein compared to some other cereals, along with important vitamins and minerals [9]. To ensure effective use of barley in cattle diets, it must be processed and introduced gradually, as it ferments rapidly in the rumen [10]. In poultry and pig nutrition, barley is rarely used due to its high fiber content (5–6%) and lower energy value. However, in dairy cows, this fiber helps maintain or increase milk fat content and improves rumen function, making barley a suitable energy- and fiber-rich feed for milk production [11].

2.2 Growth Performance

This study was conducted to evaluate the potential benefits of different barley grain processing methods (whole grains, ground barley, rolled barley, soaked barley, and coarsely ground barley) on growth performance in castrated lambs of both sexes separately. Contrary to the researchers' expectations, barley processing methods did not have a significant effect on body weight, weight gain, feed intake, or feed conversion ratio in either sex during the different experimental periods: the middle period (days 1 to 30), the final period (days 31 to 60), and the entire period (days 1 to 60). Similar results were reported in other studies, which showed no improvement in sheep performance as a result of grain processing [12].

In another experiment studying the effect of processing ground versus rolled barley in lamb diets, processing had no significant effect on weight gain; however, the final weight of lambs fed rolled barley was significantly higher than those fed ground barley [13]. This partially agrees with the present study's results, whereas lactic acid treatment of barley improved total dry matter digestibility and feed efficiency in Holstein calves, but did not affect feed intake or daily weight gain [14].

In contrast to the current findings, [15] showed that grinding or steam rolling barley changed kernel density, which affected rumen fill and feed intake rates in lambs. Studies [16] reported that using ground or rolled barley increased daily growth rates and final weights of lambs compared to whole barley. Similarly, [17] noted that organic acid treatments (soaking in lactic and citric acid) improved performance through increased final weight, growth rate, and feed conversion efficiency.

Additionally, studies [18–21] demonstrated that feeding rolled barley led to significant increases in lamb final weight compared to ground barley. In a similar study, [22] found that feeding ground wheat instead of whole wheat resulted in increased lamb weights.

Moreover, [23,24] indicated that physical processing of corn grains (grinding or steam rolling) improved growth performance in lambs, with steam rolling showing superior efficiency. This is attributed to partial starch gelatinization during steam rolling, which reduces rapid ruminal fermentation, leading to better synchronization of energy and nitrogen availability for microbial growth, thus improving energy utilization efficiency and growth.

In another study, [25] reported that different barley processing methods (grinding, rolling, pelleting) improved daily weight gain, dry matter intake, and feed conversion efficiency, although there were no significant differences in final weight compared to whole barley. Steam or grinding treatments did not affect daily growth rates in calves.

Lower dry matter intake observed with ground barley may be due to excessive grinding producing fine dust that reduces palatability despite improved digestibility. Conversely, some studies suggest that over-processing may accelerate ruminal fermentation, reducing feed intake [26].

Opposing the current results, [27] found that feeding steam-rolled barley with high-protein diets (24%) improved feed intake, growth rate, weight gain, and volatile fatty acid concentration in the rumen compared to calves fed whole barley.

[28] reported that calves fed steam-rolled corn had higher ruminal fatty acid concentrations than those fed steam-rolled barley, while growth performance, feed efficiency, and some blood parameters were unaffected by grain processing.

3. Experimental Location

This study was conducted at the Research Station of the Faculty of Agriculture, Islamic Azad University, Khorasgan Branch, located in the village of Khatounabad. The facilities for raising lambs were individual pens, each measuring 1.2×1.5 meters, separated by metal bars and mesh to prevent mixing between animals.

3.1 Experimental Management

The study was carried out using a completely randomized design on 40 lambs (20 of each sex) with an average age of 90 days and an average weight of 32 ± 1 kg. The experiment lasted for 80 days, including a 20-day adaptation period and a 60-day main trial period. Lambs were housed individually, with access to designated feed and water containers, salt, and ad libitum feeding. The floor was covered with straw. Animals were vaccinated during the adaptation period. Prior to adaptation, lambs fasted for 36 hours to empty their digestive tracts, then were weighed and randomly assigned to treatment groups with approximately equal weights. Identification tags were placed on each pen for easy management. Feed was offered three times daily (8 AM, 4 PM, and 12 midnight), and thoroughly mixed to ensure consistent availability. Feed refusals were collected and weighed daily to adjust feed quantity.

3.2 Experimental Diets

The experimental diets included:

1. Control diet with whole unground barley grains
2. Control diet with ground barley
3. Diet with barley flour
4. Diet with dehulled or flaked barley
5. Diet with soaked barley

All diets were formulated to be isocaloric and isonitrogenous, minimizing differences in nutrient content such as protein levels, cell wall components, concentrate-to-forage ratio, and energy. The ingredients included alfalfa, wheat straw, and concentrate mixtures composed of ground barley, soybean meal, wheat bran, vitamin and mineral supplements, and vegetable oil. The only difference between treatments was the method of barley processing.

Table 1: Feed Ingredients of Experimental Diets (Based on Dry Matter)

Feedstuff	Barley processing method				
	Barley flour	Soaked barley	Rolled (or flaked) barley	Ground barley	Whole barley
Chopped alfalfa	29/85	29/85	29/85	29/85	29/85
Wheat straw	10/00	10/00	10/00	10/00	10/00
Barley	25/45	25/45	25/45	25/45	25/45
Soybean meal	7/45	7/45	7/45	7/45	7/45
Wheat bran	21/50	21/50	21/50	21/50	21/50
Vegetable oil	3/75	3/75	3/75	3/75	3/75
Vitamin supplement	1/00	1/00	1/00	1/00	1/00
Mineral supplement	1/00	1/00	1/00	1/00	1/00
Total	100	100	100	100	100
Forage ratio in the diet (%)	39/85	39/85	39/85	39/85	39/85
Concentrate ratio in the diet (%)	60/15	60/15	60/15	60/15	60/15
Metabolizable energy (Mcal/kg)	2/5	2/5	2/5	2/5	2/5
Metabolizable energy (Mcal/kg)	14/0	14/0	14/0	14/0	14/0
Neutral detergent fiber (NDF, %)	65/12	70/46	63/10	57/78	64/54
Acid detergent fiber (ADF, %)	63/46	68/71	52/14	55/46	61/11

3.3. Barley Processing Methods

3-3-1: Germination (Sprouting) Method

In this method, barley grains are soaked in water for 24 hours, then drained and spread on a cotton sack, covered with another cotton sack. To ensure proper germination, the grains are sprayed with water twice daily to prevent the sacks from drying out. To avoid mold, the grains are turned over three times a day. After approximately three days, the grains fully sprout, then are exposed to sunlight to dry completely before being incorporated into the feed ration.

3-3-2: Soaking Method

The required amount of barley for the ration is first weighed and divided into three portions for morning, evening, and nighttime meals. The portions are placed in separate containers, and water is added until the grains are fully submerged. After 24 hours of soaking, the grains are drained using a mesh bag, then thoroughly mixed with the feed and offered to the lambs.

3-3-3: Steam-Flaking Method

This process is carried out in a feed factory. Barley grains are transferred to a special chamber and exposed to steam for 30 minutes. Then, the grains are passed through a device with two counter-rotating rollers that press and flatten the grains. The resulting steam-flaked barley is

immediately transferred to a cooling system to remove excess moisture, then packed into bags and transported to the farm.

Due to the importance of this method, the flaking level was set to achieve a

Processing Index = 0.65, calculated using the formula:

Processing Index = (Bulk density of processed grain / Bulk density of raw grain) $\times$ 100 = 0.65

4. Effect of Experimental Diets on Lamb Performance (Materials and Methods)

4.1 Diet Formulation and Feeding Strategy:

1. The base ration was formulated according to the NRC (2007) standards to meet:
 - i. Maintenance requirements.
 - ii. A target daily weight gain of 200 grams.
 - iii. Target age: 3 to 7 months.
2. Feed composition (dry matter, ash, crude protein, ether extract, organic matter) was analyzed using standard procedures.

4.2 Feeding:

1. Feed was offered ad libitum in three meals at 8:00 AM, 4:00 PM, and 12:00 AM.
2. At all times, 10% feed was left in the feeder to ensure continuous availability.
3. Clean water was always available.
4. Feed refusals were collected and weighed daily before the morning meal.

4.3 Feed Intake Measurement:

1. The amount of feed offered was weighed daily for each animal.
2. Refusals were collected and weighed.
3. Feed intake was calculated as the difference between feed offered and refused.
4. Samples of feed and refusals were dried at 60°C until weight was constant, then stored for analysis.

4.4 Chemical Analysis of Feed:

1. Dry matter: Oven-dried until weight stabilization.
2. Ash: Combusted in an electric furnace.
3. Crude protein: Determined using the Kjeldahl method.
4. Ether extract (fat): Measured using the Soxhlet method.
5. Organic matter: Calculated as dry matter minus ash.
6. NDF (neutral detergent fiber): Measured using a neutral detergent solution per Mertens (2002).

4.5 Growth Performance Evaluation:

1. The following indicators were measured:
 - i. Initial weight.
 - ii. Mid-trial weight (Day 30).

- iii. Final weight (Day 60).
 - iv. Weight gain during each phase.
 - v. Average daily gain (ADG).
 - vi. Feed conversion ratio (FCR = body weight gain / feed intake).
2. Lambs were weighed after 16 hours of fasting at the beginning and end of the trial.
 3. Body weights were recorded every 14 days.

4.6 Digestibility Assessment:

1. Acid-insoluble ash (AIA) was used as an internal marker.
2. By measuring AIA concentration in feed and feces, the apparent digestibility of:
 - i. Dry matter (DM),
 - ii. Crude protein (CP),
 - iii. NDF,
 - iv. Ash,
 - v. Organic matter (OM) was calculated.

4.7 Statistical Analysis:

1. Design: Completely Randomized Design (CRD)
2. Factors: 5 barley processing methods × 2 lamb sexes
3. Software: SAS version 9.4
4. Procedure: GLM (General Linear Model)
5. Mean comparison: Duncan's Multiple Range Test at a 5% significance level.

$$Y_{ij} = \mu + T_j + e_{ij}$$

$$Y_{ij} = \text{Sightings}$$

$$\mu = \text{mean}$$

$$T_j = \text{Effect of treatment type (bush type)}.$$

$$e_{ij} = \text{Random error}.$$

5. Results and Discussion

5.1 Results – Effect of Barley Processing Type on Body Weight in Lambs

Table (4-1): Effect of Barley Processing Type on Body Weight (kg) in Fattening Lambs (Males and Females)

Barley Processing Type	Initial Weight	Mid-Trial Weight	Final Weight
Whole barley (unprocessed)	32.3	41.7	47.9
Ground barley (flour)	32.8	41.6	47.6
Flaked barley (rolled/flattened)	32.8	44.2	51.5
Soaked barley	33.1	42.9	49.8
Coarsely ground barley	33.0	42.8	49.4
SEM (Standard Error of Mean)	0.99	1.10	1.43
P-value	0.98	0.43	0.32

Means that do not share the same letter in a given column are significantly different at $P < 0.05$.

Analysis of the Effect of Barley Processing Type and Lamb Sex on Productive Performance During Different Fattening Periods

The effects of barley grain processing type and lamb sex on growth performance were evaluated over the following periods:

- **First period (Day 1 to 30):** Mid-stage
- **Second period (Day 31 to 60):** End of fattening
- **Overall period (Day 1 to 60):** Total fattening duration

The assessed parameters included:

- **Body weight:** Table (4-1)
- **Total and daily weight gain:** Table (4-2)
- **Feed intake (daily and periodic) and feed conversion ratio (FCR):** Table (4-3)

Based on the analysis of these tables, **no statistically significant differences ($P > 0.05$)** were observed among the experimental treatments (barley processing type and lamb sex) in any of the following performance indicators:

- Body weight
- Total and daily weight gain
- Feed intake
- Feed conversion ratio (FCR)

Although some numerical differences were noted among the groups, these differences did not reach statistical significance, indicating that the different barley processing methods and the sex of the lambs had no significant impact on productive performance during the fattening period. However, some of these differences may be biologically relevant and warrant further investigation in future studies with larger sample sizes or under different conditions.

Table 4-2: Effect of Barley Processing Type on Lamb Weight Gain (kg and g)

Barley Processing Type	Weight Gain (kg)		Average Daily Gain (g)		
	Mid-period (1–30)	Total Period (1–60)	Mid-period (1–30)	Final-period (31–60)	Total Period (1–60)
Whole Barley	9.37	15.56	206	222	216
Ground Barley	8.75	14.75	192	214	206
Steam-Flaked Barley	11.50	18.75	257	258	260
Soaked Barley	9.81	16.62	219	244	232
Coarsely Ground Barley	9.81	16.37	219	236	227
SEM	0.79	1.315	17.5	19.5	18.2
P-Value	0.18	0.29	0.13	0.54	0.31

Note: There were no statistically significant differences ($P > 0.05$) among the treatments. However, **steam-flaked barley numerically resulted in the best performance** in terms of both daily and total weight gain.

Table 4-3: Effect of Barley Processing Type on Feed Intake (kg) and Feed Conversion Ratio (FCR)

Barley Processing Type	Feed Intake – 1st Half (kg)	Total As-Fed Intake (kg)	Total Dry Matter Intake (kg)	Daily Intake (kg/day)	Feed Conversion Ratio (FCR)
				First Half	Total
Whole Barley	48.9	88.9	75.5	1.09	1.23
Ground Barley	50.1	88.8	75.4	1.11	1.23
Steam-Flaked Barley	54.1	96.4	81.9	1.20	1.34
Soaked Barley	51.4	93.9	79.8	1.14	1.30
Coarsely Ground Barley	49.4	96.1	81.7	1.10	1.33
SEM	1.63	3.12	2.65	0.036	0.043
P-Value	0.18	0.24	0.24	0.39	0.53

Although numerical differences were observed in feed intake and feed conversion efficiency, these differences were not statistically significant ($P > 0.05$). However, steam-flaked barley (Perak) showed the best feed conversion efficiency, indicating lower feed intake per kilogram of body weight gain.

Table 4-4: Effect of Barley Processing Type on Apparent Digestibility Coefficients in Fattening Lambs (%)

Barley Processing Type	Crude Protein	Protein (90%)	Dry Matter	NDF (Fiber)	Ash	Organic Matter
Whole Barley	83.0	70.6	78.5	42.0	9.61	71.7
Ground Barley (Fine Flour)	82.9	70.5	78.5	42.7	9.24	72.0
Flaked Barley (Steam-Flaked)	83.2	70.7	79.2	40.4	8.16	74.6
Soaked Barley	82.1	69.8	77.8	45.3	8.65	73.8
Coarsely Ground Barley	82.2	69.9	77.8	43.0	9.21	70.6
SEM	0.45	0.39	0.48	1.03	0.462	86.14
P-Value	0.34	0.34	0.21	0.03	0.68	1.17

There were no statistically significant differences ($P > 0.05$) among the treatments for most of the digestibility parameters, indicating that the type of barley processing did not have a clear effect on the digestion of essential nutrients. The only exception was neutral detergent fiber (NDF), which showed a significant difference ($P = 0.03$), suggesting that the processing method influenced fiber digestibility an expected outcome due to the changes in the physical structure of the grains.

Table 4-5: Effect of Barley Processing Method on Blood Biochemical Parameters in Lambs (mg/dL)

Barley Processing Method	Glucose (Mean / End) (mg/dL)	Triglycerides (Mean / End) (mg/dL)	Cholesterol (Mean / End) (mg/dL)
Whole Barley	54.4 / 52.4	11.03 ^{ab} / 11.7 ^{ab}	44.4 ^b / 47.1 ^b
Ground Barley	61.1 / 57.2	13.1 ^a / 13.7 ^a	58.4 ^a / 60.3 ^a
Rolled Barley (Flaked)	57.7 / 54.4	8.5 ^b / 8.9 ^b	47.4 ^b / 49.0 ^b
Soaked Barley	61.4 / 57.9	9.5 ^b / 9.9 ^b	48.9 ^b / 50.0 ^b
Coarsely Ground Barley	57.9 / 55.5	8.7 ^b / 9.5 ^b	44.9 ^b / 46.1 ^b
SEM	2.82 / 2.68	1.08 / 1.08	2.02 / 2.18
P-Value	0.40 / 0.61	0.03 / 0.03	0.002 / 0.005

The means that do not share the same letter in a column indicate a statistically significant difference at the probability level ($P < 0.05$).

6. Conclusion

The present study's results indicated that applying different barley processing methods to castrated lambs of both sexes resulted in the following:

1. Experimental processing methods had no significant effect on body weight, total or daily weight gain, periodic or daily feed intake, nor on feed conversion ratio.
2. Digestibility of nitrogen-free extract, dry matter, organic matter, crude protein, ash, and crude fat were not affected by processing methods.
3. Serum glucose concentrations were unaffected by processing treatments, and neither lamb sex nor the interaction between barley processing type and sex significantly influenced serum cholesterol or triglyceride concentrations. However, barley processing type did affect serum cholesterol and triglyceride levels.
4. The highest serum cholesterol and triglyceride concentrations were observed in lambs fed diets containing barley flour, with no significant differences among lambs fed whole barley, rolled, soaked, or ground barley.

Overall, barley processing did not improve performance or digestibility of feed components in castrated male and female lambs. Further studies are recommended, employing alternative processing methods to achieve a tangible impact of barley processing on castrated lamb performance.

References

1. Adeloye A. 2001. Improving the nutritive value of rice straw by ensiling with different additives. *Indian Journal of Animal Sciences* 71(1):58-61
2. Ahmad M, Gibb D, McAllister T, et al. 2010. Adjusting roller settings based on kernel size increased ruminal starch digestibility of dry-rolled barley grain in cattle. *Canadian journal of animal science* 90(2):275-278
3. Akbarian A, Chamani M, Shawrang P, Sadeghi AA. 2023. Inflammatory genes expression and calf responses to different dietary grains (steam flaked corn vs steam-rolled barley) and protein sources (pelleted soybean meal vs pelleted canola meal). *Animal Biotechnology*:1-8

4. Allen MS. 2000. Effects of diet on short-term regulation of feed intake by lactating dairy cattle. *Journal of dairy science* 83(7):1598-1624
5. Ametaj B, Bradford B, Bobe G, et al. 2005. Strong relationships between mediators of the acute phase response and fatty liver in dairy cows. *Canadian Journal of Animal Science* 85(2):165-175
6. Arieli A, Bruckental I, Kedar O, Sklan D. 1995. In sacco disappearance of starch nitrogen and fat in processed grains. *Animal feed science and technology* 51(3-4):287-295
7. Askar A, Guada J, González J, De Vega A, Fondevila M. 2008. Rumen digestion and microbial protein synthesis by growing lambs fed high-concentrate diets: Effects of cereal processing and animal age. *Animal feed science and technology* 142(3-4):292-305
8. Babaei M, Chashnidel Y, Dirandeh E. 2016. Effect of cobalt and barley grain processing on performance, digestibility of nutrients and rumen and blood parameters in fattening lambs. *Animal Production Research* 5(1):1-13
9. Beauchemin K, McAllister T, Dong Y, Farr B, Cheng K-J. 1994. Effects of mastication on digestion of whole cereal grains by cattle. *Journal of animal science* 72(1):236-246
10. Beauchemin K, Yang W, Rode L. 2001. Effects of barley grain processing on the site and extent of digestion of beef feedlot finishing diets. *Journal of Animal Science* 79(7):1925-1936
11. Bengochea W, Lardy G, Bauer M, Soto-Navarro S. 2005. Effect of grain processing degree on intake, digestion, ruminal fermentation, and performance characteristics of steers fed medium-concentrate growing diets. *Journal of Animal Science* 83(12):2815-2825
12. Bohnert DW, Mills RR. 2000. Influence of grain type and processing method on beef cattle consuming forage-based diets. *Western Beef Resource Committee*:3331-3334
13. Bowman J, Kincheloe J, Surber L, et al. 2005. Published. Phytic acid levels in barley for beef cattle. In: *Proceedings of the Conference: Western Section, American Society of Animal Science*, 2005. vol 56. p 426-429
14. Boyles S, Anderson V, KB K. 2000. Feeding barley to cattle. The Beef InfoBase version 1.2, Jan. 2001/Feeding and Nutrition. ADDS, Inc. USDA; Coop. State Res Ext Ed Ser
15. Boyles S, Anderson V, Koch K. 2001. Feeding barley to cattle. The Beef InfoBase version 1
16. Boyles SL, V. L. 2004. Anderson and K. B. Koch. Feeding barley to cattle, Ohio State University Extension.
17. Bremmer D, Ruppert L, Clark J, Drackley J. 1998. Effects of chain length and unsaturation of fatty acid mixtures infused into the abomasum of lactating dairy cows. *Journal of Dairy Science* 81(1):176-188
18. Brown M, Krehbiel C, Duff G, Galyean M, Hallford D, Walker D. 2000. Effect of degree of corn processing on urinary nitrogen composition, serum metabolite and insulin profiles, and performance by finishing steers. *Journal of animal science* 78(9):2464-2474
19. Buchanan BB, Gruissem W, Jones RL. 2015. *Biochemistry and molecular biology of plants*. John wiley & sons
20. Bull RC. 1995. *A nutritional guide to feeding pacific northwest barley to ruminants*. Citeseer

21. Cabrita ARJ, Dewhurst RJ, Abreu JMF, Fonseca AJM. 2006. Evaluation of the effects of synchronising the availability of N and energy on rumen function and production responses of dairy cows—a review. *Animal Research* 55(1):1-24
22. Campling R. 1991. Processing cereal grains for cattle—a review. *Livestock Production Science* 28(3):223-234
23. Castillo C, Benedito J, Pereira V, et al. 2011. Influence of grain processing in regard to serum metabolites and enzymes for finishing bull calves. *Journal of Animal and Feed Sciences* 20(4):483-492
24. Cleary L, Van Herk F, Gibb D, McAllister T, Chaves A. 2011. Dry matter digestion kinetics of two varieties of barley grain sown with different seeding and nitrogen fertilization rates in four different sites across Canada. *Asian-Australasian Journal of Animal Sciences* 24(7):965-973
25. Corona L, Rodriguez S, Ware R, Zinn R. 2005. Comparative effects of whole, ground, dry-rolled, and steam-flaked corn on digestion and growth performance in feedlot cattle. *The Professional Animal Scientist* 21(3):200-206
26. Davies K, McKinnon J, Mutsvangwa T. 2013. Effects of dietary ruminally degradable starch and ruminally degradable protein levels on urea recycling, microbial protein production, nitrogen balance, and duodenal nutrient flow in beef heifers fed low crude protein diets. *Canadian Journal of Animal Science* 93(1):123-136
27. Dehghan-Banadaky M, Corbett R, Oba M. 2007. Effects of barley grain processing on productivity of cattle. *Animal Feed Science and Technology* 137(1-2):1-24
28. Harder H, Khol-Parisini A, Zebeli Q. 2015. Modulation of resistant starch and nutrient composition of barley grain using organic acids and thermal cycling treatments. *Starch-Stärke* 67(7-8):654-662

RESEARCH TITLE

Women and Madness in American Hardboiled Crime Fiction

Maysaa H. Jaber, PhD¹

¹ Psychological Research Center, Scientific Research Commission, Baghdad, Iraq

Email: maysaa.h.jaber@src.edu.iq

HNSJ, 2025, 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/32>

Received at 07/07/2025

Accepted at 15/07/2025

Published at 01/08/2025

Abstract

This paper investigates the connections between women and madness and aims to examine the medical discourses on madness in relation to the representations of women in hardboiled crime fiction. It highlights the link between psychiatric and medical discourses and societal and cultural constructs that govern the representations of femininity and mental illness. By exploring the complex interplay between women and madness and surveying the theories and views on this subject, this paper underlines the broader social anxieties regarding gender roles and mental health. As such, this paper examines the depiction of the “madwoman” in one of the key texts in hardboiled crime fiction, Raymond Chandler’s *The Big Sleep* (1939), and explores how the maintenance of the myths surrounding the link between women and madness are interlocked with concepts such as crime, law, control, and social and legal conventions— a connection which ultimately portrays the anxieties about women’s roles and agency in American society at that time.

Key Words: Women and Madness, Hardboiled Crime Fiction, Psychiatric Discourses, Gender Roles, Mental Health Anxiety.

النساء والجنون في روايات الجريمة الصعبة الأمريكية

المستخلص

تتناول هذه الورقة البحثية العلاقة بين النساء والجنون وتهدف إلى فحص الخطابات الطبية حول الجنون فيما يتعلق بتمثيلات النساء في روايات الجريمة الصعبة. تبرز الورقة الرابط بين الخطابات النفسية والطبية والبنى الاجتماعية والثقافية التي تحكم تمثيلات الأنوثة والمرض العقلي. من خلال استكشاف التداخل المعقد بين النساء والجنون ومسح النظريات والآراء حول هذا الموضوع، تؤكد الورقة على القلق الاجتماعي الأوسع المتعلق بالأدوار الجنسانية والصحة النفسية. وبالتالي، تفحص هذه الورقة تمثيل "المرأة المجنونة" في أحد النصوص الرئيسية في روايات الجريمة الصعبة، رواية "النوم الكبير" لريموند تشاندلر (1939)، وتستكشف كيف أن الحفاظ على الأساطير المحيطة بالرابط بين النساء والجنون متشابك مع مفاهيم مثل الجريمة، والقانون، والسيطرة، والتقاليد الاجتماعية والقانونية — وهو ارتباط يعكس في النهاية القلق بشأن أدوار النساء ووكالتهن في المجتمع الأمريكي في ذلك الوقت.

الكلمات المفتاحية: النساء والجنون، روايات الجريمة الصعبة، الخطابات النفسية، الأدوار الجنسانية، قلق الصحة النفسية.

Introduction

The emergence of psychiatry as a discipline concerned with mental illness and mental disorders can be traced back to the early nineteenth century, but during that time the knowledge possessed by medical practitioners was predominantly unscientific and dependent on prevailing social ideations about mental state and behavior. Madness during the nineteenth century was attached to women and the explanations offered were related to women's hormones and biology (Ussher 1991). Moreover, there existed societal expectations for women to merely fulfill the roles of spouses and mothers; they were perceived as innately gentle, emotional, and dependent, thereby women were considered as more vulnerable to psychological afflictions. Women at that time were also mostly reliant on males in their families—hence lacked autonomy in decision-making, which contributed to the prevalence of women being labelled as “mad” when they transgressed their strictly defined social roles.

Any conduct that deviated from established social norms and expectations was deemed to be indicative of “madness.” As such, the mid nineteenth century witnessed an increase in state-run asylums, largely predicated on the belief among physicians that altering a patient's environment could facilitate their recovery. Asylums evolved into institutions for the segregation of undesirable members from society, wherein female patients in particular were usually mandated to engage in tasks deemed suitable for their gender, such as sewing and cooking. According to Hunter, Shannon, and Sambrook (1986, p.1033), the dimensions of asylums perpetually expanded during the mid-nineteenth century, accommodating an increasing number of patients, until certain asylums transitioned into custodial facilities rather than therapeutic environments, thereby demonstrating that patients were deprived of the requisite medical care. The patriarchal nature of psychiatric hospitals has been documented by many philosophers and writers, for instance, M. Foucault (1967) and T. Szasz (1961). Journalists and novelists have also explored and reimagined the presence of mental hospitals in America and the brutality of patients' experiences there, which have been compared to experiences in prisons (Chesler, 1994, p.269).

During the twentieth century, there has been an evolvement in the concept of madness. New theories and approaches that attempted to explain madness and explored the myriad aspects of its manifestations and symptoms began to flourish especially at the first half of the twentieth century. Rogers and Pilgrim (2021) present a comprehensive review of the theories and frameworks that examine and analyze mental illness including the disciplines that study mental illness such as psychiatry, psychology, sociology, law and psychoanalysis. As far as women are concerned, a feminist approach started to develop towards the latter half of the twentieth century with the goal of researching the dynamics and connections between gender and mental illness, and highlighting the “lived experiences of mentally ill women” and “women's voices rather than purely the views of the researcher; women are talked to, rather than talked about” (Wright and Owen 2001, p.144). According to Wright and Owen (2001), there are two camps when it comes to feminist approaches to the understanding of madness: the historical camp exemplified by Showalter (1987), who uses the historical context of the birth of asylums to argue that madness is used to control women. The second camp is represented by Chesler (1972) who uses the work of anti-psychiatrists such as Szasz (1961) to show that “female role itself is devalued and how women who are both close to, and depart from, female roles are liable to attract diagnoses of mental illness” (Wright and Owen, 2001, p. 144), a stance which will be the focus of the theoretical framework on women and madness in this paper.

Madness refers to “the meaning attached to the perception of illness or dysfunction in the psychological domain—the stigma attached—and to avoid entering into the discourse of

experts wherein these different classificatory systems are deemed to exist as entities in themselves, as illnesses which cause the disturbance in function in the first place” (Ussher 1991, p. 11). Thus, the definition of madness is not a straightforward concept that simply consists of a set of symptoms and treatments. Instead, there are many complex social, cultural and psychological factors along with the clinical ones to be considered when approaching a deeper understanding of madness. Taking this into account, critics of psychiatry—for example, the well-known philosopher Michel Foucault, Erving Goffman and medical doctor Ronald David Laing—label psychiatry as a “form of social control, one of the state institutions of oppression” (Polianskii, 2023, p. 1). Psychiatry according to this view, tends to “isolate and ‘stigmatise’ the carriers of non-normative rationality, individuals with different states of mind and patterns of behaviour” (Polianskii, 2023, p. 1). As such, madness or what is known today as mental illness, is an “evaluative concept” (Busfield 1994, p. 260). That is, madness categorizes the mental state of individuals, and labels their behavior, ideas “as abnormal, defective or disordered - that is, as undesirable” (Busfield 1994, p. 260). However, there is also a “social regulation involved in definitions of madness and the place of social expectations in governing the behaviour of the sick or mad person” (Busfield 1994, p. 260). This conceptualization blurs the distinctions between thought and action – between madness and “badness” (Busfield 1994, p. 260), and what emerges from this is the emphasis on irrationality which, to Foucault (1967), is directly interrelated with madness as he argues that madness stands in contrast to reason whilst irrationality is the key component to when a person is labelled “mad.”

Therefore, madness stands in opposition to two concepts. Firstly, madness stands in contrast to illness, and in this case, what is at stake is “physical functioning.” Madness on the other hand, also opposes wrong-doing or “badness” where the perception and understanding of behavior are the key. But the lines of distinction between madness and badness are often blurred (Busfield 1994, p. 261). This aptly applies to the social positioning of women in relation to madness particularly in light to Phyllis Chesler’s work in this regard, as the discussion in the next section will illustrate.

This paper will explore the representations of women as “mad,” with a focus on how hardboiled crime fiction (a crime genre that started in the interwar period and flourished during and after the Second World War in America) represents the connection between women and madness. This paper will provide a perspective and a framework for the portrayal of madness in hardboiled crime fiction by analyzing female criminality in relation to madness, hence highlighting how this genre ultimately reflects and reinforces societal ideations on gender roles, control and law and order. By investigating the depiction of the “madwoman” in one of the key texts of this genre, Raymond Chandler’s *The Big Sleep* (1939), this paper will question the portrayal of women in this genre and the expectations and perceptions inherent to the representations of women and madness. It will also explore how women’s subjugation and the maintenance of the myths surrounding the link between women and madness are interlocked with concepts such as law, control, and social and legal conventions—a connection that ultimately portrays the anxieties about gender roles and women’s agency in America at that time.

A Theoretical Framework on Women and Madness

Women are impaled on the cross of self-sacrifice. Unlike men, they are categorically denied the experience of cultural supremacy, humanity and renewal based on sexual identity and on the blood sacrifice, in some way, of a member of the opposite sex. In different ways, some women are driven mad by this fact. Such madness is essentially an intense experience of female biological, sexual and cultural castration, and a doomed search for potency (Chesler, 1989, p. 31).

In her prominent work *Women and Madness: The Female Malady*, Phyllis Chesler examines women's difficult and complex experiences within the medical and psychiatric system. Through both objective data and women's voices via interviews with female patients in mental institutions, Chesler studies the "female psychology" within the patriarchal culture of the medical system. Her work delves into the treatment of women by medical institutions and the reasons why women are regarded "crazier" than men. Chesler highlights the disparity between male and female treatment as far as mental illness is concerned, pointing out that "Women more than men, and in greater numbers than their existence in the general population would predict, are involved in 'careers' as psychiatric patients" (1989, p. xxxvi). Throughout her writing, Chesler emphasizes this disparity indicating that that 60% mental hospitals and clinics residents are females, and two thirds of those who receive mental health services and psychotherapy are females (Chesler, 1989, p.321). Regarding the explanations to this gap between male and female psychopathology, Chesler writes that what is considered "madness" "is either the acting out of the devalued female role or the total or partial rejection of one's sex role stereotype" (Chesler, 1989, p56).

Chesler's book also stresses how the sociocultural norms have historically shaped the perception and treatment of women deemed "mad" or "mentally ill." That is, women's experiences with madness are often rooted in societal and cultural hierarchy that denies women their agency and power as well as their mental culpability. The importance of Chesler's project is that it takes madness out of the exclusive medical (the biological, genetic, and clinical frameworks) and situates it, instead, in a sociocultural context where there are contradictions and discrepancies engendered by dominant normative roles where women's voices are often dismissed or neglected. For Chesler, it is evident that "for a woman to be healthy she must 'adjust' to and accept the behavioral norms for her sex even though these kinds of behavior are generally regarded as less socially desirable [...] The ethic of mental health is masculine in our culture" (1989, pp. 68-69). Hence, Chesler's work transforms the understanding and perception of the concept of madness "so that the very topic of *women and madness* now means something entirely different from the connotations it had before she took it up" in order to see how madness "was put upon women, and why it was false to simply see women as manifesting madness" (Spender, 1994, p.281).

The term madness is socially interchange with many labels: hysteria, insanity, irrationality, lunacy, among others. All these terms have been used not only in association with women, but they have also been used in a reductive way to invalidate women. The label "madwoman" has become linked with psychological and sociocultural connotations that define the female experience. It has become part of the literature, folklore, and social and cultural discourses about women. As Ussher opines,

to understand women's madness, we need to deconstruct the concept of madness itself, and look to these discursive practices which are associated with madness, recognizing the connections between discourses of madness and other discourses such as that [*sic*] of misogyny, power, sexuality or badness. (Ussher 1991, p.12)

Madness, thus, is a construct that is not identical to mental illness, although both terms are used interchangeably. Madness serves various objectives extending beyond the medical arena to have social and cultural dimensions and implications. In the same vein, Showalter in her work *The Female Malady* states that when both men and women exhibit the same symptoms, there is a clear distinction between what she calls "English malady" which is connected to men, and the "female malady" which is "associated with the sexuality and essential nature of women" (Showalter, 1987, p.7). Emphasizing the link between femininity and madness,

Showalter shows that the symptoms and manifestations of madness are related to the biological nature of women, hence her sexuality is at the heart of this discourse. Overall, there are two approaches when considering mental disorders in women, according to Tasca and others: “magic-demonological” and “scientific” views— and a woman is regarded not only vulnerable to mental illness but she is also “weak” and “easily influenced (by the “supernatural” or by organic degeneration), and she is somehow “guilty” (of sinning or not procreating)” (Tasca et al., 2012, p.110).

It is also noteworthy to mention the “madwoman” label is closely related to criminal women. Feminist scholars critique the treatment of criminal women in the criminal justice system as women are often found unfit by reason of insanity and easily dismissed as “mad” (Allen 1987, p.xi). Medical discourses, especially regarding women, are usually employed by the criminal and legal systems to dismiss any crime a woman commits and force her instead to undergo medical/psychiatric treatment. As such the criminal justice system uses medicalized women to take away their culpability and agency. Dorothy E. Chunn and Robert J. Menzies point to how feminists agree that those who work in the criminal justice system often “describe female offenders in terms of pathology compared with their male counterpart” (1990, p. 37), and the question at the heart of this discourse, as Smart notes, becomes: is mental illness in women “the functional equivalent” of crime in men? (1976, 149). In this regard, Chunn and Menzies also remark:

forensic decision-makers routinely reduce or eliminate the legal guilt of violent female offenders by transforming them into pitiful victims who lack moral guilt and, on the other hand, find their male counterparts doubly culpable. Consequently, men who are described as mentally disordered by clinicians may still end up in prison, while women who are not can actually be returned home to the scene and victim(s) of their offence. (1990, p.37)

However, there are other feminist scholars who studied female criminality (for example and Worrall, 1987; Daly, 1987) who suggest that the treatment of women in the criminal justice system depends on “ideologies and practices” at a certain point of time “in a particular form of political and social organization” (Chunn and Menzies 1990, p.37). Thus, the social and cultural factors in play in the dichotomy of women and madness are crucial to the assessment and perception of women and to the label of the “madwoman” especially when they commit crimes. Indeed, this image/stereotype of the “madwoman” is a recurrent one in literature including crime fiction, as the next section will illustrate.

Women, Madness, and Crime Fiction

In literature, madness is a theme that has consistently been used in works throughout historical periods. Lilian Feder examines madness as a motif in literature referring to “the nature of madness itself as an incorporation of the very values and prohibitions it challenges” (Feder, 1983, p.4). From Greek mythology to Renaissance literature as well as in modern and contemporary literary works, madness is a constant theme that interrogates human psychology, provides commentary on the social ills and human nature, and challenges social norms. Women have long been linked to madness in literature; they are depicted as emotional and irrational who are driven to madness by the patriarchal societies. There are numerous examples of the “madwomen” in literature, including *Jane Eyre* by Charlotte Brontë, *The Yellow Wallpaper* by Charlotte Perkins Gilman, and *The Bell Jar* by Sylvia Plath, to name only a few. Indeed, the depiction of women and madness have long been intertwined especially in the genre of crime fiction, which explores in complex and nuanced ways the deviant and dark side of human behavior and the desires and motivation behind criminal acts.

In crime fiction, the female protagonist is frequently subjected to suspicion, with her mental state and behavior being called into question by the male-dominated of institutional structures such as detectives and the police.

Feminist scholarship on crime fiction examined the role of females and the containment and punishments these protagonists usually face at the end of narratives. American hardboiled crime fiction is a genre that started in the 1920s with authors such as Dashiell Hammett, Raymond Chandler and James Cain. With narratives that depict urban cities in America with a “tough-guy” detective and a recurrent presence of a femme fatale who is blamed and punished, it is a genre that focuses on policing, control and clearly portrays the anxieties regarding gender roles before and after the Second World War. There is a body of feminist criticism that delved into questions of female representation, misogyny, female objectification and female agency. For example, critics like Frank Krutnik, Jopi Nyman and Jack Boozer describe hardboiled crime fiction as a “masculine” genre which conforms and affirms “disturbed masculine social order” (Nyman 1997, p.3). With this, women’s roles are considered in terms of stereotyped representations where the female protagonist is perceived as a threat to the male characters, the detective mostly – a threat that must be contained. This masculine agenda of crime narratives extends to the cultural context of American society in the first half of the twentieth century. As Nyman argues, “the focus is now on the different constructions of gender and their relationship to culture and history rather than on an individual writer’s intentions” (1997: 39), and hardboiled crime fiction, in Krutnik’s words, is seen as an “empathic process of masculinisation” (1991, p.42),

Therefore, in hardboiled crime fiction, female characters have ambiguous roles that blur the lines between the victim and the perpetrator. That is, even though female protagonists in hardboiled crime narratives are dangerous, they are sometimes medicalized and controlled. Madness in hardboiled stories is shown in different forms: female characters who are driven by psychological instability, revealing warped motives, or are trapped in an immoral and corrupt world of gangsters and criminals. As such women in this genre are presented as complex creations, both manipulative and charming who can also be criminals. Yet, they are also victims to the male-dominated world in which they live.

Thus, the trope of the “madwoman” in crime fiction serves to showcase the deeper societal and structural issues that shape the representations of women. Indeed, the “madwoman” is an expression of the anxieties that ravaged American society especially during and after the Second World War. The sexualized female body is a consistent presence in the narratives of this genre, for example in the novels of James M. Cain, that serves to objectify women. The female body is “where the contestation over notions of ‘womanhood’ takes place.” It speaks of “her femininity and is an object of desire, yet it also operates as a means for the woman to express agency through using bodily charms to perform acts of transgression” (Jaber, 2016, 26). In other words, the female body in the narratives “has a double function; it is the center of the male gaze and it is also a means through which the woman gains power.” But the “medicalized female characters” in the genre represent “a facet of the social control exercised against women” although these female protagonists also show resistance to be controlled and contained (Jaber, 2016, p.26). Therefore, the women in hardboiled crime fiction are both victims and agents; they are not simply victims of the violence that surrounds them, but they are an integral part of it. There is a moral ambiguity that involves female characters, especially the femme fatale, and “madness” is the site where this ambiguity resides.

Madness is thus tied to the social, cultural and psychological dimensions in which these women operate in this genre. Their presumed “madness” is part of the gender

constraints and limitations especially around and after the War. The narratives of this genre deliberately confuse the lines between madness and reason, between madness and badness, and showcase female characters with obsessions and struggles (such as Cora in *The Postman Always Rings Twice*, Brigit in *The Maltese Falcon* and Carmen in *The Big Sleep*), who are victims of violence around them but at the same time are perpetrators of crimes. Madness is also sometimes used as a justification for criminal behavior, yet these representations of “mad” women offer a poignant critique of gender roles in the US, as demonstrated in Raymond Chandler’s *The Big Sleep*, which will be discussed in the following section.

The “Madwoman” in Raymond Chandler’s *The Big Sleep*

Raymond Chandler’s first novel *The Big Sleep* (1939) depicts Philip Marlowe, the solitary cynic private eye, investigating a blackmailing case in the Sternwood family. He is called by General Sternwood to “take care of” Arthur Gwynn Geiger, a pornographer working under the guise of a rare bookstore, who has been blackmailing the General with IOUs signed by his younger daughter, Carmen who is shown to struggle with epilepsy and mental illness. The case is complicated when Marlowe is implicated in the corrupt world of crime that involves both of the General’s daughters, Vivian and Carmen. It turns out Carmen is a murderess who killed her brother-in-law, Regan, Vivian’s husband, and the story ends with Carmen being “sent away” as a cover-up for her crimes.

Chandler wrote *The Big Sleep* during the Great Depression and just before the Second World War. The “urban blight, corrupt political machines and de facto disenfranchisement of significant sections of the population through graft and influence-peddling” (Porter, 2003, p.96) set the background for the stories of the emerging genre of American hardboiled crime fiction. Marlowe’s world, in Jerry Speir’s words, is “a mixed bag of corrupt cops, smug aristocrats, penny-ante grifters, rackets bosses, conceited parents, rebellious children, naïve lovers, and related narcissists- all set amidst the blasé decadence of Hollywood and California” (Speir, 1981, p.136). In this world, evil, is not imposed by forces of nature or fate, rather it is the outcome of actions done by reckless crooked people. It is also the product of the social ills and tensions of a disordered society.

From the beginning of the story, the conflict between Marlowe and the two sisters, Carmen and Vivian, is shown through Marlowe’s rejection of the sexual games both sisters seem to play with him. It is made clear that Marlowe is caught not only with Carmen, but he also becomes part of the Sternwood’s world. The General describes his own daughters in words that reveal much about the whole family: “Vivian is spoiled, exacting, smart and quite ruthless. Carmen is a child who likes to pull wings off flies. Neither of them has anymore moral sense than a cat. Neither have I. No Sternwood ever had” (Chandler, 2000, p.10). When Marlowe asks the General if he talked to Carmen about the IOUs, the General replies, “she would suck her thumb and look coy” (Chandler, 2000, p.9). The obvious impression that could be made from the General’s words about the female characters is not a positive one, and his portrayal of the two women establishes the context and dynamics of corruption and crimes with which this family is involved, as well as painting a picture of the roles of the two sisters and their characterization in the novel.

Carmen is presented as unstable, immature “madwoman” from her first appearance in the novel. She, at the first meeting with Marlowe, throws herself into his arms and ‘giggles’ in a way which would characterize her throughout the novel, “When her head was against my chest she screwed it around and giggled at me. ‘You’re cute,’ she giggled. ‘I’m cute, too’” (Chandler, 2000, p.5). In his article “Translating Irony in Popular Fiction: Raymond Chandler’s *The Big Sleep*,” Daniel Linder argues that Carmen’s speech is colored with the motif of childishness in what Linder calls an “infantile vocabulary and very simple syntax”

(2001, pp. 97-108). Her “infantile vocabulary” is presented as a symptom of her mental illness. For example, the word 'cute' seems one of Carmen's favorites, and it shows the limitations in her vocabulary and her personality.

Yet, the repetition of the words 'cute' and 'giggle' proves to be deliberately employed by Chandler who uses irony as a device to illustrate a complicated relationship between Marlowe and Carmen and to point to Carmen's mental health challenges. We find that Marlowe, for instance, addresses Carmen as a child in a serious situation when he finds her drugged and posing naked to the camera with the dead body of Geiger next to her, “Let's be nice. Let's get dressed” and “Let's take a nice little walk” (Chandler, 2000, p.27). The “familial corruption” to use John Irwin's words, is the key to understand the family dynamics and Carmen's motivation to commit murder (2001, p.226). So even though Carmen is presented as a childish immature woman, she is also dangerous. Chandler confirms the connection between mental illness, femininity and criminality as it relates to Carmen. She kills Regan, shoots at Joe Broody only to graze his shoulder, and later attempts to kill Marlowe. She tries to seduce men, but she cannot tolerate the fact that her sexuality could be resisted. As Marlowe says during his encounter with Carmen at his apartment, “It's so hard for women- even nice women- to realize that their bodies are not irresistible” (Chandler, 2000, p.112). Carmen is also shown as seductive and alluring from the beginning of the book; she is a “naked damsel in distress” (Spear, 1981, p.30). But Marlowe rejects her and uses one of his best weapons, irony, telling her sarcastically that he is “the guy that keeps finding” her “without any clothes on” (Chandler, 2000, p.111). When rejected, she seeks revenge, and violence is the answer to men's rejection, which renders her as a determined but “mad” murderess.

Part of the image of the “madwoman” is established via the infantile references of Carmen. She always appears sucking her thumb, “You're just a big tease,” Carmen tells Marlowe. “She put a thumb up and bit it. [...] She bit it and sucked it slowly, turning it around in her mouth like a baby with a comforter” (Chandler, 2000, p.5). Thumb-sucking is symbolic both of an infantile regression and an invitation to sexual play, which Marlowe seems to ignore in both cases. Here the reader is obviously reminded not to view Carmen as a reasonable or mature woman and perhaps expect the worst of her. Such oral and digital references, which *The Big Sleep* is full of, “often suggest some disorder, decay, degeneration” (Simpson, 1991, pp. 87). In addition to the erotic connotation of thumb-sucking, Carmen is presented as 'childish' in a very negative and distorted sense; she is shown to be selfish and ignorant.

Carmen is also epileptic. Her epilepsy is presented as a symptom of her mental illness. She is shown to have epileptic seizures and the question here is: Is epilepsy the reason behind her murderous tendencies? As Plain argues, women's condition “on the verge of breakdown makes it an unsuitable site for erotic interest within the text” (Plain, 2001, p.62). However, the judgment that Carmen kills because of her epilepsy involves questions of her medicalization, culpability, and agency. Epilepsy, Peter Wolf notes, is unconvincingly incorporated in the novel. There seems to be a temptation to hang a murder on an epileptic character that would act irresponsibly during a seizure, and Chandler seems to fall for this temptation. Yet Carmen's seizure descriptions reveal that Chandler's treatment of epilepsy “in a problematic way [has been] influenced by preconceived ideas rather than facts” (Wolf 1995, p.14). In this regard, Alice Myers and Sarah Wright in their introduction to *No Angels: Women Who Commit Violence*, give a comprehensive account about the dichotomy of madness and badness:

When a woman transgresses the bounds of her prescribed gender role, her actions are translated in less threatening terms. The 'abnormality' of her 'unwomanly' behaviour is explained away: she is either mad (hysterical, suffering from pre-menstrual tension or Battered Woman Syndrome) or bad (the inadequate mother, the lesbian, the just plain evil). These 'justifications' recur in the representations of women who commit violence. (1996)

In fact, the question of mad and/or bad woman has been always part of the discourse on female criminality and its close connection to madness. The question of how the 'life-giver' turns into a 'life-taker' lies in the midst of the challenge of the stereotypes of the female as submissive and non-violent. This brings about the notion of the "standards by which femininity is judged"—how the portrayal of the female murderer "unhinges our assumptions about women" (Brich, 1996, p. 61) and interrogates the linkages between criminality, madness and women.

The representation of how an aggressive and sexually threatening woman is "separated from the human norm by her association with images of animality and madness" applies well to Carmen. She is both "mad" and a "snake" (Horsley 2001, p. 132). The description of her transformation into a "not nice animal" is vivid when she tries to kill Marlowe towards the end of the book, her "hissing sound grew louder and her face had the scraped bone look. Aged, deteriorated, become animal" (Chandler, 2000, p.156). According to William Marling, Carmen unites the two stereotypes of popular fiction. She is "the blonde, a favorite sexual provocateur of American melodrama" and the "succubus" from the medieval lore who is "marked by physical deformity and limited mentality" (Marling, 1986, p. 86-87). As Lee Horsley suggests:

It is an explicitly sexual iconography, and the threat by represented by the dangerous woman is sometimes simply that of the sexual predator dawning in a male protagonist who suffers loss of control and destabilisation of identity. Such anxieties are also, however, generated by the much more direct imitation of male aggression and appropriation of male power. (Horsley, 2001, p.130)

As such *The Big Sleep* illustrates a case of affinity between sexuality, criminality and mental illness. The representation of female criminality in Chandler's book can be linked to the image of the devious, promiscuous woman, but sexuality is not only the motive behind Carmen's murders, it also sets the whole layout of her image as a mentally ill woman. She is flirtatious but for whom "thinking was always going to be a bother", and above all a murderess who does not hesitate to pull the trigger. This portrayal might reflect an anxiety in a masculine dominated society about the roles of women. It is an anxiety that is best demonstrated in the light of a comparison between the representation of the gangsters and women in the book. Gangsters, especially Eddie Mars, are shown to be friendly and even respectable, thus, "[i]n this topsy-turvy world, there is honor among thieves and deceit and greed within families" (Speir, 1981, p.136). Women, on the other hand, are presented as a threat throughout the book. Reflecting on Carmen's personality, one could see that her depiction as mentally unstable and childish renders her in a position where her threat creates less anxiety in the 'tough guy' society. Marlowe's insistence to Vivian "to take her away" at the end of the book reflects the need not to admit her criminality and thus her agency (Chandler, 2000, p.162). In this manner, the socio-cultural constructions of femininity, mental illness and sexuality in the novel are delineated within the larger context of a rich corrupt American family in the 1930s. Chandler's females, however, are not simply objects of desire. Plain makes the case that:

Although outwardly attractive, they inwardly disappoint on the grounds of either psychosis or neurosis. Chandler is a skilled deployer of both femme fatale and the deadly innocent, but the depiction of these women is devoid of sensuality. Rather these representations of the feminine are harsh and unforgiving, delineated female sexuality that is perceived as threatening even as it attracts. (Plain, 2001, p.61)

Hence the question of Marlowe's repulsive attitude towards both Carmen and Vivian comes to bear a considerable significance in relation to Chandler's treatment of gender and mental illness in the novel. When Marlowe finds Carmen naked in his bed and asks her to get dressed and leave his apartment, she calls him a filthy name. Marlowe then forces her to leave, and when she does, he clearly shows an aggressive reaction, the "imprint of her head was still in the pillow, of her small corrupt body still on the sheets. I put my empty glass down and tore the bed to pieces savagely" (Chandler, 2000, p.113). This kind of behavior could be described as misogynistic and places him in a position of "woman-hater," as Marlowe himself points out his revulsion for women, "You can have a hangover from other things than alcohol. I had one from women. Women made me sick" (Chandler, 2000, p.113). The moral scheme of Chandler's world, furthermore, could be described as "pathologically harsh on women and pathologically lenient towards men" (Mason, 1977, p.95). But as Speir suggests, the context is a key factor for the understanding of these quotations pointing out to what he calls "woman-on-a-pedestal syndrome which is historically associated with Marlowe's kind of knight-errantry" (Speir, 1981, p.113-4). Marlowe, for example, just before his meeting with Carmen at his apartment when he tears the bed "savagely," has come out of another confrontation with her sister, Vivian, who also tried to use her sexuality to get information about Marlowe's mission.

Marlowe's decision at the end not to report Carmen to the police, and his insistence to "take her away" when he talks to Vivian is noteworthy. He explains that Carmen should be taken somewhere "far off from here where they can handle her type, where they keep guns and knives and fancy drinks away from her? She might get herself cured, you know, It's been done" (Chandler, 2000, p.162). This might be interpreted as an attempt on the part of Marlowe to protect Carmen through keeping her from killing somebody else or getting killed, in addition to protecting her from all the legal consequences for her actions. More convincingly however, Marlowe's silence to Carmen's murders may be considered as a symptom of the masculine anxiety that hesitates to admit the role of the woman as a capable murderer. Thus, he tries to view Carmen in the image of the mentally unstable who needs help. He, as an icon of the 'tough guy' in the hardboiled narrative, refuses to acknowledge Carmen's power and her ability to kill, and in this way, he might be afraid of Carmen despite the confidence he shows. The isolated knightly superiority of Marlow is nothing but a "hedge against his own neurotic unease. His inner-directed, intellectualizing defensiveness in such a reading acts as a compensation for paranoid fear and inadequacy" (Horsley, 2001, p.39). Medicalizing Carmen and dismissing her as a "madwoman" can be regarded more about control and containment than about her mental state. As such, *The Big Sleep* provides an example of the attempts to contain women when they are silenced and sent away, but at the same time the novel showcases that the female protagonist constantly try to escape and resist these constraints.

Conclusion

The bond between women and madness mirrors social views not only regarding mental illness and gender but also power, control and agency. This association between women and madness is a trope in literature, which has been used to examine a variety of themes including oppression and patriarchy, women's roles and power, and their resistance and subversion. The

examination of madness in literature, and crime fiction in particular, permits the exploration of the complex and nuanced female experiences and the “female psychology,” which makes room for a further investigation into the social and cultural dimensions of the portrayal of the “madwoman.”

Criminal women, especially the murderess, adds another dimension to the close association between women and madness. The medicalization of women is a recurrent tool used to discredit women and take away their agency. The image of a woman with a gun disturbs the gender positions and perceptions and threatens male-dominated structures. Additionally, female criminality has always been interpreted in terms of the pathological and the irrational. To attribute a murder committed by a woman to insanity or loss of control diminishes responsibility and culpability of the woman and makes the act motiveless— hence, this kind of representation of the violent female as “mad” could be seen as part of the patriarchal structure in a society that fears the over-independence and agency of women. In this fashion, it seems that Raymond Chandler in his book *The Big Sleep* establishes Carmen as an epileptic, childish “madwoman”, who showcases the anxieties about gender roles and the emphasis on masculinity in American society, and simultaneously reveals the power and threat women pose as they face the label of the “madwoman.” Chandler’s novel presents an example of a complex female character who embodies the dual characteristics of being a dangerous murderess but an unstable and childish woman at the same time. The duality in her representation mirrors the “masculine” genre and the criminal space of the book in which there is an insistent need for male dominance and order. However, the portrayal of Carmen also underlines the attempts of women to undercut the male protagonist’s role and her efforts in asserting her agency. By confirming the connection between female criminality and madness, this genre ultimately reflects yet subverts societal ideations on gender roles, control and law and order.

References

- Allen, H. (1987). *Justice unbalanced: Gender, psychiatry, and judicial decisions*. Milton Keynes: Open University Press
- Brich, H., ed. (1993). *Moving Targets: Women, Murder and Representation*. London: Virago.
- Busfield, J. (1994). The female malady? Men, women and madness in nineteenth century Britain. *Sociology*, 28(1), 259-277.
- Carlen, P. and A. Worrall, eds. (1987). *Gender, crime and justice*. Milton Keynes: Open University Press.
- Chandler, R. (2000). *The Big Sleep and Other Novels*. London: Penguin Books.
- Chesler, P. (1994). Extracts from Women and Madness. *Feminism & Psychology*, 4(2), 267-279.
- Chesler, P. (2018). *Women and madness*. Chicago Review Press.
- Chunn, D. E., & Menzies, R. J. (1990). Gender, madness and crime: The reproduction of patriarchal and class relations in a psychiatric court clinic. *The Journal of Human Justice*, 1(2), 33-54.
- Daly, K. (1987). Discrimination in the criminal courts: Family, gender and the problem of equal treatment. *Social Forces*, 66, 152-175.
- Feder, L. (1983). *Madness in literature*. Princeton University Press.
- Foucault, M. (1967). *Madness and civilization: A history of insanity in the age of reason*. London: Tavistock.

- Horsley, L. (2001). *The Noir thriller*. Basingstoke: Palgrave.
- Hunter, J. M., Shannon, G. W., & Sambrook, S. L. (1986). Rings of madness: service areas of 19th century asylums in North America. *Social Science & Medicine*, 23(10), 1033-1050.
- Irwin, J. T. (2001). Being boss: Raymond Chandler's *The Big Sleep*. *The Southern Review*, 37(2), 211 -248.
- Linder, D. (2001). Translating irony in popular fiction: Raymond Chandler's *The Big Sleep*. *Babel* 47 (2), 97-108.
- Marling, W. (1986). *Raymond Chandler*. Boston: Twayne Publishers.
- Mason, M. (1977). Marlowe, men and women. In M. Gross (Ed). *The world of Raymond Chandler*. (90-101). Weidenfeld and Nicolson.
- Myers, A. and S. Wright and, eds. (1996). *No angels: Women who commit violence*. London: Pandora.
- Plain, G. (2001). *Twentieth-Century crime fiction: Gender, sexuality and the body*. Edinburgh: Edinburgh University Press.
- Polianskii, D. V. (2023). Kant's concept of madness, psychiatry and anti-psychiatry. *SHS Web of Conferences*, 12th Kant-Readings Conference. 161, 07007 1-6.
- Porter, D. (2003). The Private Eye. In M. Priestman (ed.), *The Cambridge companion in crime fiction* (pp.95-115). Cambridge University Press.
- Rogers, A., & Pilgrim, D. (2021). *A sociology of mental health and illness 6th edition*. London: McGraw-Hill.
- Rzepka, C. (2000). 'I'm in The Business Too': Gothic Chivalry, Private Eyes, and Proxy Sex and Violence in Chandler's *The Big Sleep*. *Modern Fiction Studies*, 46(3), 695-72.
- Showalter, E. (1987). *The Female Malady: Women, Madness, and Culture in England, 1830-1980*. Penguin Books.
- Simpson, H. A. (1991). A Butcher's Thumb: Oral-Digital Consciousness in *The Big Sleep* and Other Novels of Raymond Chandler. *The Journal of Popular Culture* 25, 83-92.
- Smart, C. (1976). *Women, crime and criminology*. London: Routledge and Kegan Paul.
- Speir, J. (1981). *Raymond Chandler*. New York: Frederick Ungar Publishing Co.
- Spender, D. (1994). I. Women and Madness: A Justifiable Response. *Feminism & Psychology*, 4(2), 280-283.
- Szasz, T. S. (1961). The uses of naming and the origin of the myth of mental illness. *American Psychologist*, 16(2), 59–65. <https://doi.org/10.1037/h0040842>.
- Tasca, C., Rapetti, M., Carta, M. G., & Fadda, B. (2012). Women and hysteria in the history of mental health. *Clinical Practice and Epidemiology in Mental Health*. CP & EMH, 8, 110-119. <https://doi.org/10.2174/1745017901208010110>
- Ussher, J. M. (1991). *Women's madness: Misogyny or mental illness?* University of Massachusetts Press.
- Ward, C. (1982). A transcultural perspective on women and madness: The case of the mystical affliction. *Women's Studies International Forum*, 5(5), 411-418.
- Wolf, P. (1995). Epilepsy in Literature. *Epilepsia* 36(1), 12-17.
- Wright, N., & Owen, S. (2001). Feminist conceptualizations of women's madness: A review of the literature. *Journal of Advanced Nursing*, 36(1), 143-150.

RESEARCH TITLE

Advanced Geological and Mineralogical Analysis of Monazite: A Comparative Study Between Iraq and Egypt Using X-rays and Project Material

Zahraa Jassim Mohammed Al-Jaafari¹

¹ Wasit Education Directorate, PhD student at Babylon University, Iraq,
HNSJ, 2025, 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/33>

Received at 07/07/2025

Accepted at 15/07/2025

Published at 01/08/2025

Abstract

This study presents a comparative geological and mineralogical analysis of monazite between Iraq and Egypt, focusing on the radioactivity and physicochemical properties of low-grade monazite ores. Monazite, a rare earth element (REE) phosphate mineral, is analyzed for its thorium, uranium, and rare earth content, which has important implications for nuclear fuel production and advanced technological applications. The study examines the radioactive by-products generated during the chemical processing of monazite ores, with an emphasis on ensuring workers' health safety through careful monitoring of radiation levels, including alpha, beta, and gamma radiation. Thoron and radon gas emissions were also measured, with and without the addition of barium salts, to assess the total effective dose of harmful nuclear radiation. Geological and radiometric surveys in Kurdistan, Iraq, have identified significant radioactivity anomalies, particularly in the Qalat Diza region, with high thorium and uranium concentrations. These findings highlight the potential for extracting valuable radioactive materials, albeit with enhanced safety precautions due to the high radiological risks associated with processing. The comparative study also investigates the differences between Iraqi and Egyptian monazite samples in terms of their bandgap energy, thorium concentration, radiation levels, and crystalline structure. The results suggest that Iraqi monazite holds greater potential for energy and technological applications, though with higher radiological risks, while Egyptian monazite is comparatively safer for industrial use. This research underscores the need for continued geological exploration and radiological assessment to optimize the use of monazite in various fields, including nuclear fuel and electronic device production.

Key Words: Monazite, Radioactivity, Thorium, Uranium, Rare Earth Elements.

التحليل الجيولوجي والمعدني المتقدم للمنوزيت: دراسة مقارنة بين العراق ومصر باستخدام الأشعة السينية وبرنامج (Project Material)

المستخلص

تقدم هذه الدراسة تحليلاً جيولوجياً ومعدنياً مقارنةً للمنوزيت بين العراق ومصر، مع التركيز على النشاط الإشعاعي والخصائص الفيزيائية والكيميائية لخامات المنوزيت منخفضة الدرجة. يتم تحليل المنوزيت، وهو معدن فوسفاتي يحتوي على العناصر الأرضية النادرة (REE)، من حيث محتواه من الثوريوم واليورانيوم والعناصر الأرضية النادرة، مما له تطبيقات هامة في إنتاج الوقود النووي والتطبيقات التكنولوجية المتقدمة. تدرس الدراسة النفايات الإشعاعية الناتجة عن العمليات الكيميائية في معالجة خامات المنوزيت، مع التركيز على ضمان سلامة صحة العمال من خلال مراقبة مستويات الإشعاع بعناية، بما في ذلك إشعاع ألفا وبيتا والأشعة السينية. تم قياس غازات الثورون والرادون أيضاً، مع إضافة وبدون إضافة أملاح الباريوم، لتقييم الجرعة الفعالة الإجمالية للإشعاع النووي الضار. أظهرت الدراسات الجيولوجية والإشعاعية في كردستان العراق وجود شذوذات إشعاعية كبيرة، لا سيما في منطقة قلات ديزا، مع تركيزات عالية من الثوريوم واليورانيوم. تسلط هذه النتائج الضوء على إمكانيات استخراج المواد المشعة القيمة، على الرغم من الحاجة إلى تدابير أمان محكمة بسبب المخاطر الإشعاعية العالية المرتبطة بالمعالجة. كما تدرس الدراسة المقارنة الفروق بين عينات المنوزيت من العراق ومصر من حيث طاقة الفجوة، وتركيز الثوريوم، ومستويات الإشعاع، وهيكل البلورات. تشير النتائج إلى أن المنوزيت العراقي يحمل إمكانيات أكبر للطاقة والتطبيقات التكنولوجية، رغم المخاطر الإشعاعية العالية، بينما يعتبر المنوزيت المصري أكثر أماناً للاستخدام الصناعي. تؤكد هذه الدراسة على ضرورة استمرار الاستكشافات الجيولوجية والتقييمات الإشعاعية لتحسين استخدام المنوزيت في مختلف المجالات، بما في ذلك إنتاج الوقود النووي والأجهزة الإلكترونية.

الكلمات المفتاحية: المنوزيت، النشاط الإشعاعي، الثوريوم، اليورانيوم، العناصر الأرضية النادرة.

Introduction:

A quantitative approach to the radioactivity concentration of low-grade monazite ore processing (50%) and determination of different generated by-products during different chemical processes is of significant value to prevent workers' health benefit. The chemical processing of low-grade monazite involves several stages. These are the characterization of monazite minerals for actinide content, radioactive character and dose rate estimation so to create a preliminary evaluation for the complete process both for the input and output materials.

The main irradiation chambers for irradiation monitoring and radionuclide monitoring were mineral dissolution, isolation of partial metals of the total end, and solid waste ashes of the process. Depending on the level of the radioactive activity screening, reduction may be necessary to reduce dose rate.

Various types of dangerous nuclear radiation in different strength fields are released by radioactive sources, alpha and beta particles and gamma rays for example. The thoron and radon gases were measured and trapped by the addition of barium salts. The total effective dose of harmful nuclear radiation throughout the treatment of monazite raw material was established at various production scales, on the laboratory and semi-pilot scales, for and without the presence of barium salts [1].

Monazite is an unusual phosphate mineral that carries the rare earth elements (REE) together with thorium and it has some specific properties which make it attractive for many applications industrial and scientific. It is mainly found in igneous rocks and beach sand and is identified by its light to dark yellow appearance, as well as its resistance to discoloring and scratching.

Because of these unique properties, monazite has been used in diverse applications such as solar panels, electronic devices, medical instruments, optical devices. In addition, monazite exhibits special nuclear properties that allow it to serve as a source of nuclear fuel and weapons. Nevertheless, it is highly restricted for use in those fields because it has potential environmental and human health hazards.

In geological studies, monazite is a common mineral used for U–Pb radiometric dating of zircon and is often used to determine the ages of mountain ranges. For geological and geophysical studies, it is an important method used for tying rocks and soils of known age and composition to past geomagnetic field intensity transitions. Monazite is also used in numerous medical applications, for example optometry and medical instruments, and remains an important compound in electronics and the like by virtue of its interesting physicochemical properties.

Geological and Radiometric Survey Results in Kurdistan Iraq

Regional geological mapping and exploration carried out between 1971 and 1989 delineated substantial radiometric anomalies correlating to numerous sites in the overlaid Zagros Belt of the Kurdistan Region of Iraq. One of the best areas is the Qalat Diza region which showed strong radiometric anomalies with associated uranium and thorium mineralization. Thorium concentrations up to 30,000 ppm and uranium contents of 2,640 ppm, and radioactivity values of 3,500 counts per second (C/S) have been found for some samples of granite and pegmatite rocks.

Petrographic and geochemical analyses suggested that radioactive elements might have been substituting for zirconium and calcium in certain silicate minerals, including plagioclase and pyroxene. Furthermore, deep faults and fractures would have facilitated the extraction of

uranium and thorium-enriched mineral-bearing fluids down to the region, where it is widespread concentrated as ore.

The concentration-contour plot also revealed relatively high U/Th ratio especially in Qalat Diza rocks, this is considered as indication that the radioactive elements may have been mobilized and migrated from their original sites. Elsewhere, such as at Kalala, Rayat and Zakho, the radioactivity was reported within carbonates and coal-bearing horizons, whereas no radiometric anomalies were found at Jwarta and Mawat areas.

It was concluded that detailed studies were recommended, especially in the Qalat Diza area. It stressed the importance of researching ore-hosting fractures and using additional detection techniques, such as radon emanation tracking, to detect concealed accumulations. [8]

The monazite (Ce,La,Th)PO₄ microstructure from calcium-poor aluminous granites and metapelites. Assets for geological dating (Th-U-Pb) are also related to monazite through its rare lead content and strong refractory quality. It is, however, a fine grained material (100 mm) and must be analyzed using sophisticated techniques such as Scanning Electron Microscopy (SEM) and electron microprobes. Due to its special chemical and crystallographic properties, monazite is one of the best candidates for geological age dating. One of the most widely used).—Thorium-uranium-lead (Th-U-Pb) EPMA mmm dating—the technique... monazite mineral and the content of common (elementary) lead is much smaller than the term of the isotopic time. It also exhibits extremely low radioactive lead diffusivity even at high temperatures[*note 2*] which means it is also able to retain dating information very well.[*note 3*] There is also a very high content of uranium in monazite, which means that grains as small as 10 microns can be easily used because that such grains will be enriched with enough uranium to retain dating information even at very low temperatures due to the high uranium content. The new formulation

Monazite is found in high-grade metamorphic rocks and granites in a range of grain sizes. Short and long prismatic shapes with round or blunt ends are frequent, as are amebiform (irregular) and striated forms. The grains are very irregularly shaped and frequently form separate layers in these clusters. The small sizes usually predominate, and monazite in metamorphic rocks of contact with metamorphic psammophytes have no distinctly structural (genetic) appearance.

Under EPMA observation monazite commonly occurs with chemical zonation (heterogeneity). The zoning of Th and La is commonly coupled with Ca, Si and LREE zoning, in keeping with cation-exchange controlled processes. Th and La zoning is present in the grain although not strongly correlated between different areas. The Pb distribution is found a function of Th, La and age of the crystal. La zoning is considered to represent the growth history of monazite.

It should also be mentioned that monazite grains that are densely included (their gaps are filled by growth around the inclusions) may seem to have the core having the same composition as the rim in thin sections. Interpretations of the growth history of zonal grains should consider this possibility. Growth of particular monazite grains also seems to cease and resume at a later time which likely cause the development of growth arrest surfaces and potentially nacreous monazite.

Monazite does not commonly exhibit age zoning (age differences within individual grains). Even in backscattered electron (BSE) images with well-developed grayscale contrast, this does not imply a strong difference in age, although as a prominent example both a dark Permian core and a light Cretaceous rim are displayed. The much younger (e.g., younger than 50 Ma) monazite rims inside sillimanite–biotite grains in gneiss may have recorded fluid-

assisted recrystallization during retrograde interaction with the magma at semisolid state. This is supported by the fact that monazite grains, enclosed in garnet (which were closed to fluid) do not possess such younger rims. These exceptions are of significant consequence for geological dating.

Evidence from naturally age-zoned monazites, which also include monazites from granitic contact zones, indicates that at the micron scale, diffusion did not significantly change the chemical distribution of elements such as lead. This observation supports the 900°C lower limit on closure in Th-U-Pb system that has been obtained from experimental diffusion studies in monazite. [9]

Mineral Identification

Modern techniques of automated mineralogy were used with a Quanta 650-FEG-MLA scanning electron microscope at FEI (Hillsboro, OR, USA), in combination with chemical analysis using a Bruker Flash EDS spectrometer. Such analyses were done on whole thin sections of garnet-bearing micaschist and gneiss. Electron beam parameters were accelerating voltage of 25 kV and current of 10 nA.

FEI's Mineral Release Analysis software (MLA version 2.9.0.7) was employed to automatically map the electron beam over the sample and identify mineral grains via EDS analysis, generating many energy dispersive spectra. This technique assisted in distinguishing minerals, such as monazite and xenotime, and monitoring their fine-scale association around ~100 µm of the selected grains with an advanced phase search algorithm.

These are the data that were used to identify the most Rx appropriate monazite grains for radiometric dating (Th-U-Pb) and for high-resolution electron microprobe (EPMA) chemical imagery. The GXMAP spectral mapping method provided a dense grid of ~1600 EDS spectra per square mm also for garnet and biotite, the main mineral-phases occurring in the examined rocks.

For reliable phase classification, end-member reference spectra were acquired on matrix phases and on EMS of the porphyroblastic garnet (core, mid-rim). Garnet-related spectra were separated according to the proportions of Fe, Mg, Mn, and Ca. When these spectra were color scaled, semi-quantitative directory maps were created that may be cross-referenced to the WDS analysis results. Based on this method, only a few typical garnet crystals were sampled out of dozens of samples for precise WDS and EPMA EPMA spot of scanning analysis of their chemical compositions. [Petrographical dating of garnet-monazite-bearing micaschist rocks as an indicator to interpret the ALpine Basement metamorphism[10]

By Bernhard Schulz Orchid

Institute of Mineralogy, Economic Geology, and Petrology, Burg-Technical Academy in Freiberg, Brennhaugasse 14, D-09599 Freiberg, Saxony, Germany

Minerals 2021, 11(9), 981; <https://doi.org/10.3390/min11090981>



Monazite Radiogram

Monazite was first discovered in 1880 in Norway by French geologist Pierre Monaz. Monazite has peculiar nuclear attributes, and is therefore valuable in the production of nuclear fuel and nuclear weapons. However, its applications in these fields are limited by being hazardous to the environment and human.

Concentration and separation of minerals from black sand deposits

The three popular separation techniques are: 1. Gravitational separation (TECH gravitate): It is based on density of the minerals.

The particles composing these minerals can further be refined and separated by wet processes such as gravity separation using spirals, and vibrating water. 2. Magnetic separation can be carried out (TECH-magnetic) dry and wet, also be low intensity magnetic separator or high intensity magnetic separator.

Electrostatic separation.

Minerals are classified as conductive or non-conductive minerals. [2]

Crystal Data: Monoclinic; metamict if thorium-rich. *Point Group:* $2/m$. Crystals typically tabular on {100}, may be prismatic, equant or wedge-shaped, to 27 cm; granular, massive. *Twinning:* Common, {100} as twin and composition plane, as contact twins.

Physical Properties: *Cleavage:* {100}, distinct; {010}, poor; parting on {001} or $\{111\}$. *Fracture:* Conchoidal to uneven. *Tenacity:* Brittle. *Hardness* = 5–5.5 $D(\text{meas.}) = 4.98\text{--}5.43$ $D(\text{calc.}) = 5.26$ Radioactive if thorium-rich. Dull brown cathodoluminescence. Paramagnetic.

Optical Properties: Translucent to opaque. *Color:* Reddish brown, brown, pale yellow, pink, gray; yellowish brown to yellow in transmitted light. *Luster:* Resinous, waxy, vitreous to adamantine.

Optical Class: Biaxial (+). *Pleochroism:* Weak; in pale yellows. *Orientation:* $X = b$; $Z \wedge c = 2^\circ\text{--}6^\circ$. *Dispersion:* $r < v, r > v$, weak, horizontal. *Absorption:* Distinct; $Y > X = Z$. $\alpha = 1.770\text{--}1.793$ $\beta = 1.778\text{--}1.800$ $\gamma = 1.823\text{--}1.860$ $2V(\text{meas.}) = 10^\circ\text{--}26^\circ$

Cell Data: *Space Group:* $P2_1/n$. $a = 6.7902(10)$ $b = 7.0203(6)$ $c = 6.4674(7)$ $\beta = 103.38(1)^\circ$ $Z = 4$

X-ray Powder Pattern: Sri Lanka.

2.862 (100), 3.078 (80), 1.963 (50), 2.151 (40), 1.738 (40b), 3.285 (35), 1.876 (30)

Chemistry:	(1)	(1)	(1)
	P ₂ O ₅ 27.4	ThO ₂ 11.6	Pb ₃ O ₄ 0.1
	U ₃ O ₈ 0.4	Al ₂ O ₃ 0.02	CaO 1.0
	SiO ₂ 0.4	RE ₂ O ₃ 59.24	Total 100.16

The monazite radiograms are a function of the type of monazite and the radioactive element content.

It is recognised that monazite is the source of some radioactive elements such as uranium, thorium, and potassium, but they exist in such minute amounts that they do not pose a public health risk. Radio-active Elements in Monazite.-The content in the monazite of radio-active substances can be estimated from the monazite radiograms, with the help of a Major Muller counter or nuclear spectroscopy. Radiogrammetry can be utilized to assess the environmental and public health effect of monazite by various imaging modalities, e.g., X-rays, gamma rays and beta radiation. [3] Monoclinic crystal data metamict If thorium-rich, thenborne It is $2/m$ (uniaxial) It can also be pointed, acicular or wedge-shaped up to 27 cm, granular, massive and

it is a common black. Optical characteristics: Translucent to opaque, reddish brown, pale yellowish brown, pinkish gray, yellowish brown to yellow in transparency/ Transparence (luster): Resinous, Waxy, Vitreous[4]

(Ce,La)PO₄

[4]For monazite

Use a program Materials Project to perform theoretical calculations of the structure, surface, and cells using X-rays. Parameters and Affinity Details of parameters and affinity for accounts **GGA and GGA+U**

managed by the project

Lattice (Conventional)	
a	6.47 Å
b	7.03 Å
c	8.20 Å
α	90.00°
β	126.27°
γ	90.00°
Volume	300.82 Å ³

Calculation Parameters

To model the core electrons we use the Projector Augmented-Wave (PAW) method [43] and a cutoff energy of 520 eV. This value is 1.3 times the largest cutoff recommended for all the pseudo-potentials used (additional information in the pseudo-potentials section).

A Monkhorst-Pack k-point mesh with size of 1000/number of atoms per unit cell is taken in all calculations. Namely, Monkhorst-Pack k-point sampling (at the Γ point center for h.c.p. cells) and tetrahedron k-point integration are employed.

Note, however, that these default parameters can be adjusted in pymatgen if they are not optimal for the specific calculation (e.g., by choosing a different k-point integration scheme).

We provide further information on how we performed the calculations in the 'Methods' section, similar to in Ref. [1], but several of the parameters are more recently optimized in the Materials Project.

The latest input sets are available at:

<https://github.com/materialsproject/pymatgen/tree/master/pymatgen/io/vasp>

Total Energy Convergence

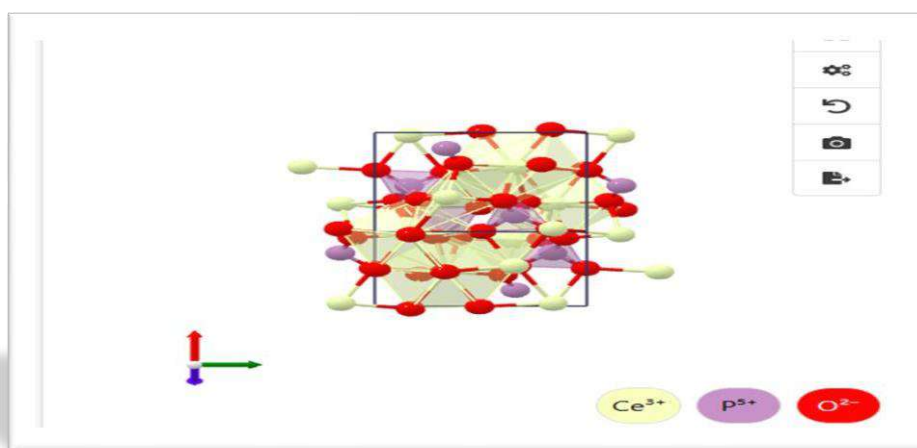
As was previously discussed, we are currently working with a 1000k/mesh pra. Nevertheless, we performed a convergency test on total energy to k-point density and the difference of

convergence energy for a subset of chemically diverse compounds from a former parameter set with a 500 k-points mesh (pra). Applying 500 k-point mesh, quantitative atomic numerical convergence for the majority of the investigated compounds was ≤ 5 meV/atom and 96% of the compounds reached convergence ≤ 15 meV/atom.

It is anticipated that with the denser k-point mesh used, better results will be obtained with the new parameter set. The level of convergence will vary with the chemical system; for example, the convergence of the oxides is mostly better than 1 meV/atom [5].

Structural Convergence

The energy difference to achieve ionic convergence was less than 0.0005 eV per atom in the cell. Information on the anticipated accuracy based on cell size is provided in a previous paper [1]. We discovered that with these parameters we obtain reasonably good-converged structures in most cases. For structures to be used for additional calculations (e.g. elastic constants, phonon modes,...) that require more converged atomic positions and cell parameters, we advise users to optimize structures using tighter cutoffs, or within strict convergence mode.



Material Properties Table

Property	Value
Energy Above Hull	0.000 eV/atom
Space Group	P2 ₁ /c
Band Gap	0.00 eV
Predicted Formation Energy	-3.430 eV/atom
Magnetic Ordering	Ferromagnetic
Total Magnetization	1.00 μ B/f.u.
Experimentally Observed	Yes

Crystal Structure
Lattice (Conventional)

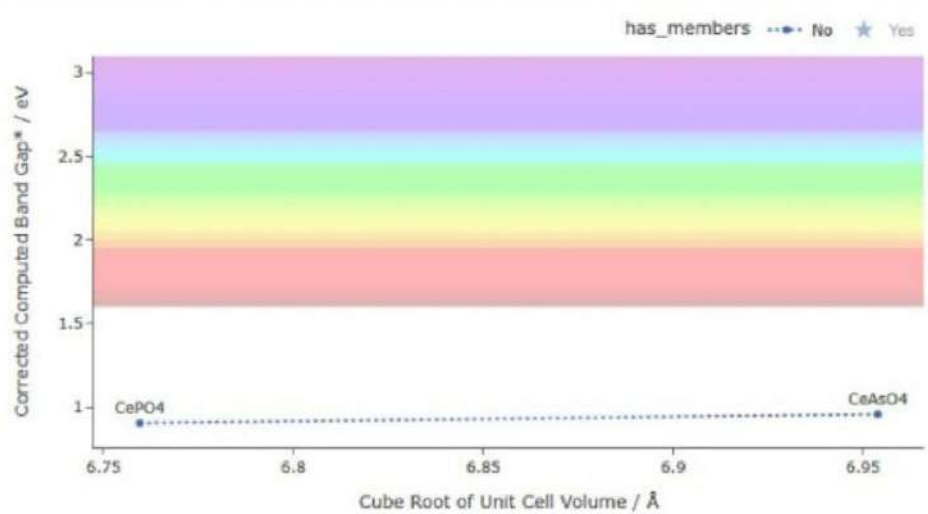
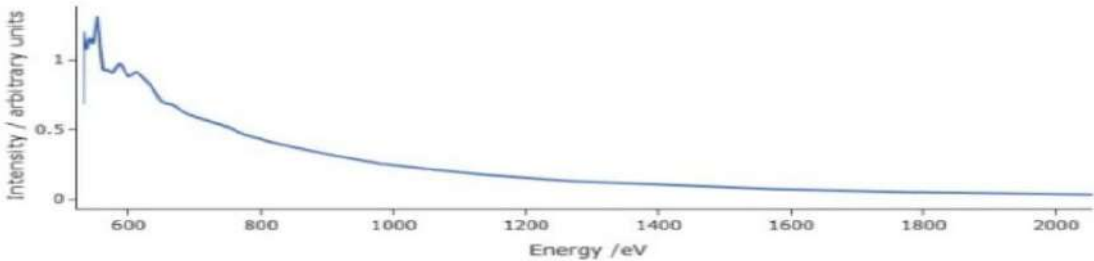
Atomic Positions				
Wyckoff	Element	x	y	z
4e	Ce	0.184083	0.34149	0.7
4e	P	0.692938	0.337544	0.1
4e	O	0.418852	0.286728	0.1
4e	O	0.667395	0.394841	0.9
4e	O	0.807778	0.005604	0.1
4e	O	0.883702	0.33047	0.1

Absorbing Element

O

Spectrum Type

EXAFS



Alloy Formula	Material A	Material B
Ce(P _{1-x} As _{1-x})O ₄	CeAsO ₄ (mp-10772)	CePO ₄ (mp-4136)

* Computed band gaps with an empirical correction will be closer to experimentally-measured band gaps but will still incorrectly predict some small-gap semiconductors as metallic. For more information, consult the Materials Project documentation.

Conclusion:

In this work, the EXAFS spectrum at the oxygen atom is reported, which reveals the local atomic structure around the oxygen-absorber. The EXAFS spectrum exhibits fine oscillatory features above the main absorption edge, which are due to interference effects between neighboring atoms. This analysis is essential for an understanding of the structural and electronic properties of oxygen containing materials.

Summary of Monazite Band Gaps Analysis

Monazite, is a rare earth and thorium bearing phosphate and is electronically not trivial as can be seen from the analysis of the bandgap. Monazite energy gap values fall between 1.5 electron volts (eV) and 6.75 eV, with most falling in the 1.5 to 5.5 eV range. The chemical composition of monazite, specially its rare earth element (REE 59.24%) and thorium (11.6%) contents are important in order to understand its electronic properties. The effective bandgap value is lowered by rare earths and electron transport is influenced by crystal distortions introduced by thorium.

The POD data separate into two regions, which represent pure ("has_members: No") materials with intermediate bandgaps (3-5 eV) and modified ("has_members: Yes") materials with bandgaps between (1.5-3 eV) or greater than (5 eV) the average, due to doping or modification process. These findings indicate that this mineral has the technological potential for several applications that include solar cells (1.5–3.5 eV), photocatalytic materials (3.5–5.5 eV) and even for radioactive waste storage (>5.5 eV) induced by thorium. However, there are substantial difficulties such as the radiation forcing of thorium (a negative UV source) and the complexity of the crystal structure, which should be treated more elaborately using, for example, quantum modeling or experimental absorption spectroscopy. These findings indicate the promises of Monazite for advanced materials, demanding more further investigation for optimization of the properties and abilities.

The comparative bar graph positions five most significant physicochemical and radiological features of monazite samples taken from Iraqi and the Egyptian sources in bandgap energy, thorium concentration (Th%), percent of REE, radiation level, and crystalline a unit volume cell.

First, the band gap energy is relatively some higher value in the Egyptian sample (3.2 eV) than in the Iraqi sample (2.8 eV) which indicates more insulating behavior and non-metallic type. The above indicates that Egyptian monazite is more likely than the Brazilian monazite to be used for applications in optics or radiation shielding. On the other hand, the small bandgap of the Iraqi monazite indicates high electrical conductivity which might be of interest for energy storage or electronic devices.

In view of thorium, the Iraqi sample shows a higher content than the Egyptian one by about 1.5%. So that means that it has greater radioactive potential, it's better for nuclear fuel or energy uses, but on the other hand it has to have these greater safety precautions through the extraction, handling, and processing of it.

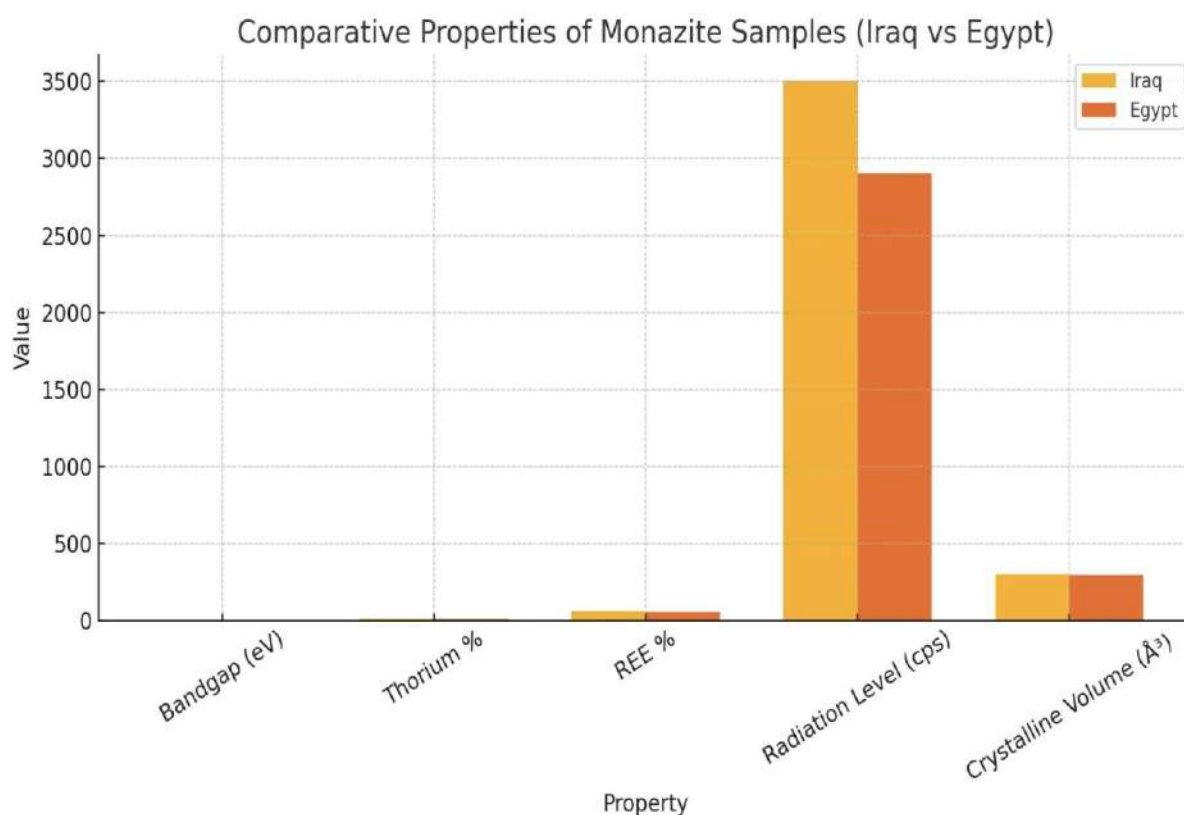
With regard to the REE contents, the Iraqi monazite also has long term slightly higher potential (60.5% vs. 57.3%), increasing its industrial appeal for production of advanced materials such as permanent magnets, batteries and advanced electronics.

Playing into this scenario are the readings on the radiation levels shown in counts per second (cps): monazite from Iraq produces 3500 cps, for example, versus the 2900 cps shown for monazite from Egypt. This is in agreement with the increased thorium/REE but underlines careful radiological control.

The crystalline unit cell volume (CUCV) of Iraqi sample is larger ($300.82 \text{ \AA}^3$) than that of the Egyptian one ($295.12 \text{ \AA}^3$), which can be related to the structural deviations in atomic content. Such variation can alter density, thermal behaviour and structural stability.

In conclusion, Iraqi monazite has a great potential for energetic and technology, but with high radiological risk. On the other hand, monazite from Egypt is more secure and stable due to the less harmful characteristics for an industrial application. Each source has its ups and downs strategically, depending on the purpose of the intended use.

Property	Iraq	Egypt
Bandgap (eV)	2.8	3.2
Thorium Content (%)	12.0	10.5
Rare Earth Elements (REE %)	60.5	57.3
Radiation Level (cps)	3500	2900
Crystalline Volume ($\text{\AA}^3$)	300.82	295.12



References

1. Abdel Wahab, K., Rabie, Y.A., Abdel-Razek, A.F., & Tawfik, M. (Year). *Preliminary Assessment Scheme of Radioactivity and Dose Rate Accompanied by Operations*. Available at: Google Scholar Link.
2. Egyptian Nuclear Materials Authority. (1977). *Rashid Project for the Extraction of Economic Minerals from Black Sands*. Author: Yasser Mohamed Salam.
3. International Resources:
 - Wikipedia – Free Encyclopedia
 - National Center for Biotechnology Information (NCBI)
 - International Atomic Energy Agency (IAEA)
 - World Health Organization (WHO)
 - Iraqi Atomic Energy Commission
4. Mineral Data Publishing. (2001–2005). Version 1.
5. Jain, A., Hautier, G., Moore, C., Ong, S.P., Fischer, C.C., Mueller, T., Persson, K.A., & Ceder, G. (2011). A High-Throughput Infrastructure for Density Functional Theory Calculations. *Computational Materials Science*, 50, 2295–2310. DOI: 10.1016/j.commatsci.2011.02.023
6. Wang, L., Maxisch, T., & Ceder, G. (2006). Oxidation Energies of Transition Metal Oxides within the GGA+U Framework. *Physical Review B*, 73, 195107. DOI: 10.1103/PhysRevB.73.195107
7. The Materials Project. Comprehensive platform for computational materials science. Website: <https://materialsproject.org>
8. Mahdi, M.A., & Abdul-Dulaimi, M.R. (2010). Assessment of Radiometric Anomalies Discovered in the Kurdistan Region of Iraq. *Iraqi Bulletin of Geology and Mining*, 6(1), 1–15.
9. Schultz, B. (Year). *The Microstructure of Monazite and its Interpretation in Petrology*. Department of Economic Geology and Petrology, Institute of Mineralogy, Freiberg University of Mining and Technology, Freiberg/Saxony, Germany.
10. Schulz, B. (2021). The Microstructure of Monazite and its Interpretation in Petrology. *Minerals*, 11(9), 981. DOI: <https://doi.org/10.3390/min11090981>

عنوان البحث

**أثر التحصيل الإلكتروني على زيادة الإيرادات العامة: دراسة حالة وزارة المالية
بولاية شمال كردفان**

د. علي عبدالرحمن سالم احمد¹، د. عز الدين محمد فضل الله عبد الله²، عبدالقادر حسن الضو محمد³، واثر فؤاد حمزه تبن⁴

¹ قسم الاقتصاد كلية الاقتصاد والدراسات التجارية، جامعة كردفان، السودان. بريد الكتروني: aliabdalbur702@gmail.com

² قسم الاقتصاد، كلية الاقتصاد والدراسات التجارية، جامعة كردفان، السودان. بريد الكتروني: eizeddinn@gmail.com

³ قسم الاقتصاد، كلية الدراسات العليا، جامعة كردفان، السودان .

⁴ قسم الاقتصاد، كلية الدراسات العليا، جامعة كردفان، السودان. بريد الكتروني: watherfouad702@gmail.com

HNSJ, 2025, 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/34>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/68/34>

تاريخ النشر: 2025/08/01م

تاريخ القبول: 2025/07/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/07/07م

المستخلص

تهدف الدراسة إلى تقييم تأثير تطبيق نظام التحصيل الإلكتروني على زيادة الإيرادات العامة في وزارة المالية بولاية شمال كردفان، من خلال دراسة حالة في مدينة الأبيض. اعتمدت الدراسة على استبانة كأداة لجمع البيانات من عينة مكونة من 25 فردًا، وتم استخدام المنهج الوصفي التحليلي للتحليل. أظهرت النتائج وجود علاقة معنوية بين زيادة الإيرادات نتيجة للتحصيل الإلكتروني، حيث ساهم النظام في تحسين كفاءة جمع الإيرادات وتقليل التأخير في العملية. كما أوصت الدراسة بتطوير وتحسين نظام التحصيل الإلكتروني ليصبح جزءًا من الخدمات الإلكترونية الحكومية، إضافة إلى تدريب المستخدمين بشكل أفضل وحل المشاكل الفنية المتعلقة بالبرامج.

الكلمات المفتاحية: التحصيل الإلكتروني، الإيرادات العامة، الكفاءة التشغيلية، البنية التحتية التكنولوجية، التحول الرقمي.

RESEARCH TITLE

**The Impact of Electronic Collection on Increasing Public Revenues:
A Case Study of the Ministry of Finance in North Kordofan State.****Abstract**

This study aims to evaluate the impact of applying the electronic collection system on increasing public revenues in the Ministry of Finance in North Kordofan State, through a case study in the city of El-Obeid. The study relied on a questionnaire as a data collection tool from a sample of 25 individuals, using a descriptive and analytical method for analysis. The results showed a significant relationship between the increase in revenues resulting from electronic collection, as the system contributed to improving the efficiency of revenue collection and reducing delays in the process. The study recommended developing and improving the electronic collection system to become part of the government's e-services, along with better user training and resolving technical issues related to the programs.

Key Words: Electronic Collection, Public Revenues, Operational Efficiency, Technological Infrastructure, Digital Transformation.

المقدمة

تشهد الحكومات في جميع أنحاء العالم تحولاً جذرياً في طرق إدارة الإيرادات العامة، حيث تتجه بشكل متزايد نحو تبني التقنيات الرقمية لتحسين كفاءة عمليات التحصيل وزيادة الإيرادات. يُعد التحصيل الإلكتروني للإيرادات العامة من أبرز التطورات التكنولوجية التي تساهم في تحديث الأنظمة المالية الحكومية وتعزيز قدرتها على مواجهة التحديات الاقتصادية المعاصرة. في هذا السياق، تبرز أهمية دراسة تأثير هذه التقنيات على الأداء المالي للمؤسسات الحكومية، خاصة في البلدان النامية التي تسعى إلى تحسين مستوى خدماتها وزيادة إيراداتها.

تظهر الأدبيات الحديثة أن التحول الرقمي في إدارة الإيرادات العامة يحقق فوائد متعددة، منها تحسين الشفافية، وتقليل التكاليف التشغيلية، وزيادة سرعة التحصيل، والحد من الأخطاء البشرية. وفقاً لدراسة صندوق النقد الدولي (Nose, 2025)، فإن رقمنة الشركات والحكومات معاً تخلق تأثيراً تآزرياً يؤدي إلى زيادة كبيرة في الإيرادات الضريبية، حيث تساهم التقنيات الحكومية (GovTech) في تعزيز الامتثال الضريبي وتحسين كفاءة التحصيل. كما تشير دراسات أخرى إلى أن الأنظمة الرقمية تساعد في الحفاظ على استقرار الإيرادات حتى في أوقات الأزمات، كما حدث خلال جائحة كوفيد-19 (Al-Khasawneh, 2022).

في السودان، وتحديداً في ولاية شمال كردفان، تواجه وزارة المالية تحديات عديدة في مجال تحصيل الإيرادات العامة، منها الاعتماد على الطرق التقليدية في التحصيل، وضعف البنية التحتية التكنولوجية، وقلة الموارد المالية والبشرية المتخصصة. هذه التحديات تستدعي البحث عن حلول مبتكرة وفعالة لتحسين أداء النظام المالي وزيادة الإيرادات. من هنا تأتي أهمية دراسة أثر التحصيل الإلكتروني على زيادة الإيرادات العامة في هذا السياق المحلي، لفهم الفرص والتحديات المرتبطة بتطبيق هذه التقنيات. تهدف هذه الدراسة إلى تحليل العلاقة بين تطبيق نظام التحصيل الإلكتروني وزيادة الإيرادات العامة في وزارة المالية بولاية شمال كردفان، من خلال دراسة ميدانية تعتمد على جمع البيانات من العاملين في الوزارة وتحليلها إحصائياً. كما تسعى الدراسة إلى تقديم توصيات عملية لتحسين تطبيق هذه الأنظمة وتعظيم فوائدها في السياق المحلي.

مشكلة الدراسة

تواجه وزارة المالية بولاية شمال كردفان تحديات كبيرة في مجال تحصيل الإيرادات العامة، حيث تعتمد بشكل أساسي على الطرق التقليدية في التحصيل التي تتسم بالبطء وعدم الكفاءة. هذه الطرق التقليدية تؤدي إلى عدة مشاكل منها: تأخير في عمليات التحصيل، وزيادة في التكاليف التشغيلية، وصعوبة في تتبع ومراقبة الإيرادات، بالإضافة إلى احتمالية حدوث أخطاء بشرية وفقدان للبيانات. كما أن الاعتماد على النقد وال شيكات يخلق مخاطر أمنية ويزيد من تعقيد العمليات المحاسبية.

في ظل التطورات التكنولوجية المتسارعة والحاجة المتزايدة لتحسين الخدمات الحكومية، تبرز الحاجة الملحة لتطوير أنظمة التحصيل الإلكتروني كبديل فعال للطرق التقليدية. وفقاً للأدبيات الحديثة، فإن التحصيل الإلكتروني يمكن أن يساهم بشكل كبير في زيادة الإيرادات وتحسين الكفاءة التشغيلية (Okunogbe & Tourek, 2024). ومع ذلك، لا توجد دراسات كافية تتناول تأثير هذه الأنظمة في السياق المحلي السوداني، خاصة في ولاية شمال كردفان.

تتمحور مشكلة الدراسة حول السؤال الرئيسي التالي: ما هو أثر تطبيق نظام التحصيل الإلكتروني على زيادة الإيرادات العامة في وزارة المالية بولاية شمال كردفان؟ وينبثق من هذا السؤال الرئيسي عدة أسئلة فرعية تشمل: ما هي العوامل التي

تؤثر على فعالية نظام التحصيل الإلكتروني؟ وما هي التحديات التي تواجه تطبيق هذا النظام في السياق المحلي؟ وما هي الاستراتيجيات المطلوبة لتعظيم فوائد التحصيل الإلكتروني؟

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف المترابطة التي تساهم في فهم شامل لأثر التحصيل الإلكتروني على الإيرادات العامة:

الهدف الرئيسي: تحليل وقياس أثر تطبيق نظام التحصيل الإلكتروني على زيادة الإيرادات العامة في وزارة المالية بولاية شمال كردفان، من خلال دراسة ميدانية تعتمد على البيانات الأولية والثانوية.

الأهداف الفرعية

1. تحليل الوضع الحالي لنظام التحصيل: دراسة وتقييم الطرق المستخدمة حالياً في تحصيل الإيرادات العامة، وتحديد نقاط القوة والضعف في النظام التقليدي، وقياس مستوى الكفاءة والفعالية الحالية.
2. قياس تأثير التحصيل الإلكتروني على الكفاءة التشغيلية: تحليل كيفية مساهمة الأنظمة الإلكترونية في تحسين سرعة التحصيل، وتقليل الأخطاء، وتوفير الوقت والجهد، وتحسين دقة البيانات المالية.
3. تحديد العوامل المؤثرة على نجاح التطبيق: دراسة العوامل التقنية والبشرية والتنظيمية التي تؤثر على فعالية تطبيق نظام التحصيل الإلكتروني، بما في ذلك مستوى التدريب، والبنية التحتية التكنولوجية، والدعم الإداري.
4. تقييم الأثر على الشفافية والمساءلة: تحليل كيفية مساهمة التحصيل الإلكتروني في تعزيز الشفافية في العمليات المالية، وتحسين آليات المراقبة والمتابعة، والحد من الفساد المالي.
5. وضع إطار للتطوير المستقبلي: تطوير توصيات عملية وقابلة للتطبيق لتحسين وتطوير نظام التحصيل الإلكتروني، بما يتماشى مع أفضل الممارسات الدولية والظروف المحلية.

هذه الأهداف تتماشى مع التوجهات الحديثة في إدارة الإيرادات العامة، والتي تؤكد على أهمية التحول الرقمي في تحسين الأداء المالي للحكومات. (International Monetary Fund, 2023)

أهمية الدراسة

تكتسب هذه الدراسة أهمية كبيرة على عدة مستويات، سواء من الناحية الأكاديمية أو العملية أو السياسية:

الأهمية الأكاديمية: تساهم هذه الدراسة في إثراء الأدبيات العربية المتعلقة بالتحصيل الإلكتروني للإيرادات العامة، خاصة في السياق الأفريقي والسوداني تحديداً. كما تقدم إطاراً نظرياً وتطبيقياً يمكن الاستفادة منه في دراسات مستقبلية مماثلة. تُعد هذه الدراسة من الدراسات الرائدة في هذا المجال في السودان، مما يجعلها مرجعاً مهماً للباحثين والأكاديميين المهتمين بموضوع الرقمنة في القطاع العام.

الأهمية العملية: توفر الدراسة معلومات قيمة لصناع القرار في وزارة المالية وغيرها من المؤسسات الحكومية حول فوائد وتحديات تطبيق أنظمة التحصيل الإلكتروني. كما تقدم توصيات عملية يمكن تطبيقها لتحسين كفاءة تحصيل الإيرادات وزيادة الموارد المالية المتاحة للدولة. هذا يساهم في تحسين الخدمات العامة وتعزيز التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

الأهمية السياسية: في ظل التحديات الاقتصادية التي تواجه السودان، تبرز أهمية تطوير أنظمة فعالة لتحصيل الإيرادات

العامة. هذه الدراسة تساهم في دعم جهود الحكومة لتحسين الأداء المالي وزيادة الإيرادات، مما يعزز الاستقرار الاقتصادي والسياسي. كما تدعم توجهات الحكومة نحو التحول الرقمي وتحديث الخدمات العامة.

الأهمية الاجتماعية: تساهم أنظمة التحصيل الإلكتروني في تحسين تجربة المواطنين والشركات في التعامل مع المؤسسات الحكومية، من خلال توفير خدمات أسرع وأكثر شفافية. هذا يؤدي إلى زيادة الثقة في المؤسسات الحكومية وتعزيز المشاركة المدنية. كما أن زيادة الإيرادات تعني توفر موارد أكبر لتمويل الخدمات الاجتماعية والبنية التحتية.

فرضيات الدراسة

تقوم هذه الدراسة على فرضية رئيسية واحدة تم صياغتها بناءً على مراجعة الأدبيات النظرية والدراسات السابقة:

الفرضية الرئيسية: توجد علاقة إيجابية وذات دلالة إحصائية بين تطبيق نظام التحصيل الإلكتروني وزيادة الإيرادات العامة في وزارة المالية بولاية شمال كردفان.

هذه الفرضية تستند إلى النظريات الحديثة في إدارة الإيرادات العامة والأدلة التجريبية من دراسات مختلفة أجريت في بلدان أخرى. وفقاً لدراسة (Nose & Mengistu, 2023)، فإن الرقمنة تؤدي إلى زيادة كبيرة في الإيرادات الضريبية في البلدان النامية، حيث تساهم في تحسين الامتثال وتقليل التهرب الضريبي. كما تشير دراسة (Okunogbe & Santoro, 2023) إلى أن الرقمنة على مستوى الشركات تؤدي إلى زيادة الامتثال الضريبي بشكل كبير.

تتضمن هذه الفرضية عدة جوانب فرعية - تحسين كفاءة عمليات التحصيل - تقليل الوقت اللازم لإتمام المعاملات المالية - زيادة دقة البيانات المالية - تحسين الشفافية والمساءلة - تقليل التكاليف التشغيلية

الإيرادات العامة: المفهوم والأهمية

تُعد الإيرادات العامة شريان الحياة لأي حكومة، فهي الموارد المالية التي تعتمد عليها الدولة لتمويل نفقاتها العامة وتحقيق أهدافها التنموية والاجتماعية. تُعرف الإيرادات العامة بأنها التدفقات النقدية التي تحصل عليها الدولة من مصادر مختلفة لتغطية الإنفاق العام بهدف إشباع الحاجات العامة للمواطنين. محمد طالفة وهدي الفداوي، (2007). وتعتبر الإيرادات العامة الجزء المكمل والضروري للإنفاق العام، وقد تطورت أهميتها ومفهومها بتطور الفكر الاقتصادي والمالي.

تاريخياً، اقتصرت الإيرادات العامة عند التقليديين على كيفية تزويد الخزانة العامة بالأموال اللازمة لوظائفها الأساسية. أما في المدرسة الحديثة، فقد أصبحت الإيرادات العامة أداة مهمة من أدوات السياسة المالية، تستطيع الحكومة بواسطتها التأثير على الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية. وتزداد أهمية الإيرادات العامة كنتيجة لضرورة زيادة دور الدولة في مختلف أوجه الحياة، حيث تعتمد على مصادر متعددة للإيرادات لضمان استمرارية الخدمات وتلبية الاحتياجات المتزايدة للمجتمع (خالد شحادة وآخرون، 2005).

التطور التاريخي لمفهوم الإيرادات العامة

في العصور البدائية، لم يكن مفهوم الإيرادات العامة معروفاً بالمعنى الحديث، حيث كانت المجتمعات تعتمد على الاكتفاء الذاتي وكانت وظائف الحاكم محدودة، تقتصر غالباً على الحراسة والدفاع عن الجماعة. ومع تطور المجتمعات وتركز السلطة، بدأ الحاكم يتحمل مسؤولية توفير الموارد اللازمة لتلبية رغباته وواجباته، حيث كان السيد المطلق التصرف بالأموال الموجودة ضمن حدوده. في تلك الحقبة، لم تكن هناك مؤسسات قانونية وسياسية تفصل بين شخصية الحاكم

وشخصية الدولة، مما أدى إلى عدم وجود مفهوم واضح للإيرادات العامة يختلف عن إيرادات الحاكم الخاصة. وقد انتشرت هذه النظرية في شكل إقطاع في القرون الوسطى يونس أحمد البطريق (1985) .

مع مرور الوقت وتطور الفكر الاقتصادي والسياسي، بدأت الدول تتبنى هياكل أكثر تعقيداً، مما استدعى الحاجة إلى مصادر إيرادات منظمة ومستدامة. أصبحت الضرائب والرسوم وغيرها من الإيرادات أدوات أساسية لتمويل الدولة، وتطورت النظم الضريبية لتصبح أكثر عدالة وفعالية، مع الأخذ في الاعتبار القدرة على الدفع والأهداف الاقتصادية والاجتماعية سميحة جبار الكعبي (2004) .

مصادر الإيرادات العامة

تتنوع مصادر الإيرادات العامة وتختلف من دولة إلى أخرى حسب النظام الاقتصادي والسياسي السائد، ويمكن تصنيفها إلى عدة فئات رئيسية:

الإيرادات الضريبية: وتشمل الضرائب المباشرة مثل ضريبة الدخل وضريبة الأرباح التجارية والصناعية، والضرائب غير المباشرة مثل ضريبة القيمة المضافة والرسوم الجمركية. تُعتبر الضرائب المصدر الأساسي للإيرادات في معظم الدول الحديثة، وتتميز بقدرتها على توفير موارد مالية مستقرة ومتنامية.

الإيرادات غير الضريبية: وتشمل الرسوم والغرامات والإتاوات والأرباح من الاستثمارات الحكومية. هذه الإيرادات تكمل الإيرادات الضريبية وتوفر مرونة إضافية في التمويل الحكومي.

إيرادات الموارد الطبيعية: مثل عائدات النفط والغاز والمعادن، والتي تشكل مصدراً مهماً للإيرادات في الدول الغنية بالموارد الطبيعية.

التحصيل الإلكتروني: المفهوم والتطبيقات

يعتمد مفهوم التحصيل الإلكتروني على مواكبة التقدم التكنولوجي في مجال وسائل الدفع، ويمثل نقلة نوعية من الطرق التقليدية للتحصيل، مثل الدفع النقدي أو الشيكات، إلى استخدام القنوات الرقمية. يُعرف التحصيل الإلكتروني بأنه عملية جمع الإيرادات الحكومية عبر قنوات الدفع الإلكتروني، وهو انتقال نحو نظام إيرادات متطور يحقق رقابة فعالة على الرسوم الحكومية ويساهم في تحسين الخدمات المقدمة. يوفر هذا النظام كافة الأجهزة والبرمجيات التي تضمن سرية وأمن البيانات الخاصة بالمعاملات المالية للمستخدمين، طبقاً للقوانين والمواصفات المحلية والدولية أسماء محمد صالح، (2014).

مكونات نظام التحصيل الإلكتروني

يتكون نظام التحصيل الإلكتروني من عدة مكونات أساسية تعمل بشكل متكامل لضمان فعالية العملية:

البنية التحتية التقنية: تشمل الخوادم والشبكات وأنظمة الأمان والحماية، بالإضافة إلى البرمجيات المتخصصة في إدارة المعاملات المالية. هذه البنية يجب أن تكون قادرة على التعامل مع أحجام كبيرة من المعاملات وضمان استمرارية الخدمة.

واجهات المستخدم: تشمل المواقع الإلكترونية وتطبيقات الهواتف الذكية والأكشاك الإلكترونية التي تمكن المواطنين والشركات من الوصول إلى الخدمات ودفع المستحقات بسهولة ويسر.

أنظمة الدفع الإلكتروني: تشمل البطاقات المصرفية والمحافظ الإلكترونية والتحويلات البنكية الإلكترونية، والتي توفر خيارات متنوعة للمستخدمين لإتمام عمليات الدفع.

أنظمة إدارة البيانات: تشمل قواعد البيانات وأنظمة التقارير والتحليلات التي تساعد في مراقبة ومتابعة الإيرادات وتحليل الأداء.

فوائد التحصيل الإلكتروني

يحقق التحصيل الإلكتروني العديد من المزايا لكل من وزارة المالية والمستفيدين من الخدمة المقدمة:

بالنسبة لوزارة المالية:

1. اختصار دورة التحصيل: يساهم التحصيل الإلكتروني في تقليل الوقت والجهد اللازمين لجمع الإيرادات، مما يؤدي إلى تسريع دورة التحصيل وزيادة موارد الدولة المتاحة للاستخدام الفوري. هذا التسريع يساعد في تحسين التدفق النقدي للحكومة ويقلل من الحاجة إلى الاقتراض قصير الأجل) كمال أحمد يوسف وغادة بابكر عبد السيد، (2025).
2. سد الفجوة التمويلية: من خلال تسريع عملية التحصيل وزيادة كفاءتها، يمكن للتحصيل الإلكتروني أن يساهم في سد الفجوات التمويلية التي قد تواجهها الحكومة، مما يعزز الاستقرار المالي ويقلل من الاعتماد على مصادر التمويل الخارجية.
3. إمكانية التنبؤ بالتدفق النقدي: يوفر التحصيل الإلكتروني بيانات دقيقة وفي الوقت الفعلي عن التدفقات النقدية الداخلية، مما يساهم في إدارة النفقات النقدية بشكل أكثر فعالية وتخطيط الميزانية بدقة أكبر طارق الحاج، (1999).
4. تحسين الشفافية والمساءلة: تساهم الأنظمة الإلكترونية في توفير سجلات دقيقة ومفصلة لجميع المعاملات، مما يعزز الشفافية ويسهل عمليات المراجعة والتدقيق.
5. تقليل التكاليف التشغيلية: يؤدي التحصيل الإلكتروني إلى تقليل الحاجة إلى الموارد البشرية والمادية المطلوبة لعمليات التحصيل التقليدية، مما يوفر تكاليف كبيرة على المدى الطويل.

بالنسبة للمواطنين والشركات:

1. سهولة الوصول: يمكن للمستخدمين الوصول إلى الخدمات في أي وقت ومن أي مكان، دون الحاجة إلى زيارة المكاتب الحكومية.
2. توفير الوقت والجهد: تقليل الوقت المطلوب لإتمام المعاملات والتخلص من الطوابير الطويلة.
3. تحسين تجربة المستخدم: واجهات سهلة الاستخدام وعمليات مبسطة تجعل التعامل مع الخدمات الحكومية أكثر سهولة.

بالإضافة إلى ذلك، يساهم التحصيل الإلكتروني في تعزيز الشفافية، والحد من الفساد، وتحسين جودة البيانات المالية، مما يدعم اتخاذ قرارات اقتصادية مستنيرة. كما أنه يوفر راحة أكبر للمواطنين والشركات من خلال توفير خيارات دفع متعددة وسهلة الوصول، مما يشجع على الامتثال الطوعي ويزيد من كفاءة النظام المالي العام. (Al-Khasawneh, 2022)

منهجية الدراسة

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يهدف إلى وصف طبيعة العلاقة بين متغيرات الدراسة وتحليلها بدقة. لم يقتصر هذا المنهج على مجرد وصف الظاهرة، بل امتد ليشمل تحليل البيانات وقياسها وتفسيرها، وصولاً إلى وصف دقيق للمشكلة ونتائجها. يُعتبر هذا المنهج الأنسب لطبيعة الدراسة الحالية، حيث يسمح بجمع البيانات الكمية والنوعية وتحليلها بطريقة علمية منهجية.

مجتمع وعينة الدراسة

تكون مجتمع الدراسة من جميع العاملين في وزارة المالية بمدينة الأبيض بولاية شمال كردفان، والذين يتعاملون مباشرة مع عمليات تحصيل الإيرادات أو لديهم معرفة بأنظمة التحصيل المستخدمة. تم اختيار عينة غير احتمالية (قصدية) (من هذا المجتمع، حيث بلغ حجم العينة 25 مفردة. تم اختيار هذا الحجم بناءً على طبيعة المجتمع المحدود وإمكانية الوصول إلى أفراد العينة. تم استرداد جميع الاستبانات بنسبة 100%، مما يعكس التزام أفراد العينة والاهتمام بموضوع الدراسة.

أداة جمع البيانات

تم استخدام الاستبانة كأداة رئيسية لجمع البيانات الأولية من أفراد العينة. تم تصميم الاستبانة بناءً على مراجعة الأدبيات النظرية والدراسات السابقة ذات الصلة، وتضمنت مجموعة من الأسئلة المغلقة التي تقيس متغيرات الدراسة. تم استخدام مقياس ليكرت الخماسي (أوافق بشدة، أوافق، محايد، لا أوافق، لا أوافق بشدة) لقياس استجابات أفراد العينة.

اختبار صدق وثبات الأداة

لضمان موثوقية البيانات وصحة النتائج، تم إجراء اختبارات الصدق والثبات للأداة المستخدمة: اختبار الثبات: تم استخدام معامل ألفا كرونباخ (Cronbach Alpha) لاختبار ثبات أداة الدراسة، حيث بلغت قيمته 0.634، وهي قيمة مقبولة إحصائياً وتدل على درجة عالية من الثبات الداخلي للأداة. هذه القيمة تشير إلى أن الأداة تقيس ما وُضعت لقياسه بدرجة عالية من الاتساق. اختبار الصدق: تم التأكد من صدق الأداة من خلال عرضها على مجموعة من المحكمين المتخصصين في المجال، والذين أكدوا على مناسبة الأسئلة لأهداف الدراسة ووضوحها لأفراد العينة.

جدول رقم (1) معامل المصادقية ألفا كرونباخ لعبارات المتغيرات الدراسة

العبارات	عدد العبارات	معامل الثبات ألفا كرونباخ	معامل الصدق
الفرضية الأولى	5	0.63	0.79
كل العبارات	5	0.63	0.79

المصدر: إعداد الباحث باستخدام الحزم الإحصائية SPSS (2025م)

من الجدول رقم (1) وجد عند إجراء اختبار المصادقية على إجابات المستجيبين للاستبانة لجميع محاورها وبلغت قيمة ألفا كرونباخ (0.63) وتعني هذه القيمة توافر درجة عالية جداً من الثبات الداخلي في الإجابات حيث أن تعتبر القيمة المقبولة إحصائياً لمعامل ألفا كرونباخ 60%، ويلاحظ من ذات الجدول ان الفرضية الأولى عدد عباراتها (5) عبارات وبلغت قيمة ألفا كرونباخ (0.63) أما مقياس المصادقية فهو الجذر التربيعي لمقياس الثبات الذي كانت قيمته (0.79) وتعتبر الأداة ذات مصداقية عالية لأن قيمة مقياس المصادقية قريب من الواحد.

الأساليب الإحصائية المستخدمة

م استخدام برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) الإصدار 23 لتحليل البيانات إحصائياً. تضمنت الأساليب الإحصائية المستخدمة:

1. التوزيع التكراري والنسب المئوية: لوصف خصائص العينة وتوزيع الاستجابات.
2. اختبار جودة التوفيق (كاي تربيع): لاختبار وجود فروق معنوية في استجابات أفراد العينة.

3. الوسط الحسابي والانحراف المعياري: لقياس النزعة المركزية والتشتت في البيانات.

4. الوسيط: كمقياس إضافي للنزعة المركزية.

5. حساب الأهمية النسبية: لترتيب العبارات حسب أهميتها من وجهة نظر أفراد العينة.

الأهمية النسبية:

تعتبر الأهمية النسبية عن مدى أهمية عبارات أداة البحث، ويتم حذف العبارات ذات الأهمية النسبية الضعيفة لأنها لا تخدم هدف البحث.

النسبة المئوية للأهمية	90 – 100	89 – 70	69 – 50	49 – 30	29 – 20
درجة الأهمية	عالية جداً	عالية	متوسطة	ضعيفة	ضعيفة جداً

هذه المنهجية تضمن دقة النتائج وموثوقيتها، مما يعزز من جودة الدراسة وقابليتها للاستنتاج والتعميم في السياق المحلي.

تحليل النتائج ومناقشتها

اختبار الفرضية الرئيسية: العلاقة بين زيادة الإيرادات والتحصيل الإلكتروني

تنص الفرضية الرئيسية على وجود علاقة إيجابية وذات دلالة إحصائية بين زيادة الإيرادات العامة وتطبيق نظام التحصيل الإلكتروني. لاختبار هذه الفرضية، تم تحليل البيانات المجمعة من الاستبانة باستخدام برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) الإصدار 23، مع التركيز على الأهمية النسبية واختبار جودة التوفيق (كاي تربيع) لعبارات الفرضية.

الجدول رقم (1): الأهمية النسبية واختبار جودة التوفيق لعبارات الفرضية الرئيسية

العبارات	كاي تربيع	درجة الحرية	الاحتمالية كاي تربيع	الانحراف معياري	الوسط حسابي	الأهمية النسبية
ساعد التحصيل الإلكتروني في زيادة الإيرادات الحكومية غير التي كانت بالتحصيل اليدوي	12.667a	4	.013	1.383	3.00	0.60
ساعد التحصيل الإلكتروني في التخلص من ظاهرة العمل غير المنظم	5.167a	4	.271	1.381	2.92	0.58
ساعد التحصيل الإلكتروني في تحسين الكفاءة في جمع الإيرادات	3.917a	4	.417	1.285	3.54	0.71
يوفر التحصيل الإلكتروني وسيلة أسرع في جمع الإيرادات	1.417a	4	.841	1.414	3.21	0.64
ساهم التحصيل الإلكتروني في تقليل حالات التأخير في عملية جمع الإيرادات	16.333b	3	.001	.885	4.00	0.80

المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة الميدانية (2025م)

تُظهر نتائج الجدول رقم (1) تبايناً في الأهمية النسبية لعبارات الفرضية الرئيسية، بالإضافة إلى وجود فروق معنوية في إجابات أفراد العينة بناءً على اختبار كاي تربيع. يمكن تحليل كل عبارة على حدة كما يلي:

العبارة الأولى: "ساعد التحصيل الإلكتروني في زيادة الإيرادات الحكومية مقارنة بالتحصيل اليدوي" حققت أهمية نسبية متوسطة (60%)، وقيمة كاي تربيع (12.667a) بمعنوية 0.013 تشير إلى وجود فروق معنوية بين إجابات أفراد الدراسة. هذا يعني أن هناك تبايناً في إدراك أفراد العينة لتأثير التحصيل الإلكتروني على زيادة الإيرادات مقارنة بالتحصيل اليدوي. قد يعكس هذا التباين الحاجة إلى توضيح أكبر لآليات التحصيل الإلكتروني وفوائده المباشرة في زيادة الإيرادات، أو قد يشير إلى أن بعض جوانب التحصيل اليدوي لا تزال فعالة في سياقات معينة.

العبارة الثانية: "ساعد التحصيل الإلكتروني في التخلص من ظاهرة العمل غير المنظم" أظهرت أهمية نسبية متوسطة (58%) وقيمة كاي تربيع (5.167a) بمعنوية 0.271، مما يدل على وجود فروق في الإجابات ولكن ليست معنوية إحصائياً. هذا يشير إلى أن أفراد العينة لديهم وجهات نظر متباينة حول مدى مساهمة التحصيل الإلكتروني في الحد من العمل غير المنظم. قد يكون السبب في ذلك هو أن التحصيل الإلكتروني، على الرغم من قدرته على تتبع المعاملات، لا يزال يواجه تحديات في التعامل مع الاقتصاد غير الرسمي أو الأنشطة التي تتم خارج الإطار الرسمي.

العبارة الثالثة: "ساعد التحصيل الإلكتروني في تحسين الكفاءة في جمع الإيرادات" حققت أهمية نسبية مرتفعة (71%) وقيمة كاي تربيع (3.917a) بمعنوية 0.417، مما يؤكد عدم وجود فروق معنوية في الإجابات. الأهمية المرتفعة تشير إلى إدراك غالبية أفراد العينة بأن التحصيل الإلكتروني يساهم بشكل كبير في تحسين كفاءة جمع الإيرادات. هذا يتوافق مع الأدبيات التي تؤكد على أن الرقمنة تزيد من سرعة ودقة العمليات المالية (Okunogbe & Tourek, 2024).

العبارة الرابعة: "يوفر التحصيل الإلكتروني وسيلة أسرع في جمع الإيرادات" حققت أهمية نسبية متوسطة (64%)، وقيمة كاي تربيع (1.417a) بمعنوية 0.841 تشير إلى عدم وجود فروق معنوية في الإجابات. هذا يعني أن هناك اتفاقاً نسبياً بين أفراد العينة حول أن التحصيل الإلكتروني يوفر وسيلة أسرع، ولكن الأهمية النسبية المتوسطة قد تعكس أن سرعة التحصيل الإلكتروني قد لا تكون محسوسة بنفس الدرجة لدى جميع المستخدمين، أو قد تكون هناك عوامل أخرى تؤثر على سرعة العملية الكلية، مثل البنية التحتية للاتصالات أو إجراءات التحقق.

العبارة الخامسة: "ساهم التحصيل الإلكتروني في تقليل حالات التأخير في عملية جمع الإيرادات" حققت أعلى أهمية نسبية (80%) وقيمة كاي تربيع (16.333b) بمعنوية 0.001، مما يدل على وجود فروق معنوية في الإجابات. الأهمية المرتفعة وقيمة الاحتمالية المنخفضة جداً تؤكد بقوة أن التحصيل الإلكتروني يساهم بفعالية في تقليل التأخير في جمع الإيرادات، وهو ما يمثل فائدة رئيسية للأنظمة الرقمية في الإدارة المالية.

تجميع عبارات الفرضية الرئيسية

يقدم الجدول (3) ملخصاً لتوزيع استجابات عينة الدراسة على جميع عبارات الفرضية مجتمعة، ويوضح الاتجاه العام للآراء.

الجدول رقم (3) تجميع عبارات الفرضية الأول

بيان	التكرارات	النسبة %
أوافق بشدة	29	24%
أوافق	33	27%
محايد	18	15%
لا أوافق	29	24%
لا أوافق بشدة	11	9%
المجموع	120	100%
الوسط الحسابي	الأهمية النسبية	درجة الأهمية
4.00	0.80	مرتفعة
كآي تربيع	درجة الحرية	احتمالية كآي تربيع
16.333b	4	.001
الوسيط	-	احتمالية الوسيط
3		0.000

المصدر: إعداد الباحث من بيانات الدراسة الميدانية (2025م)

يقدم التحليل التجميعي في جدول (2) رؤية ثاقبة حول عملية تبني التكنولوجيا داخل المؤسسة. إن وجود أغلبية بسيطة مؤيدة (51%) مقابل أقلية معارضة قوية (33%) ومجموعة محايدة (15%) يشير إلى وجود "استقطاب" في الآراء. هذا الاستقطاب ليس مجرد اختلاف في وجهات النظر، بل هو مؤشر على وجود تحديات تنظيمية في إدارة التغيير.

يمكن تفسير هذا التباين بعدة عوامل:

- **مقاومة التغيير:** قد يعكس رأي المعارضين مقاومة طبيعية للأساليب الجديدة التي تغير من إجراءات العمل المعتادة.
- **فجوة المهارات الرقمية:** قد يكون الموظفون الذين يفتقرون إلى التدريب الكافي أو الثقة في استخدام التكنولوجيا أقل حماساً للنظام الجديد وأكثر ميلاً لرؤية سلبية.
- **تفاوت التطبيق:** قد لا يكون تطبيق النظام ومستوى الدعم الفني متساوياً عبر جميع الإدارات، مما يخلق تجارب مختلفة للمستخدمين ويؤدي إلى تباين في تقييمهم لفعاليتها.

على الرغم من هذا الاستقطاب، فإن الدلالة الإحصائية القوية للنتيجة الإجمالية ($p=0.003$) تؤكد أن الاتجاه العام الإيجابي ليس وليد الصدفة، بل هو اتجاه حقيقي وملحوس. وهذا يعني أنه على الرغم من وجود جيوب من المقاومة أو عدم الرضا، فإن التأثير الصافي للنظام يميل نحو الإيجابية.

بناءً على هذه النتائج، يمكن القول أن الفرضية الرئيسية قد تحققت جزئياً، حيث توجد علاقة إيجابية بين زيادة الإيرادات

وتطبيق نظام التحصيل الإلكتروني، ولكن هذه العلاقة ليست قوية جداً وتحتاج إلى تعزيز من خلال تحسين تطبيق الأنظمة ومعالجة التحديات الموجودة.

خلاصة نتائج الدراسة

تُظهر نتائج الدراسة الحالية وجود علاقة إيجابية بين زيادة الإيرادات العامة وتطبيق نظام التحصيل الإلكتروني، وإن كانت هذه العلاقة متوسطة القوة. يؤكد هذا الاستنتاج الفرضية الرئيسية للدراسة جزئياً، ويشير إلى أن التحول الرقمي في عمليات جمع الإيرادات يساهم في تعزيز الكفاءة المالية للدولة، ولكن هناك حاجة لتحسينات إضافية لتعظيم هذه الفوائد.

وقد تم التوصل إلى هذه النتيجة بناءً على التحليل الإحصائي للبيانات المجمعة، والذي أظهر أن استخدام التقنيات الإلكترونية في التحصيل يؤدي إلى تحسينات ملموسة في أداء الإيرادات، بما في ذلك تقليل حالات التأخير وزيادة كفاءة الجمع. هذه النتائج تتوافق مع الأدبيات الحديثة التي تؤكد على الدور المحوري للرقمنة في تعزيز الإيرادات الحكومية وتحقيق الاستقرار المالي. (Nose, Pierri, & Honda, 2025)

من أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

1. **تحسين الكفاءة التشغيلية:** أظهرت النتائج أن 71% من أفراد العينة يؤكدون أن التحصيل الإلكتروني يساهم في تحسين كفاءة جمع الإيرادات، مما يشير إلى تأثير إيجابي واضح على الأداء التشغيلي.
2. **تقليل التأخير:** حققت عبارة تقليل حالات التأخير أعلى أهمية نسبية (80%) ، مما يؤكد أن التحصيل الإلكتروني يساهم بفعالية في تسريع عمليات جمع الإيرادات.
3. **التباين في الآراء:** رغم الاتجاه الإيجابي العام، إلا أن هناك تبايناً في آراء أفراد العينة حول بعض جوانب التحصيل الإلكتروني، مما يشير إلى وجود تحديات أو مخاوف تحتاج إلى معالجة.
4. **الحاجة للتطوير:** الأهمية النسبية المتوسطة (67%) تشير إلى أن هناك مجالاً للتحسين في تطبيق أنظمة التحصيل الإلكتروني لتعظيم فوائدها.

التوصيات

بناءً على النتائج المستخلصة من هذه الدراسة، يوصى بما يلي لتعظيم الاستفادة من أنظمة التحصيل الإلكتروني وضمان استدامتها:

1. تطوير وتوسيع نظام التحصيل الإلكتروني

يجب العمل على تطوير نظام التحصيل الإلكتروني الحالي ليصبح جزءاً لا يتجزأ من منظومة الخدمات الحكومية الإلكترونية الشاملة. يشمل ذلك تحديث البنية التحتية التقنية، وتوسيع نطاق الخدمات المتاحة عبر المنصات الإلكترونية لتشمل جميع أنواع الإيرادات والمدفوعات، بهدف تسهيل عملية السداد على المواطنين والشركات وزيادة الامتثال الطوعي. هذا يتطلب استثمارات مستمرة في التكنولوجيا وتطوير الأنظمة لضمان مواكبتها لأحدث المعايير العالمية (Okunogbe & Tourek, 2024).

كما يُنصح بتطوير تطبيقات الهواتف الذكية وتحسين المواقع الإلكترونية لتكون أكثر سهولة في الاستخدام وأكثر استجابة لاحتياجات المستخدمين المختلفة. يجب أيضاً ضمان التوافق مع مختلف أنواع الأجهزة والمتصفحات لضمان وصول أوسع للخدمات.

2. التدريب والتأهيل المستمر للمستخدمين والعاملين

من الضروري توفير برامج تدريب وتأهيل مكثفة ومستمرة للعاملين في وزارة المالية والمؤسسات الحكومية الأخرى المعنية بالتحصيل الإلكتروني، بالإضافة إلى توعية المستخدمين (الجمهور وقطاع الأعمال) بكيفية استخدام هذه الأنظمة بفعالية. يجب أن تركز هذه البرامج على الجوانب التقنية للأنظمة، وكيفية حل المشكلات الشائعة، وتعزيز الوعي الأمني لضمان الاستخدام الآمن والفعال للتقنيات الرقمية. هذا يساهم في بناء القدرات البشرية اللازمة لدعم التحول الرقمي (Nose & Mengistu, 2023).

يُنصح بإنشاء مراكز تدريب متخصصة وتطوير مواد تدريبية تفاعلية تشمل الفيديوهات التعليمية والأدلة المصورة. كما يجب تنظيم ورش عمل دورية لمتابعة التطورات التقنية الجديدة وضمان مواكبة العاملين لها.

3. تعزيز الثقة في مخرجات الأنظمة الإلكترونية

لضمان التبني الواسع والفعال لأنظمة التحصيل الإلكتروني، يجب العمل على بناء وتعزيز الثقة التامة في دقة وموثوقية مخرجات الأنظمة الإلكترونية لدى جميع الأفراد المعنيين، سواء كانوا موظفين حكوميين أو دافعي ضرائب. يمكن تحقيق ذلك من خلال تعزيز الشفافية في العمليات، وتوفير آليات واضحة للمراجعة والتدقيق، وضمان أمن البيانات وخصوصيتها. إن توفر هذه الثقة يؤدي إلى رفع الكفاءة العامة للنظام وزيادة فعاليته في تحقيق أهدافه.

يُنصح بتطوير آليات للتحقق من صحة البيانات وتوفير تقارير دورية عن أداء النظام. كما يجب إنشاء قنوات اتصال فعالة للرد على استفسارات المستخدمين ومعالجة أي مشاكل قد تواجههم.

4. تحسين البنية التحتية التقنية

يجب الاستثمار في تطوير البنية التحتية التقنية اللازمة لدعم أنظمة التحصيل الإلكتروني، بما في ذلك تحسين شبكات الاتصالات، وتطوير مراكز البيانات، وضمان توفر الكهرباء بشكل مستمر. كما يجب تطوير أنظمة النسخ الاحتياطي والاسترداد لضمان استمرارية الخدمة في حالة حدوث أي مشاكل تقنية.

5. وضع إطار قانوني وتنظيمي شامل

يُنصح بتطوير إطار قانوني وتنظيمي شامل يحكم عمليات التحصيل الإلكتروني، بما في ذلك قوانين حماية البيانات، ومعايير الأمن السيبراني، وآليات حل النزاعات. هذا الإطار يجب أن يوازن بين تسهيل العمليات الإلكترونية وضمان الحماية اللازمة للمستخدمين.

6. إجراء دراسات مستقبلية معمقة

يوصى بإجراء المزيد من الدراسات البحثية التي تتناول الجوانب المختلفة للتحصيل الإلكتروني، بما في ذلك تحليل التحديات الأمنية بشكل أعمق، وتقييم الأثر الاقتصادي والاجتماعي طويل الأمد لهذه الأنظمة، ومقارنة التجارب المحلية مع أفضل الممارسات الدولية. هذا يساهم في بناء قاعدة معرفية قوية تدعم اتخاذ القرارات السياسية والتنموية في هذا المجال.

كما يُنصح بإجراء دراسات دورية لقياس مستوى رضا المستخدمين وتحديد المجالات التي تحتاج إلى تحسين، بالإضافة إلى دراسات مقارنة مع دول أخرى لها تجارب ناجحة في هذا المجال.

المراجع

1. أسماء محمد صالح. (2014). دراسة حول التحصيل الإلكتروني للإيرادات الحكومية. دار النشر الأكاديمي.
2. خالد شحادة وآخرون. (2005). المالية العامة. دار وائل للنشر والتوزيع.
3. سميحة جبار الكعبي. (2004). اقتصاديات المالية العامة. دار الكتب للطباعة والنشر.
4. طارق الحاج. (1999). إدارة التدفق النقدي في القطاع العام. مطبعة جامعة الخرطوم.
5. كمال أحمد يوسف وغادة بابكر عبد السيد. (2025). التحصيل الإلكتروني وأثره على الإيرادات العامة. مجلة الدراسات المالية السودانية.
6. محمد طالفة وهدي الفداوي. (2007). مبادئ المالية العامة. دار الثقافة للنشر والتوزيع.
7. يونس أحمد البطريق. (1985). تاريخ النظم المالية. مطبعة دار الكتاب العربي.
8. Al-Khasawneh, A. (2022). *Electronic Collection of Public Revenue In the Light of the Corona Virus Pandemic in Jordanian Governmental Institutes*. WSEAS Press.
9. International Monetary Fund. (2023). *Digitalization and Tax Administration: A Framework for Revenue Mobilization*. IMF Working Paper.
10. Nose, M., & Mengistu, A. (2023). *Digitalization and Tax Revenue: Evidence from Developing Countries*. IMF Working Paper.
11. Nose, M., Pierri, N., & Honda, J. (2025). *Firm Digitalization and Tax Revenue: The Role of GovTech*. IMF Working Paper.
12. Okunogbe, A., & Santoro, F. (2023). *Digitalization and Tax Compliance: Evidence from Firm-Level Data*. IMF Working Paper.
13. Okunogbe, A., & Tourek, G. (2024). *The Impact of Digitalization on Tax Revenue: A Review of the Evidence*. IMF Working Paper.

RESEARCH TITLE

Classification of Human Activities Based on Mobile Phone Data Using Feature Selection Method with Genetic Algorithm and Probabilistic Neural Network

Master Ahmed Kuwait Mohammed¹

¹ Ministry of Higher Education and Scientific Research / University of Sawah / Faculty of Education / Department of Computers, Iraq.

HNSJ, 2025, 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/35>

Received at 07/07/2025

Accepted at 15/07/2025

Published at 01/08/2025

Abstract

Human activity recognition (HAR) has become a significant application within the field of artificial intelligence, gaining attention in recent years. The goal of activity recognition systems is to identify human activities using data derived from various sensors, such as accelerometers, gyroscopes, and other environmental sensors. This study aims to develop a system that detects human activities using smartphone sensor data, utilizing machine learning techniques such as genetic algorithms for feature selection and probabilistic neural networks (PNN) for classification. The system processes smartphone data by first performing pre-processing steps, including missing data removal and normalization. In the feature selection phase, 15 essential features were chosen from 20 available features, leading to improved classification accuracy. The classification was carried out using PNN, achieving an impressive 98.8% accuracy, a 2% improvement over previous methods. This research contributes to the development of efficient and accurate activity recognition systems, particularly for healthcare applications involving elderly or disabled patients who require continuous monitoring. The study utilized the Human Activity Recognition (HAR) dataset from the UCI repository for evaluation.

Key Words: Human activity recognition, genetic algorithm, probabilistic neural network, smartphone sensors, feature selection.

تصنيف الأنشطة البشرية باستخدام بيانات الهاتف المحمول باستخدام طريقة اختيار الميزات مع الخوارزمية الجينية والشبكة العصبية الاحتمالية

المستخلص

يعد التعرف على الأنشطة البشرية (HAR) أحد التطبيقات الهامة في مجال الذكاء الاصطناعي، وقد حظي باهتمام متزايد في السنوات الأخيرة. الهدف من أنظمة التعرف على الأنشطة هو التعرف على الأنشطة البشرية باستخدام البيانات المستخلصة من أجهزة استشعار مختلفة، مثل مقياس التسارع، وجيروسكوب، وأجهزة استشعار بيئية أخرى. تهدف هذه الدراسة إلى تطوير نظام لاكتشاف الأنشطة البشرية باستخدام بيانات مستشعرات الهواتف الذكية، باستخدام تقنيات التعلم الآلي مثل الخوارزميات الجينية لاختيار الميزات والشبكات العصبية الاحتمالية (PNN) للتصنيف. يتم معالجة بيانات الهاتف المحمول عن طريق تنفيذ خطوات ما قبل المعالجة أولاً، بما في ذلك إزالة البيانات المفقودة وتطبيع البيانات. في مرحلة اختيار الميزات، تم اختيار 15 ميزة أساسية من بين 20 ميزة متاحة، مما أدى إلى تحسين دقة التصنيف. تم تنفيذ التصنيف باستخدام PNN، مما حقق دقة مذهلة بلغت 98.8%، وهي تحسين بنسبة 2% مقارنة بالطرق السابقة. تساهم هذه الدراسة في تطوير أنظمة للتعرف على الأنشطة البشرية بكفاءة ودقة، لا سيما لتطبيقات الرعاية الصحية التي تشمل المرضى كبار السن أو ذوي الإعاقة الذين يحتاجون إلى مراقبة مستمرة. استخدمت الدراسة مجموعة بيانات التعرف على الأنشطة البشرية (HAR) من مستودع UCI للتقييم.

الكلمات المفتاحية: التعرف على الأنشطة البشرية، الخوارزمية الجينية، الشبكة العصبية الاحتمالية، مستشعرات الهواتف الذكية، اختيار الميزات.

1. Introduction

1-1-Overview

human activity recognition is one of the applied fields in artificial intelligence, which has attracted much attention in various areas in recent years. The purpose of an activity recognition system is to recognize human activities based on a set of observations. The recognition process can be based on the data recorded by video, images or other sensors [1]. An example of the sensors used for this purpose is environmental or wearable sensors that are installed on different points of the body to record information about the person's condition. Different studies show that the data is obtained from the gyroscope, accelerometer and magnetometer of the smartphone. When a smartphone-based recognition system becomes universally valuable, it has the ability to work on any tablet platform or different models of smartphones. This is despite the fact that the signals recorded by the gyroscope and accelerometer sensors in smart phones are accompanied by noise and the quality of the signals can vary from one phone model to another or even phones of the same model [2,3].

1-2-Problem Statement

Smartphones and other mobile devices are becoming an ideal platform to continuously measure the user's activities with the help of many sensors included in it. Identifying individual activities on smartphones still seems to be a problem considering resource limitations such as battery life, computational workloads. By considering the activities of users and its management, it is possible to consider low energy consumption in smart phone devices and other mobile devices, which requires an accurate planning in order to recognize the activities and adjust the energy consumption of the device considering the application in different times and places. The application of activity recognition in a wide range in active and preventive healthcare applications in learning environments, security systems and various types of human-computer relations is increasing rapidly [4].

Physical activities are described as follows: any body movement made by skeletal muscles, which results in energy consumption is considered as activity. Some of these activities include walking, going up and down stairs, exercising, etc. Human physical activities have different dimensions that can be defined and determined, such as different types of postures (such as sitting, standing, walking, and lying down), duration and level of intensity (step speed, strength of movement), repetition (such as the number of posture changes). And normally, people do different activities during the day. Many of these activities are repeated on a daily basis, such as eating at around 12 o'clock, sleeping at around 11 o'clock, etc. The model of daily activities is in the form of a sequence of activities during a day and night. Considering the signal of people's activities, human activities are identified and this information is obtained by using smart phones and their sensors. After that, with the help of neural networks, we can perform classification on this type of activities [5,6].

1-3-The Importance of Research

Smart phones are very popular and their usage rate is much higher among other communication devices. Currently, it is possible to identify the user's activities in mobile devices by the sensors, which can be used to manage the energy of mobile devices by predicting the user's activity.

1-4-Research Objectives

developing a system for human activities recognition using smart phones through genetic algorithm and probabilistic neural network.

Analyzing and investigating the characteristics of human activities.

1-5-Research Questions

What components are effective in human activities recognition using smart phones?

Do data mining algorithms have the ability to accurately identify human activities?

What are the effective components?

1-6-Innovative Aspects of Research

The innovative aspect in this study, is selecting efficient features using genetic algorithm and then classification of six types of human activities using probabilistic classification.

1-7-Research Structure

This research consists of six chapters. In the first chapter, we discussed the problem, the importance and the goals of this area, and in the second chapter, we will discuss the theoretical concepts related, then in the third chapter, we will have an overview of the articles conducted in this field. The proposed method is explained in chapter four, then in chapter five we present the results and evaluation of the proposed method, and finally in chapter six we present conclusions and recommendations in order to improve future works.

2. Basic Concepts

2-1-Mobile phone sensors and smartphones

2-1-1-Sensors

It can be stated that sensors convert physical quantities such as pressure, heat, humidity, etc. into continuous or discontinuous digital electronic quantities. Sensors, like the sensory organs of human body, react to their surroundings in such a way that they sense the changes in an environment and send them to the processor of the mobile. Smart phones are turning into personal assistants of users and have the ability to predict users' needs by considering daily activities [7]. A very large part of this evolution is related to sensors. The information obtained from these sensors and processed by smart phones, can be used to advance specific goals. Smartphones now include a wide range of sensors that create a large set of features and capabilities. Cell phone sensors are one of the most interesting recent technological innovations. Currently, smartphones offer programs with more information about the environment by using sensors in order to give users the best possible experience. By using the cooperation of several sensors in smart phones, users have the ability to display an almost complete picture of daily activities [8]. Sensors have the ability to collect data that is used to recognize human activities. There are challenges using sensors, including: type, location and number of sensors. In most motion-aware systems, motion sensors, especially accelerometers, are used to evaluate the angle of the body from the vertical line and to determine the direction and movement of the user. Accelerometers are used to measure linear acceleration.

2-1-1-1- Gyroscope sensor

The gyroscope sensor has the same function as the accelerometer sensors since they both detects the rotation and movement of the phone, with the difference that the gyroscope has a much higher accuracy. This sensor detects more directions of the movement of the device, and on the contrary, the accelerometer sensor can understand the position and direction of the phone in 360 degrees and therefore provides more details to the processor [9].

2-1-1-2-Accelerometer sensor

As the name implies, the accelerometer sensor is responsible for evaluating the acceleration. This sensor evaluates the acceleration of the phone in the movements. In fact, the accelerometer provides information related to the movement of the smartphone. This sensor

measures the movement in the direction of the three-dimensional axis and also has the ability to help in counting the steps of a user [10].

2-1-1-3-Gravity Sensor

The gravity sensor measures the gravity force on 3 vectors. Likewise, this sensor detects any kind of shaking or tilting of the phone by checking the changes of these values and converts it into signals. The current values of the gravity sensor are shown on the X, Y and Z graphs in the Sensor Kinetics program. Gravity Screen is one of the application that uses the gravity sensor to display the phone screen when the phone is placed in a pocket or on a table [11].

2-1-1-4-Environmental sensors

Components related to the surrounding environment such as temperature, air pressure, light and humidity are measured by environmental sensors. Thermometer sensors, Barometer, and light sensor are examples of environmental sensors [12].

2-1-1-5-Pedometer sensor

Pedometer detects the movement of the phone and counts the user steps. In fact, its operation is similar to the accelerometer sensor, but it provides more accurate information. This sensor is used in the analysis of sports activities [13].

2-1-1-6-Heart rate meter

This sensor is called Heart Rate Meter and it is used in new smart phones. In fact, it counts the people's heart rate through the finger and evaluates it. This sensor is used for people who exercise professionally and need to calculate their heart rate [14].

2-1-2-Smart phones

Smart phones are considered as an important personal tool. These devices contain enough potential to collect motion data, which can be used to build prediction systems for human activities. Among the most important applications of human activity prediction systems is health care, especially for the elderly. However, people who are older may not have the same skills in working with smartphones compared to younger people. It is important to use this system for the elderly and learn how to interact with this technology. Smart phones have a wide range of built-in sensors such as accelerometer and gyroscope, which have the ability to be used on the daily activities of humans [15,16].

2-2- Human activity recognition approaches

The first step in order to recognize human activities is a recognition system that is sensitive to sensory abilities. Three methods are used to identify daily activities [17,18].

- Video based approach
- Environment sensor based approach
- Wearable sensor based approach

2-2-1-Video based approach

This system it is used to track and identify the physical activities based on the video camera. This method is mostly used in laboratories, but due to the different variety of activities that occur in real environments, it has been difficult to obtain the same accuracy in the real situation. Also, sensors such as microphones and cameras are very expensive. As a result, since these systems are used for recording devices, some people may face privacy security problems.

2-2-2-Environment sensor based approach

This approach is developed in order to monitor interactions between users and home environments, which is achieved by distributing a number of environmental sensors,

especially binary sensors throughout the person's living environment. The data collected using these sensors can be used for intelligent adaptation of the environment in homes for the residents. Systems based on environmental sensors actively monitor the user activities every day. In these systems, many parameters have the ability to be monitored using different sensors and limitations from other types of sensors. So it makes system modeling much easier. However, these systems depend on the infrastructure and cannot monitor people who are outside the home. They have problems differentiating between the monitored person and other people in the home. Smart homes are an example of these systems.

2-2-3-Wearable sensor based approach

These systems are developed in such a way that they can measure the biomechanical and physiological data of the body during daily activities, taking into account the location of the person. So, it is an alternative to identify daily activities, especially physical activities of the body. On the other hand, they connect with people to monitor their activities. Wearable sensors consist of independent infrastructures and have the ability to measure physiological components that cannot be measured using video sensors or environmental sensors. Also, these sensors are cheap and, unlike their video sensors, they do not have the problem of people's privacy. A range of sensors attached to the body including electromechanical switches, accelerometers, gyroscopes, pedometers are used to capture and analyze human movements during daily life. Technological progress in microelectromechanical systems has led to the miniaturization and cost reduction of accelerometers and has been accepted as a useful tool to calculate human movements in clinical and life environments.

2-3-Activity recognition algorithm

Activity recognition algorithms classify various activities and operations according to user inputs. These algorithms are usually run either on users' workstations or smartphones. The selection of classification algorithms is based on the processing ability of the platform to execute the algorithm. Supervised classification algorithms are equipped with labeled samples in order to create a classification pattern. After that, the model is used according to the classification of the input data. These algorithms include Decision, SVM, KNN, Naïve-Bayes, etc. [19] Semi-supervised algorithms include self-learning and Co-learning. Self-learning uses a classifier to classify unlabeled data. Co-learning uses multiple classifiers for unlabeled data. In these algorithms, part of the unlabeled data is used [20].

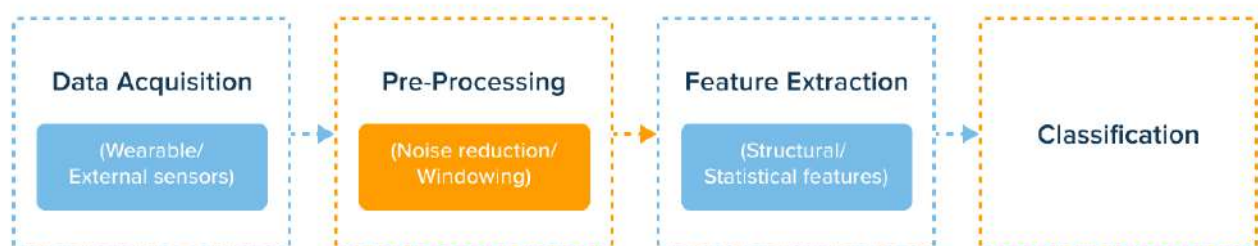


Figure 2-1 activity recognition models [20]

2-4-An example of human activities recognition

In this section, we discuss an example of the initial work of identifying human activities by using the sensors embedded in a mobile smart device in the indoor environment to obtain basic information in recognizing activities using sensors [21]. Each HAR system works based on the detection of the main activities of humans, and these activities include walking, going upstairs or down, running, moving and not moving, which is done by using statistical features obtained from the orientation of motion sensors and is performed by supporting the hierarchy

of a support vector machine. A system presented in [21] is based on motion sensors of a smart phone. Smartphones are equipped with three-axis accelerometer, gyroscope and magnetometer in order to obtain acceleration and orientation information and Android API. The described system has three parts. The described sections consist of the extracted features of the model, the human activities identification model and the energy consumption model. In the first model, the characteristics of human activities are extracted from the accelerometer and direction finder. In the second model of human activities, using a hierarchical structure identified in and in the third model, the energy consumption of each physical activity is evaluated from the activities that have been identified.

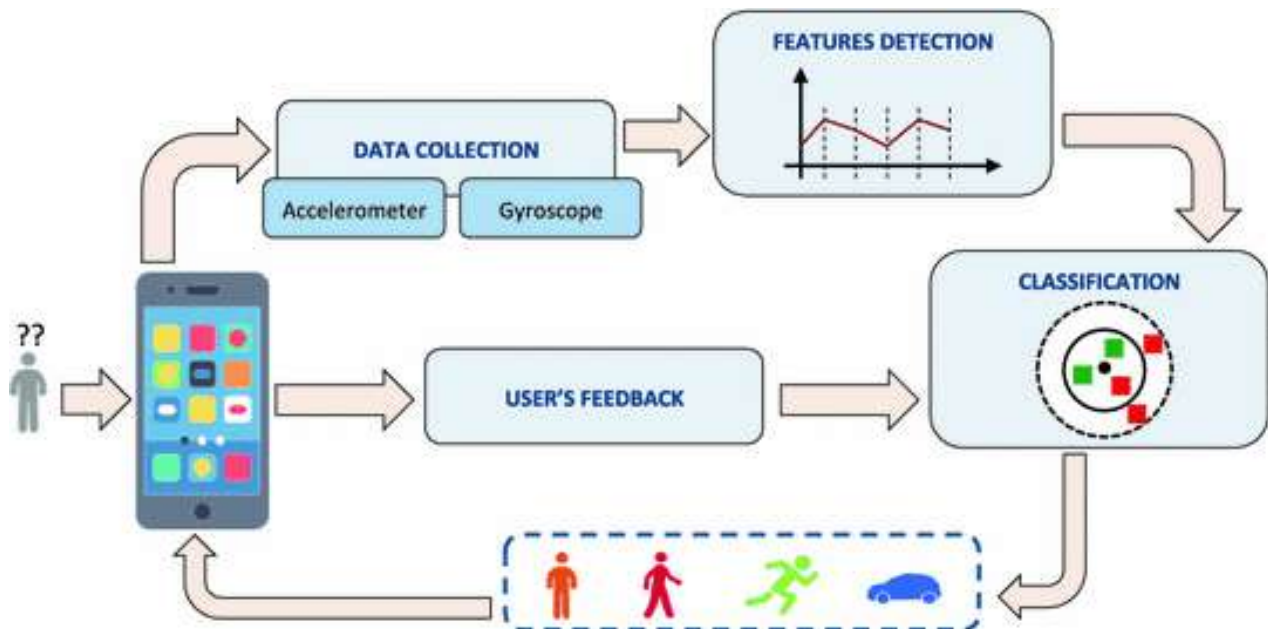


Figure 2-2 Human activity recognition model and mobile energy consumption [21]

2-5- Probabilistic Neural Network (PNN)

Probabilistic Neural Networks (PNNs) are a scalable alternative to classic back-propagation neural networks in classification and pattern recognition applications. They do not require the large forward and backward calculations that are required by standard neural networks. They can also work with different types of training data. PNN is often used in classification problems. When an input is present, the first layer computes the distance from the input vector to the training input vectors. This produces a vector where its elements indicate how close the input is to the training input. The second layer sums the contribution for each class of inputs and produces its net output as a vector of probabilities. Finally, a compete transfer function on the output of the second layer picks the maximum of these probabilities, and produces a 1 (positive identification) for that class and a 0 (negative identification) for non-targeted classes [22].

2-6-Genetic Algorithm

This algorithm is a numerical search algorithm modeled on Darwin's theory. The relationship between the science of genetics and the algorithm can be considered in this way that genes are the quantity and variable of the problem in the form of a string inside the chromosomes, which are the main variables of the problem. An index called population is one of the most important concepts of genetic algorithm. When an optimization problem is solved, the aim is to find the best answer among all possible answers. In fact, searching for an answer means searching for the minimum in a general problem space. This algorithm randomly creates a population of answers, and then these answers are converted into binary chains of 0 and 1,

which are called chromosomes. Chromosomes with higher fitness are selected as parents using a random process and participate in reproduction and produce offspring. Offspring that are more worthy than their own parents take the place of their parents in the new population. In this way, the evolution process will continue until reaching the global optimum with the most qualified chromosome in the most evolved population. Of course, a criterion should be considered in order to stop the algorithm and the population from eventually evolving. Chromosomes in each generation enter the algorithm as the input of the objective function, and this is the main function that seeks the absolute minimum. The existing chromosomes in each generation are the population of the algorithm. In fact, these chromosomes are the main answers to the problem that changes in each generation considering the changes in its genes.

After that, a population of competent chromosomes is selected for reproduction and the combination operator with a specific combination rate is performed on the reproduction with the aim of producing better binary strands. After that, in the process of mutation, with the occurrence of random changes in the genes, it causes the chromosomes to suffer genetic differences and dispersion, and a wider range of the search space is examined for a population to find chromosomes with higher fitness. In fact, the use of a wider numerical search space in this method is the obvious difference between this method and the methods obtained from the least squares iteration. After a period of time has passed from the execution of the genetic algorithm, the chromosomes converge towards an optimal solution, at which point the execution of the genetic algorithm is stopped and that chromosome is selected as the optimal solution of the problem. Of course, it should be pointed out that the accuracy and precision of convergence depends on the optimal selection of algorithm components [23].

3. Research Background

3-1-Review On Previous Research

Smartphones are now nearly ubiquitous; their numerous built-in sensors enable continuous measurement of activities of daily living, making them especially well-suited for health research. Researchers have proposed various human activity recognition (HAR) systems aimed at translating measurements from smartphones into various types of physical activity. In this review, the existing approaches are summarized to smartphone-based HAR. For this purpose, systematically searched Scopus, PubMed, and Web of Science for peer-reviewed articles published up to December 2020 on the use of smartphones for HAR. The information extracted on smartphone body location, sensors, and physical activity types studied and the data transformation techniques and classification schemes used for activity recognition. Consequently, 108 articles identified and described the various approaches used for data acquisition, data preprocessing, feature extraction, and activity classification, identifying the most common practices, and their alternatives. It concluded that smartphones are well-suited for HAR research in the health sciences. For population-level impact, future studies should focus on improving the quality of collected data, address missing data, incorporate more diverse participants and activities, relax requirements about phone placement, provide more complete documentation on study participants, and share the source code of the implemented methods and algorithms [24].

The vast amounts of mobile communication data collected by mobile operators can provide important insights regarding epidemic transmission or traffic patterns. By analyzing historical data and extracting user location information, various methods can be used to predict the mobility of mobile users. However, existing prediction algorithms are mainly based on the historical data of all users at an aggregated level and ignore the heterogeneity of individual behavior patterns. To improve prediction accuracy, this paper proposes a weighted Markov prediction model based on mobile user classification. The trajectory information of a user is

extracted first by analyzing real mobile communication data, where the complexity of a user's trajectory is measured using the mobile trajectory entropy. Second, classification criteria are proposed based on different user behavior patterns, and all users are classified with machine learning algorithms. Finally, according to the characteristics of each user classification, the step threshold and the weighting coefficients of the weighted Markov prediction model are optimized, and mobility prediction is performed for each user classification. Our results show that the optimized weighting coefficients can improve the performance of the weighted Markov prediction model [25].

Human activity recognition (HAR) has played an indispensable role in ubiquitous computing scenario, from smart homes to game console designing, elderly care, and fitness tracking. It is very hard to manually extract most suitable activity features from raw sensor time series. Due to an obvious advantage, convolutional neural networks (CNNs) that can extract features automatically have been widely utilized for activity recognition. Despite exceptional performance, CNNs are computation-intensive and memory-demanding algorithms because of a large number of internal parameters. As a result, the research attention in HAR implementations over resource-limited embedded platforms has turned to computationally lightweight convolution architectures. In this paper, we offer a contribution in the direction. Simple linear transformations with low cost are combined with a convolution-based HAR classifier to decrease overall computational/memory overhead and, simultaneously, which establishes an efficient classification method with satisfactory performance. The new method is evaluated against standard convolution-based and residual counterparts, over several popular HAR datasets for algorithm benchmarking. Experimental results verify that, the cheap linear operations can significantly reduce computational and memory cost, and meanwhile producing satisfactory recognition performance, which is able to ensure faster inference on mobile devices. Our new method could be a strong candidate for real HAR implementations on embedded platforms with limited computing resources [26].

Recently, deep learning has represented an important research trend in human activity recognition (HAR). In particular, deep convolutional neural networks (CNNs) have achieved state-of-the-art performance on various HAR datasets. For deep learning, improvements in performance have to heavily rely on increasing model size or capacity to scale to larger and larger datasets, which inevitably leads to the increase of operations. A high number of operations in deep learning increases computational cost and is not suitable for real-time HAR using mobile and wearable sensors. Though shallow learning techniques often are lightweight, they could not achieve good performance. Therefore, deep learning methods that can balance the trade-off between accuracy and computation cost is highly needed, which to our knowledge has seldom been researched. In this paper, a computation efficient CNN using conditionally parametrized convolution proposed for real-time HAR on mobile and wearable devices. The proposed method evaluated on four public benchmark HAR datasets consisting of WISDM dataset, PAMAP2 dataset, UNIMIB-SHAR dataset, and OPPORTUNITY dataset, achieving state-of-the-art accuracy without compromising computation cost. Various ablation experiments are performed to show how such a network with large capacity is clearly preferable to baseline while requiring a similar amount of operations. The method can be used as a drop-in replacement for the existing deep HAR architectures and easily deployed onto mobile and wearable devices for real-time HAR applications [27].

As a significant role in healthcare and sports applications, human activity recognition (HAR) techniques are capable of monitoring humans' daily behavior. It has spurred the demand for intelligent sensors and has been giving rise to the explosive growth of wearable and mobile devices. They provide the most availability of human activity data (big data). Powerful

algorithms are required to analyze these heterogeneous and high-dimension streaming data efficiently. This paper proposes a novel fast and robust deep convolutional neural network structure (FR-DCNN) for human activity recognition (HAR) using a smartphone. It enhances the effectiveness and extends the information of the collected raw data from the inertial measurement unit (IMU) sensors by integrating a series of signal processing algorithms and a signal selection module. It enables a fast computational method for building the DCNN classifier by adding a data compression module. Experimental results on the sampled 12 complex activities dataset show that the proposed FR-DCNN model is the best method for fast computation and high accuracy recognition. The FR-DCNN model only needs 0.0029 s to predict activity in an online way with 95.27% accuracy. Meanwhile, it only takes 88 s (average) to establish the DCNN classifier on the compressed dataset with less precision loss 94.18% [28].

The healthcare benefits associated with regular physical activity monitoring and recognition has been considered in several research studies. Solid evidence shows that regular monitoring and recognition of physical activity can potentially assist to manage and reduce the risk of many diseases such as obesity, cardiovascular and diabetes. A few studies have been carried out in order to develop effective human activity recognition system using smartphone. However, understanding the role of each sensor embedded in the smartphone for activity recognition is essential and need to be investigated. Due to the recent outstanding performance of artificial neural networks in human activity recognition, this work aims to investigate the role of gyroscope and accelerometer sensors and its combination for automatic human activity detection, analysis and recognition using artificial neural networks. The experimental result on the publicly available dataset indicates that each of the sensors can be used for human activity recognition separately. However, accelerometer sensor data performed better than gyroscope sensor data with classification accuracy of 92%. Combining accelerometer and gyroscope performed better than when used individually with an accuracy of 95% [29].

Recently, deep learning, which are able to extract automatically features from data, has achieved state-of-the-art performance across a variety of sensor based human activity recognition (HAR) tasks. However, the existing deep neural networks are usually trained with a global loss, and all hidden layer weights have to be always kept in memory before the forward and backward pass has completed. The backward locking phenomenon prevents the reuse of memory, which is a crucial limitation for wearable activity recognition. In the paper, a layer-wise convolutional neural networks (CNN) with local loss proposed for the use of HAR task. To our knowledge, this paper is the first that uses local loss based CNN for HAR in ubiquitous and wearable computing arena. We performed experiments on five public HAR datasets including UCI HAR dataset, OPPOTUNITY dataset, UniMib-SHAR dataset, PAMAP dataset, and WISDM dataset. The results show that local loss works better than global loss for tested baseline architectures. At no extra cost, the local loss can approach the state-of-the-arts on a variety of HAR datasets, even though the number of parameters was smaller. We believe that the layer-wise CNN with local loss can be used to update the existing deep HAR methods [30].

Recently, modern smartphones equipped with a variety of embedded-sensors, such as accelerometers and gyroscopes, have been used as an alternative platform for human activity recognition (HAR), since they are cost-effective, unobtrusive and they facilitate real-time applications. However, the majority of the related works have proposed a position-dependent HAR, i.e., the target subject has to fix the smartphone in a pre-defined position. Few studies have tackled the problem of position-independent HAR. They have tackled the problem either

using handcrafted features that are less influenced by the position of the smartphone or by building a position-aware HAR. The performance of these studies still needs more improvement to produce a reliable smartphone-based HAR. Thus, in this paper, we propose a deep convolution neural network model that provides a robust position-independent HAR system. We build and evaluate the performance of the proposed model using the RealWorld HAR public dataset. We find that our deep learning proposed model increases the overall performance compared to the state-of-the-art traditional machine learning method from 84% to 88% for position-independent HAR. In addition, the position detection performance of our model improves superiorly from 89% to 98%. Finally, the recognition time of the proposed model is evaluated in order to validate the applicability of the model for real-time applications [31].

Human activity recognition (HAR) techniques are playing a significant role in monitoring the daily activities of human life such as elderly care, investigation activities, healthcare, sports, and smart homes. Smartphones incorporated with varieties of motion sensors like accelerometers and gyroscopes are widely used inertial sensors that can identify different physical conditions of human. In recent research, many works have been done regarding human activity recognition. Sensor data of smartphone produces high dimensional feature vectors for identifying human activities. However, all the vectors are not contributing equally for identification process. Including all feature vectors create a phenomenon known as ‘curse of dimensionality’. This research has proposed a hybrid method feature selection process, which includes a filter and wrapper method. The process uses a sequential floating forward search (SFFS) to extract desired features for better activity recognition. Features are then fed to a multiclass support vector machine (SVM) to create nonlinear classifiers by adopting the kernel trick for training and testing purpose. We validated our model with a benchmark dataset. Our proposed system works efficiently with limited hardware resource and provides satisfactory activity identification [32].

Human Activity Recognition(HAR) is classifying activity of a person using responsive sensors that are affected from human movement. Both users and capabilities(sensors) of smartphones increase and users usually carry their smartphone with them. These facts makes HAR more important and popular. This work focuses on recognition of human activity using smartphone sensors using different machine learning classification approaches. Data retrieved from smart phones' accelerometer and gyroscope sensors are classified in order to recognize human activity. Results of the approaches used are compared in terms of efficiency and precision [33].

In today's healthcare applications, the use of mobile technologies brings together physicians and patients for intelligent and automatic monitoring of daily clinical activities, remote life assistants, and preventive care, especially for the elderly and those under medical control. As smartphones become an important part of our everyday life, they are ever more employed in human activities recognition (HAR) including the monitoring of personal health care and wellbeing. However, HAR is complex and it is important to use the best technology and learn about human activity using machine learning. The purpose of this paper is to develop a HAR system based on the smartphone sensors' data using Bagging and Adaboost ensemble classifiers. The experimental results for the HAR data have been evaluated after performing different data mining techniques. For each subject, the total classification accuracy, the F-measure, and the ROC area were calculated. Adaboost ensemble classifiers algorithm improved significantly the performance of smartphone-based HAR, combined with SVM, it reached 97.44% accuracy compared to the rest of the classifiers. The proposed algorithm of Adaboost SVM can lead to an accurate HAR for elderly and disabled patients who need

continuous care as well as it is a tool that supports the decisions of all medical practitioners [34].

Smart user devices are becoming increasingly ubiquitous and useful for detecting the user's context and his/her current activity. This work analyzes and proposes several techniques to improve the robustness of a Human Activity Recognition (HAR) system that uses accelerometer signals from different smartwatches and smartphones. This analysis reveals some of the challenges associated with both device heterogeneity and the different use of smartwatches compared to smartphones. When using smartwatches to recognize whole body activities, the arm movements introduce additional variability giving rise to a significant degradation in HAR. In this analysis, we describe and evaluate several techniques which successfully address these challenges when using smartwatches and when training and testing with different devices and/or users [35].

3-2-Reference Paper [36]

The purpose of this paper is to develop a HAR system based on the smartphone sensors' data using Bagging and Adaboost ensemble classifiers. The experimental results for the HAR data have been evaluated after performing different data mining techniques. For each subject, the total classification accuracy, the F-measure, and the ROC area were calculated. Adaboost ensemble classifiers algorithm improved significantly the performance of smartphone-based HAR, combined with SVM, it reached 97.44% accuracy compared to the rest of the classifiers. The proposed algorithm of Adaboost SVM can lead to an accurate HAR for elderly and disabled patients who need continuous care as well as it is a tool that supports the decisions of all medical practitioners.

Table 3-1 research background

Year	Method	Reference
2021	It proposes a weighted Markov prediction model based on classification of mobile phone users.	[25]
2022	Simple low-cost linear transformations are combined with a complexity-based HAR classifier to reduce the overall computational/memory overhead and, simultaneously, create an efficient classification method with satisfactory performance.	[26]
2022	It proposes a computationally efficient CNN using parametric convolution for real-time HAR in mobile and wearable devices	[27]
2019	It Proposes a novel deep convolutional neural network structure FR-DCNN for human activity recognition (HAR) using smart phone	[28]
2018	Automatic analysis and identification of human activities using artificial neural networks	[29]
2020	Using convolutional neural networks (CNN)	[30]
2018	Using a deep convolutional neural network model	[31]
2018	Using different machine learning classification approaches	[33]
2019	Bagging and Adaboost ensemble classifiers	[36]

4. The Proposed Method

4-1-Introduction

In this chapter, we will examine the proposed method for recognizing six human activities, including: standing, sitting, lying down, walking, climbing stairs and going down stairs using smartphone data. The innovative aspect of this research is the use of genetic algorithm in order to select the optimal features of the data set and also the use of probabilistic neural network to classify and recognize the type of activity. In the next part of this chapter, the structure of the proposed method will be explained.

4-2- Structure of the proposed method

In this research, we intend to classify different activities based on the mobile phone data, after performing pre-processing on the data, including normalization and removing the non-existent data, to classify the data, the genetic algorithm is used to select the effective features. This algorithm can optimize various problems such as discrete functions, multi-objective problems and continuous functions. The genetic algorithm does not need derivative information. After selecting the optimal features, in the next step, the probabilistic neural network is employed for data classification. Unlike other neural networks, this neural network has faster training speed. Also, this network is not sensitive to outliers, so it is more accurate in classification compared to other traditional networks. The diagram of the proposed method is presented in the following.

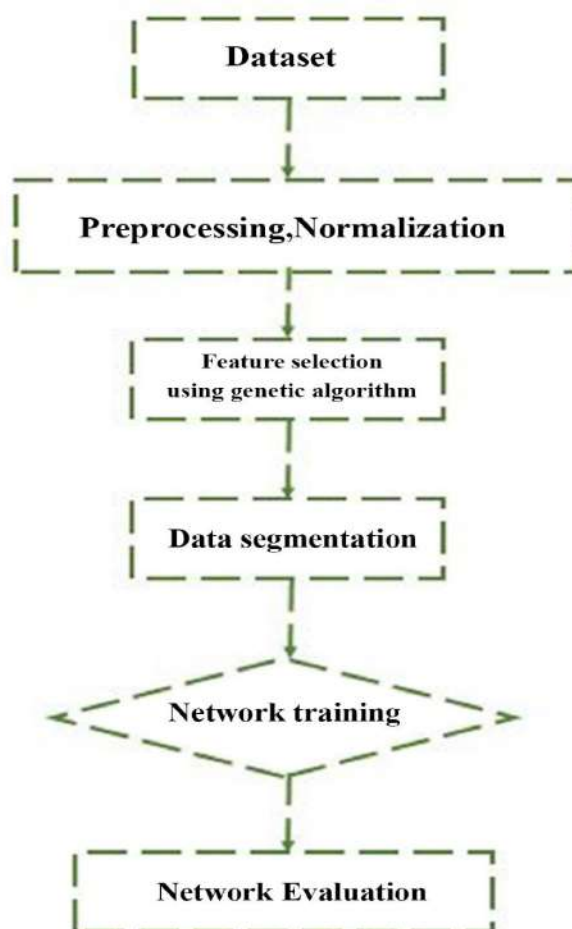


Figure 4-1 the proposed method diagram

4-2-1-Data preprocessing

Data pre-processing is one of the most important steps in the field of data mining, if the data is not processed properly, the accuracy of classification and detection will decrease drastically. In this work, as data pre-processing, in the first step, the missing data will be removed. In the next step, we will separate the features in the data set from the labels and store each one in separate variables, and then in the next step, we will normalize the data. In the following, we will describe the methods considered for each of the pre-processing steps.

• Missing Data removal

In some cases, it is possible that some features associated with one or more samples do not have valid values. This issue may have various reasons, such as the noise. These data are called missing data or non-existent data. In order to deal with this problem, a method should be considered. In this research, to remove the missing data, we will first find the 4 nearest neighbors of the missing data, then by calculating the average value of the 4 neighbors, we will consider the obtained value as the missing data value.

• Data normalization

Data normalization is one of the most important preprocessing steps in data mining. If we want to explain the importance of normalization, suppose that the interval related to the values of two features are very different from each other, for example, the interval related to one of the features is in the range of [1, 0] and the interval related to another feature of this data set is [1, 500], in this situation, when using criteria based on distance, the features that have a smaller interval do not have a great impact on the calculations. Therefore, in order to achieve more accurate results, the interval related to various features should be close to each other. To achieve this goal, normalization methods can be employed. There are various methods for normalization that have been used in different researches. In this study, in order to normalize the data, we use the min/max normalization method. In this method, the minimum and maximum of the data are mapped to an arbitrary interval, where the minimum and maximum values are predetermined. Assume that feature A, from the dataset that is in the interval between $\min\_A$ and $\max\_A$, is mapped to the new interval new_Min to new_Max . For this purpose, any initial value such as v in the initial interval is converted to a new value v' according to the following equation:

$$v' = (v - \min_A) \frac{\text{newMax} - \text{newMin}}{\max_A - \min_A} + (\text{newMin}) \quad (4-1)$$

4-2-2- Feature selection using genetic algorithm

In some cases, all the features in the dataset may not be efficient and may even mislead the network in classification process and reduce the accuracy of the network. Therefore, feature selection methods in order to select efficient features is very effective and will increase the accuracy of the classifier. In this work, in order to select efficient features, we intend to use genetic algorithm. To select the optimal features using this algorithm, the parameters in the algorithm should be adjusted according to the feature selection problem. Figure 4-2 shows the genetic algorithm diagram for selecting efficient features.

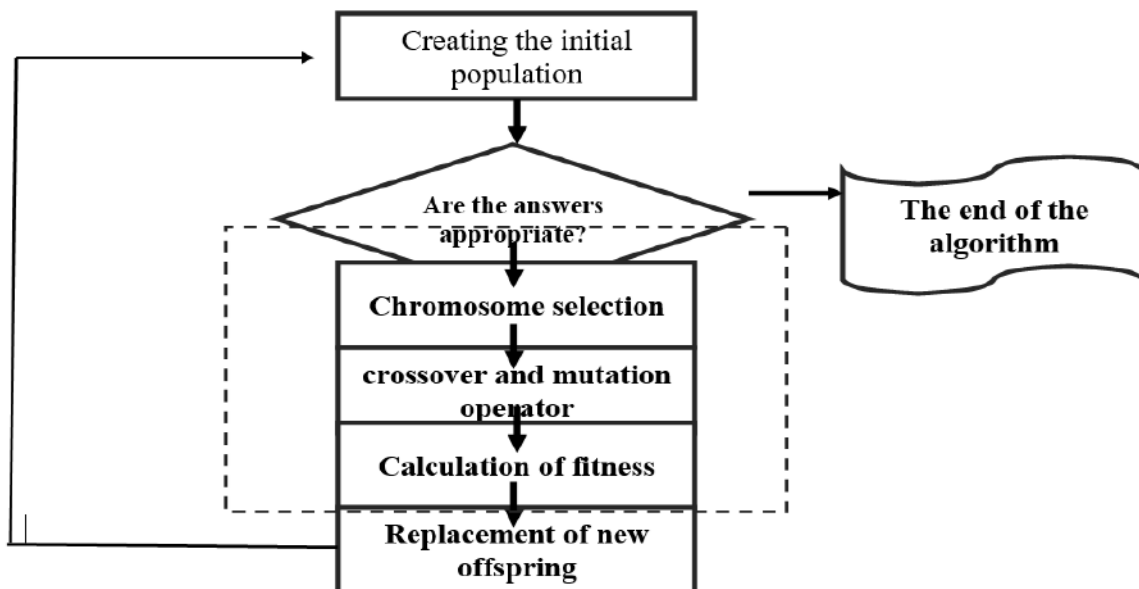


Figure 4-2 the genetic algorithm diagram

As presented in the diagram, the first step in the genetic algorithm is to create the initial population. In this algorithm, the initial population is formed by a group of chromosomes, and the chromosomal structure of this algorithm will be coded based on the optimization problem. In this research, we intend to use this algorithm in order to select the optimal feature, so the structure of chromosomes will be coded based on a subset of features. That is, each chromosome will represent a number of features.

• Evaluation functions

In the GA algorithm, at each stage, the fitness value of all the members of the population must be evaluated in order to select the next generation. Specifying appropriate evaluation functions to solve problems is one of the most important stages of GA algorithm. The algorithm aims to maximize the accuracy criterion or minimize the amount of error for the neural network using a subset of optimized features. For this purpose, the evaluation functions presented in this research evaluate the mean squared error for each of the chromosomes.

$$cost_{fun} = MSE = \frac{1}{n} \sum_{i=1}^n (Y_i - Y'_i)^2 \quad (4-2)$$

• Parent Selection

The value of parents' fitness is a criterion for their selection. Parents are selected based on probability. Chromosomes that obtain the best values in terms of objective functions are more likely to be selected. Roulette wheel selection is used in GA algorithm to select chromosomes. In the roulette wheel method, first, by considering a circle, and dividing it into smaller sections, each section is related to a corresponding chromosome fitness value. In this algorithm, a random number is used to select chromosomes. The generated random number determines which sector of the circle is selected.

Figure 4-3 shows an example of a roulette wheel for a population consisting of 5 chromosomes.

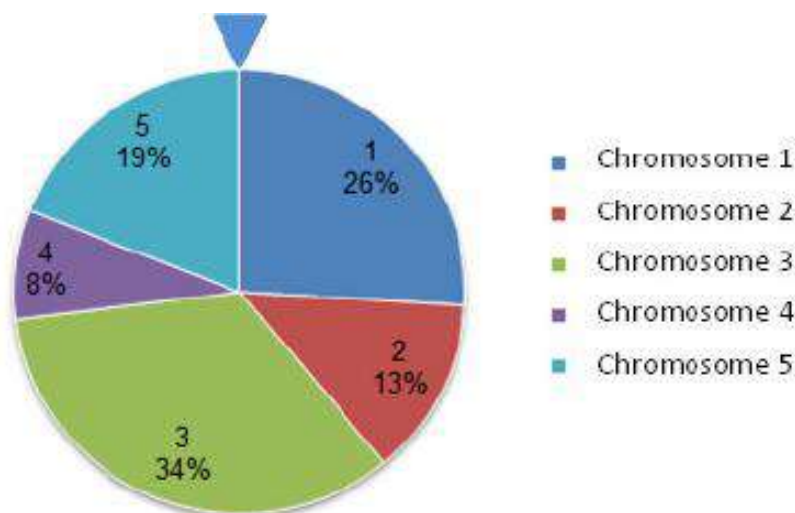


Figure 4-3 roulette wheel selection method

• Crossover operator

Two selected members of the population called parent create two new members called offspring through the crossover operator.

• Mutation operator

The purpose of using the mutation operator in GA algorithms is to maintain the required genetic diversity in the population.

• Convergence condition

Limiting the number of iterations causes the GA algorithm to end and reach the best answer. So the algorithm stops after a certain number of iterations. In this research, the criterion of reaching the maximum number of generations. In this way, the algorithm stops after reaching the maximum number of allowed repetitions.

4-2-3- Data segmentation

After the optimal features are selected, in this step, we will divide the remaining data into two groups, training and test datasets. In this work, we will consider 70% of the data for training and 30% for evaluating the network. Both datasets are randomly selected in each implementation. The training data along with the labels are given to the neural network so that the network adjusts its parameters based on the features and label of the features, but the test data is given to the neural network and it is expected to determine the output network.

4-2-4- Data classification using probabilistic neural network

In this step, the probabilistic neural network is employed to classify and detect the type of activities. Probabilistic neural network is one of the types of radial basis networks. Probabilistic networks are faster than other neural networks, probabilistic neural networks are more accurate compared to other networks, these networks are not very sensitive to outlier data. The structure of probabilistic neural networks generally consists of four layers: 1 input layer, 3 processing layers, which include the summation layer, pattern and output layer.

The function of the neurons of the input layer is to transfer the input values to all the neurons of the second layer and no processing is performed on the data in this layer. Each of the neurons of this layer calculates the product of the input in a weight vector and after performing a nonlinear operation, provides the result to the third layer. The nonlinear function of this layer is calculated based on equation 4-3.

$$\exp(-(W_i - X)^T(W_i - X)/2\sigma^2) \quad (4-3)$$

In this network, in the first layer, the inputs are multiplied by all the weights of the pattern layer and a value is obtained for each input. These values represent the similarity (Euclidean distance) of the input with each pattern. In this study, for this layer, we have six patterns, each pattern represents a human activity. In the summation layer, all the obtained values for all 6 patterns are added together and after maximizing the result is transferred to the output layer. The output displays the maximum similarity of the input data to the existing data in the pattern layer, which is displayed as the output of the network.

4-3-The Chapter Summary

In this chapter, we presented our proposed method for recognizing six human activities from mobile phone data. As mentioned earlier, in this work, after performing pre-processing on the data using the genetic algorithm, as an innovative aspect of the research, we will select the optimal features of the data set, and then we will classify these features using the probabilistic neural network. In the next chapter, the results of the method will be presented.

5. The Simulation Results

5-1-Introduction

In the previous chapter, the proposed method for recognizing 6 human activities from mobile phone data was examined. As mentioned, the innovative aspect of this research is in selecting the optimal features using genetic algorithm and classifying the selected features using probabilistic neural network. The data set used in this research is the HAR data set, which was received from the UCI repository. In the following, this data set will be introduced. MATLAB software is used to simulate the model proposed in this study.

5-2-Dataset

The dataset used in this research is based on the UCI repository. Volunteers between the ages of 19 and 48, wearing a Samsung Galaxy S II smartphone on their waist, performed six basic activities: standing, sitting, lying down, walking, climbing stairs, and descending stairs. The analysis also includes state transitions between three static states and three dynamic states. Features in this dataset were recorded based on acceleration data at 50 Hz while the data were manually labeled using a video recording process. The data set was randomly divided into 70% and 30% training and testing data, respectively. Noise filters have been applied to this data set and then sampling has been done in sliding windows with a fixed width of 2.56 seconds and 50% overlap.

5-3- Evaluation Criteria

In this research, the criteria of accuracy, sensitivity and specificity are used to check the results obtained from the proposed model. The equations are presented in the following.

$$Accuracy(acc) = \frac{TP+TN}{TP+TN+FP+FN} \quad (5-1)$$

$$Sensitivity(Sen) = \frac{TP}{TP+FN} \quad (5-2)$$

$$Specificity(Spe) = \frac{TN}{TN+FP} \quad (5-3)$$

In the above equations, TP and TN represent true positive detection and true negative detection, and FP and FN represent false positive detection and false negative detection. Equation 5-1 is the overall accuracy equation that shows the ratio of true identifications to the total number of available identifications. In equation 5-2, which is the sensitivity equation, it

represents positive accuracy. Equation 5-3 represents the negative accuracy. It shows the ratio of correctly detected negatives to all existing negatives.

In order to evaluate the criteria of TP, TN, FP, FN, the confusion matrix has been presented. Next, this matrix and its different parts are proposed in Figure 5-1.

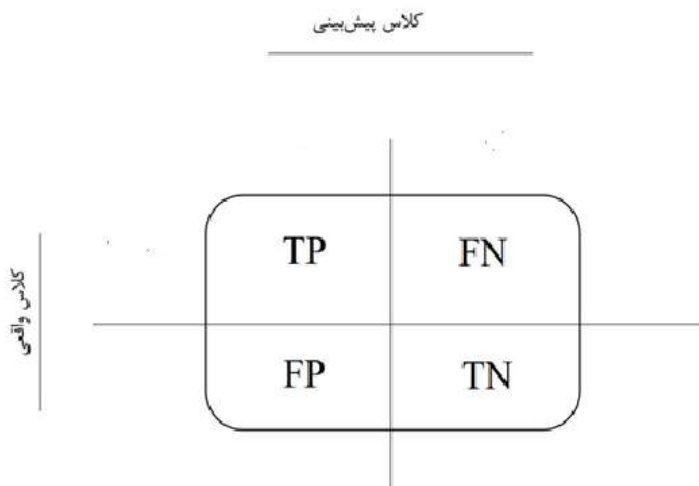


figure 5-1 the confusion matrix

5-4- The Simulation Results

5-4-1-the pre-processing step

As we mentioned in the proposed method chapter, in the first step, we processed the non-existent data using the averaging method on 4 nearest neighbors, and then in the next step, the feature data were separated from the labels and each one was stored in its own variable, and then normalized. The result of the preprocessing step is presented in Figure 5-2.

	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12
1	-0.0051	-0.0227	0.0233	-0.0228	0.1042	-0.3578	0.4652	0.7752	0.1621	-0.0749	-1.4693e...	0.0056
2	0.9770	-0.0450	0.1832	0.0756	0.0118	-0.0431	-0.0213	-0.0145	0.0281	0.0031	-0.0141	0.0063
3	-0.1508	0.3304	0.9103	-8.1516e...	-0.1786	0.0358	0.0633	-0.0221	0.0149	-0.0286	-0.0042	-0.0058
4	0.0149	0.0047	7.5301e...	-0.0109	-0.0061	-0.0284	-0.0229	-0.0134	-0.0066	-0.1917	0.9714	0.0425
5	-0.0077	0.0051	-0.0086	0.0516	-0.0269	0.0061	-0.0282	-0.0214	-0.0479	0.0502	-0.0345	-0.1690
6	0.0067	-8.5064e...	-0.0385	-0.0301	0.0871	-0.2357	0.7731	-0.5785	-0.0199	0.0352	0.0098	-0.0011
7	-0.0158	0.0099	-0.0127	0.0372	-0.0251	0.0245	-0.0450	-0.0676	0.0828	-0.0198	0.0875	-0.0708
8	-0.0106	0.0048	0.0029	0.0067	-0.0075	-0.0088	-0.0172	-0.0171	-0.0100	0.0172	-0.0478	0.9785
9	-0.0087	0.0015	0.0358	0.0398	0.0176	-0.0195	0.0097	0.0820	-0.0215	0.9736	0.1939	-0.0033
10	-0.0631	-0.0470	0.1928	0.1856	0.9489	0.1029	-0.0871	-0.0406	0.0303	-0.0256	0.0042	9.9083e...
11	-0.0517	0.0135	-0.0599	0.9651	-0.1778	0.0993	0.1142	0.0350	-0.0071	-0.0403	0.0068	0.0068
12	0.0094	0.0019	-0.0016	-0.0139	-0.0030	0.0454	0.0017	-0.0089	-0.0245	-0.0217	-0.0762	-0.0760
13	-1.5817e...	0.0061	-0.0024	-0.0094	-0.0038	0.0023	-0.0292	-0.0250	-0.0041	-0.0064	0.0016	-0.0217

Figure 5-2 the preprocessing step

It can be seen that all the data are in a certain range and there is no non-existent data. All these pre-processing have been performed on the matrix of variables.

5-4-2-Feature selection results

In this step, the genetic algorithm specifications given in Table 5-1 was used to select the optimal features.

Table 5-1 the genetic algorithm specifications

the genetic algorithm	Feature selection
Chromosome length	15
Number of selected features	15
The number of iterations	40
The structure of chromosomes	Based on the features in the dataset
cost function	$MSE = \frac{1}{n} \sum_{i=1}^n (Y_i - Y'_i)^2$
Mutation rate	8%

In the following, the indices selected as optimal features are presented in Table 5-2.

Table 5-2 optimal features indices

1	3	4	5	19	8	9	10	11	20
					13	14	17	2	6

After separating the selected features, the dimensions of the feature matrix were reduced from 20 dimensions to 15 dimensions.

5-4-3-Results and structure of the classifier

Figure 5-3 presents the structure of the probabilistic neural network used in this research for data classification. In the first layer, there are 15 neurons as the number of selected features, and in the pattern layer, 300 neurons are considered as the number of input vectors for training data, and for the summation and output layers, 6 neurons are considered as the number of available classes. It should be noted that the activation function of the pattern layer was Gaussian. The pattern layer has a parameter called smoothing that specifies the distance between the input vector and the vectors in the pattern layer. In this research, we determined the value of this parameter as 0.0001 by trial and error.

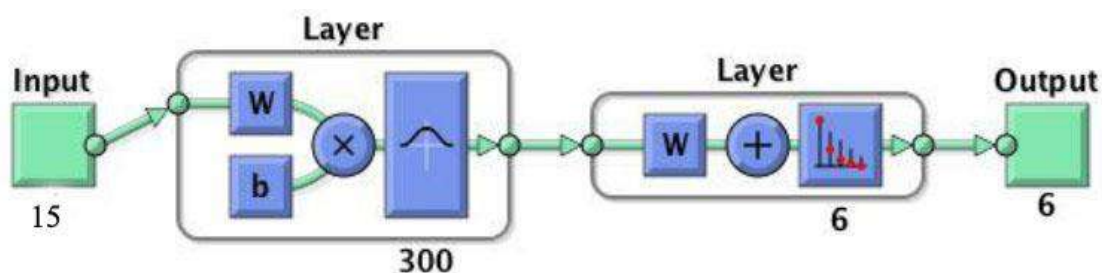


Figure 5-3 the structure of the probabilistic neural network

Next, we will examine the results of the classifier for the test and training data.

Train Data

1	24 7.0%	0 0.0%	0 0.0%	0 0.0%	0 0.0%	0 0.0%	100% 0.0%
2	0 0.0%	11 3.2%	0 0.0%	0 0.0%	0 0.0%	0 0.0%	100% 0.0%
3	0 0.0%	0 0.0%	207 60.3%	0 0.0%	0 0.0%	0 0.0%	100% 0.0%
4	0 0.0%	0 0.0%	0 0.0%	14 4.1%	3 0.9%	0 0.0%	82.4% 17.6%
5	0 0.0%	0 0.0%	0 0.0%	0 0.0%	70 20.4%	0 0.0%	100% 0.0%
6	0 0.0%	0 0.0%	0 0.0%	0 0.0%	0 0.0%	14 4.1%	100% 0.0%
	100% 0.0%	100% 0.0%	100% 0.0%	100% 0.0%	95.9% 4.1%	100% 0.0%	99.1% 0.9%
	1	2	3	4	5	6	

Target Class

Figure 5-4 confusion matrix for training data

Test Data

1	7 8.1%	0 0.0%	0 0.0%	0 0.0%	0 0.0%	0 0.0%	100% 0.0%
2	0 0.0%	1 1.2%	0 0.0%	0 0.0%	0 0.0%	0 0.0%	100% 0.0%
3	0 0.0%	0 0.0%	49 57.0%	0 0.0%	0 0.0%	0 0.0%	100% 0.0%
4	0 0.0%	0 0.0%	0 0.0%	3 3.5%	0 0.0%	0 0.0%	100% 0.0%
5	0 0.0%	0 0.0%	0 0.0%	1 1.2%	22 25.6%	0 0.0%	95.7% 4.3%
6	0 0.0%	0 0.0%	0 0.0%	0 0.0%	0 0.0%	3 3.5%	100% 0.0%
	100% 0.0%	100% 0.0%	100% 0.0%	75.0% 25.0%	100% 0.0%	100% 0.0%	98.8% 1.2%
	1	2	3	4	5	6	

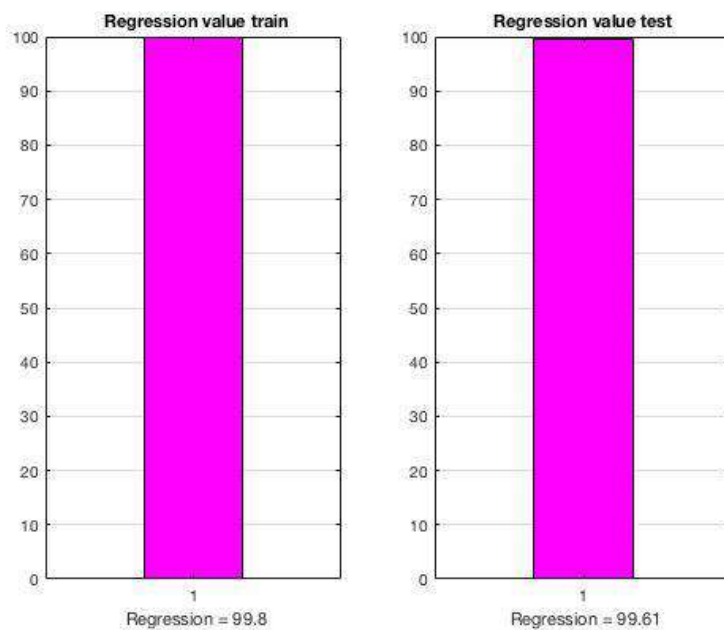
Target Class

Figure 5-5 confusion matrix for test data

Table 5-3 Analyzing the results of the confusion matrix

Accuracy for each activity	Test	Training
Standing class accuracy	100%	100%
Sitting class accuracy	100%	100%
Lying down class accuracy	100%	100%
Walking class accuracy	75%	100%
The accuracy of climbing the stairs	100%	95.9%
The accuracy of going down the stairs	100%	100%
Overall accuracy obtained	98.8%	99.1%

Next, in Figure 5-6, the regression value obtained for both test and training datasets is displayed. Regression is a value between zero and one, the closer it is to one, it indicates the fact that the output of the classifier is closer to the actual values, and the closer it is to zero, it indicates a mismatch between the output of the network and the actual value, and as a result, the network's low accuracy in classification.

*Figure 5-6 Regression value of test and training data*

It can be seen that for both data groups, the regression value is close to 100 and this shows that the classifier has been successful in the training and evaluation step.

In the following, we presented the evaluation criteria obtained for the test and training data in Figures 5-7 and 5-8 so that we can evaluate the classification results from different aspects.

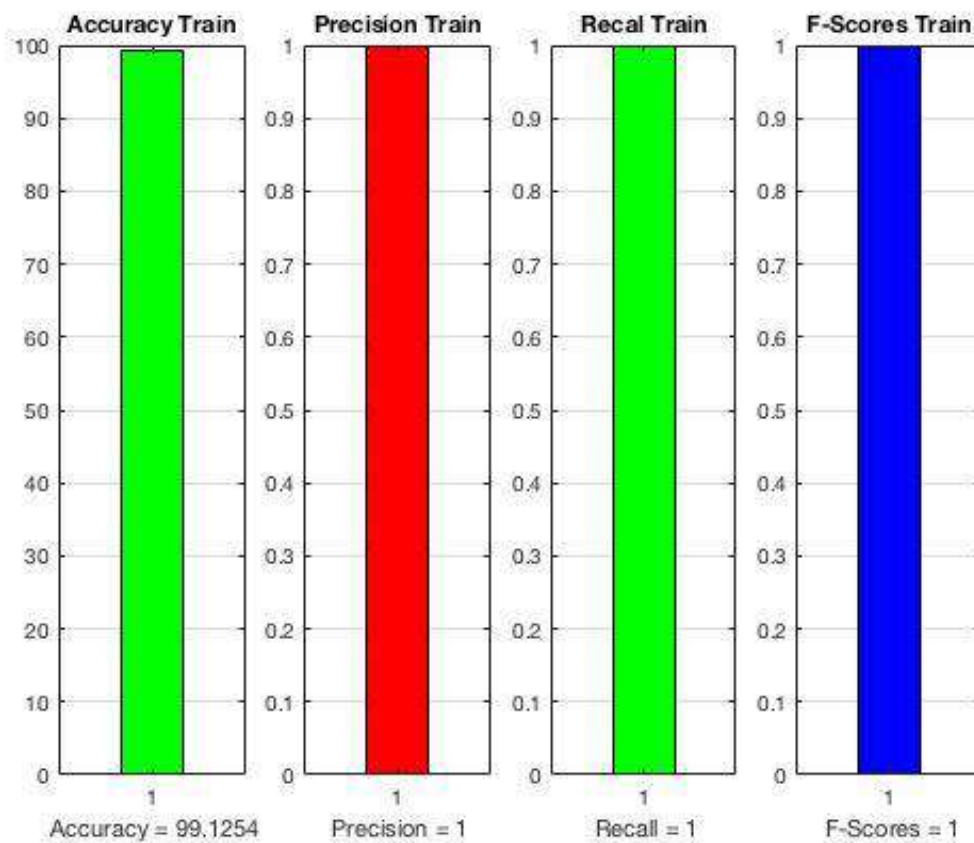


Figure 5-7 The results of evaluation criteria for classifier training data

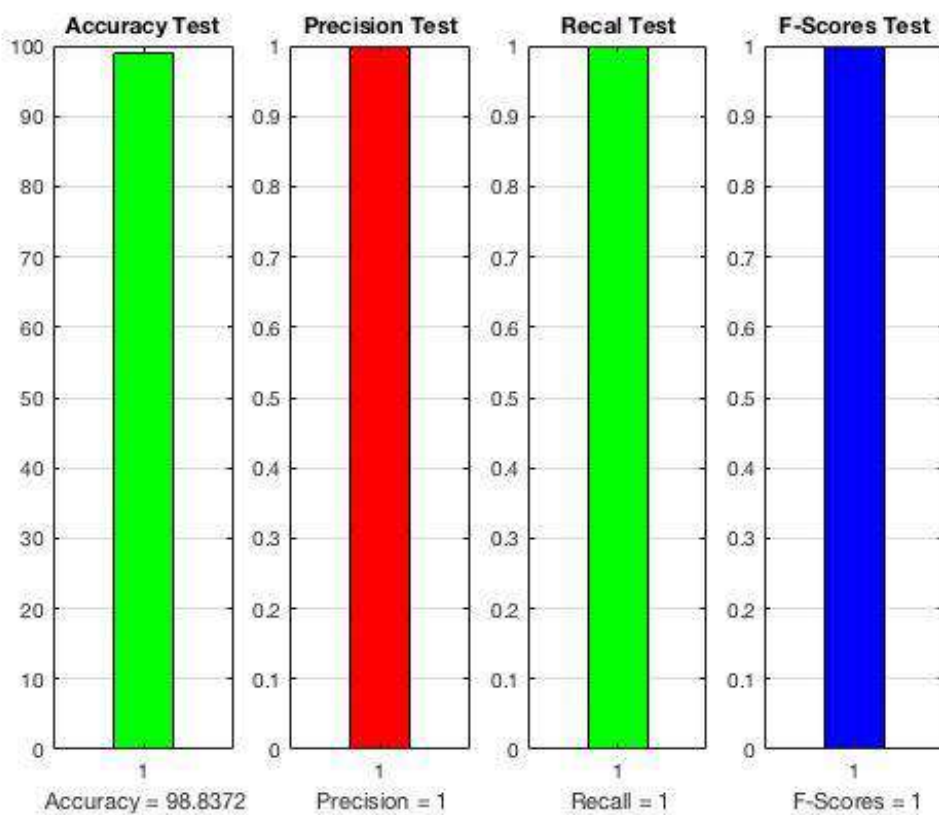


Figure 5-8 The results of evaluation criteria for classifier test data

5-5-The Results Comparison

In this section, we will compare the results obtained for the classifier test data with other methods performed in this field. The results comparison is presented in Table 5-4.

Table 5-4 results comparison

Method	Accuracy	F-score
C.45[36]	91.7%	94%
KNN[36]	95.35%	95.4%
SVM[36]	97.31%	97.4%
PNN-GA	98.8%	100%

As can be seen, on average, the proposed method is 2% more accurate compared to other methods and 3% more than other methods in terms of F score. The reason for this improvement is the use of genetic algorithm to select optimal features and classification using probabilistic neural network.

6. Conclusions and Recommendations

6-1-Conclusions

In Medical Monitoring, as smartphones become an important part of daily lives, they are increasingly being used to detect human activities, including monitoring health care and personal well-being. However, the human activity recognition system is complex and it is important to use the best technology and learn about human activities using machine learning. This study aims to develop a human activity recognition system based on smartphone sensor data using a probabilistic classifier. This study investigated the detection of human activities using data mining techniques with the help of smartphones. By using the best technology and benefiting from the development of machine learning, it is possible to provide detailed information about human activities, especially in the case of elderly and disabled patients who need continuous care. In this work, to increase the accuracy of detection in the first step, after performing pre-processing such as: removing missing data and normalizing data in the feature selection stage, 15 important features were selected from the 20 features in the used data set. The features in this study are based on the value of accelerometers and angles for each person. After selecting the important features, these features were classified using a probabilistic classifier and we were able to achieve 98.8% accuracy, which was 2% better than the methods in the reference paper. In this study, the HAR dataset in the UCI repository was used.

6-2-Recommendations

- Using the genetic algorithm or other meta-heuristic algorithms to determine the optimal value of the smoothing parameter of the probabilistic classifier to increase the accuracy of diagnoses.
- Using classification methods based on deep networks.
- Evaluation of the proposed method on other datasets available in this field.

References

- [1] Fazli, M., Kowsari, K., Gharavi, E., Barnes, L., & Doryab, A. (2020, November). HHAR-net: Hierarchical Human Activity Recognition using Neural Networks. In *International Conference on Intelligent Human Computer Interaction* (pp. 48-58). Springer, Cham
- [2] Ronao, C. A., & Cho, S. B. (2015, November). Deep convolutional neural networks for human activity recognition with smartphone sensors. In *International Conference on Neural Information Processing* (pp. 46-53). Springer, Cham
- [3] Ronao, C. A., & Cho, S. B. (2016). Human activity recognition with smartphone sensors using deep learning neural networks. *Expert systems with applications*, 59, 235-244.
- [4] Saeed, A., Ozcelebi, T., & Lukkien, J. (2019). Multi-task self-supervised learning for human activity detection. *Proceedings of the ACM on Interactive, Mobile, Wearable and Ubiquitous Technologies*, 3(2), 1-30.
- [5] Milenkoski, M., Trivodaliev, K., Kalajdziski, S., Jovanov, M., & Stojkoska, B. R. (2018, May). Real time human activity recognition on smartphones using LSTM networks. In *2018 41st International Convention on Information and Communication Technology, Electronics and Microelectronics (MIPRO)* (pp. 1126-1131). IEEE.
- [6] Micucci, D., Mobilio, M., & Napoletano, P. (2017). Unimib shar: A dataset for human activity recognition using acceleration data from smartphones. *Applied Sciences*, 7(10), 1101.
- [7] Mehrnezhad, M., Toreini, E., Shahandashti, S. F., & Hao, F. (2018). Stealing PINs via mobile sensors: actual risk versus user perception. *International Journal of Information Security*, 17(3), 291-313.
- [8] Baxter, C., Carroll, J. A., Keogh, B., & Vandelanotte, C. (2020). Assessment of mobile health apps using built-in smartphone sensors for diagnosis and treatment: Systematic survey of apps listed in international curated health app libraries. *JMIR mHealth and uHealth*, 8(2), e16741.
- [9] Bourke, A. K., & Lyons, G. M. (2008). A threshold-based fall-detection algorithm using a bi-axial gyroscope sensor. *Medical engineering & physics*, 30(1), 84-90.
- [10] Gafurov, D., Helkala, K., & Søndrol, T. (2006). Biometric Gait Authentication Using Accelerometer Sensor. *J. comput.*, 1(7), 51-59.
- [11] Frommknecht, B., & Schlicht, A. (2010). The GRACE gravity sensor system. In *System Earth via Geodetic-Geophysical Space Techniques* (pp. 105-118). Springer, Berlin, Heidelberg.
- [12] Sanders, D. (2008). Environmental sensors and networks of sensors. *Sensor Review*.
- [13] Wu, S. S., & Wu, H. Y. (2011, December). The design of an intelligent pedometer using Android. In *2011 Second International Conference on Innovations in Bio-inspired Computing and Applications* (pp. 313-315). IEEE.
- [14] Strath, S. J., Bassett, D. R., Swartz, A. M., & Thompson, D. L. (2001). Simultaneous heart rate-motion sensor technique to estimate energy expenditure. *Medicine and science in sports and exercise*, 33(12), 2118-2123.
- [15] Wilde, A. G. (2010). An overview of human activity detection technologies for pervasive systems. *Department of Informatics University of Fribourg, Switzerland*, 212, 72-112.
- [16] Yurur, O., & Moreno, W. (2011). Energy efficient sensor management strategies in mobile sensing. *Proc. ISTE Gener. Assem*, 66-72.

- [17] Florentino-Liaño, B., O'Mahony, N., & Artés-Rodríguez, A. (2012, May). Human activity recognition using inertial sensors with invariance to sensor orientation. In *2012 3rd International Workshop on Cognitive Information Processing (CIP)* (pp. 1-6). IEEE.
- [18] Khan, A. M., Lee, Y. K., Lee, S. Y., & Kim, T. S. (2010). A triaxial accelerometer-based physical-activity recognition via augmented-signal features and a hierarchical recognizer. *IEEE transactions on information technology in biomedicine*, 14(5), 1166-1172.
- [19] He, W., Guo, Y., Gao, C., & Li, X. (2012). Recognition of human activities with wearable sensors. *EURASIP Journal on Advances in Signal Processing*, 2012(1), 1-13.
- [20] Maguire, D., & Frisby, R. (2009, October). Comparison of feature classification algorithm for activity recognition based on accelerometer and heart rate data. In *9th. IT & T Conference* (p. 11).
- [21] Wang, Y., Lin, J., Annavaram, M., Jacobson, Q. A., Hong, J., Krishnamachari, B., & Sadeh, N. (2009, June). A framework of energy efficient mobile sensing for automatic user state recognition. In *Proceedings of the 7th international conference on Mobile systems, applications, and services* (pp. 179-192).
- [22] Equitz, W. H. (1989). A new vector quantization clustering algorithm. *IEEE transactions on acoustics, speech, and signal processing*, 37(10), 1568-1575.
- [23] Davis, D.J.M.a.L., Training Feedforward Neural Networks Using Genetic Algorithms. 2005
- [24] Strackiewicz, M., James, P., & Onnela, J. P. (2021). A systematic review of smartphone-based human activity recognition methods for health research. *NPJ Digital Medicine*, 4(1), 1-15.
- [25] Yan, M., Li, S., Chan, C. A., Shen, Y., & Yu, Y. (2021). Mobility prediction using a weighted Markov model based on mobile user classification. *Sensors*, 21(5), 1740.
- [26] Liu, T., Wang, S., Liu, Y., Quan, W., & Zhang, L. (2022). A lightweight neural network framework using linear grouped convolution for human activity recognition on mobile devices. *The Journal of Supercomputing*, 78(5), 6696-6716.
- [27] Cheng, X., Zhang, L., Tang, Y., Liu, Y., Wu, H., & He, J. (2022). Real-time human activity recognition using conditionally parametrized convolutions on mobile and wearable devices. *IEEE Sensors Journal*, 22(6), 5889-5901.
- [28] Qi, W., Su, H., Yang, C., Ferrigno, G., De Momi, E., & Aliverti, A. (2019). A fast and robust deep convolutional neural networks for complex human activity recognition using smartphone. *Sensors*, 19(17), 3731.
- [29] Ogbuabor, G., & La, R. (2018, February). Human activity recognition for healthcare using smartphones. In *Proceedings of the 2018 10th international conference on machine learning and computing* (pp. 41-46).
- [30] Teng, Q., Wang, K., Zhang, L., & He, J. (2020). The layer-wise training convolutional neural networks using local loss for sensor-based human activity recognition. *IEEE Sensors Journal*, 20(13), 7265-7274.
- [31] Almaslukh, B., Artoli, A. M., & Al-Muhtadi, J. (2018). A robust deep learning approach for position-independent smartphone-based human activity recognition. *Sensors*, 18(11), 3726.
- [32] Ahmed, N., Rafiq, J. I., & Islam, M. R. (2020). Enhanced human activity recognition based on smartphone sensor data using hybrid feature selection model. *Sensors*, 20(1), 317

- [33] Bulbul, E., Cetin, A., & Dogru, I. A. (2018, October). Human activity recognition using smartphones. In *2018 2nd international symposium on multidisciplinary studies and innovative technologies (ismsit)* (pp. 1-6). IEEE.
- [34] Subasi, A., Fllatah, A., Alzobidi, K., Brahimi, T., & Sarirete, A. (2019). Smartphone-based human activity recognition using bagging and boosting. *Procedia Computer Science*, 163, 54-61.
- [35] San-Segundo, R., Blunck, H., Moreno-Pimentel, J., Stisen, A., & Gil-Martín, M. (2018). Robust Human Activity Recognition using smartwatches and smartphones. *Engineering Applications of Artificial Intelligence*, 72, 190-202.
- [36] Subasi, A., Fllatah, A., Alzobidi, K., Brahimi, T., & Sarirete, A. (2019). Smartphone-based human activity recognition using bagging and boosting. *Procedia Computer Science*, 163, 54-61

عنوان البحث

الواقع التشريعي للأمن السيبراني في العراق: التحديات والطموحات

محمد كاظم هادي عنجور المنصوري¹

¹ باحث، العراق.

بريد الكتروني: qasim.93.r@gmail.com

HNSJ, 2025, 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/36>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/68/36>

تاريخ النشر: 2025/08/01م

تاريخ القبول: 2025/07/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/07/07م

المستخلص

يتناول هذا البحث مفهوم الأمن السيبراني في العراق، مسلطاً الضوء على التحديات التي تواجهها البلاد في ظل التحولات الرقمية السريعة. يعاني العراق من ضعف في البنية التحتية الرقمية ونقص في التشريعات القانونية اللازمة لحماية الأمن السيبراني، مما يجعله عرضة للاختراقات والهجمات الإلكترونية. كما يشير البحث إلى تصاعد التهديدات السيبرانية، مما يتطلب استجابة قانونية وتقنية فعالة. توصي الدراسة بضرورة تطوير إطار قانوني شامل، وتعزيز البنية التحتية الرقمية، وزيادة الوعي بأهمية الأمن السيبراني بين صانعي القرار والمجتمع. كما تدعو إلى إنشاء مركز وطني متخصص للأمن السيبراني لتعزيز جهود الحماية والتنسيق على المستوى الوطني.

الكلمات المفتاحية: الأمن السيبراني، التحديات الرقمية، البنية التحتية الرقمية، التشريعات القانونية، الهجمات الإلكترونية.

RESEARCH TITLE

The Legislative Reality of Cybersecurity in Iraq: Challenges and Ambitions

Abstract

This research addresses the concept of cybersecurity in Iraq, highlighting the challenges faced by the country amid rapid digital transformations. Iraq suffers from weak digital infrastructure and a lack of adequate legal frameworks to protect cybersecurity, making it vulnerable to breaches and cyberattacks. The study also points to the escalating cyber threats, necessitating effective legal and technical responses. The research recommends developing a comprehensive legal framework, enhancing digital infrastructure, and raising awareness of cybersecurity importance among decision-makers and society. Additionally, it calls for the establishment of a specialized national cybersecurity center to strengthen protection efforts and coordination at the national level.

Key Words: Cybersecurity, Digital Challenges, Digital Infrastructure, Legal Legislation, Cyber Attacks.

مقدمة

في ظل التحولات المتسارعة التي يشهدها العالم في مجالات التكنولوجيا والاتصالات، أصبح الفضاء الرقمي جزءاً لا يتجزأ من حياة الأفراد والدول، ما أفرز تحديات أمنية غير مسبقة تمثلت في الجرائم الإلكترونية والتهديدات السيبرانية. هذه التحديات أوجدت ضرورة ملحة لصياغة مفاهيم وأطر قانونية جديدة قادرة على مواكبة هذا الواقع المتغير، كان في مقدمتها مفهوم "الأمن السيبراني"، الذي لم يعد خياراً بل ضرورة لحماية الأمن الوطني ومؤسسات الدولة الحيوية. يكتسب هذا الموضوع أهمية خاصة في الحالة العراقية، حيث أدت هشاشة البنية التحتية الرقمية بعد عام 2003، وغياب التشريعات الموائمة، إلى جعل البلاد عرضة للاختراقات والهجمات الإلكترونية. وعليه، يسعى هذا البحث إلى استقصاء مفهوم الأمن السيبراني من جوانبه اللغوية والقانونية والتقنية، وتحليل واقعه في العراق، في ضوء التحديات القائمة والجهود التشريعية المبذولة، وذلك من خلال دراسة تحليلية نقدية تهدف إلى الوقوف على مكان الضعف واقتراح المعالجات القانونية اللازمة لتعزيز الحماية السيبرانية.

أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في تسليط الضوء على مفهوم الأمن السيبراني وضرورة تنظيمه قانونياً لمواجهة التحديات الرقمية المتزايدة. كما يبرز أهمية وضع تشريعات وطنية تحمي البنى التحتية الحيوية في العراق من الهجمات الإلكترونية. يساهم البحث في توعية صانعي القرار بخطورة الفجوة القانونية في هذا المجال. كذلك يُعد مرجعاً أكاديمياً يعزز الدراسات المستقبلية المتعلقة بالأمن الرقمي والسيبراني.

إشكالية البحث:

مع التوسع المتسارع في استخدام التكنولوجيا الرقمية في العراق، برزت الحاجة الملحة إلى وجود إطار قانوني متين ينظم الأمن السيبراني ويحمي الأفراد والمؤسسات من التهديدات الإلكترونية المتزايدة. إلا أن الواقع التشريعي الحالي يعاني من قصور واضح، مما يطرح تساؤلات حول كفاية القوانين الحالية لمواجهة هذه التحديات.

أسئلة البحث:

1. إلى أي مدى يُعد الإطار القانوني العراقي الحالي كافياً لمواجهة التحديات المرتبطة بالأمن السيبراني؟
2. ما أبرز أوجه القصور في التشريعات العراقية المتعلقة بالأمن السيبراني مقارنةً بالمعايير الدولية؟
3. ما هي أهم المخاطر والتحديات السيبرانية التي تواجهها المؤسسات العراقية في ظل غياب تشريع شامل؟
4. كيف يمكن تطوير المنظومة القانونية العراقية لضمان حماية فعّالة للبنية الرقمية وحقوق الأفراد في الفضاء السيبراني؟

منهجية البحث

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، حيث يسعى إلى دراسة وتحليل الإطار القانوني الحالي للأمن السيبراني في العراق من خلال جمع البيانات والمعلومات المتعلقة بالتشريعات الوطنية والدولية ذات الصلة. كما سيتم تحليل القوانين العراقية المقارنة مع المعايير الدولية لتحديد نقاط القوة والقصور.

هيكلية البحث:

المبحث الأول: مفهوم الامن السيبراني

المبحث الثاني: الامن السيبراني في القانون العراقي

المبحث الأول

مفهوم الأمن السيبراني

في ظل التطور الهائل في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، برزت تحديات أمنية جديدة تستهدف الفضاء الرقمي، مما أفرز نمطاً مستحدثاً من الجرائم أطلق عليه "الجرائم الإلكترونية". وقد اقتضى هذا الواقع المتغير استحداث مفاهيم وآليات حماية جديدة، كان من أبرزها مفهوم "الأمن السيبراني"، الذي بات يشكل الإطار الناظم لمواجهة هذه التهديدات وضمان سلامة الفضاء الرقمي. وفي هذا السياق، يتطلب فهم الأمن السيبراني الوقوف على معناه اللغوي والاصطلاحي، من خلال تحليل مفردتي "الأمن" و"السيبرانية" كل على حدة، وذلك لبيان الخلفية المفاهيمية التي يركز عليها هذا المجال الحيوي في الواقع القانوني المعاصر.

المطلب الأول: تعريف الأمن السيبراني

الأمن لغة واصطلاحاً

أولاً: تعريف الأمن لغةً:

إنه عكس الخوف. الفعل الثلاثي آمن، أي تحقيق الأمان، اعتقدت، لأنني آمن، وحملت الآخرين، وهو ضد خوفي، فالأمن ضد الخوف، والثقة ضد الخيانة، والإيمان ضد الكفر، والإيمان يعني. التأكيد، وضدها الإنكار، فيقال يؤمن به الناس ويكذبون فيه.⁽¹⁾

فلان أمانة أي يأمن كل أحد ويثق به، ويأمنه الناس ولا يخافون غائلته.

وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.⁽²⁾

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾.⁽³⁾

الأمن هو أحد مؤشرات الإيجابية الإنسانية، والتعالوي، والتفوق، والقدرة على خلق الظروف المثالية لعيش سلمي. بالمقابل، فإن انهيار الأمن وتدهوره يدل على سلبية الإنسان وأنانيته، فضلاً عن سعيه الدؤوب إلى التملك، على المستويين الفردي والجماعي، مما يؤدي إلى الاعتقاد بأن الأمن هو سر الحياة والتنمية. التطور والتطور.

وجاء بمعنى التصديق: فأصل الإيمان التصديق وهو مصدر آمن يؤمن إيماناً، فهو مؤمن.

كما عرّف الأمن على أنه: الأمن رفيق ضد الخوف، والأمان بالفرح، والأمن كفرصة، والأمان كحركة، كل هذه الأشياء آمنة وأمونة، تماماً مثل الفرح والأمير، ورجل آمن مثل الرجل. حمزة، ينقلون أمن الجميع في كل شيء.⁽⁴⁾

الأمن هو الشعور بالأمن والاستقرار الذي يمكّنه الفرد والجماعات التي يتألف منها المجتمع من تحقيق وإنتاج المزيد.⁽⁵⁾ وبمعنى آخر جاء كلمة الأمن بمعنى الحفاظ أن الأمانة وهي جمع أمين هم الحفظة، وأصل الحفاظ الأمن من خوف الضياع.⁽⁶⁾

(1) ابن منظور، لسان العرب: ص 140

(2) سورة النور: 55

(3) سورة البقرة: 125

(4) الفيروز آبادي، القاموس المحيط: ج 4: ص 197

(5) عبد الحميد، الاستراتيجية الأمنية والتحديات المعاصرة: ص 25

(6) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: ج 1: ص 122

ثانياً: تعريف الأمن بصورة مجردة: قدرة الدولة على تحديد إمكانياتها وقوتها الداخلية والخارجية، ومعايير هذه القوة اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً، كل ذلك للدفاع عن استقرار الدولة. على المستويين الدولي والمحلي.

هو التأكيد على أن الشخص يمتلك إيمانه، ونفسه، وعقله، وعائلته، وجميع حقوقه، وأنه ليس خائفاً في هذا الوقت أو في المستقبل، داخل أو خارج بلده، أو العدو أو آخرون. وذلك وفق هدى الإسلام وهدى الوحي والتمسك بالأخلاق والعادات والواجبات..⁽⁷⁾

توصف بأنها: الإجراءات التي تتخذها الدولة في حدود قدرتها على الحفاظ على هويتها ومصالحها في الحاضر والمستقبل، مع مراعاة التطورات الدولية..⁽⁸⁾

كان يعتقد أن الأمن هو قدرة الدول والمجتمعات على الحفاظ على تكوينها المستقبلي ووحدتها الوظيفية ضد قوى التغيير التي اعتبروها معادية في سعيهم لتحقيق الأمن. أساس الأمن هو البقاء، لكنه يشمل أيضاً عدداً من الاهتمامات الأساسية حول ظروف الوجود. لا يعني السعي وراء التحرر من التهديدات. في اللاسلطوية، الأمن مشروط ولا يمكن الاعتماد عليه.

وعرف بأنه عدم توقع المكروه في الزمان الآتي⁽⁹⁾

هذا كل شيء: التأهب والأمن من خلال حماية الضروريات الخمس من أي هجوم. ونتيجة لذلك، فإن أي شيء يشير إلى معنى الراحة والرضا، وكذلك توفير السعادة والتقدم في أي جانب من جوانب الحياة هو الأمان..

بأن أصل الأمن، هو: سكون القلب عن توقع الضرر، فهو آمن، وأمن، وأمين.

بأنه مجموعة الاجراءات والسياسات التي تتخذها دولة ما لحماية شعبها وكيانها وانجازاتها.

ووصفها روبرت ماكمار: إنها تشير إلى التنمية والتنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية على أساس عدم نشاط المحتوى. يقول: إن الأمن الفعلي لدولة ما ينبع من معرفتها العميقة بالمخاطر التي تهدد قدراتها المختلفة والتصدي لتلك المخاطر لتعزيز تلك القدرات في جميع المجالات.

أمن فقهاء المسلمين هو ما يطمئن الناس على عقيدتهم وأنفسهم وأموالهم وشرفهم، ويتركز تفكيرهم على زيادة قيمة مجتمعهم والنهوض بوطنهم.

إنها حالة التوازن التي يجب أن تشمل المنطقة ككل، دون أي تهديد، داخلي أو خارجي.

وصفها ريموند آرون بهذه الطريقة: في حالة الطبيعة، يكون الأمن هو الأولوية الأولى لكل فرد أو كيان سياسي، ويعتمد المستوى الفعلي للأمن على هذا: الأهداف الأبدية، والإدراك الواقعي للأمن يقتصر على البقاء. للدولة، في المقام الأول..

إنه الشعور الفردي والإنساني الجماعي بإشباع حاجاتهم العضوية والنفسية، وعلى رأس القائمة احتياجات الأمن مع ظهور مادي ونفسي، والمتمثل في تأكيد المجتمع على عدم وجود خطر على المجتمع. إن مظهر هذا الدافع المادي، مثل السكن والدخل الحالي، له أيضاً عنصر نفسي، يتم التعبير عن دور الفرد ومكانته في المجتمع في البيان العام للهدوء طوال فترة حياة المجتمع بهدوء.

(7) الخادمي، «القواعد الفقهية المتعلقة بالأمن الشامل»: ص 16

(8) أمين، الأمن العربي في مواجهة الأمن الاسرائيلي: ص 42

(9) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف: ج 1: ص 55

السيبرانية لغة واصطلاحاً

أولاً: السيبرانية لغة: كان مرتبطاً بمعنى كلمة cyber، وكان يُعتقد أنه نشأ من اليونانية ويشار إلى مصطلح (kybernetes)، والذي يعني القيادة أو التحكم عن بعد..⁽¹⁰⁾ وجاء في قاموس المرد بانها علم الضبط ومصدرها اي ضبط الاشياء عن بعد والسيطرة عليها.

ثانياً: السيبرانية اصطلاحاً: مشتق من كلمة cyber، وهي صفة تصف أي شيء مرتبط بثقافة الكمبيوتر أو التكنولوجيا أو الواقع الافتراضي. السيبرانية تعني المساحة الافتراضية للإنترنت.

أصبح الأمن السيبراني محور التقنيات الإضافية التي توسعت فيه..⁽¹¹⁾

وصل الأمن السيبراني إلى مرحلة حرجية حيث التقنيات التي وسعت الآفاق، وأثريت الثقافة، وسمحت للثقافة المحلية بالانتشار إلى المجال العالمي، تشكل الآن تهديداً للهوية الوطنية والثقافية، والأفراد الأكثر ضعفاً هم أولئك الذين يتأثرون بها. ما يصلون إليه عبر الإنترنت، عبر التكنولوجيا، ورغبة الغالبية العظمى في استخدامه لتشكيل مجتمعهم الخاص.

تم اعتبار سلامة الشبكة والبيانات والمعلومات والأجهزة المتصلة بالإنترنت، وكذلك المعايير الواجب اتباعها لمواجهة التهديدات ومنع التعديات والحد من خطورة آثارها في معظم الحالات. المواقف المتطرفة والضارة..⁽¹²⁾

وصفت التوصية الأوروبية، التي صدرت عام 2002، الأمن القومي بأنه أمن الدولة، والدفاع، والسلامة العامة ونتيجة لذلك، فإن الأمن القومي هو الحماية الكاملة لأي بلد من أي نوع من التهديد أو الخطر الذي قد يعرض سلامة مواطنيها أو أراضيها أو سيادتها للخطر. وهذا يشمل حماية البنية التحتية الحيوية أو الاتصالات أو المعلومات.

يصف ريتشارد كيميرر الأمن السيبراني بأنه استباقي لمشكلة تكتشف وتكافح محاولات المتسللين للتسلل.

تصف وزارة الدفاع الأمريكية الفضاء الإلكتروني بأنه: فضاء افتراضي يتميز باستخدام الإلكترونيات (أي تكنولوجيا المعلومات) والطيف الكهرومغناطيسي لتخزين وتعديل وتبادل البيانات عبر شبكات الاتصالات والبنية التحتية المادية المرتبطة بها.⁽¹³⁾

كما توصف بأنها مجموعة من الإجراءات الفنية والإدارية المستخدمة لمنع الوصول غير المصرح به واستعادة المعلومات الإلكترونية المفقودة وأنظمة الاتصال والمعلومات من أجل ضمان وظائف وخصوصية البيانات الشخصية. بالإضافة إلى ذلك، من الضروري اتخاذ جميع الخطوات اللازمة لحماية المواطنين.

وصفها إدوارد أمورسو بأنها: تُعرّف على أنها: تساعد على منع الهجمات على البرامج أو الأجهزة أو الشبكات. تتضمن هذه الأساليب أدوات تهدف إلى مكافحة القرصنة واكتشاف الفيروسات ومنعها..

إنها مجموعة من الإجراءات التنظيمية والإدارية التي يتم استخدامها لمنع الوصول غير المصرح به، والهدف من ذلك هو ضمان استمرار توافر النظام وسريته، وحماية البيانات الشخصية، واتخاذ الإجراءات لحماية المواطنين والمستهلكين من الخطر..⁽¹⁴⁾

التقرير السنوي للاتحاد الدولي للاتصالات عن إصلاح الاتصالات لعام 2010-2011 هو عبارة عن تجميع للمهام

⁽¹⁰⁾ الفتلاوي، «الهجمات السيبرانية: مفهومها والمسؤولية الدولية الناشئة عنها في ضوء التنظيم الدولي المعاصر»: ص 614

⁽¹¹⁾ الربيعه، «الأمن الرقمي وحماية المستخدم من مخاطر الانترنت».

⁽¹²⁾ جبور، السيبرانية هاجس العصر: ص 260

⁽¹³⁾ لين، «النزاع السيبراني في القانون الدولي الإنساني»: ص 516

⁽¹⁴⁾ عبد الرضا والمعموري، «الأمن السيبراني ودوره في انتشار ظاهرة الارهاب في العراق بعد العام 2003م»: ص 154

بما في ذلك إنشاء أدوات وسياسات وإجراءات أمنية ومبادئ توجيهية وطرق للتعامل مع التهديدات السيبرانية، والتدريب، والممارسات والأساليب النموذجية. يمكن توظيفها لحماية الفضاء السيبراني وموارد المنظمات والمستخدمين..⁽¹⁵⁾

وقد تم تعريف الأمن السيبراني: بأنه النشاط أو العملية أو العملية القدرة أو الامكانية التي يتم بموجبها حماية نظم المعلومات والاتصالات والمعلومات الواردة فيها أو الدفاع عنها ضد الضرر أو الاستخدام غير المصرح به أو الاستغلال.

الفضاء السيبراني

الفضاء الإلكتروني هو مجال افتراضي يستخدم أنظمة الكمبيوتر واتصالات الإنترنت وكمية كبيرة من البيانات والمعلومات والأجهزة. كما يعرف آخرون الفضاء الإلكتروني بأنه ذراع للجيش الحديثة يحتل المرتبة الرابعة من حيث الأهمية.

تصفه الوكالة الفرنسية للأنظمة الأمنية على أنه: مساحة معالجة البيانات الرقمية التي تم إنشاؤها بواسطة الاتصال العالمي للمعدات للمعالجة التلقائية..

يصف تعريف الاتحاد الدولي للاتصالات للفضاء السيبراني أنه الفضاء المادي وغير المادي الذي يتكون من العناصر: أجهزة الكمبيوتر والشبكات والبرمجيات ومعالجة المعلومات والمحتوى وبيانات الإرسال والتحكم، ومستخدمي كل هذه المكونات..

جوزيف ملزم بكلمته. ناي هو أحد أبرز الأفراد المهتمين بالقوة السيبرانية، وهو يعرفها على النحو التالي: القدرة على تحقيق النتائج المرجوة من خلال استخدام موارد المعلومات المرتبطة بالفضاء السيبراني، وهذا يعني أن القوة السيبرانية هي القدرة على الاستفادة الفضاء الإلكتروني لجني فوائد للدولة، وللتأثير على الأحداث في بيئات تشغيلية أخرى من خلال الأدوات القائمة على الإنترنت ..

المطلب الثاني: اهداف وخصائص الامن السيبراني

أهداف الامن السيبراني: تهدف الى الحفاظ على قدرات الامن الوطني التكنولوجي وتأمين البيانات الحيوية بما يساهم في تحقيق الامن السيبراني وتحديد اهداف الدفاع الالكتروني كالتالي:⁽¹⁶⁾

حماية القواعد العسكرية.

أمن البيانات العسكرية.

حماية البنية التحتية الأكثر حيوية.

مساعدة وحدات الحرب الإلكترونية.

العقوبة الإلكترونية.

نتيجة لذلك، يجب على المؤسسات والأفراد محاولة ضمان أمن الاتصالات، من خلال الحفاظ على سريتها، وهناك قضايا مرتبطة بذلك، بما في ذلك مكافحة الجريمة والحفاظ على الأمن. هذا هو السبب في أن الأمان يمنع المستخدمين من استخدام النظام باستثناء ما هو مقصود، وضمن المعلومات المسموح بها..⁽¹⁷⁾

⁽¹⁵⁾ جبور، «الأمن السيبراني التحديات ومستلزمات المواجهة»: ص 3

⁽¹⁶⁾ كلاع، «الأمن السيبراني وتحديات الجوسسة والاختراقات الإلكترونية للدول عبر الفضاء السيبراني»: ص 306

⁽¹⁷⁾ فورة، جرائم الحاسب الاقتصادية، دراسة نظرية وتطبيقية: ص 4

أبعاد الأمن السيبراني: ان أمن السيبراني متكاملة تعمل على حفاظ على الامن القومي من كل التهديدات السيبرانية كالآتي.⁽¹⁸⁾

المكون العسكري.

البعد الاجتماعي.

البعد الاقتصادي.

البعد القانوني.

المكون السياسي.

خصائص الأمن السيبراني: الحرب الإلكترونية هي نتيجة مباشرة للثورة الرقمية والإلكترونية في الشؤون العسكرية. إنه شن هجمات على أنظمة تكنولوجيا المعلومات الحاسمة للخصم وتدميرها بأسلحة تقليدية أو غير تقليدية في العصر الحديث..⁽¹⁹⁾

وعند توفر بشكل متزايد في شتى مناحي الحياة والمصالح الحيوية حول العالم التحول نحو الرقمنة اعتمده على الفضاء الإلكتروني والصحة والتعليم والمؤسسات والمعاملات الحكومية.

بسبب الخصائص والفوائد المحددة لهذه الصراعات، كانت مختلفة عن الحروب التقليدية. ونتيجة لذلك، تختلف قواعد الاشتباك في هذه النزاعات عن قواعد الاشتباك في الحروب التقليدية، حيث يسود التجسس والاستطلاع وجمع المعلومات وتطوير البرمجيات وتجديد القرصنة.

تتسم الهجمات السيبرانية بخصائص تميزها عن غيرها من الهجمات العادية ومن أبرزها ما يلي:

الهجمات السيبرانية هي هجمات تقنية متطورة سهلتها ثورة المعلومات.

يمكن أن يحدث الهجوم السيبراني في أي وقت، ولمدة وجيزة، سواء أثناء الحرب أو السلم.

يتمتع المهاجم بميزة كبيرة في الهجمات الإلكترونية على المدافع، وتتميز هذه الهجمات بالسرعة والتنوع والمراوغة.

التكلفة المنخفضة نسبياً للهجمات الإلكترونية، والتي تخصص ميزانيات كبيرة لإنتاج أسلحة إلكترونية متطورة بتكلفة عالية، مثل حاملات الطائرات المتقدمة.

كما تتميز الهجمات السيبرانية بالتدمير الذي لا يصاحبه بالضرورة دم أو أجزاء من الجسم، وذلك بسبب انتشار الفضاء السيبراني وسهولة الوصول إليه. الهجمات السيبرانية هي هجمات تقنية متطورة سهلتها ثورة المعلومات.

يمكن أن يحدث الهجوم السيبراني في أي وقت، ولمدة وجيزة، سواء أثناء الحرب أو السلم.

يتمتع المهاجم بميزة كبيرة في الهجمات الإلكترونية على المدافع، وتتميز هذه الهجمات بالسرعة والتنوع والمراوغة.

التكلفة المنخفضة نسبياً للهجمات الإلكترونية، والتي تخصص ميزانيات كبيرة لإنتاج أسلحة إلكترونية متطورة بتكلفة عالية، مثل حاملات الطائرات المتقدمة.

⁽¹⁸⁾ عبد الصادق، «القوة الإلكترونية: اسلحة الانتشار الشامل في عصر الفضاء الإلكتروني»: ص 32

⁽¹⁹⁾ كلارك، وكينيك، حرب الفضاء الإلكتروني: الخطر القادم على الأمن القومي وسبل مواجهته: ص 286

كما تتميز الهجمات السيبرانية بالتدمير الذي لا يصاحبه بالضرورة دم أو أجزاء من الجسم، وذلك بسبب انتشار الفضاء السيبراني وسهولة الوصول إليه..⁽²⁰⁾

- صعوبة تحديد هوية مرتكب الهجمات الإلكترونية عالية التأثير.

تفتقر الهجمات الإلكترونية إلى القيود الجغرافية، حيث تتنوع أساليبها وترتبط بالمجالات المتقدمة والمتغيرة في الحياة المعاصرة في العديد من البلدان.

حسب دراسة ديفيد سميث، بعنوان كيف تستخدم روسيا الحرب الإلكترونية؟ أنظمة الاتصالات والملاحة، والضغط النفسي، وكذلك الدعاية وإلحاق الضرر بنظم المعلومات.

مستخدمو وسائل التواصل الاجتماعي (Facebook كمثال) لديهم مؤخرًا أكثر من 1.5 مليار مستخدم نشط، وتشير الإحصائيات الأخيرة إلى أن عدد العرب الذين يستخدمون الموقع قد ارتفع إلى ما يقرب من 100 مليون، ويستخدم جزء كبير من هذا العدد الهواتف الذكية الحديثة..⁽²¹⁾

تشفير التعاملات الإلكترونية بحيث لا يستطيع أي مخترق أو مهاجم أو عابث أن يدخل بسهولة لهذه البيانات والتطبيقات لأن التشفير أحد أساليب الحماية والتي يصعب فك رموزها.

تعتبر التشفير وسيلة لحفظ سرية المعلومات وتحويل الرسائل إلى نصوص مشفرة لكي يصعب على أي شخص قراتها فلا يمكن معرفة محتوى المعلومات المرسلة من قبل أي شخص آخر غير الشخص المرسل له تلك المعلومات في حالة وصول تلك المعلومات إلى أشخاص آخرين فإنهم لا يستطيعون الاستفادة منها أو حتى فهم معناها.

إقرار التشريعات الملائمة لتشجيع الانخراط السليم والأمن، في مجتمع المعلومات، والاستفادة من آفاق مجتمع المعرفة، بما يخدم النمو والتنمية، لا سيما فيما يتعلق بها.

منصة التجارة الإلكترونية

حماية الخصوصية والحق في الكلام.

ضمان الوصول إلى شبكة واسعة من المعلومات.

- سلامة المعلومات الشخصية، وخاصة المعلومات الحساسة.

تنظيم المحتوى.

- حماية حقوق الملكية الفكرية.

ضمان سلامة الأطفال على الإنترنت.

تنظيم المعاملات الإلكترونية.

توزيع المهام والاستفادة من الخدمات السحابية.

- اعتماد قواعد التجريم الموضوعية.

⁽²⁰⁾ العبودي، «هاجس الحروب السهبرانية وتداياتها على الأمن والسلام الدوليين»: صص 89-118

⁽²¹⁾ هشام، «جرائم الحاسب كصورة من صور الجرائم الاقتصادية المستحدثة»: ص 61

- إرساء مبادئ الملاحقة والتحقيق وتنفيذ الجرائم الإلكترونية.

- تنفيذ الاتفاقيات الوطنية والإقليمية والدولية.

- تنفيذ التشريعات المناسبة التي تسهل التعاون بين القطاعين العام والخاص في مكافحة الجريمة السيبرانية.

فيما يتعلق بالجرائم العابرة للحدود، تعتمد الدول الأعضاء على مبدأ توحيد القواعد القانونية لتجريم الأفعال المرتبطة بالجرائم الإلكترونية، ومبادئ الملاحقة والتنفيذ، حتى تتبنى كل دولة القواعد القانونية التي تسمح لها بتبني هذا المبدأ. من الجرم المضاعف، وذلك لتسهيل التعاون وتنفيذه.

المبحث الثاني

الأمن السيبراني في القانون العراقي

مع التطور المتسارع في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، أضحت الأمن السيبراني عنصراً أساسياً في حماية البنى التحتية الرقمية للدول، لا سيما مع تزايد التهديدات والهجمات الإلكترونية العابرة للحدود. وقد بات العراق، بعد عام 2003، يواجه تحديات أمنية رقمية متنامية نتيجة ضعف البنية التحتية التقنية، وانكشاف منظوماته الحكومية والمؤسساتية أمام موجات من القرصنة والتجسس السيبراني. وعلى الرغم من أهمية الأمن السيبراني كرافعة لحماية الأمن الوطني، إلا أن التشريعات العراقية لا تزال تعاني من نقص في التكيف مع الواقع السيبراني، سواء من حيث التنظيم القانوني أو من حيث الأدوات والمؤسسات المعنية بالواجهة. في هذا المبحث، سيتم تناول واقع الأمن السيبراني في العراق من خلال استعراض التدهور الحاصل في هذا المجال، وتحليل مدى استجابة القانون العراقي للمتغيرات التكنولوجية، وتبسيط الضوء على الجهود التشريعية المبذولة لمكافحة الجرائم الإلكترونية ومظاهر الإرهاب السيبراني.

المطلب الأول: التدهور السيبراني في العراق

يعاني العراق كل يوم من تبعات الفساد والفوضى وغياب التخطيط الفعال من قبل المسؤولين عن مؤسسات الدولة في العراق. على الرغم من الميزانيات الكبيرة والقدرات المالية المخصصة للمشاريع، والتي لا يزال الكثير منها خطأ افتراضية عالقة على الورق دون أن يكون لها أي شيء، لا تزال الدولة تقتصر إلى تطوير عقيدة تتماشى مع جميع التحديات المستقبلية المرتبطة بالفضاء السيبراني. الأمن، على عكس أمن المعلومات، وهما مصطلحان منفصلان. لا ينبغي الخلط بينهما ... على الرغم من التأثير الإيجابي والهام الذي لوحظ على الحياة الفردية والاجتماعية نتيجة للثورة التكنولوجية والمعلوماتية، وكذلك تطور التواصل الاجتماعي، فقد أدى ذلك إلى تطوير عمليات البحث العلمي وتقليص الوقت اللازم للوصول والحصول على المعلومات. نتيجة لذلك، نناقش الآن التجارة الإلكترونية والصحة الإلكترونية وكذلك الحكومة الإلكترونية والصحافة الإلكترونية. لكن هذا لا يعفيها من تأثيرها السلبي على الأمن الوطني والدولي، فقد أصبحت تحدياً وتهديداً خطيراً، مما يعني أن دائرة التهديدات للأمن الوطني والإقليمي تشهد الآن نوعاً جديداً من الصراع الدولي..⁽²²⁾

عندما يُلاحظ أن للفضاء الإلكتروني تأثير كبير على معظم مجالات حياتنا، بما في ذلك المجال الأمني، فإن الفضاء الإلكتروني يستخدم أدواته المختلفة لإعادة رسم البعد الأمني المحلي والعالمي، وهذا يؤدي إلى تغيير في الوعي السياسي والأمني للفرد والمجتمع. الطريقة التي تقوم بها بهذا الأمر تختلف عما كانت عليه في السابق. نلاحظ تصورات وهيكل جديدة يتم إنشاؤها في المجالات السياسية والأمنية، حيث لم يعد الأمن موجوداً في العالم الحقيقي - المحدود -

(22) العوادي، «حماية الأمن السيبراني العراقي الاستراتيجية المفقودة»

ولكن بدلاً من ذلك في الواقعية واللامحدودة التي أصبح الفضاء الإلكتروني لها وجوداً مؤثراً في المجال الأمني ، المناقشة مراكز حول الحرب الإلكترونية، والأمن السيبراني، والردع السيبراني، والجيش السيبراني، والأسلحة الإلكترونية، والإرهاب السيبراني، والجريمة الإلكترونية. كانت هذه المؤسسات مهتمة في المقام الأول بدراسة الفضاء الإلكتروني وكيفية الاستفادة منه بطريقة تعزز أهدافها السياسية والأمنية والاقتصادية. إلخ، بحيث يمثل التهديد المستقبلي للفضاء السيبراني في قدرة الدول على التكيف مع التغيرات والتحديات السريعة في الفضاء السيبراني في المجال العام ككل وفي المجال الأمني على وجه التحديد، فضلاً عن امتلاكها للقدرات والموارد و الهياكل البشرية والمادية التي تسمح لهم بالتأثير والتأثير في الفضاء السيبراني. لا يقتصر تأثير الفضاء الإلكتروني على الأمن على الحقائق الداخلية للدول، بل يؤثر بدلاً من ذلك على البيئة الدولية بطريقة واسعة لتغيير هيكل ومحتوى الأمن الدولي وإنشاء نماذج جديدة لطبيعة العلاقات الدولية وأمن الدولة..⁽²³⁾

ولم يعرف العراق هذا الفضاء إلا بعد عام (2003)، وشهد زيادة ملحوظة وملحوظة في استخدام المعلومات والاتصالات، تزامن ذلك مع ضعف في الأمن الرقمي للبنية التحتية للبلاد (سواء الوطنية أو المصرفية أو الأمن الشخصي)، مما جعله عرضة للتهديدات الأمنية (سرقة المعلومات). كما أن للولايات المتحدة تاريخ طويل في التجسس على أجهزتها الأمنية والاستفادة منها) من قبل الدول الدولية والإقليمية الكبرى، وكان ذلك أكثر وضوحاً في أعقاب الشكوك التي أحاطت بالانتخابات البرلمانية الأخيرة في مايو 2018، والتي نجمت عن حقيقة أن كان نظام التصويت على القمر الصناعي لا يمكن السيطرة عليه لأنه كان يدار من خارج العراق، مما جعل من السهل اختراقه والتلاعب به. بالمعلومات التي تم الحصول عليها من خلال هذه العملية من قبل أطراف ثالثة لديها التكنولوجيا اللازمة لذلك..⁽²⁴⁾

كما أن الولايات المتحدة التي كانت تعلم قبل دخولها المنطقة أن العراق يفتقر إلى هذه التقنيات، بدأت في تنفيذ خططها. في السابق كانت الولايات المتحدة وخطتها في البنتاغون تدفع العراق إلى شن حرب على جمهورية الإسلام الإيرانية، وهذا من شأنه أن يستنزف القوى الروحية التي تتشكل على صمود الإيمان. يعتبر مفهوم الحرب الاستباقية أحد نتائج هجمات 11 سبتمبر في الولايات المتحدة في عام 2001، لكن المفهوم الأساسي يسبق هذا التاريخ. وجاءت هذه النظرية حتى تبرر تصرفات القصف لليبيا التي قامت بها حكومة ريغن، وأصبح هذا التبرير هو دافعا عن النفس وهذا الدفاع هو انه تتوقع تلك القوات بأنها سوف تتعرض في المستقبل الى ضربة عسكرية، فهل يكون ضرب دولة ويتم قصفها على الظن؟؟، وكان ذلك هو تبريرها بأنها تعتبر دافعا عن النفس ضد هجوم مستقبلي، وكما قامت اسرائيل بنفس الفكرة وكان الهدف من هجماتها على سوريا ومصر والأردن والغاية من منه هو السيطرة على الضفة الغربية وكذلك القدس الشرقية وكذلك قطاع غزة ومرتفعات جولان السورية، أما هجومها على العراق فكان بهدف تحطيم المفاعل النووي العراقي أوزيراك.

المسألة أن العراق ظل عاجزاً عن التقدم بعد سقوط النظام، وأصبح دولة محتلة من قبل أمريكا، ومكاناً للصراع والدمار. انتقد المركز العراقي للإعلام الرقمي ترتيب البلاد في تقرير مؤشر الأمن السيبراني العالمي، مشيراً إلى أنه لا يتماشى مع الإمكانيات الفعلية للبلاد. وقال بيان المركز يوم الأحد ان التقرير الاخير للاتحاد الدولي للاتصالات التابع للأمم المتحدة وضع العراق في المرتبة 107 عالمياً في مجال الامن السيبراني والمرتبة 13 عربياً. تبع ذلك السودان وفلسطين والأردن

حيث انه يتم تعريف التوجه الاستراتيجي اجرائيا: على انه الإطار العام الذي تعتمد عليه منظمات الأعمال في عملية

⁽²³⁾ خريسان، «العراق وتحدي الفضاء السيبراني: قراءة في مؤشر الامن السيبراني العالمي».

⁽²⁴⁾ العوادي، «حماية الأمن السيبراني العراقي الاستراتيجية المفقودة»

تحديد الأهداف والتوجهات المستقبلية التي تسعى للوصول إليها، وهو أيضا الإطار الذي يضبط ويوجه عملية اتخاذ القرار وذلك من أجل تحقيق التوافق والتكامل بين أهداف المنظمة وسياساتها المعتمدة، ويعتبر ذلك من حيث الممارسات الدولية فإنه التغيير في أشكال الحرب الاستباقية ومسمياتها عبر التاريخ لم يغير من جوهرها أو أهدافها، ومن الملاحظ أنه تكون هناك أفكار مرتبة وجاهزة وفي انتظار ظهور أي ظرف يتلائم مع تحويله إلى خطة مفصلة وذلك يكون تمهيدا في تطبيق الفعل، وجاءت تجبيرات البرجين ومبنى وزارة الدفاع في كل من نيويورك وواشنطن، وما إنبتق عنها من مناخ هستيري لتوفير الفرصة المثالية التي ظلت عصابة المحافظين الجدد في انتظارها.⁽²⁵⁾

فقد كانت الجيوش تتحرك لغزو أو احتلال أراضي دولة ما للدفاع عن حق دون وجود حاجة إلى إنذار سابق في سعى الدول إلى القضاء على من ينافسها من خصوم كما فعلت روما في حربها مع قرطاج في الألف الثاني قبل الميلاد. بشكل عام، تعتبر أحداث 11 سبتمبر 2001 إعلاناً عن حروب استباقية، وإذا اعتبرنا تصريحات دليو بوش في إحدى خطاباتاته أن الولايات المتحدة ستلجأ إلى الإجراءات الوقائية من أجل منع ما هو متوقع ومتوقع. يعتقد غالبية المحللين والمراقبين أن المبدأ الذي يتبعه بوش هو الحرب الوقائية وليس الحرب الوقائية. كان إيمان بوش بضرورة الحرب الوقائية مبنياً على ثقته في التفوق الذي لا جدال فيه للقوة العسكرية الأمريكية عالمياً..⁽²⁶⁾

المطلب الثاني: السيبرانية في القانون العراقي

تضمن القانون العراقي ومشرعه الذي ورد في قانون العقوبات العراقي رقم (111) الصادر عام 1969، العديد من العقوبات التي لا تزال سارية المفعول حتى اليوم، وتشمل هذه العقوبات النشر والتهديد والأخلاق العامة وغيرها من المواد والنصوص القانونية، جميعها. التي تضمن اتباع ذلك وعدم تجاهله. ومع ذلك، فإن هذا القانون لا يتماشى مع التطور الحاصل أو عدد المشاكل التي تطرأ على المحاكم كل يوم، دون أن يخرج المشرع لوضع الحدود اللازمة التي تمنع أي شخص من محاولة إيذاء الآخرين وكذلك الدولة، المصالح العامة والخاصة. في الوقت الحالي، لا ينطبق تطبيق القوانين الدولية الحالية على الهجمات الإلكترونية إلا بشكل غير مباشر. القانون الدولي يحظر العدوان العسكري ولكن ماذا عن الهجوم السيبراني الذي أدى إلى تفجير القاعدة؟ وهل يجوز للدولة، وفقاً لحقها الطبيعي في الدفاع عن النفس، استهداف أهداف عسكرية في الدولة أو حتى شن هجوم سيبراني مضاد؟ ومع ذلك، لا يزال الجدل قائماً بشأن القضايا القانونية المحيطة بالهجمات الإلكترونية. نتيجة لذلك، قد يبدو الانتقام عملاً عدوانياً غير مقصود أو انتهاكاً للقانون الدولي.

يهدف الأمن إلى حماية قنوات الاتصال الرقمية بكل تعقيداتها، وكذلك حماية الشبكات المحلية والعالمية من الاختراق الذي يتسبب في تدمير البنية التحتية لأنظمة المعلومات، بما في ذلك الأجهزة والمعدات وحتى البرامج المالية المختلفة، مثل المال، والطاقة، والإحصاءات، وما إلى ذلك، يتم تحقيق ذلك من خلال اختراق الأنظمة المالية أو اختراقها وتحويل الأموال. وأخذها، وبشكل عام، تحمي تلك الأنظمة من جميع الجرائم المتعلقة بالمعلومات التي تُرتكب بوحشية شديدة. بالإضافة إلى ذلك، فإن الأم خطيرة لأن هناك جيوش من المعدات المعقدة والأرقام المخصصة لاختراق الأمن السيبراني للدول المتقدمة والدول التي تفتقر إلى الطاقة، مثل العراق الذي يسيطر على حوالي 11٪ من احتياطات النفط في العالم ولديه أكبر كمية. من احتياطات الكبريت والغاز في العالم. ونتيجة لذلك، أصبح العراق الآن بؤرة صراع كبير بين أقوى دول العالم والدول الأخرى التي حاولت دائماً عرقلة رغبتها في مستقبل أفضل، من أجل جعله سوقاً مفتوحاً لمنتجاتها، والتي لديهم سوق كامل لبضائعهم ويفتقرون إلى الصناعات الوطنية المتقدمة..⁽²⁷⁾

⁽²⁵⁾ تشومسكي، الحادي عشر من أيلول الإرهاب والإرهاب المضاد: ص 292

⁽²⁶⁾ تشومسكي، الحادي عشر من أيلول الإرهاب والإرهاب المضاد: ص 292

⁽²⁷⁾ الزبيدي، «تهديدات افتراضية للأمن السيبراني العراقي».

من الحقوق الأساسية لكل شخص في العالم حرية التعبير والرأي، والتي تمثل رأي المجتمع وتطلعاته، والتي يتم من خلالها قياس تطور الدول من عدمه. وقد ورد ذلك في النظام الأساسي للدولة (الدستور) في المادة 38: الآداب: أولاً: الحق في إبداء الرأي بأي شكل من الأشكال. ثانياً: حرية الصحافة والطباعة والاعلان والاعلام والنشر. ثالثاً: حرية الاجتماع والتظاهر مقفنة بقانون. كما انتشرت، ومن أهم آثار التطور العلمي تكنولوجيا الاتصالات، بدأت هذه التقنية في التطور والانتشار يوماً بعد يوم، حتى أصبحت الشبكة العنكبوتية العالمية (الإنترنت) الوسيلة التي يتم من خلالها نشر الأفكار والآراء في ثوانٍ. ومع ذلك، وعلى الرغم من المساهمة المباشرة لهذه التكنولوجيا في تعزيز حرية التعبير، إلا أنها لم تكن في مأمن من الاستغلال وانتهاك الخصوصية الفردية، ونتيجة لذلك، فإن كل إجراء له رد فعل مضاد، وتنتهي الحرية عندما تنتهي حقوق الآخرين. تم انتهاكهم بقانون ينظمهم من الفوضى.⁽²⁸⁾

وان اتجاهات التي تعتبر الإصلاح في الاتصالات للعام 2010-2011، «بأنه مجموعة من المهمات، مثل تجميع وسائل، وسياسات، وإجراءات أمنية، ومبادئ توجيهية، ومقاربات لإدارة المخاطر، وتدريب، وممارسات فضلى، وتقنيات، يمكن استخدامها لحماية البيئة السيبرانية وموجودات المؤسسات والمستخدمين).

كما أفادت التقارير أن عدد الهجمات القاتلة على الأمن السيبراني العراقي بعد عام 2003 كان الأعلى من حيث اختراق مواقع حكومية معينة. وكان الاعتداء الأخير الذي نفذه رئيس الجمهورية الأسبق السيد إياد علاوي، خلال مقابلة تلفزيونية في نيسان من عام 2018، أقر فيها أن استخدام الأقمار الصناعية في عملية التصويت خلال الانتخابات المقبلة أمر مشكوك فيه لأنه معروف. هذه الأقمار الصناعية مملوكة لدول أجنبية، ولا سيطرة للعراق عليها. بالإضافة إلى ذلك، فإن احتمال القرصنة أو تغيير النتائج مرتفع. لا مخالفات. الآلية هي الإجراءات التي يتم وضعها لمنع التداخل والقوى الخارجية الضارة من التأثير على النتيجة. بالإضافة إلى ذلك، نحتاج إلى السماح بتدقيق تسجيل الصوت، وهذا سيسمح لنا بمناقشة مجموعة كامبريدج. يبدو أن هذه المجموعة من الأفراد لديها القدرة على التسلل إلى برنامج الكمبيوتر المخصص لنقل البيانات، ونتيجة لذلك يمكن أن يكون لها أكبر تأثير سلبي على الأمن السيبراني، والصورة لها التأثير الأكبر على العملية السياسية وهيكل الحكومة، كلاهما يتأثر به بطريقة تقيد المصالح العالمية بدلاً من الناس؟⁽²⁹⁾

وشهد العراق زيادة ملحوظة في الطلب على الشبكات المخصصة للتواصل الاجتماعي، وذلك على ما يبدو لأنه يحتوي على مشروع حضاري يتم التعبير عنه من خلال الحاجة إلى استكمال الخطوات إلكترونياً، وأولها السياسة الإلكترونية الدولية التي يُراد لها أن تكون يُمارس الأمن السيبراني بشكل سلمي وخالي من العنف، كما أُضيف إلى موسوعة الأمن الدولي في جميع المجالات، بما في ذلك العلاقات الدولية، لما له من أهمية كبيرة للأمن القومي للدول على أرض الواقع.

وقال علي الغانمي عضو لجنة الأمن والدفاع النيابية في تصريح لـ (المدى)، إن مجلس النواب سيقراً تقرير لجنة الأمن والدفاع النيابية بشأن التغييرات في الجرائم الإعلامية. وأوضح الغانمي أن التعديلات جاءت بعد الاتفاقيات، ووصفها بـ تغيير مسمى القانون المقترح من مكافحة الجرائم الإلكترونية إلى الجرائم ضد الحاسوب والإنترنت، وإنشاء المركز الوطني للرقمنة. الدليل الذي سيكون مسؤولاً عن إصدار التقارير التي سيتم اعتبارها دليلاً في المحكمة عند النظر في القضايا المتعلقة بالجرائم الإلكترونية..⁽³⁰⁾

⁽²⁸⁾ مهدي، «جريمة النشر الإلكتروني وفق القانون العراقي».

⁽²⁹⁾ الزبيدي، «تهديدات افتراضية للأمن السيبراني العراقي».

⁽³⁰⁾ صباح، «قانون جرائم المعلوماتية: 21 مادة سالبة للحرية و 63 عقوبة حبس وغرامة».

حيث أنهى مجلس النواب القراءة الأولى لقانون جرائم المعلومات العام الماضي والتي تضمنت عقوبات تصل إلى السجن المؤبد وغرامات باهظة على المخالفين ... أوضح ممثل قانون مجلس النواب أنه تم إجراء التعديلات على قانون جرائم المعلوماتية. مشروع 2011 لمخالفته أحكام قانون العقوبات 111 والاتفاقيات الدولية التي توصي بحرية الرأي. ويرى أن القانون أصبح أكثر نضجاً ومتماشياً مع النهج الديمقراطي، ولا يتعارض مع حرية التعبير، وسيكون له أثر إيجابي على الحياة الاجتماعية للمواطنين.⁽³¹⁾

أعلنت لجنة الأمن والدفاع في مجلس النواب العراقي عزمها على إعادة طرح مشروع قانون جرائم المعلومات الذي يمنح السلطات سلطة مراقبة ومعاينة المواطنين على منشوراتهم على مواقع التواصل الاجتماعي، وكذلك المشاركة في التصويت على الفاتورة خلال هذه العملية. وركزوا على ضرورة القانون، مؤكدين أنه سيقبل من عدد الجرائم. وسط مخاوف من احتمال إساءة استخدام القانون لقمع التعبير في البلاد ... القانون المثير للجدل مطروح على البرلمان منذ 2018، وقوبل بالتشكيك والمعارضة من قبل نشطاء مدنيين ومدونين في البلاد، بسبب أحكامه التي كانت تعتبر غامضة ومحدودة في التعبير..⁽³²⁾

في الخامس من حزيران (يونيو) 2022، أعلنت لجنة الأمن والدفاع في مجلس النواب العراقي عزمها على إعادة تقديم مشروع قانون جرائم المعلوماتية، ويمنح القانون السلطات سلطة مراقبة وملاحقة المواطنين على أفعالهم عبر الإنترنت، ولديهم أيضاً القدرة على التصويت. بشأن القانون خلال الدورة التشريعية. في الوقت الحاضر، أكدوا على أهمية وجود القانون من أجل الحد من الجريمة، وذكروا أنه سيتم إساءة استخدام القانون إذا تم استخدامه لقمع حرية التعبير بدلاً من منعها فعلياً. وشهدت محاولات تمرير القانون زيادة أكبر في ختام العام الماضي، قبل أن يتعهد رئيس مجلس النواب العراقي، محمد الحلبوسي، بأنه لن يمرر القانون، وذلك خلال جلسة ضمت ممثلين من دول غربية.

وبحسب عضو لجنة الأمن والدفاع في مجلس النواب النائب ياسر وتوت، فإن لجنته عازمة على سن قانون جرائم المعلومات خلال المرحلة المقبلة. -صباح. وأكد أن اللجنة ستبدأ في عرض فقراتها واحدة تلو الأخرى لمناقشتها قبل تحويلها إلى لجان أخرى لإبداء آرائها. جميع الدول المتقدمة لديها قوانين تحد من الجرائم الإلكترونية وتحافظ على حقوق الجميع، بما في ذلك الحكومة.

الواقع أن المشرع العراقي لم يتمكن من التمييز بين قانون جرائم المعلومات وقانون أمن المعلومات. تعتبر البيانات التي تتم معالجتها لتصبح مخرجات (معلومات) قانون معلومات، وكذلك البيانات التي يتم تنسيقها لتصبح معلومات. بالإضافة إلى ذلك، تعتبر البيانات المدخلات الأساسية التي يجب معالجتها. يعتبر الكمبيوتر معلومات، ولكن قبل إضافته أو تغييره، تعتبر البيانات معلومات إذا كان لها أي نوع من القيمة العملية، مثل الصورة التي يمكن رؤيتها أو النص الذي يمكن قراءته.

المطلب الثالث: الجهود التشريعية العراقية في مواجهة الجرائم الإلكترونية

خرق المشرع العراقي قانون العقوبات العراقي رقم (111) في عام 1969، بارتكاب جرائم ضد الاتصالات السلكية واللاسلكية، وتعريض سلامة الجمهور للخطر، وبالتالي حكم عليه بالسجن لمدة لا تزيد عن سبع سنوات أو بالسجن لكل من عطل وسيلة اتصال متخصصة بسبب لصالح الجمهور.

وأيضاً من خلال قانون مقترح بشأن جرائم المعلومات تمت صياغته في عام 2018، حددت المادة (2) الأهداف الأساسية التي ينوي تحقيقها.⁽³³⁾

⁽³¹⁾ صباح، «قانون جرائم المعلوماتية: 21 مادة سالبة للحرية و 63 عقوبة حبس وغرامة».

⁽³²⁾ الكبيسي، «محاولات جديدة لتشريع قانون جرائم المعلوماتية تثير جدلاً في العراق».

⁽³³⁾ المادة (٢) من مشروع قانون جرائم المعلومات لسنة ٢٠١٨

حماية الاستخدام القانوني للكمبيوتر والإنترنت.

ضمان أمن المعلومات وتوفير أكبر قدر من الحماية لأنظمة المعلومات وأجهزة الكمبيوتر والأجهزة والبرامج من التطفل وسوء الاستخدام والتخريب الإلكتروني.

قبة جريمة المعلومات.

الحفاظ على الحقوق المرتبطة بالاستخدام القانوني المشروع لأجهزة الكمبيوتر وشبكات المعلومات

- المحافظة على المصلحة العامة والأخلاق والأخلاق

حماية النظام النقدي للبلاد.

احتوى الدستور العراقي الذي أقره مجلس الأمة في 28 آب 2005 على نص اعتبر جريمة جنائية في كثير من المواضع، حيث أن الدستور من الدساتير التي تنص صراحة على خطر الإرهاب. المادة (7) تنص على ما يلي: ما يلي: (34)

أي كيان أو نهج يحتضن العنصرية أو الإرهاب أو التكفير أو التطهير الطائفي أو يسهله أو يروج له أو يبرره، وتحديدًا البعث الصدامي في العراق ورموزه، تحت أي مسمى.

وتلتزم الدولة بمكافحة الإرهاب بجميع أشكاله، وتعمل على منع أراضيها من أن تصبح منصة أو مسارًا أو قاعدة لنشاطها.

وتنص الفقرة الثالثة من المادة (21) على ما يلي: لا يمنح حق اللجوء السياسي إلى المتهم بارتكاب جرائم دولية أو إرهابية أو أضر بالعراق أو تسبب في ضرره.. (35)

اما المادة (٧٣) قد نصت على ان يتولى رئيس الجمهورية صلاحيات اصدار العفو بتوصية من رئيس مجلس الوزراء باستثناء ما يتعلق بالعفو الخاص والمحكومين بارتكاب الجرائم الدولية والارهاب والفساد المالي والاداري. (36)

ان المشرع العراقي لم يشر في مضمونه ونصوصه الى الارهاب الالكتروني واثارة على المجتمع، ويشير قانون جهاز مكافحة الارهاب الى ان اهداف هذا الجهاز والقوات التابعة له تدور حول. (37)

مجابهة واستئصال الإرهاب بجميع أشكاله.

تطوير وتنفيذ استراتيجيات شاملة لمكافحة الإرهاب.

الالتزام بالتعاون مع الجهات المختصة بمكافحة الإرهاب.

إنقاذ وتحرير الرهائن من خلال المفاوضات السلمية أو الاعتداء المباشر على مكان الحدث الإرهابي.

العمل مع الوكالات المتخصصة لتنفيذ خطط مكافحة الإرهاب

تبادل ونقل وتقييم المعلومات المتعلقة بمكافحة الإرهاب في العراق وخارجه.

الواجبات الأخرى يجب أن يؤديها رئيس الجهاز، وبموافقة اللجنة الوزارية للأمن الوطني.

غالبًا ما يتسبب في حدوث هجمات على الشبكات والإنترنت. الجرائم الإلكترونية هي جريمة جديدة ترتبط بشكل أساسي

(34) المادة (٧) من الدستور العراقي الدائم لسنة ٢٠٠٥

(35) المادة (٢١) من الدستور العراقي الدائم لسنة ٢٠٠٥

(36) المادة (٧٣) من الدستور العراقي الدائم لسنة ٢٠٠٥

(37) المادة (٣) الفصل الاول من قانون جهاز مكافحة الارهاب لسنة ٢٠٠٨

بأنظمة المعلومات، يرتكبها مجرم بارز يمتلك المعرفة اللازمة لكيفية عمل النظام واستغلاله في أعماله غير القانونية، وعادة ما يتم استبدال هذه الجرائم بالمال أو الحقوق الأخرى، ولكن الخطر الأكبر هو أنها يمكن أن تؤدي إلى انهيار اقتصادي، كما حدث في العديد من البلدان بسبب القرصنة المنظمة على البنية التحتية الإلكترونية أو الفشل الأمني بالمعنى السياسي، حيث يمكن أن تؤدي هذه الآثار إلى انهيار أخلاقي واجتماعي.

الخاتمة

في ختام هذا البحث، يتضح أن الأمن السيبراني يشكل تحدياً حيوياً يستوجب اهتماماً متزايداً في العراق، خاصة في ظل التحولات الرقمية المتسارعة التي يشهدها العالم. أظهرت الدراسة أن العراق يعاني من نقص ملحوظ في البنية التحتية الرقمية، بالإضافة إلى قصور تشريعي واضح يعوق تحقيق الحماية الفعالة في المجال السيبراني. كما تؤكد الدراسة تصاعد التهديدات السيبرانية، مما يستلزم اتخاذ خطوات فورية وشاملة لتعزيز الأمن السيبراني الوطني.

النتائج

1. **ضعف البنية التحتية الرقمية:** تعاني العراق من بنية تحتية غير متطورة وغير قادرة على مواجهة الهجمات الإلكترونية المتزايدة، مما يعرض المؤسسات الحيوية لمخاطر جسيمة.
2. **نقص التشريعات المتخصصة:** تشريعات الأمن السيبراني في العراق لا تتسم بالشمولية والحدثة اللازمة لمواكبة التطورات التقنية السريعة، ما يؤدي إلى وجود ثغرات قانونية يسهل استغلالها.
3. **تصاعد التهديدات السيبرانية:** هناك زيادة ملحوظة في وتيرة وتعقيد الهجمات الإلكترونية، والتي تهدد أمن المؤسسات الحكومية والخاصة على حد سواء.
4. **ضعف الوعي القانوني والتقني:** غياب الوعي الكافي لدى صانعي القرار والمجتمع بأهمية الأمن السيبراني يعوق تنفيذ الاستراتيجيات المناسبة.

التوصيات

1. **إصدار تشريعات متطورة وشاملة:** ضرورة تطوير إطار قانوني حديث يواكب المستجدات التقنية، ويحدد بوضوح الجرائم الإلكترونية والعقوبات المرتبطة بها.
2. **تعزيز البنية التحتية الرقمية:** توجيه استثمارات استراتيجية نحو تحديث وتحسين البنية التحتية التقنية، مع التركيز على رفع كفاءة الحماية في المؤسسات الحكومية والخاصة.
3. **رفع مستوى الوعي والتثقيف السيبراني:** إطلاق حملات توعوية مستمرة تستهدف جميع شرائح المجتمع، بالإضافة إلى تدريب وتأهيل الكوادر الأمنية والقانونية المختصة.
4. **تعزيز التعاون الدولي:** العمل على تأسيس شراكات مع الدول والمنظمات الدولية لتبادل المعلومات والخبرات والتنسيق في مكافحة الجرائم الإلكترونية.
5. **إنشاء مركز وطني متخصص للأمن السيبراني:** تأسيس هيئة مركزية ذات كفاءة عالية تكون مسؤولة عن مراقبة وتنسيق جهود الأمن السيبراني على المستوى الوطني.

بتبني هذه التوصيات، يمكن للعراق بناء منظومة متكاملة تضمن حماية أمنه السيبراني، وتعزيز ثقة الأفراد والمؤسسات في الفضاء الرقمي، مما يساهم في تحقيق التنمية المستدامة والاستقرار الوطني.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المعاجم

1. ابن منظور، محمد بن مكرم. (د.ت). لسان العرب. القاهرة: دار المعارف.
2. عبد الحميد، أحمد مختار. (2008). معجم اللغة العربية المعاصرة. الرياض: عالم الكتب.
3. الفيروز آبادي، محمد بن محمد (1987). القاموس المحيط. بيروت: مؤسسة الرسالة.

ثانياً: الكتب

1. أمين، هويدي. (1975). الأمن العربي في مواجهة الأمن الاسرائيلي. بيروت: دار بيروت.
2. تشومسكي، نعوم. (2003). الحادي عشر من أيلول الإرهاب والإرهاب المضاد. دمشق: دار الفكر.
3. جبور، مني الأشقر. «السيبرانية هاجس العصر». المركز العربي للبحوث القانونية والفضائية.
4. عبد الحميد، حسن دروش. (1999). الاستراتيجية الأمنية والتحديات المعاصرة. القاهرة: دار كتاب المصري.
5. فورة، نائلة عادل. (2014). جرائم الحاسب الاقتصادية، دراسة نظرية وتطبيقية. القاهرة: دار النهضة العربية.
6. المناوي، زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفي (1990). التوقيف على مهمات التعاريف. تحقيق: عبد الخالق ثروت. القاهرة: عالم الكتب.

ثالثاً: البحوث

1. اسعد، طارش عبدالرضا وعلي ابراهيم مشجل المعموري، (٢٠٢٠). «الامن السيبراني ودوره في انتشار ظاهرة الارهاب في العراق بعد العام 2003م». دراسات دولية (80)
2. جبور، الشقر منى. (2012). «الأمن السيبراني التحديات ومستلزمات المواجهة». بحث مقدم للمركز العربي للبحوث القانونية والفضائية، جامعة الدول العربية، اللقاء السنوي الأول للمختصين في أمن وسلامة الفضاء السيبراني.
3. الخادمي، نور الدين. (د.ت). «القواعد الفقهية المتعلقة بالأمن الشامل». المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب 21 (42).
4. رستم، هشام. (2009). «جرائم الحاسب كصورة من صور الجرائم الاقتصادية المستحدثة». مجلة الدراسات القانونية (17).
5. عبد الصادق، عادل. (2012). «القوة الإلكترونية: اسلحة الانتشار الشامل في عصر الفضاء الإلكتروني». مجلة السياسة الدولية (188)
6. الفتلاوي، حمد عبيس نعمة. (2016). «الهجمات السيبرانية: مفهومها والمسؤولية الدولية الناشئة عنها في ضوء التنظيم الدولي المعاصر». مجلة المحقق الحلي للعلوم القانونية والسياسية 8 (4)
7. كلارك، ريتشارد، وكنيك، روبرت. (2012). حرب الفضاء الإلكتروني: الخطر القادم على الأمن القومي وسبل مواجهته. أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة: مركز الإمارات لدراسة السياسات.

8. كلاع، شريفة. (2022). «الأمن السيبراني وتحديات الجوسسة والاختراقات الإلكترونية للدول عبر الفضاء السيبراني». مجلة الحقوق والعلوم الانسانية 15 (1).
9. لين، هيربرت. (2012). «النزاع السيبراني في القانون الدولي الإنساني». المجلة الدولية للصليب الأحمر 94 (886) رابعاً: القوانين

1. الدستور العراقي الدائم لسنة ٢٠٠٥

2. قانون جهاز مكافحة الارهاب لسنة ٢٠٠٨

3. مشروع قانون جرائم المعلومات لسنة ٢٠١٨

خامساً: المواقع الالكترونية

1. خريسان، باسم علي. (2020، فبراير 28). «العراق وتحدي الفضاء السيبراني: قراءة في مؤشر الامن السيبراني العالمي». صحيفة كتابات. <https://kitabab.com/2020/02/28>
2. الربيعه، صالح بن علي بن عبد الرحمن. (د.ت). «الأمن الرقمي وحماية المستخدم من مخاطر الانترنت» على الرابط. <https://edu.moe.gov.sa/jeddah>
3. الزبيدي، زاهر. (2018). «تهديدات افتراضية للأمن السيبراني العراقي». موقع شبكة النبا المعلوماتية. <https://annabaa.org/arabic/informatics/17379>
4. صباح، محمد. (2020). «قانون جرائم المعلوماتية: 21 مادة سالبة للحرية و63 عقوبة حبس وغرامة». موقع صحيفة المدى. <https://almadapaper.net/view.php?cat=231679>
5. العبودي، علي عبد الرحيم. (2019). «هاجس الحروب السهبرانية وتداياتها على الأمن والسلم الدوليين». المجلة العلمية الأكاديمية العراقية، 57، 89-118. <https://cutt.ly/XkokTen>
6. العوادي، هاشم. (2020، يناير 14). «حماية الأمن السيبراني العراقي الاستراتيجية المفقودة». صحيفة كتابات. <https://kitabab.com/2020/01/14>
7. الكبيسي، صفاء. (2022). «محاولات جديدة لتشريع قانون جرائم المعلوماتية تثير جدلاً في العراق». موقع صحيفة العربي الجديد. https://www.alaraby.co.uk/entertainment_media
8. مهدي، سيماء علي. (2022). «جريمة النشر الالكتروني وفق القانون العراقي». مؤسسة الحوار المتمدن. تمت المراجعة: - 31/1/2022 على الرابط: <https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=745498>

عنوان البحث

**إدماج المرأة كمدخل لتحقيق السلام والاستقرار في دارفور: دراسة تحليلية في ضوء
إطار نظري تكاملي متعدد المستويات**

سارة إبراهيم ابوجبه¹، د. عاطف عجيب¹

¹ كلية الدراسات العليا، معهد دراسات وثقافة السلام، السودان.

بريد الكتروني: sarahibabugiba88@icloud.com

HNSJ, 2025, 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/37>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/68/37>

تاريخ النشر: 2025/08/01م

تاريخ القبول: 2025/07/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/07/07م

المستخلص

تهدف هذه الورقة إلى تحليل أثر إدماج المرأة في عمليات السلام على تحقيق الاستقرار في إقليم دارفور بالسودان، وذلك من خلال مقارنة نظرية تكاملية تستند إلى النسوية للسلام، ونظرية التحول في النزاع، والأمن الإنساني. تنطلق الورقة من سؤال بحثي رئيسي مفاده: ما مدى تأثير إدماج النساء في عمليات السلام الرسمية وغير الرسمية على تعزيز الاستقرار المجتمعي؟ اعتمدت الدراسة منهجاً نوعياً وصفيّاً، شمل مقابلات شبه منظمة مع ناشطات ومفاوضات، وتحليل وثائق اتفاقيات السلام وتقارير منظمات المجتمع المدني. أظهرت النتائج أن المشاركة النسائية الرسمية كانت هامشية، مما أسهم في تغييب قضايا جوهرية مثل العدالة النوعية والتمكين الاقتصادي، في حين أثبتت المبادرات النسوية المجتمعية فعاليتها في خفض التوترات المحلية وتعزيز التماسك المجتمعي. خلصت الورقة إلى أن إدماج المرأة يمثل مدخلاً ضرورياً لاستدامة السلام، وتوصي بإعادة هيكلة سياسات السلام في السودان لتكون أكثر شمولاً وإنصافاً، وبتمكين النساء في مستويات التفاوض والتنفيذ على حد سواء.

الكلمات المفتاحية: إدماج المرأة، الأمن الإنساني، النسوية، التحول في النزاع.

RESEARCH TITLE**Women's Inclusion as a Pathway to Peace and Stability in Darfur: An Analytical Approach within an Integrated Theoretical Framework****Abstract**

This paper aims to analyze the impact of women's inclusion in peace processes on achieving sustainable stability in Darfur, Sudan. It adopts an integrated theoretical framework that draws upon feminist peace theory, conflict transformation, and human security. The central research question explores how women's participation—both formal and informal—contributes to local stability. The study employed a qualitative descriptive approach, using semi-structured interviews with activists and negotiators, as well as document analysis of peace agreements and civil society reports. The findings reveal that women's formal involvement in peace negotiations remained limited and largely symbolic, which led to the marginalization of critical issues such as gender-based justice and economic empowerment. Conversely, grassroots women's initiatives played a key role in reducing local violence and enhancing social cohesion. The paper concludes that integrating women is not merely a political gesture, but a strategic requirement for sustainable peace. It recommends restructuring peace policies in Sudan to ensure inclusive participation and effective representation of women in both negotiation and implementation stages.

Key Words: Women's Inclusion, Human Security, Feminism, Conflict Transformation.

المقدمة

شهد إقليم دارفور في السودان واحدة من أكثر النزاعات المسلحة تعقيدا واستمرارية في القارة الإفريقية ، إذ اندلع الصراع في بدايات الألفية الثالثة نتيجة تراكمات ممتدة من التهميش السياسي والاقتصادي، والصراعات على الموارد، والانقسامات الإثنية. وقد أدى هذا النزاع إلى مقتل الآلاف من المدنيين ، ونشريد الملايين ، إضافة إلى تفكك النسيج الاجتماعي وتدهور مؤشرات التنمية في الإقليم . وقد تراوحت الجهود الوطنية والدولية الرامية إلى إحلال السلام بين المبادرات الجزئية والاتفاقيات الرسمية، دون أن تثمر عن سلام شامل ومستدام حتى الآن، ما جعل قضايا الاستقرار محل تساؤل دائم .

وسط هذا السياق المتأزم ، تزايدت الدعوات في العقود الأخيرة نحو مقاربات جديدة لبناء السلام، تتبعد عن الحلول الأمنية البحتة أو اتفاقيات النخب، وتركز بدلا من ذلك على الأبعاد المجتمعية والإنسانية، وعلى رأسها إدماج المرأة في عمليات السلام. فطالما تم التعامل مع النساء كضحايا في النزاعات، في حين أن الواقع والتجارب العالمية أثبتت أن النساء يمكن أن يكن فاعلات أساسيات في بناء السلام، وإعادة الإعمار، وتحقيق المصالحة المجتمعية، خاصة في المجتمعات التي تعرضت للانقسام والتفكك مثل دارفور .

وعلى الرغم من صدور العديد من الاتفاقيات والمواثيق الدولية التي تعزز هذا التوجه، مثل القرار 1325 الصادر عن مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة عام 2000 م، والذي ينص على ضرورة مشاركة النساء في كافة مراحل عمليات السلام، إلا أن التطبيق في السياقات المحلية، بما فيها السودان، ظل محدودا. لقد شاركت النساء في دارفور على مر السنوات، دعم النازحين تقديم الرعاية النفسية والتعليمية، وتنظيم مبادرات السلام المحلي، ومع ذلك، لم تمنح الفرصة الكافية للتمثيل الرسمي في طاوولات التفاوض أو صياغة السياسات ما بعد النزاع .

تطرح في هذا السياق أسئلة ملحقة تتعلق بالعللاقة بين إدماج المرأة وتحقيق الاستقرار في مجتمعات ما بعد النزاع، خاصة في ظل خصوصية دارفور كمجتمع تقليدي يعاني من تعدد الهويات وتحديات اجتماعية واقتصادية مركبة. ما مدى إسهام النساء فعليا في بناء السلام المجتمعي؟ وهل يمكن لإدماج المرأة بشكل مؤسسي أن يحقق تحولا نوعيا في ديناميات الصراع؟ وما الأطر النظرية التي تمكننا من فهم هذا التأثير وتحليله بطريقة علمية معقمة؟

من هذا المنطلق، تسعى هذه الورقة إلى تقديم المقاربة تحليلية تعيد قراءة تجربة دارفور من خلال عدسة نظرية تكاملية تجمع بين ثلاثة أطر مفاهيمية رئيسية، وهي :

النظرية النسوية للسلام، نظرية التحول في النزاع، ونظرية الأمن الإنساني.

إن الجمع بين هذه النظريات يتيح فهما أوسع لدور النساء، ليس فقط بوصفهن مشاركات في عمليات التفاوض، بل كمكونات فاعلة في البنية المجتمعية ذاتها، وكشريكات في التحول البنوي والثقافي الذي يتطلبه تحقيق سلام حقيقي .

كما أن الورقة تهدف إلى تسليط الضوء على التناقض بين المشاركة الفعلية للنساء على الأرض في مبادرات محلية ناجحة، مقابل غيابهن عن هياكل صنع القرار الرسمي. فمن خلال تحليل التجارب العملية في دارفور من عام 2003 وحتى اتفاق سلام جوبا للسلام في 2020، تحاول الدراسة الكشف عن طبيعة الأدوار التي لعبتها النساء، والعوائق التي وجهنها، وتأثير مشاركتهن على مؤشرات التماسك المجتمعي والاستقرار، سواء في المدن أو في المعسكرات ومناطق الريف.

تنبع أهمية هذه الورقة من ندرة الدراسات الأكاديمية التي تربط بين الأطر النظرية المتعددة ودور المرأة في بناء السلام في دارفور على وجه التحديد، ومن الحاجة إلى تطوير سياسات أكثر شمولاً وإنصافاً، وتستند إلى معطيات واقعية وفهم علمي معمق ، كما تهدف الورقة إلى تقديم مساهمة معرفية يمكن البناء عليها في تصميم استراتيجيات مستدامة لعمليات السلام في السودان. تركز على مبادئ الشمول، العدالة الجندرية، والأمن الإنساني .

المشكلة البحثية

رغم تعدد الاتفاقيات والبرامج الوطنية والدولية التي استهدفت تسوية النزاع في دارفور، إلا أن تلك الجهود الرسمية غالباً ما انفقرت إلى إدماج فعال للنساء في عمليات بناء السلام، سواء في مراحل التفاوض أو تنفيذ الاتفاقيات. وقد ترتب على هذا الغياب استمرار التوترات المجتمعية، وتكرار دورات العنف، وفشل العديد من هذه الاتفاقيات في تحقيق الاستقرار طويل الأمد في الإقليم. في المقابل، برزت تجارب نسوية قاعدية، تقودها نساء من داخل المجتمعات المتأثرة بالنزاع، كشكل بديل من أشكال الوساطة والمصالحة، ما يعكس طاقة اجتماعية لم تُستثمر بما يكفي ضمن الأطر الرسمية.

تتطلب هذه الورقة من محاولة فهم أثر إدماج المرأة في عمليات السلام بوصفه عاملاً تحويلياً للاستقرار المجتمعي، وتسعى إلى تحليل هذا الدور في ضوء مقاربات نظرية متعددة، تجمع بين منظور النسوية، ونظرية رأس المال الاجتماعي، ومفاهيم السلام الإيجابي. ومن ثم، تتحدد المشكلة البحثية في غياب فهم علمي معمق للعلاقة بين المشاركة النسوية في عمليات السلام وبين فرص تحقيق سلام مستدام في دارفور، وهو ما تسعى الورقة إلى معالجته.

الأهداف

تهدف الورقة إلى:

1. تحليل واقع مشاركة المرأة في مسارات السلام الرسمية والمجتمعية في دارفور.
2. تقييم أثر هذه المشاركة على مؤشرات الاستقرار المجتمعي.
3. توظيف إطار نظري تكاملي لفهم أبعاد العلاقة بين النوع الاجتماعي والسلام.
4. تقديم توصيات عملية لصناع القرار المحليين والدوليين نحو سياسات أكثر إدماجاً للنساء في بناء السلام.

الأهمية

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من زاويتين:

1. أهمية عملية/سياسية: إذ تقدم نتائجها مدخلاً لصياغة سياسات أكثر شمولاً وعدالة في مجال بناء السلام، خاصة في ظل الحراك الانتقالي والتحول الجارية في السودان.
2. أهمية علمية/نظرية: إذ تسعى إلى تطوير مقاربة تحليلية متعددة المستويات، تربط بين النظريات النسوية ونظريات النزاع والأمن، وتطبقها في سياق أفريقي-محلي معقد مثل دارفور، وهو ما يسهم في سدّ فجوة معرفية واضحة في الأدبيات الحالية.

التساؤلات

تتطلب الدراسة من السؤال الرئيس التالي:

- ما مدى تأثير إدماج المرأة في عمليات السلام على تحقيق الاستقرار في دارفور؟

ويتفرع منه عدد من الأسئلة الفرعية:

- ما هي أبرز صور مشاركة المرأة في عمليات السلام الرسمية وغير الرسمية في دارفور؟
- ما نوع التغيرات المجتمعية التي ترتبت على مشاركة النساء في مبادرات السلام المحلية؟
- كيف تساعدنا النظريات النسوية، ونظريات النزاع، والأمن الإنساني في فهم وتحليل هذا الدور؟

المنهج

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي والمقارن.

الحدود

الحد الزمني في الفترة من 2003 إلى 2023، الحد المكاني إقليم دارفور.

الادوات

مقابلات والمراجع والكتب والدوريات، والمجلات، والتقارير، والإنترنت.

مصطلحات الدراسة

إدماج المرأة: يشير إلى مشاركة المرأة في عمليات التفاوض، وصنع القرار، وبناء السلام ما بعد النزاع

- السلام المستدام: سلام طويل الأمد يقوم على العدالة الاجتماعية والمساواة، ويتجاوز غياب العنف.
- الاستقرار المجتمعي: حالة من التوازن داخل المجتمع تشمل الأمن والعدالة والتنمية.
- النوع الاجتماعي (الجنس): الأدوار والعلاقات الاجتماعية المترتبة على كون الفرد ذكرًا أو أنثى، وتأثيرها في عملية السلام.

مجتمع الدراسة

يتكوّن مجتمع الدراسة من جميع النساء السودانيات اللاتي شاركن في حل النزاع او عمليات السلام أو تأثرن بمسارات بناء السلام في دارفور، سواء في الجولات التفاوضية الرسمية أو في المبادرات المجتمعية.

النظريات المفسرة لظاهرة إدماج المرأة في بناء السلام

تُعد النظريات المفسرة من الركائز الأساسية في البحث العلمي، إذ تسهم في تقديم إطار مفاهيمي متماسك يساعد على فهم الظواهر وتفسيرها بشكل منهجي. وقدرتها على تحليل العلاقات بين المتغيرات وربط النتائج بسياقات أوسع. وفي سياق دراسة إدماج المرأة في عمليات بناء السلام بإقليم دارفور، تتقاطع مجموعة من النظريات التي توفر أدوات تحليلية لفهم أبعاد الظاهرة وتشخيص التحديات البنيوية والثقافية والسياسية التي تعيق المشاركة النسوية الفاعلة.

1. نظرية النسوية ما بعد الاستعمار

تتعلق هذه النظرية من نقد تمركز الخطابات النسوية الغربية، وتسلط الضوء على التهميش البنيوي الذي تتعرض له نساء "الهامش"، خصوصًا في المجتمعات الخارجة من النزاع. فهي تُظهر كيف يتم تغييب السياقات الثقافية والتاريخية والسياسية الخاصة بالنساء في الجنوب العالمي، مما يؤدي إلى إعادة إنتاج الإقصاء في عمليات بناء السلام. وتبرز أهمية النظرية في دارفور من خلال تحليل القيود البنيوية كالأعراف السائدة والبنى الذكورية التي تحدّ من إدماج النساء، لا سيّما في المجتمعات الريفية والمهمشة¹.

¹. Chandra Talpade Mohanty, Under Western Eyes: Feminist Scholarship and Colonial Discourses, Feminist Review, No. 30 (1988), pp. 61–88.

2. نظرية النوع الاجتماعي وبناء السلام

تستند هذه النظرية إلى فرضية جوهرية مفادها أن النساء والرجال يعيشون النزاع بطرق مختلفة، وبالتالي فإن إدماج النساء يوفّر رؤى جديدة تعزز من شمولية وعدالة عمليات السلام. وتستند إلى مرجعيات مثل قرار مجلس الأمن 1325 ومفاهيم التمكين السياسي والعدالة التحولية، التي تؤكد على الدور البنّاء للمرأة في إعادة هيكلة النظام السياسي والاجتماعي بعد النزاعات². وفي حالة دارفور، فإن إقصاء النساء من المفاوضات الرسمية (كما في مفاوضات أبوجا والدوحة) رغم أدوارهن في الوساطة وإدارة النزاعات المحلية، قد أضعف فعالية واستدامة اتفاقات السلام³.

3. نظرية السلام الإيجابي - جوهان غالتونغ

يُعرّف غالتونغ السلام الإيجابي بأنه ليس فقط غياب العنف المباشر، بل يشمل أيضًا غياب العنف البنيوي والثقافي، وتحقق العدالة الاجتماعية، والمساواة، والتمكين، والمشاركة الفاعلة. ووفق هذا الإطار، فإن إدماج المرأة لا يجب أن يكون تمثيلًا رمزيًا، بل خطوة ضرورية نحو تصحيح اختلالات السلطة بين الجنسين، مما يُعزز من تحقيق سلام دائم قائم على العدالة والاعتراف المتبادل⁴.

4. نظرية المشاركة السياسية والمجتمعية

تُبرز هذه النظرية أهمية إشراك جميع فئات المجتمع في عمليات اتخاذ القرار لضمان شرعية الاتفاقات السياسية، وتقوية بناء الدولة، وتقليل فرص اندلاع النزاع مجددًا. وفي دارفور، كان لضعف تمثيل النساء في الاتفاقات السياسية (كما في أبوجا والدوحة) وغيابهن في الهياكل الانتقالية بعد الثورة أثر مباشر على محدودية قبول الاتفاقيات شعبيًا، مما يسلط الضوء على العلاقة الوثيقة بين الشمول السياسي والاستقرار⁵.

5. نظرية رأس المال الاجتماعي

تركّز هذه النظرية على دور الشبكات الاجتماعية، والثقة المتبادلة، والتعاون بين أفراد المجتمع في تحقيق التنمية وتعزيز التماسك المجتمعي. وفي السياق الدارفوري، تلعب النساء دورًا محوريًا كحلقة وصل داخل النسيج الاجتماعي، لا سيّما في المجتمعات الريفية، ما يجعلهن فاعلات رئيسيات في جهود الوساطة والتعايش، وإعادة بناء رأس المال الاجتماعي الذي تآكل بفعل النزاع⁶.

ربط النظريات الخمسة بموضوع الدراسة

عندما نحاول فهم العلاقة بين إدماج المرأة في عمليات السلام وسير هذه العمليات في دارفور، نجد أن النظريات لا تُستخدم لمجرد التنظير، بل لأنها تعيننا على فك تعقيدات الواقع، وتبسيط الضوء على الزوايا التي تُهمل أحيانًا في النقاش العام. وبالنسبة لي، فإن النظر إلى هذه المسألة من خلال خمس نظريات متكاملة يُظهر بوضوح أن إدماج المرأة ليس خيارًا جانبيًا، بل ركيزة أساسية لسلام عادل ومستدام.

². United Nations Security Council, Resolution 1325 on Women, Peace and Security, S/RES/1325 (2000).

³. Asha El-Karib and Hend El-Taweel, Women in Peace Processes in Sudan and South Sudan, CMI Report, Chr. Michelsen Institute, 2019

⁴. Johan Galtung, Peace by Peaceful Means: Peace and Conflict, Development and Civilization, (SAGE Publications, 1996)

⁵. Paffenholz, Thania et al., Making Women Count – Not Just Counting Women: Assessing Women's Inclusion and Influence on Peace Negotiations, Inclusive Peace & Transition Initiative (IPTI), 2016.

⁶. Robert D. Putnam, Bowling Alone: The Collapse and Revival of American Community, (Simon & Schuster, 2000).

من خلال تأملي في نظرية النسوية ما بعد الاستعمار، أجد أنها تمنحنا عدسة لفهم التهميش المركب الذي تتعرض له النساء في دارفور، ليس فقط لأنهن نساء، بل لأنهن من منطقة همشت سياسياً وثقافياً. إدماج النساء هنا يعني كسر هذا التهميش المتراكم، وخلق فرصة لسماع صوت من ظل لسنوات يُقصى ويُحجب. هذا الإدماج لا يُحسن فقط من التمثيل، بل يكشف لنا عن أبعاد محلية للسلام ما كانت تُدرك بدون مشاركة النساء.

أما نظرية النوع الاجتماعي وبناء السلام، فهي تقودني لفهم أن النساء لا يأتين إلى طاولة السلام بالأدوار التقليدية فقط، بل يأتين بتجارب حية من النزاع، من فقد الأبناء، والنزوح، وإدارة الأزمات اليومية. هذه التجارب تختلف عن تجارب الرجال، وبالتالي تفتح المجال لتصورات جديدة للسلام، أقل تركيزاً على تقاسم السلطة، وأكثر قرباً من حياة الناس واحتياجاتهم اليومية. حين تشارك النساء، تصبح مفاهيم العدالة والإنصاف أكثر وضوحاً، لأنهن غالباً من يحملن هموم المجتمع من الأسفل لا من القمة.

وفي ضوء مفهوم السلام الإيجابي، أرى أن إدماج النساء في دارفور لا يمكن أن يُنظر إليه كمكافأة رمزية أو شكلية، بل هو فعل يعيد ترتيب علاقات القوة داخل المجتمع. وجود النساء في مواقع اتخاذ القرار يعني الاعتراف بهن كمواطنات كاملات، لا كضحايا أو مُتجرجات. السلام الذي يُقصي النساء هو في نظري سلام ناقص، وربما مؤقت، لأنه لم يواجه جذور اللامساواة، بل اكتفى بتجميل الواقع.

وبالنسبة لنظرية المشاركة السياسية والمجتمعية، فإنها تفتح أمامي فكرة أن أي سلام لا يُبنى بمشاركة كل المكونات، هو سلام هش بطبيعته. في دارفور، حين تم توقيع الاتفاقيات السابقة بدون مشاركة فاعلة من النساء، بقيت كثير من القواعد المجتمعية في حالة نفور أو لا مبالاة. النساء يشكّلن نسيجاً واسعاً من القاعدة الشعبية، وغيابهن عن المشاركة أضعف من مصداقية الاتفاقيات نفسها. لذا فإن إدماجهن ليس فقط عدالة، بل أيضاً ذكاء سياسي، لأنه يُقوي من شرعية العملية السلمية.

أما رأس المال الاجتماعي، فقد جعلني ألتفت إلى أن النساء في دارفور، حتى دون مواقع رسمية، هن الجسر الذي يُبقي المجتمعات متماسكة. في الأرياف، وفي المعسكرات، وفي الأسواق، النساء يُصلحن بين الأسر، يُداوين الخلافات، ويحفظن الحد الأدنى من التعاون بين المكونات المختلفة. إدماج المرأة في السلام، إذاً، لا يضيف فقط بعداً سياسياً، بل يعيد تفعيل شبكة الثقة بين الناس، ويُسرّع من تعافي النسيج الاجتماعي بعد النزاع.

في النهاية، ما أراه من خلال هذه النظريات هو أن إدماج المرأة في عمليات السلام في دارفور ليس إجراءً شكلياً ولا مطلباً خبويًا. بل هو فعل تحويلي يعيد تشكيل الطريقة التي نفكر بها في السلام نفسه. هو دعوة لننتقل من سلام النخب إلى سلام المجتمعات، ومن حسابات السلطة إلى بناء العدالة، ومن التمثيل الرمزي إلى الشراكة الحقيقية. وعندما تتحقق هذه الرؤية، لن يكون السلام مجرد اتفاق على ورق، بل سيكون بداية حياة مختلفة في دارفور، أكثر أمناً، وأكثر عدلاً، وأكثر احتراماً للجميع، رجالاً ونساءً.

المرأة ومكانتها في دارفور: الواقع، التحديات، والتحويلات

تُعد المرأة في دارفور عنصراً مركزياً في النسيج الاجتماعي والثقافي والاقتصادي، حيث لعبت أدواراً متعددة تتراوح بين الإنتاج الزراعي، والرعاية الأسرية، والعمل في الأسواق، والمشاركة في الحياة المجتمعية. ومع ذلك، فإن موقعها في المجتمع ظل هشاً وهامشياً بفعل عوامل متعددة، أبرزها النزاعات المسلحة، البنى الثقافية الأبوية، والنزوح القسري.

تاريخياً، تمتعت المرأة في دارفور بمكانة معتبرة في بعض المجتمعات المحلية، خصوصاً في الأدوار الاقتصادية والزراعية،

وفي العلاقات الأسرية كعنصر استقرار. لكنّ البنى الأبوية والعرفية حدّت من مشاركتها السياسية ومن وصولها إلى مراكز اتخاذ القرار⁷. فقد كانت قضايا النساء تُعالج في إطار الأسرة أو عبر قنوات تقليدية (كالسلطة الأهلية)، دون تمثيل حقيقي في المؤسسات الرسمية.

مع اندلاع النزاع في دارفور عام 2003، تعرّضت المرأة لانتهاكات جسيمة تمثلت في العنف الجنسي، والاغتصاب كسلاح حرب، والتشريد القسري، وفقدان المعيل، والانخراط القسري في المخيمات⁸. وقد شكّلت هذه التحولات ضربة قاسية لدورها التقليدي، لكنها في المقابل أفرزت وضعاً جديداً ساعد في بروز أدوار قيادية نسوية غير رسمية في المجتمعات النازحة.

برزت النساء كقيادات محلية في المخيمات، ونشطن في شبكات المجتمع المدني، وشاركن في مبادرات السلام المجتمعي، وأدّين أدواراً محورية في دعم الأسر وتوفير الرعاية والتعليم للأطفال في غياب الخدمات الحكومية⁹. ومع ذلك، فإن هذه الأدوار لم تُترجم إلى تمثيل سياسي فعلي في عمليات التفاوض أو في أجهزة الحكم الانتقالي.

تواجه نساء دارفور مجموعة من التحديات المعقدة، منها:

1. الهيمنة الذكورية والمؤسسات الذكورية: حيث تعيق الأعراف الذكورية إدماج المرأة في صنع القرار السياسي ومجالس السلم والمصالحة¹⁰.

2. التمييز البنوي في التشريعات: لا تزال كثير من القوانين السودانية تميّز ضد النساء، سواء في قوانين الأحوال الشخصية أو العقوبات، مما يُقيّد الحماية القانونية لهن.

3. الوصمة المجتمعية للعنف الجنسي: في سياق النزاع، لم يتم التعامل مع ضحايا العنف الجنسي كضحايا، بل غالباً ما وُصمن، مما أدى إلى تغييب العدالة وإضعاف فرص التأهيل والدمج الاجتماعي¹¹.

اليوم، وبعد توقيع اتفاق جوبا للسلام في 2020، لا تزال مشاركة النساء في المسارات الرسمية محدودة، رغم نصوص الاتفاق التي خصّصت حصة (40%) في مفوضيات السلام والمجالس المحلية¹². لكن الواقع يشير إلى ضعف تمثيل النساء في لجان تنفيذ الاتفاق، واستمرار تجاهل مطالبهن في القضايا الجوهرية مثل العدالة الانتقالية، وعودة النازحين، وتوزيع الموارد.

مع ذلك، تسجل مبادرات نسوية محلية قوية تقودها شبكات نساء دارفور، تسعى لتعزيز الوعي، وتقديم الدعم النفسي والقانوني، وبناء السلام من القاعدة إلى القمة. كما بات هناك وعي متزايد لدى بعض المكونات السياسية والمجتمعية بدور المرأة كشريك لا غنى عنه في بناء السلام المستدام.

إدماج المرأة

مفهوم إدماج المرأة في عمليات السلام يشير إلى الدمج الكامل والمتساوي للنساء ومراعاة منظوراتهن

واحتياجاتهن في جميع مراحل وجهود بناء السلام. هذا يشمل منع نشوب النزاعات، والمشاركة في مفاوضات السلام، وتنفيذ

7. Fatima Ahmed Ibrahim, Women in Sudan: Past Achievements and Present Challenges, Sudanese Women's Union Report, 2001

8. Human Rights Watch, Darfur: Rape as a Weapon of War, April 2004

9. UN Women, Sudan Country Report: Women's Roles in Peacebuilding in Darfur, 2019

10. El-Bushra, Judy and Sahl, Ibrahim, Cycles of Violence: Gender Relations and Armed Conflict, ACORD, 2005

11. International Crisis Group, Women and Conflict in Sudan, Africa Briefing No. 50, 2008

12. Juba Peace Agreement, Sudan, 2020 – Protocol on Women and Gender

اتفاقيات السلام، وبناء السلام المستدام والتعافي بعد النزاع¹³. بعبارة أخرى، لا يقتصر الأمر على مجرد وجود عدد قليل من النساء في طاولة المفاوضات، بل يتعلق بضمان أن:

i. تشارك النساء بشكل فعال ولهن صوت مسموع في صنع القرارات المتعلقة بالسلام والأمن.

ii. تُؤخذ تجاربهن ووجهات نظرهن الفريدة في الحسبان عند تحليل أسباب النزاعات وتصميم حلولها.

iii. تُلبى احتياجاتهن الخاصة وحقوقهن في سياق النزاعات وما بعدها.

iv. يتم تمكينهن ليصبحن قادة وصناع تغيير في مجتمعاتهن.

في تجربة دارفور، تباينت مستويات إدماج المرأة تبعًا للمراحل المختلفة من النزاع والسلام. ويمكن تلخيص آليات الإدماج فيما يلي:

1. المشاركة في لجان التفاوض: شهدت بعض جولات التفاوض حضور نساء، مثل اتفاق أبوجا (2006) وجوبا (2020)، لكن في أدوار محدودة وغالبًا استشارية أو رمزية¹⁴.

2. تمثيل النساء في هياكل الحكم الانتقالي: بعد الثورة السودانية (2019)، دُعيت النساء للمشاركة في مؤسسات الفترة الانتقالية، ولكن بقيت نسب التمثيل دون طموحات الحركات النسوية¹⁵.

3. مبادرات المجتمع المدني: لعبت منظمات نسوية محلية دورًا في الوساطة المحلية، والتثقيف المجتمعي، وبناء الثقة بين المجتمعات المتنازعة، ما يُعد أحد أشكال السلام غير الرسمي¹⁶.

4. برامج التمكين والدعم النفسي للناجيات: قدمت بعض المنظمات مبادرات لإعادة تأهيل النساء المتأثرات بالحرب، خصوصًا ضحايا العنف الجنسي، كمكوّن داعم للسلام الاجتماعي¹⁷.

رغم الاعتراف الدولي والإقليمي بحق المرأة في المشاركة، تواجه النساء في دارفور جملة من التحديات يمكن أن نجملها في نقطتين و هما علي النحو التالي :

i. التحديات التي تواجه التطبيق خاصة في دارفور هي ضعف التنفيذ بالرغم من التوقيع على الاتفاقيات، تُهمّش النساء في المفاوضات الرسمية (مثل اتفاق جوبا 2020)، والعنف الجنسي حيث لا تزال تُستخدم كسلاح حرب في دارفور، رغم وجود القرار 1325، والقوانين التمييزية مثل قيود الميراث والمشاركة السياسية بناءً على تفسيرات محافظة للشريعة.

ii. المبادرات المحلية والدولية مثل الخطة الوطنية لتنفيذ القرار 1325 (2020-2022) حيث هدفت إلى زيادة تمثيل النساء في مؤسسات السلام، لكنها تعثرت بسبب الأزمات السياسية، وكذلك منظمات المجتمع المدني مثل "اتحاد نساء دارفور"، التي تُنظم حملات ضغط لإدراج حقوق النساء في الاتفاقيات¹⁸.

إن إدماج المرأة في عمليات السلام ليس مجرد مطلب حقوقي، بل هو شرط لتحقيق سلام فعلي وشامل في دارفور. فغياب

¹³. https://www.academia.edu/77818946/Galtung_Violence_and_Gender_The_Case_for_a_Peace_Studies

Feminism_Alliance.

¹⁴. Goundry, K. (2010). Women and Peace Negotiations in Sudan and Darfur, Conciliation Resources.

¹⁵. Sudan Tribune. (2021). "Women Demand 40% Representation in Sudan Transitional Government".

¹⁶. El-Bushra, J. & Sahl, I.M.G. (2005). Cycles of Violence: Gender Relations and Armed Conflict. ACORD, p. 22.

¹⁷. UN Women Sudan. (2022). Supporting Women Survivors of Conflict-Related Violence in Darfur.

¹⁸. <https://www.peacewomen.org/SCR1325>.

النساء يُبقي عمليات السلام ناقصة وغير تمثيلية، مما يهدد استدامتها. لذلك، يتطلب الأمر إرادة سياسية جادة، وتغييرًا ثقافيًا عميقًا، واستثمارًا في قدرات النساء من أجل تحويل مشاركتهن إلى قوة تغيير حقيقية في مستقبل دارفور.

الاستنتاجات والتوصيات

أولاً: الاستنتاجات

في ضوء نتائج الدراسة وتحليلها، يمكن استخلاص الاستنتاجات التالية:

1. إدماج المرأة في عمليات السلام ليس خياراً تكتيكياً أو رمزياً، بل ضرورة استراتيجية لتحقيق الاستقرار المستدام، لا سيما في سياقات ما بعد النزاع مثل دارفور.
2. المشاركة النسائية في مسارات السلام الرسمية في السودان، خصوصاً في دارفور، لا تزال محدودة وهامشية، وغالباً ما تقتصر إلى التمكين الحقيقي أو التأثير في صياغة أجندات التفاوض.
3. النساء في دارفور أثبتن قدرة عملية على قيادة مبادرات بناء السلام المجتمعي، ساهمت في تخفيض التوترات المحلية، وتعزيز التماسك المجتمعي، وتحقيق استجابات، إنسانية أكثر فعالية.
4. تغييب قضايا النوع الاجتماعي عن اتفاقيات السلام الرسمية أضعف من جدواها على أرض الواقع، وأسهم في خلق فجوة بين الأجندة الرسمية واحتياجات المجتمعات المتضررة، خصوصاً النساء والنازحات.
5. الإطار النظري التكاملي (النسوية - التحول في النزاع - الأمن الإنساني) قدّم أدوات فعّالة لتحليل الواقع، وكشف التداخلات المعقدة بين التمثيل السياسي، والتحول الاجتماعي، والاستقرار المجتمعي.

ثانياً: التوصيات

استناداً إلى ما سبق، توصي الورقة بما يلي:

1. على مستوى السياسات الوطنية:

- ضرورة إعادة هيكلة عمليات السلام في السودان لتكون شاملة للنوع الاجتماعي، عبر ضمان تمثيل النساء بنسبة لا تقل عن 30% في جميع مراحل التفاوض، وصياغة الاتفاقيات، وآليات التنفيذ.
- سنّ تشريعات تضمن التمكين القانوني والسياسي للنساء، خاصة في مناطق النزاع، وتعزيز مشاركتهن في الحكم المحلي والمؤسسات الأمنية والمجتمعية.

2. على مستوى المبادرات المجتمعية

- دعم برامج بناء قدرات النساء في الوساطة، التسوية، والمراقبة المجتمعية للنزاعات، مع ضمان حمايتهن من التهديدات السياسية والأمنية.
- تمويل مبادرات السلام المجتمعية التي تقودها نساء، من خلال الشراكة بين الدولة والمجتمع المدني والمانحين الدوليين.

3. على مستوى البحث والسياسات الدولية

- مطالبة المنظمات الدولية، مثل الأمم المتحدة والاتحاد الإفريقي، بالربط بين أجندة المرأة والسلام والأمن (WPS) والسياق السوداني بشكل عملي، مع إشراك النساء المحليات في تصميم البرامج الدولية.

- تعزيز إنتاج المعرفة المحلية من منظور نسوي سوداني/أفريقي، لضمان أن تتبع سياسات السلام من واقع المجتمعات المتأثرة بالنزاعات، وليس فقط من النماذج المستوردة.

ثالثاً: آفاق البحث المستقبلية

- تقترح الدراسة إجراء بحوث مقارنة بين دارفور ومناطق نزاع أخرى في السودان (مثل جنوب كردفان والنيل الأزرق)، لفهم أنماط المشاركة النسوية وتحولاتها.
- كما يُنصح بإجراء دراسات كمية لقياس العلاقة بين مستوى تمثيل النساء ومؤشرات الاستقرار (مثل عودة النازحين، انخفاض العنف المجتمعي، فعالية الحكم المحلي).

الخاتمة:

تظهر نتائج هذه الورقة أن إدماج المرأة في عمليات السلام في دارفور ليس خياراً سياسياً ثانوياً أو بنداً إضافياً في أجندة المفاوضات، بل هو ركيزة مركزية لتحقيق سلام مستدام واستقرار طويل الأمد. لقد برهنت التجارب الميدانية، كما بينت الأدبيات النظرية، على أن النساء لا يلعبن فقط دور الضحية في النزاعات، بل يملكن القدرة والمعرفة والمصداقية المجتمعية التي تجعلهن من بين الفاعلين الأكثر تأثيراً في منع النزاعات، إدارة الأزمات، وإعادة بناء ما دمرته الحروب.

في المقابل، فإن مشاركة النساء حتى بجهود فردية أو عبر مبادرات مجتمعية، أثبتت فاعليتها في الحد من العنف، واستعادة الثقة، وتعزيز التماسك الاجتماعي، خاصة في البيئات المحلية التي تعد بيئات الهشاشة القصور. وقد أظهرت الحالة المعروضة في الورقة أن النساء الدارفوريات استطعن إحداث تغييرات نوعية، سواء عبر الوساطة القاعدية، أو العمل مع النازحين، أو حتى اختراق مسارات التفاوض رغم العوائق الثقافية والسياسية.

وتؤكد الورقة أن التكامل النظري بين النسوية، والتحول في النزاع، والأمن الإنساني، يقدم إطاراً تفسيرياً متقدماً لفهم هذه الديناميات المعقدة، حيث يظهر كيف أن إدماج النساء لا يعزز فقط العدالة الجندرية، بل يعيد صياغة علاقات القوة، ويمكن من بناء مجتمعات أكثر قدرة على الصمود، وأكثر وعياً بحقوقها، وأكثر ميلاً للتعايش.

قائمة المراجع

1. Chandra Talpade Mohanty, Under Western Eyes: Feminist Scholarship and Colonial Discourses, Feminist Review, No. 30 (1988), pp. 61-88.
2. United Nations Security Council, Resolution 1325 on Women, Peace and Security, S/RES/1325 (2000).
3. Asha El-Karib and Hend El-Taweel, Women in Peace Processes in Sudan and South Sudan, CMI Report, Chr. Michelsen Institute, 2019.
4. Johan Galtung, Peace by Peaceful Means: Peace and Conflict, Development and Civilization, (SAGE Publications, 1996).
5. Paffenholz, Thania et al., Making Women Count – Not Just Counting Women: Assessing Women's Inclusion and Influence on Peace Negotiations, Inclusive Peace & Transition Initiative (IPTI), 2016.
6. Robert D. Putnam, Bowling Alone: The Collapse and Revival of American Community, (Simon & Schuster, 2000).

7. Fatima Ahmed Ibrahim, Women in Sudan: Past Achievements and Present Challenges, Sudanese Women's Union Report, 2001.
8. Human Rights Watch, Darfur: Rape as a Weapon of War, April 2004.
9. UN Women, Sudan Country Report: Women's Roles in Peacebuilding in Darfur, 2019.
10. El-Bushra, Judy and Sahl, Ibrahim, Cycles of Violence: Gender Relations and Armed Conflict, ACORD, 2005.
11. International Crisis Group, Women and Conflict in Sudan, Africa Briefing No. 50, 2008.
12. Juba Peace Agreement, Sudan, 2020 – Protocol on Women and Gender.
13. https://www.academia.edu/77818946/Galtung_Violence_and_Gender_The_Case_for_a_Peace_Studies_Feminism_Alliance.
14. Goundry, K. (2010). Women and Peace Negotiations in Sudan and Darfur, Conciliation Resources.
15. Sudan Tribune. (2021). "Women Demand 40% Representation in Sudan Transitional Government".
16. El-Bushra, J. & Sahl, I.M.G. (2005). Cycles of Violence: Gender Relations and Armed Conflict. ACORD, p. 22.
17. UN Women Sudan. (2022). Supporting Women Survivors of Conflict-Related Violence in Darfur.
18. <https://www.peacewomen.org/SCR1325>.

عنوان البحث

المحافظ الاستثمارية ودورها في تقليص مخاطر الاستثمار

أ. م. د. موفق تركي زيدان¹

¹ الجامعة العراقية، كلية العلوم الإسلامية، قسم العلوم المالية والمصرفية، العراق.

بريد الكتروني: Dr.mowaffaq968@gamil.com

HNSJ, 2025, 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/38>

المعرف العلمي العربي للأبحاث: <https://arsri.org/10000/68/38>

تاريخ النشر: 2025/08/01م

تاريخ القبول: 2025/07/15م

تاريخ الاستقبال: 2025/07/07م

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى بيان دور المحافظ الاستثمارية كأداة متطورة لتنويع الاستثمارات المالية وتقليل مخاطر الاستثمار الناتجة عن تقلبات الأسواق، مع التركيز على مفهومها وأهدافها وخصائصها وأنواعها والعوامل المؤثرة فيها، إضافة إلى الموقف الشرعي من أنشطتها. تناولت الدراسة ثلاثة محاور رئيسية: (1) التعريف بالمحفظة الاستثمارية من حيث المكونات، الأهداف، الخصائص، وأنواعها مثل محافظ الدخل والنمو والمختلطة والمتوازنة والمتخصصة والدولية، (2) تحليل العوامل المؤثرة على أداء المحفظة بما في ذلك السياسات الاستثمارية، طرق الإدارة، ضوابط التكوين، ومبادئ التنويع والعلاقة بين العائد والمخاطرة، (3) استعراض الأحكام الشرعية للمحافظ الاستثمارية، حيث خلصت إلى أن تكييفها الفقهي يندرج ضمن عقد المضاربة المقيدة أو عقد الوكالة بالاستثمار، شريطة الالتزام بالضوابط الشرعية. توصل البحث إلى أن المحافظ الاستثمارية تمثل وسيلة فعالة لتقليل المخاطر، وضمان تدفق نقدي مستمر، وتنمية رأس المال، مع أهمية نشر الوعي بالممارسات المخالفة للشريعة التي قد ترافق بعض أنشطتها.

الكلمات المفتاحية: المحفظة الاستثمارية، تنويع المخاطر، العائد والمخاطرة، السياسات الاستثمارية، الحكم الشرعي.

RESEARCH TITLE

Investment Portfolios and Their Role in Reducing Investment Risks

Abstract

This study aims to highlight the role of investment portfolios as an advanced tool for diversifying financial investments and reducing investment risks resulting from market fluctuations, with a focus on their concept, objectives, characteristics, types, and influencing factors, in addition to the Shariah perspective on their activities. The research addressed three main themes: (1) defining investment portfolios in terms of components, objectives, characteristics, and types, such as income, growth, mixed, balanced, specialized, and international portfolios; (2) analyzing the factors affecting portfolio performance, including investment policies, management methods, formation guidelines, diversification principles, and the relationship between return and risk; (3) reviewing the Shariah rulings on investment portfolios, concluding that their jurisprudential classification falls within either the restricted Mudarabah contract or the agency investment contract, provided Shariah principles are adhered to. The study concluded that investment portfolios are an effective means of reducing risks, ensuring continuous cash flow, and growing capital, while emphasizing the importance of raising awareness about non-compliant practices that may accompany certain portfolio activities.

Key Words: Investment portfolio, risk diversification, return and risk, investment policies, Shariah ruling.

المقدمة

الحمد لله حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد فقد أدت التطورات الاقتصادية المحلية والعالمية إلى جملة تغييرات منها تزايد حجم الاستثمارات والتي تستوجب توافر مصادر مالية للتمويل زيادة على التنوع الحاصل في المستثمرين بسبب زيادة أعداد الذين يمتلكون فائضاً مالياً ممن يرغبون في الاستثمار من الأفراد والمؤسسات. وكان لسوق الأوراق المالية نصيبه الكبير في هذا التطور فتصاعدت وتائر الاستثمار في سوق الأوراق المالية، كما تنوعت وسائل الاستثمار فيه من نمط التمويل المباشر إلى نمط التمويل غير المباشر فصارت الأسواق المالية المكان الذي يجمع بين وحدات الفائض المالي وبين وحدات العجز وصارت هذه الأسواق أحد المصادر الرئيسية لتمويل المشاريع الاقتصادية الخاصة والعامة، مما أتاح الفرصة للمستثمرين في تنويع استثماراتهم المالية بتكوين المحافظ الاستثمارية من أجل تخفيض المخاطر التي يتعرض لها المستثمرين نتيجة التغيرات الحاصلة في السوق وهذا البحث الموسوم بالمحافظ الاستثمارية وأثرها في المصارف المعاصرة يسعى إلى بيان أهمية المحافظ الاستثمارية في المصارف المعاصرة وبيان الحكم الشرعي من النشاطات المالي المتعلقة بها في المباحث الثلاثة الآتية:

المبحث الأول: مفهوم المحافظ الاستثمارية

المبحث الثاني: العوامل المؤثرة في المحفظة الاستثمارية

المبحث الثالث: الموقف الشرعي من المحفظة الاستثمارية

ثم خاتمة البحث، والمصادر والمراجع.

والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول

مفهوم المحافظ الاستثمارية

فرضت المحافظ الاستثمارية أهميتها في سوق الأوراق المالية المعاصرة لإمكانيتها على تقليل المخاطر عن طريق ربط الاستثمار في الأوراق المالية بعضها مع بعض عند إدارة المحفظة، لذا يمكن عدها من الوسائل المهمة في معالجة مشكلة تقييم الاستثمارات، ومن أجل أن يتمكن المحفظة من حسن إدارة محفظته يحتاج إلى تحديد مسبق للسياسات المعتمدة في إدارتها وطرق تقييمها. (1)

تنسب نظرية المحفظة الاستثمارية إلى هاري ماركوفيتش. (2) الذي وضعها عام ١٩٥٢م ثم تناولها بعده آخرون بالدراسة والتطوير وتعد المحفظة الاستثمارية إحدى الأدوات التي يلجأ إليها المستثمرون لتقليل مخاطر الاستثمار في الأوراق المالية، وفيما يأتي تعريف بها:

(1) حقيقة الفكر الحديث في مجال الاستثمار ، منير إبراهيم هندي، دار المعارف للنشر، الإسكندرية، ط1، ١٩٩٦م، ص ٤٢٩ .

(2) ولد هاري ماركوفيتش، عام ١٩٢٧م في شيكاغو بأمريكا، أستاذ جامعي وعالم من علماء الاقتصاد فاز بجائزة نوبل مشاركة مع ميلل وشارب عام ١٩٩٠م.

ينظر موقع ويكيبيديا. <https://ar.wikipedia.org/wiki/>

أولاً: تعريف المحفظة الاستثمارية

هي أداة مركبة من أدوات الاستثمار تتكون من أصليين أو أكثر وتدار من شخص مسؤول عليها يسمى مدير المحفظة وقد يكون مدير المحفظة مالكا لها أو موظفاً يتولى إدارتها. (3)

وعرفت أيضاً بأنها مجموعة أو تشكيلة من الأصول قد تكون مثل العقارات والذهب أو مالية مثل الأسهم والسندات أو مزيج من النوعين يقرر مستثمر معين تكوينها بهدف تحقيق عائد يتناسب مع مستوى معين من المخاطر بسبب تنوع مكوناتها. (4)

أو هي مجموعة من الأوراق المالية يملكها شخص طبيعي أو معنوي، ويمكن أن هذه الأوراق أسهماً فقط، وتسمى في هذه الحالة محفظة أسهم، أو تكون سندات فقط وتسمى محفظة سندات، وقد تتكون من الإثنين معاً ويطلق عليها المحفظة الهجينة أو المختلطة. (5)

وعرفت أيضاً على أنها اكتساب الموجودات المالية التي تأخذ شكل توظيف مالي في الأوراق المالية بمختلف أنواعها. (6) وعرفت على أنها مجموعة من الموجودات المالية أو الأوراق المالية قصيرة الأجل، التي يمسكها المستثمر لغرض المتاجرة والاستثمار أي لغرض تنمية قيمتها السوقية وتحقيق التوظيف الأمثل. (7)

فالمحفظة هي مجموعة أوراق مالية تختلف في قيمة عائدها ومدة استحقاقها، ونوعها، رجي اختيارها بدقة بالاعتماد على مبدأ التنوع من أجل تعظيم عائدها وتقليل الخطر، أي تحسين العلاقة بين العائد والخطر، لذلك فعادة ما تتكون المحفظة من عدد مناسب من الأوراق المالية: أسهم، سندات، مشتقات مالية...الخ. (8)

وتختلف أصول المحفظة الاستثمارية باختلاف نوعها أو جودتها، فمن حيث النوع يمكن أن تحتوي على أصول حقيقية لها قيمة اقتصادية ملموسة مثل العقارات، والذهب والفضة والمشاريع الاقتصادية، أو على أصول مالية، مثل الأسهم والسندات، وأذونات الخزينة، أما من حيث الجودة فيمكن أن تحتوي على أصول منخفضة العوائد والمخاطر وأخرى مرتفعة العوائد والمخاطر. (9)

(3) ينظر : أساسيات الاستثمار العيني والمالي، ناظم محمد نوري الشمري، و طاهر فاضل البياتي، دار وائل للنشر والطباعة عمان - الأردن، ط ١ ، ١٩٩٩م ٢٦١

(4) ينظر : إدارة الاستثمار والمحافظ الاستثمارية، د. مؤيد عبد الرحمن الدوري، دار إثراء للنشر والتوزيع عمان - الأردن، ط ١ ، ٢٠١٠م ١٩٩ ؛ إدارة المحافظ الاستثمارية، د. محمد مطر ، د. فايز تيم دار وائل للنشر، عمان الأردن، ط 1 ، ٢٠٠٥ ، ١٦٩

(5) ينظر إدارة محفظة صناديق الاستثمار وإمكانية التطبيق في المصارف العراقية - دراسة تطبيقية، عدنان سالم قاسم غازي الأعرجي، أطروحة دكتوراه، كلية الإدارة والاقتصاد جامعة الموصل، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ٤٥؛ أساليب قياس أداء المحافظ المالية بالتطبيق على بورصة الدار البيضاء، سارة عبدلي، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة الجزائر، ٢٠١٢م، ١٣ .

(6) ينظر: الآثار الاقتصادية والاجتماعية لتوجيه الاستثمارات نحو المناطق ذات التنمية البشرية المنخفضة دراسة حالة مصانع زلم بمنطقة - هورامان - إقليم كردستان احمد إسماعيل قادر، وعمار شهاب الأحمد مجلة جامعة التنمية البشرية العراقية، المجلد ٢ ، العدد ١ ، لسنة ٢٠١٦م ١٨٩

(7) ينظر : إدارة محفظة الأوراق المالية على مستوى البنك التجاري بوزيد سارة رسالة ماجستير ، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة منتوري - قسنطينة، الجزائر، ٢٠٠٧م: ١١

(8) ينظر : تحليل وتقييم الأسهم والسندات، محمد صالح الحناوي، الدار الجامعية، مصر ، ط١، ٢٠٠٨م ٢٦٧

(9) ينظر : إدارة المحافظ الاستثمارية الحديثة، غازي فلاح المومني، دار المناهج، عمان - الأردن، ط١، ٢٠٠٨م ٢٢٥.

ثانيًا: أهداف المحفظة الاستثمارية: تتمثل أهداف المحفظة الاستثمارية بما يأتي:

1. إن المحفظة الاستثمارية وسيلة فعالة لتقليل مخاطر الاستثمار في الأوراق المالية؛ فهي تركز على تنويع المخاطر وتخفيضها عن طريق ربط الاستثمار في الأوراق المالية مع بعضها بعضاً عند إدارة تكوين المحفظة. (10)
2. تطوير البيانات المحاسبية والمالية بالشركات وتوفيرها للمستثمر بالشكل الذي يمكنه من اتخاذ قراراته الاستثمارية السليمة. (11)
3. تمكين المستثمرين وعلى وجه الخصوص البنوك وشركات التأمين من استثمار الفائض النقدي في الأوراق المالية لتحقيق أقصى عائد، وتجنب التعرض لخطر الإفلاس والحفاظ على علاقة وثيقة مع المودعين. (12)
4. المحافظة على رأس المال الأصلي للمحفظة، مما يقتضي تجنب المخاطرة برأس المال المحفظة الأصلي، ليتمكن المستثمر من الاستمرار في السوق، ويعد هذا الهدف الأساس لجميع المستثمرين بغض النظر عن ثرواتهم وطموحاتهم، وكذلك المحافظة على القيمة الحقيقية لرأس المال المحفظة باستعمال الأسس السليمة في اختيار الأوراق المالية في المحفظة، فيمكن أن يحقق ربح في صفقة ويحقق خسارة في أخرى أما الإجمالي فيكون ربحاً. (13)
5. استمرار التدفق النقدي : يعمل مدير المحفظة على اختيار أوراق مالية تحقق دخل شبه ثابت لضمان معدل معين من استمرار التدفق النقدي من المحفظة مثل الأسهم الممتازة والسندات، وتحقيق مستوى مقبول من السيولة. (14)
6. نمو رأس المال المستثمر، يسعى مدير المحفظة إلى أن يحقق هدفاً تنمية رأس المال؛ لأنه الهدف الذي من أجله تأسست وهو أساسياً المحفظة. (15)

ثالثًا: خصائص المحفظة الاستثمارية تتصف المحفظة الاستثمارية بالخصائص الآتية:

1. العائد : لما كانت المحفظة تتكون من مجموعة من الأوراق المالية، لذا يمكن استنتاج العائد المتوقع للمحفظة ، وهو عبارة عن المتوسط المرجح للعوائد المتوقعة للأصول المالية المشكلة للمحفظة. (16)
2. المخاطرة: تتمثل المخاطرة بالخسارة المتوقعة نتيجة عدم التأكد العائد المتوقع تحقيقه مستقبلاً من الاستثمار في محفظة الأوراق المالية مع الأخذ بعين الاعتبار تغير عائد كل أصل من الأصول المالية، وكذا درجة الارتباط الموجودة بين عوائد الأصول المكونة للمحفظة. (17)
3. التنويع من المعروف أن سوق الأوراق المالية يعتمد على صول مالية متنوعة ومتفاوتة، وأن هناك علاقة طردية بين العائد ودرجة المخاطرة، فكلما كانت الأصول المالية أكبر كانت المخاطر المتوقعة أكبر، وأن القرارات الرشيدة تساعد على زيادة العائد من دون زيادة مماثلة في درجة المخاطرة، لذا يتمثل التنويع بقرار المستثمر الخاص

(10) ينظر إدارة الأسواق والمنشآت المالية منير إبراهيم هندي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط ١، ١٩٩٩م، 424

(11) ينظر : دور الأسواق المالية في تدعيم الاستثمار طويل الأجل في المصارف الإسلامية، د. أشرف محمد دوابة، دار السلام، مصر ، ط ١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م: ٢٣٢.

(12) ينظر : إدارة الأسواق والمنشآت المالية: ٤٢٤؛ دور الأسواق المالية: ٢٣٢

(13) ينظر: المدخل إلى الأسواق المالية - نظريات وتطبيقات سمر كوكب الجميل دار ابن الأثير للطباعة والنشر، الموصل، ٢٠١١م ٢٨٣

(14) ينظر: التحليل المالي - شركات وأسواق مالية، محمد مبروك أبو زيد، دار المريخ للنشر، الرياض، ط، ٢٠٠٩م، ٢٦٦.

(15) ينظر: التحليل المالي ٢٦٦ .

(16) ينظر : إدارة المحافظ الاستثمارية، ج دريد كامل آل شبيب دار المسيرة عمان الأردن، ط ١، ١٤٣٠ هـ ٢٠١٠م ١٥.

(17) ينظر أسواق المال، د. عبد الغفار حنفي، د. سميرة قرياقص، دار الجامعة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط 1، ٢٠٠٠م : ١٣٢.

بمكونات المحفظة بالتنوع الجيد في تشكيلة المحفظة من شأنه تخفيض درجة المخاطر التي يتعرض لها عائد المحفظة من دون أن يترتب على ذلك تأثير عكسي في حجم ذلك العائد. (18) وهناك عدة طرق للتنوع، أهمها: (19)

أ- تنوع جهة الإصدار: ويتحقق بعدم توجيه مكونات المحفظة نحو أصول مالية لشركة واحدة بل تنوع إلى عدة شركات.

ب- تنوع تاريخ الاستحقاق ويراد منه تنوع استثمار مخصصات المحفظة في أنواع مختلفة من الأوراق المالية طويلة الأجل أو قصيرة الأجل للتقليل من الخسائر، غير أن الاستثمار في هذه السندات يترتب عليه تقلبات كثيرة في العائد السنوي الناتج من الاستثمار في تلك الأوراق، كما أن الاستثمار في السندات طويلة الأجل يسهم في استقرار العائد المتولد عن تلك السندات إلا أن أسعارها تتعرض لتقلبات شديدة نتيجة لتقلبات أسعار الفائدة في السوق.

رابعاً : أنواع المحافظ الاستثمارية: هناك أنواع من المحافظ الاستثمارية تختلف باختلاف طبيعة عملها، ويمكن تلخيصها بما يأتي (20):

1. محفظة الدخل، أو المحفظة الحذرة ويجري فيها التركيز على الأوراق المالية التي تعطي دخلاً سنوياً عالياً، سواء كان مصدرها توزيعات الأرباح النقدية لحملة الأسهم، أو الفوائد التي تدفع لحملة السندات، فهي تعتمد في تشكيكها على محاولة التوفيق بين انتظام العوائد ونمو الدخل، وفي الوقت نفسه يجب أن يطبق بعض التحكم بين الدخل والعائد المحقق في المدى القصير، والدخل والعائد المحقق في المدى الطويل، ويفضل هذا النوع صغار المستثمرين الذين يعتمدون في معيشتهم على الأرباح المتحققة من هذه الأوراق المالية، أو من المستثمرين المحافظين الذين لا يحبذون المخاطرة المالية، حتى إن كانت هذه المخاطرة تنطوي على عائد أكبر
2. محفظة النمو، أو محافظ الأرباح والعوائد تركز محفظة النمو على أدوات الاستثمار التي تحقق إيرادات رأسمالية تؤدي إلى نمو أموال المحفظة وزيادتها، وتعتمد هذه المحفظة أساساً على شراء أسهم الشركات التي تحقق نمو في مبيعاتها، ومن طبيعة أسهم الشركات المكونة لمحفظة النمو أن توزيع أرباحها النقدية ليست كبيرة، لذا تلجأ إدارة هذه الشركات إلى رسملة احتياجاتها عادة باستخدام هذه الأموال في عملياتها، وهدف المستثمرون هو زيادة معدل النمو لا التوزيعات النقدية للأرباح.

(18) ينظر: أساسيات الاستثمار العيني والمالي: ٢٧٠؛ الاستثمارات والأسواق المالية، هوشيار، معروف دار صفاء للتوزيع والنشر، عمان - الأردن، ط ١، ٢٠٠٣م.

(19) ينظر : أثر التنوع الدولي في عائد ومخاطرة المحفظة الدولية، د. حيدر نعمة الفرجي المجلة العراقية للعلوم الاقتصادية، بغداد ، السنة السادسة، العدد السادس عشر، ٢٠٠٨م، ٧٦ .

(20) ينظر: الاستثمار والتمويل بين النظرية والتطبيق، حسن خربوش ، وآخرون مؤسسات التجهيز المكتبية عمان - الأردن، ط 1 ١٩٩٦م: ٦٠؛ مخاطر الاستثمار في الأوراق المالية عبد القادر عمران رسالة ماجستير، المركز الجامعي الشيخ العربي التبسي، تبسة - الجزائر، ٦ الجزائر، ٢٠٠٦م ٦٧؛ بناء محافظ استثمارية باستخدام نماذج تقييم أداء الأسهم - دراسة تطبيقية تحليلية مقارنة على أسهم الشركات المدرجة في بورصة فلسطين رسالة ماجستير توفيق عوض، شبير، جامعة غزة الإسلامية، فلسطين، ٢٠١٥م ٤٢ - ٤٤ أساليب قياس أداء المحافظ المالية: ١٣١٢

3. المحفظة المختلطة أو الهجينة يركز هذا النوع على التوزيعات النقدية للأرباح، فضلاً عن الأرباح المتحققة من أسهم الشركات التي تحقق نمواً عالياً في إيراداتها، وتتنوع المحافظ المختلطة استثماراتها فتشمل الأسهم التي تعطي توزيعات نقدية عالية، والأسهم التي تؤدي إلى نمو أموال المحفظة الاستثمارية.
4. المحفظة المتوازنة وتتكون عادة من أسهم عادية وممتازة، وسندات، ويأمل المستثمر فيها الحصول على أرباح رأسمالية فضلاً عن توزيعات نقدية من أرباح الأسهم، ومن فوائد السندات، وفي الوقت نفسه المحافظة على رأس مال المستثمر
5. المحفظة المتخصصة: وهي التي تخصص في استثمار أسهم شركات صناعية مختارة مثل شركات النقل، أو شركات المشتقات النفطية التي تعنى باستثمار الموارد الطبيعية وغيرها.
6. المحفظة الدولية: لقت هذه المحفظة اهتماماً متزايداً من قبل المستثمرين بوصفها من أدوات الاستثمار الحديثة؛ ولأنها توفر الأمان النسبي بسبب التنوع الذي تتصف به ويتضح ذلك بما يأتي:
- أ- تنوع الموجودات: لأنها تتكون من تشكيلة جيدة من الموجودات.
- ب التنوع الجغرافي: لأن رأس مال المحفظة يكون موزعاً على موجودات مالية في عدة دول.
- ت تنوع العملات إذ بسبب التنوع الجغرافي لموجودات المحفظة تتنوع أيضاً العملات التي تقيم هذه الموجودات.

المبحث الثاني

العوامل المؤثرة في المحفظة الاستثمارية

هناك عدة عوامل اعتبار تؤثر في المحافظ الاستثمارية، ومن أجل الحصول على محفظة مالية جيدة، لا بد من مراعاة عدة عوامل في مقدمتها الحصول على المعلومات اللازمة المتمثلة بما يأتي:

أولاً: السياسات المعتمدة في إدارة المحفظة الاستثمارية: يمكن التمييز بين ثلاث سياسات لإدارة المحفظة الاستثمارية هي: (21)

1. السياسة الهجومية ويتعلق هذا النمط بمحافظ رأس المال، إذ يلجأ إلى هذه السياسة المستثمر المضارب؛ لأن هدفه الأساس هو تحقيق أقصى عائد، فهو يفضل عنصر الربحية على عنصر الأمان، لذا ينصب اهتمامه على الأرباح الناتجة عن تقلبات أسعار الأوراق المالية المكونة للمحفظة، ويجري التركيز هنا على الأسهم العادية التي تكون حوالي 80% إلى 90% من قيمة المحفظة.
2. السياسة الدفاعية: ويتعلق هذا النمط بمحافظ الدخل، إذ يتجنب المستثمر المخاطرة جهد إمكانه، فيعطي الأولوية لعنصر الأمان على حساب عنصر العائد، ويركز على الأدوات الاستثمارية ذات الدخل الثابت، وتكون قاعدت الأساسية من السندات الحكومية والأسهم الممتازة بنسبة تتراوح بين 60% إلى 80% من رأس مال المحفظة.
3. السياسة المتوازنة تجمع هذه السياسة بين السياستين السابقتين، ويتبنّاها المستثمرين الذين يهدفون إلى تحقيق استقرار نسبي في بيعها بسرعة وسهولة، لذا يتجنب المستثمر الأوراق المالية ذات التداول البطيء، إذ تتعرض غالباً لتقلبات سعرية مرتفعة.

(21) ينظر: مبادئ الاستثمار، طاهر حيدر جردان دار المستقبل للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط1، 1997م: 81

ثالثاً: طرق عمل المحفظة الاستثمارية: يمكن للمستثمر اختيار إحدى الطرق الآتية لعمل المحفظة المالية : (22)

1. العمل المباشر وينهض به مالك المحفظة، ويتصف هذا النوع بالتعقيد في حال تطور السوق، وتتوزع الأوراق المالية المتداولة، إذ يتطلب هذا الأمر الإشراف على عمل المحفظة ومتابعة تطور الأسعار وإجراء عمليات البيع والشراء
2. التوكيل يوكل المستثمر وسيطاً لتمشية أعمال المحفظة، وقد يكون هذا مكاتب البورصة، أو بنك معين، ويتحقق هذه الوكالة بعقد يحدد فيه بدقة مجال العمل وتحديد مسؤوليات الأفراد، وكيفية تسديد مستحقات العمل.
3. العمل الجماعي ويتحقق عن طريق هيئات التوظيف الجماعي للأوراق المالية، إذ إن التنوع الكبير في شركات الاستثمار يسمح بتكوين محافظ جيدة لهيئات التوظيف الجماعي للأوراق المالية والتي تتكيف مع حاجيات المستثمرين.
4. العمل الاستشاري وفيها يطلب المستثمر المشورة من مستشار مالي ولا يتحقق هذا بعقد بينهما.

رابعاً: ضوابط بناء المحفظة:

إن أصعب تحدٍ يواجه المستثمر هو كيفية اختيار الأوراق المالية لشركة ما، من بين الشركات العاملة في السوق فتجري المفاضلة عادة على أساس متغيرين أساسيين هما العائد والمخاطرة، ومن أجل التقيد بالحد الأردني من وسائل الأمان عند تكوين المحفظة هناك عدة ضوابط يجب إتباعها وهي: (23)

1. تمويل المحفظة من رأس المال الخاص بالمستثمر.
2. أن يكون هناك جزء من المحفظة يحتوي على أسهم الشركات منخفضة المخاطر، وجزء آخر لأسهم عالية المخاطر والتي يكون عائدها مرتفعاً على وفق مقدرة المستثمر لتحمل مثل هذا المستوى من المخاطر
3. إمكانية المستثمر على تغيير نسب الاستثمار في الأوراق المالية في المحفظة إذا ما تغيرت ظروفه بشكل يسمح له بتحمل مخاطر أكبر أو بالعكس على حسب تغيرات السوق، أو أي تغير في أداء أحد الأسهم بصورة لافتة للنظر، والتنوع بين قطاعات الصناعة؛ لأنه كلما زاد التنوع في مكونات المحفظة انخفضت المخاطر.

خامساً: مبادئ تكوين المحافظ:

هناك جملة من المبادئ التي ينبغي على المستثمر مراعاتها عند تكوين المحفظة الاستثمارية المالية، وتتمثل بإمكانية قياس قيمة العائد المتوقع من الأوراق المالية المشككة للمحفظة المالية، وبالمقابل إمكانية قياس درجة الخطر التي تتطوي عليها المحفظة المالية، ولقياس العائد والخطر لا بد من توافر المعلومات الكافية عن العائد والمعطيات الاقتصادية المتوقعة في المستقبل، والتي يعتمد عليها في تقييم العائد المتوقع من المحفظة المالية، وكما يأتي: (24)

1. مبدأ الشمول: ويقصد به أن تشمل المحفظة المالية على معظم الأوراق المالية المتداولة في سوق الأوراق المالية، وذلك من أجل تحقيق عائد مرتفع ومستقر نسبياً بأقل مخاطرة ممكنة.

(22) ينظر : صناديق الاستثمار الإسلامية، محمد علي الفري، مجلة الاقتصادي الإسلامية، الحلقة الأولى، العدد ٢١٦ ، لسنة ١٩٩٨م ٢٨؛ تسيير المحافظ المالية: ٨٧

(23) ينظر : بناء محافظ استثمارية : ٣٧؛ إدارة محفظة الأوراق المالية: ١٣.

(24) ينظر : إدارة محفظة الأوراق المالية ١٦؛ تقييم أداء محافظ الأوراق المالية باستخدام نموذج ترينور بالتطبيق على أسهم عينة الشركات المدرجة في سوق العراق للأوراق المالية للمدة من ٢٠٠٥، ٢٠١٣ د. حلا سامي خضير البجاري عمار شهاب أحمد الأحمد، مجلة جامعة جيهان للعلوم الإنسانية السليمانية، المجلد الثاني، العدد 1 شباط ٢٠١٨م ٦

2. مبدأ الارتباط ويهدف هذا المبدأ إلى تخفيض درجة المخاطرة التي تصاحب تكوين محفظة الأوراق المالية في ظل درجة الارتباط بين العوائد المحققة من الاستثمار وبين الأوراق المالية للشركات المختلفة.
3. مبدأ الجودة أي جودة الورقة المالية وذلك بإمكانية بيعها أو شرائها في السوق من دون أية عوائق وبأقل خسارة ممكنة، وتتوقف جودة الورقة المالية عن عدم تأثرها بالمخاطر الناتجة عن تقلبات السوق.
4. مبدأ التنوع : إن التشكيل الجيد للمحفظة يتطلب تجميع أنواع الأوراق المالية، أي ذات خصائص متنوعة.

سادسا: العلاقة بين العائد والمخاطرة:

إن المخاطرة من العوامل المؤثرة في السوق المالي، لذا فإن القدرة على فهم إدارة الخطر الاستثماري وقياسها أمر جوهري من أجل الاستثمار الفعال، فالترقيم العادل لمخاطر الموجودات الرأسمالية يؤدي إلى تقييم عادل لعوائدها وبالتالي الوصول إلى سعرها العادل، ومن هنا لا بد من التمييز بين نوعين من العائد وهما: (25)

1. العائد الفعلي: هو عبارة عن المكاسب أو الخسائر الكلية التي يحصل عليها المستثمر في مدة معينة من الزمن وتتمثل بعوائد الاستثمار بقيمة التدفقات النقدية المستلمة احتفاظه الناتجة عن تغير قيمة الموجود المالي. (26)
 2. العائد المتوقع هو أقل عائد يقبل به المستثمر ليستثمر في موجود معين وذلك في حالة توازن السوق، إذ يتساوى العائد المتوقع مع العائد المطلوب من قبل المستثمر. (27)
- أما المخاطر المتوقعة فيمكن تقسيمها على نوعين هما : (28)

1. المخاطر المنتظمة : وهي التي تتعرض لها جميع الاستثمارات الموجودة في السوق ولا يمكن تجنبها بالتنوع مثل التضخم والحروب، والكوارث... الخ.
2. المخاطر غير المنتظمة : هي مخاطر تتعرض لها استثمارات دون أخرى كدخول منتجات جديدة، أو الإضرابات العمالية، أو مخاطر الإدارة... الخ، وهذا النوع من المخاطر يمكن التخلص منه بالتنوع.

المبحث الثالث

الموقف الشرعي من المحفظة الاستثمارية

إن المحافظ الاستثمارية ليست غريبة عن الإسلام، فقد بدأت فكرة المحافظ الاستثمارية بشكل عام في العالم الإسلامي في السنة 1 هجرية المضاربة الإسلامية، أي منذ أكثر من ١٤٤٠ سنة. (29)

حيث كانت أول محفظة استثمارية على مستوى العالم من خلال صناديق والمحفظة الإسلامية هي إحدى أنواع المحافظ الاستثمارية، وما يميزها من غيرها من المحافظ الاستثمارية الأخرى أنها تتعامل على وفق قواعد الشريعة الإسلامية وأحكامها، سواء من حيث الاستثمار المباشر في مشروعات اقتصادية، حقيقية، أو بالاستثمار المالي في صكوك

(25) ينظر : التحليل المالي وتقييم الأسهم ، عبد الرؤوف ربابعة ، وحطاب سامي، هيئة الأوراق المالية والسلع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٦ م : ٥؛ تقييم أداء محافظ الأوراق المالية: ٥.

(26) ينظر : التقييم العادل لمخاطر الموجودات الرأسمالية كاستراتيجية لمواجهة الأزمات المالية، حشاشي سليمة بحث مقدم إلى الملتقى الدولي الأورو مغاربي جامعة فرحات عباس سطيف، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير ، الجزائر، ٢٠٠٩م : ١٢ .

(27) ينظر: الأسواق المالية، عبد النافع الزري، غازي فرح دار وائل للنشر، عمان الأردن، ط١، ٢٠٠٠م : ١٧٦.

(28) ينظر تقييم الاسهم والسندات - مدخل الهندسة المالية محمد صالح الحناوي ، وآخرون، دار الكتاب الجامعي الحديث، مصر ، ط ٢ ، ٢٠١٠م : ٢٤٠ ؛ الأسواق المالية: ١٨٦ .

(29) إدارة المحافظ الاستثمارية، د. أحمد فرحات بلا دار بنغازي - ليبيا، ط ١، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م : ٥.

المضاربة الإسلامية، أو في الأسهم العادية الخاصة بالشركات التي تباشر نشاطاً مشروعاً حلالاً وليس في تعاملاتها أي شبهات ولا تتعامل بالفائدة. (30)

ويزاد على ذلك أنه لا يجوز الاستثمار في الصناديق التي تتعامل مع شركات تخالف أغراضها أحكام الشريعة الإسلامية، كما لا يجوز الاستثمار في الصناديق التي تستثمر في الأدوات المحرمة شرعاً بمختلف أنواعها، مثل اشتراط التأمين على الحياة، أو التي تديرها هذه الشركات وحكم المشاركة في هذه المحافظ مرتبط بطبيعة الاستثمار الذي يجري الاستثمار فيه، فإذا كان الاستثمار في أمور محرمة كالتجارة في الخمر والقروض الربوية وغيرها، فيكون حكم وضع هذه الأموال في المحافظ محرماً ، وأما إن كان الاستثمار مشروعاً كتجارة السلع والسيارات والأراضي والمباني فيكون وحكم وضع هذه الأموال في المحافظ مباحاً والتكليف الفقهي الاستثمارية لا يخرج عن إطارين : (31)

الأول: أن تكون المساهمة في المحافظ الاستثمارية على وفق عقد المضاربة المقيدة بين إدارة المحفظة، وبين المستثمرين إذ تدار غالبية المحافظ الاستثمارية والإصدارات الاستثمارية على أساس عقد المضاربة، إذ تمثل الجهة أو الشركة أو المؤسسة المنشئة للمحفظة المضارب، ويمثل المشاركون المشترون للإصدارات أرباب الأموال، وتحصل الجهة التي تدير المحفظة الاستثمارية.

على جزء من عائد المحفظة الناتج عن استثمار أمواله نظير الجهد أو العمل، ويوزع باقي العائد على المشاركين ، ويحكم توزيع العائد أو الخسارة أن وقعت أحكام المضاربة في الفقه الإسلامي.

الثاني: أن تكون المساهمة في المحافظ الاستثمارية على وفق عقد الوكالة بالاستثمار بين إدارة المحافظ وبين المستثمرين أو المشتركين، ويمكن أن يكون نصيب الجهة التي تدير المحافظ مبلغ مقطوع، وليس نسبة من الربح ليستحقه في جميع الأحوال، وهذا يكيف شرعاً على أنه وكالة بالاستثمار بأجر معلوم ، ويكون للموكل جهد أكبر من رب المال في توجيه عملية الإدارة. وهذا يتوافق مع ما قرره مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد في دورته التاسعة عشرة في إمارة الشارقة دولة الإمارات العربية المتحدة من 1 إلى 5 جمادى الأولى ١٤٣٠ هـ، الموافق ٢٦ - ٣٠ نيسان (أبريل) ٢٠٠٩ م.

فالاستثمار في سوق الأوراق المالية جائز ، ولا فرق بين أن يضارب الشخص بنفسه أو يوكل غيره، شريطة التزام المستثمر بالضوابط الشرعية وتحقق المحافظ الاستثمارية الإسلامية العديد من المزايا من أهمها تعبئة الموارد الصغيرة في مشروعات ضخمة قد لا تقوى هذه الموارد الصغيرة على تحمل تبعاتها وتنوع مجالات الاستثمار ومن ثم تقليل المخاطر. الحرص على سهولة التسييل لجانب كبير من رأس المال. (32)

الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله (صلى الله عليه وسلم). وبعد فيما يأتي أهم النتائج والتوصيات.

أولاً: النتائج

1. المحفظة الاستثمارية وسيلة فعالة لتقليل مخاطر الاستثمار في الأوراق المالية، وتمكن المستثمرين من استثمار الفائض النقدي.
2. تضمن المحافظ الاستثمارية استمرار التدفق النقدي، ونمو رأس المال المستثمر.

(30) المرجع نفسه: ٢٣

(31) ينظر إدارة المحافظ الاستثمارية: ٢٥ .

(32) أدوات الاستثمار في المصارف الإسلامية، د. عبد الحميد محمود البعلي بلا دار الكويت ٢٠١٩ م، ٢٨٦.

3. هناك أنواع من المحافظ الاستثمارية تختلف باختلاف طبيعة عملها، كما تختلف السياسات المعتمدة في إدارتها.
4. يمكن للمستثمر اختيار إحدى الطرق التي يراها مناسبة لاستثمار أمواله.
5. إن التكيف الفقهي للمحافظ الاستثمارية لا يخرج عن إطارين عقد المضاربة المقيدة أو عقد الوكالة.

ثانيا : المقترحات

ضرورة التوعية المستمرة بالفعاليات التي لا توافق الشريعة الإسلامية والتي يمكن أن ترافق عمل المحافظ الاستثمارية.

المصادر والمراجع

1. الآثار الاقتصادية والاجتماعية لتوجيه الاستثمارات نحو المناطق ذات التنمية البشرية المنخفضة دراسة حالة مصانع زلم بمنطقة هورامان - إقليم كردستان احمد إسماعيل قادر، وعمار شهاب الأحمد، مجلة جامعة التنمية البشرية العراق المجلد ٢ العدد ١ ، لسنة ٢٠١٦م.
2. أثر التنوع الدولي في عائد ومخاطرة المحفظة الدولية، د. حيدر نعمة الفرجي المجلة العراقية للعلوم الاقتصادية، بغداد ، السنة السادسة، العدد السادس عشر، ٢٠٠٨م.
3. إدارة الاستثمار والمحافظ الاستثمارية، د. مؤيد عبد الرحمن الدوري، دار إثراء للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط١، ٢٠١٠م.
4. إدارة الأسواق والمنشآت المالية منير إبراهيم هندي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1 ، ١٩٩٩م.
5. إدارة المحافظ الاستثمارية الحديثة غازي فلاح المومني، دار المناهج، عمان الأردن، ط1، ٢٠٠٨م.
6. إدارة المحافظ الاستثمارية، ج . دريد كامل آل شبيب دار المسيرة عمان الأردن، ط1، ١٤٣٠هـ - ٢٠١٠م.
7. إدارة المحافظ الاستثمارية د. أحمد فرحات بلا ، دار ، بنغازي ليبيا، ط١ ، ٢٠١٩م.
8. إدارة المحافظ الاستثمارية ، د. محمد مطر ، د. فايز تيم دار وائل للنشر، عمان الأردن، ط 1 ، 2005.
9. إدارة محفظة الأوراق المالية على مستوى البنك التجاري، بوزيد سارة، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التيسير، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، ٢٠٠٧م.
10. إدارة محفظة صناديق الاستثمار وإمكانية التطبيق في المصارف العراقية - دراسة تطبيقية، عدنان سالم قاسم غازي الأعرجي، أطروحة دكتوراه، كلية الإدارة والاقتصاد. جامعة الموصل، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م. ٢٠٠٣م.
11. أدوات الاستثمار في المصارف الإسلامية، د. عبد الحميد محمود البعلي، بلا دار، الكويت، ٢٠١٩م.
12. أساسيات الاستثمار العيني والمالي، ناظم محمد نوري الشمري، وظاهر فاضل البياتي، دار وائل للنشر والطباعة عمان - الأردن، ط١ ، ١٩٩٩م.
13. أساليب قياس أداء المحافظ المالية بالتطبيق على بورصة الدار البيضاء، سارة عبدلي، رسالة ماجستير ، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التيسير جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، ٢٠١٢م.
14. الاستثمار والتمويل بين النظرية والتطبيق، حسن خربوش وآخرون مؤسسات التجهيز المكتبية، عمان - الأردن، ط١ ، ١٩٩٦م.
15. الاستثمارات والأسواق المالية، هوشيار ، معروف، دار صفاء للتوزيع والنشر عمان - الأردن، ط١ ، ٢٠٠٣م.
16. أسواق المال، د. عبد الغفار حنفي، د. سميرة قرياقص، دار الجامعة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط١ ، ٢٠٠٠م.
17. الأسواق المالية والنقدية جويدار جمال الجمل، دار صفاء للنشر والتوزيع عمان - الأردن، ط١ ، ٢٠٠٢م.

18. الأسواق المالية، عبد النافع الزرري غازي فرح دار وائل للنشر، عمان الأردن، ط 1، ٢٠٠٠م .
19. بناء محافظ استثمارية باستخدام نماذج تقييم أداء الأسهم - دراسة تطبيقية تحليلية مقارنة على أسهم الشركات المدرجة في بورصة فلسطين، رسالة ماجستير، توفيق عوض شبير ، جامعة غزة ،الإسلامية فلسطين، ٢٠١٥م.
20. التحليل المالي - شركات وأسواق مالية محمد مبروك أبو زيد، دار المريخ للنشر، الرياض، ط ٢ ، ٢٠٠٩م.
21. التحليل المالي وتقييم الأسهم، عبد الرؤوف ربابعة وحطاب سامي، هيئة الأوراق المالية والسلع أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٦م.
22. تحليل وتقييم الأسهم والسندات، محمد صالح الحناوي، الدار الجامعية، مصر، ط 1، ٢٠٠٨م.
23. تسيير المحافظ المالية محمد إلفي، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير جامعة الجبالي بونعامة، الجزائر، ٢٠١٠م.
24. تقييم أداء محافظ الأوراق المالية باستخدام نموذج ترينور بالتطبيق على أسهم عينة الشركات المدرجة في سوق العراق للأوراق المالية للمدة من ٢٠٠٥_ ٢٠١٣ ، د. حلا سامي خضير البجاري، عمار شهاب أحمد الأحمد، مجلة جامعة جبهان للعلوم الإنسانية السليمانية، المجلد الثاني، العدد ١ شباط ٢٠١٨م.
25. تقييم الأسهم والسندات - مدخل الهندسة المالية، محمد صالح الحناوي وآخرون دار الكتاب الجامعي الحديث، مصر، ط ٢، ٢٠١٠م .
26. التقييم العادل لمخاطر الموجودات الرأسمالية كاستراتيجية لمواجهة الأزمات المالية، حشاشي سليمة، بحث مقدم إلى الملتقى الدولي الأورو مغاربي، جامعة فرحات عباس سطيف، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير الجزائر، ٢٠٠٩م.
27. دور الأسواق المالية في تدعيم الاستثمار طويل الأجل في المصارف الإسلامية، د. أشرف محمد دوابة، دار السلام، مصر، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
28. صناديق الاستثمار الإسلامية، محمد علي القري مجلة الاقتصادي الإسلامية الحلقة الأولى، العدد ٢١٦، لسنة ١٩٩٨م.
29. الفكر الحديث في مجال الاستثمار، منير إبراهيم هندي، دار المعارف للنشر الإسكندرية، ط ١، ١٩٩٦م.
30. مبادئ الاستثمار طاهر حيدر حردان دار المستقبل للنشر والتوزيع عمان الأردن، ط 1 ، ١٩٩٧م.

RESEARCH TITLE

The extent of contribution of the intervention program "Writing Internalize Understanding" on improving students' writing of 6th grades in Arabic Language

Islam Telawe¹

¹ An-Najah National University, Palestine.

Email: Islamtelawe33@gmail.com

HNSJ, 2025, 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/39>

Received at 07/07/2025

Accepted at 15/07/2025

Published at 01/08/2025

Abstract

This study investigates the impact of the intervention program "*Writing Generates Understanding*" on enhancing the expressive writing skills of 6th-grade students in Arabic language. Using a quantitative research design, the study involved 50 students from two homogeneous classes in an Arab-sector elementary school in the central district. Class 6A (13 boys, 12 girls) served as the control group, while Class 6B (10 boys, 15 girls) was the experimental group that received the intervention over a four-month period. Pre-tests and post-tests, based on the Ministry of Education's Efficiency and Development Measures, were administered to both groups, and results were analyzed using SPSS. The intervention incorporated structured stages of writing (narrative, descriptive, persuasive, and personal notes), active student participation, and systematic feedback. Findings showed that the experimental group achieved significant improvements across all measured writing components—structure, language, grammar, morphology, spelling, and punctuation—with post-test averages rising from 59.68 to 86.4, compared to negligible change in the control group. No gender-based differences were detected. The study concludes that the "*Writing Generates Understanding*" program is highly effective in improving writing proficiency and recommends its broader application, along with increased teacher training and allocation of classroom time for writing instruction.

Key Words: writing skills, intervention program, Arabic language, expressive writing, primary education, experimental study.

مدى إسهام برنامج التدخل "الكتابة تولّد الفهم" في تحسين مهارات الكتابة لدى تلاميذ الصف السادس في مادة اللغة العربية

اسلام تلاوي¹

¹ جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

بريد الكتروني: Islamtelawe33@gmail.com

HNSJ, 2025, 6(8); <https://doi.org/10.53796/hnsj68/39>

تاريخ النشر: 2025/08/01م

تاريخ القبول: 2025/07/15م

تاريخ الاستقبال: 2024/07/07م

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى بحث أثر برنامج التدخل "الكتابة تولّد الفهم" في تنمية مهارات التعبير الكتابي لدى تلاميذ الصف السادس في مادة اللغة العربية. استخدمت الدراسة المنهج الكمي، وشارك فيها 50 تلميذاً من صفين متجانسين في مدرسة ابتدائية بالقطاع العربي في المنطقة الوسطى. مثل الصف السادس (أ) - المكوّن من 13 طالباً و12 طالبة - المجموعة الضابطة، في حين مثل الصف السادس (ب) - المكوّن من 10 طلاب و15 طالبة - المجموعة التجريبية التي طُبّق عليها البرنامج على مدى أربعة أشهر. تم إجراء اختبار قبلي وبعدي للطرفين، بالاعتماد على مقياس الكفاءة والتطور الصادر عن وزارة التربية والتعليم، وتحليل النتائج باستخدام برنامج SPSS. تضمن البرنامج مراحل منظمة للكتابة (السردية، الوصفية، الإقناعية، والمذكرات الشخصية)، ومشاركة فعالة للطلبة، وتغذية راجعة منهجية. أظهرت النتائج تحسناً ملحوظاً في جميع مكونات الكتابة لدى المجموعة التجريبية - من حيث البنية، اللغة، النحو، الصرف، الإملاء، وعلامات الترقيم - إذ ارتفع متوسط الدرجات من 59.68 إلى 86.4، مقارنة بتغير طفيف لدى المجموعة الضابطة. كما لم تُسجَل فروق دالة إحصائية بين الذكور والإناث. خلصت الدراسة إلى أن برنامج "الكتابة تولّد الفهم" فعال للغاية في تحسين مهارات الكتابة، وأوصت بتعميمه، وزيادة تدريب المعلمين، وتخصيص وقت أكبر لحصص الكتابة.

الكلمات المفتاحية: مهارات الكتابة، برنامج تدخل، اللغة العربية، التعبير الكتابي، التعليم الابتدائي، دراسة تجريبية.

Foreword

Through my work as an Arabic language teacher in the educational field, I noticed a significant weakness in the skills of expression at the oral and written level. This was manifested in many aspects, including: the average results of the efficiency and development scales exams, and also through Low-level averages of pupils in different subjects, especially in writing. A large number of Arabic male & female teachers claim to train pupils in writing, but they do so in an undirected and ill-conceived manner, which made the achievement of the goals useless, and this is what the results of various tests show.

The pupils and students, if they are asked to write a topic, they make a fuss. They are left with only two options: Either they accept their weakness in writing, or they resort to someone else to write to them. The reason may be that the writing lesson in primary school is marginalized and is not taken into account as it should be. If we look at the teaching of writing in the primary stage, we find that it is going on without a codified educational curriculum, starting with Its educational goals and through its content, activities, teaching and evaluation. Feeling the problem is the first step in solving and overcoming it.

The subject of writing is a very basic and important subject in teaching Arabic language and other educational subjects, but Arabic language teachers lack the appropriate means and methods to teach it, and interest in writing comes in advanced educational stages, in the early childhood stages, interest comes in oral expression rather than in writing. The difficulties of teaching writing as both Al-Dulaimi and Al-Waeli claim, (2009) stems from two sources: The teacher and the pupil, one of the matters related to the teacher is his imposition Traditional topics that do not represent pupils thinking, speaking in the spoken language, and not taking advantage of opportunities to train pupils on writing in other branches of the Arabic language as well as the old curriculum adopted in teaching the Arabic language in the Arab community. It is only recently modified and improved in 2009. As for the reasons related to the pupil, we mention some of them: their lack of writing on different topics that represent their reality, the dual language used, the absence of stimuli and incentives that encourage pupils to write, as well as the study plan applied in teaching the Arabic language.

In order to confirm the principle of teaching the language as one integrated unit, it is necessary to take care and pay attention to the topic of writing through Arabic language lessons in the school schedule, so I built an appropriate educational plan that helps pupils develop proper writing and helps as well as in developing appropriate plans that reduce poor writing among pupils.

Introduction

The active teacher seeks to be a renewed researcher. Constantly monitoring and searching for deficiencies or defects, so he does everything in his power to develop, improve, and advance his knowledge, pupils, and his society. Obtaining a teaching qualification is not the ultimate goal, rather it is The beginning of the long process, and the university degree requires of its holder a lot of effort, fatigue, training and creativity. Undoubtedly the best entry, The best way to develop and improve education is to improve the curriculum and the methods of presenting it to pupils, and to improve the manner the teacher deals with in his class in a way that fits the curriculum with the evolutions of the time and the needs of the development of society. The starting point of this belief and as a result of weak pupils In writing and their poor skills, this matter began to disturb every serious teacher in the educational field, especially Arabic language teachers.

Dr. Fadlallah (2013) says: The topic of writing has suffered and is still suffering from a lot of neglect, whether in terms of the curriculum or evaluation. This negligence is clear due to the

lack of care of Arabic language teachers, neither in terms of preparation for this topic nor in terms of method of teaching, In addition to that, they have moved away from the eloquent language to a sick to colloquial language that has no spirit and no life, in addition to that, non-availability of a specific curriculum for writing and the lack of its classes.

One of the mistakes that seen in our schools today is that these schools are concerned with laws and rules and make them isolated from natural use, as it does not give the pupil an opportunity to apply such rules and laws in his daily life, and days and weeks may pass without exposing the pupil to a specific situation that requires him to use sound language. (Qidar,2002).

Qidar adds (2002): Education usually focuses on reading, reading comprehension, and linguistic exercises. So, the pupil has to write. But there is no oriented teaching of writing.

We as teachers often notice that pupils know the answer, but they cannot take it out and write it down on their white paper. The Ministry of Education is aware of the difficulties faced by the Arab pupil in learning his language. It is mentioned the new curriculum for teaching the Arabic language (2009) that the Arabic language faces many challenges, the most important of which are: "The phenomenon of duality, which is the sharp gap between the standard language and spoken Arabic dialects, and constitute an obstacle to the acquisition of basic reading skills. The use of Standard Arabic is limited, For the most part, it is limited to the aspects of official life such as the school, the mosque, the church, the retreat, and the cultural circles. The pupil thinks in one language and writes in another, which leads to widening the problem gap in writing (Educational Curriculum, 2009). Based on the above, I have chosen to examine the extent to which the intervention program "Writing Internalizes Understanding" contributes on improving writing on 6th grade pupils in an Arab primary school in the center of the country.

I hope that the results of the study will contribute to improving the writing of pupils in the 6th grades.

Chapter one: theoretical background

Language consists of a complete and integrated system of skills that are divided into two levels of linguistic performance: the first is the reception level Which includes (reading and listening) skills, while the second level is the transmission level, which includes (speaking and writing skills), and in all these four skills there is correlation and integration, and the development of any language skill affects all other skills (Abdu Al-Hamid, 2001).

If we carefully consider these four skills, we notice that speaking and writing skills are one of the most important skills and aims for studying language. Mastering these two skills requires focusing attention on them and helping students to master them, and this is that interest in them is not limited to writing classes only, Rather, that goes beyond paying attention to these two skills in all academic topics in general, and in the arts of the Arabic language in particular, because writing is not a linguistic branch isolated from the rest of the language branches skills, its skills intertwined with other branches of language to a large extent, it is also intertwined with literature, prose and poetic texts and rhetoric, and this indicates that the student's progress in any field and any of the branches of the language is his progress in writing skills, given that writing is the final outcome of linguistic study, writing is not a group of various language skills that must be mastered by the student to enable him to master what he wants to express easily. Rather, it has another dimension other than the linguistic one, It is the cognitive dimension, which is related to the collection of information, facts, ideas, experiences, and the ability to build paragraphs, and their arrangement, depth, and humor. All of this requires training students and encouraging them to read before assigning them to write or talk about a topic of expression (Mejawer 2000).

So speaking and writing are linked to expression, and in this Al-Dulaimi and Al-Waeli (2009) say that expression does not mean a set of language skills that the student must master in order to express himself, but in addition to that he needs the cognitive dimension that is related to the achievement of Information, facts and experiences, that oral expression is the basis on which writing is built. Regarding writing (Qidar, 2002) says that there is no orientation in Arab schools on how to write properly and correctly.

writing is considered a literary or social activity, through which a person can convey his ideas, feelings, and needs to others in sound language and a beautiful style. Therefore, writing is considered the goal of teaching language. All linguistic arts contribute to improving the student's ability to express himself and convey his ideas to others in sound language and beautiful style (Al-Hallaq, 2007).

There were many definitions presented by the scholars to define the concept of expression, including:

Ashour and Al-Hawamdeh (2003) define expression as “expressing thoughts and feelings in the soul through linguistic methods, especially Conversation or writing, and through writing the personality of the speaker or the writer can be revealed, his talents, abilities and tendencies”. Al-Dulaimi and Al-Waeli (2009) add to their definition of expression at the school level that it is “a continuous linguistic activity, as it is not prescribed in The class of writing, but rather it extends to all branches of the language subject inside or outside the classroom, as well as to other subjects. The student’s answer to reading questions is an opportunity to practice expression, and the student’s explanation of a verse of poetry is a training for expression, and in an answer of The student on questions about the text of the dictation, Expression is achieved. However, writing expression and skill can only achieved by continuous practice and continuous training.

Mejawer (2000) believes that writing is the ability of a person to write clearly, well presented, and accurately what is going on in his thoughts, and what is going on in his feelings and sensations, in sequence and coherence in idea and style.

As for the writing as seen by the new educational curriculum for Arabic language education (2009), it is: the ability to use the language (with limits of

Vocabulary suitable for the age stage) correspondingly, in a clear, sequential, logical manner, meeting the functional objectives or creativity. Ability is the result of what the pupil has achieved from training in listening, reading, speaking and linguistic knowledge, and by means of it the pupils are able to write texts for several purposes; to express their thoughts and impressions, to persuade others with different arguments and opinions on a topic or story, for guidance or exposure and so on, on various topics and on various occasions and for different recipients.

Writing gives the individual the ability to express his thoughts in a way that affects others, because it involves a degree of deliberation and slowness, as the writer feels that someone will read his writing so he tries to show what he has in the best way, just as the writer does not see the reader’s reaction to what he wrote, so he tries to do his best (Asar 2000, Madkour 2000, Shahata 2000).

Writing is an acquired skill, not an ability that is born with a person. Training in it is necessary to enable the pupil to achieve the required goals of the writing subject (Mahdi 1999).

Pupils' weakness in writing

Various studies (Ashour and Hawamdeh 2003, Jaber 2002, Shahata 2000) confirmed pupils' weakness in writing, and even some studies demonstrated a severe deficiency of writing among learners at all academic levels. If someone of them speaks in a sound language, showed signs of weakness in his language, and he might stop suddenly before he finishes what he wanted to say, but rather resorted to the colloquial dialect to complete what he was unable to complete with it, And if a pupil writes a certain topic we find out that it has grammatical and dictation errors, whereas the pupils Lack Linguistic and intellectual wealth, and they do not have the ability to arrange their ideas and correlate them, in addition to the disorder in their style of that (Hallaq, 2007).

Manifestations of poor writing among pupils

Most studies agree (Ashour and Hawamdeh 2003, Jaber 2002) that there are many manifestations of writing weakness among pupils. The most prominent of which are: the shallowness of ideas and the lack of focus on the main idea of the topic, the disturbance in the arrangement of ideas, and the inability of pupils To connect ideas on the one hand and paragraphs on the other hand in a logical way, weakness in the use of conjunctions, lack of The organization of writing material in the form of consistent paragraphs, the large number of spelling and grammatical errors, and the inappropriate use of punctuation marks.

Ashour and Hawamdeh (2003) analyzed the reasons for poor writing of pupils and found that this is due to:

- The dominance of the colloquial language and the lack of the student's linguistic vocabulary. He deals with the colloquial dialect in society, and he feels that classical language is unnecessary because it is confined to a narrow space of the school that does not go beyond it to anyone else, and this prevents the student from employing the sound language in his life.
- Teachers in some schools do not develop students' eloquent linguistic outcomes by isolating writing from the rest of the language branches, and they do not invest in the contents of language lessons of sophisticated linguistic patterns to train their students to use them in new life situations.
- The teachers of the Arabic language do not accustom their students to practice conversation in the correct language, and do not train them to talk about their experiences and their observations in the right language, and some teachers often resort to focusing on traditional subjects far from their surroundings and their minds.
- The teaching methods used in our schools that make the teacher monopolize the conversation, and do not give the student a chance to participate in social situations.
- Lack of reading, one of the established facts is that the close link between reading and writing, and that writing is only good with a lot of reading.
- Not connecting writing with the various language activities that are practiced outside the classroom, such as school radio, theater, competitions, school journalism, and writing advertisements. competitions in the classroom is almost non-existent, and if it exists, it is still practiced in a traditional manner without creativity.
- Alone (1996) indicates that one of the factors that lead to poor writing among pupils is the teachers' use of colloquial language instead of classical language in the rest of the educational subjects (other than Arabic language lessons).
- Therefore, many educationalists, such as Duviner, 2011 Orr, 2011 and Wilmsen, 2006) believe that it is better Using an intermediate language between classical and spoken, called "standard language", to raise the level of education among pupils.

- Traditional practices in teaching writing leads to the pupil's writings lacking the basic principles on which good writing is based, and the large number of spelling and grammatical errors, and their distinction by useless tautology and lengthening, and the incoherence of the topic, in addition to the superficiality of ideas and dispersion in their presentation (Al-Khawaldeh 2001).

Treatment of pupils weakness in expression

Determining the factors and causes that negatively affect students' writing should lead to study these influences, and thus clarify their impact and indicate the positive roles with which we can replace the negatives, and therefore the following should be done (Jaber, 2002, Ashour and Hawamdeh, 2003):

- Using the correct language and avoiding the use of colloquial language in teaching, and this should not be limited to teachers of the Arabic language only.
- Arabic language teachers must follow-up on the writing topics that they ask of students to write, correcting and evaluating them in a distinguished manner to form the linguistic wealth and enrich it among the students...
- Giving students the freedom to choose topics when writing, establishing creativity for writing and creating natural events that motivate students to write or speak.
- Accustom students to reading so that the circle of students' culture expands, and thus they have enough ideas and words that help them to write and speak.
- Increasing discussions that follow reading, writing and oral expression about the meanings they contain and appropriate thoughts and words.

Al-Nassar and Al-Roudan (2006) conducted a study aimed at knowing the effect of using the five stages of writing in developing ability of writing of the pupils of the second intermediate grade, by preparing an educational program based on the strategy of the five stages of writing, and the program relied on basic aspects represented in training pupils to write an introduction that serves as an approach to a topic, and a conclusion that summarizes the ideas contained in it, as well as the pupils progression in writing through five stages, each of which includes different processes, and these stages are: the pre-writing stage, the initial writing stage, the Revision stage, correction stage and publication stage. In addition to using the self-evaluation strategy through correction lists specified for each stage of writing. The results of the statistical analysis showed that teaching writing by means of the use of the five stages of writing had an impact, compared to the traditional method, as T test results revealed that there were statistically significant differences at the level of (0.001) between the average of the two groups in the post-test, in favor of the Experimental group.

The reality of writing in our schools

Most of the teachers and pupils in our schools face a serious problem in teaching and learning the subject of oral and written expression - it is a subject that usually does not receive enough attention from teachers and pupils alike; In school, the writing class is included at the end of the academic schedule and during one weekly session only. As for the pupils, they find it difficult to define their goals and objectives

of writing, and we also do not forget the problem that teachers face in defining these goals and objectives as well, in addition to the poor choice of strategies for teaching the subject and evaluating it appropriately (Zoubi and Shahbari, 2011)

It is customary for teaching of writing in our schools to follow a stereotypical method that lacks motivation for pupils to be creative and innovative, where the teacher chooses the topic

and prepares it in advance in his preparation book, then writes the chosen subject and writes its elements on the board, after the teacher talks about the topic, he asks some of the pupils to talk about it until the session ends, and he may ask them to write it in their notebooks, then bring it ready in the next session, and then the teacher's role is to correct what is available according to his own criteria (Madkour (2000).

About the Intervention Program "Writing Generates Understanding"

Writing internalize Understanding is a program that is compatible with many subjects, such as: literature, history, geography, and the Bible. From which Teachers guide their pupils through the stages of writing in order to deepen their understanding in the field of knowledge and enhance their reading and writing proficiency.

The "Writing Generates Understanding" program applies understanding in the educational process, and the principles of important reforms led by the Ministry of Education in a systematic and gradual process using applied educational practices, The teacher guides and directs his students in building their knowledge as effective learners in the acquired field of knowledge.

The texts produced by the students demonstrate an understanding of the performance, and give good expression to the deep learning process they went through.

Teachers provide pedagogical tools to guide students to produce good writing and evaluate it in a systematic and professional manner as an alternative model to assessing the field of knowledge acquired.

Conclusion

There is no doubt that writing is a continuous process that is not limited to the study of composition, but rather permeates all branches of the Arabic language, in addition to other subjects that the student studies, such as religion, science, and others... However, it is important to stimulate the student's desire to write, and provide an atmosphere of freedom and using whatever expressions he wants to express himself. It is good for the teacher not to direct students to writing on topics far from their lives, and invent social situations that tempt oral expression and writing afterwards, such as speeches and discussions that present different points of view. There is no doubt that These discussions are not limited to the study of writing, but rather

It permeates the various branches of the Arabic language. It is good for the teacher to read to the student's topics of good style and contents of depth from what their classmates have written, in order to set a good example that motivates them to follow. Above all, the teacher must set an example for his students in choosing the right phrases and avoiding colloquialisms during Arabic language lessons in particular and other subjects in general.

Finally, according to what Fadlallah (2003) said, the quality of writing means good thinking, soundness of language, depth of knowledge, purity of taste, and being able to write is evidence of mastery of many skills related to organizing ideas, presenting information, using language, and coordinating form.

Chapter Two: Research Methodology

This research relies on the quantitative research method only, where quantitative measurement tools have been developed that are subject to the conditions of validity and stability, in order to collect data that have been processed statistically.

Research aims

This research aims to find out the reasons that lead to poor achievement of 6th graders in the primary stage in the subject of writing. And after knowing the reasons, we as Arabic language teachers have to train the pupils how to write good writing texts, Taking into account the evaluation criteria through the treatment plan (intervention program) that we built, and measuring the impact of this training in order to raise the academic achievement rate in the subject of writing.

This treatment plan will help Arabic language teachers who are interested in developing proper writing for their students, and in developing appropriate plans and building appropriate educational units that reduce poor writing among pupils.

Research questions

The central research question that this study will answer is:

- What is the extent of the contribution of the interventional program "Writing generates Understanding " in improving expressive writing for 6th grade pupils ?

Search variables

Related variable: the student's level of expressive writing

Non-related variable: the "Writing generates Understanding" intervention program

Research category

The study was attended to 50 male and female students from the 6th grade from an elementary school from an Arab town in the central district of the country, and 25 male and female students were selected from each grade with an average and above educational attainment level, and the average is the sixth grade (A) in which the program has not been activated and was used as a control group, and the sixth grade (B) in which the intervention program was implemented was considered as the experimental group.

Research tools

In this study, I relied on three tools:

The first tool: pre- and post-exam, Appendix No. (1)

A pre- and post-tests for the topic of writing taken from the Efficiency and Development Measures Exam for the 5th grades of the Ministry of Education, and the analysis of the data of the results of the two tests through T exam.

The same test was passed to the pupils before implementing the intervention program in the 6th (A) and 6th (B) grades. The test was corrected by means of efficiency and development scale, in order to examine the level of academic achievement in the topic of writing among students.

After completing the implementation of the intervention program in the 6th grade (b), the same test was passed in the 6th (a) and 6th (b) grades, and it was also corrected by means of the efficiency and development test scale.

The second tool: scale for correcting the writing test (Appendix No. 2).

A scale of the criteria for evaluating the task of writing from the Rama website, "The National Authority for Measurement and Evaluation in Education," with the aim of correcting the task in the correct and appropriate manner and according to certain criteria, especially in the expressive text.

The third tool: the international program "Action Plan", which was passed after the pre-test.

I have chosen the intervention program "Writing generates understanding" in cooperation with the Branco vise Institute. This program was implemented in all 5th grades in the school, and because it was very successful, I passed it on to the 6th grade B. This is for the success of the program as well as with the aim of my research and its results, because I cannot compare between two classes where the intervention program implemented on them, but rather I have to compare two classes, one with which the program has been implemented and the other with which the program has not been implemented, in order to obtain clear and more prominent results.

study process

The study was conducted in an Arab elementary school in an Arab city in the center of the country, and a pre-test was conducted for the 6th (a) and sixth (b) grades in mid-January, and at the beginning of February, where the intervention program "Writing generates Understanding" was implemented in 6th (b), the Arabic language teacher explained to the pupils about the program in general and that we have to stick to the time in order to The program runs correctly.

Writing the text consisted of five stages, namely:

The first stage: some narrative texts were presented to groups of students in the class and they were asked to identify the type of text, identify its elements and divide it into three parts (the introduction of the text, the body of the text and the conclusion of the text) based on their identification of its characteristics.

Having finished the first stage and got acquainted with the type of text, the teacher distributed the text guide for stories (Appendix No. 3) to the students and explained it to the students in detail, identifying the elements mentioned in the text on a text of stories that the teacher presented on electronic screen, colored parts of the text, in order to clarify the image in a more attractive way for students.

The second stage, the teacher writes two tasks on the board, and the student has to choose one of them and write a text of a story with consideration of what has been learnt in the first stage and stick to it, of course it was in this stage: a supportive prelude to excite and motivate students to write, present all The ideas emanating from reading the (draft), then the student arranged the ideas and sequenced them, thus writing a story that includes the appropriate ideas depending on the guide.

The third stage, the participation stage: After the student finished writing the text, he read it in front of the others.

The fourth stage: positive feedback by the students on writing the text, after that the teacher commented and highlighted the strengths in pupils writings and praise them with appropriate guidance for weaknesses in the writings.

The fifth and final stage: Developing the student's writing again. After the student obtained feedback on his topic, he went back and re-wrote it, taking into account the observations he heard from others.

Each type of text was passed in the same way, showing above mentioned the stages of writing the fictional text, after that the descriptive text, followed by the persuasive text and then the message: personal and official, and finally writing personal notes. The researcher passed each type of text separately in order to consolidate the comprehension

and writing processes in a more developed way.

It took a four-month educational period to implement the intervention program "Writing generates Understanding" from the beginning of February to mid-June.

Research Results:

The results of the tests before and after were collected using the SPSS descriptive statistical analysis program (see Appendix No.4).

Before and after implementing the intervention program, the following analyzes were carried out according to the results of the pre and post tests in the control and experimental classes:

- Distribution of the marks of the control and experimental groups before and after the test in all groups and for the final mark to obtain the comprehensive picture of the characteristics of the two classes: control and experiment.
- Averages and standard deviation of the control group and the experimental group in all measurement groups and the final mark in the exam before and after the exam, to obtain an initial picture of students' achievement and homogeneity between them before and after implementing the program.
- The T-test for two independent, controlled samples compared to the experiment in the pre-test, to examine the non-difference in averages (achievement level) between the two groups before implementing the intervention program.
- The T-test for two independent samples, females versus males, by observation and experimentation, to check and confirm the absence of a sex-related bias. (Females tend to achieve usually better in writing, and we want to confirm the absence of this effect in relation to the current study)
- Pearson correlation coefficient for the comparison group with all measurement groups and with the final score in the pre-test before vs The post-test and the Pearson correlation coefficient for the experimental group with all the measurement groups and with the final mark in the test pre versus post the test in order to confirm that the effect is only for the intervention program and there was no external effect such as (weather, classroom location or any other disturbances...)

The results I reached after implementing the program indicate that the intervention program "Writing generates Understanding" has contributed Significantly, by raising the level of achievement of students in the experimental class (6th B) compared to the control class (6th A) in all skills of Writing: structure, language, syntax, morphology, spelling and punctuation.

The results of the pre and post-tests for the observation class (6th A):

Observation class results	structure	language	Grammar	Dictation	punctuation marks	Total mark (25%)	Mark percentage out of 100
Pre-test	2.92	2.76	2.73	2.53	3.15	14.11	56.46
Post- test	3.35	2.95	2.9	2.85	3.55	15.6	62.4

Illustration: The average of the students of the control class in the pre and post tests is almost the same and did not change.

The results of the pre and post tests for the experimental class (6th B):

Experiment class results	structure	language	Grammar	dictation	punctuation marks	Total mark (25%)	Mark percentage out of 100
Pre-test	3.15	2.92	2.96	3.15	3.11	15.30	61.23
Post- test	4.28	4.36	4.32	4.36	4.28	21.6	86.4

Illustration: The average of the experimental class pupils in the pre and post test after implementing the intervention program is very significant.

There is also a significant difference in their average of all skills in the post test versus the pre test, with statistical significance 95% ($p < 0.05$).

Results for 6 th graders (A) Control class		Results for 6 th graders (B) Experiment class	
Pre-test	Post- test	Pre-test	Post- test
60.6	62.4	59.68	86.4

From the illustration above, we notice that at the beginning, the difference was not noticeable between the two classes in the pre-exam, so we find that the control class got an average of 60.6 and the experimental class got an average of 59.68, and this indicates that there was no difference between the two classes in average before implementing the program. After implementing the remedial plan "Writing generates understanding" in the experiment class, The grade point average rose from 60.6 to 86.4, and this of course, indicates that there is a noticeable difference between the two classes. And that there is a significant contribution of the intervention program to raise the level of improving students' writing in written expression.

Chapter III: The intervention Program

Intervention Program "Writing Generates Understanding"

About the program (quoted from the Branco vise website, mentioned in the list of sources)

"Writing Generates Understanding" is a program that is compatible with many subjects such as: literature, history, geography, and the Bible. Through it, teachers guide their students in the stages of writing in order to deepen their understanding in the field of knowledge and enhance their reading and writing competence. The Intervention Program, "Writing generates Understanding", applies understanding in Educational process, the principles of important reforms led by the Ministry Education in a systematic and gradual process using applied educational practices. The teacher guides and directs his students in building their knowledge. as effective learners in the acquired field of knowledge.

The texts produced by the students demonstrate an understanding of the performance, and give good writing to the deep learning process they went through.

Teachers provide pedagogical tools to guide students to produce good writing and evaluate it in a systematic and professional manner as an alternative model to assessing the field of knowledge gained.

The structure of the intervention program and its objectives

This program is divided into three main components, namely:

- Verbal activities (discussion and dialogue), activities that support writing and help students to write. "The stimuli" compatible with the writing task required from the students and their abilities. For example, they help the student to write, retrieve items from the contents of memory and educate students about the basic elements of the text and others.
- Writing: Students write narrative non-fiction texts (such as: a short story or a song) and theoretical texts (such as an interpretation and an argument) Writing assignments are determined by teachers according to their teaching objectives. The goal is to write a text through it Students think about educational issues and apply them independently and effectively.
- Participation: Students share the texts they have written with their classmates and receive appropriate evaluation from their friends and their teacher. This assessment allows them to improve their writing ability and deep understanding of the field of knowledge.

I have adapted this program " writing internalize understanding" to the writing class through the following stages:

Expose students to the types of texts, each type separately, starting with the fictional text because it is closer to the student's world. Presenting different story texts to students in the group. Each student in the group must identify the elements of the story and then analyze its structure and thus analyze the content of the story by defining the goal and characteristics of each part of the story structure. A structure directed to writing and evaluating the story by the Arabic language staff in the school, after that writing a text by the pupils, a supportive introduction to stimulate and motivate Students to write, put forward all ideas emanating from reading the outline (draft), arrange ideas and sequencing them and thus write The story includes the appropriate ideas based on the story writing guide, reading the story in front of the class and the teacher, giving positive feedback only at the beginning by the students, after that a positive feedback by the teacher on the pupils writings by searching for the strengths in the student's writings and praising them. After that another feedback followed by improving students writing through Pros and cons of the assessor (teacher and students) and then produces a nonfiction text written in sound language and appropriate standards. This applies On other types of texts such as: persuasive, descriptive, message

The treatment plan "Writing generates Understanding" has contributed significantly to improving pupils writing in written expression. There are reasons behind these results that made the intervention program a total success in a significant and distinctive way, and these are the reasons:

Teaching carried out in the morning hours as two consecutive lessons.-

- Active participation by students in class.
- Good Evaluation by the teacher and students on the writings of others.

Also, this treatment plan led to remarkable results in the writings of the pupils, such as:

- Improving writings in terms of crystallizing ideas and writing them well.
- Reduce dictation errors.
- Writing in a smooth and proper standard language.
- The structure of the topic is clear in the writings of the pupils: an introduction, the core of the topic and the conclusion.
- Put punctuation marks in the appropriate place.

Stage 1 – Motivating Students to Write (Narrative Story)

Methods of Monitoring and Evaluation	Stages of Work	Date	Text Type	Stage
Structure for writing and evaluating the story: story elements – story structure – dictation and punctuation – story content	Show 3 simple stories and analyze them: • Determine story elements • Analyze the story structure • Analyze story content: determine purpose and characteristics of each part of the structure	1.2.24	Narrative Story	Stage 1 – Introduction
Engagement: reading the story in front of others Positive feedback by students: <i>"Something I liked about my classmate's story..."</i> Read all students' writings to the end without evaluation Positive feedback by teacher: highlight strengths in student work	Writing the first story: • Determine purpose of the story • Construct 2 writing tasks (student chooses one) • Supportive introduction to motivate writing • Present ideas from reading outline (draft) • Arrange ideas in sequence • Write a story using the story writing guide	8.2.24	Narrative Story	Stage 1 – First Story
Engagement: reading the story in front of others Positive feedback by students Positive feedback by teacher	Writing the second story: • Determine purpose of the story • Construct 2 tasks for writing (student chooses one) • Present ideas from reading outline (draft) • Arrange ideas in sequence • Write story following the guide	15.2.24	Narrative Story	Stage 1 – Second Story
Engagement: reading the story in front of others Positive feedback by students Positive feedback by teacher	Writing the third story: • Determine purpose of the story • Construct 2 tasks for writing (student chooses one) • Present ideas from reading outline (draft) • Arrange ideas in sequence • Write story following the guide	18.2.24	Narrative Story	Stage 1 – Third Story
Engagement: reading the story in front of others Positive feedback by students: 1. Something I liked about my classmate's story 2. A question about the content Positive feedback by teacher: 1. Praise strengths 2. Suggest improvements	Writing the fourth story: • Determine purpose of the story • Construct 2 tasks for writing (student chooses one) • Present ideas from reading outline (draft) • Arrange ideas in sequence • Write story following the guide	22.2.24	Narrative Story	Stage 1 – Fourth Story

Stage 2 – Consolidating the Writing Process (Nonfiction & Descriptive Texts)

Methods of Monitoring and Evaluation	Stages of Work	Date	Text Type	Stage
Engagement: reading the story in front of others Positive feedback by students: 1. <i>Something I liked about my classmate's story</i> 2. <i>A question about the content</i> Positive feedback by teacher: 1. Praise strengths 2. Suggest improvements	Writing the fifth story: • Determine purpose of the story • Construct 2 writing tasks (student chooses one) • Present ideas from reading outline (draft) • Arrange ideas in sequence • Write story following the guide	25.2.24	Nonfiction Text	Stage 2 – Fifth Story
Guided structure for writing and evaluating a descriptive text: elements – structure – spelling & punctuation – content	Present 3 simple descriptive texts and analyze them: • Define elements • Analyze structure • Analyze content (purpose and characteristics)	1.3.24	Descriptive Text	Stage 2 – Intro to Descriptive Writing
Engagement: reading the text in front of others Positive feedback by students Positive feedback by teacher	Writing the first descriptive text: • Determine purpose • Construct 2 tasks (student chooses one) • Present ideas from reading outline (draft) • Arrange ideas in sequence • Write text following descriptive guide	4.3.24	Descriptive Text	Stage 2 – First Descriptive Text
Engagement: reading the text in front of others Positive feedback by students Positive feedback by teacher	Writing the second descriptive text: • Determine purpose • Construct 2 tasks (student chooses one) • Present ideas from reading outline (draft) • Arrange ideas in sequence • Write text following descriptive guide	15.3.24	Descriptive Text	Stage 2 – Second Descriptive Text
Engagement: reading the text in front of others Positive feedback by students Positive feedback by teacher	Writing the third descriptive text: • Determine purpose • Construct 2 tasks (student chooses one) • Present ideas from reading outline (draft) • Arrange ideas in sequence • Write text following descriptive guide	18.3.24	Descriptive Text	Stage 2 – Third Descriptive Text

Stage 3 – Solidifying the Writing Process (Persuasive Texts)

Methods of Monitoring and Evaluation	Stages of Work	Date	Text Type	Stage
Guided construction for writing and evaluating a persuasive text: elements – structure – dictation & punctuation – content	Present 3 simple persuasive texts and analyze them: • Determine elements of persuasive text • Analyze structure • Analyze content (purpose and characteristics)	22.3.24	Persuasive Text	Stage 3 – Intro to Persuasive Writing
Engagement: reading the text in front of others Positive feedback by students Positive feedback by teacher	Writing the first persuasive text: • Determine purpose • Construct 2 tasks (student chooses one) • Present ideas from reading outline (draft) • Arrange ideas in sequence • Write persuasive text following guide	25.3.24	Persuasive Text	Stage 3 – First Persuasive Text
Engagement: reading the text in front of others Positive feedback by students Positive feedback by teacher	Writing the second persuasive text: • Determine purpose • Construct 2 tasks (student chooses one) • Present ideas from reading outline (draft) • Arrange ideas in sequence • Write persuasive text following guide	19.4.24	Persuasive Text	Stage 3 – Second Persuasive Text
Engagement: reading the text in front of others Positive feedback by students Positive feedback by teacher	Writing the third persuasive text: • Determine purpose • Construct 2 tasks (student chooses one) • Present ideas from reading outline (draft) • Arrange ideas in sequence • Write persuasive text following guide	22.4.24	Persuasive Text	Stage 3 – Third Persuasive Text
Revisions and mixed-genre practice	Practice persuasive, descriptive, and narrative writing; make revisions based on peer and teacher feedback	26.4.24 – 10.5.24	Mixed Genres	Stage 3 – Revision Cycle

Stage 4 – Developing Personal Notes & Final Comparative Work

Methods of Monitoring and Evaluation	Stages of Work	Date	Text Type	Stage
Guided construction for writing and evaluating personal notes: elements – structure – dictation & punctuation – content	Present 3 simple personal note texts and analyze them: • Determine elements • Analyze structure • Analyze content (purpose and characteristics)	17.5.24	Personal Notes	Stage 4 – Intro to Personal Notes
Engagement: reading the text in front of others Positive feedback by students Positive feedback by teacher	Writing first personal notes: • Determine purpose • Construct 2 tasks (student chooses one) • Present ideas from reading outline (draft) • Arrange ideas in sequence • Write notes following guide	24.5.24	Personal Notes	Stage 4 – First Notes
Engagement: reading the text in front of others Positive feedback by students Positive feedback by teacher	First development stage of the first notes: • Revise original notes after feedback • Keep same structure as guide • Apply suggested improvements	31.5.24	Personal Notes	Stage 4 – Development 1
Engagement: reading the text in front of others Positive feedback by students Positive feedback by teacher	Second development stage of the first notes: • Continue refinement based on new feedback • Strengthen idea sequence and clarity	7.6.24	Personal Notes	Stage 4 – Development 2
Engagement: reading the text in front of others Positive feedback by students Positive feedback by teacher	Third development stage of the first notes: • Final refinement of notes • Ensure all elements (structure, language, punctuation) meet standards	14.6.24	Personal Notes	Stage 4 – Development 3
Comparative analysis across text types	Outline similarities and differences in writing processes for different genres Festive display of all developed texts	21.6.24	All Genres	Stage 4 – Comparative & Showcase

Chapter Four: Discussion and Recommendations

Discussion

The results of the research showed that there was a significant and clear effect in passing the intervention program "Writing generates Understanding" to develop writing skills according to the standards of the efficiency and development test for 6th grade students (B), as they obtained in the post-test an average of 86.4.

According to the study of Fadlallah (2003), the ability to write is evidence of the mastery of many skills related to organizing ideas, presenting information, using language and coordinating form, as the results of the research showed a strong positive statistical difference in the Pearson coefficient 95% ($p > 0.05$). This result is attributed to several things; Guiding students on how to write an expressive text and training them on it is an important factor for improving and developing students' ability in writing, which is lacking in our schools, as Qidar said (2002).

In addition to the applied teaching method, as it works to attract the student to the educational material, and encourages participation and trying, The unity of expression is inspired by the world of the pupil and his teaching methodology, and is not a strange subject, as both Al-Dulaimi and Al-Waeli claim. (2009) that one of the difficulties in teaching writing that the pupil faces is that the material does not represent his thinking.

As for the text structure, the results indicate that there are statistically significant differences in favor of the text structure in the class in which the intervention program was implemented. The average of the text structure for 6th graders (B) increased from 3.0800 to 4.2800. This indicates that the training process gave the pupils a good skill to write a good expressive text with a chronological and logical sequence between its events, in addition to using the appropriate conjunctions. This effect is consistent with a study conducted by Al-Nassar and Al-Roudan (2006), which relied on training pupils

to write the introduction, the problem and the solution.

Other criteria that I measured according to the indicator of correcting the test for efficiency and development are : language, grammar and morphology, dictation, punctuation and linguistic wealth. There were statistically significant differences in all criteria in favor of the 6th grade (B) in which the plan was implemented, and certainly there is a clear difference between the 6th grades (A) and the 6th (B), as the 6th grade (A) in which the program was not implemented remained at approximately the same rate in all variables, and there was no significant change or progress, towards the rate of the 6th (A) in the pre-test 60.6 and in the post-test 62.4, while the general average for the 6th (B) in which the plan was implemented

In the pre-test it was 59.86 and in the post-test 86.4, and this in itself shows and illustrate the extent of the success of the intervention program. "Writing generates comprehension" in the 6th grade (B).

I also examined the effect of some dependent variables that could affect the research results, such as: the gender variable, but The result was that there are no statistically significant differences for the student's gender on the students' mark, and there is no effect of the student being male or female on the results of the pre and post test of the intervention program. The pre test of male average is 13.6154 and the post test is 13.6154, while for females the average in the pre test was 14.2500 and the post test was 14.6667. And this indicates that there is no effect for the examinee to be male or female in relation to the average, because the averages are close between females and males in the pre and post tests, this interpretation according to leven test, we impose non-variance, and according to T, there are no statistically significant differences between males and females. (Sigpre=2.20>0.05) - (sigpost = 2.21>0.05)

It can be concluded that there is a clear difference in the rate of students of the experiment in all writing skills in the post-test versus the pre-test with a statistical significance of 95% ($P > 0.05$). This indicates that the program contributed to raising the level of achievement of the 6th grade students (B) in the skills of writing based on: structure, language, syntax, morphology, spelling and punctuation marks. This is proof of what Al-Mujawar (2000) said, that expression is not a set of diverse linguistic skills that the student must master to be able to express what he wants to express easily. Rather, he has a dimension other than the linguistic dimension, which is the cognitive dimension, which is related to the collection of information, facts and ideas and the ability to construct paragraphs, and their arrangement, depth and humor, and all of this requires training students and encouraging them to read before delegating them and entrusting them with writing, or talking about the topic of expression. Of course, this is what happened in 6th grade (B). During the implementation of the program and during the lessons, the teacher had an important role in encouraging the students to read before they were given the assignment of skill of writing, and she also used to talk to them about the topic in a standard language to increase their experience and their ability to write more effectively.

Research Constraints

Obstacles encountered before and during the implementation of the intervention program:

- Searching for appropriate value texts (for each type of text we searched for 4-5 texts).
- Appoint for each type of text an appropriate guide, in order to simplify and facilitate the matter for the student to rely on while writing the text. All guides listed in Appendix No. 5)
- Time and Classes: Since I dedicated this program a lot of time and meetings after classes with The guide, and also to pass this unit in the class, it was not limited to one writing class, but more, and the classes should be Consecutive.

Recommendations

In light of the findings of this study, I recommend the following:

- The necessity of making language learning fun and joyful, and that the educational material be inspired by the students' world.
- Employing and developing standard language in student's lives.
- Training and developing Arabic language teachers to teach writing using special and compressive units and action plans that help students develop their abilities in writing
- Directing educational counselors to the importance of following up teachers of writing to use modern methods and strategies in teaching writing in general and expressive writing in particular, and encourage teachers to experiment using Special expressive units covering the curriculum and noting the difference they make in improving students' ability in writing.
- I also recommended conducting additional research for different age groups, such as the 7th or 8th grade in the preparatory stage to compare the results of the research and to find out other ways and means to improve student's writing skills.

References:

Arabic References:

- Alhalaq. A. (2007) **Language and Critical Thinking**, Theoretical Fundamentals and Teaching Strategies, Amman: Dar Al Maysara for Publishing and Distribution and print.
- Khawaldeh N. (2001). **The effectiveness of using the model of the stages of writing processes in learning the skill of written expression among class students of The tenth grade.** Unpublished Master's thesis, University of Jordan.
- Al-Dulaimi, T. And Al-Waeli S. (2009). **Modern trends in teaching Arabic language.** Amman: Dar Al-Shorouk for publication and distribution.
- Al-Nassar, S. Al-Roudan, A. (2006). The effect of using the five stages of writing on developing the ability of written expression among pupils Second Intermediate Grade **Journal of the Message of Arab Gulf volume No. (104).**
- Jaber, W (2002). **Teaching Arabic Language, theoretical concepts and practical applications**, Amman: Dar Al-Fikr for printing, publishing and distribution.
- Zobi, J. Shahbari, A. (2011). **Written expression between theory and practice.** Ministry of Education in Israel.
- Shahata, H. (2000). **Teaching Arabic Language between theory and practice.** 4th Edition, Cairo: The Egyptian Lebanese House.
- Ashour, R, and Al-Hawamdeh. M. (2003). **Methods of teaching Arabic language.** Amman: Dar Al Maysara for publishing, distribution and printing.
- Abdul Hamid, A (2001). **Evaluation of performance levels in linguistic expression among secondary school students.** Journal of Reading and Knowledge. The Egyptian Association for Reading and Knowledge, volume No. 9, page. 207-241.
- Asar, H. (2000), **Modern trends in teaching Arabic in the preparatory and secondary stages**, Alexandria, Arab Modern Office
- Fadlallah, M. (2002). **Functional writing operations and their applications.** 1. Cairo: World of Books.
- Mujawir M. (2000) **Teaching Arabic Language at the secondary level, its educational basics and applications.** Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi.
- Madkour, A.A. (2000). **Teaching Arabic Language Arts**, Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi.
- Mahdi, J (1999) **The effect of a TV program on developing the written expression skills of secondary school students in the State of Bahrain.** A master thesis that is not published. Beirut: Saint Joseph University, Faculty of Arts and Humanities, Institute of Oriental Literature - Ministry of Education. (2009) Educational Curriculum: Arabic Linguistic Education, Language, Literature, culture, Educational Secretariate, Center of Planning and developing educational curricula, Jerusalem.

Hebrew References:

- Or, Y. (2011). *Teaching Arabic in Hebrew Education: Instructional Materials for Teaching Arabic and Their Adaptation to the Curriculum, A Commissioned Review as Background Material for the Work of the Expert Team.*
- Duviner, D. (2011). *The Necessary Conditions for Language Acquisition and Teaching: A Scientific Review Submitted to the "Initiative for Applied Research in Education."*

Kidar, N. (2002). *From Reading to Writing*.

Pergman, A. (September 24, 2006). *The Diligent Student Came to School Last Week Happy and Cheerful: The Grammar-Translation Method in Teaching the Arabic Language. Amigo Magazine – A Journal on Culture and Content*. Retrieved July 20, 2012 from: <http://www.e-mago.co.il/Editor/edu-1260.htm>

English References:

Younes, M. (2006). Integrating the Colloquial with Fusha in the Arabic as a Foreign Language Classroom. In K. M. Wahba, Z.A. Taha & L. England. (Eds), *Handbook for Arabic Language Teaching Professionals in the 21st Century*, (pp. 157-166). Mahwah, NJ: Erlbaum.

Wilmsen, D. (2006). what is communicative Arabic ? In K.M. Wahba, Z.A. Taha & L. England. (Eds), *Handbook for Arabic Language Teaching professionals in the 21st century*, (pp. 125-138). Mahwah, NJ: Erlbaum.

Website

<http://www.branco weiss.org.il/999/>

<http://www.branco weiss.org.il/1120/783.htm>

Humanitarian and Natural Sciences Journal

Peer-Reviewed Journal

Volume (6) Issue (8), August 2025



Sudan, Khartoum, Khartoum North,
Kafouri next to Al-Zaeem Al-Azhari University

Tel: 00249123656807

00249905578664

Email: info@hnjournal.net

Iraq - Babylon Tel: 009647805011077